



تاريخ

أبي يعلى حمزة ابن الفلاسني

المعروف

بديل تاريخ دمشق

تتوه نخب من تواريف

ابن الأزرق الفارقي

ربط ابن الجوزي والحافظ الذهبي



مكتبة النبي

القاهرة

ذكر اخذ القرامطة دمشق

من لمعز لدين الله صاحب مصر

وهذا في سنة ستين وثلاثمائة

وقال الشيخ ابو المظفر يوسف سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان في ترجمة السنة الحادية والستين بعد الثلاثمائة ان من هاهنا بنتدي بشي مما ذكره ابو الحسين هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابي وانه قال : ان في جمادى الآخرة ورد الخبر بان ابا علي الحسن بن ابي منصور احمد القرمطي سار الى مصر وتزل بعين شمس وجرت بينه وبين جوهر القائد وقعة وكان الاستظهار فيها لجوهر وانهزم القرمطي . قال ابن الصابي : لما دخل جوهر مصر سنة ٣٥٨ ووطأ الامور للمعز واقام له الخطبة سيرة القائد جعفر بن فلاح الى الشام فامر الحسن بن عبيد الله بن طنج وبعث به الى مصر ولما نهب الرملة قصده النابلسي الزاهد واستكف جعفر عن النهب فكف . ثم استخلف ابنه علي الرملة وسار الى طبرية وبلغه ان ابن ابي يعلي الشريف (وهو ابو القاسم اسماعيل) قد اقام الدعوة بدمشق للمطيع فسار الى دمشق فعضوا عليه وقتلوه فظهر عليهم وهرب ابن ابي يعلي الى البربر وجئ به اليه فاحسن اليه وبعث به الى مصر مع جماعة من الاحداث الذين قاموا معه . وعرف القرامطة استيلاء المغاربة على الشام واخذهم ابن طنج فارتعجوا من ذلك لما يفتهم من المال الذي كان قرره ابن طنج لهم وهو في كل سنة ثلثمائة الف دينار فبعثوا ابا طريف عدي بن محمد بن المعمر صاحبهم الى عز الدولة بختيار والوزير يومئذ ابو الفرج محمد بن العباس (ابن فسانجس) يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال والرجال فاستقر ان عز الدولة يعطيهم الف الف درهم والف جوشن والف سيف والف رمح والف قوس والف جعبة وقال : اذا وصل ابو علي الجنابي الى الكوفة حمل اليه جميع ذلك . ولما وصل الجنابي الى الكوفة وكان في عدد كثير من اصحابه ومن الاعراب فبعثوا اليه بالمال والسلاح وسار يريد الشام . وبلغ جعفر بن فلاح خبرهم فاستهان بامرهم ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق

بمكان يقال له الدكة (١) فقتلوه واحتلوا على سواده وامواله وكراعه وملك ابو علي دمشق وامن اهلها واحسن السيرة فيها وغاب على الشام واجتمعت اليه العرب وسار الى الرملة وبها سعاد بن حبان فخرج الى يافا وتحصن بحصنها . ودخل ابو علي الرملة وقتل من وجد من المغاربة ثم رحل طالبا مصر وخلف بالرملة ابا محمد عبد الله بن عبيد الله الحسيني ومعه دغفل بن الجراح الطائي وجماعة من الانشيدية والكافورية وجاء قتل عين شمس على باب مصر واقتتلوا اياما وظهر القرمطي على المغاربة وقتل منهم زهاء خمسمائة رجل وغنم اموالهم واسلحتهم ودوابهم . فلما كان يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول وقف الهجري على الخندق والمغاربة من ورائه ونشبت الحرب واقتتلوا الى العصر فخرجت المغاربة من الخنادق وحملوا على الهجري فاندق عسكريه لا يلوى على احد وجعل يردهم وهم منهزمون فما وقفوا الى الرملة وظن جوهر ان هزيمة القرمطي مكيدة فلم يتعرض لما كان في عسكريه الى ثلثة ايام حتى تحقق الخبر فاستولى على الجميع . ونادى جوهر في الانشيدية فاجتمعوا فعمل لهم طعاما وحلف لهم على المصافاة ثم قبضهم وقيدهم وحبسهم وكانوا الفا وثلاثمائة مقاتل . وقال القرمطي في هذه الوقعة :

زعمت رجال العرب اني هبتها فدي اذا ما بينهم مطلوب
يا مصر ان لم اسق ارضك من دم يروي ثراك فلا سقاني النيل

وقال :

زعموا اني قصير لسري ما تكال الرجال بالقفران
انما المرء باللسان وبالقلب وهذا قلبي وهذا لساني

ثم عاد الهجري الى بلده وتفرقت الاعراب في البرية

(١) وفي حاشية : هي معروفة في زماننا هذا بالدواسة وهي من عجائب دمشق

ذكر الحرب بين المعز لدين الله صاحب مصر والقرامطة

في سنة ثلث وستين وثلاثمائة ومذا اول ما وُجد من تاريخ ابن القلانبي

... (٧٤) ... وتحصنوا بالسور وعظم الامر على المعز وتحير في امره ولم ينفعه كتابه اليه ولا تهيبة عليه ولم يقدم على الظهور بعسكره اليه . وكان حسان بن جراح الطائي بعسكره مع القرمطي وكان قوته وشدة به ونظر المعز في امره فاذا ليس له به طاقة فاعمل فكرته ورويته في امره وشاور اهل الراي من خاصته وجنده في امره فقالوا . ليس فيه حيلة غير فل عسكره وليس يُقدر على فله الابابن جراح . فبدلوا له مائة الف دينار على ان يفل لهم عسكره فاجابهم الى ذلك . ثم نظروا في كثرة المال فاستعظموه فضربوا دنانير من صفر وطلوها بالذهب وجعلوها في اكياس وجعلوها في راس كل كيس منها يسيراً من دنانير الذهب الخالص وحملوها الى ثقة ابن جراح وقد كانوا توثقوا منه وعاهدوه على الوفاء وترك الغدر اذا وصل المال اليه . فلما عرف وصول المال اليه عمل في فل عسكر القرمطي وتقدم الى اكثر اصحابه ان يتبعوه اذا تواقف العسكران ونشبت الحرب . فلما اشتد القتال ولّى ابن جراح منهزماً وتبعه اصحابه فكان في جمع كثيف فلما نظر اليه القرمطي قد انهزم في عسكره بعد الاستظهار والقوة تحير في امره ولزمه الثبات والمخاربة بعسكره واجهد نفسه في القتال حتى يتخلص ولم يكن له بهم طاقة وكانوا قد ارهقوه بالحملات من كل جانب وقد قويت نفوس المغاربة بانقلال ابن جراح فخاف القرمطي على نفسه فانهزم فاتبعوا اثره وطلبوا بعسكره فظفروا بمن فيه واسروا منه تقدير الف وخمماية رجل واتهبوا سواده وما فيه وضربوا اعناق من اسروه وذلك في شهر رمضان سنة ٣٦٣

ثم جردوا في طلب القرمطي القائد ابا محمود بن ابراهيم بن جعفر في عشرة الف رجل فاتبعه وتناقل في سيره خوفاً من رجوعه عليه وتم القرمطي على حاله في انهزامه حتى تزل على اذرعات وانفذ ابا المنجأ في طائفة من الجند الى دمشق وكان ابنه قبل ذلك والياً عليها ورحل القرمطي في البرية طالباً بلده الاحساء . ونيت العود ورحل ابو محمود مقدّم عسكر (٧٤) المغاربة عند معرفته ذلك وتزل باذرعات في منزلة القرمطي

ذكر ولاية ظالم بن موهوب العقيلي لدمشق

في سنة ٣٦٣ من قبل الميز لدين الله

وصل القائد ظالم بن موهوب العقيلي الى دمشق والياً عليها في يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ٣٦٣ عقيب نوبة القرمطي فدخلها وتمسك أمره في ولايتها وتأملت حاله في إيلاتها وتوفرت عدته وعدته واشتدت شوكته لاسيما عند قبضه على ابي المنجأ وولده صاحبي القرمطي مع جماعة وافرة من اصحابهما وحبسهم وأخذ اموالهم واستغراق احوالهم. واتفق ان ابا محمود مقدم العسكر المصري المقدم ذكره وصل الى دمشق في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر رمضان من السنة وتزل بالشماسية فخرج ظالم متلقياً له ومستبشراً به ومبتهجاً بتزوله ومستأنساً بحلوه لما كان مستشعراً من الخوف من عود القرمطي الى دمشق وتزوله عليها ثم ان ظالماً اتزل ابا محمود المقدم الدكة المعروفة وحمل اليه ابا المنجأ صاحب القرمطي المعتقل والمعروف بالنابلسي الذي كان هرب من الرملة متقرباً اليه والى المغاربة بذلك فجعل كل واحد منهما في قفص من خشب وحملها الى مصر فلما وصلا الى الميز لدين الله امر بحبس ابي المنجأ وولده وقال للنابلسي : انت الذي قلت لو ان معي عشرة اسهم لرميت تسعة في المغاربة وواحداً في الروم. فاعترف بذلك فامر بسلخه فسلخ وحشي جلده تبناً وُصَلب (١) ولما تزل القائد ابو محمود المقدم على دمشق في عسكره اضطرب الناس وقلقوا وامتدت ايدي المغاربة في العيث والفساد في نواحي البلد واخذ من يُصادف في الطرقات والمسالك وكان صاحب الشرطة بعد القبض على ابي المنجأ قد اخذ انساناً وقتله فظهر

(١) قال الشيخ ابن الجوزي في المنتظم في ترجمة الميز انه كان بطائشاً احضر يوماً ابا بكر النابلسي الزاهد وكان يتزل الاكواخ من ارض دمشق فقال له : بلنا انك قلت اذا كان مع الرجل المسلم عشرة اسهم وجب ان يرمي في الروم منها واحداً وفينا تسعة . فقال : ما قلت هكذا . فظن انه رجع عن قوله فقال : كيف قلت ؟ قال : قلت اذا كان مع عشرة وجب ان يرمي تسعة ويرمي العاشر فيكم ايضاً فانكم غيرتم الملة وقتلتم الصالحين وادعيت نور الالهية . فامر جيتز ان يُشهر فشهر في اليوم الاول وضرب بالسياط في اليوم الثاني فأخرج في اليوم الثالث فسلخ سلخه رجل يهودي وكان يقرأ القرآن ولا يتاوه قال اليهودي : فدخاني له رحمة قطعت بالسكين في فواده حتى مات عاجلاً

القوغاء وحَمَلَة السلاح وقتلوا اصحاب المسالِح وكثُر من يطلب الفتن من العوام وطبعت المغاربة في نهب القرى واخذ القوافل ظاهر البلد ولم يتسكن القائد ابو محمود المقدم من ضبط اصحابه لانه لم يكن معه مال ينفقه فيهم ولم (8٢) يقبلوا امره ولا امثلوا زجره . وكان ظالم ياخذ مال السلطان الذي يستخرج من البلد وقد عرف ظالم ان الرعية تكره المغاربة في الفساد وقطع الطريق على الصُّدار والوراد وامتنع السفار من الحجى والذهاب وعدلوا في ذلك عن نهج الصواب وترح اهل القرى منها الى البلد وخات من اهلها واستوحش ظاهر البلد وباطنه . فلما كان يوم الخميس النصف من شوال من السنة جاء قوم من العسكرية ينهب القصارين من ناحية الميدان فكثُر الصائح في البلد وخرج الناس بالسلاح وثارت الاحداث وخرج اصحاب ظالم روقع القتال وذا لم يظهر انه يريد الصلاح والدفع عن البلد ولم يكشف في الامر ووجد الناس حجة للمقال والشكوى لا يجري عليهم فلما كان في بعض الايام خرج قوم من المغاربة يطلبون الطرق فظفروا برفقة قافلة في طريق الحرجلة قد اقبلت من حوران فاخذوها وقتلوا منها ثلثة نفر فجاء اهل القتلى وحملوهم وطرحوهم في الجامع فكثُر الناس عليهم وبالغوا في المقاتل والانكار لاجلهم وغلقت الاسواق ومشى الناس بعضهم الى بعض ونفرت قلوبهم واستوحشوا وخافوا . فلما كان يوم الاثنين السابع عشر من ذي القعدة من السنة سمع صبي يصيح على بعد : النفير النفير الى قينة الى اللؤلؤة . فقال قائل : كان بالامس اخر النهار قوم من المغاربة ومن البادية في جنينة في القنوات فقتلت المغاربة من البادية ابن عم لورد بن زياد وقد وقع بينهم حرب وقد ثارت الفتنة بباب الجاية فخرج رجل من العسكرية يقال له تفاق ابن عم لابي محمود فظهر القوم من غدير في طلب الرجل وكان مسكنه في ناحية قينة فاقبلوا يريدون بيته وانتشرت خيلهم ورجالتهم في ارض قينة الى لؤلؤة والقنوات الى باب الجاية وباب الحديد فظفروا بالقصارين عند باب الحديد فاخذوا ما كان معهم من الثياب فصاح الناس « النفير » وابسوا السلاح وخرج اصحاب ظالم مع الرعية وزحفت المغاربة حتى بلغوا قرياً من سور البلد وليس في مقابلتهم من يدودهم ويدافعهم فنفر اليهم اهل البلد من (8٢) كل ناحية ونشب القتال ونكا الشباب في المغاربة اعظم نكاية وقصدوا الباب الصغير وامتدَّ الناس خلف المغاربة وصعدوا على طاحون الاشعريين يرمونهم بالحجارة وطرحوا النار فيها فاحترقت وهي اول نار طرحت في البلد

وزحفت الرعية واصحاب ظالم الى المغاربة وضايقوهم مضايقةً أَلْجَوْهُمْ الى الصعود فوق مسجد ابراهيم وكان ذلك منهم جهلاً واغتراراً وكان في الطريق الاعلى نحو البيارستان العتيق شرذمة قليلة فحملوا على الاحداث واصحاب ظالم فانهزموا من المرج الى خلف المرمى وتبعتهم المغاربة فلما علم ظالم هزيمتهم خرج من دار الامارة حتى وقف عند الجسر المعقود على بَرَدَا وامر بفتح باب الحديد ورتب قوماً من اصحابه على جسر باناس ليلاً ينهزم الناس فلما شاهد انهزام الناس والمغاربة في اثرهم ضرب بيده على فخذه ثم استدعى رحمه وعبر الجسر ومعه فرقة من اصحابه وحمل على اوائل المغاربة فردهم عن احداث البلد وصاح الناس في الميدان « النفير » فانهزم ظالم واصحابه وجاءت المغاربة نحو الفراديس ودخلوا الدروب وملكوا السطوح وطرحوا النار في الفراديس وكان هناك من البنيان الرفيع الغاية في الحسن والبهاء ما لم يُرَ مثله وهو أحسن مكان كان بظاهر دمشق وامتدت النار مشرقة حتى بلغت مسجد القاضي فأنت على دور لبني حذيفة واخذت النار كله (١) فالتفت ما كان بين الفاخورة وحمام قاسم وكنيسة مريوحنا وحين انهزم الناس وتكامل العسكر في المرج والميدان وارتفع صياح المغاربة وانهزم من على السطح من الرُماة والنظارة وامتدوا الى القنوات ودخلوا باب الحديد وانتشروا فلما عرفوا انهزام ظالم قصدت خيلهم ناحية الشماسية في طلبه فلما حصلوا بها اقبلت الاحداث تجول فيها مع المغاربة فطرحوا النار في لؤلؤة الكبرى والصغرى والقنوات وقينة واقبل الليل وبات الناس على اسوء حال واشد خوف عظيم واعظم وجل . وتمكنت النار في تلك الليلة (٩^١) فاحرقت درب الفحامين ودرب القصارين ثم اخذت مغربة الى مسجد معوية واحرقت درب السُتَاقِي وما حوله الى حمام العصمي ثم اخذت في زقاق المشاطين والقنوات وقويت النار في اللؤلؤة الكبرى والصغرى وبلغت الى ناحية المشرق واتت على الرصيف جميعه وكانوا في وقت يمكنهم من باب الحديد قد طرحوا النار في دار عمرو بن مالك ودار ابن طنجع ابن جف فقويت النار في اخشاب وبطايين سقوف منقوشة وظهر لها في الليل ألسنة عالية وشرر عظيم وكذلك النار التي أُلقيت في الفراديس كان لها شرر مرتفع والقوا النار ايضاً في باب الحديد والمظلمة بازاء دار الجمامي الى الطريق الآخذ الى حجر

الذهب ووصلوا الى رحبة السّماكين مقابل دار ابن مقاتل ووجدوا بين ايديهم من الرعيّة من منعهم من دخول الرقاق ودخل قوم من الرعيّة المظلمة وادركوا واطفروها وقويت النار في دار ابن مالك فاحتزقت وما يليها من الطاحون الى حدّ حمّام ضحاك ثم اخذت النار نحو القبلة فانت على ما كان من الدّور حول دار ابن طنج وما يليها الى قصر عاتكة وسوق الجعفري والحوائت والتقت على قصر حجّاج واشرق الصبح وقد خلا المكان واجتمع قوم في تلك الليلة من حبر الذهب والفسقار والنواحي المعروفة بباب الحديد وعملوا على المحاربة عن الدروب والازقة وابواب الدور فما لاح الصباح بضياؤه الا وقد بنوا حائط باب الحديد وسدّوا الباب واتى الله بالفرج . وقد كانت المغاربة في تلك الليلة في لهو ولعب وزفن وفرح وسرور بأخذ البلد من عدوهم ينظرون الى النار تعمل في جنباته وقد اتت عليه فلما اصبحوا انحدر العسكر من الدكة يريد البلد وكان الناس قد غدوا الى الميدان وصعدوا السطح ينظرون نزول العسكر وقد حارت عقول كثير من الناس من الخوف فلما نظرت الدبابة ممن كان على السطح انحدر العسكر وقد علت الاصوات بالنفير فلما سمع الناس النفير بادروا الخروج بالسلاح التام وعُدّ الحرب وآلاتها وخرج قوم بمثل حربة (9^v) وعصا وفاس وكساء ومقلاع وحرر عليها حجارة واشتدّ الناس في القتال وتزل القائد ابو محمود في عسكره فضرب في الميدان خيمة واصبح الناس في شدة عظيمة وبالية هائلة وظهروا من البلد وقد تبعهم الحاق الكثير من الاخيار والمستورين يطلبون من الله تعالى الفرج فلما قربوا من عسكر المغاربة صاح نفر منهم فنفرت من الصباح خيل هناك قليل لهم : اشراف البلد يريدون الوصول الى القائد . فاذن لهم فلما حضروا لديه وسلموا عليه احسن الرد عليهم وبشّ بهم وقال : ما حالكم وما الذي جاء بكم . فشكوا اليه احوالهم والاضرار بهم والمضايقة لهم وخضعوا وذلّوا له ولطفوا به فقال . ما تزلت في هذا المكان لقتالكم وانما تزلت لارد هولا . الكلاب المفسدين عنكم (يعني اصحابه) وما اوثر قتال رعيّة . فشكروه ودعوا له واثنوا عليه وانصرفوا عنه مستبشرين بما سمعوه منه وجاءوا الى خيمته واختلطوا باصحابه وقد خفّ الخوف والوجل عنهم . ودخلت المغاربة البلد لقضاء حوائجهم وعاد القائد ابو محمود في عسكره الى الدكة بمنزله . وولى الشرطة لرجلين يقال لاحدهما حمزة المغربي والاخر يقال له ابن كشمرد من الاخشيدية فدخل في جمع كثير من الخيل والرجالة فطافا في البلد بالملاهي والزفن وجلسا في مجلس

الشرطة وطاف في الليل جماعة من الرجال بالعدد والسلاح ممن يريد الفساد واثارة الفتن ووجد الطائف الدروب قد ضيقت فشكا ذلك الى القائد ابي محمود فشق هذا الامر عليه وضاق له صدره . فلما كان في بعض الليالي اجتاز الطائف في ناحية المحاملين على جسر المصلى يريد باب الصغير في جمع وافر ووصل الى سوق الغنم فوجد درب سوق الغنم مسدوداً فعظم ذلك عليه وغضب لاجله وعاد الى ورائه منكفئاً حتى دخل من ناحية البطاطين فشكا الى ابي محمود فقال : ان القوم على ما هم عليه من العصيان والخلاف . وكثرت الاقوال في مجلسه ولم يكن صاحب رأي سديد ولا تدبير حميد ولا حسن سياسة واستدعى مشايخ البلد اليه (10) فدخلوا عليه فتواعدهم واغلظ القول لهم وقال : ان لم يُفتح هذا الباب والا واتم مقيمون على الخلاف والعصيان . فقالوا : ايها القائد لم يُسد هذا الباب لعصيان ولا خلاف وانما كان سده بحيث لا يدخل منه من لا يعلمه التساند ولا يؤثره من اهل الفساد ومن يؤثره اثارة الفتنة والعناد . فقال : قد اهتكم ثلاثة ايام وان لم يفتح هذا الباب لاركن اليه ولا حرقه ولا تقتلن كل من اصادفه فيه . فقالوا : نحن نطيع امرك ولا نخالفه اذا استصوبت ذلك . وخرجوا من عنده متحيرين في امرهم ولا يعلمون كيف يسوسون جهة الناس وامور السلطان . فصاروا الى باب الصغير واجتمع اليهم اهل الشرقة وغيرهم وفيهم المعروف بالمارود راس شطار الاحداث واحاطوا بهم وسالوهم عن حالهم فاعادوا عليهم ما سمعوه من القائد ابي محمود بسبب سد الباب فقال بعضهم : يفتح ولا يجري مثل ما جرى اولاً فنخرب البلد . وقال قوم من اصحاب السلاح بالصد قالت المشايخ : نحن تفتح هذا الباب وان جرى امر مكروه عند دخول المغاربة وغيرهم او ثارت منه فتنة كنتم اتم اصل ذلك وسيبه . ثم انهم فتحوه من وقتهم فلما شاهد المشايخ ذاك حاروا بين الفريقين وقال بعضهم لبعض : ما قال ابو محمود وما قال اهل الشرقة وقد فتح الباب بامركم ولستنا نأمن امراً يكون من المغاربة فتكونوا اتم السبب فيه . ففكرُوا في الخلاص من لائمة الفريقين واعملوا الراي فيما بينهم وقالوا : الصواب ان نأمرهم بسده . وكان ذلك منهم رأياً سديداً وتديراً . وجرى بين رجل من اكابر المغاربة ورجل من اهل الشرقة منازعة بسبب صبي اراد المغربي ان يغلب عليه فرفع البلدي سيفه وضرب به المغربي قتلته في سوق البقل فغأظ الامر واضطرب البلد وغلقت حوانيت الاسواق وثار العسكر بسبب المقتول فعند ذلك وجدت المشايخ الحجة .

في سد الباب لهذا الحادث وانتهى الخبر الى القائد ابي محمود ففرق السلاح في اصحابه وثار اهل البلد وتأهبوا للحاربة واصبح العسكر منحدرًا يريد باب الصغير (10^٧) وكان عندهم العلم بتفريق السلاح والاستعداد للحرب فتيقظ الناس فاحتزوا الى حين ارتفع النهار وفتح الناس حوائثهم وكان المعروف بابن المارود راس الاحداث قد عرف هو واصحابه ان قصد العسكر باب الصغير لاجلهم وصاح الناس « النفير » وارتفعت الاصوات وتقدمت الرجالة وانتشروا في سوق الدواب وعبروا الجسر وطرحوا النار في الطاحون قبلي الجسر وانتشروا في الطريق والمقابر يشاهدون النار في دور عند مسجد الحضر وامتدت الاحداث والرعية في المقابر ووقع « النفير » في الاسواق وكانوا في غفلة فصاح فيهم صايح : اما يستيقظ من هو غافل اما ينتبه من هو راقد . فقلقت حوائث الاسواق واضحى الناس من استشعار البلاء على ساق وتزل القايد ابو محمود في محراب المصلى كانت رجالاته منتشرة في المقابر فاجتمعت مشايخ البلد الى القائد ابي محمود من باب الجباية والحاربة على باب الصغير وكان فيهم الشريف ابو القاسم احمد بن ابي هشام العقيقي العلوي قتال له : الله الله ايها القائد في الحرم والاطفال واتقياء الرجال . ولم يزل يخضع له ويلطف به الى ان امسك بعد سؤال متدد وعاد منكفئ بمكره الى مخيمه بالدكة في يوم الاربعاء . لست مضين من ذي الحجة سنة ٣٦٣ وكف عن القتال . ودخل صاحب النظر الى البلد وانتشر الفساد في سائر الضياع والجهات وطرحت النار في الاماكن والحارات وثار الفتنة واشتدت النار وعظم الخوف وفني العدد الكثير من الفريقين ولم تزل الحرب متصلة مدة صفر وربيع الاول وبعض ربيع الاخر وتقررت المصالحة والموادة الى ان ولى جيش بن الصمصامة البلد من قبل خاله القائد ابي محمود المقدم ذكره في سنة ٣٦٣ . وصرف القائد ظالم بن موهوب العقيلي عن ولايته

شرح الامر في ذلك

لما استقر الصلح والموادة بين اهل دمشق والقائد ابي محمود مقدم العسكر المصري المعزي على ما تقدم شرحه ونحذت نار الفتنة بعض الحمود وركدت ريحها بعض (11^٨) الركود وسكنت نفوس اهل البلد واطمأنت القلوب بين الفريقين اعتمد القائد ابو محمود على ابن اخته جيش بن الصمصامة في ولاية دمشق وحمايتها ولم ما

تَشَمَّتْ مِنْهَا بِالْفَتْنَةِ الْمُصَلَّةَ لَا رَجَاءَ عِنْدَهُ مِنَ الْكُفَايَةِ وَالصَّرَامَةِ وَقَدَّرَهُ فِيهِ مِنَ النُّهْضَةِ وَالشَّهَامَةِ فَدَخَلَهَا وَالْيَا وَتَزَلَّ بِقَصْرِ الثَّقَفِيِّينَ فِي الدَّارِ الْمَعْرُوفَةِ بِالرُّوْذِبَارِيِّ وَأَقَامَ بِهَا أَيَّامًا . فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ غَبِرَتْ طَائِفَةٌ مِنْ عَسْكَرِ الْمَغَارِبَةِ بِالْتِرَادِيْسِ فَعَاثَتْ فِيهِ قَتَارُ النَّاسِ عَلَيْهَا وَقَتَلُوا مِنْ حَقْوِهِ مِنْهُمْ وَصَارُوا إِلَى قَصْرِ الثَّقَفِيِّينَ فَيَرِبُ مِنْهُمْ جَيْشُ بَنِ الصَّمْصَمَةِ الْوَالِي فِي أَصْحَابِهِ فَاتَّبَعُوا مَا كَانَ لَهُمْ فِيهِ وَاصْبَحَ الْقَائِدُ جَيْشُ مَنْجَدَرًا مِنَ الْمَكْرِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ وَقَصَدَ جِهَةً مِنَ الْبَلَدِ وَكَبِسَ مَوْضِعًا كَانَ قَدْ سَلِمَ وَوَجَدَ فِيهِ أَرْبَعَةً مِنْ أَهْلِهِ فَأَخَذَ رُؤُوسَهُمْ وَطَرَحَ النَّارَ فِيهِ فَاحْتَرَقَ وَقَالَ الْقَائِدُ أَبُو مُحَمَّدٍ إِنَّ أَهْلَ الشَّرَّةِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ سَقِيقَةُ جَنَاحٍ قَرِيبٌ مِنْ بَابِ كَيْسَانَ قَبْلِي الْبَلَدِ . فَقَصَدَهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْخَامْسِ الصَّغِيرِ وَالْمَقَابِرِ فَوَقَعَ « النَّفِيرُ » فَقَاتَلَتْهُمْ الْأَحْدَاثُ وَالرَّعِيَّةُ اشْتَدَّ قِتَالٌ وَقَدْ غَلِظَ الْأَمْرُ عَلَيْهِمْ فِي اخْتِذِ رُؤُوسٍ مِنْ يَظُنُّوْنَ بِهِ وَنَشَبَتْ الْفَتْنَةُ وَالشَّرُّ بَيْنَهُمْ مِنْذُ أَوَّلِ جُمَادَى الْأُولَى وَنَشَبَتْ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ بِيَاضِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى أَنْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ فَاضْطَرَبَ الْبَلَدُ وَاشْتَدَّ خَوْفُ أَهْلِهِ وَوَجَلُّهُمْ وَخَرِبَتْ الْمَنَازِلُ وَضَعُفَتْ النُّفُوسُ وَانْقَطَعَتْ الْمَوَادُّ وَاسْتَدَّتْ بِالْخَوْفِ الْمَسَالِكُ وَالطَّرِيقَاتُ وَبَطَلَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ وَقُطِعَ الْمَاءُ عَنِ الْبَلَدِ وَعَدِمَ النَّاسُ الْقَنِيَّ وَالْجِلْمَاتُ وَمَاتَ ضَعْفَاءُ النَّاسِ عَلَى الطَّرِيقَاتِ وَهَلَكَ الْخَلْقُ الْكَثِيرُ مِنَ الْجُوعِ وَالْبَرْدِ فِي أَكْثَرِ الْجِبَاتِ وَاتَّيَتْ الْحَالَةُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَجَدَّدَتْ وَلَايَةُ الْقَائِدِ رِيَّانَ الْحَادِمِ حَتَّى بَقِيَ هَذِهِ الْفَتْنَةُ فِي بَقِيَّةِ سَنَةِ ٣٦٣

شرح الحال في ذلك

قَدْ كَانَتْ الْأَخْبَارُ تَنْتَهِي إِلَى الْمَرْءِ لَدَيْنَ اللَّهِ بِمَا يَجْرِي عَلَى أَهْلِ دِمَشْقٍ مِنَ الْحُرُوبِ وَأَحْزَانِ الْمَنَازِلِ وَالنَّهْبِ وَالْقَتْلِ وَالسَّلْبِ وَخَافَةَ الْمَسَالِكِ وَقُطِعَ الطَّرِيقَاتُ وَأَنَّ الْقَائِدَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْقُدَمِيَّ عَلَى الْجَيْشِ الْمَصْرِيِّ لَا يَتَسَكَّنُ مِنْ كَفِّ أَهْلِ النَّسَادِ وَالنَّعِ (١١٦) لِمَنْ يَقْصِدُ الشَّرَّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالْعُسَادِ وَلِذَلِكَ فَقَدْ خَرِبَتْ الْأَعْمَالُ وَاخْتَلَّتْ الْجِبَاتُ وَتَرَادَفَتْ الْأَنْبَاءُ بِذَلِكَ إِلَيْهِ وَتَوَاتَرَتْ الْأَخْبَارُ بِجَلِيَّةِ الْحَالِ عَلَيْهِ فَانْكَرَ اسْتِمْرَارُ مِثْلِ ذَلِكَ وَأكْبَرَهُ وَاسْتَبْشَعَهُ وَكَتَبَ إِلَى الْقَائِدِ رِيَّانَ الْحَادِمِ وَالْيَا طَرَابُلُسَ يَأْمُرُهُ بِالسَّيْرِ إِلَى دِمَشْقٍ لِمُشَاهَدَةِ حَالِهَا وَكَشْفِ أُمُورِ أَهْلِهَا وَالْمُطَالَعَةِ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ فِيهَا وَأَنْ يَصْرِفَ الْقَائِدَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَنْهَا فَاثْمَلَ الْقَائِدُ رِيَّانَ الْأَمْرَ فِي ذَلِكَ وَسَارَ مِنْ طَرَابُلُسَ وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقٍ نَظَرَهَا وَكَشَفَ أَحْوَالَ أَهْلِهَا وَأُمُورَ الرِّعْيَةِ بِهَا وَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَائِدِ أَبِي مُحَمَّدٍ

بالانكفاء عنها فرحل عن دمشق الى الرملة في عدة خفيفة من عسكره وبقي الاكثر مع القائد ريان وكان ذلك بقضاء الله وتقديره ونفاذ حكمه . وتمازت الايام في ذلك الى ان تجددت ولاية ابي منصور الفتكين التركي المعزي البويهى الواصل

ولاية الفتكين المعزي لدمشق في بقية سنة ٣٦٣

وما بعدها وشرح السبب في ذلك

قد مضى ذكر ما جرى عليها امر القائد ريان المعزي الخادم في تولية امر دمشق وما شاهده من امر الفتن الحادثة فيها واتصال الحروب بها وما اعتمده من النظر في تسديد احوالها وتدارك اصلاح اختلالها بعد ذلك وتسكين نفوس من بها . ووافقت هذه الحال ما تناصرت به الاخبار من بغداد من اشتداد الفتن والوقائع بين الديلم والأتراك وما كان من عصيان الحاجب سبكتكين المعزي مقدم الأتراك على عز الدولة بختيار بن مولاه معز الدولة ابي الحسين بن بويه الديلمي وما حدث من موت الحاجب سبكتكين المذكور ورد الامر في التقدم على الأتراك الى الحاجب ابي منصور الفتكين المعزي والرئاسة عليهم لكونهم الى سداة وجميل فعله في الاعمال واقتصادهم واءتمادهم عليه في اخاد ثائرة الفتنة وسكنت نفوس الاجناد ببغداد وفي ذي القعدة من سنة ٣٦٣ وردت الاخبار بجلع المطيع لله واستخلاف ولده الطائع لله عند اشتداد الفتنة بين الديلم والأتراك واقام على هذه (١٢^٣) الحال برهة خفيفة ثم ثارت الفتنة واتصلت الحوادث وزاد الامر في ذلك الى حد اوجب للحاجب الفتكين (١) الانفصال عن بغداد في فرقة وافرة من الأتراك تمسأهز ثلثائة فارس من طراخين الغلمان ووصل اولاً الى ناحية حمص للاسباب التي ارجبت ذلك ودعت فاقام بها اياماً قلائل وسار منها الى دمشق والاحداث بها على الحال المقدم شرحها في تملكها والغلبة عليها والتحكيم فيها قتل بظاهرها وخرج اليه شيوخها واشرافها وخدموه واطهروا السرور به وسألوه الإقامة عندهم والنظر في احوالهم وكف الاحداث الذين بينهم ودفع الاذية المتوجهة عليهم منهم فاجابهم الى ذلك بعد ان توثق منهم وتوثقوا منه بالآمان الموكدة والمواثيق المشددة على الطاعة والمساعدة ودخل

(١) وفي تاريخ الاسلام للحافظ الذهبي هو « مفتكين »

البلد واحسن السيرة وقع اهل الفساد واذلّ عصب ذوي العيث والفساد وقامت له هبة في الصدور وصلح به ما كان فاسداً من الامور . وكانت العرب قد استوت على سواد البلد وما يتصل به فقصدهم ووقع بهم وقتل كثيراً منهم وظهر لهم من شجاعته وشهامته وقوة نفس من في جهته وجملته ما دعاهم الى الاذعان بطاعته والتزول على حكمه والعمل باشارته وامر بتقرير امضاء الاقطاعات القديمة وارتجاع ما سوى ذلك واحسن التدبير والسياسة في ترتيب العمال في الاعمال وانعم النظر في ابواب المال ووجوه الاستغلال فاستقام له الامر وثبتت قدمه في الولاية وسكن اهل دمشق الى نظره . وكاتب المغز مكاتبة على سبيل المداجاة والمغالطة والمداجمة والتعويه والانتیاد له والطاعة لاوامره فاجابه بالاحقاد له والارتضاء بذهبه والاستدعاء له الى حضرته ليشاهده ويصطفيه لنفسه ويعيد الى ولايته بعد ذلك مكرماً مولی مشرفاً فلم يثق الى ذلك ولا سكنت نفسه اليه وامتنع من الاجابة الى ما بعثه عليه . ووافق ان المغز لدين الله اعتل العلة التي قضى فيها محتوم نجبه وصار الى رحمة ربه في سنة ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية وعمره خمس واربعون سنة ومولده سنة ٣١٩ (١٢٧) ومدة ايامه في الخلافة ثلث وعشرون سنة وستة اشهر واثم ام ولد ونقش خاتمته « بنصر العزيز العليم ينتصر الامام ابو تميم » وكان عالماً فاضلاً شجاعاً جارياً على منهاج ابيه في حسن السيرة وانصاف الرعية ثم عدل عن ذلك وتظاهر بعلم الباطن ورد من كان باقياً من الدعاة في ايام ابيه واذن لهم في الاعلان مذهبهم ولم يزل عن ذلك غير مُفرط فيه الى ان خرج من الغرب . وقام في منصبه من بعده ولده تزار ابو منصور العزيز بالله مولوده بالمهدية يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنة ٣٤٤

ولما عرف حال الحاجب الفتكين جهز اليه عسكراً كثيراً مع القائد جوهر المعزّي ويجري الامر بينهم على ما هو مشروح في موضعه . واتفق خروج (ابن) الشمشقيق متملك الروم في هذه السنة الى الثغور فاستولى على اكثرها ودعت ابا بكر ابن الزيات الضرورة الى مصالحته والدخول في طاعته والمسير في عدة وافرة من اهل طرصوس والثغور في خدمته وفعلت عدة من بطون العرب مثل ذلك فلما تزل ابن الشمشقيق على حمص وافتتحها وانتقل عنها الى بعلبك وملكها اراد قصد دمشق وكتب ابن الزيات الى الفتكين واهل دمشق يُعرفهم قوة متملك الروم وانهم لا يقدرون على مقاومته ولا يتسكنون من محاربتة ويشير عليهم بالدخول في طاعته والتزول

على حكم اشارته واصغى الفتكين واهل البلد الى ذلك وعلموا ان فيه المصلحة وقرروا ما يستكفونه به ليصبحوا في كنف السلامة ويامنوا شرّ العساكر الواصلة اليهم . وكتب اليه بقبول الاشارة وردّ الامر اليه فيما يدبره والعمل فيه بما يراه ويستصوبه . فدخل ابن الزيّات الى ممتلك الروم وقال له : قد وردت كتب الفتكين واهل دمشق بالانقياد الملك الى ما يرومه منهم ويرسم حملته اليه من الخراج عن بلدهم وسالوا امانه وحسن الرأفة بهم والحاماة عنهم . فقال له : قد قبلت طاعتهم وامرت بايمانهم على نفوسهم واموالهم ورضيت منهم بالخراج . وانفذ اليهم صلياً بالامان فانفذه ابن الزيّات اليهم مع المعروف بالدمشقي صاحبه وكان من وجوه (13) الطرسوسين فتلقوه بالسرة والاکرام والشكر الزائد عن حسن السفارة وجميل الوساطة . وأشار ابن الزيّات على الفتكين بالخروج لتلقي الملك فخرج في ثلاثائة غلام في احسن زي وعُدّة وافضل ترتيب وهيئة واستصحب اشرف البلد وشيوخه ولقيه فاقبل عليه واكرمه والدستقيين فيما خاطبهم به من الجميل وعاملهم به من وكيد العناية ومرضى الرعاية وتوسّط ابن الزيّات ما بينه وبينهم على تقرير مائة الف درهم . وسار ابن الشمشقيق الى دمشق لمشاهدتها فلما وصل اليها ونزل بظاھرھا استحسن ما رآه من سوادھا وتقدّم الى اصحابه بكفّ الاذية عن اهلها وترك الاعتراض لشيء من عملها ودخل الفتكين والشيخ الى البلد لتقسيط القطيعة وجمعها وتحصيل الملاطفات التي يُخدَم مثله بثلها وحملوا اليه ما جاز حمله وحصل المال المقرّر له في بدرة . وخرج الفتكين اليه لمعاودة خدمته فوجده راكباً والطرسوسيون يتطاردون بالرماح بين يديه فلما شاهد ابن الشمشقيق موكبه تقدّم الى ابن الزيّات بتلقّيه وقد كانت الحال تاكّدت بين الفتكين وابن الزيّاد فتلقّاه ووصاه بالتذلل له والزيّات في التعظيم له والتقرب اليه واعلمه ان ذلك ينفق عليه ففعل الفتكين ما اشار به وترجل له هو واصحابه وابن الزيّات عند قربهم منه وقبلوا الارض مراراً فسُرّ الملك بذلك وامرهم بالركوب فركبوا واستند الى الفتكين وسأله عن حاله فاجابه جواباً استرجعه حجة فيه . وكان الملك فارساً يُحبّ الفرسان فلعب الفتكين وابن الزيّات بين يديه لعباً استحسنه منه وشاهد من فروسية الفتكين ما اعجبه فتقدم اليه بالزيادة في اللعب والتفرّد به ففعل والتفت الملك الى ابن الزيّات فاثني على الفتكين وقال : هذا غلامٌ نَجيبٌ وقد اعجبني ما شاهدتهُ منه في حسن افعاله وجميع احواله . فأعلم ابن الزيّات الفتكين قترجل وقبل الارض وشكره

ودعا له فامر به بالركوب فركب وقال لابن الزيات : عرفه ان ملكي قد وهب له الخراج وترك طلبه منه . فاعاد الفتكين الترجل والشكر (13^٧) والدعاء . وعاد الملك الى بلاطه والفتكين معه في اثناء مسيره يلعب ويرى بالزوين والملك شديد التوفر عليه حتى اذا نزل احضره وخلع عليه وحماله على شهري واستهداه الملك الفرس الذي كان تحته والسلاح الذي عليه الرمح فعاد واطاف اليه عشرين فرساً بتجافيفها وعدة رماح وشيئا كثيرا من اصناف الثياب والطيب والتحف التي يتحف بها مثله فشكره الملك على هذا الفعل وقبل الفرس والته ورد ما سوى ذلك وكافاه على الهدية باثواب ديباج كثيرة وصياغات وشهاري وبغلات وسار على طريق الساحل فزل على صيدا . وخرج اليه ابو الفتح بن الشيخ وكان رجلا جليل القدر ومعه شيخ البلد ولقوه وقرروا معه امرهم على مال اعطوه اياه وهدية حملوها اليه وانصرف عنهم على سلم وموادعة وانتقل الى ثغر بيروت فامتنع اهله عليه فقاتلهم وافتتح الثغر عنوة ونهبه وسبي السبي الكثير منه وتوجه الى جبيل فاعتصم اهلهما عليه وجري امرها مجرى بيروت ونزل على طرابلس فاقام عليها تقدير اربعين يوما يقاتل اهلهما ويقاثلونه فينها هو على ذلك اذ دس اليه خال بسيل وقسطنطين سمًا فاعتل منه ورحل الى انطاكية فطالب اهلهما بتسليمهما فلم يجيبوا الى ذلك وقطع ما كان في بساينهما من شجر التين وهو يجري هناك مجرى النخل في البصرة وحفره المرض الذي لحقه واستخلف البرجي البطريق على منازلها وتوجه الى القسطنطينية وتوفي بعد ان افتتح البرجي انطاكية في سنة ٣٦٥ وورد الخبر بوفاة ابي تميم معدي الغز لدين الله صاحب مصر في يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥ وكان مولده بالمهدية على اربع ساعات واربعة اخماس ساعة من يوم الاثنين الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣١٩ وعمره خمس واربعون سنة وتقلد الامر بعد ابيه في يوم الجمعة التاسع عشر من شوال سنة ٣٤١ ومدة ايامه بمصر ثلث سنين وانتصب مكانه ولده تزار ابو المنصور العزيز بالله وقد تقدم ذكر ذلك الا ان هذه الرواية اجلى من تلك الحكاية . وقيل ان الغز كان (14^٢) مغرمي بعلم النجوم والنظر فيما يقتضيه احوال مولده واحكام طالع فحكم له بقطع فيه واستشار منجمه فيما يزيله عنه فاشار عليه ان يعمل له سردابا تحت الارض ويتوارى فيه الى حين زوال الوقت وتقضيه فعمل على ذلك واحضر قواده وكتابه وقال لهم : ان بيني وبين الله تعالى عهدا في وعد وعدنيه وقد قرب اوانه وجعلت ولدي تزارا

ولي العهد بعدي ولقبته العزيز بالله واستخلفته عليكم وعلى تدبير اموركم مدة غيبتي فالزموا الطاعة له والنصحة واسلكوا الطريق الواضحة . فقالوا له : الامر امرك ونحن عبيدك وخدمك . ووصى الى العزيز بما اراد وجعل جوهراً مدبره والمشار اليه في الامور وتنفيذها بين يديه وتزل الى السرداب الذي اتخذته واقام فيه سنة فكانت المغاربة اذا راوا غماماً سائراً ترحلوا الى الارض واوموا اليه بالسلام بقدر ذاك . ثم خرج بعد ذلك وجلس للناس فدخلوا اليه على طبقاتهم وخدموه بادعيتهم وما اقام على هذه الحال الا مديدة واعتل علة التي قضى فيها نحب . وقام العزيز بالله في منصبه وقد كان الفتكين والقرامطة يكاتبونه بانهم قاصدون الشام الى ان وافوا الى دمشق في سنة ٣٦٥ وكان الذي وافى منهم اسحق وكسرى وجعفر فزلوا على ظاهر دمشق نحو الشماسية ووافى معهم كثير من العجم واکرمهم الفتكين وحمل اليهم الميرة وخرج نحوهم واقاموا على دمشق اياماً ورحلوا متوجهين الى الرملة . وكان ابو محمود ابراهيم بن جعفر لما عرف خبرهم تحصن يافا فلما تزلوا الرملة شرعوا في القتال ولما امن الفتكين من ناحية مصر والرملة عمل على اخذ ثغور الساحل وسار فيمن اجتمع اليه وتزل صيدا فكان بها ابن الشيخ والياً ومعه رؤوس من المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي الذي تقدم ذكره في دمشق فقاتلوه وكانوا في كثرة وطمعوا في الفتكين وامتدوا خلفه وتزل على نهر وطفت الرعية من صيدا وخرج منهم خلق كثير وقال الفتكين لساقة العسكر : اطبوا طريق بانياس وتبعوهم . فحملت عليهم الاتراك ورمتهم المغاربة بالحرب فلقوهم بالصدور (١٤٢) واقلبوا باللتوت عليهم وداسوهم بالحيل عليها التجافيف فانهزموا واخذهم السيف وكان ظالم بن موهوب معهم فانهزم الى صور وأحصي القتلى فكانوا اربعة الف وطمع في اخذ عكا وتوجه نحوها . وقد كان العزيز بالله كاتب الفتكين بمثل ما كاتبه به المعز لدين الله من الاستمالة ووعد بالاصطناع واخذت عليه البيعة وظهرت منه الطاعة فاجابه فيه جواباً فيه بعض الغلظة وقال : هذا بلد اخذته بالسيف وما ادين فيه لاحد بطاعة ولا اقبل منه امراً . وغازى العزيز هذا الجواب منه واحفظه واستشار ابا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وزيره فيما يدبر امر الفتكين به فاشار باخراج القايد جوهر اليه مع العساكر فامر بالشروع في ذلك وترتيب الامر فيه . وعرف الفتكين ذلك وما وقع العزم عليه فجمع وجوه اهل دمشق واشرافها وشيوخها وقال لهم : قد علمتم انني لم اتوسطكم واتولى تدبيركم الا عن رايكم

ومرادكم وقد طلبني من هذا السلطان ما لا طاقة لي به . وانا منصرف عنكم ودخل
الى بلاد الروم وعامل على طلب موضع اكون فيه واستمدت ما احتاج اليه منه . فلما
ياحقكم بقصد من يقصدكم ما يثقل به الوطأة عليكم وتصل به المنفعة اليكم . وكان
اهل دمشق يابون المغاربة لخالفتهم لهم في الاعتقاد ولانهم أمويين ولقيح سيرة
الناظرين الذين كانوا عليهم فقالوا : اما اخبرناك لرئاستنا وسياستنا على ان نتركك من
تركنا ومفارقتنا او نالوك جهداً من نفوسنا ومساعدتنا ونفوسنا دونك وبين يديك في
المدافعة عنك . وجددوا له التوثقة على الطاعة والمناصرة . وفعل جوهر في المسكر
الكثيف من مصر بعد ان استصحب اماناً من العزيز بالله لافتكين وخائفاً ودسناً من
ثيابه وكتب ابا اليه بالعفو عنه وعمماً فرط منه فلما حصل بالرملة كاتب الفتكين بالرفق
والملاطفة وان يبلغ له ما يريدته واعلمه ما قرره له مع العزيز بالله وأخذ له المار
والتشريف الفاخر وأشار عليه في اثناء ذلك بترك اثار الفتنة وان يطلب صلاح الحال
من جهته واقرب طريقه . فلما وصل الكتاب اليه ووقف عليه اجاباه عنه بالحيل من
(15) الجواب والمرضي من الخطاب والشكر على ما بذله له من نفسه ونفع العلم في
القتال واحتج عليه باهل دمشق فيما يصرف رايه وتديره عليه . وكان كاتب الفتكين
المعروف بابن الحنار وهو يرى غير راي المغاربة ويؤذي عنده على اعتقادهم ويفر في
نفسه وجوب قتالهم ووقف جوهر على كتابه فعلم انه مصدر على الحرب فباد اليه
حتى اذا قرب منه ووصل الى دمشق نزل في المسكر بالشمسية وبرز اليه الفتكين في
اصحابه ومن حشده من العرب وغيرهم ونشبت الحرب بين الفريقين واتصلت مدة
شهرين وقتل فيها عدد كثير من الطائفتين وظهر من شجاعة الفتكين والعلمان الذين
معه ما عظموا به في النفوس وتحصلت لهم المية القوية في القارب . وأشار عليه اهل
دمشق بكتابة ابي محمد الحسن بن احمد القرمطي واستدعائه للاجتماع معه على دفع
المغاربة ففعل وسار الحسن متوجهاً اليه في عسكره وعرف جوهر خبره فعلم انه متى
حصل بين عدوين ربما تم عليه مكروه منها فرجع الى طبرية . ووصل الحسن بن احمد
الى الفتكين واجتمعا وتحالفا وتعاقدا وسارا في اثر جوهر فاندفع منهما الى الرملة وقام
بها . وانفذ رحله واثقاله الى عسقلان وكتب الى العزيز يعرفه بصورة الحال ويستأذنه
في قصد عسقلان ان دعت الى ذلك ضرورة ووافى الفتكين والحسن بن احمد القرمطي
ونزلا على الرملة ونازلا جوهرًا وقتلاه واجتمع اليهما من رجال الشام وعربها تقدير

نحسين الف فارس وراجل رتلوا بنهر الطواحين على ثلاثة فراسخ من البلد ولا مساء لأهله الأمانه فقطعاه عنهم واحتاج جواهر وعسكره والرعية الى الماء المجتمع من المطر في الصهاريج وغناء . . . قليل ومادته الى تقاد ورأى جواهر انه لا قدرة له على المقام ومقاومته القوم فرحل الى عسقلان في اول الليل ووصل اليها في اخره وتبعه الفتكين والقرمطي اليها وتزلا عليها وحاصراه فيها وضاقت الميرة به وغلت الاسعار عنده وكان الوقت شتاء لم يمكن حمل الاقوات اليه في البحر واشتدَّت الحال حتى اكلت المغاربة واهل البلد الدواب الميتة وابتاعوا الخبز اذا وجدوه (15^٣) حساب كل خمسة ارطال بالشامي بدينار معزى . وكان جواهر شجاعاً مبارزاً وربما خرج وتقدم واذا وجد فرصة من الفتكين دعاه الى الطاعة وبذل له البذول المرغبة فيسترجمه الفتكين ويسترجله ويهم ان يقبل منه ويحييه ثم يشبهه عنه الحسن بن احمد وابن الخمار اكتاب وينعانه ويخوفانه ويخدرانه وزاد الضيق والشدة على المغاربة وتصور جواهر العطب ان لم يعمل الحيلة في الخلاص فراسل الفتكين سرّاً وساله القرب منه والاجتماع معه ففعل ذلك الفتكين ووقفاً على فرسيهما فقال له جواهر: قد علمت ما يشمعي واياك من حرمة الاسلام وحرمة الدين وهذه فتنة قد طالت وأريق فيهما الدماء ونحن المأخوذون بها عند الله تعالى وقد دعوتك الى الصلح والمهادنة والدخول في السلم والطاعة وبذلت لك كل اقتراح وارادة واحسان وولاية فايبت الا القبول ممن يشب نار الفتنة ويستر عنك وجه النصيحة فراقب الله تعالى وراجع نفسك وغلب رايلك على هوى غيرك . فقال له الفتكين: انا والله واثق به وبصحة الراي والمشورة منك لكنني غير متمكن مما تدعوني اليه ولا يرضى القرمطي بدخوله فيه معي . فقال له: اذا كان الراي والايمر على ذلك فاني اصدقك على امري تعريلاً على الامانة وما اجده من الفتوة عندك فقد ضاق الامر وامتنع الصبر واريد ان تم علي بنفسي وبهاولاء المسلمين الذين معي وعندني رتدم لي لامضي واعدود الى صاحبي شاكرًا وتكون قد جمعت بين حقن الدماء واصطناع المعروف وعقدت علي وعلى صاحبي مئة تحسن الاحدوثة عنك فيها وربما املت المقابلة لك عنها . فقال له الفتكين: افعل وامن علي ان اعلق سيفي وريح الحسن بن احمد على باب عسقلان وتخرج انت واصحابك من تحتها . فرضي جواهر بذلك وتعاهدا وتضافعا عليه واخذ ختم الفتكين رهناً على الوفاء به واقتربا وصاد الفتكين الى عسكره وجوهر الى البلد وأشد جواهر الى الفتكين الطافاً كثيرة ومالاً قبل ذلك منه وكافاه عليه . وانفذ

الفتكين الى القرمطي يعرفه ما جرى بينه وبين جوهر (16^٢) فركب الحسن اليه وقال له : قد اخطأتَ فيما فعلته وبذلك وجوهر هذا ذورأي وحزم ودهاء ومكر وقد استقلك بما عتده معك وسيرجع الى صاحبه ويحمله على قصدنا ثم لا يكون لنا به طاقة فياخذنا ومن الصواب ان ترجع عن ذلك حتى يهلك هو واصحابه جوعاً وتاخذهم بالسيف . فقال له الفتكين : قد عاهدته وحلفت له وما استجيز الغدر به . وعلقا السيف والرمح وخرج جوهر واصحابه تحتها ووصل الى مصر ودخل على العزيز بالله وشرح له الحال واستفحال امره ومن معه فقال له : ما الراي . قال : ان كنت تريد لهم فخرج بنفسك اليهم والّا فانهم واردون على اثري . فامر العزيز باخراج الاموال ووضع العطاء في الرجال وبرز بروزاً كلياً واستصحب الخزان والذخائر وتوايت ابائه على القوم في ذلك وسار جوهر على مقدمته . ووردت الاخبار على الفتكين والحسن القرمطي بما جرى فعادا الى الرمة وجما العرب واتفقا واحتشدا وتأهبوا واستعدوا وورد العزيز في العساكر وتول في الموضع المعروف بقصر ابن السرح بظاهر الرمة والفتكين والقرمطي على قرب منه في الموضع المعروف ببركة الخيزران وبات العسكران على اعداد للحرب وباكراها وقد اصطف كل منهما ميسنة وقلبا وميسرة وحال الفتكين بين الصغين يكر ويحمل ويطعن ويضرب فقال العزيز لجوهر : ارني الفتكين . ف اشار اليه وقيل انه كان في ذلك اليوم على فرس ادهم بتجافيف من مرايا وعليه كذاغند اصفر وهو يطعن تارة بالرمح ويضرب اخرى بالسيف والناس يتحامونه ويتقونه فاعجب العزيز ما راي منه ومن هيته وفروسيته وعلى راسه المظلة ووقف وانفذ اليه ركائياً يختص بخدمته يُقال له غيرة وقال له : قل : يا الفتكين انا العزيز وقد ازعجتني عن سرير ملكي واخرجتني لمباشرة الحرب بنفسي وانا مسامحك بجميع ذلك وصافح لك عنه فترك ما انت عليه ولذ بالهفر (16^٣) مني فلك عهد الله وميثاقه اني اومنك واصطفيك وانوه باسمك واجعلك اسفسلار عسكري واهب لك الشام باسره واتركه في يدك . فمضي غيرة الركلي اليه واعاد الرسالة عليه فخرج بجيـث يراه الناس وترجل وقبل الارض مراراً ومرغ خديه عليها معقراً وقال له : قل لاميـر المؤمنين لو تقدم هذا القول منك لسارت اليه واطعت امرك فامأ الان فليس الا ما ترى . وعاد غيرة وقال ذلك للعزيز فقال له : ارجع اليه وقل له يقرب مني ويكون بجيـث اراه ويراني فان استحققت لن يضرب في وجهي بالسيف فليفعل . فمضي غيرة وقال له ذلك فقال : ما كنت

الذي اشاهد طلعة امير المؤمنين وانا بذه بالحرب وقد خرج الامر عن يدي . ثم حمل على الميسرة فكسرها وهزمها وقتل كثيراً ممن كان فيها وشاهد العزيز ما جرى وكان في القلب فراسل الميسنة بالحمة وحمل هو والمظلة على راسه فانهزم الفتكين والقرمطي ووضع السيف في عسكريهما فقتل منه نحو عشرين الف رجل ومضى الحسن القرمطي هارباً على وجهه . وعاد العزيز الى معسكره وتزل في مضاربه وجلس الاسرى بحضرته والعرب تحيته بمن يقع في ايديها من اصحاب الفتكين والجلع تخرج اليهم مقابلة عن ذلك وقد بذل لمن يحميه بالفتكين مائة الف دينار وكان الفتكين يميل الى الفرّج بن دغفل بن الجراح ويتمردونه لانه كان وضى الوجه صديقه وشاع ذلك عنه فيه واتفق ان انهزم فطلب ساحل البحر ومعه ثلثة من غلمانة رفقانه وبه جراح وقد كدّه العطش فلقيته سرية من الحيل فيها الفرّج فلما راه الشمس ماء فاعطاه اياه وقال له : احملني الى هناك . ففعل حتى اذا وصل الى قرية تعرف بلبنا اتزله فيها واحضره ماء وفاكهة ووكل به جماعة من اصحابه وبادر الى العزيز فتوثق منه في المال الذي بذله في الفتكين ثم عرفه حصوله في يده واخذ جوهراً ومضى فسلمه اليه وورد المبشرون الى العزيز بحصوله فتقدم بضرب نوبة من مضاربه وفرشها واعداد ما يحتاج الى اعداد من الآلات (17٢) للاستعمال فيها واحضار كل من حصل في الاسر منسوباً اليه فاحضر وأومنوا وكسروا ورُتبوا في اشغالهم المنسوبة اليهم في خدمته ووصل الفتكين وقد خرج العسكر لاستقباله وهو غير شاك في انه مقتول فامر العزيز ان يعدل به الى النوبة المضروبة وكانت قريباً من مضاربه وبين يديه مختار الصقلي صاحب القصر في جماعة من الخدم والصقالبة يمنعون الناس منه ويحولون بينه وبينهم فلما رأى القواد والصقالبة والمغاربة باب سرادق العزيز ترجلوا عن دوابهم وقبلوا الارض ففعل الفتكين مثل ذلك ودخل المضارب العدة له وشاهد اصحابه وحاشيته على ما كانوا عليه من الحال والعمل في خدمته وحمل الى دست قد نصب له ليجلس عليه فرمى نفسه الى الارض ورمى ما على راسه وعفر خديه على التراب وبكى بكاء شديداً (١) سمع منه نشيجه وقال : ما استحققت الابناء عليّ فضلاً عن العفو الكريم والاحسان الجسم ولكن مولانا ابي الا ما يقتضيه اعرافه الشريفة واخلاقه النيفة . وامتنع من الجلوس في

(١) وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : حكى القفطي في تاريخه هذا سيرة . والقفطي ابو الحسن

علي بن يوسف مات في سنة ٦٤٦

الدست وقعد بين يديه واتاه بعد ساعة امين الدولة الحسن بن عمار وهو اجل كتابه وجوهر ومعهما عدة من الخدم على ايديهم الثياب فسلما عليه واعلماه رضى العزيز عنه وتجاوزته عن الهفوة الواقعة منه والبسه جوهر دسماً من ملابس العزيز كان في جملة الثياب وقال له : امير المؤمنين يُقسم عليك بحقه الا طرحت سؤ الاستشعار وعدت الى حال السكون والانبساط . فجدد الدعاء وتقليل الارض وشكر جوهرًا على ما ظهر منه في امره وعاد الحسن وجوهر الى العزيز فخبراه ما كان منه . وواصله العزيز بعد ذلك بالمرعاة والملاطفة في الفواكه والمطاعم وتقدم من غدير الى البازارية واصحاب الجوارح بالمصير الى باب مضربه وراسله بالركوب الى الصيد تائيساً له وقاد اليه عدة من دواب براكبها فركب وهو يشاهد القتلى من اصحابه وعاد من متصيد عشاء فاستقبله الفراشون بالشمع والتفاطون بالمشاعل وتزل في (17^٢) مضاربه فلما كان في الليل ركب العزيز اليه ودخل عليه فبادر الى استقباله وتقليل الارض وتعفير خديه بالتراب فاخذ العزيز بيده وامره بالجلوس فامتنع ثلث مرات ثم جلس فسأله عن خبره وخاطبه بما سكن نفسه وقال له : ما تقمت عليك الا انني دعوتك الى مشاهدتي تقديرًا ان تستحي مني فاييت وقد عفوت الان عن ذلك وعدت الى افضل ما تحب ان تطيب نفسك به وساصطنع لك اصطناعًا يسير ذكره وافعل معك فعلاً ازيد على املك وامنيته فيه . فبكى الفتكين بين يديه وقال : قد تفضلت يا امير المؤمنين عليّ تفضلاً ما استحقته ولا قدرته وارجو ان يوفقني الله بخدمتك ومقابلة نعتك . وانس الفتكين بعد ذلك وخاطب فيمن بقي من اصحابه حتى اوجب لهم الارزاق الواسعة والتقارير المتتابعة وتزلوا على مقاديرهم ورتبهم في مواضع واستحجبه العزيز وجعله من اخص خاصته واقرب صاحب من خدمة حضرته . وكان العزيز قد انقذ النجب بالرسل والكتب تابعة للحسن بن احمد القرمطي فلحقوه بطبرية واعادوا عليه الرسائل بالصفح عما جرى منه والدعاء الى وطء البساط ليصطنعه ويصطفيه والتماس ما يريد ليلفقه له ويرجع الى بلاده فاقام على امره وترددت المراسلات اليه ومنه والوسيط جوهر الى ان تقرر الامر على ثلاثين الف دينار له ولاصحابه تحمل اليه في كل سنة ويكونوا على الطاعة والوادعة وتحمل اليه مال سنة واضيف اليه ثياب كثيرة وخيل براكب وتوجه اليه جوهر وقاضي الرملة فاستحلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة واخذاه الموائيق المسدودة المؤكدة واعطياه المال والجُلجُل والحملان وانصرف الى الاحساء وعاد العزيز الى مصر

والفتكين حاجبه ولم يزل المال المقرّر للقرمطي يحمل اليه في كل سنة على يد ابي المنجأ صاحبه الى ان مات . ووصل العزيز الى مصر والقاهرة فدخلها وتزل في قصره وانزل الفتكين في دار حسنة بعد ان فرشت بالفروش الكثير وركب وجره سائر الدولة اليه حتى لم يتأخر احد منهم عنه ووافاه فيمن وافاه ابو الفرج (18^١) يعقوب بن يوسف ابن كلّس الوزير بعد ان لطفه وهاداه وزاد امر الفتكين بين يدي العزيز وتكبر على ابن كلّس الوزير وامتنع من قصده والركوب اليه وامره العزيز فلم يفعل وتدرّجت الوحشة بينها حتى قويت واستحكمت واعمل الحيلة الوزير في الراحة منه ودس اليه سمًا قتلته به ولمّا مضى لسبيله حزن العزيز حزناً شديداً عليه واتهم ابن كلّس واعتقله نيفاً واربعين يوماً صحّ له منه خمسمائة الف دينار وواقفت الامور باعتزاله النظر فيها فاعاده العزيز وجدّد اصطناعه واستخدامه

ولاية قسّام التراب لدمشق بعد الحاجب الفتكين المقدم ذكره

والسبب في غلبته على الامر في سنة ٣٦٨ وما آل امره اليه

السبب في غلبة قسّام على ولاية دمشق ان الفتكين المعزّي المذكور كان قد استخدمه وقدمه واعتمد عليه وسكن في كثير من امره اليه فصار له بذلك صيت يُخشي به ويرجا له . واتفق خلوا البلد من اكابر الولاة بعد الفتكين وفراغه من شجعان الرجال وكان فيه المعروف بحميدان قد وليه وامر فيه ونهي واخذ واعطى ففسد الامر بين قسّام وبين حميدان فصار حميدان من تحت حكم قسّام لقهره له بكثرة من معه من الاحداث واستيلائه على البلد فطرده قسّام عن الولاية ونهب اصحابه ما كان في داره وخرج هارباً فتكنّ قسّام من البلد واستقامت حاله فيه واجتمعت اليه الرجال وكثرت في يده وقويت شوكته وتضاعفت عدّته وعدّته وولي القائد ابو محمود البلد بعد حميدان في نفر يسير وهو ضيعة لقسّام . واتفقت النوبة الحادثة ببغداد بين الديلم والعرب من بني حمدان وهروب ابي تغلب الغضنفر بن حمدان في البرية والجال الى ان خرج الى حوران فقصد دمشق وتزل عليها فمنع قسّام من دخول احد من رجاله اليها ووصل كتاب العزيز بالمنع له من البلد فأل ابو تغلب عامل الخراج بدمشق ان يمكن اصحابه من ابتياع ما يحتاجون اليه من الاسواق فكلم العامل قسّاماً في ذلك فاذن له فيه ودخل اصحابه (18^٢) البلد وقد كان طمع ان يوليه العزيز وكان قسّام

قد خاف من ذلك وسعى قوم بينهما وكان ابو تغلب نازلاً بالازة فاقام بها شهراً
فشق قسّام مقامه وظن انه يلي البلد . فلما كان في بعض الايام وقف رجل من العجم
من اصحاب ابن تغلب في باب الجابية وكان نشواناً فجرد سيفه وقال : الى كم يكون
هذا العيار . فعظم ذلك على قسّام وتحوّف ان يكون لابي تغلب سلطنة فيملكه
ومن معه ففسد الامر بينهما بهذا السبب وتقدم قسّام الى اصحابه باخذ كل من يدخل
من اصحاب ابي تغلب فكمنوا في خراب قينية فاخذوا منهم نحو سبعين رجلاً وقتلوا
منهم جماعة وعاد من افلت منهم الى ابي تغلب عراة قد اخذت ثيابهم ودوابهم فلم
يتسكن ابو تغلب من شيء يفعله . وكتب الى مصر بذلك فلما وقف ابن كلّس الوزير
على انكتاب انهاء الى العزيز فعلم العزيز ان هذا من تدبير الوزير وحيله . وكتب قسّام
الى مصر يذكر ان ابا تغلب قد حصر دمشق ومدّ يده في الغوطة وخرج من مصر
غلام لابن كلّس يقال له الفضل بن ابي الفضل في عسكر كثيف للحمية على ابي
تغلب واهلاكه ونزل الرملة واصل الى ابن جراح سجلاً بولاية الرملة وقال : ان هذا ابا
تغلب يريد ان يسير اليها لياخذها بسيفه وانا معين لك عليه . وكان ابو تغلب قد رحل
عن دمشق نحو الفوار ونزل عليه وسار الفضل ونزل طبرية وراسل ابا تغلب في الاجتماع
معه وكان الفضل يهودياً اولاً وكان ابوه طيباً فكبرت نفس ابي تغلب ان يجلس معه
على سرير من جهة اليهودية فأعلم ذلك فقال : كلُّ منا على سرير . فاجتمعوا في طبرية
وجلس كل منهما على سريره وجرت بينهما محاورات على ان الرملة ولاية لابي تغلب ويقنع
ابن جراح منها « وانا معين لك عليه » وقرر ذلك في نفسه وسار الفضل الى دمشق يجي
الخراج ويفضّه في الجند وزاد في العطاء وزاد في جنده وعسكره وسار عن دمشق
واخذ طريق الساحل . وشرع ابو تغلب في امره وتوجه نحو الرملة وقد اجتمع اليه بنو
عقيل مع شبل بن معروف العقيلي فهرب ابن جراح (19^{هـ}) منها وجعل يحشد العرب
ويحشد ثقة بمعونة الفضل له وكذلك ابو تغلب مثله ايضاً فلما توجه الفضل على الساحل
ونزل على عسقلان وقصد ابن جراح ابا تغلب بعسكره وسارت بنو عقيل مع شبل
ابن معروف واصطلوا القتال للطاس (كذا) وابو تغلب واقف في مصافه وعاد الفضل
واجتمع مع ابن الجراح بعسكره وكان معه مغاربة كثيرة فقالوا لابي تغلب : قد اجتمع
عسكر الفضل مع عسكر ابن جراح . فقال : على هذا جرت الموافقة بيني وبينه . فلما
نظر المغاربة الذين كانوا مع ابي تغلب الى مغاربة الفضل قد اقبلوا مع عسكر ابن

جرّاح حملوا يريدون الدخول معهم فقالوا لابن تغلب: احمل في اثر هؤلاء من قبل ان يدهمك الامر. فبقي متحيراً وعلم ان الحيلة قد تفتت عليه فلما حمل المغاربة الذين كانوا معه وساروا مع اصحابهم واقبل العسكران على عسكر ابي تغلب فانهمزم جميع من كان معه ثم انهزم هو فلم يدر في اي طريق ياخذ وكانت عدته في الغابة جميعها وذكر انه لم يتقدم اليه رجل الا ضربه. ولم يزل على ذلك حتى تبعه رجل من اصحاب ابن جرّاح يقال له مَنيع فصاح اليه: يا انسان اسمع مني انا الحق بك. وظن ان كلامه حق فقال له: هذه الخيل التي امامك خيلنا فلو وقفت علي لنجوت بك. وكان يتكلم معه وهو يقرب منه ويده رمح فطول الرمح وهو يكلمه وهو يظن الا يقدر عليه فلم يمكنه في ابي تغلب شيء فطعن عرقوب فرسه فوقف به الفرس فاخذه وسار به الى ابن جرّاح فأركب جملاً وأشهر بالرملة وقتله واحرقه وذلك في صفر سنة ٣٦٩ وملت الديار لابن جرّاح واثت بنو طي على الناس وشملهم البلاء منهم. وكان العزيز قد خاف من الملك عضد الدولة فناخسره بن بويه خوفاً شديداً لانه كان عازماً على انقاد العساكر الى مصر فعاقه عن ذلك الحلف الجاري بينه وبين اخيه واشتغاله به في سنة ٣٦٩

سنة ثمان وستين وثلاثمائة

فيها خرج العسكر المصري مع القايد سليمان بن جعفر بن فلاح في اربعة الف من المغاربة ووصل الى دمشق فصادف قسماً قد غلب عليها فقتل في بستان الوزير (١٩٧) بزقاق الرمان وعسكر حوله في دور هناك. فثقل امره على قسام وطال مقامه في غير شيء وقلّت نفقته ورام ان يظهر صرامة فيتمكّن من البلد فقال لقسام: لا يحملن احد سلاحاً. فابوا ذلك فبعث الى العروطة من يتلوها ويمنع من خفارية تؤخذ منها وحمل السلاح فيها فأعلم قسام ذلك فقال: لا يُخفل بهذا الامر بل كونوا على ما كنتم عليه. وثار قسام ومن معه الى الجامع وصاروا الى البستان الذي فيه سليمان فاخرجوهم وخرج سليمان واصحابه الى الدكة ونزل على نهر يزيد وقسام جالس في الجامع ولم يشهد الحرب مع اصحابه وقد احضر المشايخ وكب با جرى الى مصر وعمل محضراً على نفسه انه «متى جاء للملك عضد الدولة عسكر اغلق الابواب وقاتله ليكون لك معونة على ما يريد» فلما وقف عليه العزيز وافق غرضه وانفذ رسله وكتابه الى سليمان بن فلاح يأمره بالرحيل عن دمشق فرحل عنها وكان مقامه بها

شهوراً من سنة ٣٦٩ ورجع القائد ابو محمود الى دمشق . ولما تمَّ للفضل ما دبره على ابي تغلب ووافق الاغراض عزموا على اعمال الحيلة على ابن جراح لان امره كبير وشره ظهر وتوجه الى قسّام ليعمل ايضاً عليه واظهر انه يريد المسير الى حمص وحلب لياخذها وجمع بني عقيل ونزل بظاهر دمشق وعلم ابن جراح بمكائده لبني عقيل فاخذ حذره وامر اصحابه بالرحيل وركب اصحاب الفضل واخذوا من العرب تقدير خمسمائة فارس وسار ابن جراح عن دمشق . وانضمت بنو عقيل الى الفضل مع شبيل وظالم في صفر سنة ٣٧٠ وبطل كل ما اراد الفضل عمله من الحيلة على ابن جراح وقسّام ورحل عن دمشق في طلب ابن جراح وجدّ في طلبه فبعد عنه وكتب ابن جراح الى مصر يتلطف امره فورد الامر على الفضل بالكف عنه وعاد الفضل الى مصر وعاد ابن جراح الى فلسطين فاخربها واهلك من فيها . وكان الرجل يدخل الى الرملة يطلب فيها شيئاً ياكله فلا يجده ومات الناس بالجوع وخربت الاعمال

واماً دمشق فكان قد اشتد بها غلاء البعير . وكان بكجور قد ولي حمص من قبل سعد (20^٢) الدولة ابي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان فواصل اليها الغلة مع العرب بحيث اتصلت مع الايام وعمرت الطرقات وجعل فيها من يختر سالكها . وكانت العرب قد طمعت في عمل دمشق وافدت القوطة وكان بها القائد ابو محمود واليها في ضعف وهو ضميّة لقسّام فملك في دمشق في سنة ٣٧٠ وكان بكجور قد ضمن اعمال المغاربة قارا ويبرود ومعلولا والتينة وصيدنايا والمرة وتلخيتا وغيرها من ضياع جبل سدير فحارها من العرب والحرامية وحسنت حال دمشق بذلك . وكاتب بكجور العزيز في ترغيبه في الاجساد حملة السلاح فاجتمع اليه حين فعل ذلك المخلق الكثير من سائر البلاد وكانوا محوله اذا ركب من داره فتمهر بهم المغاربة واستظهر عليهم في سنة ٣٧٠ .

وفيهما وردت الاخبار بوفاة الملك عضد الدولة فناخسره بن بويه في يوم الاثنين ثامن شوال منها وكنتم امره وكانت مدته بالعراق خمس سنين ونصفاً وانتهى ذلك الى الوزير بن كلّس فدخل على العزيز فاعلمه فسرّ بذلك وخلع عليه وامنوا بعد وفاته وعملوا على الخروج الى الشام (١)

(١) واما المراسلة بين عضد الدولة والوزير فقد قال سبط ابن الجوزي ان في شعبان سنة ٣٧٩ ورد رسول العزيز صاحب مصر الى عضد الدولة ويكنى بابي الريث وما زالت كنيته تتواتر حتى

سنة احدى وسبعين وثلاث مائة

فيها وقع الاهتمام بتجهيز العساكر المصرية الى ابن جرّاح وقد اشتهر امره بارتكاب
العيث والفساد واخلاب البلاد فلما سار العسكر من مصر مع القائد بلتكين التركي
وكان فيها اعجام ومغاربة ومن كل الطوائف قتل الرمة واجفل ابن جرّاح وكان قد
قوي امره وصار معه جند يرمون بالنشاب وخلق عظيم وسار معه بشارة والي طبرية
واجتمع اليه من العرب من قيس وغيرها جمع كثير ونشبت الحرب بين الفريقين وكان
بلتكين المقدم قد خرج على ابن جرّاح من ورائه بعد اشتداد الحرب فانهمزوا واخذهم
بالسيف واسر ابن جرّاح وافلت ونهب عسكره وقصد ارض حمص في البرية وقصد
انطاكية واستجار بصاحبها فاجاره وامنه . وصادف خروج بارديس من قسطنطينية في
عسكر عظيم يريد ارض الاسلام فخاف ابن جرّاح وكاتب بكجور خوفاً على نفسه .
وكان القائد بلتكين (20٦) المقدم قد نزل على دمشق في ذي الحجة سنة ٣٢٠ وكان
على العسكر منشا بن الفرار اليهودي فتلطف امر قسّام فلم يتسكّن من ذلك وكان
بدمشق مع قسّام القائد جيش بن الصمصامة شبه وال وقد كان ولي البلد بعد مهلبك
خاله القائد ابي محمود في سنة ٧٠ (١) ولا نزل القائد بلتكين مقدّم العسكر المصري
على المزة وجده رجلاً احمق فلم يحفل به ودخل على منشا الكاتب فقال : اني قضيت
حق هذا القائد ولم يجي اليّ ولم يقض حقي وانا الوالي . فهزأ به منشا وقال له : نعم انت
الوالي . وظن انما نزول العسكر على دمشق ليصلح البلد وقالوا : تخرج انت ومن معك
الى ظاهر البلد . فخرج هو ومن معه فعسكر نحو مسجد ابراهيم عليه السلام وكان عسكر
بشارة نازلاً في ذلك المكان وكانت المراسلة بينهم وبين قسّام ان يسلم البلد ويكون
هو امناً على نفسه ومن معه فعلم قسّام انهم ان بقوا في البلد اهلكوه ومن معه فقال :
لا اسلم البلد . وضبط اصحابه فلما كان يوم الثلاثاء التاسع عشر من المحرم سنة ٣٢٣ وقع
بين قوم من اصحاب قسّام وقوم من اصحاب القائد بشارة الخادم عند باب الحديد فظهر

اجابه مضد الدولة بصدق الطوية واخلاص النية . وذكر ابن الصاي ما يدل على ان مضد الدولة
ابتداه بالرسالة فقال : وقعت على هذا الكتاب وفيه : من عبد الله وليه تزار ابي منصور الامام العزيز
بالله امير المؤمنين الى مضد دولة الامام ونصير ملة الاسلام ابي شجاع بن ابي علي سلام عليك
(١) قال الذهبي انه عزل بعد متين

عليهم اصحاب بشارة واقبل في غدير اصحاب جيش بن الصمصامة فخرج اصحابه اليهم فطردوهم ثم نشبت الحرب واحرق ربض باب شرقي واطلقت النار في عدة مواضع وملكوا الشاغور ودخلت الاتراك على خيلهم في البطاطين واحرقوا سقيفة وعدة مواضع ومساجد وعمها الخراب بعد ما كانت عليه من حسن العمارة واشتد بالناس الخوف والضرّة . فاجتمع الناس وكلّموا قسّاماً بان يخرجوا الى القائد بلكين فيصلحوا الامر معه فلازمهم وذلّ بعد تحيّره وتبلّده وقال : افعلوا ما شيئتم . وكان اجتماع الناس اطفاء من الله تعالى فخرجوا اليه وخاطبوه فصرف اصحابه عن القتال وعن الابواب وانصرف اصحاب قسّام اليه فوجدوه خائفاً فاخذ كل لنفسه ورجع المشايخ الى قسّام فقالوا له : قد اجاب القائد الى ما تحب وامنك على نفسك واصحابك . فخاطبوه بذلك وهو ساكت حائر وقد بان ذلك في وجهه فلما راوه كذلك خافوا ان يعود عن تسليم البلد على « امان لي ولاصحابي » (21^٢) فعاد المشايخ الى بلكين القائد واعلموه الخطاب والجواب فاجابهم الى ما طلب وقال لهم : نريد ان نزل على هذا البلد في هذا اليوم . فقالوا : افعل ما تحب وتوتر . فولي البلد حاجباً يقال له خطلخ في خيل ورجل فدخل المدينة من يومه . وكان مبدا الحرب في هذه النوبة يوم الخميس لعشر بقين من الحرم سنة ٣٧٣ والدخول الى البلد يوم الخميس لثلاث بقين منه ولم يعرض لقسّام ولا لاحد من اصحابه وتفرّق اصحابه عنه واقام يومين واستتر وقيل هرب فصاروا الى داره واخذوا ما فيها وحولها من دور اصحابه وطلب فلم يوجد ونودي عليه وبذل لمن يظهره خمسون الف درهم ولن يدلّ على مكانه عشرون الفا فقال لهم قائل : « هو في كنيسة اليهود بين البطاطين » فجاءوا الى الديان وقالوا : نريد ان نخرب هذه الكنيسة او نخرقها بالنار فان قسّاماً فيها . فاصعدهم ودار بهم فيها فلم يروا اثرًا ولا عرفوا له خبراً فلما اخذت امراته وولده قالت لمن سمع منها : ما تنتظروا يا مشوم . وكان عند رجل في الحائر ولم يفتن به احد فخرج في الليل الى العسكر فوقف على خيمة منشأ الكاتب وقال : رجل يريد ان يدخل الى الرئيس . فقالوا : ومن هو . قال : قسام . فدخل عليه على غير امان فبعث الى القائد بلكين فاعلمه فاخذه اليه وادخله عليه وحملوه الى خيمة وقالوا له : مدّ رجلك . فقال : ما افعل انا جثتكم بامان . فاخرج الحاجب الدبوس فضربه به فمّد رجله فقيّد وحمل الى مصر فعفي عنه لما جاءهم في الامان . وكان قسّام هذا اصله من قرية بجبل سنير يقال لها تلفيتا من قوم يقال لهم الحارثون بطن من العرب

نشأ بدمشق وكان يعمل في التراب ثم انه صحب رجلاً يقال له ابن الجسطار من
مقدمي الاحداث وحملة السلاح وطالبي الشر فصار من حزبه وتزايد امره الى ما
انتهى اليه (١)

ولاية بكجور لدمشق

والسبب في ذلك في سنة ٣٧٢

كان من ابتداء امر بكجور ما ذكر انه كان غلاماً مملوكاً لفرغويه احد غلمان سيف
الدولة (21^٢) بن حمدان صاحب حلب وكان فرغويه قد غلب على امر حلب بعد
وفاة سيف الدولة ومنع ولده سعد الدولة ابا المعالي منها ودفعه عنها فسار ابو المعالي
الى حماة ورفنية وكان ينزل مهراً في عسكره . وكانت الروم قد خربت حمصاً واعمالها
ونزل رقتاش التركي غلام سيف الدولة من حصن برزويه فلقى مولاه ابا المعالي وسار
معه ونزل على حمص وشرع في عمارتها ولم شعثها لان الروم لما ملكتها افسدت اعمالها
في النوبة الاولى عند خروجهم في سنة ٣٥٨ على غفلة من اهلها وغرة ممن بها واجتهد
رقتاش في عمارتها وتحصينها وابو المعالي يقوي امره بها ويشد شوكته فيها . وكان فرغويه
قد استتاب بكجور في حلب فلما قوي امره قبض على مولاه وجبسه في قلعة حلب
وملك البلد واقام تقدير ست سنين . وكوتب ابو المعالي من حلب وأطمع في
تملك البلد في رجال فرغويه وان يكونوا عوناً له على امره فجمع بني كلاب ومن

(١) وذكر عين هذا باقوت الحموي في معجم البلدان في مادة « تلفينا » . وقال الحفاظ
الذهبي في تاريخ الاسلام في ترجمة قسّام سنة ٣٧٦ : قال القفطي : تغلب على دمشق رجل من البيارين
يعرف بقسّام وتحصن بها وخالف على صاحب مصر فسار لحربه الامير فضل من مصر فحاصر دمشق
وضاق باهلها الحال فخرج قسّام متكرراً فاخذته الحرس فقال : انا رسول . فاحضروه الى فضل
فقال : انا رسول قسّام البك لتخلف له وتعوّضه عن دمشق بلداً يبش فيه وقد بشني اليك
سراً . فحلف الفضل له فلما توثق منه قام فقبل يده وقال : انا قسّام . فأعجب به الفضل وزاد في
اكرامه فردّه الى البلد وسلّمه اليه وقام له بكل ما ضمنه وعوّضه موضعاً عاش فيه واحسن العزيز
صلته . ذكر القفطي ان ذلك كان في سنة ٦٩ ثم قال : وذكر بعضهم ان أخذ دمشق من قسّام كان
في سنة ٧٢ قلت وهو الذي يتحدث الناس عنه انه ملك دمشق وانه قسم الذبّال . وكان سليمان بن
جعفر بن فلاح قد قدم دمشق في جيش فقتل بظاهرها ولم يمكنه وصولها فبعث اليه قسّام بخطبه : انا
مقيم على الطاعة . فورد البريد الى سلمان ان يرحل عن دمشق وولي دمشق ابو محمود المنبري ولم يكن
له ايضاً مع قسّام امر ولا حل ولا عقد فهذا ما عندي من خبر قسّام

امكنه ونهض صوب حلب وتزل على معرّة النعمان فملكها واخذ منها غلاماً كان غلب عليها يقال له زهير فقتله وسار عنها فقتل حلب سنة ٣٦٦ فاقام عليها تقدير أربعة اشهر ثم تسهل له فتحها بجيلة عملها وتحصن بكجور في القلعة فراسله ابو المعالي فطلب منه الامان فامنه فقال بكجور: اريد يتوسط بيني وبينك وجوه البلد من بني كلاب . فاجابه الى ذلك فتوسطوا الامر بينهما واخذوا له العهد والميثاق والامان على نفسه وولده وماله وانه لا يغدر به ويوليّه حصاً على انه ينحدر من القلعة ويسلمها ولا ياخذ منها شيئاً الا ما لا بدّ منه فاجابه الى ذلك فولاه حصاً لما نزل من القلعة وسلمها ووفى له بكل ما عاهده عليه . وسار بكجور الى حمص في السنة المذكورة وصرف همه الى عمارتها وكان امره كل يوم فيها الى الزيادة بعد الدخول اليها في الضعف . واتفق له ان اعمال دمشق من حوران والبتئية قد اختلت وخرت على ما تقدم ذكره من قلّة القوت بها وغلاء البعر فيها وجلال منها خلق كثير الى حمص فعصر البلد وكثر الناس عنده . وكان في بكجور خور وكان مجتهداً في العبادة (22^r) وامن السبل والطرق فلما انقطعت الغلات عن دمشق ومات بها كثير من الناس جوعاً من اهل حوران والبتئية ورغب الناس الجالبون منها في حمل القلّة الى دمشق مكّنه من ذلك وحمل لهم الطرق في ترددهم بادين وعائدين فحسن حال حمص وكثر السفر اليها ومنها . وكانت العرب قد طمعت في اعمال دمشق وكان واليها القائد ابو محمود بن جعفر في ضعف وقسام غالب عليه واتفق وفاة ابي محمود ابراهيم بن جعفر المذكور بدمشق في صفر سنة ٣٧٠ وكان بكجور قد ضمن اعمال المغاربة على ما تقدم ذكره وحماها من العرب وحسنت حال دمشق بحمل الغلات اليها في تلك الشدة . وكان بكجور يكاتب العزيز بالله بظهر وورد الجواب عليه بان « تصير الى بابنا لتوليك دمشق » وكان العزيز قد رغب في الجند الذين يعملون السلاح مثل الناشب والرامح وجمع الجمع الكثير واخرجهم الى حرب الفتكين وجرى من امره ما ذكر في موضعه . فلما كان في سنة ٣٧٢ وقعت الوحشة بين سعد الدولة ابي المعالي بن سيف الدولة بن حمدان صاحب حلب وبين بكجور وراسله بان يخرج من بلده فكتب بكجور الى العزيز يسأله انجاز الوعد بولاية دمشق ودعت الحاجة الى عود القائد بكجور مقدّم العسكر المصري بحكم اعتراف المغاربة على الوثوب بالوزير ابن كلّس وقلته وقيادت الضرورة العزيز الى ان ولي بكجور دمشق وكتب الى بلكين ومنشا كاتب الجيش بان يسلم البلد الى بكجور ويرحل عنه .

وقد كان كتب ايضاً كتاباً الى العزيز ان « ان أنفذ اليّ عسكرياً لآخذ لك حلب » واطمعه في ذلك فانفذ اليه بعض عسكر دمشق فسار بهم ونزل على حلب وحصرها مدة يسيرة . فظهر دمستق الروم بارديس ونزل على انطاكية وعزم على كبس بكجور على حلب فكتب اليه ابن جراح يحذّره فرحل عن حلب وتبعه عسكر الروم في اثره وتمّ بكجور ونزل على حمص وحمل ما كان له الى بعلبك ونزل في جورية في جمع عظيم ونزل ملك الروم مياس حمص ولم يعرض للبلد ودخل المدينة وشاهد (22^٧) الكنيسة ورحل عنها متوجّهاً الى البقيعة يريد طرابلس . وانفذ الى اهل حمص رسولا يقول لهم : زيد مالا يحمل الينا . فقالوا : هذا بلد خراب ليس فيه مال . فرجع وتزل عليها وقال لاهلها : من خرج من البلد فهو آمن . فخرج قوم واقام قوم فدخل عسكره فنهب وسي واحرق الجامع ومواضع من البلد وتحصّن قوم بالمغائر فاوقد عليهم فاهلكهم الدخان ولم يعرض للعرب ولا ان هرب اليها وكان دخول الروم الى حمص يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الاول سنة ٣٧٣ وهي النوبة الثانية للروم وقيل ان ابا المعالي بن سيف الدولة خاف من اخذ بكجور حلب بالمعاربة فانفذ الى ملك الروم يسأله اخراب حمص . ورجع اكثر من كان مع بكجور من عسكر دمشق اصحاب القائد بلكين وبقي بكجور واصحابه منتظراً ان يرحل بلكين عن دمشق ويسير اليها . وكان السبب في تأخر ولاية دمشق ان الوزير ابن كلّس كتب الى بلكين ان لا يسلم دمشق الى بكجور وعرف العزيز ذلك وكتب يندّز بامرّه وانجاز وعده فسأل العزيز عن تأخر الامر في ذلك فقال له الوزير : الصواب ان لا يلي بكجور دمشق ويعصى فيها . قال : نحن استدعيناه لذلك ووعدناه به . فقال : قد كان ذاك والحزم ان لا يؤلّى . فقال له : لا بدّ من ذلك . فكتب الوزير الى منشا بن الفرار كاتب الجيش : واقف بكجور على ما ياخذ من المال له ولرجالهِ وسلم ولاية دمشق اليه . فسلم بلكين البلد اليه وعاد متوجّهاً الى مصر في يوم الاحد مستهل رجب سنة ٣٧٢ وكانت ولاية بلكين دمشق خمسة شهور ودخل بكجور البلد والياً في يوم السبت سابع رجب من السنة وقد عرف ان الذي اخر الولاية الوزير بن كلّس فحقّد بكجور عليه . وكان لابن كلّس نائب في عمله وضياعه يقال له ابن ابي العود يهودي وكان يكتب اليه باخبار البلد فقال بكجور : هذا عين عليّ . وتقدّم بقتله فقتل فلما بلغ ذلك الوزير عظم عليه واغتمّ له واعلم الوزير العزيز وقال : هذا مبدأ عصيان بكجور وقد تمكّن من البلد وجاء معه ابن جراح وهو عدو .

فلما كان في سنة ٧٧ عزم الوزير على العمل على قتل بكجور (23^٦) فانفذ الى غلام نصراني عطار يعرف بابن اخي الكويس من اهل دمشق ان « اسحق على قتل بكجور » ولم يكن النصراني من اهل ذلك فقال : لا يتم هذا الامر الا برجل من الجند من اصحابه يُعين على هذا الامر . فكتب رقعة بما يريد الى بعض اصحاب بكجور . فلما وصلت الرقعة اليه ونظر ما فيها فظن ان بكجور دسها اليه ليلوه بها فاوصل الرقعة الى بكجور فوقف عليها وقال : اريد من جاءك بها . فقال : انما ارسلتها اليك لابراً من امرها ولا اكتمها عنك . فلم يقبل قوله ولج في طلبه وقال له : ان الذي اوصل الرقعة ابيحاً لابن اخي انكويس العطار . فوجد قبض عليه وعلى الأجير ووضع العقوبة على العطار وقال : اريد النصي . وقبض على قوم كانوا يعاشرون العطار فكحلهم ونفاهم وكان فيوم ثلاثة من اهل العلم والفضل يقال لاحدهم ابن الخطابي والآخر الخالدي والثالث المستولي واخرج ابن الكويس بعد ماضقي ومعه رجلان من المتهمين فصلبوا اقبل صلب وماتوا في غد ذلك اليوم في رمضان سنة ٧٧ وبلغ الخبى الوزير ابن كلس فمظهم عليه ازيداد حنقا واعلم العزيز ذلك واتفق ان يخرج اليه عسكر معه جراح وشريح بكجور في اذنية الناس من اصحاب الوزير في ضياعة وجار في البلد جوراً عظيماً ولم ينخل من القتل والصلب والفتك . فجرد اليه في سنة ٧٨ القائد منير الخادم في عسكر كثيف واصدرت الكتب الى ولاية الاعمال بالسيد معه ولما عرف بكجور ذلك اتفقد الى العرب وجمع وحشد واستقبل العسكر فالتقيا وصدقوا القتال وكثر في بني كلاب الطعن والجراح وبشارة ومير المقدمان قائمان في اصحابهما عليهما الحديد فحصلوا جميعاً على الكلبيين فهزموهم والجنوهم الى حيطان دارياً فرجعوا ومن معهم من اصحاب بكجور خاسرين مفلولين . فخاف بكجور على نفسه ان يؤخذ فراسلهم بانه يسلم البلد ويرحل عنه وقد كان كوتب القائد ترال والي طرابلس بالسيد والتزول على دمشق وكان عسكره ستة الف فسار فلما (23^٧) عرف بكجور انفصالة قلق وخاف وذل وراسل منشا بن الفرار انكاتب « باني عازم على المسير من هذا البلد واريد ان اكون على عهد وامان ولا اتبع بمضرة » فأجيب الى ما التمس وجمع ماله وسلاحه وخاف من الرجعة والحيلة ان يقع عليه من البلد واخفى امره وستر مسيره فلما كان في يوم الثلاثاء نصف رجب سنة ٣٨٨ سار خانقاً وجلاً نحو الشرق واخذ مع الجبل وسار معه ابن الجراح الى حصن حوآرين فاخذ ما كان له واخفى امره . فلما عرف خبره نهض في

اثره القايد مُنير من غدٍ ونزل على البلد ففرح الناس به وتوجه بكجور الى الرقة وتخلف بدمشق من اصحابه تقدير ثلث مائة رجل فصاحوا « عزيزيا منصور » فأَمَنُوا . ولما تزل مُنير القائد على دمشق اصبح القائد تزال نازلاً معه في يوم الخميس فلامه الناس على ما اعتمده من التثاقل ونفذت المطالعات الى مصر بشرح الحال فانكر الوزير ابن كلث فعل منشا واهماله بكجور حتى نجا واشخصه الى مصر مع المستأمنة من اصحاب بكجور وقال له : خايت بكجور خوفاً على نفسك اما كان معه عسكر فيه كفاية . فقال : لم يكن غير ما فعلته لان نزلاً تاخر عناً وتثاقل وكان بكجور في قوة وكثرة من العرب وغيرهم وهم اصحاب دروع وجواشن وخيل سَبَق . فلم يقبل عُذره وعزله عن تدبير العسكر . وكان ابن كلث يخاف من بكجور ان تكون له عودة الى ولاية دمشق فيتمكن من دمشق فانفذ رسولا اليه يقول له : ما اردنا رحيلك عن البلد وانما انقاذنا العسكر لابعاد ابن الجراح لفساده وعناده وما كان من ضياعِ وغلَّاتِ فلك افعل فيها ما احببت فما لنا فيه حاجة . فحمل بكجور ما كان له بدمشق واقام بالركة منقطعاً ليس له سلطان يستند اليه وكان بالركة يرسل كُردياً يقال له باد قد غلب على مياَفاقين ويرسل ابا المعالي بن سيف الدولة بجلب ان يردّه الى العمل الذي كان في يده من حمص . فلما كان في سنة ٣٧٩ خرج عسكر صاحب بغداد (١) الى باد الكردى المقدم ذكره لغلبته على الموصل وديار ربيعة فكسر وانهمزم عسكره واصحابه وعرف بكجور ذلك فخاف من عسكر بغداد فراسل سعد الدولة ابا المعالي يسئله تولية حمص فاجابه الى ذلك . وكان ابن كلث يسأل (24) عن اخباره بالركة خوفاً منه فلما عرف الوزير ذلك قال : يجاورنا بكجور في حمص فطمع في الديار . فارسل الى غلام له يقال له ناصحُ الطَّبَّاحِ بان يسير الى حمص فيأخذ من بها من اصحاب بكجور فسرى في البرية فلم يشعر به حتى اتاهم فكان ابو المعالي صاحب حلب قد علم بالسرية فانفذ اليهم من حذرهم واتفق لهم انهم حملوا وخرجوا من حمص هاربين فلما حصلوا باحمالهم بظاهر البلد ادركتهم السرية فاخذتهم ورجعت الى دمشق . وفند امر بكجور مع المغاربة ومع ابي المعالي فراسل صاحب بغداد فلم ير له عنده ما يُحب وكان الوزير ابن كلث مُضَرَّب بينهما ويطمع كل واحد منهما في صاحبه . وكان الوزير ابن

كلس يهودياً من اهل بغداد خيئاً ذامكراً وحيلة ودهاء وذكاء ونظنية وكان في قديم
 امره خرج الى الشام فقتل بالومة فجلس وكيلاً للتجار فلما اجتمعت الاموال التي للتجار
 كثرها وهرب الى مصر في ايام كافور الاخشيدى صاحب مصر فتاجر به وحمل اليه
 متاعاً كثيراً ويحال بماله على ضياع مصر وكان اذا دخل ضيعةً عرف ثلتها وارتقاها
 وظاهر امرها وباطنها وكان ماهرًا في اشغاله لا يُسئل عن شيء من امورها الا اخبر
 به عن صحة فكبرت حاله ونجى كافور بنحوه وما فيه من الفطنة والسياسة فقال: لو
 كان هذا مسلماً لصلح ان يكون وزيراً. فبلغه ما قال كافور فطمع في الوزارة فدخل
 جامع مصر في يوم الجمعة وقال: انا اسلم (١) يد كافور فبلغ الوزير ابن حنابلة
 وزير كافور ما هو عليه وما طمع فيه فقصده وخاف منه فهرب الى المغرب وقصد يهوداً
 كانوا هناك مع اليقيم المعز لدين الله اصحاب امره فصارت له عندهم حرمة فلم يزل
 بهم الى ان اخذ المعز مصر فسار معه اليها فلما توفي المعز واصحابه اليهود وولي
 العزيز بالله استوزره في سنة ٣٦٥ وكان هذا الوزير ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن
 كلين كبير الهبة قوي النفس والمنة عظيم الهبة فاستولى على امر العزيز وقام به
 استصغته فعول عليه وفوض امره اليه وكانت اموره مستقيمة بتدبيره فلما اعتل علة
 لوفاة ركب اليه العزيز عانداً فشاهده على حال اليأس فقتله امره وقال له: وددت بانك
 تباع قابلاً لك بلكي او تفتدى وافديك بولدي (٢٤٦) فهل من حاجة توصي بها
 يا يعقوب؟ فبكى وقبل يده وتركها على عينه وقال: اما ما يخصني يا امير المؤمنين فلا
 لائلك ارضى بحق من ان امتهيك اياه وأرأف على من اخلفه من ان اوصيك به لكني
 اتصح بك فيما يتأق بدولتك. قال: قل يا يعقوب ققولك مسجوع ورأيتك مقبول.
 قال: سالم يا امير المؤمنين الزوم ما سالوك واتنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا
 تبق على الفرج بن دغفل بن الجراج متى عرفت لك فيه فرصة. وتوفي في ذي
 الحجة سنة ٣٨٠ قامر العزيز ان يدفن في داره بالقاهرة في قبة كان بناها لنفسه وحضر
 جنازته وصلى عليه والحداد يده في قبره وانصرف عنه حزناً بفقدته واغلق الدواوين
 وعطل الاعمال اياماً (١) واستوزر ابا عبد الله الموصلى بعده مُدَيِّدة ثم صرفه وقتل

(١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام في ترجمة الوزير ان هذه المنة له ما نالها وزير قط من
 محبته. وقيل انه حسن اسلامه فقرأ القرآن والنحو وكان يجمع عنده العلماء ويقرأ عليه مصنفاته
 ليلة الجمعة وله اقبال زائد على العلوم على اختلافها وقد مدحه مدحة شمراء وكان كريماً جواداً

عيسى بن نسطورس وكان نصرانياً من اقباط مصر وفيه جلادة وكفاية فضبط الامور وجمع الاموال ووفر كثيراً من الخراج ومال الى النصارى فقلدهم الاعمال والدواوين واطرح الكتاب المتصرفين من المسلمين واستناب في الشام رجلاً يهودياً يعرف بمنشا بن ابراهيم بن الفرار فسلك مسلكه في التوفر على اليهود وعيسى مع النصارى مثله واستولى اهل هاتين الملتين على الدولة . فكتب رجل من اجلاد المسلمين رقعة وسلمها الى امرأة وبذل لها بذلاً على اعتراض العزيز ورفع الظلمة اليه وتسليمها الى يده وكان مضمون الرقعة : « يا امير المؤمنين يا الذي عز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار واذل المسلمين بك الا نظرت في امري » وكان العزيز على بغلة سريعة في المشي واذا ركبها تدفقت كال موج ولم تلحق فوقفت له المرأة في ضيق فلما قاربها رمتها اليه فسارع الركابي الى اخذ الرقعة على العادة وغاصت المرأة في الناس ووقف العزيز عليها وامر بطلب المرأة فلم توجد وعاد الى قصره مُنعم الفكر في امره فاستدعى قاضي قضاياه ابا عبد الله محمد بن النعمان وكان متقدماً عنده في خواصه واهل أنسه فاعطاه الرقعة وقال له : رقب عليها . فلما قرأها قال له : ما عندك في هذا الامر . قال : مولانا أعرف بوجه الرأي والتدبير . فقال : صدقت كاتبها تهيباً على ما كنا على غلظ فيه وغفلة (25^٢) عنه . وتقدم في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتاب النصارى وانشاء الكتب الى الشام بالقبض على منشأ بن الفرار والمتصرفين من اليهود وان ترد الاعمال في الدواوين الى الكتاب المسلمين ويُعزل في الاشراف عليهم على القضاة في البلاد . ثم ان عيسى طرح نفسه على ست الملك بنت العزيز وكان يحبها حباً شديداً ولا يرد لها قولاً واستشفع بها في الصفيح عنه وتجديد الاصطناع له وحمل الى الخزنة ثلثمائة الف دينار وكتب الى العزيز رقعة يذكر فيها بخدمته وحرمته ورضي عنه واعاده الى ما كان عليه وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوينه واعماله

سنة احدى وثمانين وثلثمائة

كان بكجنور قد خاف من عيسى بن نسطورس الوزير المقدم ذكره ان يعمل عليه لاسباب تقدمت بينه وبينه اوجبت ذلك فكتب الى العزيز يذكر له جلالة حلب وكثرة

ومن تصانيفه كتاب في الفقه ما سمعه من المزمز والعزيز وجلس سنة ٦٩ مجلساً في رمضان فقرأ فيه الكتاب بنفسه وسمعه خلائق وجلس جماعة في الجامع الشيق يفتون من هذا الكتاب . قلت : هذا الكتاب يريد يكون على مذهب الرافضة فان القوم رافضة في الظاهر ملحدة في الباطن

ارتفاعها وانها دهليز العراق راذا حصلت له كان ما بعدها في يده وان العسكر الذي بها قد كاتبه وبذل الطاعة له والمساعدة ويستدعي منه الانجاز والعونة فاجابه بكل ما اراد وكتب الى تزال والي طرابلس بالمسير اليه متى استدعاه من غير استئذان ولا معاودة استياري وكان تزال هذا من وجوه قرآده وحشاشع عيسى الوزير وخواصه فكتب اليه عيسى سرّاً بان يتقاعد بكجور وتظهر له المساعدة والمساعدة ويستعمل معه التعليل والمدافعة فاذا تورط مع مولاه وقارب تأخره واسلمه فلم يشك بكجور في مسير تزال اليه وسار عن الرقة وكتب الى تزال بان يسير من طرابلس ليكون وصولها الى ظاهر حلب في وقت واحد فاجابه تزال ووعدته وتزل بكجور على بالس وفيها غلبان سعد الدولة ابي المعالي صاحب حلب وعدة من الديلم قاتلهم وقتلوه ورحل بكجور وتباطأ تزال في مسيره وواصل مكاتبة بكجور في منزل بعد منزل وقرب الامر عليه في وصوله اليه واقسام بكجور على بالس خمسة أيام فلما لم يجد فيها مغزاً فارقها وطلب حلب . وكان ابر المعالي كاتب بسيل عظيم الروم واعلمه عصيان بكجور (25^٧) عليه وسأله مكاتبة البرجي صاحبه بانطاكية بالمسير اليه متى دعت حاجة الى انجساده ومعرفته فكاتب عظيم الروم بذلك وأكد القول عليه فلما وافى بكجور كاتب سعد الدولة البرجي فرحل وتزل مرج دابق وهو على فرسخين من حلب ووصل بكجور الى النقرة وتزل في ناحية تعرف بالساعورة وامتد عسكره الى تل اعرن ومنها الى حلب اربعة فراسخ وبرز سعد الدولة في غلبانه واصحابه فكانوا ستة الاف رجل من الروم والارمن والديلم والأتراك ولم يكن معه من عسكر العرب الا عمرو بن كلاب وعدتهم خمسمائة رجل الا انهم اولوا بالس وقوة ومن سواهم من بطون العرب بني كلاب مع بكجور بعد ان حصل حرمه واولاده في القلعة بحلب . ولما برز وسار عسكره (وكان لؤلؤ الجراحي الكبير ينجبه) اعجبه ما رأى من عدته وعدته فزل الى الارض وصلى وعقر ودعا الله بنصره وادالته من بكجور وغذره وفعل اصحابه مثل فعله واجتمعوا اليه وقالوا له : نفوسنا بين يديك والله لنبذلنّها في طاعتك والمدافعة عنك . فشكرهم وقال لهم : اتم الاولاد والعدة وهذه الدولة لكم وانا فيها واحد منكم . واستدعي كاتبه المعروف بالمصيحي وامره ان يكتب الى بكجور يستعطفه ويذكره الله ويخوفه ويبذل له ان يقطع من باب حمص الى الرقة ويدعوه الى الكف والموادعة ورعاية حق الرق والعبودية ويعليه انه متوقف عن حربه ولقائه الى ان يعود اليه من جوابه ما

يعزل عليه . وسار قتل بالموضع المعروف بالنيرب على ميل من حلب وعسكر الروم بازائه
روافى رسول سعد الدولة الى بكجور فاوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه قال له : قل
له الجواب ما تراه عياناً لا ما ارسل اليك كتاباً . فساد الرسول واعاد على سعد الدولة
قوله واعلمه انه سائر على اثره . فتقدم سعد الدولة الى الموضع المعروف بدير الزيب وقدم
على مقدمته شجعان غلمانه وانجادهم من عمرو بن كلاب الذين قدمنا ذكرهم وقد
جعل بكجور على مقدمته بارخ ورشيقاً (26^٣) غلاميه في مائة غلام ووقع التطارد وكان
الفارس من اصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وطعن وجرح خلع عليه واجسن اليه وكان
بكجور بضد ذلك بُجلاً واذا عاد اليه رجل على هذه الحال امر بان يكتب اسمه
لينظر مستأنفاً في امره . وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وامنهم
وارغبهم ووعدهم الاقطاعات الكثيرة والعطايا الفاضلة الناضئة والا يؤاخذهم بالانحياز
الى بكجور والحصول معه فلما حصلت اماناته وتوقيعاته في ايديهم عطفوا على سواد
بكجور فنهبوه وانصرفوا عنه واستامنوا الى سعد الدولة ونزلوا عليه وراى بكجور ما
تم عليه من تقاعد نزال وغدر العرب وتأخر غلمان سعد الدولة الذين كانوا كاتبوه
ووعدوه الانحياز اليه اذا عاينوه فاستدعى ابا الحسن كاتبه المعروف بابن المغربي وقال
له : غرتني واوهمتني ان العزيز يجثني ويعاونني وان العرب تخلص لي وتناصرني وان
العرب توافيني ويستامنوا الي وما كان شيء من ذلك حقيقة فما الراي الآن فان بازائنا
عسكراً عظيماً لا طاقة لنا به . قال : صدقت ايها الامير فيما قلته ووالله ما اردتُ غشك
ولا فارقتُ نصحك والصواب مع هذه الاسباب العارضة ان ترجع الى الرقة وتكاتب
العزيز بما عاملك به نزال وتعاود استنجاده فانه ينجذك ويستظهر في امرك . وكان في
عسكر بكجور قائد من قواده يجري مجراه في التقدم يعرف بابن الحفاني فقال له وقد
سمع ما جرى بينه وبين ابن المغربي فقال : ما عندك فيما قاله وشار به ؟ فقال له : هذا
كاتبك يقول اذا جلس في دسسته الاقلام تنكس الأعلام فاذا حقت الحقائق اشار علينا
بالهرب واذا هربنا فاي وجه يبقى لنا عند الملوك وزوجة من يهرب اليوم طالق ليس الا
السيف فاماً لنا واماً علينا . وسمع ابن المغربي ما قاله ابن الحفاني فخاف بكجور وقد
كان واقف بدويّاً من شيوخ بني كلاب يعرف بسلامة بن بُريك على ان يحملة الى
الرقة متى كانت هزيمة وبذل له الف دينسار على ذلك فلما استشعر من بكجور
ملازمة تشمره سامه (26^٤) تسييره قبل الوقت الذي اعدّه له فاوصله الى الرقة .

وعمل بكجور على ما فيه من قوة النفس وفضل الشجاعة على ان يعد الى
 الموضع الذي فيه سعد الدولة من محسافه ويهجم عليه بنفسه ومن يقتحمه معه من
 صناديد غلمانه ويوقع به واعتقد انه اذا فعل ذلك وكبس الموضع وانهمزم الناس وملك
 فاختار من غلمانه من ارتضاه ووثق به بحسن البلاء منه وقال لهم : قد تورطنا من
 هذه الحرب ما عرفتموه وحصلنا على شرف الهزيمة وذهاب النورس وقد عزمتم على
 كذا وكذا فان ساعدتموني رجوت ان يكون الفتح على ايديكم والاثركم . فقالوا :
 نحن طوعاك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك . وبادر واحد ممن سمع الكلام منه الى
 لؤلؤ الجراحي فاستأمن اليه واعلمه بالصورة فاسرع لؤلؤ الى سعد الدولة واخذ الراية
 من يده ووقف في موضعه وقال : تهب لي يا مولاي هذا المكان اليوم وتنتقل الى
 مكاني عنه فان بكجور ايس من نفسه وقد حدثنا بان يقصدك ويقع عليك ويوقع
 بك ويميل ذلك طريقا الى فل عسكرك وقد عرفت ذلك من جهة لا اشك فيه
 وسيفعل ولئن افديك بنفسي واكون وقاية لك ولدولتك اولى من التعريض بك . فانتقل
 سعد الدولة والعمارية في ظهره والراية في يده وجمال بكجور في اربمائه فارس من
 الغلمان عليهم الكذاغندات والخوذ وبايديهم السيوف واللتوت وعلى خيلهم التجافيف
 وحمل في عقب جوائه حملة افرجت له بها العساكر ولم يزل يضرب بالسيف حتى وافى
 الى لؤلؤ فضربه على الخوذة في راسه ووقع لؤلؤ الى الارض وحمل العساكر على بكجور
 وبادر سعد الدولة الى مكانه مظهرًا نفسه لغلمانه فلما راه قويت قوسهم وثبتت
 اقدامهم واشتدوا في القتال حتى استفرغ بكجور جهده ووسع له ولم يبق له قدرة ولا
 حيلة انهزم في سبعة نفر من غلمانه صوب حلب واسنولى القتل والاسر على اصحابه وتم
 الهزيمة . وقد رمى عن نفسه جوشنه وعن فرسه تجافيفه وقد فعل من كان معه مثل فعله
 وكان الفرس الذي تحته من الخيول التي اعدها لمثل (٢٧٢) ما حصل فيه وثمنه عليه
 الف دينار ووافى الى رحا تعرف بالقيري على فرسخ من حلب مقابل قنسرين ولها
 ساقية تحمل اليها سعتها قدر ذراعين في سمك ذراع فحمل الفرس على ان يعبرها خوفا
 ووثبا فلم يكن فيه واجهده ووقف به وناداه غلمانه « ان الخيل قد ادركتنا » ولحقهم
 عشرة فوارس من العرب فارجلوهم عن دوابهم وسلبوهم ثيابهم ولم يعرفوا بكجور
 وعادوا عنهم وبقي بكجور وغلمانه عراة فليجروا الى الرحا واستجاروا بصاحبها فادخلهم
 اليها . وجاءت سرية اخرى من العرب تطلب النهب فظنوا ان مع الغلمان الذين في الرحا

ما يفسونه منهم فطالبوا صاحبها بتسليمهم فأعلمهم أنهم سُراة فقالوا: ان شاهدناهم على ما ذكرت تركناهم وألا اجرتنا الرجاء. ففتح الباب وأخرجهم إليهم فلما رأوا ما لهم خلوا عنهم. ومضى بكجور وغلما من معه من غلمانته إلى براج فيه زرع حنطة فطرح نفسه فيه ومراً قوم من العرب فظنوا ان معهم ما يفوزون به فمدلوا إليهم وكان فيهم رجل من قطن يعرفه بكجور فقال له: اتعرفني؟ قال: لا. قال: اذهب لي حتى أعرّفك نفسي. فأذم له. قال له: انا بكجور فاصطعني واحملني إلى الرقة فأنني أوقرُ ببيرك ذعباً وأعطيك كل ما تقترح. قال: افعل. فأرذفه، وحمله إلى بيته وكساه قميصاً وفرواً وعمامة. وكان سعد الدولة قد بث الخيل في طلب بكجور ونادى « من احضر بكجور فله مطلبه » فلما حصل بكجور في بيت البدوي سألته به وطمع فيما كان سعد الدولة بذله فيه واستشار ابن عمه له في امره فقال له: هو رجل بخيل فرجاً غدر ولم يغب بوعده والصواب ان تقصد سعد الدولة وتأخذ منه عاجلاً ما يُعطيك. فركب البدوي إلى عسكر سعد الدولة وصاح « نصيحة » فأحضر إلى حضرته فقال له: ما نصيحتك؟ قال: ما جزاء من يسلم بكجوراً؟ قال: نُكسه. قال: فهو عندي وأريد عنه ما نثي فدان زراعة ومائة الف درهم ومائة راحة تحمل حنطة وخمسين قطعة ثياباً. قال سعد الدولة: وكل ذلك لك. قال: وثقي لي منه. وعرف لؤلؤ الجراحي خبر البدوي فتحامل وهو مشغول بالضربة التي أصابته ومشى متوكئاً على غلمانته حتى حضر بين يدي (27) سعد الدولة فقال: يا مولاي ما يقول هذا؟ قال: يقول ان بكجور عنده وقد طلب ما اجبناه اليه وهو ماضٍ لاحضاره. فقبض لؤلؤ على يد البدوي وقال له: ابن اهلك؟ قال: في المرج على فرسخ. فاستدعى جماعة من الغلمان وقدم عليهم اقبالاً الشفيعي وامرهم ان يرتقوا رؤوس الجبال حتى يوافوا الحلة ويقبضوا على بكجور ويحملوه وهو قابض على يده والبدوي يستغيث بسعد الدولة ثم تقدم إلى سعد الدولة وقال: يا مولانا لا تُنكر عليّ فعلي فانه كان مني عن استظهار في خدمتك ولو عاد هذا البدوي إلى اهله واحس بكجور بما فيه لاعطاه الرغائب على تخليصه ولا تamen ان يقبل ذلك منه والذي طلبه هذا البدوي مبذول له وما ضرنا الاحتياط في التمسك به إلى ان يوافينا فنعطيه حينئذٍ ونقي له بما وعدناه. فقال: احسنت يا ابا محمد لله درك. ولم يضر ساعات حتى عادت النجب مبشرةً بمحصول بكجور ووافى بعدها اقبال الشفيعي وهو معه فوقف به من وراء السراشق واستأذنه في ادخاله اليه وانفذ سعد الدولة إلى

لؤلؤ وقال له : ما رايت في بكجور ؟ قال : ضرب عنقه لوقته لوجاءت سناء الزينة .
 الناس (يعني اخت سعد الدولة) واستوهبتك منك فوهبتك لها لكان لنا شغل محدد .
 فامر سعد الدولة فرجاً العدلي فكان سيافه فضرب عنقه وعنق ابن الحفاني وكان قد
 حصل في الاسر وحملهما الى الموضع المعروف بحصن الناعورة فصلبهما بارجلهما . وسار
 سعد الدولة الى الرقة فقتل عليها وفيها سلامة الرشقي وابو الحسن المغربي واولاد بكجور
 وحمه وامواله وارسل سلامة بتسليم البلد فاجابه « فاني عبدك وعبد عبدك الا ان
 لبكجور علي عهداً فوائيق لا مخلص لي عند الله منها الا باحد امرين اما ان تُدَمَّ
 لاولاده على نفوسهم واموالهم وتقتصر فيا تأخذه على الآت الحرب والعُد وتُحلف لي
 ولهم على ذلك واما ان أُبلي عذراً عند الله عز وجل فيا عقدته لبكجور » فاجابه سعد
 الدولة الى ما اشترطه وحلف له عينا عملها ابو الحسن ابن المغربي . وكان سعد الدولة قد
 اباح دمه فهرب الى الكوفة واقام بمشهد امير المؤمنين علي عليه السلام . ولما توثق
 سلامة (28^ت) سلم حصن الرافة وخرج القوم ومعهم من المال والرحل الشيء الكثير
 وسعد الدولة يشاهدهم من وراء سرادقه وبين (يديه) ابن ابي حصين القاضي فقال
 له : ما ظننت ان حال بكجور انتهت الى ما اراه من هذه الاموال والاثقال . فقال له :
 اي شيء اعتقد الامير في ذلك ؟ قال له : وهل بقي في هذا الامر موضع اعتقاد ؟ قال
 له ابن ابي حصين : ان بكجور واولاده مما ليك وكل ما ملكوه فهو لك ولا حرج عليك
 فيا تأخذه منه ولا حث في الأيمان التي حلفت بها ومهما كان فيها من وذر واثم فعلي
 دونك . فلما سمع هذا القول منه غدر بهم وتقدم بردهم والقبض عليهم وجميع ما
 معهم . وكتب اولاد بكجور الى العزيز بما تم عليهم وعلى والدهم وسأله مكاتبة سعد
 الدولة بالكف عنهم والابقاء عليهم فكتب اليه كتاباً يتوعد فيه ويأمره بازالة
 الاعتراض عن المذكورين وتسييرهم الى مصر موفورين ويقول له في اخره : انك متى
 خالفتنا في ذلك واحتجبت فيه كنّا الحُصوم لك وجهزنا العساكر اليك . وانفذه مع فايق
 الصقلي احد خواصه وسيده على نجيب فوصل فايق اليه وقد عاد من الرقة وهو بظاهر
 حلب واوصل اليه الكتاب فلما وقف عليه جمع وجوه قواده وغلمانه وقراه عليهم ثم
 قال لهم : ما الراي عندكم فيه ؟ قالوا نحن عبيدك وغلمانك ومهما امرتنا به وندبتنا له
 كانت عندنا الطاعة والمناصرة فيه . وتقدم عند ذلك باحضار الرسول فلما مثل بين يديه
 امر باعطائه الكتاب ولطمه حتى ياكله فقال له : انا رسول وما عُرف من الملوك معاملة

الرسول بمثل ذلك وهذا الفعل ما لا يجوز. فقال له: لا بد ان تأكله. فلما مضى قال له: عد الى صاحبك وقل له: لست ممن تخفى اخبارك عنه وتقومها عليك وما بك حاجة الى تجهيز العساكر اليّ فاني ساير اليك ليكون اللقاء قريباً منك وخبري ياتيك من الرملة. وقدم سعد الدولة قطعة من عساكره امامه الى حمص. وعاد فابق الى العزيز فعرفه ما سمعه وشاهده فازعج ذلك وبلغ منه واقام سعد الدولة بظاهر حلب اياماً على ان يرتب اموره ويتلو من تقدمه من عسكره. فاتفق ان عرض له قولنج اشفى منه وكان له طيبان (28^٧) عارفان احدهما يعرف بالتفليسي والاخر يوانيس فاشادوا عليه بدخول البلد وملازمة الحمام فامتنع عليهما وقال لهما: انا بازاء وجهه اريد قصده واذا عدت وقع الارحاف بي وكان في العود طيرة عليّ. ثم زاد ما يحجده فدخل فعا لجاه قابل واستقل وكتب الى اصحابه يذكر عاقبته فاوصل الناس اليه حتى شاهدوا حاله وهنوه بالسلامة. وكان المستولي على امره والمقدم عنده في رايه لؤلؤ الكبير الذي تقدم ذكره فلما كان في اليوم الثالث من اكله الفروج زين له البلد ليركب فيه من غدير ويسود الى العسكر فاتفق ان حضرت عند فراشه ليلة اليوم الذي عمل على الركوب فيه جارية تسمى انفراد وكان يتخطاها ويقدمها على سراها من سرّياتة وهنّ اربعمئة جارية فتتبعها نفسه وراقبها فلما فرغ سقط عنها وقد جفت نصفه وبادرت الجارية الى اخته فاعلمتها صورته فدخلت اليه وهو يجود نفسه واستدعت طبييبه فحضرنا وشاهداه وتعرفا المستب فيما لحقه فعرفاه واشارا بشجر الند والعنبر حوله الى ان ينيف قليلاً وتثوب قوته فلما كان ذلك عاد اليه وقال له التفليسي: اعطني ايها الامير يدك لاخذ بجسك. فاعطاه اليسرى فقال: يا مولانا اليمين. فقال: يا تفليسي ما تركت لي اليمين يميناً. ومضت عليه ثلث ليالٍ قضى بعد ان قلّد عبده ابا الفضائل ولده ووصى الى لؤلؤ الكبير به وبابي الهيجا. ولده الاخر وست الناس اخته وحمل تابوته الى الرقة ودُفن في المشهد. ظاهرها. ونصب لؤلؤ ولده ابا الفضائل في الامر واخذ له البيعة على الجند بعد ابيه في شهر رمضان سنة ٣٨١. وتراجعت العساكر عند ذلك الى حلب واستأمن منها الى العزيز بالله رُقي الصقلي في ثلثمئة غلام وبشارة الاخشيدي في اربعمئة غلام وقوم اخرون قبلهم واحسن اليهم وولي بشارة طبرية ورُقي عكاً ورباحا قيسارية. وقد كان ابو الحسن بن المغربي بعد حصوله في المشهد في الكوفة كاتب العزيز وصار بعد المكاتبة الى حضرته فلما حدث لسعد الدولة حادث بوفاة عظيم امر حلب عنده وكبر في نفسه احوالها وهون عليه حصولها

(29^٢) ولاية القائد منير الخادم ومنجوتكين دمشق

والسبب في ذلك وما آلت اليه احوالها في سنة ٣٧٨ وما بعدها

قد تقدم من شرح السبب في ولاية القائد منير دمشق ما فيه كفاية عن اعادة القول فيه ومن دخوله في يوم الخميس السابع عشر من رجب سنة ٣٧٨ . ولما توفي الوزير ابو الفرج يعقوب بن كلّس كان قد بقي له من اصحابه على ماله ومال السلطان رجل يُعرف بابن ابي العود الصغير وكان شديد المعاندة للقائد منير الوالي يرفع عليه الى مصر بانه عاصر يكاتب سلطان بغداد وصاحب حلب فلما كثرت سعايته الى العزيز اصطنع بعض غلمانہ الا تراك رجلاً يقال له منجوتكين قدّمه واعطاه مالا وابنة وسلاحاً ورجالاً وولاه الشام فلما صحّ عند منير الخادم ذلك من ابن ابي العود انقذ اليه من قتله وكاشف بالعصيان والخلاف للضرورة القائدة له الى ذلك وكان لابن ابي العود عند العزيز رتبة متمكّنة ومثّلة متمهّدة فلما خرج العسكر مع منجوتكين من مصر ووصل الى الرملة ووصل اليه بشارة والي طبرية في عسكره ووصل الى دمشق وكان منير قد جمع رجالة من احدث البلد من حمّال السلاح وطلاب الشر والفساد واستعدّ للحرب وتأهبّ للقاء . وبلغ منجوتكين وهو بالرملة ان اهل دمشق يريدون القتال مع منير الوالي فجمع النفاطين بالرملة على ان يسيروا معه الى دمشق لحرقها . فلما وصل تزال الى دمشق من طرابلس اخذ في الجبال عرضاً فخرج من مرج عذراء وارسل الى منير « اني ايل اصل الا لاصلاح امرك » فعلم منير انه يريد الحيلة عليه والمكر به ليصل العسكر من الرملة ويحيط به وقد كان تفذ كتاب ابن ابي هشام من دمشق الى منشأ بن الفرار كاتب الجيش يقول « جدّوا في السير لاخذ البلد » وكان مراده بذلك المدارة من خوف البشر فلما وصل الكتاب الى منشأ انقذه الى العزيز منجوتكين وواقف عليه فوجد فيه خلاف ما ذكر عن اهل دمشق فنها عن احراقها . وسار منجوتكين من الرملة وقرب من طبرية وجمع منير (29^٣) عسكره وخرج يريد تزال فالتقوا بمرج عذراء فانهزم منير وابت المغاربة على الرجالة الذين كانوا معه وذلك في يوم الاثنين التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٨١ فلما انهزم منير اخذ في الجبال حتى اخرج الى ارض جوسية يريد قصد حلب فخرج عليه عرب من الاحلاف فاخذوه ووصلوا به الى دمشق فوجدوا منجوتكين قد تزل عليها فسلموه اليه لطلب الجائزة فشهره على جمل

وقرن به قرداً ودمه من اصحابه نحو من مائة رجل على الجبال وعليهم الطرايطير ثم انقطعوا فاخذهم والي بعلبك يقال له جندار فارسلهم الى منجوتكين . واقام منجوتكين بدمشق بقية سنة ٨١ فقوي بها وصار عسكره ثلاثة عشر الفا فعم الناس البلاء في جميع الاحوال وصارت افعالهم وسيئتهم اباحة الاموال والافس وسر الاعمال . ثم انهم طمعوا في ملكة حلب يحكم موت ابي المعالي بن سيف الدولة صاحبها وقد كان العزيز لما اتدب منجوتكين اكرمه وعظمه وامر القواد وطبقات الناس بالترجل له وتوفيقه من الحق ما يوفي عظماء الامراء . والاسف سالارية واستكتب له احمد بن محمد القشوري وولي الشام وضم اليه ابا الحسن علي بن الحسين بن المغربي ليقوم بالامر والتدبير . ولما وصل الى حلب وكان نزوله عليها في ثلثين الفا من اصناف الرجال وتحضر ابو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد واغلق ابوابه واستظهرها بكل ما امكنها الاستظهار به . وقد كان لؤلؤ عند معرفته بتجهيز العساكر المصرية الى حلب كاتب بسيل عظيم الروم ومث اليه بما كان بينه وبين سعد الدولة من المساعدة والمعاقدة وبذل له عن ولده السمع والطاعة والجري على تلك العادة وحمل اليه هدايا والطاقا كثيرة وساله المعونة والنصرة واتخذ بالكتاب والهدايا ملكويا السيرافي ووصل اليه وهو بازاء ملك البلغر وعلى قتاله فقبل ما ورد فيه وكتب الى البرجي صاحب انطاكية من قبله بان يجسر عساكر الروم ويقصد حلب ويدفع المغاربة عنها فسار البرجي اليه في خمسة الف رجل ونزل بالموضع المعروف بجسر الحديد بين انطاكية وحلب . فعرف منجوتكين (30^{هـ}) وابن المغربي ذلك فجما القواد والمغربين تخبر الروم واستشارهم فيما يكون العمل به والاعتماد عليه فاشار ذو الراي والخصافة منهم بالانصراف عن حلب وقصد الروم والابتداء بهم ومناجرتهم ليلا يحصلوا بين عدوين . ووقع العمل على ذلك وساروا مع عدة اخرى كثيرة انضافت اليهم من اهل الشام وبني كلاب ونزلوا تحت حصن اعزاز وقاربوا الروم وبينهم النهر المعروف بالقلوب وهو نهر يجري مجرى الفرات في قرب من عرضه فلما بصر المسلمون بالروم دموهم بالنشاب وناوشوهم القتال وحصل الناس والروم على ارض واحدة ومنجوتكين يودهم ولا يرتدون (١) وانزل الله النصر وولت

(١) وفيه قال سبط ابن الجوزي ان بينهم الثور ولم يكن لاحد الفريقين سبل الى العبور لكثرة الماء وكان منجوتكين قد حفظ المواضع التي يقل الماء فيها واقام جماعة يمنعون اصحابه من عبور الى وقت يمضاه المنجم فخرج من الديلم الدين كانوا صحبة منجوتكين شيخ كبير بيده ترس

الروم واءطروا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكوا فيهم النكاية الوافية قتلاً واسراً وفلاً
 وقهراً وافلت البرجي في نفرٍ قليلٍ ومملكٍ عسكرهم وسوادهم وغنمت منهم الغنائم
 الوافرة من اموالهم وكراعهم وسوادهم وقد كان معهم الفراجسل من رجالة حاب
 جردهم لؤلؤ مع عدّه وافرة من الغلمان قُتل منهم تقدير ثلثائة غلام وعاد فآتهم الى
 حلب وجمع من رؤوس قتلى الروم نحو عشرة الف راسٍ أنفذت الى مصر وشهرت بها
 وتبع منجوتكين الروم الى انطاكية واحرق ضياعها ونهب رُستاقاتها وانكفأ راجعاً الى
 حلب . وكان وقت استغلال الغلات فانفذ لؤلؤ من احرق ما قرب من البلد منها
 المضرة العسكر المصري وقطع مادة الميرة عنهم والتضييق في الاقوات عليهم وراى
 لؤلؤ ان قد بطل عليه ما كان يرجوه من معونة الروم وقد اظله من عسكر مصر ما لا
 طاقة له به فكاتب ابا الحسن بن المغربي والقشوري وارغبهما بالمال وبذل لهما منه ما
 وسع لهما فيه وسألهما المشورة على منجوتكين بالانصراف الى دمشق والمعاودة الى حلب
 في العام المقبل وتصير السبب في هذا الراي ما عليه الامر من عدم الميرة وتعذر الاقوات
 والعلوفات فطاوعاه . ووعداه وخاطبا منجوتكين في ذلك . فصادف قولهما منه تشوّقاً الى
 دمشق الى خفض العيش فيها وضجراً من طول السفر ومباشرة الحرب فكتب وكتبت
 الجماعة الى العزيز بالله ينهون اليه الحال في تعذر الاقوات وانه لا قدرة للعسكر (30^٦)
 على المقام مع هذه الصورة ويستأذنون في الانكفاء الى دمشق فقبل ان يصل الكتاب
 ويعود الجواب رحل منجوتكين عائداً . وعرف العزيز ما كان منه فبأظه ذلك ووجد
 اعداء ابن المغربي طريقاً الى الطعن عليه والوقعة فيه فصرفه وقلد صالح بن علي
 الروذباري موضعه وانفذه واقسم العزيز انه يمد العسكر بالميرة من غلات مصر فحمل مائة
 الف تليس والتليس قفيزان بالمبدل في البحر الى طرابلس ومنها على الظهر الى اقامية .
 وعاد منجوتكين في العسكر في السنة ٢ الى حلب ونزل عليها وصالح بن علي المقدم
 معهم وكان يوقع الغلمان بجراياتهم وقضيم دوابهم الى اقامية ويعضون خمسة وعشرين
 فرسخاً ويعودون بها واقاموا ثلاثة عشر شهراً وبنوا الحمامات والاسواق والحانات وابو
 الفضائل ولؤلؤ قد تحصّنا بالبلد وقد اشتدّ الامر بها وفقدت الاقوات عندهما وكان لؤلؤ

وثلث زوينات فوقف على جانب النهر وبازائه قوم من الروم فرموه بالنشاب وهو يسبح حتى قطع
 النهر وصار على الارض من ذلك الحائب والماء في النهر الى صدره فرمى المسلمون بانفسهم في الماء
 فرساناً ورجالة ومنجوتكين ينعمهم ولا يمتنعون فصاروا مع الروم في ارض واحدة وانزل الله النخ

يتباع القفير من الخطة ثلثة دنانير ويبيعه على الناس بدينار واحد روقاً لهم ويفتح الباب ويخرج من الناس من اراد من الفقراء من الجوع وطول المقام . وقد كان أشير على منجوتكين بتسبع من يخرج وقتاه ليمتنع الناس من الخروج ويزيد ضيق الامر عليهم فلم يفعل . وعند ذلك اعاد لؤلؤ ملكويا الذي كان ارسله اولاً الى بسيل ملك الروم اليه مجدداً له السرايل بالانجاء على ما دهمه من عسكر مصر والاسعاد وانه انه لا يبقى فيه رمق ان لم يبادر بمسيرته ونصرته وانه متى أخذت حلب وملكك فانطاكية لاحقة بها . وكان بسيل متوسطاً بلد البلقر فقصده ملكويا اليه واوصل اليه انكتاب واعاد عليه ما يحمله من الرسائل اليه وقال له : متى قصدت ايها الملك هذا الخطب بنفسك لم يقف احد من عساكر المغاربة بين يديك واستخلصت حلب وخفطت انطاكية وسائر اعمالها وان تأخرت ملك جميع ذلك . فلما سمع ملك الروم ما قاله الرسول المذكور سار من وقته طالباً حلب وبينها مسيرة ثلثانة فرسخ فقطعها في ستة عشر يوماً في ثلثة الف فارس وراجل من الروم الرومية والبلقر والحزر وكان الزمان ربيعاً وقد سرح العسكر المصري كراعه في المروج لترتبع فيها فهجمت الروم على العسكر على غفلة وغرة . فارسل (81٣) لؤلؤ الى منجوتكين يقول له : ان عصمة الاسلام الجامعة بيني وبينك وبين عساكرك تبعثني على انذاركم وهذا عسكر الروم قد اظلكم في الجمع الكثير فخذوا لانفسكم وتيقظوا لامركم ولا تهملوا حذركم . ووردت جواسيس منجوتكين وعيونه من الجهات والطلائع عليه بمثل ذلك فاخرق الخزائن والاسواق ورحل في الحال منتزماً . ونشأ العرب عليه بان ينزل ارض قنسرين ويملك الماء ويستدعي كراعه من سروج اذمية ويثبت للقاء العدو ويخوضه على بذل الجهد واستفراغ الوسع في الجهاد فلم يفعل وامتدت به الهزيمة الى دمشق . ووافى ملك الروم قتل على باب حلب وشاهد من موضع منزل المغاربة ما هاله وعظم في عينه وخرج اليه ابو الفضائل ولؤلؤ وخدامه ورحل في اليوم الثالث الى الشام وتزل على شيزد وفيه منصور بن كراديس احد قواد المغاربة ققاتله في الحصن يوماً واحداً ولم يستطع الثبات له فخلو الحصن من العدد وآلات الحرب واقوات المقام على الحصار فراسله بسيل وبذل له الامان على نفسه ومن معه في الحصن وان يعطيه مالا وثياباً على تسليمه فسكن الى ذلك وسأله ووفى له بسيل بجميع ما بذله من المال والامان والعطاء فرتب في الحصن نوابه وثقاته وسار قاصداً الى طرابلس الشام وافتتح في طريقه حصناً وسي منها ومن

رفنية واعمالها ما يزيد على ثغر طرابلس وهو برّي بحري متين القوة والحصانة شديد الامتناع على مُنازله واقام عليه نيفاً واربعين يوماً يحاول افتتاحه او وجود فرصة في تملكه فلم يتم له فيه امر ولا مُراد فرحل عنه قافلاً الى بلاد الروم . وانتهت الاخبار بذلك الى العزيز بالله فعظم ذلك عليه وامر بالاستنفار الى الجهاد والنداء في الغزاة وسائر الاجناد ففر الناس وخرج مستصحباً لجميع عساكره وما يحتاج اليه من عُدده وامواله وذخائره ومعه توابيت ابائه واجداده على العادة في مثل هذه الحال وقيل ان كراعته كان يزيد على عشرين الف راس خيلاً وبغالاً وجمالاً وحميراً وسار مسافة عشرة فراسخ في مدة سنة حتى نزل بلبس واقام بظاها . وعارضته عِلل مختلفة من تقرس وقولنج وحصى في المئاة واشتد به الامر وكان (31^٦) اطباء اذا عاجلوا مرضاً من هذه الامراض بدوائها زاد في قوة الاخرى واستحكامها وكان محتاجاً الى الحَمَام لاجل القولنج ولم يكن في منزله الا حَمَام لرجل من اهله فاشتد به فيه وبات للضرورة فيه واصبح والقوة تضعف والالم يشتد ويتضايق الى ان قضى نحبه في الحَمَام في اليوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦ وعمره اثنتان واربعون سنة ونقش خاتمه « بنصر العليم الغفور ينتصر الامام ابو المنصور » ومولده في القيروان سنة ٣٤١ ومدة ايامه احدى وعشرون سنة وستة اشهر واربعة وعشرون يوماً وكان حسن السيرة مشغلاً بلذاته محباً للصيد متغافلاً عن النظر في كثير مما كان اسلافه ينظرون فيه من اظهار علم الباطن وحمل الناس عليه وتوفي رحمه الله وهو مستمر على ذلك

ثم ولي الامر بعده ولده ابو علي المنصور الحاكم بالله وكان معه فعهد اليه في الامر وردّ تدبير امره الى برجوان الخادم مُربيه وحاضنه وكان عهد اليه امر الحرم والقصور ثقة العزيز به وسكونه اليه ووصى اليه بما اعتمد فيه عليه . وحدثت ست الملك ابنة العزيز نفسها بالوثوب على الامر واجلاس ابن عتيها عبد الله وكانت مشتبهة عليه فاحسن برجوان بذلك قبض عليها وحملها مع الف فارس الى قصرها بالقاهرة . ودعا الناس الى بيعه الحاكم واحافهم على الطاعة واطلق الارزاق وذلك في شهر رمضان سنة ٣٨٦ وانكفاً الحاكم من الخيم الى قصره بالقاهرة وعمره عشرين سنة وستة اشهر . وتقدم ابو محمد الحسن بن عمار وكان شيخ كُتامة وسيدها ولقب بامير الدولة وهو اول من لقب في دولة مصر واستولى على الامر وبسط يده في الاطلاق والعطاء والصلوات بالاموال والثياب والخباء تفرقة الكراع وكان في القصر عشرة الف جارية وخادم فيبيع منهم

من اختار البيع وأعتق من سأل العتق ووهب من الجوار لمن أحب وانبسطت
كتامة وتسلطوا على العامة ومدوا أيديهم إلى حرمهم وأولادهم وغلب الحسن بن
عمّار على الملك وكتامة على الأمور وهم الحسن بقتل الحاكم (32^ف) وحمله على ذلك
شيوخ أصحابه وقالوا : لا حاجة لنا إلى امامٍ تقيمه وتتعبد له . فحمله صغر سنه
والاستهانة بأمره على اقلال الفكر فيه وإن قال لمن أشار عليه بقتله : وما قدر هذه
الوزغة حتى يكون منها ما نخاف (١) . وبرجوان في اثنا ذلك يحرس الحاكم ويلزمه ويمنعه
من الركوب ولا يفسح له في مفارقة الدور والقصور . وقد كان شكر العضدي اتفق مع
برجوان وعاضده في الرأي والفعل وصارا على كلمة سواء في كل ما ساء وسرّ وتقع وضّر
وتظاهرا على حفظ الحاكم في وصاة والده العزيز به إلى أن تمت السلامة لها فيه . وأما
منجوتكين وما كان منه بعد نوبة الروم فإنه أقام بدمشق على حاله في ولايتها . وزاد
امر الحسن بن عمّار وكتامة وقلت مبالاتهم بالسلطان فكسب برجوان إلى منجوتكين
يعرفه استيلاء المذكورين على الأمور وغلبتهم على الأموال وتعديهم إلى الحرم والفروج
وقبيح الأعمال ورفعهم المراقبة للخاص والحشمة من المخلوقين وإبطالهم رسوم السياسة
واضاعة حقوق الخدمة وأنهم قد حصروا الحاكم في قصره وحالوا بينه وبين تدبير أمره
ويدعوه إلى مقابلة نعمة مولاه العزيز عنده بحفظ ولده والوصول إلى مصر وقع هذه
الطائفة الباغية وقال : « إن الديلم والأتراك والعبيد الذين على الباب يساعدونه على
ما يُحاول فيهم ويكونون معه أعواناً عليهم » فامثل منجوتكين ما في الكتاب عند
وقوفه عليه وسارع إليه وركب إلى المسجد الجامع في السواد وجمع القواد والاجناد
ومشايع البلد وأشرافه وفيهم موسى العلوي وله التقدم والميزة وأذكروهم بحقوق العزيز
وما كان منه من الاحسان إلى الخاص والعام وحسن السيرة في الرعية واعتقاد الخير
للكافة وخرج من ذلك إلى ذكر ما له عليه من حقوق الاصطناع والتقدم والاصطفاء
والتعديد للتبويه باسمه وما يلزمه في خدمته حياً وميتاً ومناصحته معدوماً ومفقوداً
وموجوداً وقال : واذا قبضه الله إليه ونقله إلى ما اختاره له وارتضاه وحكم به وافضاه
فإن حقوقه قد انتقلت إلى نجله وسليته الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وهو اليوم وإلى
النعمة وكالقائم مقام العزيز بالله رحمه الله في استحقاق الطاعة والمناصحة (32^ف)

(١) وفي المخطوط للمقرئ في حارة برجوان : قال ابن عبد الظاهر : ويسى (يعني برجوان)
« الوزغ » ساء به الحاكم

والخدمة وقد تغلب على الملك الحسن بن عمار وكتامة وصار اخواننا المشاركة بينهم كالذمة بين المسلمين وما يسعنا الصبر على هذه الضورة وتسليم الدولة الى هذه العصاة المتسلطة . وخرق ثيابه السود وبكى البكاء الشديد فاقتردى الناس به في تحريق الثياب والبكاء . ثم قالوا : ما فينا الا سامع لك مطيع لامرك وموثر ما تؤثر وباذل مهيجته في طاعة الحاكم وخدمته وخدمتك ومها رست لنا من خدمة وبذل نفس ومكنة ككنة اليه مسارعين ولا مراك فيه طائعين الى ان تبلغ منك وتذكرك . مبتدئك في نصرة مولانا . فشكرهم على هذا المقال وقوى عزائمهم وآراءهم على المتابعة له والعمل بما يوافقه وعاد الى داره ووضع العطاء في الرجال وبرز الى ظاهر دمشق . وقد اشتملت جريدة الاثبات على ستة الف من الاجناد السائرين معه خيلاً ورجلاً وكتب الى الحسن بن عمار على اجنحة الطيور ومع اصحاب البريد بشرح ذلك الحال . فلما وقف على اسطبر عظم عليه وقتل وجمع وجوه كتامة واخذ عليهم ما ورد من خبر منجوتكين وما هو مجمع عليه في بابهم وقال : ما الراي عندكم ؟ قالوا : نحن اهل طاعتك والمسارعون الى العمل باشارتك . وظهر ان منجوتكين قد عصى على الحاكم وجرى للاذتكين المعزى البويهي وندب الناس لقتاله وتقدم الى الحزان في خزائن اموال العزيز باطلاق الاموال والى العراض بتجريد الرجال والاتفاق فيهم . واحضر البرنجران وشكر الخندي وقال لهما : انا رجل شيخ وقد كثرت الكلام علي والقول في وما لي عرش الا حفظ الامر للحاكم ومقابلة اصطناع العزيز واحسانه الي وأريد مساعدتكما ومعاضدتكما وان تحلفا لي على صفاء النية وخلص العقيدة والطوية . فدعتهما الضرورة الى الاتقياد له والاجابة الى ما سألهم منها واستأقت معهما المفاوضة والمشاورة والاطلاع لهما على مجاري الامور ووجوه التدبير في الجهور واستمالة المشاركة . وندب ابا عيم سليمان بن جعفر بن فلاح وقدمه وجعله اسفهم لار الجيش وامره بالمسير الى الشام واطلق له كل ما التحس من المال والعدد والرجال والسلاح والكرع واسرف في ذلك الى حد لم يقف عنده وجود (33) معه ستة عشر الف رجل من الحيل والرجال وبرز الى عين شمس . وكان عيسى بن نسطورس الوزير على حاله في الوزارة فبلغ ابن عمار عنه ما انكره فقبض عليه ونكبه وقتله وسار سليمان بن فلاح من مصر ودخل منجوتكين الى الرملة فلما كان واخذ اموالها فتقوى بها وكان معه المفرج بن دغفل بن الجراح وبنان بن عليان ونزل سليمان عسقلان وسار منجوتكين حتى نزل بظاهاها وتقاتل الجيشان . فلما كان بعد

ثلاثة ايام من تقاربهما وتقاتلتهما ضرب كل واحد منهما مئتين عسكراً وعمل على
مناجزة صاحبه واستأمنت العرب من اصحاب ابن جراح وابن عليان الى سليمان
فاستظهر وقتل من اصحاب منجوتكين اربعة قواد في وقت واحد وانهمزم منجوتكين
وقتل من الديلم عدة كثيرة لانهم لجأوا عند الهزيمة الى شجر الجعدي واختفوا به فكان
المغاربة ينزلونهم منها ويقتلونهم تحتها وأحصيت القتلى فكانوا من اصحاب منجوتكين
التي رجل . وسار سليمان الى الرملة وقد امتلأت ايدي اصحابه من الغنائم والاموال
والكرع وبذل لمن يحضر منجوتكين عشرة الف دينار ومائة ثوب فانبثت العرب في
طلبه وادركه علي بن جراح فاسره وحمله الى سليمان فاخذه منه واعطاه ما بذل له
وحمله مع رؤوس القتلى من اصحابه الى مصر فشهرت الرؤوس وابقى على منجوتكين
الحسن بن عمار واصطنعه واستمال المشاركة به ونزل سليمان طبرية . وكان اهل دمشق
قد اثاروا الفتنة ونهبوا دار منجوتكين وخزائنه وما فيها من مال السلطان وعدده فانفذ
اخاه علياً اليها في خمسة الف رجل فلما وصلها ناروا اهلها وناوشره واعتصموا بالبلد
ومنعوا الدخول اليه وكتب الى سليمان اخيه يعلمه مخالفتهم وعصيانه ويستأذنه في
منازلتهم ويتألمهم فاذن له في ذلك واعلمه مسيره اليه وكتب الى موسى العاوي
والاشراف والشيوخ بالانكار عليهم بتسلط العامة فيما ارتكبوا من النهب والافساد
وتقاعدهم عن الانخذ على ايديهم والردع لهم والتوعد بالمسير اليهم والمقابلة لهم بما
يقتضيه الرأي فلما وقفوا على ما ذكره خافوا وخرجوا الى اخيه علي ولقوه واعلموه انهم
على الطاعة والانكار لما اجرى اليه (33^v) الجهالة فركب علي وحارب اهل دمشق
وزحف الى باب الحديد والنفاطون معه فانهزموا منه وملك البلد وطرح النار في الموضع
المعروف بحجر الذهب وهو أجل موضع في البلد وقتل خلقاً كثيراً من رجاله وعاد بعد
ذلك الى معسكره . ووافى من غد اخاه سليمان في معسكره فانكر عليه احراق ما احرق
ويلوغيه في الافساد ما بلغ وتلقاه الاشراف والشيوخ والناس وشكروا اليه ما لحقهم وتلف
من دورهم واملاكهم واموالهم فاهنهم وكف المغاربة عنهم واظهر اعتقاده الجليل
فيهم وكتب المناسير بالصفح عن الجناة وايمان الكبير والصغير منهم ورفع الكلف والمؤن
عنهم وإقاضة العدل والانصاف فيهم وكوتبت في المسجد الجامع على رؤوس الاشهاد
فكنت الى ذلك النفوس واطمأنت به القلوب ورجعوا الى ما كانوا عليه . واختلط
المغاربة بهم وركب القائد سليمان الى الجامع في يوم الجمعة بالطليسان على البغال

السندي وخرق في البلد بالسكينة والوقار وبين يديه القراء وقوم يفرقون قراطيس دراهم الصدقات على اهل المسكن والحاجة . وكان لهذا القائد سليمان نفس واسعة وصدر رحب وقدم في الخير متقدمة ورغبة في الفعل الجميل مشهورة ومقاصد في الصلاح مشكورة بعد الحسن بن عمار ولا صلى عاد الى القصر الذي بُني بظاهر البلد وتزل فيه وقد استمال قلوب الرعية والعامة بما فعله وظهره من حسن النظر في الظلمات المرفوعة اليه واطلاق جماعة كانت في الجبوس من ارباب الجرائم المتقدمة والجنبايات السالفة واستقام له الامر واستقرت على الصلاح الحال وصاحت احوال البلد واهله بما نشر فيه من العدل وحكم به من الانصاف واحسنه من النظر في امور السواحل بصرف من صرفه من ولاتها الجايرين واستبدل بهم من شيوخ كتامة وقوادها ورد الى علي اخيه ولاية طرابلس الشام وصرف عنها جيش بن الصمصامة فحضر جيش المذكور الى مصر من غير ان يقصد القائد سليمان ويجتمع معه . وكان جيش هذا من شيوخ كتامة ايضاً الا ان سليمان كان سيئ الرأي فيه لعداوة بينه وبينه فلما حصل جيش بمصر (34) قصد برجوان سرّاً وطرح نفسه عليه واعلمه بغض اهل الشام للمغاربة واستيحاكهم منهم قاولاء برجوان الجميل قولاً ووعداً وبذل له المعونة على امره وتآمل برجوان ما يلي به في الاحوال من الحسن بن عمار وكتامة وما خافه على نفسه منهم وان مصر والقاهرة قد خلتا الا من العدد الاقل منهم وامكنته الفرصة فيما يريد منهم فراسل الاتراك والمشاركة وقال لهم : قد عرفتم صورتكم وصورة الحاكم مع هؤلاء القوم وانهم قد غلبوا على المال وغلبيكم ومتى لم تنتهز الفرصة في قلة عددهم وضعف شوكتهم سبقكم الى ما لا يمكنكم تلافيه بعد التفريط فيه واستدراك الغاية منه . واوثقهم على الطاعة والمساعدة فبذلوها له ووثقوا له في كل ما يريده . واجس الحسن بن عمار بما يريد برجوان وشرع فيه وفي الفتك به وسبقه الى ما يحاوله فيه ورتب له جماعة في دهليزه وواقفهم على الايقاع به وبشكر اذا دخلا داره وكان لبرجوان عيون كثيرة على الحسن بن عمار فصاروا اليه واعلموه ما قد عمل عليه واجتمع برجوان وشكر وتفاوضا الرأي بينهما في التحرز مما بلغهما وقررا ان يركبا ويركب على اثرهما من الغلمان جماعة « فان احسنا واحسنا على باب الحسن ما يريتنا رجعتا وفي ظهورنا من يمنع منا » فرتبا هذا الامر وركبا الى دار الحسن وكانت في القاهرة مما يلي الجبل فلما قربا من الباب بانتهما شواهد ما أخبرا به فحذرا وعادا مسرعين وجرّد الغلمان الذين كانوا معهم سيوفهم

ودخلا الى قصر الحاكم يبيكان لديه ويستصرخان به وثارت الفتنة واجتمع الاتراك والديلم والمشاركة وعبيد الشرا بالسلاح على باب القصر وبرجوان يبكي ويقول لهم : يا عبيد مولانا احفظوا العزيز في ولده وارعوا فيه ما تقدم من حقه . وهم يكون لبيكاه وركب الحسن بن عمار في كتامة ومن انضاف اليهم من القبائل وغيرهم وخرج الى الصحراء وتبعوه وتبعه وجوه البلد فصار في عدد كثير وفتح برجوان خزان السلاح وفرقة على الغلمان والرجال واحدقوا ومن معهم بالقصر من المشاركة والعامّة (34^٢) بقصر الحاكم وعلى اعلاه الخدم والجواري يصرخون وبرز منجوتكين وبارحكن وينال الطويل وخمسمائة فارس من الغلمان ووقعت الحرب بينهم وبين الحسن الى وقت الظهر وحمل الغلمان عليه فانهمزم وزحفت العامّة الى داره فاتهبوها وفتحوا خزائنه وتفرقوا ما فيها والتجأ الحسن الى بعض العامّة فاستتر عنده وتفرق جميع من كان معه وفتح برجوان باب القصر واجلس الحاكم واوصل اليه الناس واخذ له بيعة مجددة على الجند فما اختلف عليه احد وكتب الامانات لوجوه كتامة وقواد الدولة وراسلهم بما تطيب به نفوسهم من اقامة عذرهم فيما كان منهم فحضرت الجماعة واعطت ايمانها على السمع والطاعة . فاستقام الامر لبرجوان وكتب الكتب الى اشراف دمشق ووجوه اهلها وبأمرهم بتطيب نفوسهم وبيعهم على القيام على القائد ابي تميم سليمان بن جعفر بن فلاح والايقاع به وكتب الى مشاركة الاجناد بالاجتماع معهم على المذكور والاعانة لهم عليه

شرح اسباب ولاية القائد سليمان بن فلاح

المقدم ذكره لدمشق وما آلت اليه حاله وحال اخيه في ذلك في سنة ٣٨٧

قد تقدم من شرح ولاية القائد المذكور لدمشق والسبب لذلك وما آلت الحال اليه ما في معرفته الغناء والكفاية . ولما وردت المكاتبات من مصر عقيب انجلاء فتنة القائد ابي محمد الحسن بن عمار شيخ كتامة بتجديد البيعة للحاكم بامر الله بما يطيب قلوب اهل البلد وبيعهم على الوثوب على سليمان وكان هذا القائد المذكور مشهورا بالكفاية والغناء وتوقد اليقظة في احواله والمضاء لكنه كان مستهترا بشرب الراح واستماع الغناء والتروفر على اللذة ولما وردت المظلمات المصرية بما اشتملت عليه في حقه وهو منهيك في لهوه لم يشعر الا بزحف العامّة والمشاركة الى قصره وهجومهم عليه فخرج هاربا على ظهر فرسه فنهبت خزائنه وامواله وعدده واوقعوا من كان في البلد معه من

كُتامة وقتلوا منهم عِدَّةً وافرةً وعادت الفتنة ثائرةً واقتسم الرؤساء الاحداث حال البلد . وكان يكتب لبرجوان فهد بن ابرهيم النصراني فلماً صار الامر (35^٦) اليه استوزره وكان ابنا القبط بريف مصر واستكتب ابا الفتح احمد بن افلح على ديوان الرسايل . ولم يزل برجوان يتلطف للحسن بن عمار الى ان اخرجته من استناره واعاده الى داره واجراه على رسمه في راتبه واقطاعاته بعد ان شرط عليه اغلاق بابه والّا يداخل نفسه فيما كان يداخلها فيه ولا يشرع في فساد على الحاكم ولا على برجوان واخذ العهد عليه بذلك واستحلفه باوكد الأيمان وبالغ في التوثيق منه . وكان اهل صور في هذه السنة التي هي سنة ٨٧ قد عصوا وأَمَرُوا عليهم رجلاً ملاحاً من البحرية يعرف بالعلاقة وقتلوا اصحاب السلطان واتفق ان المفرج بن دغفل قد نزل على الرملة ونهب ما كان في السواد واطلق يد العيث في البلاد وانضاف الى هاتين الحادثتين خروج الدوقس عظيم الروم في عسكر كثير الى الشام ونزوله على حصن اقامية فاصطنع برجوان القائد جيش بن الصمصامة وقدمه وجهز معه الف رجل وسيره الى دمشق واعمالها وبسط يده في الاموال ورد اليه تدير الاعمال فسار جيش ونزل على الرملة والوالي عليها وحيد الهلالي ومعه خمسة الف رجل ووافاه ولاة البلد وخدموه وصادف القائد ابا تميم سليمان بن فلاح في الرملة فقبض عليه قبضاً جميلاً ونذب ابا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة وياقوت الخادم ومن معه من عبيد الشرا لقصد صور ومنازلتها وفتحها وكان قد ولي جماعة من الخدم السواحل وأنفذوا اليها وانفذ في البحر تقدير عشرين مركباً من الحربية المشحونة بالرجال الى ثغر صور وكتب الى علي بن حيدرة والي طرابلس بالمسير اليه في اضطوله والي ابن شيخ والي صيدا بمثل ذلك والي جماعة من الجهات بحيث اجتمع الحاق الكثير على باب صور ووقعت الحرب بينها وبين اهلها واستجار العلاقة بملك الروم وكتب يستنصره ويستنجده وانفذ اليه عِدَّةً مراكب في البحر مشحونة بالرجال المقاتلة والتقت هذه المراكب مراكب المسلمين فاقتتلوا في البحر قتالاً شديداً فظفر المسلمون بالروم وملكوا مركباً من مراكبهم وقتلوا من فيه وكانت عدتهم (35^٧) مائة وخمسين رجلاً وانهمزمت بقية المراكب فضعت نفوس اهل صور ولم يكن لهم طاقة بمن اجتمع عليهم من المساكر برأً وبحراً ونادى المغاربة « من اراد الامان من اهل السمر والسلامة فليزِم منزله » فلزموا ذلك وفتح البلد وأسر العلاقة وجماعة من اصحابه ووقع النهب وأخذ من الاموال والرجال الشيء الكثير وكان هذا الفتح اول

فتح على يد برجوان الحاكم ونُحِّلَ العَلَّاقَةُ واصحابه الى مصر فسلخ حياً وصُلب بظاهر
المنظر بعد ان حُشي جلده تبناً وقتل اصحابه . وولي ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة
ابن حمدان صور واقام بها وسار جيش بن الصمصامة على مقدمته بدر بن ربيعة لقصد
المفرج بن دغفل بن الجراح وطلبه فهرب بين يديه حتى لحق بجبلي طي وبعه حتى كاد
ياخذه ثم رماه ابن جراح بنفسه وعجائز نسائه وعاذ منه بالصفح وطلب الامان فامنه
وشرط عليه ما التزمه وعفا عنه جيش وكف عنه واستعانده على ما قرره معه وعاد الى
الرملة ورتب فيها والياً من قبائه وانكفاً الى دمشق طالباً لعسكر الروم النازل على اقامية .
فلما وصل الى دمشق استقبله اشرافها ورؤساء احدثها مُدْعِنِينَ له بالطاعة فاقبل على
رؤساء الاحداث وظهر لهم الجميل ونادى في البلد برفع الكُلف واعتماد العدل
والانصاف واباحة دم كل مغربي يتعرض لفساد فاجتمع اليه الرعية يشكرونه ويدعون
له وسألوه دخول البلد والتزول فيه بينهم فاعلمهم انه قاصد الجهاد في الروم واقام ثلثة
ايام وخلع على رؤساء الاحداث وحملهم ووصلهم وتزل حصص . ووصل اليه ابو الحسن
عبد الواحد بن حيدرة في جند طرابلس والمتطوعة من عامتها وتوجه الى الدوقس
عظيم الروم النازل على حصن اقامية فصارت اهله قد اشتد بهم الحصار وبلغ منهم
عدم الاقوات وانتهى امرهم الى اكل الجيف والكلاب وابتاع واحد واحداً بخمسة
عشرين درهماً . فتزل بازاء الروم وبينه وبينهم النهر المعروف بالقلوب والتقى الفريقان
وتنازعا الحرب والمسلمون في عشرة الف رجل ومعهم الف فارس من (36٢) بني كلاب
فحمل الروم على القلب وفيه بدر العطار والديلم والسواد فكسروه ووضعوا السيف في
من كان فيه وانهزمت الميسرة وفيها ميسور الصقلي والي طرابلس ولحقها الميسنة وفيها
جيش بن محمد بن الصمصامة المقدم ووحيد الهلالي وركب الروم المسلمين وقتلوا منهم
القي رجل واستولوا على سوادهم وسلاخهم وكراعهم ومال بنو كلاب على اكثر من
ذلك فاتهبوه وثبت بشاره الاخشيدي في خمائة غلام وشاهد اهل اقامية من
المسلمين ما تزل بالثاس فايقتوا بالهلاك والعطب وابتهلوا الى الله الصكريم اللطيف
بعباده وسألوا الرحمة والنصر . وكان ملك الروم قد وقف على رايته بين يديه ولدان له
وعشرة نفر من غلمانهم ليشاهد ظفر عسكره واخذه ما ياخذه من الغنائم فقصده كردي
يعرف بابي الحجر احمد بن الضحاك السليل على فرس جواد وعليه كذاغند وخوذة
ويده اليمنى خشت وباليسرى العنان وخشت اخر فظنه الدوقس مستأمناً له ومستجيراً

به فلم يحفل به ولا تحرز منه فلما دنا منه حمل عليه والدوقس متحصن بلائحته فرفع يده ليتقي ما يرميه به فرماه بالزويين الذي في يمينه رميةً أصابت خللاً في الدرع فوصل الى جسده وتمكّن منه في اضلاعه فسقط الى الارض ميتاً وصاح الناس « ان عدوّ الله قد قُتل » فانهمزمت الروم وتراجع المسلمون وعادت العرب وتزل من كان في الحصن فاعانواهم واستولى المسلمون على الروم فقتلواهم واسروهم وكانت الواقعة في مرج افيح يُطيفُ به جبل يُعرف بالمضيق لا يسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة اقامية ونهر القلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة وتصرّم النهار وقد احتزّ من روؤس القتلى عشرة الف راس ويات المسلمون ميّت المنصورين الغافين المسرورين بما منحهم الله اياهم من الكفاية ووهب لهم من الظفر . ووافى العرب من غدير بما نهبوه من دواب المسلمين عند الهزيمة ومنهم من ردّ ومنهم من باع بالثمن البخس لان جيش بن الصمصامة المقدّم تادي في معسكره بالألا يتتاع احد من العرب الا ما عرقه وكان ماخوذاً منه فلم (36^٢) يجد الا ما اخذه اصحابه . وحصل ولدا الدوقس في اسر بعض المسلمين فابتاعها جيش بن الصمصامة المقدّم منه بستة الف دينار واخذها اليه واقام على حصن اقامية اسبوعاً وحمل الى مصر عشرة الف راس والف رجل من الاسرى الى باب انطاكية ونهب الرساتيق واحرق القرى وانصرف منكفياً الى دمشق . وقد عظمت هيئته فاستقبله اشرافها ورؤساؤها ولحداثها مهتئين وداعين له فتلقاهم بالشامية وزادهم من الكرامة وخلع عليهم (وعلى) وجوه الاحداث وحملهم على الخيل والبغال ووهب لهم الجوارى والعلمان وعسكر بظاهر البلد وخاطبوه في الدخول والجواز في الاسواق وقد كانوا زينوها اظهاراً للسرور به والتقرب اليه فلم يفعل وقال : دعي عسكرى وان دخلت دخلوا معي ولم امن ان يمدوا ايديهم الى ما يشغل به الوطاة منهم . والتبس ان يخلوا له قرية على باب دمشق تعرف ببيت لها ليكون توله بها فاجابوه الى ذلك

ولاية بشارة الاخشيدي القائد لدمشق

في سنة ٣٨٨ والسبب الداعي الى ذلك

وما آت اليه الحال

لا تقرر الحال بمصر مع برجوان الحاكمي على تجهيز جيش بن الصمصامة الى الشام لتلافي ما حدث فيه وتدير الاعمال وتسديد الاحوال والرفع لشر الروم الواصلين الى

اعماله اقتضت الحال والسياسة ردَّ ولاية دمشق بعد اخراج القائد ابي تميم سليمان بن جعفر بن قلاح منها على ما تقدّم الذكر له الى القائد بشارة الاخشيدي فسار ووصل اليها ودخلها وتزل في قصر الولاية بها وشرع في البناء فيه على عادة الولاية في ذلك في يوم الاثنين النصف من شوال سنة ٣٨٨ . وتوجه القائد بشارة الوالي المذكور مع جيش ابن الصمصامة الى الجهاد في الروم فلما اظفر الله بهم ونصر عليهم وانكفأ المسلمون منصورين ظافرين مسرورين وعاد بشارة الوالي في الجملة صادف الامر قد ورد من مصر بصرف القائد بشارة عن ولاية دمشق واقرارها على القائد جيش بن محمد (37) ابن الصمصامة

شرح السبب في ذلك وما انتهت اليه حاله وكان ماله

قد تقدّم شرح السبب في اخراج القائد جيش في العسكر من مصر الى الشام ما كفى واغنى وما كان منه في التدبير في افتتاح ثغر صور وكسر عسكر الروم والعود الى دمشق وصرف بشارة عن ولايتها . وانتقى ذاك وقد قوض الصيف خيامه وطوى بعد النشر اعلامه والشتاء قد اقبل بصره وهريره وقرّة زهريره فالتبس من اهل دمشق على ما تقدّم ذكره اخلاء بيت لها فأجيب الى ما طلب قتل فيها وشرع في التوفّر على استعمال العدل ورفع الكلف واحسان السيرة والمنع من الظلم واشخص رؤساء الاحداث وقدمهم واستحجب جماعة منهم وجعل يعمل لهم السطط في كل يوم يحضرهم للاكل عنده ويبالغ في تأنيسهم واستمالتهم بكل حال . فلما مضت على ذلك برهة من الزمان احضر قواده ووجوه اصحابه وتقدّم اليهم بالكون على اهبة واستعداد لا يريد استخداسهم وتوقع لا يوصل اليهم من رقاع الختومة بخاتمته والعمل به . وقسم البلد وكتب الى كل قائد يذكر الموضع الذي يدخل فيه ويضع السيف في مفسديه ثم رتب في حمام داره مائتي راجل من المغاربة بالسيوف وتقدّم الى المعروف بالناصري العلوي وكان من خواصه وثقاته بان يُراعي حضور رؤساء الاحداث الطعام فاذا اكلوا وقاموا الى المجلس الذي جرت عادتهم بغسل ايديهم فيه اغلق عليهم بابه وامر من رتب في الحمام بوضع السيف في اصحابهم . وكان كل رجل منهم يدخل ومعه جماعة من الاحداث معهم السلاح وحضر القوم على رسمهم فبادر جيش بالرقاع الى قواده وجلس معهم للاكل فلما فرغوا نهض فدخل في حجراته ونهضوا الى المجلس واغلق الفراشون بابه وكانت عدتهم اثني عشر رجلاً يقدمهم المعروف بالدهيقين وخرج من

بالحام فوضعوا السيف في اصحابهم فقتلوههم بأسرهم وكانوا تقدير مائتي رجل : وركب القراء ودخلوا البلد وقتلوا فيه (37^٢) قتلاً ذريعاً وثلموا السور من كل جانب وفتحوا ابوابه ورموها وأتزل الفاربة دور الدمشقيين وجرد الى الغوطة والمرج قائداً يعرف بنصرون وامره بوضع السيف في من بها من الاحداث فيقال انه قتل الف رجل منهم لانهم كانوا كثيرين . ودخل دمشق فطافها فاستغاث الناس وسالوا العفو والابقاء فكف عنهم ورتب اصحاب المصالح في الحال والمواضع وعاد الى القصر في وقته فاستدعى الاشراف استدعاءً حسن معه ظنهم فيه فلما حضروا اخرج رؤساء الاحداث فضرب رقابهم بين ايديهم وامر بصلب كل واحد منهم في محلته حتى اذا فرغ من ذلك قبض عليهم وحملهم الى مصر واخذ اموالهم ونعمهم ووظف على اهل البلد خمسمائة الف دينار . وجاءه امر الله تعالى الذي لا يدفع نازله ولا يؤد ارضه فهلك وكان سبب هلاكه ناسور خرج في سفله ولم يزل يستغيث من الألم ويتنى الموت ويطلب ان يقتل نفسه فلا يتسكن ولا يمكن ويسئل في قتله فلا يُقتل الى ان هلك على هذه الحال وكانت مدة هذه الولاية . والفتنة تسعة شهور وقيل ان عدة من قتل من الاحداث ثلاثة الف رجل (١) وانتهى الخبر الى مصر بهلاكه فقلد ولده محمد بن جيش مكانه . وقد استقامت الامور بمصر والشام واستمال برجوان المشاركة واستدعاهم من البلاد فاجتمع عنده منهم تقدير ثلاثة الف رجل وكان يواصل النظر في قصر الحسك نهاره . اجمع الى ان ينتصف الليل ويجاوز الانتصاف ويوفي السياسة حتمها وبين يديه ابن ابي العلاء فهد بن ابراهيم من يمشي الامور ويحسن تنفيذها . وراسل برجوان بسيل ملك الروم على لسان ابن ابي العلاء ودعاه الى المهادنة والمواذعة وحمل اليه هدايا سلك فيها سيل التألف والملاطفة فقابل بسيل ذلك منه باحسن قبول وتقررت المواذعة عشر

(١) وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : قال ابن مسافر : حدثني الامام ابو الحسن بن المسلم من بعض شيوخه ان ابا بكر بن الحري الزاهد صاد احمالاً من الحمر لجيش فآراها عند بيت لها فأحضر بين يدي جيش فسأله عن اشياء من القرآن والحديث والفقه فوجده عالماً بما ساله فنظر الى شاربه واظفاره فوجدها مقصومة وامر من ينظر الى عانته فوجدها معلوقة فقال : اذهب فقد نجوت مني لم اجد ما احتج به عليك . فلما بلغ جيش في مرضه ما بلغ من الجذام والقي ما في بطنه حتى كان يقول لاصحابه : اقتلوني اريحوني من الحياة . لشدة ما كان يناله من الألم قال لاصحابه : رايتُ كان اهل دمشق كلهم رموني بالسهم فاختطأوني غير رجل اصابني سهمه ولو سببته لبيده اهل دمشق . فكانوا يرون انه ابن الحري اصابت دموته . وعاش ابن الحري بعد ستاً واربعين سنة

سنتين وانفذ بسيل في مقابلة الهدية ما جرت به عادة مثله . وصلت الحال مع العرب واحسن الى بني قرة والزهم شرائط الطاعة وسير عسكراً الى برقة وطرابلس الغرب فاخذها وعول في ولايتها على يانس الصقلي . وكان لفرط اشفاقه على الحاكم يمنعه من الركوب في غير وقت ركوبه والعطاء لغير (38^٢) مستحقه وفعل وذلك يفعلة من باب السياسة والحفظ لنفسه وهيته وماله وهو يسر ذلك في نفسه انه من الاساءة اليه والتضييق عليه . وكان مع الحاكم خادم يعرف بزيدان (١) الصقلي وقد خص به وانس اليه في شكوى ما يشكوه من برجوان اليه واطلاعه على ما يسره في نفسه له وزاد زيدان في الحمل عليه والاغراء به وقال له فيما قال : ان برجوان يريد ان يجري نفسه مجرى كافور الاخشدي ويجريك مجرى ولد الاخشدي في الحجر عليك والاخذ على يدك والصواب ان تقتله وتدبر امرك منفرداً به . فقال له الحاكم : اذا كان هذا رأيك والصواب عندك فاريد منك المساعدة عليه . فبذلها له فلما كان في بعض ايام شهر سنة ٣٨٩ اشار زيدان على الحاكم بان ينفذ الى برجوان في وقت الظهر بعد انصرافه الى داره وتفرق الناس عنه للركوب الى الصيد وان يقف له في البستان الذي داخل القصر فاذا حضر امر بقتله فارسل اليه بالركوب وقال : اريد ان ترتب الخدم في جانبي البستان فاني اقف على بابه وانت بين يدي فاذا حضر برجوان دخلت البستان وتبعني وكنت في اثره فاذا نظرت اليك فاضربه بالسكين في ظهره وواقف الخدم ان يضعوا عليه . فبينما هما في الحديث اذ دخل برجوان فقال للحاكم : يا امير المؤمنين الحر شديد والبزاة في مثله لا تصيد . فقال : صدقت ولكننا ندخل البستان ونطوف فيه ساعة ونخرج . وانفذ برجوان الى شكر وكان قد ركب بان يسير مع الموكب الى المقس والمقس ظاهر القاهرة ويقف عند القنطرة « فان مولانا يخرج من البستان ويتبعك » ففعل ودخل الحاكم البستان وبرجوان خلفه وزيدان بعده وكان برجوان خادماً ايض اللون تام الحلقة فبدره زيدان فضربه بين اكتافه بسكين اطلعها من صدره فقال : يا مولانا غدرت . فصاح الحاكم : يا عبيد خذوا راسه . وتكاثر الخدم عليه فقتلوه وخرج الخدم الكبار مسرعين

(١) وفي تاريخ الاملاط للحافظ الذهبي في ترجمة برجوان سنة ٣٩٠ هـ زيدان ويقال ان الحاكم قتله في سنة ٣٩٣ وفي حاشية « كتب المصنف » زيدان « بالزاي المنقوطة ولا شك انه بالراء المهملة والياء تنسب الريدانية . وفي الخطط للمقرئ ان الريدانية هي بستان لريدان الصقلي الذي قتله الحاكم في السنة المذكورة وان صجراً الاهليج هي من جملة بستان ريدان

على ظهور الخيل الى الجانب وبغال الموكب والجوارح فردوا جميعها فقال لهم شكر : ما السبب في ذلك ! فلم يجيبوه فجاء الناس من هذا الحادث ما لم يكن في الحساب وعاد شكر بالموكب وشهر (38^٢) الجند سيوفهم وهم لا يعلمون ما الخبر غير انهم خائفون على الحاكم من حيلة تتم عليه من الحسن بن عمار ورجع اكثرهم الى دورهم فلبسوا سلاحهم ووافوا الى باب القصر وتميز المغاربة والمشاركة واحدق شكر ومن معه من الاتراك والمشاركة القصر وعلا على شرف القصر الخدم في ايديهم السيوف والتراس وعظم الامر واجتمع القواد وشيوخ الدولة وابو العلاء الوزير على باب القصر الزمرد . فلما راي الحاكم زيادة الاختلاط ظهر من منظره على الباب وسأم على الناس فترجلوا عن دوابهم الى الارض وقبلوها بين يديه وضربت البوقات والطبول وفتح باب القصر واستدعى اصحاب الرسائل وسلمت اليهم رقعة قد كتبها الحاكم بيده الى شكر واكابر القواد يقول فيها : انني انكرت على برجوان امورا اوجبت قتله فقتلته فالزموا الطاعة وحافظوا على ما فيها في رقابكم من البيعة الساخوة . فلما قرئت عليهم قبلوا الارض وقالوا : الامر لمولانا . واستدعى الحسين بن جوهر وكان من شيوخ الدولة فامر به بصرف الناس فصرفهم وعاد الحاكم الى قصره وكل من القواد الى داره والنفوس خائفة من فتنة تحدث بين المشاركة والمغاربة وشاع قتل برجوان وركب مسعود الحاكمي الى داره قبض على جميع ما فيها من امواله . وجلس الحاكم وقت العشاء الاخير واستدعى الحسين بن جوهر وابا العلاء بن فهد بن ابراهيم الوزير وتقدم اليه باحضار سائر كتاب الدواوين والاعمال فعمل وحضروا واصلهم اليه وقال لهم : ان هذا فهدا كان امير كاتب برجوان عبدي وهو اليوم وزيري فاسمعوا له واطيعوا ووفوه شروطه في التقدم عليكم وتوفروا على مراعاة الاعمال وحراسة الاموال . وقبل فهد الارض وقبلوها وقالوا : السمع والطاعة لمولانا . وقال لفهد : انا حامد لك وراض عنك وهؤلاء انكتاب خدمني فاعرف حقوقهم واجمل معاملتهم واحفظ حرمتهم وزد في واجب من يستحق الزيادة بكفايته وامانه . وتقدم بان يكتب الى سائر ولاة البلاد والاعمال بالسبب الواجب لقتل برجوان . فكتب بما نسخه بعد التصدير وما جرت العادة (39^٢) بمثله في الخطاب : اما بعد فان برجوان ارضى امير المؤمنين حينما فاستعمله ثم اسخطه فقتله واعلمك امير المؤمنين ذلك لتعلمه وتجري على سننك الحميد في خدمته ومذهبك الرشيد في طاعته ومتاصحت وتسد يد ما قبلك من الامور وطالعه بما يتجدد لديك من احوال الجمهور

ان شاء الله . وتُقدت الكتب بذاك واستقامت الاحوال على سنن الصواب وزال ما
خيف من الاختلال والاضراب

ولاية القايد تميم بن اسمعيل المغربي

الملقب بفحل لدمشق سنة ٣٩٠

لا هلك جيش بن محمد بن الصمصامة على ما تقدم الشرح فيه عقيب اغرقه في
الظلم وايغاله في سفك الدماء والجور وكان هلاكه في يوم الاحد لتسع خلون من شهر
ربيع الاخر سنة ٣٩٠ وكانت مدّة ولايته التي هلك فيها على ما صح في هذه الرواية
دون ما تقدم ذكره ستة عشر شهراً وستة عشر يوماً وانتهى الخبر الى مصر بذاك وقع
الارتياح لمن يختار لولايتها بعد المذكور فوقع الاختيار على القايد تميم بن اسمعيل المغربي
الملقب بفحل فوصل اليها واقام بها وامر ونهى وبقي شهراً من سنة ٣٩٠ وعرضت له
علة هلك بها ومضى لحال سبيله فلما انتهى خبر وفاته الى مصر وقع الاعتماد في
ولايته على القايد علي بن جعفر بن فلاح وقد كان وليها دفعة اولة

شرح ذلك

وصل القايد علي ابن جعفر بن فلاح الى دمشق والياً عليها دفعة ثانية فزل عليها
في يوم السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٩٠ واقام مدّة يتولّى امرها ويدبر احوالها
على عادة الولاة الا انه لم يسطر يده في مال ولا تعرض لشي من استغلال ثم اقتضت
الآراء بمصر ان يُصرف عنها ويُبدل بغيره في ولايتها

ولاية القايد ختكين الداعي

المعروف بالضيف في سنة ٣٩٢

وصل القايد ختكين الداعي المعروف بالضيف الى دمشق والياً عليها من قبل
الحاكم باسر الله في شهر رمضان من السنة فدبر امورها ونظر في احوال اجنادها .
واقضى رايه ان ينقص واجبات الاجناد ويدافع باعطيّاتهم ويغالطهم ويظهر امراً من
التوفير فلم يتمكن (39^٢) من بلوغ مرام ولا نيل امل واتفق ان يكون القايد علي بن
فلاح المقدم ذكره مقيماً في عسكره في الشامية بظاهر دمشق فلما طلبت الاجناد
ارزاقها منه قال لهم: ليس اليّ من امر ارزاقكم شيء . فكان على تدبير المال واطلاق

الارزاق رجل من الكتّاب نصراني يقال له ابن عبدون فشغب الجند في العسكر فثاروا يريدون ابن عبدون فلاحقوا ختكين الوالي في الطريق فنهاهم من ابن عبدون وشتيمهم وكان رجلاً جاهلاً احمق فرجع اليه قوم من الجند فسألوه فلم يجب الى ما يوافق اغراضهم ويسكن شغبهم فثارت الفرسان والرجالة الى دور الكتّاب فانتهبوا ما كان فيها ونهبوا ما كان في الكنائس واجتمع بعد ذلك جماعة من المشارقة والمغاربة فتحالفوا على ان يكونوا يداً واحدة في طلب الارزاق والمنع ممن عساه يطالبهم بما فعلوه وحلف لهم القائد علي بن فلاح على كونه منهم وشده معهم وانتهى الامر في ذلك الى الحاكم فقال: هذا قد عصي وخرج عن مشكور السياسة . وامر بصرفه عن الولاية والاستبدال به وكتب اليه بذلك فرحل عنها بنفريسير من اصحابه في شوال من السنة المذكورة وبقي العسكر في دمشق . فاقضى الراي الحاكمي ردّ ولاية دمشق الى رجل اسود بربري يقال له القائد طزملت بن بكّار

ولاية القائد طزملة (١) بن بكّار البربري لدمشق

في بقية سنة ٣٩٦

وصل القائد طزملت المذكور الى دمشق والياً عليها من قبل الحاكم بامر الله في يوم الاحد لست بقين من ذي القعدة من السنة وكان هذا طزملت عبداً لابن وفري والي القيروان فولاه طرابلس الغرب فجار على اهلها وظلمهم واخذ اموالهم فحصل له منهم مالٌ عظيم فلما انتهى خبر ظلمه الى مولاه طلبه والتبس إشخاصه الى القيروان لكشف الامر فخافه وانهمز اشفاقاً على نفسه وماله ووصل الى مصر وحمل بعض ما كان معه الى الحاكم فتمكنت حاله عنده وتأثت منزلته منه وولاه دمشق فاقام والياً عليها الى المحرم سنة ٣٩٤ فصرف عنها بخادم من خدم الحضرة يقال له القائد مفلح اللحياني وسنشرح حاله في غير هذا المكان . كان في سنة ٣٩٣ قد اجتمع في مصر ابو ظاهر محمود بن محمد النحوي (40) وكان من اهل بغداد وطرا الى مصر (واليه ديوان

(١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام ان في ربيع الاخر من سنة ٣٩٣ امر نائب دمشق بمصوات الاسود الحاكمي بنفري فطيف به على حمار ونودي عليه : هذا جزاء من يحب ابا بكر وعمر . ثم امر به فأخرج الى الرطة فحُرب عنقه هناك رضي الله عنه ولا رضي من قاتله

الحجاز) (و) المعروف بابن العدّاس المصري (واليه ديوان الخراج) على الرفع على ابي
العلاء فهد بن ابرهيم للوزير والسعاية به الى الحاكم وعملا عملاً بما اقتطعه وارتفق
به واشتمل ذلك على حمة كبيرة من المال واقيا الحاكم بالعمل ووقفاه عليه وبذلا له
القيام بالامر وتوفير ستة الف دينار في كل سنة فكان فهد ياخذها لنفسه فقال لها:
انا اقبض عليه واقلد كما انظر فيما كان ينظر فيه . فقالا : لا يتم امر ولا يثي لنا
عمل وفهد حي مامول الخروج من محبسه والعود الى امره سيما وكل من بمصر
والشام من الولاة والعمال ينساع برجوان وقد جرى اصطناعه اياهم على يده .
فامتنع عليهما من قبله وكره قتله وقال لها : ما له اليّ ذنب فاقتله به ! وراجعا القول
والحا عليه فيه فقال : اذا فعلت ما اردتاه فما التوثقة فيما بذلتاه ؟ قالوا : ان
نكتب خطنا لك باننا نكفيك امورك ونقوم بشئتها على مرادك وقيم لك وجه
المال الذي ضننا استخراجك لك وتوفيره من الاعمال . قال : فأيكما يخرج الى
الشام ؟ قالوا : عبدك ابن النحوي ويقيم ابن العدّاس بمحضرتك . فقرر ذلك معهما
واخذ به خفئهما . وكان من عادة الحاكم ان يطوف ليلاً بمصر والقاهرة وقد منع
التجار وارباب الدكاكين ان يتأقروا دكاكينهم او ينصرفوا عنها الى منازلهم حتى
صار الليل نهراً في مجاملاتهم (و) من اشغال السرج والشع واضاءة الخال والاسواق
تقرباً اليه ويطلق لهم المعونة الكثيرة على ذلك ويقت على دكاكينهم ويحتاز بينهم ولا
يقدر احد ان يقوم له او يتبل الارض بين يديه فلما عاد في تلك الليلة سحراً من طوفه
امر مسعوداً السفي بان ينهي الى فهد بن ابرهيم الوزير يستدعيه فاذا دخل بحجره
ضرب عنقه واحضر راسه وان يقبض على ابي غالب اخيه وكان شريراً مبغضاً واليه
ديوان النفقات فمضى ووجد فهداً في الحمام فانتظره حتى خرج ثم استركبه واشعره انه يراد
بغيره واترعج اولاده واهله وساءت ظنونهم فيه ووصل مسعود الى باب الرهومة وهو باب
من ابواب القصر فعدل به الى محببة العطب فلما راي فهد ذلك احس (40^٧) بالهلاك
فصاح واستغاث وبكى ولاذ بالعفر وبكى الناس لما شاهدوه من حاله وعرفوه من الامر
الذي يراد به وادخله مسعود الى الحجرة فاقسم عليه فهد ان يراجع الحاكم في بابه وبذل
له الف دينار وتوفير مثلها فقال له مسعود : لا سبيل الى المراجعة بعد ما أمرت به .
وضرب عنقه واخذ راسه وحمله الى حضرة الحاكم فلما شاهده امره ان يخرج راس كل
من يقتله من وجوه الدولة الى قائد القواد فلما رآه اسقط مغشياً عليه وعاد مسعود

ليقبض على ابي غالب اخيه فوجده قد هرب فأعلم الحاكم ذلك فامر بطلبه حتى ظفر به
 بعد شهر وغير حليته وحلق لحية فالحقه باخيه . واحضر اولاد فهد فخلع عليهم وكتب
 لهم سجلاً بصياتهم وحماية دورهم وازالة الاعتراض عنهم وعن اسبابهم . ونظر ابن
 العدّاس في الاعمال وشرع في تهذيب الامور وتوفير الاموال وتوجه ابن النحوي الى
 الشام على القاعدة المقررة مع الحاكم وكان قد عدّ ما يحتاج اليه من آلة السفر والتجمل
 واستكثر من ذلك وتاهى فيه وهابه الناس وتجنّبوه ووصل اولاً الى الرملة فقبض على
 العمّال والمتصرفين فيها وعسفهم والزهم بمائتي الف دينار ووضع السوط والعصا في
 المطالبة وبث اصحابه ونوابه الى دمشق وطبرية والسواحل بعد ان واقفهم على اخذ
 العمّال والمتصرفين في الاعمال ومصادرتهم وخبط الشام وعسف من فيه بطلب المال .
 وكان في جملة العمّال رجل نصراني يتعلّق بخدمة ست الملك اخت الحاكم وله منها رعاية
 مؤكدة فكذب اليها يستصرخ بها ويشكو ما تزل بالناس من البلاء اليها وما شمل
 الشام واهله من ابن النحوي وما بسط فيه من الظلم والعسف والجور بما لم يجز بمثل
 عادة في قديم الازمان ولا حديثها فلما وصل الكتاب اليها ووقفت عليه دخلت على
 الحاكم وكان يُشاورها في الامور ويعمل براياها ولا يخالف مشورة لها فرضت عليه
 ما قضته الكتاب من الشكوى وقالت : يا امير المؤمنين قد ظهر كذب ابن النحوي
 وابن العدّاس واعمالهما الحيلة على فهد وقتله مساعدةً للحسين بن جوهر وقد افسد البلاد
 عليك واوحش الناس منك فان كنت يا امير المؤمنين (41^٢) تريد اخذ اموال هيندك
 فكل يبذلها لك طوعاً ويحملها الى خزائنك تبرعاً بعد ان يكونوا تحت ظلّ الصيانة وفي
 كنف الحياطة هذا ولم تجر عادات ابائك اطلاق المصادرات . فانكر الحاكم انه لم
 يسمح لاحد منهما في ذلك وكتب الى وحيد والي الرملة سرّاً وكان الحاكم يكتّم السر
 شديداً : بسم الله الرحمن الرحيم يا وحيد سلمك الله ساعة وقوفك على هذا الكتاب اقبض
 على محمود بن محمد لا حمد الله امره وسيره مع من يوصله من ثقاتك الى الباب العزيز ان
 شاء الله . فلما وقفت اخته على التوقيع قالت : يا امير المؤمنين ومن هذا الكلب حتى ترفع
 من شاة بجمله الى خضرتك وبطن الارض اولى به . فاخذ الكتاب وزاد فيه : بل تضرب
 عنقه وتنفذ راسه . ونخم الكتاب ثلثة ختوم واحضر سعيد بن غياث صاحب البريد
 ودفعه اليه فيادر به من وقت ومسافة ما بين القاهرة والرملة مائة فرسخ وكانت النوبة
 توافيها في الساعة الثالثة من اليوم الثالث ووصل الكتاب الى وحيد وكان عادته الى

ابن النحوي دائماً وربما اوصله او حجه فلما وقف على الكتاب قال لدُرّي غلامه الناظر في المعونة وكان ارمياً فظلاً غليظاً: اركب الى محمود (وكان مخيماً بظاهر الرملة) واستأذن عليه فاذا اوصلك فابلغه سلامي واسئله الركوب اليّ لاقفه على ما ورد من حضرة السلطان فان قال لك « لم تجر بذلك عادته » قتل: كذا أمرتُ فيما ورد. فضى دُرّي اليه وبين يديه جماعة كثيرة من الرجال حتى رافى عسكر محمود واستأذن عليه ودخل اليه وقال له ما قاله وحيد الوالي فقال له: لم تجر بذلك العادة فيما تسوّمنيه وفي غدٍ نجتمع. فاجابه بما قال له وحيد فلما سمعه ضعفت نفسه وساء ظنه ولم يمكنه مخالفته فركب في مركبه وتوجه الى دار وحيد وصار الى وحيد من اعلمه ركوبه فتقدم الى بعض حجابيه وصاحب الخبر برملة بان يتلقياه فاذا لقياه اترلاه عن دابته وضربا عنقه واخذوا راسه ففعلوا ما امرهما وحين وصل سوق البر صادفاه واطرلاه بعد ثمنه فاقعما به وقطعا راسه وحمله الى وحيد فاحضر القاضي والشهود وكتب محضراً بان الراس راس محمود وصيرته وانقذه مع الحضرة الى صاحب البريد فاسرع (41^٧) به الى مصر وقبض على اصحابه واسبابه وامواله وكراعه. وسرّ الناس بهلاكه وتباشروا بما كفوه من شره ووصل الراس الى الحاكم فاحضر ست الملك فاراها اياه فدعت له وشكرته على ما كان منه وامر مسعود بان ياخذ ابن العدّاس من بين يدي قائد القوّاد الحسين بن جوهري فتضرب عنقه بحضرته وياخذ راسه ويضيفه الى الراس ففعل فلما اجتمع الراسان بين يديه امره ان يخرجهما الى قائد القوّاد فانخرجهما اليه فلما شاهدهما جزع جزعاً شديداً ثم استدعاه الحاكم وسكن منه وامره ان يستئيب ابا الفتح احمد بن محمد بن افلح على النظر في الامور فاقام في النظر سنة ونصفاً ثم قُتل وأقيم مقامه يحيى بن الحسين بن سلامة النصراني. وكثر الكلام على قائد القوّاد والوقائع فيه فشكر الحاكم عليه وتغيّر له وهم بالايقاع به وصرفه عن الوزارة وعول فيما كان اليه على علي بن صالح بن علي الروذباري ولقبه بشقة الشقات وردّ اليه السيف والقلم فنظر في الامور ودبر الاعمال وحفظ وجوه المال والاستغلال تقدير سنتين ثم تغيّر له وتأول عليه وقتله وقلّد مكانه المعروف بمنصور بن عبدون. وكان رجلاً نصرانياً خيئاً جلدًا وبينه وبين ابي القاسم الحسين ابن علي بن المغربي ووالده ابي الحسين عليّ عداوة قديمة ومساعة ووقائع متصلة لأن ابا القاسم صرف به عن ديوان السواد فواصل ابو القاسم الواقعة فيه والكلام عليه وعلى الكتاب النصاري الى ان قبض على جماعتهم فلما حصلوا في القبض امر الحاكم بان يضرب

كل واحد منهم خمسمائة سوطاً فان مات رمي به الكلاب وان عاش أُعيد ضربه الى ان يموت فبذل منهم جماعة مالا عظيماً على ان يستبقوا فلم يقبل منهم واستمرت الشحنة بينهم

ولاية القائد ابي صالح مفلح اللحياني المقدم ذكره

وشرح الحال في ذلك لدمشق سنة ٣٩٤

وصل القائد ابو صالح مفلح الخادم المعروف باللحياني الى دمشق والياً عليها في المحرم سنة ٣٩٤ فتولى امرها وامر ونهى في اهلها وكان القائد طرملت المصروف عنها قد برز الى دارياً فلم يلبث الا قليلاً واعتلّ فيها علة قضى نحبه فيها في يوم الاثنين الثاني من صفر من السنة واقام القائد ابو صالح والياً عليها وسائساً لامور اهلها (42) والاحوال مستقيمة على نهج الصواب والسداد وقضية المراد الى ان صرف بالقائد حامد بن ملهم وسياتي شرح ذلك في موضعه . وقيل ان منصور بن عبدون الناظر في الدواوين بمصر لم يزل بنو المغربي المقدم ذكرهم مستمرين على الواقعة فيه والتضريب بالسعاية عليه وافساد راي الحاكم فيه وهو يعتمد فيهم مثل ذلك ويغريهم بهم ويحملهم على قتلهم حتى تقدم الى جعفر الصقلي وكان قد قام مقام مسعود السيفي في القتل ان يحضر علياً ومحمداً ابني المغربي ويدخلهما الحجرة ويضرب اعناقهما ففعل ذلك ثم امره ان يحضر ابا القاسم الحسين بن علي المغربي واخويه ويقتلهم فاماً الاخوان فانهما أخذوا بعد ثلاثة ايام وقتلاً واما اخوهما ابو القاسم الحسين بن علي فاستتر واعمل الحيلة في النجاة وهرب مع بعض العرب وحصل بجلّة حسن بن الفرّج بن دغل بن الجراح فاستجار فاجاره وانشده عند دخوله عليه وایمانه متن يطلبه منه ما يستنهض عزيمته فيه من الاجارة له والذب عنه والمرماة دونه :

أما وقد خيئت رسط الغاب	فليقسون على الزمان عتاي
يترنم الفولاذ دونه تحيي	وترزع الخرصان دونه قباي
واذا بنيت على الثنية خيبة	شدت الى كسر القنا اطناي
وتقوم دوني فتية من طي	لم تلتبس اثوابهم بالعاب
يتناثرون على الصريخ كأنهم	يدعون نحو غنائهم ونهاب
من كل اهرت يرتقي حلاقه	بالجر يوم تسايغ وضراب

يَهْدِيهِمْ حَسَّانُ يَحْمِلُ بَرْهَ
يَجْرِي الْحَيَاءُ عَلَى اسِرَّةٍ وَجْهَهُ
كَرَمٌ يَشْقُ عَلَى التَّلَادِ وَعَزَمَةٌ
وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا بَنَ مُفَرَّجٍ
وَالْمَوْتُ مُلْتَفٌ الذَّوَابُ بِالْقَتَا
فَرَأَيْتُ وَجْهَكَ مِثْلَ سَيْفِكَ ضَاحِكًا
(42^٧) وَرَأَيْتُ يَتَكَ لِلضَّيْفِ مُمَهَّدًا
يَا طَيِّبُ الْخَيْرَاتِ بَيْنَ خَلَائِكُمْ
سَسَكْتَ خِيَامَكُمْ بِاسْنِمَةِ الرُّبَا
وَتَدُلُّ ضَيْفَكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْوَرُ
مَتَبَرِّجَاتٍ بِالْفِغَافِ وَبَعْضُهُمْ
كَأَلَتْكُمْ مِنْ يُعَادِي هَيْبَةً
فَقَسِيرُ جَيْشِكُمْ بَغِيرَ طَلِيعَةٍ
تَتَهَيَّيُونَ وَلَيْسَ فِيكُمْ هَائِبٌ
وَلَكُمْ إِذَا اخْتَصَمَ الْوَشِيحُ لِبَاقَةً
فَالرُّمْحُ مَا لَمْ تُرْسَلُوهُ أَخْطَلُ
يَا مَعْنُ قَدْ أَقْرَرْتُمْ عَيْنَ الْعَلِيِّ
جَاوَرْتُكُمْ فَلَا تُتِمُّ عَيْنِي الْكَرَى
مَنْ بَعْدَ ذُنُورٍ كَانَ اخْفَازًا ضَلَعِي
وَوَجَدْتُ جَارَ أَبِي النَّدَى مَتَحَكِّمًا
فَلِيهِنَّ مِنْ عَلَى مُتَذَرِّهٍ
قَدْ كَانَ مِنْ حَكْمِ الصَّنَاعِ شَامِسًا
فَلَا نَظْمَنَ لَهُ عُقُودَ عَامِدِي
لَا جَادَ غَيْرَكُمْ الرِّبْعُ وَلَا مَرَّتْ
أَنَا ذَاكَ الرَّجُلَ الْمُنْدَدَ ذِكْرُهُ
وَلَقَدْ رَجَوْتُ وَلِلْيَالِي دَوْلَةٌ
فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّانُ بْنُ الْجَرَّاحِ هَذِهِ الْآيَاتِ هَشَّ لَهَا وَجَدَّ الْقَوْلَ لَهُ بِمَا سَكَنَ

جاشه وازال استيجاشه . وهذا ابو القاسم الحسين بن علي المغربي كان ذا علم وافير وادب ظاهر وبلاغة وذكاء وصناعة مشهورة في الكتابة ومضاء فاقام عنده ما اقام محترماً (43) مكرماً وجرى له ما يذكر في موضعه ثم رحل الى ناحية العراق وتقدم هناك في الايام القادرية ووزر للامير قرواش امير بني عقيل ووزر لابن مروان صاحب ديار بكر وكان مستقلاً بصناعتي الكتابة والانشائية والحسابية وحين مرض واشفي وصى بحمل تابوته الى الكوفة ودفنه في المشهد بها وفعل به ذلك (١٠١) ثم تغير الحاكم لمنصور بن عبدون فكتبه وقتله وقتل مكانه زرعة بن نسطورس الوزير واقبه بالشافي وذلك في سنة ٣٩٧ ووردت الاخبار بالوقعة الكائنة بين الفضل صاحب الحاكم وبين ابي ركة الخارج عليه وظفر الفضل به واخذه وحمله الى القاهرة وشهره بها وقتله فيها . وقيل ان ابا ركة لقب عليه بركة كانت معه في اسفاره على مذهب الصوفية واسمه الوليد أموي من اولاد هشام بن عبد الملك بن مروان ولنوبته في ذلك شرح يطول الا ان ابا ركة هذا لما انهزم في الوقعة قصد صاحب التوبة وتردد من الحاكم اليه بسبب مراسلات الى

(١) قال الذهبي في تاريخ الاسلام : في هذه الحدود (يعني سنة ٤٠٢) هرب من الديار المصرية ناظر ديوان الزمان بما وهو الوزير ابو القاسم الحسين بن علي المغربي حين قتل الحاكم اياه وعمه وبقي ابا علي الحاكم يسى في زوال دولته بما استطاع فحصل عند المفرج بن جراح الطائي امير عرب الشام وحسن له الخروج على الحاكم وقتل صاحب جيشه فقتله كما ذكرنا سنة ٤٠١ ثم قال ابو قاسم لسان ولد المفرج بن جراح : ان الحسن بن جعفر العلوي صاحب مكة لا مطعن في نسبه والصواب ان نصبه اماماً . فاجابه ومضى ابو القاسم الى مكة واجتمع باميرها واطبعت في الائمة وسهل عليه الامور وبايعه وجوز اخذ مال الكعبة وضربه دراهم واخذ اموالاً من رجل يعرف بالمطوعي عنده ودائع كثيرة للناس واتفق موت المطوعي فاستولى على الاموال وتلقب بالراشد باقه واستخلف نائباً على مكة وسار الى الشام فلقاه المفرج وابنه وامراء العرب وسلموا عليه بامرة المؤمنين وكان متقلداً سيفاً زعم انه ذو الفقار وكان في يده قضيب ذكر انه قضيب النبي صلعم وحوله جماعة العلويين وفي خدمته الف عبد قتل الرملة واقام العدل واستفحل امره فراسل الحاكم ابن الجراح وبعث اليه اموالاً استماله بها واحسن الراشد بالله بذلك فقال لابن المغربي : غرتني واوقنتني في ايدي العرب وانا راض من القيمة بالاياب والامان . وركب الى المفرج بن جراح وقال : قد فارقت نعمتي وكشفت القناع في عداوة الحاكم سكوناً الى ذمامك وثقة بقولك واعتماداً على عهدك وارى ولدك حساناً قد اصلح امره مع الحاكم واريد العود الى مائتي . فسيره المفرج الى وادي القرى وسير ابا القاسم بن المغربي الى العراق فقصد ابو القاسم فيخر الملك ابا علي (ابا غالب) فتوهموا فيه انه يفسد الدولة العباسية فتسحب الى الموصل ونفق على قرواش ثم عاد الى بغداد

ان انقذه اليه مع اصحابه وانفذ معه صاحباً له يهديا الى الحاكم وتسلم ابا ركة اخو
الفضل وحمله الى اخيه الفضل فسار وكان الفضل يقبل يد ابي ركة ويعظمه تأنيساً لئلا
يقتل نفسه قبل ايصاله واترله في مضاربه واخدمه نفسه واصحابه وكتب الحاكم بنجر
حصوله ووصوله . وكان الفضل يدخل عليه في غداة كل يوم الى خراكة قد ضرت له في
خيمه ويصبيه ويقبل يده ويقول له : كيف مولاي ؟ فيقول : بنجر يا فضل احسن الله
جزاك . ويحضره شرباً فيشرب بين يديه ثم يناوله اياه ويفعل مثل ذلك في طعامه الى
ان وصل الى الجيزة . فلما حصل بها راسله الحاكم بان يعبر هو والعسكر الذي معه ويتزل
على راس الجسر ويصل هو الى القاهرة ففعل ذلك وكان لا يمشي خطوات الا وقد تلقته
الخدم بالتشريف والحملان وهو يتزل عن فرسه ويقبل الارض ويعود الى ركوبه ولم يزل
على هذه الحال الى ان وصل الى القصر ودخل الى القصر على الحاكم فخدمه ودعا له
وشرح حاله الى ان ظفر بالعدو وخرج بعد ذلك الى داره . وتقدم وجوه القواد وشيوخ
الدولة بالمصير الى ابي ركة ومشاهدته ويقال (43) ان الحاكم قد مضى من غد ذلك
اليوم وقد رسم ان يشهر ويطاف به في مصر . واتفق دخول القائد ختكين الداعي
وكان قديماً صاحب دواة الملك عضد الدولة فسلم عليه وقال له : ألك حاجة الى امير
المؤمنين ؟ فقال له : من انت ؟ قال : فلان . قال : عرفت حالك وسدادك وأريد ان
توصل لي رقعة الى امير المؤمنين . فقال : اكتبها وهاتها . فاستدعى ابو ركة دواة من
اصحاب الفضل ودرجاً وكتب فيه : يا امير المؤمنين ان الذنوب عظيمة والدماء حرام بما
لم يحلها سخطك وقد احسنت واسأت وما ظلمت الا نفسي وسوء عملي أوبقني وانا اقول

فرت ولم يغن الفرار ومن يكن	مع الله لا يحجزه في الارض هارب
ووالله ما كان الفرار حاجة	سوى جزع الموت الذي انا شارب
وقد قادني جرمي اليك برمتي	كما اخر ميتاً في رحا الموت سالب
واجمع كل الناس انك قاتلي	ويا رب ظن ربّه فيه كاذب
وما هو الا الانتقام تريده	فاخذك منه واجباً لك واجب

ففضى ختكين الى الحسين بن جوهر فعرفه ما جرى واعطاه الرقعة فوقف عليها
الحاكم . ثم ركب جملاً وعليه طرطور وخلفه قردٌ معلمٌ يصفعه بالدرّة وكان الحاكم قد
جلس في منظره على باب من ابواب القصر يعرف باب الذهب فلما وقف به استغاث
وصاح بطلب العفو فتقدم الى مسعود السيفي بان يخرج به الى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه

على تلّ بازاء مسجد زيدان فلما حمل هناك وأُترل وُجد ميتاً فقطع رأسه وحمله الى الحاكم حتى شاهده وامر بصلب جثته . وكان الفضل قد قطع رؤوس من قُتل في الوقعة فقليل انها كانت ثلثين الف راس فلما سُهرت عُييت في السلال وسُيرت مع خدم شهروها في الشام حتى انتهوا بها الى الرحبة ثم رُميت في القرات . وقُدّم الحاكم الفضل واقطعه وبالغ في اكرامه الى ان عاده في علّة عرضت له دفعتين فاستعظم الناس فعله معه فلما عوفي عيل عليه وقتله

ولاية القائد حامد بن ملهم

المذكور اوّلا في سنة ٣٩٩

(44^٢) وصل القائد حامد بن ملهم الى دمشق والياً عليها لست بقين من رجب من السنة وقد كان القائد علي بن جعفر بن فلاح مستولياً على الجند نافذ الامر في البلد فورد كتاب عزله في يوم الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة وكانت مدّة مقامه في الولاية الى انصرافه ومسيره سنة واحدة واربعة اشهر ونصف شهر . ثم تولّى الامر بعده القائد ابو عبد الله ابن ترال فدخل الى دمشق وقُرى سجّله على منبر المسجد الجامع واقام المدّة اليسيرة ثم وافاه كتاب العزل في يوم الاحد رابع عشر شهر رمضان سنة ٤٠٠ فعزل وولّى غلام القائد منير فاقام المدّة اليسيرة ثم اتاه كتاب العزل فعزل وولّى القائد مظفر في يوم الاثنين اوّل شهر ربيع الاول سنة ٤٠١ فاقام في الولاية ستة اشهر وتسعة ايام ثم عُزل وولّى مكانه القائد بدر العطار فاقام في الولاية شهرين وعشرة ايام وعزل وولّى القائد اولو وثُقب منتجب الدولة وتولّى الامر في يوم الاحد لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ٤٠١ وتولّى في بيت لها وانتقل منها الى الدكة ثم الى مرج الاشعرين فاقام فيه اياماً ودخل القصر في الليل فلما اصبح دخل البلد وقُرى سجّله ولايته على منبر الجامع ووافى كتاب عزله فعزل وانصرف . وقيل في اخبار الحاكم بامر الله انه امر في سنة ٣٩٨ يهدم بيعة القمامة في بيت المقدس وهي بيعة عند النصارى جليّة في نفوسهم يعظمونها والسبب في ذلك ما اتصل به من هدم الكنائس والبيع بمصر والشام والزم اهل الذمّة النصارى ما قيل ان العادة جارية جارية بخروج النصارى بمصر في كل سنة في النيارات الى بيت المقدس بحضور فصيحهم في بيعة قمامة فخرجوا في سنة ٣٩٨ على رسمهم في ذلك متظاهرين بالتجمل الكبير على مثل حال الحاج في خروجهم فسأل

الحاكم ختكين العضدي الداعي وهو بين يديه عن امر النصارى في قصدهم هذه البيعة وما يعتقدونه فيها واستوصفه صفتها وما يدعونه لها وكان ختكين يعرف امرها بكثرة تردده الى الشام وتكرره في الرسائل عن الحاكم الى (44^٧) ولانها فقال: هذه بيعة تقرب من المسجد الاقصى تُعظمها النصارى افضل تعظيم وتُحج اليها عند فصيحهم من كل البلاد وربما صار اليها ملوك الروم وكبراء البطارقة متكررين ويحملون اليها الاموال الجثة والثياب والستور والفروش ويصوغون لها القناديل والصلبان والاواني من الذهب والفضة وقد اجتمع فيها من ذلك على قديم الزمان وحديثه الشيء العظيم قدر ما لمختلفة اصنافه فاذا حضروا يوم الفصح فيها واطهروا مطرائهم ونصبوا صلبانهم واقاموا صلواتهم ونواميسهم فهذا الذي يدخل في عتولهم ويوقع الشبهة في قلوبهم ويعلقون القناديل في بيت المذبح ويحتالون في ايصال النار اليها بدهن اللسان والله ومن طبيعته حدوث النار فيه مع دهن الزنبق وله ضياء ساطع وإزهار لامع يحتالون بحيلة يعملونها بين كل قنديل وما يليه حديدًا ممدودًا كهيئة الحيط مُتصلاً من واحد الى الآخر ويطلونه بدهن اللسان طلياً يُخفونه من الابصار حتى يسري الحيط الى جميع القناديل فاذا صاوا وحان وقت النزول فُتح باب المذبح وعندهم ان مهد عيسى عليه السلام فيه وانه عُرج به الى السماء منه ودخلوا واشعلوا الشموع الكثيرة واجتمع في البيت من انفس الخلق الكثير ما يحسي منه الموضع ويتوصل بعض القوام الى ان يُقرب النار من الحيط فيعلق به وينتقل بين القناديل من واحد الى واحد ويشعل الكل ويقدره من يشاهد ذلك ان النار قد نزلت من السماء فاشتعلت تلك القناديل . فلما سمع الحاكم هذا الشرح استدعى بشر بن سور كاتب الانشاء وامره بان يكتب كتاباً الى والي الرملة والي احمد ابن يعقوب الداعي بقصد بيت المقدس واستصحاب الاشراف والقضاة والشهود ووجوه البلد وينزلا على بيت المقدس وقصد بيعة قامة وفتحها ونهبها واخذ كل ما فيها وتفضها وتعفيه اثرها فاذا نجز الامر في ذلك يعملانه محضراً وفيه الخطوط وينفذانه الى حضرته . ووصل الكتاب اليهما فتوجهوا للعمل بما مثل اليهما وقد كانت النصارى بمصر عرفوا ما تقدم في هذا الباب فبادروا الى بطرك البيعة واعلموه الحال واندروه وحذروه فاستظهر باخراج ما كان فيها من الفضة والذهب والجواهر والثياب ووصل بعد ذلك اصحاب الحاكم (45^٨) فاحاطوا بها وامروا بنهبها واخذوا من الباقي الموجود ما عظم قدره وهدمت ابنتها . وقُلت حجراً حجراً وكُتب بذلك المعضر وكُتبت الخطوط فيه كما

رُسم وأُنفذ الى الحاكم (١) وشاع هذا الخبر بمصر فُسّر المسلمون به ودعوا للحاكم دعاء كبيراً على ما فعله ورفع اصحاب الاخبار اليه ما الناس من هذه الحال عليه فقرح بذلك وتقدم يهدم ما يكون في الاعمال من البيع والكنائس . ثم حدث من الامور والانتكار لمثل هذه الاعمال والاشفاق على الجوامع والمساجد والمشهد في سائر الجهات والاعمال من هدمها والقصد بمثل العمل لها فوقف الامر في هذا العزم

(١) وقال سبط ابن الجوزي : سكنت في البيت المقدس عشر سنين وكنتُ ادخل الى القيامة في يوم فصحهم وغيره ومجئتُ من اشمال القناديل في يوم الاحد عيد النور وفي وسط القمام قبة فيها قبر يعتقد النصارى ان المسيح عليه السلام لما صلب دفن فيه ثم ارتفع الى السماء فاذا كان ليلة السبت في السحر دخلوا الى هذه القبة فسلوا قناديلها ولهم فيها طاقات مدفونة في الرخام وفي الطاقات قناديل قد اوقدوها من السحر وللقبة شبابيك فاذا كان وقت الظهر اجتمع اهل دين النصرانية وجاء الاقساء فدخلوا القبة وطاف النصارى من وقت الظهر حولها يتوقعون نزول الثور فاذا قارب غروب الشمس تقول الاقساء « ان المسيح ساخط عليكم » فيضجون ويبكون ويرمون على القبر الذهب والفضة والثياب فتحصل جملة كثيرة ويردد القسيس هذا القول وهم يبكون ويضجون ويرمون ما معهم فاذا غربت الشمس اظلم المكان فيغافلها بعض الاقساء ويفتح طاقة من زاوية القبة بحيث لا يراه احد ويوقد شمعة من بعض القناديل ويصبح : قد نزل الثور ورضي المسيح . وتخرج الشمعة من بعض الشبابيك فيضجون ضجة عظيمة ويوقدون الفوانيس . ويحملون هذه النار الى عكا وصور وجميع بلد الافرنج حتى رومية والجزائر وقسطنطينية وغيرها تعظيماً لها .

وحديثي جماعة من المجاورين بالقدس قالوا : لما فتح صلاح الدين رحمه الله القدس وجاء يوم الفصح جاء بنفسه فدخل القبة وقال : اريد اشاهد نزول الثور . فقال له البطرك : تريد ان يضع عليك وعلى اموالنا عظيمة بعمودك عندنا فان اردت المال فقم ودعنا . فقام فما بلغ باب القبة حتى صاحوا : نزل الثور . فقال بعض الحاضرين : لقد زعم القسيس ان الله ينزل نوراً بكرة اليوم او غد فان كان نوراً فهو نور ورحمة وان كان ناراً احرق كل ممبدي يقربها القسيس من شر ذنوبه فان لم يجرقها والا اقطعوا يدي . وحديثي جماعة من اصحاب صلاح الدين رحمه الله انه مزم لما اخذ الفرنج عكا على ان يخرب قسامة ويعني اثارها وقال : يحضر البطرك والاقساء والنصارى ويمحرون مكان القبر حتى يطلع الماء ويرى التراب في البحر ويقول « هذا تراب قبر الحكم » لتقطع اطماعمهم عن زيارته ويستريح منهم . فقال له اعيان دولته : ان اطماعمهم لا تنقطع هذا وليس مرادهم مكان القبر انما هم يتقدمون في نفس القدس وقسامة عندهم افضل من غيرها وربما اخرجوا الجامع الذي بالقسطنطينية والمساجد التي في بلادهم وقتلوا من عندهم من المسلمين ثم اتهم انما يصانمونك على القدس لاجل قسامة فاذا فعلت هذا زال ما يصالحونك لاجله ثم تبطل عليك اموال عظيمة فتتضرع وهم لا ينضرون . فسكت عن خراجها

ولاية الامير وجيه الدولة ابي المطاع

من حمدان لدمشق بالامر الحاكمي

وصل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان المعروف بذي القرنين الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة عيد النحر من سنة ٤٠١ فصلّى بالناس القائد لؤلؤ الوالي العيد وصلّى بهم الجمعة الامير وجيه الدولة وانصرف القائد لؤلؤ عن الولاية فكانت مدّة اقامته فيها ستة اشهر وثلاثة ايام وقُرى سَجَلُ الولاية على المنبر واقام المدّة التي اقامها ووصل القائد بدر العطار الى دمشق والياً على الغوطين والشرطة وجبل سير وعزل عنها وجيه الدولة بن حمدان في يوم الجمعة لسبع خلون من جمادى الاولى من السنة فاقام فيها مُدَيِّدَةً ووصل القائد ابو عبد الله بن تّزال عقيب وصوله الى دمشق والياً عليها ونزل في المزة ودخل القصر في يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى من السنة فدامت ولايته الى ان ورد كتاب عزله عنها وسار منها في يوم الثلاثاء سلخ ذي الحجة سنة ٤٠٦ فكانت مدّة ولايته ثلاث سنين وثمانية اشهر وعشرين يوماً. ووصل الامير شهيم الدولة شاتكين الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة ٤٠٧ واقام ما اقام في الولاية ووصل القائد يوسف بن ياروخ وهو ابن زوجة الامير شاتكين الوالي الى دمشق والياً عليها وقُرى (45٧) سجَلُهُ بالولاية في ذي القعدة من السنة وسار شهيم الدولة شاتكين الوالي الى مصر لثان خلون من جمادى الآخرة سنة ٤٠٨ ووصل الامير سديد الدولة ابو منصور والي دمشق والياً عليها في يوم الاحد لحس بقين من ذي القعدة سنة ٤٠٨ فنزل المزة ودخل القصر في غد ذلك اليوم فما شعر الا وكتاب العزل قد وافاه يوم الاحد لحس خلون من ربيع الآخر من سنة ٤٠٩ فبرز من يومه الى المزة وسار من غده ووصل كتاب ولي عهد المسلمين عبد الرحمن بن الياس اخي الحاكم الى القائد بدر العطار في يوم السبت ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٤١٠. يأمره بضبط البلد ووصل بعد ذلك ابو القاسم عبد الرحمن وقيل عبد الرحيم ولي عهد المسلمين ابن الياس بن احمد بن العزيز بالله الى دمشق في يوم الثلاثاء لحس بقين من جمادى الاولى سنة ٤١٠ فنزل في المزة فاحسن تلقّيه وبلغ في اكرامه والاعظام له والسرور بمقدمه وكان ذلك له يوماً مشهوداً موصوفاً ودخل القصر في يوم الاثنين مستهل رجب فاقام فيه الى يوم الاحد لثان بقين من شهر ربيع الاول سنة ٤١١

فلم يشعر ألا وقوم قد مُجِّدوا اليه من مصر فهجموا عليه وقتلوا جماعة من اصحابه وساروا به في يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الاول وعاد بعد ذلك الى دمشق في رجب سنة ٤١٢ وتزل في القصر. واكثر الناس في التعجب من اختلاف الاراء في تدبير هذه الولايات وتنقل الاغراض والاهواء فيها ولم يشعروا وهم يتعجبون من هذه الاحوال واستمرار الاختلال ألا وقد وصل من مصر العروف باين داود المغربي على نجيب مسرع ومعه جماعة من الخدم في يوم الاحد في يوم غرقة بسجل الى ولي عهد المسلمين المذكور ودخلوا عليه القصر وجرى بينه وبينهم كلام طويل ألا انهم اخرجوه من القصر وضرب وجهه واصبح الناس في يوم العيد لم يصلوا صلاة العيد في المصلى ولا في الجامع ولا خطب خطيب وساروا بولي العهد في اليوم المذكور الى مصر (١) فزاد عجب الناس وحاروا فيما هم فيه وتشاكوا ما ينزل بهم من الاحوال المضطربة (٤٦) والاعمال المختلفة. فوصل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان الى دمشق والياً عليها دفعة ثانية بعد اولى وكان اديباً فاضلاً شاعراً سامياً مدبراً في يوم السبت لست خلون من جمادى الآخرة سنة ٤١٢ فاقام في الولاية مدة. ووصل الامير شهاب الدولة شحاتين الى دمشق والياً عليها في يوم الثلاثاء لسبع خلون من رجب من ذي القعدة سنة ٤١٤ فكانت

(١) قال الذهبي في ترجمته: انه رخص الناس فيما كان الحاكم يحاكم عنه واظهر المنكر والاغاني والتمور فاحبه احداث البلد ولكن ابغضه الاخبار لبعده وكاتبوا فيه الى الحاكم وحذروا من خروجه ووقع الشر بين الجند والاحداث بسببه وازداد البلاء. ووقع الحرب بدمشق والذهب والحريق الى ان طلب من مصر فار على راس عشرة اشهر من ولايته. ثم رجع اليها بعد اربعة اشهر وقد غلب على دمشق محمد بن ابي طالب الجرار والثفت عليه الاحداث وحاربوا الجند فقهرهم فراسله ولي العهد ولاطفه فلم يطعه فتوئب الجند ليلة على محمد بن ابي طالب وقبضوا عليه وصلبوه ودخل ولي العهد ويتكهن فاخذ في مصادرة الرميته وبالغ فابغضوه. فجاءهم موت الحاكم فقام ابنه الظاهر ثم جاء كتاب الظاهر الى الاسراء بالقبض على ولي العهد فقيده وسجن الى ان مات فقيل انه قتل نفسه بسكين في الحبس. وقد جرت فتنة يوم القبض عليه وكان يوم عيد النحر فلم يصل صلاة العيد ولا خطب لاحد البتة. وقال ايضاً: قد عمل شاعر في مصادره لاهل دمشق هذه القصيدة:

نقضى اوان الحرب والطن والضرب	وجاء اوان الوزن والصنع والضرب
اضحت دمشق في مصاب واهلها	لهم خبر قد سار في الشرق والغرب
حريق وجوع دائم ومذلة	وخوف فقد حقت البكاء مع الندب
واضحت تلالاً قد تمحت رسومها	كبعض ديار الكفر بالحسف والقلب

ولايته سنتين واربعة اشهر ويومين . ووصل الامير وجيه الدولة ابو المطاع بن حمدان الى دمشق واليا عليها دفعةً ثالثةً في يوم الاربعاء لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنة ٤١٥ فاقام في الولاية ما اقام مع اختلاف الاحوال الى ان تقررت الولاية لامير الجيوش التبري في سنة ٤١٩

ولاية امير الجيوش التبري الجلي

لدمشق في سنة ٤١٩ وشرح حاله

وابتداء امره والسبب في توليته وذكر شي . من اخباره الى انتهاء مدته بحكم غزاه عن الولاة المذكورين بالشجاعة والشهامة وحسن السياسة واجمال السير والنصفة في العسكرية والرعية وحماية الاعمال . ببيته المشهورة وبطنته المشكورة وتشتيت شمل اولي الفساد من الاعراب واستقامة الامور بابائته على قضية الايثار والمراد . هو الامير المظفر امير الجيوش عدة الامام سيف الخلافة عضد الدولة شرف المعالي ابو منصور انوشكين مولده ما وراء النهر في بلد الترك في البلد المعروف بمُخْتَل وُسِي منه وُحْمَل الى كاشغر وهرب الى بخارا ومُلك بها وُحْمَل الى بغداد ثم الى دمشق وكان شتم الوجه بين التركية وكان وصوله سنة ٤٠٠ فاشتراه القائد تبر بن اوفيم الديلمي وكان ندبه لحماية املاكه وصونها من الاذى فكفاه ذلك بشهامته وصرامته فاشتهر بذلك امره وشاع ذكره وُسُئِل مولا ان يهيده الامام الحاكم بامر الله وقيل بل وصله الامر بحمله فحمل في جملة غلمان في سنة ٤٠٣ (46٦) فاستطرف من بينهم وجعل في الحجرة قعر من بها من الغلمان وطال عليهم باليقظة والذكاء وجعل يلقب كل غلام بما يليق به فشكوه الى المتولي فضربه وتزايد امره فأخرج منها في سنة ٤٠٥ ولزم الخدمة وجعل يتقرب الى الخاص والعام بكل ما يجد السبيل اليه من التودد والاكرام لما يريد الله تعالى من اسعاد جده واظهار سعده فارضى الحاكم مذهبه في الخدمة وزاد في واجبه وقوته وسيره مع سديد الدولة ذي الكفائتين الضيف في العسكر الى الشام في سنة ٤٠٦ ودخل الى البلد دمشق ولقي مولا القائد دزبر فترجل له وقبل يده وصار يتودد الى الكبير والصغير وتزل في دار حيوس بحضرة زقاق عطاف ثم عاد الى مصر وجرد الى الريف في السيارة ثم عاد الى مصر ولزم الخدمة بالحضرة ولزم بعلبك واليا عليها وحسنت حاله فيها وانتشر ذكره بها وضادق ولالة الاطراف وكاتب عزيز الدولة فاتكاً

والي حلب وهاداه ولقب منتجب الدولة وورد الامر عليه بالمسير الى الحضرة فلما بلغ العريش وصله النجباء بالسجل بولاية قيسارية والامر بالعود اليها فشق ذلك عليه وقال : انقل من ولاية بعلبك الى ولاية قيسارية . وكان من حسن سياسته فيها وجميل عشرته لاهليها وحمايته لها ما ذاع به ذكره وحسن به صيته وكثر شكره . وورد الخبر بتتل فأتك والي حلب سنة ٤١٢ قتله غلام له هندي قد رباه واصطفاه وتوثق به واجتباها (كذا) وهو نائم عقيب سكره بسيفه وعمل فيه شاعره المعروف بمفضل بن سعد قصيدة رثاه بها وذكر فيها من بعض ابياتها

لحماني المقضي ربي عبده ولنحرمه المقري حداثا حسامه (١)

وكتب الى مجتبى الدولة بالمسير الى الحضرة فوصلها وولي فلسطين ووصل اليها في يوم الثلاثاء من المحرم سنة ٤١٤ وبلغ حسان بن مفرج بن الجراح خبره فقلق له وتخوفه ثم علا ذكره وظهر امره وكثرت عدته وعدته وقويت شوكته وجرت له وقائع مع العرب يستظهر فيها عليهم ويثخن فيهم فكبر بذلك شأنه ثم حسد وسعي فيه الى الحضرة وكوتب الوزير حسن بن صالح في بابه بامر قرره حسان (٤٧٦) بن مفرج بن

(١) وقال هلال ابن الصايي : وكان على حلب عند هلاك الحاكم عزيز الدولة فأتك الوجيدي وقد استفحل امره وعظم شأنه وحدث نفسه بالعصيان فلاتفته ست الملك وراسلته وآتسته وبشت اليه بالخلع والخليل بمراكب الذهب وغيرها ولم تزل تعمل الخيلة حتى افسدت غلاماً له يقال له بدر وكان مالك امره وغلماؤه تحت يده وبذلت له العطايا الجزيلة على النفسك به ووعده ان توليه مكانه . وكان لقائك غلام هندي بجواه فاستفواه بدر وقال : قد عرفت من مولاك ملأ لك وتغيرت نية فيك وعزم على قتلك ودافنته دفعت وانا اخاف عليك . ثم تركه اياماً ووهب له دنائير ثم اظهر له المعجة وقال : ان علم بنا الامير قتلنا . فقال الهندي : فما افعل . فاستحلفه وتوثق منه وقال : ان قلت ما اتول اعطيتك ما لا واعطيتك وعشنا جميعاً في طيب عيش . قال : فما تريد . قال : تقبله وتستريح منه . فاجابه فقال : الليلة يشرب وانا اسقيه واميل عليه فاذا سكر فاقتله . وجلس فأتك على الشرب فلما قام الى مرقدته حمل الهندي سيفه وكان ماضياً فلما دخل في اللحاف (وبدر على باب المجلس واقف) فلما ثقل في نومه غمز بدر الهندي فضربه بالسيف فقطع رأسه . فصاح بدر واستدعى الفلماني واقرهم بقتل الهندي فقتلوه واستولى بدر على القلعة وما فيها . وكتب الى اخت الحاكم فظهرت الوجد على فأتك وشكرت بدرأ على ما كان منه في حفظ الخزان وبشت له بالخلع ووهبت له جميع ما خلف مولاه وقلدته موضعه . ونظرت في الامور بعد قتل الحاكم اربع سنين اعادت الملك فيها الى غضارته وعمرت الخزان بالاموال واصطنعت الرجال ثم اعتلت علته لحقها فيها ذرب فتوفيت

وقال الذهبي : ماتت ست الملك اخت الحاكم التي قتلت الحاكم سنة ٤١٥

الجراح ونُسب اليه كل قبيح ومُحَال فاسترُذِن في القبض عليه فأُذِن في ذلك فقبض عليه بعسقلان بحيلة دُبِرَتْ لَهُ في سنة ٤١٧ وسأل فيه سعد السعداء فأجيب سؤاله بجلالة مكانه وأُطلق من الاعتقال ووصل الى الحضرة وحسنت حالته وظهرت هيئته وظهرت هيئة اقطاءه وغلماؤه ودوابه وهو مع ذلك ينفذ رُسله الى الشام وسائر الاعمال وتأثيه بالاخبار ويُطالع بها فكثير تعجب الوزير من يقظته ومضاء همته وعزمته . وكانت العرب بعده قد استولت على الاعمال وافسدت الشام وملك حسان املاك الملأك واتفق الحلف الجاري بين ارباب الدولة عقيب وفاة الحاكم وتوافع القواد والولاة الى ان تقررت الحال على صرف الوزير وتقليد الوزارة لتجيب الدولة علي بن احمد الجرجاني (١) فنظر في الاعمال وهذب ما كان مستولياً عليها من الاضاعة والاهمال . واقتضت الاراء وصواب التدبير تجريد العساكر المصرية الى الشام ووقع الاختيار في ذلك على الامير منتجب الدولة فاستدعاه الوزير علي بن احمد الجرجاني وقال له : ما تحتاج اليه لخروجك الى الشام ودمشق . فقال : فرسي البرذعية وخيمة استظل بها . فعجب الوزير من مقالته واستعاد فرسه المذكورة من سعيد السعداء وردّها اليه واطلق له خمسة الاف دينار واصحبه صدقة بن يوسف الفلاحى ناظراً في الاموال ونفقة الرجال وُجِدت العساكر معه ولُقِب بالامير مظفر منتجب الدولة وُخِّلِع عليه وخرج الى مُحَيِّمِهِ وَحَنَّةٍ من بُرْدٍ معه سبعة الف فارس وراجل سوى العرب وسار في ذي القعدة ٥٠٠٠ . وودّعه الامام الظاهر لاعزاز دين الله وعيّد بالرملة عيد النحر وسار الى بيت المقدس وجمع العساكر وقصد صالح بن مرداس وحسان بن مفرج وجموع العرب عند معرفته بتجميعهم ووقع اللقاء في الشَّوْانَةِ والتقى الفريقان فهزمت جموع العرب واخذتهم السيوف وتحكمت فيهم . وكان صالح ابن مرداس على فرسه المشهور فوقف به من كد الهزيمة ولم ينهض به فلحقه رجل من العرب يُعرف بطريف من فزارة فضربه بالسيف في راسه وكان مكشوقاً (٤٧٧) فصاح ووقع ولم يعرفه وتمّ في طلب فرسه فرّاً به رجلٌ من البادية فعرفه فقطع راسه وعاد يرقص به فلقبه الامير عزّ الدولة رافع فاخذه منه وجاء به الى الامير المظفر فلما رآه تزل عن فرسه وسجد لله شكراً على ما اولاه من الظفر وركب واخذه بيده وجعله على ركبته واطلق للزبيدي الذي جاء به الف دينار ولعز الدولة رافع خمسة الاف دينار واطلق لطريف الذي ضربه بالسيف فرسه وجوشنه والف دينار واخذ الفلماني الاتراك الذين

(١) قال الذهبي انه ولي الوزارة سنة ٤١٥

لصالح نفسه واحسن اليهم وتقدم بجمع الزروس وانتد جثة صالح الى صيدا لتصلب
على بابها واوصل راسه الى الحضرة وخلع على الواصلين به واعيدوا ومعهم الخلع وزيادة
الاقاب للامير المتجب وقرئ سجله عليه وصار يكاتب ويخاطب بالامير المظفر سيف
الامام وعدة الخلافة مصطفى الملك متجب الدولة . وقال فيه الامير ابو القينان محمد
ابن سلطان بن محمد بن حيوش من قصيدة امتدحه بها :

فكم ليلة نام عني الرقيب ونهني القصر المرتقب
جمت بها بين ماء الغمام وماء الرضاب وماء العنب
لجود المظفر سيف الامام وعدة المصطفى المتجب

ولا توجه عقيب ذلك الى حلب وتزل عليها ظفر بشبل الدولة نصر بن صالح
وكان قد انهزم ولحقه رجل فرماه بنحشت في كتفه فانفسذه ووقع عن فرسه ومرو به احد
الاتراك قطع راسه وسلمه الى رافع وانتد من يسلم جثته الى حماة فصلبت على الحصن
وامر امير الحيوش بد ذاك بانفاذ ثياب وطيب وتكفين الجثة في تابوت ودفنها في
المسجد وبقيت فيه الى سنة ٤٣٩ وتقلها مقلد بن كامل لما ملك حماة الى قلعة حلب .
وانتد الراس والتركي والبدوي مع الشريف الزيدي الى الحضرة في نصف شعبان سنة
٤٢٩ (١) وعاد امير الحيوش الى دمشق وتزل في القصر واقام فيها ما اقام وسار منها

(١) وقال هلال بن الصايي : في هذه السنة يعني العشرين بعد الاربمائة جهز صاحب مصر
جيشاً مع القائد انوشكين الدزبري التركي امير الحيوش لقتال صالح (وهو صالح بن مرداس
اسد الدولة ويعرف بابن الروقية) وحنان بن الفرّج بن الجراح وكانا قد هما واستوليا على
الاعمال وانتهيا الى غزة فلما بلغهما خبر الدزبري انصرفا من بين يديه وتبهما الى الاقحوانة اسفل
عقبة نيق وقاتلوا فانهزم حنان بن الفرّج وقتل صالح وابنه الاصغر وبعت الدزبري برأس صالح
الى مصر واقلت نصر بن صالح الاكبر الى حلب . واستولى الدزبري على الشام وتزل دمشق
وكتب الى صاحب مصر كتاباً مضمونه : الى سيدنا ومولانا ويوضح للمعلوم الشريفة انه كان قد
حرف اصطناع الدولة لآل الجراح ومقابلتهم احساناً بسوء الاجترار وكان اخلقهم بالشكر لما اوليه
حنان واحقهم بالكف من الاساءة اذ لم يكن منه في الطاعة احسان ولكن ابي الأطمع اللثيم ومعتقده
للقيم وكل له من غدة في الدين واضحة ورثة في اموال المستضعفين قارحة واما صالح بن مرداس
زعم بني كلاب فانه اتفق مع حنان مُدلاً بحده وحديده محلاً على الدولة بعد احسانها اليه بمسده
وعطيه قوامراً على الفساد وتوازرا على السناد وضرب البلاد وكان صالح اشدهما كفراً واعظمهما
امراً ومكرراً ودانى القروان الاقحوانة الصغرى عند شاطئ نهر الاردن ووقت الحرب واشتدت

الى حلب وتزل على السعدي وفتحت له ابواب البلد ودخله واحسن الى اهله ورد ما كان صالح اغتصبه من الاملاك الى اربابها وامر بقتال القلعة فقتلت وهو قائم ورأسه مقلد بن كامل المقيم بها وسلمها اليه واقطعه (48) عدة مواضع وسكن في دار عزيز الدولة وتزوج بنت الامير منصور بن زغب ووضله السجل من الحضرة باقطاعه حلب وعاد الى دمشق وشرع في عمارة الدار بالقصر . ثم بلغه عن الوزير علي بن احمد الجرجاني وعن الظاهر ما اوجب الاستيحاش منه والتفور عنه فعزم على العود الى حلب فظهر له من اجناده ما انكره فهشوا بالقيام عليه فسار من القصر بعد ان امر

بالطعن والضرب فانهم حسان مفلولاً والمانية للتحين ومن اصدق بن الله قبلاً (١) واما الخائن صالح فلم يزل يواصل الحملات حتى اتى الله جده واخذ سيف الله منه حذاه فخر صريعاً قد ارحق الله نفسه واخذت مفرسه وغنم المجاهدون سيفه وفروا وقد نفذ الى الحضرة رأسه وقتل عامة اصحابه ممن كفر النعمة وفجر ولم يقتل من الاولياء الثامين عليه غير ثلاثة نفر . والدزبري انوشكين لقبه متعجب الدولة وقيل مصطفى الدولة مظفر الدين ولا انخرم شبل الدولة نصر بن صالح الى حلب طمع صاحب انطاكية في حلب فجمع الروم وسار اليها واحاط بها فكبسه نصر واهل البلد فقتلوا معظم اصحابه وانخرم هو الى انطاكية في نفر يسير وغنم اموالهم وعسكرهم وقيل كبسه علي اعزاز فغنم منه اموالاً عظيمة

وقال ايضاً مؤرخ آخرو هو محمد بن مؤيد الملك : كان ابو صالح شبل الدولة صاحب حلب قد انتقل الى مصر رجلاً يقال له الايسر بعد ما هزم الروم على اعزاز وبث من غنائم تيناً كثيراً من الصباغات والآلات والاواني والخيول والبغال فاعجب ذلك الجرجاني الوزير واكرم رسوله وخلع عليه وبث معه الخلع الحليلة لشبل الدولة . وكان انوشكين الدزبري صاحب الشام مقيماً بدمشق فلم يزل رجل يقال له ابن كلبد يغري بين الدزبري وشبل الدولة حتى اوقع بينهما وكان ابن كلبد بمحضر فبعث الدزبري رافع بن ابي الليل امير الكليبيين الى قتال نصر بن صالح الى حلب فخرج شبل الدولة نصر بن صالح لقتالهم فاقتتلوا فقتل نصر في المعركة وذلك في شعبان . وسار الدزبري فقتل على جبل جوشن ظاهر حلب واغلق اهل حلب ابوابها وقتلوه فاستسلمهم وامنتهم ففتحوها له الابواب فدخلها . وكان في القلعة المقلد ابن كامل بن عم شبل الدولة فتراسلوا واستقر الامر على ان المقلد يأخذ من القلعة ثمانين الف دينار وثياباً واواني ذهب وفضة ويسلمها الى الدزبري وكانت خديعة فاجاب الدزبري فاخذ جميع ما كان في القلعة من الاواني والذخائر والجواهر وما ترك الا ما ثقل حماله وتزل ومضى الى حلب وحصل جمهور ما كان في القلعة المقلد . وأخذ عن الدولة ثمال بن صالح اخو نصر وكان قد انخرم الى القلعة يوم الواقعة واراد ان يعصي فلم يتوفق فاخذ خمسين الف دينار وانصرف . وبلغ الوزير بمصر فمزم عليه قتل نصر وما جرى في اموال القلعة من التفريط وكان ذلك مضاف الى سوء راي الدزبري . فكانت ولاية شبل الدولة نصر على حلب تسع سنين

الغلمان بنهب ما في القصر ووصل الى حلب ودخلها في يوم الاثنين لاربع خلون من شهر ربيع الآخر وتزل في دار سعد الدولة واجتمع بزوجه وابنته الواصلين من مصر ولازم الشراب وصح عليه جسمه . وبلغه وصول سبجل من مصر الى دمشق عن الحضرة قري على المنبر يقال فيه : اما بعد فانه قد علم الحاضر والبادي والموافق والمعادي حال انوشكين الدزيري الخائن وانه كان مملوكاً لذير بن اونيم الحاكم واهداه الى امير المؤمنين الحاكم بامر الله فنقله الى المراتب الى ان انتهى امره الى ما انتهى اليه فلما تغيرت نيته سلبه الله تعالى نعمته لقوله تعالى ان الله لا يتغير ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (١) فنشق هذا الامر عليه وضاق صدره لاسقاط نعمته وقلق لذلك وايس من العود الى دمشق وقد كان عازماً على العود . ثم وصله السبجل عن الحضرة صحبة بعض العرب نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ووليه الامام معد ابي تميم المستنصر بالله امير المؤمنين الى انوشكين مولى دزير بن اونيم الديلمي . اماً بعد فان الله بقضيته العادلة ومشيتته البالغة لم يك مغيراً ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١) مع ما انك اجرمت على نفسك في يومك وامسك واستوجببت بذلك مقام الحلول من نحسك فلا تجعل بعذاب الله عندما اسرفت وويل عقابه عندما خالفت فان الله تعالى يقول مخاطباً لذوي العقول فهمل الكافرين اهلهم رؤيداً (٢) وتالله لقد جددت بمسيرك الى حلب لبعد املك واقطاع اجلك وانما بقي لك الايام قلائل ويكثر لك الندم وتحل بك النقم ان الله لا يستحي ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها وان مثلك مثل شاة عطشانة ولهاثة ضائعة جائعة تزلت في مرج افيج غزير ماؤه كثير عشه (48^٢) ومرعاه فشربت ماءً واكلت عشباً فرويت بعد ظمائها وشبعت بعد جوعها واستحسننت بعد قبجها فلما تكامل حسننها ذبحت ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وان امير المؤمنين يضرب لك مثلاً عن جدّه المصطفى (صلعم) لما ائزل عليه « والضحي والليل اذا سبعا ما ودّعك ربك وما قال » الى قوله عز وجل : « ألم يجدهك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى » (٣) فبدلت النعمة ككفراً ووضعت موضع الخير شراً وقد انتهى الى حضرة امير المؤمنين افتخارك بجميع الاموال واكتناذك لها لامر يدهمك او ليوم ينفعك أفما قرأت القرآن العظيم اما تدبرت قول

١) Qur XIII, 12

٢) Qur: LXXXVI, 17

٣) QurXCIII, 1-8

الملك الرحيم في قصة قارون لما بغى وامتدى وازداد في الطغيان حيث يقول جلّ وعلا: « فحسبنا به وبيداره الارض » فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (١) اما رأيت الامم الماضية الذين عادوا الدولة ونصبوا لها العداوة الشديدة انظر الى ديارهم كيف قلّ فيها الساكنون وكثر عليها الباصكون قال الله تعالى: « فتلك بيوتهم جاوية بما ظلموا » إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون (٢) فاشتغل عن اصلاح العين وعن خطرك في حساب الفرقدين وافكر في ربّ المشرقين وربّ المغربين حيث يقول جلّ جلاله: « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهديناها النجدين » (٣) وقد عرف امير المؤمنين بكتاب الله الاعلى الذي نزل على خاتم الانبياء حيث يقول: « وسيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون » (٤) فلما سمع ما اشتمل عليه هذا السجل من الانكار والوعظ بالايات والتخويف عظم الامر عليه وضاق صدره لتغيّر النية فيه ورأى من الصواب اعادة الجواب بالثلطف والتتصل مما ظن به والاعتذار والترقى في المقال والاعتراف بما شمله قديماً وحديثاً من الاحسان والافضال. فكتب بعد البسملة: كتب عبد الدولة العلوية والامامية الفاطمية والحلافة المهدية عن سلامة تحت ظلمها ونعمة منوطة بكفها وهو متبرئ اليها من ذنوبه الموقنة واسائته المرهقة لا بُد بعفو امير المؤمنين متقبّل ان يكون في جملة المجرمين المذنبين عن غير اساءة اقترفها ولا جنسية احتجبها عائد بكرمها صابر لحكمها لقوله تعالى « وبشر الصابرين » (٥) وهو تحت خوف ورجاء وتضرع ودعاء قد ذلّت نفسه (٦٩) بعد عزّها وخافت بعد امنها ورسخت بعد رفعتها ومن يضلّ الله فما له من هادٍ (٦) واي قُرب لمن أبعدته واي رفعة لمن حطّطته والعبد يفتخرها شمع ويحدرها طال وبذخ فزلّت نصبته وطابت أرؤمته وسست فروعه وكان كقوله تعالى « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُصْلُهَا كُلَّ حِينٍ بَاذِنٌ رَّبِّهَا » (٧) فلما انكرت الدولة حاله وقبعت افعاله وادرت عليه خذاه الانصار وقلّ بعد الاكثار فصار كقول الملك الجبار مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجثّت من فوق الارض ما لها من قرار غير ان العبد يتوسّل بو كيد

(١) Qur. XXVIII, 81. (٢) Qur. XXVII, ٦٣. (٣) Qur. XC., 8.

(٤) Qur. XXVI, 228. (٥) Qur II., 1٥0 (٦) Qur. XIII, ٣٣.

(٧) Qur XIV, 29-30

خدمته وقديم نصيحته ومجاهدته لأعداء الدولة مذكراً قول الله تعالى «والذين قتلوا في سبيل الله فلن يُصلّ أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم» (١) وهو مع ذلك مُعترفٌ بذنوبه ما جناها ولساء ما اتاها ذاكرًا ما نزل الله في كتابه المبين على سيد المرسلين «واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم إن الله غفورٌ رحيم» (٢) عفا الله عن امير المؤمنين اهل بيت العفو والكرامة لجميع الامة وفيهم تزلت الآيات والحكم قال الله تعالى «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم» (٣) وليس مسير العبد الى حلب ينجيه من سطوات مواليه لقوله تعالى قل «لو كنتم في بروج مشيدة» (٤) والذين كُتِبَ عليهم القتل الى مضاجعتهم لكنه بعد توصله واعتارانه بمجرأته وذنوبه وتنصله يرجو قبول توبته وتهميد عذره في اتابته والله الامر من قبل ومن بعد ولا مير المؤمنين في كل قول وحد فقد وعد الله المسرفين على انفسهم فقال تعالى «قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسكم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم» (٥) واما ما رُقي الى الحضرة المطهرة عن العبد في كثرة الاموال وجمعها فذلك طباع ولد آدم في حب اللجين والعسجد وما عليه في الدنيا يعتمد فعوذ بالله ان يكون ذلك لمضادة او مقاومة او مكاثرة او مقابلة لكنها معدة للجهاد في اعداء امير المؤمنين ومبذولة في نصره (49^٧) اوليائه المخلصين اذ يقول تعالى وله المثل الاعلى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» (٦) ولقد قرئ على العبد القرآن العظيم فوجده منوطاً بطاعة امام الزمان وهو ولي العفو والغفران عن اهل الاساءة والعدوان مكرراً لقول الملك الديان «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» (٧) وانفذ هو الجواب صحبة الرسول الواصل بعد اكرامه وطلع عقيب ذلك الى قلعة حلب في يوم الاربعاء لعشر خلون من جمادى الاولى وبات ليلة الجمعة واقشعر جسمه وقت صلاة الظهر واشتدّت به الحمى فاحضر طبيباً من حلب وشرح له حاله فوصف له مُسهلاً فليماً حضر لم تطلب نفسه لشربه ولحقه فالج في يده اليمنى ورجله اليمنى وزاد قلقه وقضى نحبّه في الثلث الاخير من ليلة الاحد لاربعة عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ٤٣٦ . وله اخبار

١) Qur. XLVII, ٥-6 ٢) Qur. IX, ١٠٣ ٣) Qur. XXIV, 22

٤) Qur. IV, 80 ٥) Qur. XXXIX, ٥4 ٦) Qur. VIII, 62

٧) Qur. III, 128

محمودة في حسن السيرة والعدل والنصفة والذكاء والمعرفة وذكر المال الذي خلقه بقلعة حلب بعد وفاته ستمائة ألف دينار سوى الآلات والعروض وقيمة الغلات مائة ألف دينار وأخذ له من دمشق وفلسطين مائتا ألف دينار وكان له مع التجار خمسون ألف دينار ونهب له من القصر بدمشق مائتا ألف دينار. وخلف من الأولاد هبة الله من بنت وهب بن حسان ماتت أمه وعمره أربعون يوماً وابوه وله شهران وسنة وأربع بنات أحدهن من بنت الأمير حسام الدولة البجناكي وابنة من بنت عزيز الدولة رافع بن أبي الليل وابنتان من جارتين وهبهما في القصر فأمّا هبة الله فانه حمل إلى الحضرة وأكرم بها وكفله رضي الدولة غلامه وعاش ست سنين وسقط عن فرسه فمات والبنات من بنت حسام الدولة تزوجها الأمير صارم الدولة ذو الفضيلتين والبنات من بنت رافع نقلت إلى حلة أخوالها من بني كلاب. ثم رأت الحضرة في سنة ٤٤٨ نقل أمير الجيوش من تربته بحلب إلى تربته بيت المقدس فأمرت بنقله في تابوت على طريق الساحل وكان يُحطّ بجيعة وما يمرّ ببلدٍ إلا كان وصوله يوماً مشهوداً وأخرجت الحضرة ثياباً حسنة وطيباً كثيراً وأمرت الشريف (50٣) أمير الدولة ابن الكوفي أن يتولّى تكفينه ودفنه وأن يأمر من بالرملة من غلمانه بالتحفيّ والمشى خلف جنازته وأن ينادي بالقابه فنودي بها ودُفن في التربة التي له في بيت المقدس مع أولاده فسبحان من لا يزول ملكه ولا يخيب من عمل بطاعته المجازي عن احسان السيرة بالاحسان وعن السيئات في العقبى والمآل ذو الجلال والكمال الغفور الرحيم

ولما زاد امر الحاكم بامر الله في عسف الناس وما ارتكبه من سفك الدماء وإفاظة النفوس وأخذ الاموال والفتك بالكبار والعمّال والفتك بالمقدمين من الوزراء والقواد واکابر الاجناد وعدل عن حسن السياسة والسداد وزاد خوف خدمه وخواصه منه واستوحشوا من فعله وشكوا المقدمون والوجوه إلى اخته ست الملك بنت العزيز بالله هذه الاحوال فانكرت ما انكروه واكبرت ما اكبروه واعترفت بصحة ما شكوه وحقيقة ما كرهوه ووعدتهم احسان التدبير في كف شره واجمال النظر في اموره وامره ولم تجد فيه حيلة يُجسم بها داؤه إلا العمل على اهلاكه وكفّ اذاه بعدمه واعملت الرأي في ذلك واسرته في النفس إلى أن وجدت الفرصة متسهلة فابتدرتها والعرة بادية فاهتبلتها ورقت له من اغتاله في بعض مقاصده واخفى مظانّه فأتى عليه واخفى امره إلى أن ظهر في عيد النحر من سنة ٤١١. وقال المغالون في المذهب انه غائب في سره ولا بد

ان يؤوب ومستتر في غيبه ولا بُدَّ ان يرجع الى منصبه ويثوب وكان مولده بالقاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٣٧٥ وولي الامر وعمره عشر سنين وستة اشهر وستة ايام وفقد في العشر الاول من شوال سنة ٤١١ وعمره ست وثلاثون سنة ومدة ايامه خمس وعشرون سنة وشهران وايام ونقش خاتمه « بنصر الاله العلي ينتصر الامام ابو علي » وكان غليظ الطبع قاسي القلب سفاكاً للدماء قبيح السيرة مذموم السياسة شديد التعجرف والاقدام على القتل غير محافظ على حرمة خادم ناصح ولا صاحب مناصح . وقام في الامر بعده ولده ابو الحسن علي الظاهر لاعزاز الله وأخذت له البيعة (50^٧) بعد ابيه في يوم عيد النحر من سنة ٤١١ واستقامت الامور بعد ميلها وأمنت النفوس بعد وجلها وحسنت السيرة بعد قبجها وارفضيت السياسة بعد النفور عنها وردت تدبير الاعمال والنظر فيها وتسديد الاحوال ولم ما تشعث منها الى الوزير صفى امير المؤمنين وخالسته ابي القاسم علي بن احمد الجرجاني وكتب له السجل بالتقليد من انشاء ولي الدولة ابي علي بن خيران متولي الانشاء وقرئ بالحضرة على القواد والمقدمين في ذي الحجة سنة ٤١٨ ونسخته بعد البسملة : اما بعد فالحمد لله مطلق اللسان بذكره ومجزل النعم بشكره ومصرف الامور على حكم ارادته وامره الذي استصعد بالطول والنعماء وتعجد بالحكمة والسناء ومملك ملكوت الارض والسماء واستغنى عن الظهراء والوزراء واكرم عباده بان جعل تذكركه لهم في صحف مكرمة مرفوعة مظهرية بايدي سفرة كرام برزة فسبحان من نظر خلقه فاحسن وانعم وعلم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم يحمدده امير المؤمنين حنذاً مخلص في الحمد والشكر متخصص بشرف الامانة ونفاذ النهى والامر ويرغب الله تعالى في الصلاة على نبيه محمد الذي نزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيراً وعزبه الايمان وجعل له من لديه سلطاناً نصيراً وانتخب ابانا علياً امير المؤمنين اخاً ووزيراً وصيّره على امر الدين والدنيا منجداً له وظهيراً صلى الله عليهما وسلم على العترة الزاكية من سلالتهما سلاماً دائماً كثيراً . وان احق من عول عليه في الوزارة واسند اليه امر السفارة ونصب لحفظ الاموال وتميزها وسياسة الاعمال وتدبيرها وايلة طوائف الرجال كبيرها وصغيرها من كان حفيظاً لا يستحفظ من الامور قووماً بمصالح الجمهور عليماً بمجاري السياسة والتدبير ولذلك قال يوسف الصديق عليه السلام « اجعلني على خزان الارض اني حفيظ عليهم » ١)

ولو استغنى احد من رعاة العباد عن وزير وظهير يكاتبه على امره ويظاهره لكان كليم الله موسى صلى الله عليه وهو القوي الامين عنه مُستغنياً ولم يكن له من الله جل جلاله طالباً مُستدعياً وقد قال « رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي » (51) هرون اخي اشدُّ به أزمي واشركه في امري كي نُسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً » (١) ولما كنت بالامانة والكفاية علماً وعند اهل المعرفة والدراية مقدماً وكان الكتاب على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم يسلمون اليك في الكتابة ويقتدون بك في الاصابة ويشهدون لك بالتقدم في البناء ويهتدون بحلمك اهتداء السَّفر بالنجم في الليلة الظلماء ولا يتناكرون الانحطاط عن درجتك في الفضل لتفاوتها في الارتفاع ولا يرد ذلك راداً من الناس اجمعين الاخصه وقوع الاجماع هذا مع المعروف من استقلالك بالسياسة واستكمالك لادوات الرئاسة وتديريك امور المملكة وما ألفت برُشد وساطتك من سمو اليمن والبركة راي امير المؤمنين وبالله توفيقه ان يستكفيك امر وزارته ويترك اعلى منازل الاصطفاء بمخاض اثره ويرفعك على جميع الكفاء بتمام تكريمته وينوه باسمك تنويهاً لم يكن لاحد قبلك من الظُّهراء في دولته فسماكَ بالوزير لما اوزرتك له على حمل الاعباء ووكد هذا الاسم بالاجل لانك اجل الوزراء وعزز ذلك بصني امير المؤمنين وخاصته اذ كنت اعز الخلفاء والاصفياء وشرَّفك بالتكنية تسيقاً بك في العلياء ودعا لك بان يمتعه الله بك ويؤيدك ويعضدك دعاء يحببه فيك رب السماء فانت الوزير الاجل صني امير المؤمنين وخاصته المحب بالمرء الجسم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامر امير المؤمنين بان تُدعى بهذه الاسماء وتُخاطب وتكتب بها عن نفسك وتكاتب ورسم ذكر ذلك فيما يجري من المحاورات واثباته في ضروب المكاتبات ليثبت ثبوت الاستقرار ويبقى اسمه على مر الليالي والنهار فاحمد الله تبارك وتعالى على تمييز امير المؤمنين لك بتشريفه واختصاصه بالاله اياك اعلى محال خواصه وانجر على سننك الحميد في خدمته ومذهبك الرشيد في مناصحته اذ كان قد فوض اليك امر وزارته وجعلك الوسيط بينه وبين اوليائه وانصار دعوته وولاة اعمال مملكته وكتاب دواوينه وسائر عيده ورعيته شرقاً وغرباً وقرباً وبعداً (٢) وامضى توقيع من تنصبه للتوقيع عن امير المؤمنين في الامخراج والاتفاق والايجاب والاطلاق وناط بك ازمة الحل والعقد والابرار (51^٧)

وفي الاصل: قُرْباً وقُرْباً (٢) ١) Qur. XX, 26-34

والنقض والقبض والبسط والاثبات والخط والتصريف والصرف تفويضاً الى امامتك التي لا يقدح فيها معاب وسكوننا الى ثقتك التي لا يلزم بها ارتياب وعلماً بانك تورد وتصدر عن علم وحزم تفوق فيهما كل مقاوم ولا تأخذك في المناصحة لامير المؤمنين والاحتياط له لومة لائم وجميع ما يوصي به غيرك ليكون له تذكرة وعليه حجة فهو مستغنى عنه معك لانك تغني بفرط معرفتك عن التعريف ولا تحتاج مع وقوفك على الصواب وعلمك به الى توقيف غير ان امير المؤمنين يؤكد عليك الامر بحسن النظر لرجال دولته دانيهم وقاصيهم بارك الله فيهم وان يتوفر على ما يعود بصالح احوالهم واقساح امالهم وانشرح صدورهم وانتظام امورهم اذ كانوا كتائب الاسلام ومعامل الامم وانصار امير المؤمنين المحفوفين بالاحسان والانعام حتى تحسن احوالهم بمجمل نظرك ويزول سوء الاثر فيهم بحسن اثرك وكذلك الرعايا بالحضرة واعمال الدولة فامرهم من المغني به والمسؤول عنه وامير المؤمنين يأمره بان تستشف خيرة الولاية فيهم فمن الغيبة من الرعية مظلوماً او عزت بنصفته ومن صادفته من الولاة ظلوماً تقدمت بصرفه وحسم مضرتة ومعرفته . فاماً الناظرون في الاموال من ولاة الدواوين والعمال فقد اقام امير المؤمنين عليهم منك المتقى الزكاء طباً بالادواء لا يصانع ولا تطيبه المطامع ولا ينفق عليه المناقب ولا يعتصم منه الخوون السارق كما انه لا يخاف لديه الثقة الناصح ولا يخشى عاديته الامين في خدمته المجتهد الكادح والذي يدعو المتصرف الى ان يحمل نفسه على الخطة النكراء في الاحتجار والارتشاء احد اميرين امماً حاجة تضطره الى ذلك او جهالة تورده الممالك فان كان محتاجاً سداً رزق الخدمة فاقتة ورجا الراجون برءه من مرض الاسفاف وافاقتة وان كان جاهلاً فالجاهل لا يبالي على ما اقدم عليه ولا يفكر في عاقبة ما يصير امره اليه ومن جمع هذين القسمين كانت نفسه ابداً تسف ولا تعف ويده تكف ولا تكف ووطأته تشغل ولا تحف فلا ترب من تذرعه وعف ولا اثرى من رضي لنفسه بدني المكسب واسف . وما (52¹) يستريدك امير المؤمنين على ما عندك من حسن التأني والاجتهاد في اصلاح الفاسد واستصلاح المعاند واستفاعة الشارد بالمعصية الى طاعته واعطاء رجال الدولة ما توجب لها حقوق الخدمة من فضل نعمته . وامير المؤمنين يقول بعد ذلك قولاً يؤثر عنده في المشرق والمغرب ويصل الى الابد والاقرب ان اكثر من وقع عليه اسم الوزارة قبلك انما تهيأ له ذلك بالخط والاتفاق ولم يوقع اسماً عليك ويعزق بك امرها الا باستيجاب واستحقاق لانها احتاجت اليك

حاجة الرمح الى عامله والعبء الى حامله والمكفول الى كافله . وكم افرجت عن الطريق اليها لسواك واجتهدت ان يدرك مقامها اكباراً له فما عداك والله يكتب مجيل راي امير المؤمنين حسدتك وعداك ويتولأك بالمعونة على ما قلذك وولأك ويمتعه ببقائك كما امتعه بكفايتك وغنائك ويخير له في استيزارك كما خار له من قبل في اصطناعك وايثارك بئنه وكرمه والسلام عليك ورحمة الله وكُتب يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٤١٨

ولاية القائد ناصر الدولة

اي محمد الحسن بن الحسين بن حمدان لدمشق في سنة ٤٣٣

بعد امير الجيوش انوشتكين الدزيري وصل الامير المظفر ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين ابو محمد الحسن بن الحسين بن حمدان الى دمشق واليا عليها في جمادى الآخرة سنة ٤٣٣ في يوم الاربعاء السادس عشر منه وقرئ سجله بالولاية بالقابه والدعاء له فيه « سألهم الله وحفظه » ووصل معه الشريف فخر الدولة تقيب الطالبيين ابو يعلي حمزة بن الحسين بن العباس بن الحسن بن الحسين بن ابي ايجن بن علي بن محمد بن علي بن اسمعيل بن جعفر الصادق عليه السلام فاقام في الولاية امراً ناهياً الى ان وصل من مصر من قبض عليه بدمشق وسيّره معه الى مصر في يوم الجمعة مستهل رجب سنة ٤٤٠ . (52^٧) وفي سنة ٣٦ وردت الاخبار من ناحية العراق بظهور راية السلطان ركن الدنيا والدين طغرل بك محمد بن ميكائيل بن سلجق وقوة شوكة الاتراك وابتداء دولتهم واستيلائهم على الاعمال وضعف اركان الدولة البويهية واضطراب احوال مقدميها وامراتها . وفي سنة ٤٢٧ وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة الامام الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله بالاستسقاء في ليلة الاحد النصف من شعبان سنة ٤٢٧ وعمره اثنتان وثلثون سنة ومولده بالقاهرة في شهر رمضان سنة ٣٩٥ ومدة ايامه خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وخمسة ايام ونقش خاتمه « بنصر ذي الجود والمثن ينتصر الامام ابو الحسن » وكان جميل السيرة حسن السياسة مُنصفاً للرعية الا انه متشاغلٌ باللذة محبٌ للذة والراحة معتمد في اصلاح الاعمال وتدير العمال وحفظ الاموال وسياسة الاجناد وعمارة البلاد على الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجاني لسكونه الى كفايته وثقته بغناؤه ونهضته . ثم تولى الامر بعده ولده ابو تميم معد المستنصر بالله امير المؤمنين

وعمره سبع سنين وشهران واخذت البيعة له بعد ابيه في شعبان سنة ٤٢٧ . وفي ايامه ثارت الفتن من بني حمدان واكابر القواد ووجوه العسكرية والاجناد وغلبت الاسعار وقلت الاقوات واضطربت الاحوال واختلت الاعمال وحُصر في قصره وطُمع في خلع له امره ولم يزل الامر على هذه الحال الى ان استدعى امير الجيوش بدر الجمالي من عكا الى مصر في سنة ٤٦٥ فاستولى على الوزارة والتدبير بمصر وقتل من قتل من المتقدمين والاجناد وطالبي الفساد وتمهدت الامور وسكنت الدهماء موازم المستنصر بالله القصر ولم يبق له نهي ولا امر الا الركوب في العيدين ولم يزل كذلك الى ان توفي امير الجيوش وانتصب مكانه ولده الافضل ابو القسم شاهنشاه

ولاية القائد طارق الصقلي المستنصري لدمشق

في سنة ٤٤٠

(58^٢) وصل الامير بهاء الدولة وصارمها طارق المستنصري الى دمشق واليا عليها في يوم الجمعة مستهل رجب سنة ٤٤٠ وقرئ سجل ولايته والدعاء له « سلمه الله وحفظه » وعند دخوله وقع القبض على الامير ناصر الدولة بن حمدان الراي المقدم ذكره وسير الى مصر وتسلم الامير طارق الولاية يأمر فيها . ووردت الاخبار من ناحية مصر في سنة ٤٣٦ بوفاة الوزير ابي القاسم علي بن احمد الجرجاني وزير المستنصر بالله في داره اخر نهار الاربعاء السادس من شهر رمضان بعلّة الاستسقاء وصلى عليه المستنصر بالله في القصر ودُفن في دار الوزارة وقُلد مكانه الوزير ابو نصر صدقة بن يوسف الفلاحى وخلع عليه في يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر رمضان من السنة وقبض على ابي علي ابن الانباري صاحب الوزير ابي القسم علي بن احمد وحمله الى خزانة البنود وسعى في قتله فيها ودفنه وما مضى الا القليل وقبض على الوزير ابي نصر صدقة بن يوسف الفلاحى وحمل الى خزانة البنود في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة ٤٤٠ وقتل سحرة يوم الاثنين في المكان الذي قتل فيه ابن الانباري وقيل انه دُفن معه في قبره ونظر في الوزارة ابو البركات ابن اخي الوزير علي بن احمد الجرجاني وقبض عليه بعد ذلك في ليلة يوم الاثنين النصف من شوال سنة ٤٤١ وقترت الامور الى ان استقرت الوزارة لقاضي القضاة ابي محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري . ووردت الاخبار من مصر بان المستنصر بالله خلع على وزيره قاضي القضاة ابي محمد اليازوري في الرابع من

ذي القعدة سنة ٤٤٣ خلعاً فاخرة كانت غلالة قصياً وطاقاً وقيصاً ديبقياً وطيلساناً وعمامةً قصياً وحنبله على فرس رائع بمركب من ذهب وزنه ألف مثقال وقاد بين يديه خمسة وعشرين فرساً وبغلاً بمركب ذهب وفضة وحمل معه خمسون سبطاً ثياباً اصنافاً وزاد في نعوته والقباه وخلع على اولاده خلعاً تليق بهم وكُتب له سجل التقليد بانشاء ولي الدولة ابي علي بن خيران وبالغ في احسان وصفه وتقريضه واطرائه واحماد رايه وما اقتضاه الرأي من (58) اصطفاؤه للوزارة واجتبائه وقرئ بحضرة المستنصر بالله بين قواده وخدمه ووجوه اجناده وقيل ان هذا الاكرام مُقابلة على ما كان منه في التدبير على العرب المفسدين من بني قُرّة في قتلهم والنكابة فيهم وحرم اسباب شرهم وتشتيت شبلهم ونسخة هذا السجل المذكور بعد البسملة:

ولاية رفق المستنصري لدمشق

في سنة ٤٤١

وصل الامير عدة الدولة امير الامراء رفق المستنصري الى دمشق واليا عليها في يوم الخميس الثاني عشر من المحرم سنة ٤٤١ في عدة وافرة من الرجال وثروة وافرة من العدد والمال وقرئ سجله بالولاية واقام بها مدة يأمر فيها وينهي ويحل ويعقد ويصدر في الامور ويورد ثم وصله الامر من مصر بمسيره الى حلب لامر اقتضته الاراء المستنصرية من صرفه عنها وتوليها للامير المؤيد فسار منها وتوجه الى حلب في يوم الخميس السادس من صفر من السنة

ولاية الامير المؤيد عدة الامام

في سنة ٤٤١ بعد الامير رفق

وصل الامير المؤيد عدة الامام مصطفى الملك معين الدولة ذو الرئاستين حيدرة بن الامير عضب الدولة بن حسين بن مفلح الى دمشق والياً عليها في مستهل رجب سنة ٤٤١ فحصل معه سديد الدولة ذو الكفائتين ابو محمد الحسين بن حسن الماشكي ناظراً في الشام بجميع حربه وخواجه وقرئ منشور الولاية والدعاء له «سألم الله وحفظه» فتسلم الولاية في سنة ٤٤٢ يأمر فيها وينهي على عادة الولاة واستقامت

له امور الولاية على ما يؤثره عيهواه واحسن السيرة في العسكرية والرعية فحمدت طريقته وارفضت اياته واستمرت عليه الايام في الولاية الى سنة ٤٤٨ التي بُني هذا المذيل عليها وعادت سياقة الحوادث منها وايراد ما فيها وتجرد بعدها سنة ثمان واربعين واربعمائة .

(54^٢) فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بانعقاد امر الوصلة بين الامام القائم بامر الله وبين بنت الملك داود اخي السلطان ركن الدنيا والدين طغرل بك وكان العقد اولاً لولده ذخيرة الدين فلما قضى الله عليه بالوفاة نقل العقد الى الخليفة القائم بامر الله في يوم الاربعاء لسبع بقين من الحرم من السنة ووصلت البنت المذكورة من مدينة الري الى بغداد في الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة . وفي هذه السنة وُلد الامام المقتدي بالله عبد الله بن ذخيرة الدين ابن القائم بامر الله في ليلة الاربعاء الثاني من جمادى الاولى من السنة . وفيها وردت الاخبار من مصر بقلّة الاقوات وغلاء الاسعار واشتداد الامر في ذلك الى اوان زيادة النيل فظهر من القوت ووجوده ما طابت به النفوس وصلحت معه الاحوال

سنة تسع واربعين واربعمائة .

في هذه السنة وردت الاخبار بتسلم الامير مكي الدولة قلعة حلب من معز الدولة وحصل فيها في الخيس ثلث بقين من ذي القعدة منها واقام بها مدة اربع سنين ينحطب فيها للمستنصر بالله صاحب مصر . وفيها توفي القاضي ابو الحسين عبد الوهاب بن احمد ابن هرون

سنة خمسين واربعمائة

فيها وصل الامير ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين ابو محمد الحسين بن الحسن ابن حمدان الى دمشق واليا عليها دفعة ثانية بعد اولى في يوم الاثنين النصف من رجب منها واقام يسوس احوالها ويستخرج اموالها الى ان ورد عليه الامر من الحضرة بمصر بالسير في العسكر الى حلب فتوجه اليها في العسكر في السادس عشر من شهر ربيع الاول سنة ٤٥٢ واتفقت الوقعة المشهورة المعروفة بوقعة الفُتَيْدِق بظاهر حلب في يوم الاثنين مستهل شعبان من السنة بين ناصر الدولة المذكور وعسكره وبين جميع العرب الكلبيين ومن انضم اليهم فكسرت العرب عسكر (١) ناصر الدولة واستولوا عليهم

(١) وفي الاصل : كسرة

ونكروا فيهم وافلت ناصر الدولة منهزماً مجروحاً مفلولاً وعاد الى مصر. ولم تزل الاخبار متواترة من ناحية العراق بظهور (54^٧) المظفر ابي الحرث ارسلان الفسائري وقوة شوكته وكثرة عدته وغلبة امره على الامام القائم بامر الله امير المؤمنين وقهر نوابه وامتهان خاصته واصحابه وخوفهم من شره حتى امضى امره الى ان يأخذ الجاني من حرم الخلافة ويفعل ما يشاء ولا يمانع له ولا يدافع عنه. وقد شرح الخطيب ابو بكر احمد ابن علي بن ثابت البغدادي رحمه الله في اخبار اهل بغداد ما قال فيه: ولم يزل امر القائم بامر الله امير المؤمنين مستقيماً الى ان قبض عليه ارسلان الفسائري في سنة ٤٥٠ وهو واحد من الغلمان الاتراك عظم امره واستفحل شأنه لعدم نظرائه من الغلمان الاتراك والمقدمين والاسفهلارية الا انه استولى على العباد والاعمال ومد يده في جباية الاموال وشاع بالهيبة امره وانتشر بالقهر ذكره وتهيبته العرب والعجم ودُعي له على كثير من منابر الاعمال العراقية وبالاهاز ونواحيها ولم يكن القائم بامر الله يقطع امراً دونه ولا يمضي رأياً الا بعد اذنه ورأيه ثم صح عنه سوء عقيدته وخبت نيته وانتهى ذلك اليه من ثقات من الاتراك لا يشك في قولهم ولا يرتاب. وانتهى اليه الله بواسطة قد عزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب السلطان طغرل بك محمد بن ميكال (كذا) وهو بنواحي الري يعرفه صورة حال الفسائري ويبعثه على العود الى العراق ويدارك امر هذا الخارجي قبل ترايد طبعه وإعضال خطبه. وعاد الفسائري من واسط وقصد دار الخلافة في بغداد وهي بالجانب الغربي في الموضع المعروف بدار اسحق فجمعها ونهبها واحرقها ونقض ابنتها واستولى على كل ما فيها. ووصل السلطان طغرل بك الى بغداد في شهر رمضان سنة ٤٤٧ وتوجه الفسائري الى الرجبة حين عرف وصول طغرل بك على الفرات وكاتب المستنصر بامر الله صاحب مصر يذكر له كونه في طاعته واخلاصه في موالاته وعزمه على اقامة الدعوة له في العراق وانه قادر على ذلك وغير عاجز عنه فانجده وساعده بالاموال وكتب له بولاية الرجبة. واقام السلطان طغرل بك ببغداد سنة كاملة وسار منها الى ناحية الموصل ووقع باهل سنجار وعاد منها (55^١) الى بغداد فاقام برهة ثم عاد الى الموصل وخرج منها متوجهاً الى نصيبين ومعه اخوه ابراهيم ينال وذلك في سنة ٤٥٠. وحدث بين السلطان طغرل بك واخيه ابراهيم خلف اوجب انفصالة عنه بجيش عظيم وقصد ناحية الري وقد كان الفسائري كاتب ابراهيم ينال اخا السلطان طغرل بك يبعثه على العصيان لأخيه ويطمعه في الملك والتفرد به ويعده

المعاذة عليه والموازرة والرافدة والشدة منه وسار طغرل بك في اثر اخيه مجداً وترك
عساكره من ورائه ففرقت غير ان وزيره عميد الملك الكندري وربييه انوشروان وزوجته
خاتون وصلوا بغداد في من بقي معهم من العسكر في شوال سنة ٤٥٠ . واتصلت
الاخبار بقاء طغرل بك واخيه ابراهيم بناحية همدان وورد الخبر بذلك على خاتون وولدها
والوزير وان ابراهيم استظهر عليه وحصره في همدان فعند ذلك عزموا على السير الى
همدان لانجد السلطان فحين شاع الخبر بذلك اضطرب امر بغداد اضطراباً شديداً
وخاف من بها وكثرت الاراجيف باقتراب ارسلان الفاسيري . وتوقف الكندري الوزير
عن السير فانكرت خاتون ذلك عليه وهمت بالايقاع به وتوقف ابنها لتوقفهما عن
السير والانجد للسلطان طغرل بك فنهضا للجانب الغربي من بغداد وقطعا الجسور من
ورائهما وأتهب دورهما واستولى من كان مع الخاتون من الغز على ما فيها من الاموال
والامتعة والاثاث والسلاح وتوجهت خاتون في العسكر الى ناحية همدان وتوجه الوزير
الكندري على طريق الاهواز . فلما كان يوم الجمعة السادس من ذي القعدة ورد الخبر
بان ارسلان الفاسيري بالانبار وسعى الناس الى صلاة الجمعة بجامع المنصور فلم يحضر
الامام واذن المؤذن في النارة وتزل منها واعلم الناس انه رأى العسكر عسكر الفاسيري
بازاء شارع دار الرقيق فبادروا الى ابواب الجامع وشاهدت قوماً من اصحاب الفاسيري
يسكنون الناس بحيث صلوا في هذا المكان اليوم في جامع المنصور الظهر اربعاً من غير
خطبة وفي يوم السبت تاليه وصل نفر من عسكر الفاسيري وفي غدوة يوم الاحد (55^٧)
دخل الفاسيري بغداد ومعه الرايات السود ف ضرب مضاربه على شاطئ دجلة واجتمع
اهل الكرخ والعوام من اهل الجانب الغربي على مظاهرة الفاسيري وكان قد جمع العيار
واهل الفساد واطمعمهم في نهب دار الخلافة والناس اذ ذاك في ضرر وجهد قد توالى
عليهم الجذب وغلا السعر وعز الاقوات واقام الفاسيري بمكانه والقتال في كل يوم
متصل بين الفريقين في السفن بدجلة . فلما كان يوم الجمعة الثاني دُعي المستنصر بالله
صاحب مصر على المنبر بجامع المنصور وزيد في الاذان «حي على خير العمل» . وشرع
في بناء الجسر بقرب باب الطاق وكُف الناس عن المحاربة ايّاماً وحضر يوم الجمعة الثاني
من الخطبة فدُعي لصاحب مصر في جامع الرصافة . وخندق الخليفة القائم بامر الله حول
داره ورم ما تشعث منها ومن اسوار المدينة فلما كان يوم الاحد لليلتين بقيتا من ذي
القعدة حشد الفاسيري اهل الجانب الغربي والكرخ ونهض بهم الى محاربة الخليفة

ونشبت الحرب بين الفريقين يومين وقتل منهما الخلق الكثير. واهل هلال ذي الحجة فزحف الفساسيري الى ناحية دار القائم الخليفة فاضرم النار في الاسواق بنهر معلى وما يليه وعبر الناس لانتهاج دار الخليفة فنهب منها ما لا يحصى كثرة وعظماً. ونفذ الخليفة الى مونس بن بدر الصقلي وكان قد ظاهر الفساسيري فاذم للخليفة في نفسه ولقيه قريش امير بني عقيل فقبل الارض دفعات وخرج الخليفة من الدار راكباً وبين يديه راية سوداء وعليه قباء اسود وسيف ومنطقة وعلى رأسه عمامة تحتها قلنسوة الاتراك عراضه وبين يديه وضرب له قريش خيمة في الجانب الغربي فدخاها واحدق به خدمه وماشى الوزير رئيس الرؤساء ابا القسم بن مسلمة الفساسيري ويده قابضة على يده وكتبه وقبض على قاضي القضاة الدامغاني وجماعة معه وحملوا الى الحرم الطاهري وقيد الوزير والقاضي. فلما كان يوم الجمعة الرابع عشر من ذي الحجة لم يُخطب بجامع الخليفة وخطب في سائر الجوامع للمستنصر صاحب مصر وفي هذا اليوم انقطعت الدعوة لبني العباس في بغداد

ولما كان (56^{هـ}) اليوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم عرفة أخرج الخليفة القائم بامر الله من الموضع الذي كان فيه ونحل الى الانبار ومنها الى الحديثة في الفرات فجلس هناك وكان صاحب الحديثة الامير مَهَارِش هو المتولي لخدمة الخليفة فيها بنفسه وكان حسن الطريقة. ولما كان يوم الاثنين من ذي الحجة شير الوزير رئيس الرؤساء وزير الخليفة على جمل وطيف به في محال الجانب الغربي ثم صلب بباب الطاق وخراسان وجعل على فكيه كلابان من حديد على جدع فمات رحمه الله بعد صلاة العصر وأطلق القاضي الدامغاني بال قرّ غليه. قال ابو بكر الخطيب رحمه الله : ثم خرجت يوم النصف من صفر سنة ٤٥١ من بغداد ولم يزل الخليفة في محبسه بالحديثة الى ان عاد السلطان طغرل بك من ناحية الري الى بغداد بعد ان ظفر باخيه ابراهيم ينال وكسره وقتله ثم كاتب الامير قريشاً باطلاق الخليفة الى داره الى ناحية العراق وجعل السفير بينه وبين طغرل بك في ذلك ابا منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف وشرط ان يضمن الخليفة للفساسيري صرف طغرل بك عن وجهته. وكاتب طغرل بك مَهَارِشاً في امر الخليفة وإخراجه من محبسه فاخرجه وعبر به الفرات وقصد به تكريت في قبر من بني عمه وقد بلغه ان طغرل بك بشهر زور فلما قطع الطريق عرف ان طغرل بك قد حصل ببغداد فعاد راجعاً حتى وصل النهروان فاقام الخليفة هناك ووجه طغرل بك مضارب في الحال

وفروشا برسم الخليفة ثم خرج لتلقيه بنفسه وحصل الخليفة في داره ونهض طغرلبيك في
عسكر نحو الفسائري وهو بسقي الفرات فحاربه الى ان اظفروه الله به وقتاه وحمل
رأسه الى بغداد وطيف به فيها وعُلق بازاء دار الخلافة

سنة احدى وخمسين واربعائة

في هذه السنة كان هلاك ارسلان الفسائري وعود الخليفة القائم بأمر الله أمير
المؤمنين الى داره على ما تقدم شرحه من امره . وفيها ايضا كان ظفر السلطان طغرلبيك
إخيه ابرهيم ينال على باب همدان

سنة اثنتين وخمسين واربعائة

(56^٧) فيها وصل الأمير المقدم تمام الدولة قوام الملك ذو الرناستين سبكتكين
المستصري الى دمشق وبقي فيها غير والٍ عليها الى ان وصل القائد موفق الدولة جوهر
الصقلي من مصر في يوم الاربعاء الثاني من ذي الحجة سنة ٤٥٢ ومعه الخلع وسجل
الولاية لدمشق بالقابه والدعاء له «سلمه الله ووفقه» والناظر في الاعمال وحفظ الاموال
سديد الدولة ابو عبد الله محمد بن حسن الماشكي على ما كان عليه سبكتكين والياً
على دمشق الى ان توفي بها في ليلة الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول سنة
٤٥٣ فكانت ولايته ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً

وفي هذه السنة نزل الأمير محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس على حلب
محاصراً لها ومضيقاً عليها وطامعاً في تأمكها ومعه منيع بن سيف الدولة فاقام عليها مدة
فلم يتسهل له فيها ارب ولا تيسر طلب فرحل عنها ثم حشد بعد مدة وجمع وعاد
منازلاً لها ومضيقاً لاهلها ومراسلاً لهم وتكررت المراسلات منهم الى ان تسهل امرها
وتيسر خطبها فتسلمها في يوم الاثنين من جمادى الآخرة وضائق القلعة الى ان عرف
وصول الأمير ناصر الدولة بن حمدان في العساكر المصرية لانجاده فخرج منها في
رجب سنة ٢ ونهب حلب بعسكر ناصر الدولة واتفتت وقعة الفئيدق المشهورة
واقبال ناصر الدولة وعوده الى مصر منهزماً مخذولاً فعاد محمود بجمعته الى حلب
وحصل بها وقتل عنه معز الدولة واستقام امره فيها . وفي هذه السنة قصد الأمير
عطية فيمن جمعه وحشده مدينة الرجة ولم يزل نازلاً عليها ومضيقاً لاهلها ومراسلاً
لهم الى ان تسهل الامر فيها وسلمت اليه وحصل بها في صفر من السنة

سنة ثلث وخمسين واربعمائة

في هذه السنة وصل الامير حسام الدولة ابن البيجنكي الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من جمادى الاولى منها ونزل في المزة واقام مدة وورد الكتاب بعزله فانصرف عن الولاية وتوجه نحو حلب في شهر رمضان من السنة ثم وصل بعد ذلك عدة الدين والدولة ابن ناصر الدولة (57^{هـ}) بن حمدان الى دمشق والياً عليها في يوم الجمعة الثامن عشر من رمضان من السنة وحصل بها وقضى سجال ولايته وامر فيها ونهى. وفي هذه السنة استقر الصلح والوادعة بين معز الدولة صاحب حلب وابن اخيه محمود بن شبل الدولة. وفيها نذب ابو محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر للمسير من حلب الى القسطنطينية رسولا في الحرم منها. وفيها توفي الامير معز الدولة بنجاب في يوم الجمعة لسبع بقين من ذي القعدة ودُفن في المسجد بالقلعة وملكها اخوه عطية. وفي هذه السنة وصل الامير المؤيد معز الدولة حيدرة بن عضب الدولة الى دمشق والياً عليها دفعة ثانية بعد اولى في يوم الاثنين الثامن عشر من ذي القعدة منها ونزل في ارض المزة وفي هذا اليوم سار عدة الدولة بن حمدان عن الولاية منصرفاً الى مصر واقام المؤيد بها في الولاية ما اقام وانصرف عنها معزولاً في شهر ربيع الاخر سنة ٤٥٥

سنة اربع وخمسين واربعمائة

في الحرم منها قُتل الامير مكي الدولة طبرية وثغر عكاء من قبل امام المستنصر بالله وامر على جماعة بني سليم وبني فزارة. وفيها توفي القاضي الشريف مستخص الدولة ابو الحسين ابراهيم بن العباس بن الحسن (١) الحسيني بدمشق يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله. وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان طغرل بك وقيام ولده (كذا) البارسلان في المملكة بعده في مدينة الري

سنة خمس وخمسين واربعمائة

وفيها ولاية امير الجيوش بدر لدمشق

وصل الامير تاج الامراء المظفر مقدم الجيوش شرف الملك عدة الامام ثقة الدولة بدر

(١) ابن العباس بن الحسن بن ابي الجن: كذا في تاريخ الاسلام وانه قاضي دمشق وخطيبها نيابة عن القاضي القضاة بمصر ابي محمد القاسم بن النعمان

الى دمشق واليا عليها في يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة وتزل بارض المزة ومعه الشريف القاضي ثقة الدولة ذو الجلالين ابو الحسن يحيى بن زيد الحسيني الريدي ناظرا في الاعمال ونفقات الاموال واقام بها مدة مدبرا لها وامرا وناهيها فيها ثم حدث من امره بها والحلف الجاري بينه وبين عسكريتها ورعيته ووقعت بينهما محاربات عرف معها عجزه عن المقام بينهم والثبات معهم (57٦) وخاف على نفسه منهم فسار عنها كالهارب منها في ليلة الثلاثاء لاربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٥٦٠ . وفي هذه السنة تزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب وحصر عمه عطية فيها في النصف من شعبان وقتل منيع بن كامل بمحجر المنجنيق ولم يتمكن من عرضه فيها ولا تسهل له ارب منها فرحل عنها

سنة ست وخمسين واربعمائة

وفيه ولاية الامير حيدرة بن منزو

لما انصرف امير الحios بدر عن ولاية دمشق هاربا ندب لولايتها الامير حصن الدولة حيدرة بن منزو بن النعمان واليا عليها ووصل اليها في شهر رمضان من السنة واقام بها وامر ونهى على عادة امثاله من الولاة لها . ثم اقتضى الرأي المستنصري صرفه عنها لشهاب الدولة دُري المستنصري ووصل اليها وتولى الولاية فيها . وفي هذه السنة عاد محمود بن شبل الدولة بن صالح الى حلب مضايقا لها ولعطية (١) عمه فاستصرخ بالامير ابن خان التركي فانجده عليه فلما احس بوصوله رحل عنها منهزما ثم خاف عطية من الامير ابن خان فامر احدث حلب بنهب عسكره فنهروه . ورحل ابن خان منهزما وانتقد الى الامير محمود يغذر اليه من المساعدة عليه وتوجه معه الى طرابلس وعاد معه الى حلب لحصرها في هذه السنة . وفيها وصل الامير شهاب الدولة دُري المستنصري الى دمشق واليا في العشر الاخير من ذي القعدة من السنة ثم تجدد الرأي في صرفه فانصرف وتوجه الى الرملة لان سجل ولايته لها ورد عليه واقام بها امرا وناهيها الى ان قُتل بها في شهر ربيع الآخر سنة ٤٦٠ . واقامت دمشق خالية من الولاة الى ان وصل اليها امير الحios بدر واليا عليها دفعة ثانية في سنة ٤٦٨

سنة سبع وخمسين واربع مائة

في هذه السنة نزل الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب ثالث دفعة ومعه الامير ابن خان التركي واقام عليها الى اتتصاف شهر رمضان ولم يزل مضايكا (58^٢) لها الى ان تسهل امرها وملكها فلما حصل بها فارقه ابن خان بسكره نحو العراق ولم يدخلها اشفاقا من احداث حلب لما فعلوه في تلك النوبة من القيام عليه والنهب لاصحابه

سنة ثمان وخمسين واربعائة

وفيها ولاية امير الجيوش بدر الثانية

وصل امير الجيوش سيف الاسلام بدر الى دمشق واليا عليها ثانية وعلى الشام باسره في يوم الاحد السادس من شعبان منها ونزل في مرج باب الحديد اياما وبلغه قتل ولده بمسقلان فدخل القصر واقام فيه الى ان تحرك الفتنة الشائرة بينه وبين عسكرية دمشق واهلها واستيحاش كل منهم من صاحبه فخرج من القصر ونشبت الحرب بينهم في يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الاولى سنة ٤٦٠ وقد كان القصر أجرب بعضه في تلك النوبة الحادثة الاولى ونهب ما كان فيه فلما عاد بعد ذلك في هذه النوبة ومعه العساكر الجمّة من العرب وسائر الطوائف ونزل على مسجد القدم في رمضان سنة ٦٠ واتفق رحيله عنها فخرج من في البلد من العسكرية والاحداث الى القصر فاحرقوا ما كان سالما منه وتقصوا اخشابه بحيث شله الخراب من كل جهاته . وفي هذه السنة فادى الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح نساء بني خنّاد والنسريين من اسر الروم ولم يزل مبالغا في ذلك ومجتهدا فيه الى ان حصلوا في حلب

سنة تسع وخمسين واربعائة

فيها وردت الاخبار من ناحية مصر باجتماع العبيد في الصعيد وكبسهم عسكر الامير ناصر الدولة ابي علي الحسن بن حمدان واقتلال العرب المجتمعة معه واستظهار العبيد على جانب من عسكره نهبهوا واستولوا عليه ثم عادوا عليهم واستعادوا ما اخذ لهم وزيادة عليه وقتل جماعة منهم . وفيها سأل الامير ناصر الدولة المستنصر بالله في محمد ابن محمود بن جراح وحازم بن علي بن جراح فاطلقهما من خزانة البنود وخلي سبيلهما

(58٧) سنة ستين واربعمائة

وفيه ولاية الامير بارزطغان لدمشق

وصل الامير قطب الدولة بارزطغان الى دمشق واليا عليها في شعبان منها ووصل معه الشريف السيد ابو طاهر حيدرة بن مستخص الدولة الي الحسين وتزل قطب الدولة في دار العتيقي واقام مُدَّة ثم خرج منها ومعه الشريف المذكور في شهر ربيع الاول سنة ٤٦١٠ وورد الخبر بان امير الجيوش بدر ظفر بالشريف السيد المذكور وكان بينهما اِحنٌ بعثته على الاجتهاد في طلبه والارصاد له الى ان اقتتصه فلما حصل في يده قتله سلخاً فغظم ذلك على كافة الناس واكثروا هذا الفعل واستبشعوه في حق مثله (١) وفي يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الاولى من السنة جاءت زلزلة عظيمة بفلسطين هدمت اكثر دور الرملة وسورها وتضعض جامعها ومات اكثر اهلها تحت الردم. وحكي ان معلماً كان في مكتبه به تقدير مائتي صبي وقع الكتب عليهم فما سأل احدٌ عنهم لهلاك اهلهم وان الماء طلع من افواه الابار لعظم الزلزلة وهلك في بانياس تحت الردم نحو من مائة نفس وكذلك في بيت المقدس. وسُمع في ايار من هذه السنة رعدة هائلة ما سُمع باعظم منها ولا باهول من صوتها فقتلي على جماعة من الرجال والنسوان والصبيان وطاع في اثرها سحب هائل ووقع منه برد شديد الوقع اهلك كثيراً من الشجر وجاء معه سيل عظيم في بلد الشام قلع ما مر به من الشجر والصخر. حُكي ان ارتفاعه بوادي بني عُليم

(١) قال سبط ابن الجوزي في ترجمة الشريف انه لما دخل عسكر بدر الجمالي الى دمشق مرب منها الى عمان البلقاء فقدر به بدر بن حازم وكان الشريف قد اطلق اياه حازم من خزائن البنود. وقال محمد بن هلال الصابي: لما خرج الشريف وبارزطغان من دمشق يريدان مصر اشار عليه بارزطغان بان لا يظهر بعمان البلقاء لان جا بدر بن حازم وان يسير في الليل قلم يقبل وسار بارزطغان الى حلة بدر بن حازم وقال: نجشاك لتذم لنا ولن مضى. فقال: ومن معك. قالوا: الشريف بن ابي الجن. فقال: قد ذم الله لكم الا الشريف فانه لا بد من حمله الى امير الجيوش. وسار اليه وقبض عليه ومضى به الى عكا وباعه بذهب واخلع واقطاع. فاركبه امير الجيوش سجلاً وقتله اقبح قتلة ثم سلخ جلده وقيل سلخه حياً وصلبه. وامن اهل الشام بدر بن حازم والعرب وقالوا: اما هذه عادتهم. وقد كان الشريف من اهل الديانة والصيانة والعفة والامانة محباً لاهل السلم واسطناع المروف

نحو من ثلثين ذراعاً وأنه سحب صخرة عظيمة لا يقلها خمسون رجلاً ذهب بها فلم يُعرف مستقرها. وفيها ورد الخبر بقيام ناصر الدولة ابي علي الحسن بن حمدان في جماعة من قواد الاتراك وامراء مصر على المستنصر بالله بمصر وأخذهم شيئاً كثيراً من المال اقتسموه وكان امير الجيوش بدر في مبدأ أمره متيقناً بالشام مظهر الطاعة المستنصر بالله والموالات له والميل اليه ألا انه لا يتمكن من نصرته ولا يجد سبيلاً الى موازرتة ومعاضدته وزحف المذكورون الى دار وزيره المعروف بابن كدينة فطالبوه بالمال فقال لهم: واي مال بقي بعد نهبكم (59^٣) الاموال واقتسامكم الاعمال؟ فاحوا عليه وقالوا: لا بد من اتناذك الى المستنصر بالله وبعثك له على اخراج المال وتعريفه في ذلك صورة الحال. فكتب اليه رقعة بشرح القصة وخرج الجواب عنها بخطه يقول فيه

اصبحت لا ارجو ولا اتقي إلا الهى وله الفضل
جدتي نبى وامامى ابي وقولي التوحيد والعدل

المال مال الله والعبيد عبيد الله والاعطاء خير من المنع وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (١٠١). وفي هذه السنة خرج متسلك الروم من القسطنطينية الى الثغور

سنة احدى وستين واربعائة

وفيها كانت ولاية مولى بن حيدرة بن منزو لدمشق

الامير حصن الدولة مولى بن حيدرة بن منزو الكتامي ولى دمشق قهراً وغلبة وقسراً من غير تقليد في يوم الخميس الثامن من شوال سنة ٤٦١ بجبل نتقها ومخالات اختلقها ولفقها وذكر ان التقليد بعد ذلك وافاه فبالغ في المصادرات حيث ذوارت كعب من الظلم ومصادرة المستورين الاخيار ما هو مشهور من العيث والجور ما هو شائع بين الانام مذكور ولم يلتق اهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش بن الصمصامة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله وقاسوه من اعتدائه ولؤم اصله ولم تزل هذه افعاله الى ان خربت اعمالها وخلعها اهلها وهان عليهم مفارقة املاكهم وسؤلهم عن اوطانهم بما عانوه من ظلمه ولا بسوءه من تعديه وعشمه وخلت الاماكن من قاطنيتها والغوطة من فلاحيتها وما برح لقاء الله على هذه القضية المنكرة والطريقة

المكروهة الى ان اجاب الله وله الحمد والشكر دُعاء المظلومين وأُساءة عاقبة الظالمين وحقّ الامل فيه بالراحة منه ووقع ينسبه وبين العسكرية بدمشق الشجناء والبغضاء فخاف على نفسه الهلاك والبرار فاستشعر الوبال والدمار فلم يكن له إلا الهرب منهم والنجاة من فتكهم لانهم عزموا على الايقاع به والنكاية فيه وقصد ناحية بانياس (59^٧) فحصل فيها في يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٦٧ فاقام بها وعمر ما عمره من الحماة وغيره فيها ثم خرج منها في اوائل سنة ٤٧٢ خوفاً من العسكر المصري ان يدركه فيها فيأخذه منها وحصل بثر صور عند ابن ابي عقيل القاضي المستولي عليها ثم صار من صور الى طرابلس واقام بها عند زوج اخته جلال الملك ابن عمّار مدّة وأطلع الى مصر فهلك في الاعتقال قتلاً بالنعال في سنة ٤٨١ وذلك جزاء الظالمين وما الله بغافل عما يعملون

وفي هذه السنة وقع الخلف بدمشق بين العسكرية وبين اهلها وطرحت النار في جانب منها فاحترقت واتصلت النار منه بالمسجد الجامع من غربيته فاحترق في ليلة يوم الاثنين اتصاف شعبان من السنة فقلق الناس لهذا الحادث والملم المولم الكارث وأسف القاضي والداني لاحتراق مثل هذا الجامع الجامع للمحاسن والغرائب المعسود من احدى العجائب حسناً وبهاء ورواقاً وسناء وكيف اصابته مثله العيون الصواب وعدت عليه عادة النوائب (١)

(١) ومن اخبار الشام ما قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان بدر الجمالي كان قد ورد دمشق والياً على الشام سنة ٥٨٠ ووصل مستلماً وغزا بني سبيش ونكا فيهم وعاد الى الاقحوانة وجاءه اميران اخوان من قيس فقتلها لاجل غارات كانت لهم بالشام قبل وصوله اليه ثم سار يشقّ حلق العرب كلب وطي وغيرها شقاً وفعل فعلاً لم يسبقه احدٌ اليه حتى وصل الى دمشق فقتل قصر السلطنة بظاهرها واقام بنته وكسر فامن الناس لهيبته . ثم قبض على ابن ابي الرضا خليفة الشريف القاضي المكيابي ابي الفضل اسماعيل بن ابي الجن العلوي وعلى جماعة واخذ منهم عشرة آلاف دينار ووجهها لحازم بن جراح المفرج منه من مصر وكان قد هرب اليه فامطاه المال استكفافاً له عن معاونة الشريف ابي طاهر بن ابي الجن المنفذ معه حازم لافساد امر بدر بالشام واثارة اهل دمشق عليه . ولما فعل بدر بالمذكورين ما فعل ثار اهل دمشق عليه واغلقوا ابوابها وحاربوه وساعدتهم الدولة (حيدرة) بن مترو وراسلهم مساري بن سنان الكلابي وراسلوه وحالفوه وجاء عرب مساري فاغارت على قصر السلطنة بدمشق بظاهرها وعاد بدر الجمالي وراوحوه فانفذ ثقله واهله الى صيدا ورضي خلفهم اليها . وجمع ابن مترو عسكره وعسكر دمشق لنقص بدر فلما عرف ذلك رحل الى صور وحاصرها ومتوليها القاضي الناصح ثقة الثقات حين الدولة ابو

وفيها وردت الاخبار من مصر بغلاء الاسعار فيها وقلة الاقوات في اعمالها واشتداد

الحسن محمد بن عبد الله بن ابي عقيل فحاصرها اياماً وقرب منه ابن مترو فسار الى عكا. واقام اياماً دخل فيها بزوجه بنت رقطاش التركي ومضى الى عسقلان. وجاء الشريف ابن ابي الجن من مصر الى دمشق وكان اهلها هدموا قصر السلطنة ودرسوه وكان عظيمًا يسع الوقا من الناس واقام على دمشق سبعة وعشرين يوماً ومعه حازم وحيد ابنا جراح اللذان اتفقا مع الشريف على الفتك ببدر وكان حميد قد طمع من بدر في مثل ما فعله من حازم ولما عجز بدر عن دمشق عاد الى عكا لان الشريف والعساكر دفعوا عنها. ولما رحل عن دمشق اختلف العسكر واحداث البلد فذهب العسكر بعض البلد ونادوا بشعار بدر الجمالي واستدعوا منه صاحباً يكون عندهم فانفذ اليهم رجلاً يُعرف بالقطيان في جماعة من اصحابه فدخل دمشق وهرب الشريف ابن ابي الجن وولدا ابن مترو وكان ابوهما قد مات على صور في هذه السنة فقتل ابنا مترو على الكلبين وسار الشريف طالباً مصر فاجتاز بمان البلقاء وجهسا بدر بن حازم صاحبها فقبض على الشريف وباعه من بدر الجمالي باثني عشر الف دينار فقتله امير الجيوش بمكا خنقاً. وبعث بدر الجمالي الى دمشق علوياً يعرف بابن ابي شوية من اهل قيسارية وامر بمصادرة الشريف ابي الفضل بن ابي الجن اخي المقتول وجماعة من مقدمي دمشق وعلم اهل دمشق فصاروا على ابن ابي شوية واخرجوه ولعنوا امير الجيوش ووافقهم العسكر وبعثوا الى مسمار بن سنان وحازم بن نهبان بن القرمطي امير بني كلب وبذلوا اليها تسليم البلد فبعث اليهم مسمار يقول : لا يمكنني الدخول الى البلد وتلكه والعسكر جميع فيه والمغاربة والمشاركة ويجب ان يخالفوا بينهم ويخرجوا المشاركة. ففعلوا وصاروا احزاباً وكان اقبال في غربي الجامع ورعي المشاركة واهل البلد بالنشاب من دار قريبة من الجامع ف ضربت الدار بالنار فاحترقت وثار النار منها الى الجامع فاحرقته ليلة نصف شعبان هذه السنة. ولما رأى العوام ذلك تركوا القتال وقصدوا الجامع طمأ في تلافيه ليداركو ما حدث فيه ففات الامر فرموا سلاحهم واطمأ واستغاثوا الى الله تعالى وتضرعوا وقالوا : كم نخلف ونكذب ونغدر ونخبث (و) نساهد وننكث. والنار تعمل الى الصباح فاصبح الجامع ولم يبق منه الا حيطاته الاربعة وصاروا ايام الجماعات يصلون فيه على التلال وهم يبكون وانهم بعد ذلك ونخبث دورهم واموالهم. وانفذ مسمار والياً على دمشق من قبله يُعرف بفيتان وراسل مسمار اهل البلد ثانياً بان ينهبوا ويشتروا على المغاربة فيخرجوهم ويتفق هو واهل البلد فثاروا عليهم وتأخر منار عنهم واقتلوا فظهر عليهم المغاربة واحرقوا قطعة من البلد ونهبوا اكثر ونادوا بشعار بدر الجمالي. ووصل مسمار بعد ذلك الى باب البلد. وقد فات الامر الذي ورد له فراسله المغاربة فلى ان يمكنهم من المنام في البلد ويعطونه مائة الف دينار فرضي واقام اياماً في المكان وطالبهم بالمال فلم يعطوه شيئاً ولم يكن له قدرة عليهم فسار الى السواد وكان ما نهب المغاربة من دمشق يساوي خمسمائة الف دينار. وتبعوا احداث دمشق فقتلوا منهم سبعين حدثاً. ومضى سنان الدولة ولد ابن مترو الى امير الجيوش وصالحه وصاهره على اخته وعاد الى دمشق والياً عليها من قبل امير الجيوش واطاعته المغاربة وسلموها اليه فدخلها

وقال ايضاً ان فيها يعني سنة ٦٦٢ استولى القفي مختص بن ابي الجن اخو حيدرة المقتول على دمشق وطرده نواب امير الجيوش واستولى على صور ابن ابي عقيل وعلى طرابلس قاضيها ابن عمار

الحال في ذلك واضطراهم الى اكل الميتة واكل الناس بعضهم بعضاً من شدة الجوع وقتل من يُظفر به واخذ ماله واستغراق حاله ومن سلب هلك واحتاج الامير والوزير والكبير الى المسئلة. وفيها نزل الروم على حصن اسفونا وملكوه سنة اثنتين وستين واربعائة

فيها نزل امير الجيوش سيف الاسلام بدر المستنصري في العسكر المصري على ثغر صور محاصراً لعين الدولة بن ابي عقيل القاضي الغالب عليه فلما اقام على المضايقة له والاضرار به كاتب القاضي ابن ابي عقيل الامير ثقلو مقدم الاتراك المقيمين بالشام مستصرخاً له ومستنجداً به فاجابه الى طلبه واسعفه بأربه وسار بعسكره مُنجداً له ومساعداً ووصل الى ثغر صيدا ونزل عليه في ستة الف فارس فحصره وضيق عليه وعلى من فيه وكان في جملة ولاية امير الجيوش المذكور فحين عرف امير الجيوش صورة الحال ووصول الاتراك لانجاد من بصور واسعاده قادة (60^٢) الضرورة الى الرحيل عن صور بعد ان استفسد كثيراً من اهلها والعسكرية بها بحيث قويت بهم شوكته وزادت بهم عدته وتلوم عنها قليلاً ثم عاود النزول عليها والمضايقة لها واقام عليها في البر والبحر مدة سنة احتاج اهلها مع ذلك الى اكل الخبز الرطل بنصف دينار ولم يتم له امر فيها لاختلاف الاتراك في الشام فرحل عنها. وفي هذه السنة مرض الامير محمود بن صالح في حلب مرضاً شديداً وخطب للامام القباثم لامر الله على منبر حلب وقطع الدعوة المستنصرية في تاسع عشر شوال. وفيها فتح ملك الروم ثغر منبج (١) واحرقه وعاد يقدم بعمارته ورجل عنه الى ناحية منازجود فعات في اطرافها الى اطراف خراسان وبقيت منبج في ملكة هذا الملك واسسه على ما ذكر اليزدوخانس سبع سنين ودام في الملك على ما حكى ثلثين سنة (٢) ثلث وستين واربعائة

فيها جمع اتسز بن اوق مقدم الاتراك الغز بالشام (٣) واحتشد وقصد ارض فلسطين

(ابو طالب) وعلى الرملة والساحل ابن حمدان ولم يبق لامير الجيوش غير عكا وصيدا (١) قال سبط ابن الجوزي وكان اكثر اهلها قد هربوا منها وبلغ كرى الراحة منها الى حلب ثمانين ديناراً

(٢) وقال ايضاً ان في الاثنتين سابع صفر سنة ٦٦٨ فتحت قلعة منبج وارتجعت من يد الروم بعد حصار طويل سلمها الحافظ لها بامان الى نصر بن محمود صاحب حلب واعطاء اقطاعاً وما لا وان كانت مدة بقائها في يد الروم سبع سنين وشهراً فانها أخذت في المحرم سنة ٦٦٩ (٣) هو ابن ابق في تاريخ الاسلام وفي مرآة الزمان انه مقدم الناصرية

فافتتح الرملة وبيت المقدس وضائق دمشق وواصل الغارات عليها وعلى اعمالها وقطع الميرة عنها ورعى زرعها عدة سنين في كل ربيع لمضايقتها والطمع في ملكتها ولم يزل متردداً الى ان اضطرب امرها وخربت المنازل بها وزاد غلاء الاسعار فيها وعدم تواصل الاقوات اليها وجلا اكثر اهلها عنها واستحكم الحلف بين العسكرية والمصامدة والاحداث من اهلها وكون الوالي معلّى بن مئزر لعنه الله قد هرب عنها ولم يبق فيها من المقدمين على الاجناد غير الامير زين الدولة زمام المصامدة بها . وفي هذه السنة نزل السلطان العادل البارسلان بن داود اخي السلطان طغرل بك بن سلجوق رحمه الله على حلب محاصراً لها وبها محمود بن صالح في يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة وضايقتها الى ان ملكها بالامان فخرج محمود اليه فأمنه وانعم عليه وولاه البلد . ورحل عنه ثالث وعشرين رجب قاصداً الى بلاد الروم طالباً ملكهم وقد توجه الى منازلهم فلحقه ووقع به وهزمه وكان عسكره على ما حكى تقدير ستمائة الف من الروم وما انضاف اليهم من سائر الطوائف وعسكر (60^٧) الاسلام على ما ذكر تقدير اربع مائة الف من الاتراك وجميع الطوائف وقتل من عسكر الروم الخلق الكثير بحيث امتلأ واد هناك عند التقاء الصفين وحصل الملك في ايدي المسلمين اسيراً وامتلات الايدي من سوادهم واموالهم وآلاتهم وكراعهم ولم تزل المراسلات مترددة بين السلطان البارسلان وبين ملك الروم المأسور الى ان تقرر اطلاقه والمن عليه بنفسه بعد اخذ العهود عليه والمواثيق بترك التعرض لشيء من اعمال الاسلام واطلاق الاسارى وأطلق وسير الى بلده واهل مملكته فيقال انهم اغتالوه وسلّموه واقاموا غيره في مكانه لاشياء انكروها عليه ونسبها اليه (١)

(١) وقال الفارقي وهو احمد بن يوسف بن علي بن الازرق في تاريخه يعني تاريخ ميفارقين وآمد : ثم ان السلطان سمع ان ملك الروم عاد فنزل الى الموصل فقتل خلفه جماعة كثيرة من اهل اخلاط ومنازجرد يعلمونه ان ملك الروم قد عاد الى البلاد فرجع السلطان وصعد الى ارزن وبدليس وكان معهم قاضي منازلجرد فوصل اخلاط وملكها واقام بها أياماً . ثم وصل ملك الروم الى ولاية منازلجرد فتخرج السلطان وسار وتزل على باب منازلجرد وحصلت المراسلات تمضي بينهما وكان ملك الروم في خلق لا يحصى . ومضى ابن الحلبان من عند السلطان الى ملك الروم فسأله من البلاد وحالها وقال : اخبرني أيما أطيب اصفهان او همدان . فقال : اصفهان . فقال له : قد بانا ان همدان شديدة البرد . فقال : هو كذلك . فقال الملك : نشتي نحن في اصفهان والكرع في همدان . وقال له ابن الحلبان : اما الكراع صحيح يشتي في همدان واما انت فلا اعلم . ثم انتقل عنه والتفوا

سنة اربع وستين واربعمائة

في الحرم منها قُتل الأمير جعفر صاحب قلعة دوسر فيها بمكيمة نُصبت له وحيلة

لقتال فبُعث الروم صفافها في ثلثمائة الف فارس والسلطان في نفر يسير فضيق الوقت للقتال وكان يوم الجمعة الى وقت ما علم السلطان ان الخطيب على المنبر وحان وقت نزوله فقال للناس : احملا . فحملوا كلهم وكبروا وقال السلطان : هذا وقت الدعاء على جميع المشركين لجيوش المسلمين وباقي الناس يؤمنون على دعائهم فلمل الله يستجيب من واحد منهم . ثم حملوا وكبروا فاعطاهم الله النصر فانهم ملك الروم وقتل من اصحابه خلقا عظيما وغنموا اموالهم بحيث تقاسموا الذهب والفضة بالارطال . وغنم اهل اخلاط ومنازجرد من اموالهم ما استغنوا به الى الان فانهم خرجوا واقاموا مع الجيش وقتلوا ونهبوا اكثر النهب ومن تلك السنة استغنى اهل اخلاط وحصلوا ارباب مال . وعاد السلطان الى اذربيجان وولى في اخلاط ومنازجرد واليا وخرجت عن حكم بني مروان والى الان (يعني سنة ٥٧٢) هي بحكم السلطان يقطعها

واما هذه الورقة العظيمة فبروى عنها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ان البارسلان قد سار من همدان في ذي القعدة سنة ٦٢ فلما قارب ارجيش ومنازجرد من بلد اخلاط فتحميها وقتل وسبي وبعث بين يديه الافشين في سرية وكان اريسيني زوج اخت السلطان معه جماعة من الناصكية وكان السلطان يطلبهم فساروا من حازين الى بلاد الروم خائفين من السلطان ورحل السلطان الى بند ميفارقين فخرج الى خدمته نصر بن مروان وهو خائف منه وكان الوزير نظام الملك قد مضى اليه وخرج به الى السلطان فقربه وخلع عليه وقسط عليه مائة الف دينار للجدد واخرج للسلطان من الاقامات شيئا كثيرا اخذه من الرعية فرداه عليه وقال : ما لنا الى اموال الفلاحين حاجة . فحمل الاقامات من خاصه . وفتح حصن السريدا وحصونا كثيرة وكان الغزاة يبقرون بطون النساء ويقتلون من الاسارى من يصف عن المشي معهم وتسرّع جماعة من الغلمان الى حران ونواحيها فنهبوا وهرب الناس الى حصن الرافقة . وتزل السلطان الرها وقاتله اهلها وطعم الخندق بالاشجار وغيرها وكانوا قد بذلوا اول ما تزل خمسين الف دينار وينصرف عنهم فرضي وقدر القتال عنهم فقالوا : لا نمطيك المال حتى تدم آلات الحرب وتحرقها . فامر بكسرهما وحريقهما فلما فعل ذلك رجعوا . وكان عنده رسول من الملك وهو الواسطة بينهم فاغتاظ السلطان وتقدم بمسلك الرسول وقتله فقال نظام الملك : هذا لم يجر به عادة ولا احب ان تسن سنة لا يعرف باطنها ويقبح ظاهرها . ولطف به حتى افرج عن الرسول واعطاه جواب كتبه وصرفه . ورحل في الحادي عشر من ربيع الآخر طالبا للفرات لما بين احدهما تأخر خبر الافشين والثاني تقاعد من بقي معه من العراقيين عسكر طفرل بك عن القتال وخبث نفوسهم لتأخر اربابهم ولما انصرف عن الرها استخرج اهلها القتل وقطعوا رؤوسهم ليحملوها الى ملك الروم واحرقوا جثثهم وصالح اهل حران على مال . وتزل السلطان على الفرات رابع شهر ربيع الآخر ولم يخرج اليه محمود صاحب حلب ففاظله ذلك وعبر الفرات واخربت الساكر بلد حلب ونهبوه ووصلوا الى القرينين من اعمال حمص ونهبوا بني كلاب وعادوا بتنائم عظيمة وهربت العرب الى البرية . وراسل محمود وطلب منه الحضور فلتع وحمل اليه الاموال التي قسطها على بلاده فقال : ما امرى لامتناعك من قصد خدمتي مع

تثمت عليه وضعة استمرت به . وفيها ملكة الرقة واستولى عليها . وفيها نهض محمود بن اقامتكم الخطبة لي واتصال مكاتبتك وجهاً وقد علمت احساني الى كل من حضر عندي من ملوك الاطراف . فارسل محمود والدته وولده بخدمة قليلة فزاد غيظ السلطان . وانفق ان الخليفة بعث لمحمود الخلع التي طلبها لما خطب للقائم مع نقيب النقباء منها القرجية والعمامة وقرس بركب ثقيل ولواء ولوالدته قرسين وثياباً وليني عمه خيلاً وثياباً وخرج محمود والتقى النقيب فسلم اليه عن الخليفة قتل وقبّل الارض ولبس الخلع وركب القرس ودخل الى حلب واقام النقيب يومين لم يره من محمود فيهما ما ظن فركب اليه (و) قال محمود : انا اطيعكم وهذا السلطان على بعد وطابت حراستي وحراسة بلادني فلما البلاد فقد شاهدت خراجها ونهبها وانا مطالب بالخروج اليه والاموال التي تفقدني ومهد بالحصار والبور وهذا كتاب السلطان عندي بالاعفاء من دوس البساط . فقال النقيب : هات الكتاب لاضي اليه . فاعطاه اياه فخرج اليه وكان نازلاً على الفندق فلما وصل بعث السلطان اليه بقرس التوبة واكرمه واستدعاه وبلغه عن الخليفة ما حمله اليه فقام وقبّل الارض وشكر ودعا وقال له : ما الذي اخرجك ؟ فقال : جئت لاجل محمود الى خدمتك فاخرج الي هذا الكتاب . فقال : صحيح انا كتبت تطيباً لقلبه مع بعدي منه فاما اذا قربت منه فما اتع هذا واني عذر لنا اذا كان متعباً اليه وقد عصى علينا ونصب المجانيق ليستعد للحصار واني حرمة تبقى لنا عند الملوك ؟ ويجب ان ترجع اليه وتضمن له عني كما يريد . قال النقيب : فقلت : سمعاً وطاعة . وثقل عليه ما بعث له الخليفة فقال بعض الحجاب : ما فعل هذا الا بامرنا فمكن . واجتمعت بنظام الملك وقلت : محمود يخدم بعشرين الف دينار للسلطان وخمسة الاف دينار لك ويدفع باللقاء الى حين عود السلطان من دمشق . وعدت الى حلب واخبرت محموداً فقال : اما المال فما عندي حبة واما الخروج فلا سبيل اليه . وتزل السلطان على حلب يوم الاحد الليلة بقيت من جهادي الاخرة فقاتلهم فذلوا فارسل محمود يطلب الموادة وخرج اليه في الليل ومعه والدته فاخذت بيده ودفعته الى السلطان وقالت : هذا ولدي قد سلمته اليك فاحكم فيه بما تراه فتلقاء بما احب واكرمه . وقال : عد الى قلمتك وترجع اليه في غد ليظهر من اكرامنا ما تستحقه . فرجع الى القلعة وعاد من القيد وتلقاه نظام الملك والحجاب والخواص ولم يتخلف غير السلطان ودخل على السلطان فخلع عليه الخلع الجليلة واعطاه الخيل براكب الذهب والفضة والكوسات والاعلام وعنه فقال محمود : والله ما كنت الا على نية تلقيتك حتى خيبت منك . فلم السلطان من فعل ذلك فكاسر

وبيناهم على ذلك وردت رسل ملك الروم برّد شيوخ وارجيتس ونازجرد اليه وخمّل اليه المدينة وجاءه خبر الاقشين وعوده سالماً وضجر السلطان من المقام بحلب ففكر راجعاً فقطع الفرات وهلك اكثر الدواب والجمال وكان عبوره شبه الحارب ولم يذهب من يثنت الى ما ذهب من الارواح والدواب وما د رسل الروم مستبشراً الى صاحبه فقوي ذلك عزم ملك الروم على اتباعه وحربه . واما حديث الاقشين فان ابن اريسيني هرب من السلطان ومعه طائفة من النواكية يريد القسطنطينية وجاء الى دربند وعليه قلة فيها امرأة يقال لها مريم فسألها ان تمكّنه من العبور فلم تفعل ذلك وكان الملك لا يلفه خبر اريسيني بعث ميخائيل لقتاله ظناً منه انه عدو فلما قرب منه ميخائيل ارسل اليه : ما جئت لاحاربكم وانا جئت ملتجئاً اليكم من السلطان . فقال : كذبت . فقال : لو كان هذا صحيحاً لما اخربت بلادنا ونهبت وقتلت . فحلف له فلم

صالح من حلب فيمن حشد من العرب وقصد ناحية عزازي في يوم السبت الثاني والعشرين

يصدقه واقتلوا فنصر اريسيغي على الروم فقتل منهم خلقاً عظيماً وامر ميخائيل وقطع مايو سبعين قطاراً ذهباً . وقرب الافشين منهم فقال اريسيغي لميخائيل : القصّة هكذا وكذا وانا اطلقك ولا آخذ شيئاً وتجيروني من الافشين . وعلم سرّه فأمنه وسارا جميعاً الى القسطنطينية وجاء الافشين الى خليجها فقام به اياماً وراسل الملك وقال : بيننا وبينك هدنة ولما دخلت بلادك ما تمرّضتُ لاحد وهولاء الساوكة اعداء السلطان وقد نهبوا بلادك واخربوها ويجب ان تسلمهم اليانا والّا اخربتُ بلادك ولا هدنة بيننا . فقال الملك : كلما ذكرته صحيح ولكن عادتنا من لجأ اليانا ان لا نسلمه . فرجع الافشين فدرس الروم فلم يسلم منه الا حصن منيع وبلد كبير ووصل الى درب مريم ووقع الثلج فاقام حتى ارتفع وشار الى اخلاط ومعه من الغنائم ما لم يقنمه احد وكب الى السلطان بذلك . وسار السلطان الى الوزير فجاءه خبر ملك الروم انه قد تجهّز في المساكن الكثيرة وانه قاصد بلاد الاسلام وكان السلطان في قليل من العسكر لانهم عادوا جافلين من الشام وتلك الجفلة استهلك اموالهم ودواجم فطلبوا سراكزم وبقي السلطان في اربعة الاف غلام ولم ير الرجوع لجمع المساكن فتكون هزيمة . فانفذ بخاتون الشقيقة مع نظام الملك والاثقال الى همدان وامره بجمع المساكن وانفاذها اليه وقال لوجوه مسكره الذين بقوا معه : انا صابر صبر المحتسبين وصائر في هذه الغزاة مصير المخاطرين فان نصرني الله فذاك ظني في الله تعالى وان تكن الاخرى فانا اعهد اليكم ان تسمعوا لولدي ملك شاء وتطيعوه وتقيسوه مقامي . فقاتلوا : سماً وطاعة . وبقي جريدة مع العسكر الذين ذكرنا ومع كل غلام فرس يركبه واخر يجنبه وصار قاصداً ملك الروم وارسل احد الحجاب الذين كانوا معه في جماعة من الغلمان مقدّمة له فصادف عند اخلاط صليباً يحثه مقدّم الروم في عشرة الاف فحاربهم فنصر عليهم واسر المقدّم وكان من الرؤس واخذ الصليب

وبعث الى السلطان بذلك فاستبشر وقال : هذه امارة النصر . وارسل بالصليب الى همدان وجده انف المقدّم ثم امر بان يُحمل الى الخليفة . ووصل ملك الروم الى منازلجرد فاخذها بالامان وقصد ناحية السلطان في موضع يعرف بالرمو بين اخلاط ومنازجرد لحسن بقين من ذي القعدة فبعث اليه السلطان بان يرجع الى بلاده ويتمم الصلح الذي توسطه الخليفة فقال : لا أرجع حتّى افعل ببلاد الاسلام مثل ما فعل ببلاد الروم وقد انفقت الاموال العظيمة وكيف ارجع ؟ وكان يوم الاربعاء واقام السلطان الى نهار الجمعة وجمع وقت الصلاة اصحابه وقال : الى متى نحن في نقص وهم في زيادة اريد ان اطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر فان نصرنا عليهم والّا مضينا شهداء الى الجنة فمن احب ان ينصرف فلينصرف مضاجاً فما هاهنا اليوم سلطان وانما انا واحد منكم وقد فتحنا على المسلمين ما كألوا عنه في غناء . فقالوا : اياها السلطان نحن عبيدك ومها فعلت تبناك . وكان قد اجتمع اليه عشرة الاف من الاكراد وانما اعتماده بعد الله تعالى على الاربعة الاف الذين كانوا معه وملك الروم في مائة الف مقاتل ومائة الف نقاب ومائة الف جرجي ومائة الف صانع واربعمائة عجلة تجرّها ثمانمائة جاموس عليها نعال ومسامير والفا عجلة عليها السلاح والجبانق وآلة الزحف وكان في عسكره خمسة الاف بطريق ومعه منجنيق يمدّه الف رجل ومائتا رجل ووزن حجري عشرة قناطير وكل حلقة منه مائتا

من رجب للقاء الروم فاندفعت الروم بين ايدي العرب والعرب في عدة قليلة تناهز الف

رطل بالشامي وكان في خزانته الف الف دينار ومائة الف ثوب ابريسم ومن السروج الذهب والمناطق والمصاغيات بمثل ذلك . وكان قد اقطع البطارقة البلاد مصر والشام وخراسان والري والعراق واستثنى بغداد وقال : لا تتعرضوا لذلك الشيخ الصالح فانه صديقنا (يعني الخليفة) . وكان عزيمة يشي بالعراق ويصيف بالعجم واستناب في القسطنطينية من يقوم مقامه وعزم على خراب بلاد الاسلام . فلما كان يوم الجمعة وقت الصلاة قد شاور السلطان اصحابه قام قائداً ورعى القوس والنشاب من يده وشد ذنب فرسه بيده واخذ الدبوس وقمل اصحابه كذلك وبنشوا الروم وصاحوا صيحة واحدة ارتجت لها الجبال وكبروا وصاروا في وسط الروم فقاتلهم وما لحق الملك يركب فرسه وما ظن انهم يقدمون عليه فنصر الله المسلمين عليهم فانهزموا وتبهم السلطان بقية خمار الجمعة وليلة السبت يقتل ويأسر فلم ينج منهم الا القليل وغنموا جميع ما كان معهم ورجع السلطان الى مكانه . فدخل عليه الكوهرين فقال : ان احد غلمانك قد اسر ملك الروم وكان هذا غلامك قد عرض على نظام الملك فاحتقره واسقطه فكلسه فيه فقال مستهزئاً به : لعلنا يبيثنا بملك الروم اسيراً . فأجربى الله تعالى اسر ملك الروم على يده . واستبعد السلطان لذلك وارسل خادماً يقال له شاذي كان قد ارسله به فلما رآه عرفه فرجع واخبر السلطان فامر بانزاله في خيمة ووكل به واستدعى الغلمان وسأله : كيف اسرتك . فقال : رأيت فارساً وعلى رأسه صلبان وحوله جماعة من الخدم الصقالية فحملت عليه لاطعته فقال لي واحد منهم : لا تفعل فهذا الملك . فاحسن السلطان اليه وخلع عليه وجعله من خواصه فقال : اريد بشارة غزوة . فاعطاه اياها . ثم ان السلطان احضر الملك واسمه ارمانوس وضربه ثلاث مقارع ورفسه برجله ووجعته وقال : ألم ارسل اليك رسل الخليفة اطال الله بقاءه في امضاء الهدنة فابيت ألم ارسل اليك مع الافشين « اطلب اعدائي » فتمت ألم تعذرت وقد حلفت لي . ألم ابعت اليك بالاس اسألك الرجوع فقلت « قد انققت الاموال وجمعت المساكر الكثيرة حتى وصلت الى هاهنا وظفرت بما طلبت فكيف ارجع ألا ان افعل ببلاد المسلمين مثل ما فعل ببلادي » وكيف رأيت اثر البغي ؟ وكان قد جبل في رجلين قيدي وفي عنقه غلا فقال : ايها السلطان قد جمعت المساكر من سائر الاجناس وانققت الاموال لاخذ بلادك ولم يك النصر وبلادي ووقوتي على هذه الحال بين يديك بعد هذا فدعني من التوبخ والتعنيف وافعل ما تريد . فقال له السلطان : فلو كان الظفر لك ما كنت تفعل مي ؟ قال : القبيح . فقال : آه صدق والله لو قال غير هذا لكذب هذا رجل عاقل جلد لا يجوز قتله . ثم قال له . ما تظن ألا ان افعل بك ؟ قال : احد ثلثة اقسام اما الاولى فتتلى والثاني اشهاري في بلادك التي تحدث بقصدها واما الثالث فلا فائدة في ذكره لانك لا تفعله . قال : وما هو ؟ قال : المغرمي وقبول الاموال والهدنة واصطناعي وردني الى ملكي مملوكاً لك وبعض اسفهاريتك ونائبك في الروم فان قتلك لي لا يفيدك وهم يتيمون فبري . فقال السلطان : ما نويت ألا المغرمين فاشتر نفسك . فقال : يقول السلطان ما يشاء . فقال : عشرة الاف الف دينار . فقال : والله انك تستحق ملك الروم اذ وهبت لي نفسي ولكن قد انققت اموال الروم واستملككها منذ وليت عليهم في تجريد المساكر والحروب واقفرت القوم . ولم يزل الخطاب يتردد الى ان استقر الامر على الف الف وخمسمائة الف دينار وفي الهدنة على ثلثمائة الف دينار وستين الف دينار في كل سنة وان ينفذ من عساكر الروم ما تدعو الحاجة اليه . وذكر اشياء

فارس وقصدوا انطاكية واجتمعوا بها وعادت العرب الى حلب . وفيها ورد الخبر من
فقال : اذا مننت على عجل سراجي قبل ان تنصب الروم ملكاً غيبي فيقوت المقصود ولا اقدر
على الوصول اليهم فلا يحصل شيء مما شرطته عليّ ؟ فقال السلطان : اريد ان تُعيد انطاكية والرها
ومنج ونازجرد فانها أُخذت من المسلمين عن قرب وتفرج عن اسارى المسلمين . فقال : اما
البلاد فان وصلتُ سالماً الى بلادني انقذتُ اليها المساكر وحاصرتهَا واخذتُها منهم وسألتُها اليك
وامّا القوم فلا يسمعون مني وامّا اسارى المسلمين فالسمع والطاعة اذا وصلتُ سرحتهم وفعلتُ
مهم الحيل . فامر السلطان بفك قيوده وغله ثم قال : اعطوه قدحاً ليسقينيه . فظنّ له فاراد ان
يشربه فنزع وأمر بان يخدم السلطان ويناوله القدح فاوماً الى تقبيل لارض وناول السلطان القدح
فشربه وجزّ شعره وجعل وجهه على الارض وقال : اذا خدمت الملوك فافعل كذا . وانما فعل
السلطان ذلك لسبب اقتضاه وهو ان السلطان لما كان بالري وعزم على غزو الروم قال لفرامرز
ابن كاكويه : هوذا امضي الى قتال ملك الروم واخذه اسيراً واوقفه على رأسي ساقياً . فحقق الله
قوله . واشترى جماعة من البطارقة واستوب اخريين فلما كان من الغد احضره السلطان وقد نصب
له سرير ودسته الذي أخذ منه فاجلسه عليه وخلع عليه قبائه وقلنسوية والبسة اياها بيده وقال :
قد اصطفتك وقنعتُ بامانتك وانا اسيرك الى بلادك وارذك الى ملكك . فقبل الارض . وكان لما
بث الخليفة ابن المحلبان اليه امر بكشف رأسه وشدّ وسطه وان يقبل الارض بين يديه فقال له
السلطان : ألسن الفاعل بابن المحلبان رسول الخليفة كذا وكذا فقم الان واكشف رأسك وشدّ
وسطك . واولى الى ناحية الخليفة وقبل الارض . ففعل فقال السلطان : اذا كنتُ انا وانا اقلّ الملوك
الذين في طاعته فعلتُ بك ما فعلتُ زانا في شرذمة من جندي وقد حشدت دين النصرانية فكيف
لو كتب الخليفة الى ملوك الارض يأمرهم فيك بامر ؟ وعقد له السلطان راية فيها : مكتوب « لا اله
الا الله محمد رسول الله » وانفذ معه حاجبين ومائة غلام فوصلوا به الى القسطنطينية وركب معه
وشيعه قدر فرسخ فاراد ان يترجل فنعه السلطان وخفّ عليه وضمه اليه وتناقرا وعاد السلطان
عنه . حكى ملك الروم قال : العادة جارية ان الملك الخارج من القسطنطينية اذا اراد الخروج الى
حرب دخل البيعة الكبرى واستشفع بصليب ذهب جا مرصع باليواقيت (قال) فدخلت البيعة
لما عزم على هذه السفرة واستشفعت اليه واذا بالصليب قد زال عن موضعه الى القبلة الاسلامية
فعميت من ذلك وسويته الى المشرق واتيسه من الغد واذا به قد مال الى القبلة فامرت بشده
بالسلاسل ثم دخلت اليه في اليوم الثالث واذا به قد مال الى القبلة فتطيرت وعلمت اني مغلوب
ثم غلبني الهوى والطمع فسرت الى بلاد الاسلام فكان مني ما كان

وقال ابو يعل بن القلانسي ان مسكر صاحب الروم كان ستمائة الف من الروم وسائر
الطوائف والذي ذكر من انه كان مع السلطان اربعة الاف مملوك هو الاصح لما ذكرنا من ان
المساكر تفرقت عنه

ثم كتب السلطان الى الخليفة بشرح ما جرى وبث بعامة ملك الروم والصليب وما اخذ من
الروم وذلك في ثالث عشر من ذي الحجة فقرأت الكتب في بيت النبوة وسرّ الخليفة والمسلمون
وذُيبت بغداد تريباً لم تُزين مثله . وعلمت القباب وكان فتحاً عظيماً لم يكن في الاسلام مثله .
وعاد السلطان الى الري وهمدان

بغداد في شهر ربيع الاول منها بان الامام الحافظ ابا بكر احمد بن علي بن ثابت
البغدادي الخطيب رحمه الله توفي يوم الاثنين السابع من ذي الحجة منها وحمل الى
الجانب الغربي من بغداد وصلي عليه ودفن بالقرب من قبة احمد بن حنبل رحمه الله (١)

واما ملك الروم ارمانوس فقال عنه السبط ايضا : انه لما جرى عليه ما جرى سبق خبره الى
القسطنطينية فوثب ميخائيل على الملكة وقبض على والدته زوجة ارمانوس ولما ابن وبنت فحلق
رأسها والبسها الصوف وادخلها الدير . ووصل ارمانوس الى دوقية وحصل في قلعتها وعرف الخبر
فلبس الصوف وظهر الزهد في الملك وراسل ميخائيل يقول : قد فعلت في جمع العساكر واتفاق
الاموال واعزاز دين النصرانية ما فعلت ولم آل جهدا ولا غلبت من قلة ولا من ضعف الرأي وقد
كان من قضاء الله تعالى وقدره في نصر الاسلام واهله ما لا قدرة لاحد فيه ولا في رده ودفعه
ولما حصلت في هذا الرجل تكريم الكرم الذي لم اظنه وقرر علي مال المدينة ومن علي واطلقتني
وصعدت الى الحصن زاهدا في الملك ولبست الصوف وحمدت الله اذ حصلت في المكان الذي انت
احق به من خبرك ويجب علي ان امرتك حال هذا السلطان وما فيه من الفضل والاحسان فان
قبلت قولي كنت الواسطة بينكما في حفظ دين النصرانية وان خالفت فانت أعلم وتؤدي المال
الذي قرر علي وتخلص رقبتي من امانة فيها . فاجابه باستصواب رأيه واعتذر بان الحروب انفذت
الاموال وهو يحمل ما قرر عليه مال فكأه مع مال المدينة اولا اولا الى ان يوفيه . فانفذ ارمانوس
الى السلطان بذلك وانفذ اموالا كانت في حصن دوقية نحو مائتي الف دينار من جلبتها طشت
وابريق وطبق من ذهب مرصع بالجواهر تبلغ قيمته سبعين الف دينار وحلف بالانجيل انه ما امكنه
حمل اكثر من هذا ولا امتدت الى غيره واحطى الحاجبين الذين سارا في خدمته والفلان ما جازاهم
به واعتذر اليه ووصل ذلك الى السلطان واجابه بما سأل ورضي بتأخير المال مع مال المدينة . ثم
بعث ميخائيل بعد انفصال النمان عن ارمانوس بقوله : ان كنت قد ترهت حقيقة فيجب ان
تنتقل الى بعض البيع وتخلي عن الحصن لارتب فيه من يحفظه . فتكبر ارمانوس وقال : كانه ما
قنع لي بتزول الملك وحصولي في الحصن حتى ينقضي فيه . فرمي بالصوف واقترض اموالا من
التجار الذين كانوا في الحصن وجمع اليه عسكر من الارمن وقصد سنخاريب ملك الارمن فبعث
اليه يقول : ان كنت جئتني ضيفا خدمتك اما محاربة ميخائيل فلا قدرة لي عليها . فقال : ما
جئتك الا ضيفا . فخرج اليه وتلقاه وقبض عليه واخذ امواله وكان ثمانين قطارا وتقدم
بسلمه وجبه . وكان مع ارمانوس الوف من الروم والارمن فاستخدمهم سنخاريب وسار الى
قونية والبلاد فلحقها واستولى على معظم الروم وسار الى ملطية وصادر اهله واخذ اموالهم وراسل
السلطان فوعده ان يشجده بنفسه

(١) قال سبط ابن الجوزي في ترجمة الخطيب في السنة ٤٦٣ . قال محمد بن طاهر المقدسي :
لما هرب الخطيب من بغداد عند دخول الباسيري اليها قدم دمشق فصعبه حدث صبيح الوجه
فكان يجتأف اليه فتكلم الناس فيه واكثروا وبلغ والي المدينة وكان من قبل المصريين شيعيا فامر
صاحب الشرط بالقبض على الخطيب وقتله وكان صاحب الشرطة سنيا فهجم عليه فرأى الصبي عنده
وهما في خلوة فقال للخطيب : قد امر الوالي بقتلك وقد رحمتك وما لي فيك حيلة الا اني اذا

سنة خمس وستين واربعمائة

فيها هرب الامير ابو الجيوش علي بن المقلد بن مثقذ من حلب خوفاً من صاحبها
الامير محمود بن صالح حين عرف عزمه على القبض عليه وقصد المعرة ثم قصد كفرطاب.
وفيها ورد نعي الامير عطية عم الامير محمود بن صالح من القسطنطينية في ذي الحجة.
وفيها ورد سائر الامير محمود بن صالح من حلب فيمن جمعه وحشده من عسكره الى
الرجة. وفي هذه السنة ورد الاخبار باستشهاد السلطان العادل البارسلان ابن داود (١)
اخى السلطان طغرل بك ملك الترك على نهر جيحون عند حصن هناك بيد من اغتالاه
من الباطنية المتزين بطريقة الزهاد المتصوفة على القضية المشهورة (61^٢) والسجية
المذكورة

سنة ست وستين واربعمائة

فيها فتح الامير محمود بن صالح قلعة السن في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الآخر.
وفيها وردت الاخبار من بغداد بزيادة مدة دجلة حتى غرق بها عدة اماكن وهدم عدة
مساكن. وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بانتصاب السلطان العادل ملك شاه
الى الفتح محمد بن السلطان البارسلان في المملكة بعد ابيه وجلسه على سرير الملك
بعد اخذ البيعة له على امراء الاجناد وكافة ولاية الاعمال والبلاد فاستقامت له الامور
وانتظمت به الاحوال على المراد والمأثور واستمر التدبير على نهج الصلاح وسنن النجاح
وسلك في العدل والانصاف مسلك ابيه العادل عن طريقة الجور والاعتساف ورتب
النواب في الاعمال والثقات في حفظ الاموال. وفيها توفي ابو علي الحسين بن سعيد بن
محمد بن سعيد الطار بدمشق. في يوم الجمعة من صفر وكان من اعيان شهودها وحدث
عن جماعة

خرجت بك امرأتى دار الشريف ابن ابي الجن الهلوي فأدخل داره فاني لا اقدر على الدخول خلفك.
وخرج به فمر على دار الشريف فوثب الخطيب فصار في الدهليز وعلم الوالي فارسل الى الشريف
يطلبه منه فقال الشريف: قد علمت اعتقادي فيه وفي امثاله وليس هو من اهل مذهبي وقد
استجارني وما قتله مصلحة فان له بالعراق صيتاً وذكرًا فان قتله قتلوا من اصحابنا مدة واخرى
شاهدنا. (قال) فخرج من البلد فاخرجوه ففى الى صور (١) وفي الاصل: عدد

سنة سبع وستين وأربعمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة القائم بأمر الله أبي جعفر عبد الله بن الإمام القادر بالله في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان وأمه أم ولد تسمى قطر الندى رومية وأدركت خلافته وماتت في رجب سنة ٤٥٢ وكان مولده في الساعة الثالثة من نهار يوم الخميس وقيل الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٣٩١ وتولى الأمر بعد أبيه وعمره إحدى وثلاثون سنة في يوم الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٤٢٢ (ومات) وعمره ست وسبعون سنة وكانت أيامه أربعاً وأربعين سنة وتسعة أشهر وأياماً وكان جميلاً مليح الوجه أبيض اللون مُشرباً خمر خمر حسن الجسم أبيض الرأس واللحية ورعاً متديناً زاهداً عالماً وكان رحمه الله قد يلي من إرسال الفسائري بما يلي إلى أن أهلكه الله وأراحه بالعزائم السلطانية حسب ما تقدم به شرح الحال. وروي عنه أنه لما اعتقل في الحديث كتب رقعةً وأتقدها إلى مكة حرسها الله تعالى مستعبداً (٦١^٧) إلى الله تعالى على الفسائري وعلقت على الكعبة ولم تُحطَّ عنها إلى أن ورد الخبر بخروجه من الاعتقال من الحديث وعوده إلى داره وهلاك عدوه الفسائري وعنونها « إلى الله العظيم من المسكين عبده ». ونسخة الاستغاثة :

« بسم الله الرحمن الرحيم اللهم أنك العالم بالسرائر والمطلع على مكنون الضمائر اللهم أنك غني بعلمك وإطلاعك على خلائك عن اعلامي هذا عبد من عبيدك قد كفر نعمتك وما شكرها والنهي العواقب وما ذكرها اطغاهُ حكمك وتجبر باناتك حتى تغدَى علينا بغياً وإساءةً إلينا عُتُوراً وعدواً اللهم قُلْ الناصر واعتد الظالم فانت المطلع العالم والمنصف الحاكم بك نعتزُّ عليه واليك نهرب من يديه فقد تغرَّز علينا بالخلقين ومن نعتزُّ بك يا رب العالمين اللهم انا حاكماهُ اليك وتوكلنا في انصافنا منه عليك ورفعنا ظلامتنا هذه إلى حرمك ووثقنا في كشفها بكرمك فأحكم بيننا بالحق وانت خير الحاكمين واظهر اللهم قدرتك فيه وارنا ما نرتجيه فقد اخذته العزة بالاثم اللهم فاسلبه عزه وملكننا بقدرتك ناصيته يا ارحم الراحمين وصلِّ يا رب على محمد وسلم وكرم »

وتولى بعده الأمر ولد ولد الإمام أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين (بن) القائم بأمر الله أمير المؤمنين وكان ذخيرة الدين ولي العهد فتوفي في حياة أبيه القائم بأمر الله فعتد الأمر لابنه أبي القاسم عبد الله ولقبه المقتدي بالله وأخذت له البيعة في شعبان سنة ٤٧٧ وعمره تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وأيام . وفي هذه السنة وردت

الاخبار من ناحية حلب بوفاة صاحبها الامير محمود بن شبل الدولة بن صالح بحلب في جمادى الاولى وقام في منصبه ولده الامير نصر بن محمود وهناك بعد التعزية الامير ابو الفتيان ابن حيوس بالقصيدة الالفية المشهورة التي يقول فيها:
وقد جاد محمود بالفِـرِ تصرّمت واني سارجو ان سيُخلفها نصرُ
فاطلق له الف دينار وقال له: لو كنت قلت «سيضعفها نصر» لفعلتُ

سنة ثمان وستين واربعمائة وفيها:

وفيها ولاية الامير زين الدولة لدمشق

(62^ق) لما هرب مُعَلّي بن حيدرة بن مترو (١) لعنه الله من ولاية دمشق على القضية ذكرتها اجتمعت المصامدة الى الامير زين الدولة انتصار بن يحيى زمامهم والمقدم واتفق رأيهم على تقديمه في ولاية دمشق وتقوية نفسه على الاستيلاء عليها ودفع من ينازعه فيها ووقع ذلك من أكثر الناس اجل موقع واحسن موضع وارتضوا به ومالوا اليه لسداد طريقته وحيد سيرته وكونه احسن فعلاً ممن تقدمه واجمل قصداً ممن كان قبله فاستقر الامر على هذه القضية والسجية المرضية في يوم الاحد مستهل الحرم من السنة . وفي هذه السنة اشتد غلاء الاسعار في دمشق وعُدمت الاقوات وتقدت الغلات منها واضطر الناس الى أكل الميتان واكل بعضهم بعضاً ووقع الخلف بين المصامدة واحداث البلد وعرف الملك اتسز بن اوق مقدم الاتراك وما آلت اليه الحال وكان متوقفاً لمثل ذلك قتل عليها وبالغ في المضايقة لها الى ان اقتضت الصورة وقادت الضرورة الى تسليمها اليه بالامان وتوثق منه بوكيد الايمان . فلما دخلها في ذي القعدة سنة ٤٦٨ وحصل بها نزل باهلها منه قوارع البلاء بعدما عاتوه من ابن مترو لعنه الله واشتداد البلاء من اتزال دورهم واخراجهم منها واغتصاب املاكهم والقبض لها واستعمال سوء السيرة وخبث النية والسريرة وتوصلت الدعوات عليه من سائر الناس وعلى اصحابه واتباعه في جميع الاوقات واعقاب الصلوات والرغبة الى الله تعالى ذكره باهلاكه وتعفيه اثاره (٢) . وفي هذه السنة وردت الاخبار من حلب بان

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام: انه كان ظلوماً غشوماً للجد والرعية فثاروا عليه فهرب الى بانياس فأخذ الى مصر وجلس الى ان مات

(٢) قال القاري في تاريخه: ان عادت الدعوة في دمشق لبني العباس وانما خرجت من حكم

الامير نصر بن محمود بن صالح صاحبها قُتل بها في يوم الاحد عيد الفطر قتله قوم من اترك الحاضر وذلك انه قبض على مقدمهم المعروف بالامير احمد شاه وخرج اليهم لينهبهم فرماه احدهم بسهم فقتله وقام في منصبه من بعده اخوه سابق بن محمود بن صالح . وفي هذه السنة خطب للامام المتدي بالله ابي القسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله على منبر دمشق وقطعت الخطبة المستنصرية (62) ونظر الملك اتسز بن اوق في امور دمشق واحوالها بما يعود بصلاح اعمالها ووفور استغلالها (١) واطلق لفلأحي المريج والغوطة الغلات للزراعات والزهم الاشتغال بالعمارات والفلاحات فصلحت الاحوال وتواصلت من سائر الجهات الغلات ورخصت الاسعار وتضاعف الجدل بذلك والاستيثار وطابت نفوس الرعية وايقنوا بزوال البؤس والبليّة . وبرز اتسز في عسكره الى نواحي الساحل عازماً على قصد مصر وطامعاً في تملكها

سنة تسع وستين واربعائة

فيها جمع الملك اتسز واحتشد وبرز من دمشق ونهض في جمع عظيم الى ناحية الساحل ثم منها الى ناحية مصر طامعاً في ملكتها ومجتهداً في الاستيلاء عليها والدعاء عليه من اهل دمشق متواصل واللعن له متتابع متّصل فلما قرب من مصر واطلّت خيله عليها برز اليه امير الجيوش بدر في من حشده من العساكر ومن انضاف اليها من الطائف والعرب (وكان قد وصل اليها واستولى على الوزارة (٢) وعرف ما عزم عليه

مصر الى الان (يعني سنة ٥٧٢) وقال الذهبي : عُرض انتصار بيانياس وياقاف . وان اتسز ابطال الاذان بغي على خير العمل

(١) قال سبط ابن الجوزي انه نظر في عمارة البلد لا في عمارة دمشق

(٢) قال سبط ابن الجوزي انه في سنة ٦٧٢ هـ سار من صكا الى مصر باستدعاء المستنصر بعد قتل ابن حمدان وتقلب الدكر التركي ودخل مصر بعد ان اتفق مع الدكر ثم قبض عليه وقتله وانفرد بالامر . واما اتسز فقال السبط عنه ايضاً ان في رجب سنة ٦٩٩ هـ عاد اتسز الخوارزمي الى دمشق منهزماً من القاهرة في خمسة عشر فارس وقد نُصبت امواله وقُتلت رجاله وكان لما نلّم دمشق تصوّر في عزمه قصد مصر فجمع من التركمان والاكراذ والعرب عشرين الفا ووصل الى الريف واقام نيفاً وخمسين يوماً يجمع الاموال ويسبي الحرم ويذبح الاطفال وهو يرسل بدر الجمالي ويطلب المال وقد اتزعج الناس . وكان عسكر مصر بالصعيد يحارب العبيد فضمن له مائة وخمسين الف دينار واستدعى من كان بالصعيد من العساكر والسودان . وكان مع اتسز بدر بن حازم الكلبي في النفي فارس فاستماله بدر فانتقل الى القاهرة وورد القاهرة ثلثة الاف رجل في المراكب لية الحج فقال

اتسز فاستعدّ للقائه وتأهب لدفع قصده واعتدائه وجدّ في الايقاع به وحصلت العرب

لهم بدر: دفع هذا العدو افضل من الحج . وءطام المال والسلاح وقالوا لوالد شكلي التركماني الهارب من اتسز: كاتب التركمان فكاتبهم فانسد منهم نحو من سبعمائة غلام وكانوا كارهين لاتسز من شحه وعسفه واتفقوا ان الحرب متى قامت استأنوا الى بدر . وصار اتسز الى القاهرة في اواخر جمادى الاخرة فارسل بدر الفتي فارس يصدّمونه حتى يستأمن من افسدم ابو شكلي فلم يستأمن احد فكسروهم اتسز فرجموا مغلولين الى القاهرة . وكان التجأ اليها اهل الضياع والصقاع ومصر والتجار فوقفوا على باب القصر باكين صارخين فخرج من المستنصر خادماً فقال : يقول لكم امير المؤمنين انما انا واحد منكم وعوض ما تتضرعون على بابي وتبكون فارجموا الى الله تعالى وتضرعوا له ولازموا المساجد والجوامع وصوموا وصلّوا وازيلوا الخمر والمسكرات فلعل الله يرحمني واياكم ويكشف عنا ما قد نزل بنا . فعاد الناس الى المساجد والجوامع وخرج النساء كاشفات الوجوه منتشرات الشعور يبكين ويستغثن الرجال يقرأون القرآن . وكان بدر الجمالي قد هباً المراكب والسفن ان رأى غلبة تزل الى الاسكندرية وكذا صاحب مصر فضجّ الناس وقصدوا باب القصر وقالوا : تضي انت وبدر في السفن ونهلك نحن . فخرج الجواب : اني معكم مقيم فان مضى امير الحيوش الى حيث يطلب السلامة فها هنا من السفن معكم مع اتني واثق من الله بالنصر وعندنا في الكتب السالفة ان هذه الارض لا تؤثى من الشرق ومن قصدها هلك . فلما كان وقت السحر خرج بدر الى ظاهر القاهرة والعسكر معه . واقبل اتسز في جحافل والدباب والبوقات بيدي فرأى بدر ما لم يظن له به طاقة . وكان بدر قد اقام بدر بن حازم من وراء اتسز كميناً في آلفي فارس فخرج من ورائهم فاخذ البغال المحملة وضربت النار في الخيم والحراكوات واستأمن الى والد شكلي السبعمائة غلام كانوا في الميعة وحمل بدر على الميعة فهزها وحمل السودان على القلب وقيده اتسز فانحزم وقتل من كان حوله وتبعهم السودان والعرب اسراً وقتلوا الى الرمل وغشوا منهم غنائم لم يفتحها احد قبل ذلك وكان فيما اخذ ثلاثة الاف حصان وعشرة الاف صبي وجارية واماً من الاموال والثياب فا لا يحصى واقاموا مدّة شهر رجب يحوزون الاموال والخيل والامتنعة والاسارى . وجاء العسكر واهل البلاد الى باب القصر فضجّوا بالادعية فخرج اليهم جواب المستنصر: قد علمتم ما اشرف عليكم من الامر العظيم والخطب الجسيم الذي لم يحظر في نفوسنا القدرة عليه وردّه حتى كشفه الله تعالى وما يجب ان يكون في مقابلته الا الشكر لله تعالى على نعمته ومتى وجد انسان على فاحشة كان دمه وماله في مقابلة ذلك . ثم وجد بعد ذلك ستة سكارى فأخذوا وخنقوا وزال ما كان بمصر من الفساد ولازموا الصلوات وقراءة القرآن . ومضى اتسز في نفر يسير فلماً وصل غزّة ثار اهلها به وقتلوا جماعة ممن كان معه فهرب الى الرملة فخرج اليه اهلها فقاتلوه وقتلوا بعض من كان معه فهرب الى دمشق في بضع عشرة نفساً فخرج اليه ولده وسار احد امراء الكابيين وكان قد استخلفهما بدمشق في مائتي فارس من العرب وكان وصوله في عاشر رجب فقتل بظاهرها في مضارب ضربها له سمار وخرج اليه اهل البلد فخدموه وهنأوه بالسلامة وشكوه وشكرهم واطلق لهم خراج تلك السنة واحسن اليهم ووعدهم بالحميل فقام واحد منهم من الاعيان فقال : ايها الملك العادل (وبه كان يخاطب ويخطب له) قد حلفت لنا وحلفنا لك وتوثقت منا وأنا والله اصدقك

واكثر العساكر من ورائه وصدقوا الجملة عليه فكسروه وهزموه ووضعوا السيوف في
عسكره قتلاً واسراً ونهباً وافلت هزيماً بنفسه في نفر يسير من اصحابه ووصل الى الرملة
وقد قتل اخوه وقطعت يد اخيه الاخر ووصل بعد الفل الى دمشق فُسرت نفوس الناس

وانصحك . قال : قل . قال : قد عرفت انه لم يبق في هذا البلد عشر العشر من الجوع والفاقة والفقر
والضعف ولم يبق لنا قوة ومعنى غلقت ابواب هذه البلد من عدو قصده وزمت منا منعة او حفظة
فان كنت مقيماً بيننا فنحن بين يديك مجتهدون ولك ناصحون وان بدت غناً قلنا طاقة لنا بالقتال
مع الفقر والضعف فلا نجعل للعدو سبباً لهلاكنا ومواخذتنا . فقال : صدقت ونصحت وما ابعد عنكم
ولا اخليكم من عسكر يكون عندكم . ثم قام بدمشق وجاءه التركان من الروم ولم يستخدم غيرهم
وعصى عليه الشام واعادوا خطبة صاحب مصر في جميع الشام وقام بذلك المصامدة والسودان . وكان
اتسز واصحابه قد تركوا اموالهم بالقدس فوثب القاضي والشهود ومن بالقدس على اموالهم ونسائهم
فنهبوا وقسموا التركيات واستعبدوا الاحرار من الاولاد واسترقنوم فخرج من دمشق فيمن ضوى
اليه من التركان ووصل الى قريب القدس وراسلهم وبذل لهم الامان فاجابوه بالقبيح وتوعدوه
بالقتال فجاء بنفسه الى تحت السور وخاطبهم فسيبوه فقاتلهم يوماً وليلة وكان ماله وحرمة في برج
داود ورام السودان والمصامدة الوصول اليهم فلم يقبلوا وكان في البرج رتق الى ظاهر البلد
فخرج اهله منه اليه ودلوا عليه فدخل منه ومعه جماعة من العسكر وخرجوا من الحراب وفتحوا
الباب ودخلوا العسكر فقتلوا ثلاثة الاف انسان واحتمى قوم بالصخرة والجامع . فقرّر عليهم الاموال
حيث لم يقتلهم لاجل المكان واخذ من الاموال شيئاً لا يبلغه الحصر بحيث يمت الفضة بدمشق
كل خمسين درهماً بدينار مما كان يساوي ثلثة عشر درهماً بدينار . وقتل القاضي والشهود صبراً
بين يديه وقرّر امور البلد وسار الى الرملة فلم ير فيها من اهلها احداً فجاء الى غزة وقتل
كل من فيها فلم يدع بها شيئاً تطرف وجاء الى العريش فاقام فيه وبعث سرية فنهبت الريف
وعادت ثم مضى الى يافا فحصرها وكان بها رزين الدولة فهرب هو ومن كان فيها الى صور
فهدم اتسز سورها . وجاء كتابه الى بغداد بانه على نية العود الى مصر وانه يجتمع العساكر ثم
عاد الى دمشق ولم يبق بها من اهلها سوى ثلثة الاف انسان بعد خمسمائة الف انعام الفقر والغلاء
والجلاء وكان بها مائتان واربعون خبازاً فصار بها خبازان والاسواق خالية والدار التي كانت
تساوي ثلثة الاف دينار ينادى عليها عشرة دنانير فلا يشتريها احد والدكان الذي كان يساوي الف
دينار ما يشتري بدينار . وكان الضملاء يأتون للدار الجلييلة ذات الاثمان الثقيلة فيضربون فيها النار
فتحرق ويمملون اخشابها فحسماً يصطلون به واكلت الكلاب والسنابر وكان الناس يقفون في
الازقة الضيقة فيأخذون المجتازين فيذبونهم ويشوونهم وبأكارهم . وكان لامرأة داران قد
أعطيت قديماً في كل دار ثلثمائة دينار او اربعمائة ولما ارتفعت الشدة عن الناس ظهر الفأر فاحتاجت
الى سنور فباعت احدى الدارين باربعة عشر قيراطاً واشترت بها سنوراً

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام : قال هبة الله بن الاكفاني : كان كسرة اتسز بن اوق بمصر
ثم رجع وجمع وطلع الى القدس وقتل فيها ذلك الخلق العظيم منهم حمزة بن علي العيني زربي الشاعر

بمصابه وتحكم السيوف في اتباعه واصحابه فاملوا مع هذه الحادثة سرعة هلاكه
وذهابه . وفي هذه السنة توفي ابو الحسن احمد بن عبد الواحد بن محمد بن عثمان بن
الوليد بن الحكم بن سليمان بن ابي الحديد السلمي رحمه الله
سنة سبعين واربعمائة

فيها وردت الاخبار بوصول السلطان تاج الدولة ابي سعيد تنش بن السلطان
العادل البارسلان اخي السلطان ملك شاه ابي الفتح الى الشام واجتماع العرب من بني
كلاب اليه ووصول شرف الدولة مسلم بن قریش اليه من عند اخيه السلطان العادل
ملك شاه لموته على افتتاح الشام بامر له في ذلك . وفيها توفي ابو نصر الحسين بن
محمد (63^{هـ}) بن احمد بن طلاب الخطيب رحمه الله . وفي هذه السنة نزل عسكر مصر
على دمشق مع نصر الدولة الجيوشي واقام عليها مدة يسيرة ولم يتم له فيها مراد فرحل
عنها عائدا الى مصر . وفيها نزل تاج الدولة السلطان على حلب ومعه وثاب وشبيب
ابنا محمود بن صالح ومبارك بن شبل ورحل عنها في ذي القعدة ثم نزل عليها ثانية ولم
يتم له فيها مراد فرحل عنها

سنة احدى وسبعين واربعمائة

في هذه السنة خرج من مصر عسكر كبير مع نصر الدولة الجيوشي ونزل على
دمشق محاصرا لها ومضايقا عليها واستولى على اعمالها وأعمال فلسطين واقام عليها مدة
مضايقا لها وطامعا في تملكها واضر على منازلها اضرازا اضطر اتسز صاحبها الى مراسلة
تاج الدولة يستجده ويستصرخ به ويعده بتسليم دمشق اليه ويكون في الخدمة بين
يديه فتوجه نحوه في عسكره فلما عرف نصر الدولة الخبر وصح عنه قربه منه رحل
عنها مجفلا وقصد ناحية الساحل وكان ثغرا صور وطرابلس في ايدي قضائهما قد تغلبا
عليهما ولا طاعة عندهما لامير الجيوش بل يصانعان الاتراك بالمدايا والملاطفات ووصل
السلطان تاج الدولة الى عذراء في عسكره لانجاد دمشق وخرج اتسز اليه وخدمه وبذل
له الطاعة والمناصرة وسلم البلد اليه فدخلها واقام بها مديدة ثم حدثته نفسه بالاندر
باتسز ولاحت له منه امارات استوحش بها منه متسله (كذا) فقبض عليه في شهر
ربيع الاول منها وقتل اخاه اولاهم امر بخنقه فخنق بوتر في المكان المعتقل فيه ومملك
تاج الدولة دمشق واستقام له الامر فيها واحسن السيرة في اهلها وفعل بالصد من فعل
اتسز فيها ومملك اعمال فلسطين . وفي هذه السنة قتل احمد شاه مقدم الاتراك في الشام .

وفيهما برز تاج الدولة من دمشق وقصد حلب في عسكره وتزل عليها واقام عليها أياماً ورحل عنها في شهر ربيع الاول وعبر الفرات مشرقاً ثم عاد الى الشام بعد ان وصل الى ديار بكر في ذي الحجة وملك حصن بزاعة والبيرة واحرق ربض عزاز ورحل عنها عائداً الى دمشق

سنة اثنتين وسبعين واربعمئة

(63^٧) فيها تسلم شرف الدولة مسلم بن قريش حلب. وفيها رخصت الاسعار في الشام بأسره. وفيها هلكت فرقة من الاتراك ببلاد الروم كانوا غزاة فلم يفلت منهم احد

سنة اربع وسبعين واربعمئة

فيها ملك الامير ابو الحسن علي بن المقلد بن منقذ حصن شيزر في يوم السبت السابع والعشرين من رجب من الاسقف الذي كان فيه بال بذله له وارغبه فيه الى ان حصل في يده وشرع في عمارته وتحصينه والممانعة عنه الى ان تمكنت حاله فيه وقويت نفسه في حمايته والمراعاة دونه (١)

(١) وقال سبط ابن الجوزي: قال محمد بن الصابي: وقفت على كتاب بخطه (يعني الامير) منه: كتابي هذا من حصن شيزر وقد رزقني الله تعالى من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت للخلق ومن دون هذا الحصن يرض الانوق ومن وقف على حقيقة الحال علم اني هاروت . . . انتي افرق بين المرء وزوجته واستنزل القمر من محله واجمع بين الذئب والقم . اني نظرت الى هذا الحصن ورأيت امراً يذهل الالباب ويطيش العقول يشبع الف رجل ليس عليه حصار ولا فيه حيلة لحتال فعمدت الى تل منه قريب يعرف بثل الحسن فعمرتُه حصناً وجعلتُ فيه عشرين اهلي وكان بين التل وشيزر حصن يعرف بالخراس فوثبتُ عليه واخذتُه بالسيف وحين ملكته احسنتُ الى اهله ولم اكلفهم الى ما يعجزون عنه وغلطتُ خنازيرهم بنسي ونواقيسهم باصوات المؤذنين عندي وصرنا مثل الاهل محتطين. فحين رأى اهل شيزر قلبي مع الروم آسوا بي وصاروا يحثوني من واحد واثنين الى ان حصل عندي نحو نصفهم فاجريتُ عليهم الجرايات ونزجتهم باهلي وحرهم بحريمي واولادهم مع اولادي واي من قصد حصنهم اغنتهم عليه. وحصرهم شرف الدولة مسلم بن قريش فاخذ منهم عشرين رجلاً فقتلهم فدمستُ اليهم عشرين عوضهم ولا انصرف عنهم جاءوا وقالوا: نسلم اليك الحصن. فقلت: لا ما لهذا الموضع خيراً منكم. وجرت بينهم وبين واليهم نبوة فنفروا منه وجازوا الي وقالوا: لا بد اليكم. فسلموه وتزلوا منه وحصلتُ فيه ومي سبعمائة رجل من بني عمي ورجالي وحصلوا في الربض ولم يؤخذ لواحد منهم درهم فردتُ واعطيتهم مالا له قدر وغلطتُ على مقدميهم واعطيتهم واجباتهم بستة اشهر وقمت بايامهم ونواقيسهم وصبانهم وخنازيرهم. وسمع بذلك اهل برزية وعين تاب وحصون الروم فجاءتني رسلم ورضب كلهم في التسليم الي.

سنة خمس وسبعين وأربعمائة

فيها توجه السلطان تاج الدولة الى ناحية الشام من دمشق ومعه في خدمته الامير وثاب بن محمود بن صالح ومنصور بن كامل وقصد ناحية الروم واقام هناك مدةً واتصل به خبر شرف الدولة مسلم بن قريش وما هو عليه من الجمع والاحتشاد والتأهب والاستعداد واجتماع العرب اليه من بني غير وعقيل والاكراذ والمولدة وبني شيان للتزول على دمشق والمضايقة لها والطمع في تملكها فعاد تاج الدولة منكفئاً الى دمشق لما عرف هذا العزم ووصل اليها في اوائل المحرم سنة ٤٧٦ هـ. وورد الخبر بوصول شرف الدولة في حشده الى بالس ايضاً في المحرم ووصله جماعة من بني كلاب ونهض بالعسكر مسرعاً في السير الى ان تزل على دمشق ووصل اليه جماعة من عرب قيس واليمن وقاتل اهل دمشق في بعض الايام وخرج اليه عسكر تاج الدولة من دمشق وحمل على عسكره حملةً صادقةً فانكشف وتضعع عسكره وعاد كل فريق الى مكانه وعاد عليهم بمحملة اخرى وانهمزت العرب وثبت شرف الدولة مكانه واشرف على الاسر وتراجع اصحابه. وكان شرف الدولة قد اعتمد على معونة عسكر المصريين على دمشق ومعاضدته

فبينما انا على ذلك الحال اذ شئت على الفارات وجيئت فحوي الجيوش من ناحية مسلم بن قريش غيظاً منه لم تسلمت حصن شيزر بعد ان حلف لي قبل ذلك انني اذا اخذت حصن شيزر انه لا يقود اليّ فرساً ولا يبعث جيشاً وبالله اقسم لئن لم ينته عني لأعيدته الى الروم ولا اسلمه اليه ولا الى غيره ابداً

وقال ايضاً في ترجمته انه مات بشيزر سنة ٤٧٩ هـ وقيل في سنة ٤٧٥ هـ وذكره ابن عساكر وقال: قال الامير ابو عبد الله محمد بن الامير ابي سلامة مرشد بن علي بن المقلد بن نصر بن منفذ: كان جدي الملك ابو الحسن علي بن المقلد ممن ينسب الى عمل الشعر وكان من ابلغ اهل الشام في معرفة اهل اللغة والنحو وكان بينه وبين ابن عمار صاحب طرابلس مودة وكيدة ومكاتبات وسببه انه كان له ملوك يسرى رسلان وكان زعيم عسكره فبلغه عنه ما يكره فقال له: اذهب عني وانت آمن على نفسك. فقصد ابن عمار الى طرابلس وسأله ان يسأل جدي في ماله وحرمة فسأله فامر باطلاقهم وكان قد اتقى ما لا كثيراً فلما خرج الرسول بالمال والحريم لحقه جدي فظن انه قد بدا له فقال: غدرت ببعدك ورغبت في ماله. فقال له: والله ولكن لكل امر حقيقة حطوا عن الجبال والبنال احمالها. فحطوا فقال: ابصروا ما عليها. فنظروا فاذا في قدور النحاس خمسة وعشرون الف دينار ومن المتاع ما يساوي مثلاً وزيادة فقال جدي للرسول: أبلغ ابن عمار سلامي وعرفه بما ترى لئلا يقول رسلان انني اخذت ماله. ثم ان جدي زار ابن عمار واقام عنده مدة. وكان بينه وبين صالح بن محمود صاحب حلب مودة وكانا اخوين من الرضاع

بالعسكر المصري على اخذها فوقع التقاتل عليه بالانجاء والتقاعد عنه بالاسعاد اشفاقاً من ميل الناس اليه وعظيم شأنه بتواصلهم ووفودهم عليه فلما وقع يأسه مما أمله ورجاه وخاف ما تمناه وورد عليه من اعماله ما شغل خاطره في تدبيره واعماله وتواترت الاخبار بما ازعجه (64^٢) وأقلقه رأى ان رحيله عن دمشق الى بلاده وعوده الى ولايته لتسديد احوالها واصلاح اختلالها اصوب من مقامه على دمشق وأوفق من شأنه فاوهم انه سائرٌ مُقتبلاً لامر مهم عليه وارب مطلوبٍ نهى اليه فرحل عن دمشق وتزل مرج الصفر وعرف من بدمشق ذلك فقلقوا لذلك واضطربوا ثم رحل مشرقاً في البرية وجلاً وجداً في سيره مُجفلاً واوصل السير ليلاً ونهاراً فهلك من المواشي والدواب للعرب ما لا يحصيه عددٌ ولا يُحصِر كثرة من العطش وتلف وانقطع من الناس خلقٌ كثيرٌ وخرجت به الطريق الى وادي بني حصين قريباً من سلمية فانفذ وزيره ابا العز (بن) صدقة الى خلف ابن ملاعب المقيم بجمص ليجعله بين الشام وبين السلطان تاج الدولة لما يعلمه من نكايته في الاتراك وفتكه عن يظفر به من ابطالهم القتاك. فاقام ابو العز الوزير بجمص الى حين عوده فخلع عليه شرف الدولة وكرمه وقرر معه حفظ الشام وطيب بنفسه. وسار بعد ذلك السلطان تاج الدولة الى ناحية طرابلس وافتتح انطربوس وبعض الحصون وعاد الى دمشق. وورد الخبر بتزول السلطان العادل ملك شاه ابي الفتح بن البارسلان على حلب في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان من السنة وضايقتها الى ان ملكها مع القلعة. وفي يوم الخميس الثاني من المحرم توجه شرف الدولة الى بلد انطاكية للقاء الفردوس ملك الروم (١). وفيها وصل الامير شمس الدولة سالم بن مالك بالخلع

(١) وذكر سبط ابن الجوزي سبب صعوده الى الشام. طالب الفردوس والي انطاكية بمال الهدنة وهو ثلاثون الف دينار في كل سنة فلم يحمل اليه شيئاً وكاتبه اهل انطاكية وقرروا معه فتحها وتسليمها اليه. وكان من سوء رأي مسلم وتخلّفه انه كان له كاتب نصراني فكان يبيع عنده مكاتباتهم ثقةً به وتحقق الكاتب فتح انطاكية فيرب اليها ومسلم بحلب ودفع تلك الكتب الى الفردوس قلماً وقف عليها احضرم وكانوا ثلثمائة افسان فقتلهم بين يديه صبراً وكشف مسلم وكتب الى السلطان بانه يكتب صاحب مصر وينفذ له بالخلع والاموال واستقر ان الفردوس يحمل الى السلطان في كل سنة مال الهدنة. وبمك نظام الملك فمات مسلم بن قريش فقال في الجواب: ان كانت الكتب مني الى صاحب مصر توجه التبع علي وان كانت منه الي فاحفظوا صاحباً لكم يرغب فيه صاحب مصر لا تخرجوه عن ايديكم وارغبوا فيه كما رغبت فيه غيركم. ثم سار

السلطانية الى شرف الدولة الى حلب وقرر الصلح بين شرف الدولة وابن ملاعب بمخص . وفيها وصل ابو العز بن صدقة وزير شرف الدولة في عسكر كفيف لانجناد حلب على تاج الدولة فلما وصل اليها رحل تاج الدولة في الحال عنها

سنة ست وسبعين واربعمائة

فيها عمل على مدينة حران وأخذت من ملكة شرف الدولة مسلم بن قريش في سابع صفر وعاد اليها حين عرف خبرها فذل عليها في عسكره وضايقها وواظبها الى ان انتصها وملكها ورتب امرها واحتط عليها واعتمد على الثقات في حفظها (١) . وفي

سلم الى شيزر وفيه ابن منقذ فنحصره واستقر ان يعطيه عشرة الاف دينار ويرحل عنه . وسار الى حمص وهي في يد ابن ملاعب فتحصن بالقلعة فاخذ البلد . وكتب ابن ملاعب الى تنش يستنجده فكتب الى مسلم : ان هذا صاحبي ومتنسى الي فأرحل منه . فبعث اليه : ان هذا رجل مفسد في اعمال السلطان قاطع سبلها فان كان صاحباً لك فخذ اليك . فرحل تاج الدولة تنش من دمشق يريد ابن قريش فخاف من عتب السلطان وانه حارب اخاه فسار الى صور واطهر انه يريد حصارها فرجع تنش الى دمشق . وعاد مسلم الى حمص فخرج نساء ابن ملاعب وحريره فتعلقن باذيال مسلم فاستحي منهن وذم له وابقاء على حاله ولم يطالبه بما لا تقرر عليه واستحلفه وحلف له وعاد الى حلب . وكان في اعماله نحو من ثلاثمائة فارس من التركمان بقايا من كان يجند بني الروقة فاستدعاهم مسلم من الاعمال واطهر انه يمرضهم فلما حضروا على بابهم امر العرب فتركهم عن خيولهم وقيدوم وفرقهم في القلاع وكان ذلك اخر العهد بهم . وقبض على حسن بن منيع بن وثاب الثميري الامرج صاحب مروج واخذها منه وقيل انه وجد له منطلقات الى تنش فكان اخر الهدية . وقبض على شيب ووثاب ولدي محمود بن الروقة وطالبيهما بتسليم قلعتي اعزاز والاثارب فلماها فانرج عنهما وعوضهما الخائفة وقرقيسيا ودويرا من اعمال الرجة

(١) قال سبط ابن الجوزي : ووصل الخبر الى مسلم بان اهل حران عصوا عليه فرجع كاراً الى حمص وصالح في طريقه ابن ملاعب وحالفه واعطاه مضافاً الى حمص رغبة وسلمية واقطع شيب بن محمود بن الروقة حماة واستحلفه في تلك الاعمال وعاجل حران فوصلها يوم الجمعة ثامن ربيع الاول فوجد قاضيها ابن جلة الخنبلي قد استغوى اهلها وادخل اليها جماعة من بني غير مع ولد صغير لمنيع بن وثاب وانفذ ابن عطير احد وجوه بني غير الى خنق امير التركمان فكان قريباً فاستدناهم اليه ليلتم اليهم البلد وشرع القاضي يعلم مسلماً ويثنيه خديعة منه ليصل التركمان وطم مسلم فحارجم وري قطعة من السور . وبينما هو كذلك وصل التركمان فقتل اقوامهم يقتلون البلد وركب هو بن معه فاشرف على التركمان واتصل الطراد وقال للعرب : املكوا عليهم النهر المروف بالجلاب واجعلوه وراءكم وحولوا بين التركمان وبينه . ففعلوا وعطشوا وخيلهم وهجرت

هذه السنة تنكر شرف الدولة على وزيره ابي العز بن صدقة (64٧) لاسباب انكرها منه واحوال بلغتته عنه فقبض عليه واعتقله واقام اياماً وقرر امره واطلته وطيب نفسه

سنة سبع وسبعين واربعمائة

في هذه السنة شرع سليمان بن قتلمش في العمل على مدينة انطاكية والتدبير لامرها والاجتهاد في اخذها والتملك لها ولم يزل على هذه القضية الى ان تم له ما اراده فيها وملكها سرقة في يوم الاحد العاشر من شعبان ورثب امرها بن اعتمد عليه في حفظها من ثقات ولاته . وفي شهر ربيع الاول من السنة كانت وقعة بين عسكر شرف الدولة وعسكر الاتراك بارض آمد من ديار بكر واستظهر الاتراك على عسكر شرف الدولة فهزموه . وفي رجب منها توجه شرف الدولة مسلم بن قريش الى دركاه السلطان العادل ملك شاه بن البارسلان ودخل عليه ووطى بساطه فاكرمه واحترمه وخلع عليه وقرر امره على ما يهوى من اصلاح احواله والاقرار على اعماله وازالة ما كان يخشاه وعاد مسروراً بما لقي ومحبوراً بنيل مبتغاه

الشمس عليهم قالوا بجمعهم طالين رأس الماء على ان يشربوا ويستقوا خيلهم ويعودوا على العرب فلما عطفوا خيولهم لم يشكوا العرب انما هزيمة فالتقوا نفوسهم عليهم فانهمزوا فبعوهم وغنومهم وقتلوا واسروا . واقام مسلم على حصار حران وكان لما رمى قطعة من السور نصب (ابن) جبلة بازاء الثلثة مناجيق وعرادات منمت من يروم القرب منهما وراسله : انك كلما رميت قطعة من السور جعلت مكانها مناجيق وعرادات ورجالا اشد منها . فتوقف عن حرجم وتربص . واتفق انه استأمن الى مسلم من اهلها ثلثة اخوة فاخذ القاضي اباهم وكان شيخاً كبيراً فاصعده الى السور وقتله ورمى برأسه الى مسلم فلماً حضر الرأس بين يديه وعلم الحال قال : غداً افتح البلد ان شاء الله تعالى فهذا بقاء ارجو من الله النصر في جوابه . وانفذ الى العرب وامرهم بالكور للقتال فجاءوا ولبسوا السلاح . وتقدم مسلم وعليه السلاح وكان قد بعث رجلاً في الليل ينظف الحجارة من الطريق لاجل الخيل فسل ان يكتب ابن جبلة ويعطيه الامان لنلا يملك الناس وينهب البلد فلماً كتب عاد جوابه على رأس الورقة : اليك اصدق انباء من الكتب . فتقدم الى العرب بالدخول الى الفتحة فلما منهم من اقدم فجمع عبيده وخواصه وهجمها واتته الحجارة فسلم منها ودخل واحرق المجانيق والعرادات وقتل خلقاً كثيراً من اهل البلد عندها وتبعته العرب حينئذ فدخل البلد وصعد ولد ايتكين السليمان وتزل من السور وفتح الباب فاقطعه قرقسيا . ثم طلب القاضي فوجد في كندوج فيه قطن فأخذ وولداه فقبض على اعيان اهل حران ونهب البلد الى اخر النهار ثم رفع النهب وصلب القاضي وولديه واعيان الحرانيين على السور وقتل خلقاً من العوام وعاد الى منازلهم بارض الموصل

سنة ثمان وسبعين واربعمائة

في هذه السنة كان مصاف الحرب بين الملك سليمان بن قتلش وبين الاميرش الدولة مسلم بن قريش في اليوم الرابع والعشرين من صفر على نهر سفين في مو يقال له قرزاجل فكسر عسكر شرف الدولة وقتل ورحل سليمان بعد ذلك في جمع وتزل على حلب محاصراً لها ومضايقاً عليها في مستهل شهر ربيع الاول واقام منازلاً لها مدة ولم يتهياً له ما اراده فيها فرحل عنها في الخامس من شهر ربيع الاخر منكفئاً الى بلاده. وفيها شرع في عمارة القلعة الشريف بحلب وترميم ما كان هدم منها واعادتها الى ما كانت عليه في حال عمارتها. وفيها وردت الاخبار من ناحية المغرب بان الافرنج استولوا على بلاد الاندلس وتلكرها وقتكروا باهلها وان صاحب طليطة استصرخ باللمثيين واستنجد بهم على الافرنج فاجابوه الى الانجاد ونهضوا للاغاثة والاسعاد وطلب الجهاد ووصلوا اليه في خاق عظيم وجيش كثيف وصافوا الافرنج وهم في الاعداد الدثرة والعدد الغاية في الكثرة فكسروا عسكر الافرنج كسرة عظيمة اجلت عن قتل الاكثر منهم ولم يفلت الا من سبق جواده واخر في اجله بحيث اُحصي القتلى فكانوا (65^٢) عشرين الفا فجمعت رؤوسهم وبني بها اربع منابر للتأذين في غاية الارتفاع واذن المسلمون فيها وعاد عسكر الملمثيين الى بلادهم سالمين ظافرين مسرورين مأجورين وامتنعوا من استخلاص ما كان ملكه الافرنج من بلاد الاندلس وبقي في ايديهم على حاله

سنة تسع وسبعين واربعمائة

فيها تقدم السلطان العادل ملك شاه ابو الفتح بن السلطان البارسلان رحمه الله بابطال اخذ المكوس من سائر التجار عن جميع البضائع في العراق وخراسان وحظر تناول شيء منها في بلد من البلاد الجارية في مملكته فكثر الدعاء له من كافة الناس في سائر الاعمال وتضاعف الثناء عليه من الخاص والعام. وفيها وردت الاخبار من ناحية المغرب بوصول الانبوت ابن ملك الافرنج في عسكره الى مدينة المهديّة وتزوله عليها ومضايقته لها الى ان ملكها بالسيف قهراً وقتل رجالها وسبي كافة من كان بها من اهلها. وفيها جمع الملك سليمان بن قتلش (١) وحشد وقصد بلد حلب وتزل عليها محاصراً لها

(١) وفي الاصل: شاه بن قتلش

ومضايقاً عليها وطامعاً في تملكها فوردت عليه اخبار السلطان تاج الدولة تنش بن البارسلان باحتشاده وتأهبه لقصدها واستعداده فرحل عنها والتقى عسكره وعسكر تاج الدولة في موضع يُعرف بعين سلم في يوم الاربعاء الثامن عشر من صفر فكسر عسكر تاج الدولة عسكر سليمان فقتل في الهزيمة وملك تاج الدولة عسكره وسواده ونزل على حلب وضيق عليها الى ان تسلمها في شهر ربيع الاول سلمها اليه المعروف بابن اليرعوني الحلبي. وفيها وصل السلطان العادل ملك شاه ابو الفتح الى الشام وانهزم تاج الدولة من حلب وملكها السلطان العادل ودخلها في شهر رمضان وخرج منها وقصد انطاكية وملكها ونخيم على ساحل البحر اياماً وعاد الى حلب وعيد بها عيد الفطر ورحل عنها وقصد الرها ونزل عليها وضايقها وملكها

سنة ثمانين واربعائة

في هذه السنة تقررت ولاية حلب للامير قسيم الدولة اق سنقر من قبل السلطان ملك شاه ابي الفتح ووصل اليها واحسن السيرة فيها وبسط العدل في اهلها وحمى السابلة للمتددين فيها واقام (65^٧) الهيبة وانصف الرعية وتتبع المفسدين فابادهم وقصد اهل الشر فابعدهم وحصل له بذلك من الصيت وحسن الذكر وتضاعف الثناء والشكر ما اخباره مذكور واجارهُ فيه منشور فعمرت السابلة للمتددين من السفار وزاد ارتفاع بالبلد بالواردين بالبضائع من جميع الجهات والاقطار

سنة احدى وثمانين واربعائة

في هذه السنة توجه السلطان العادل ملك شاه ابو الفتح الى سمرقند طمعا في ملكتها بعد فراغ قلبه من الشام وبلاد الروم والجزيرة والرُها وديار بكر وديار بني عقيل. وفيها خرج الامير قسيم الدولة اق سنقر من حلب لتوديع تابوت زوجته خاتون داية السلطان ملك شاه وقيل انها كانت جالسة معه في داره بحلب وفي يده سكين فارمى بها اليها على سبيل المداعبة والمزاح فوقعت في مقتلها للقضاء المكتوب عليها غير مُتعمد فماتت وحزن عليها حزناً شديداً وتأسف لفقدائها على هذه الحال وحملها الى الشرق لتدفن في مقابر لها هناك في مستهل جمادى الآخرة. وفي يوم الثلاثاء مستهل رجب تزل

قسم الدولة على شيزد وحصرها ونهب ربضها وضايقها الى ان تقرّر امرها والمراعاة بينه وبين صاحبها (١) ورحل عنها عائداً الى حلب

سنة اثنتين وثمانين واربعمئة

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشرق بافتتاح السلطان ملك شاه مدينة سمرقند واسر ملكها (٢) وكانت اخته مع السلطان ملك شاه وله منها ثلثة اولاد فجعل الولاية بها لاحدهم وهو الملك احمد وامر بالحطبة له على النصارى وذكر ان الملك احمد المذكور توفي في سنة ٤٨٤ والايمة منهم زوجها للامام الخليفة الممتدي بامر الله . وفيها خرج حسكر مصر منها مع مقدميه وقصد الساحل وفتح ثغري صور وصيدا وكان في صور اولاد القاضي عين الدولة (ابن) ابي عقيل بعد موته ولم يكن قوة لهم تدفع ولا هبة تمنع فسلموها وكذلك صيدا وقرروا امرهما ثم رحل العسكر عنهما ونزل على ثغري جبيل وعكا فافتتحهما . وفيها عمرت منارة الجامع بحلب . وفيها نهض قسم الدولة صاحب حلب في اثر الحرامية قطاع الطريق وتخيفي السبيل فوقع بهم واستأصل شأفتهم قتلاً واسراً (66٢) فأمنت السابلة واطمأننت السافرة وكتب الى سائر الاطراف والاعمال بتتبع المفسدين وحماية المسافرين وبالغ في ذلك بمبالغة حسن ذكره بها وعظمت هيئته بسببها وشاع له الصيت باعتادها واحتد كل من كان في ضيعة او معقل من ان يتم على احد من المجتازين به امر يؤخذ به ويهلك بسببه

سنة ثلث وثمانين واربعمئة

في هذه السنة تزل السلطان تاج الدولة على حمص في عسكره ومعه الامير قسم الدولة صاحب حلب في عسكره والامير بوزان صاحب انطاكية وفيها خلف ابن ملاعب فضايقوها وصابروها الى ان ملكوها بالامان وخرج ابن ملاعب منها وسلمها ووفوا له بما قرروه معه واطلقوا سراحه فتوجه الى مصر فاقام بها مدة وعاد الى الشام واعمل الحيلة والتدبير على حصن اقامية الى ان ملكه وحصل بيده

سنة اربع وثمانين واربعمئة

في ليلة الثلاثاء التاسع من شعبان من السنة حدث في الشام زلزلة عظيمة هائلة

(١) وهو ابن منقذ (٢) وفي مرآة الزمان ان اسمه ابن طنقاج

لم يُسمع بثلاثها ووافق هذا اليوم كونه من تشرين الاول وخرج الناس من دورهم خوفاً من عودها. وحكي ان دوراً كثيرة خربت بانطاكية واضطربت كنيسة السيدة فيها وهلك خلق كثير بالدم وانهدم بها تقدير سبعين بُرجاً من سورها وبقيت على حالها الى ان امر السلطان ملك شاه بعمارتها ولمّا تشيّت منها. وفيها تزل الامير قسيم الدولة صاحب حلب على حصن افامية فلكه وابعده خلف بن مُلاعب عنها ورُتب نائبه في حفظها في ثالث رجب وعاد الى حلب. وفيها وردت الاخبار من المشرق بوفاة الملك احمد ابن (اخت) السلطان ملك شاه المرتب في مملكة جده في سمرقند وخطب له على المنابر حسب ما تقدّم ذكره فعاجله القضاء الذي لا يُدافع والمحتوم الذي لا يُمانع

سنة خمس وثمانين واربعمائة

في هذه السنة اقترن المريخ وزحل في برج السرطان وقت الظهر من يوم الاثنين النصف من شهر ربيع الاول وهو السادس والعشرون من نيسان وذكر اهل المعرفة من اهل صناعة النجوم ان هذا القران لم يحدث مثله في هذا البرج منذ مبعث النبي (صلعم) والى هذه الغاية. وفيها توجه السلطان العادل (66٧) ملك شاه من اصفهان الى بغداد مُعزّلاً على قصد مصر لتماكها فلما وصل الى همدان وثب رجل ديلمي من الباطنية على وزيره خواجه بزرگ نظام الملك ابي علي الحسن بن اسحق الطوسي فقتله رحمه الله وهرب من ساعته فطلب فلم يوجد ولا ظهر له خبر ولا بان له اثر فاسف الناس وتألموا لمصابه وتضاعف حزنهم لفقد مثله لما كان عليه من حسن الطريقة وآثار العدل والنصفة والاحسان الى اهل الدين والفقه والقرآن والعلم وحب الخير وحميد السياسة وكان قد آثر الاثار الحسنة في البلاد من المدارس والرباطات بالعراق وبلاد العجم بحيث كان رزقه يجري على اثني عشر الف انسان من فقيه الى غيره. وحزن السلطان ملك شاه عليه واسف لفقده واسرع السير الى ان وصل الى بغداد في ايام قلانل من شوال من السنة وقام مُدَيِّدَةً وخرج الى المتصيد وعاد منه وقد وجد قُتُوراً في جسمه واشتد به المرض الحاد فتوفي رحمه الله في ليلة الاربعاء السادس من شوال من السنة وكان بين وفاته ومقتل خواجه بزرگ ثلاثة وثلاثون يوماً واقام مقامه في المملكة ولده السلطان بركيارق وانتصب في منصبه وأخذت له البيعة ودُعي على المنابر باسمه واستقام امره

وانتظمت الحال على مراده . وكان السلطان تاج الدولة تنش قد توجه من دمشق الى بغداد للقاء اخيه السلطان ملك شاه والخدمة له والتقرب اليه وورد الخبر عليه بوفاته فانكفاً راجعاً ونزل على الرحبة وضايقها وارسل المقيم بها يلتمس تسليمها اليه فلم يتم له فيها امر ولا مراد فرحل عنها الى دمشق وجمع وحشد وعاد في العسكر الى الرحبة . وقد كان كاتب قسم الدولة صاحب حلب وموئيد الدولة ياغي سيان (١) صاحب انطاكية يستدعي منهما المساعدة ويبعثهما على المؤازرة والمرافدة فسارا نحوه واجتمعا معه فقوي امره بها واستظهر بمسكرهما ونزل على الرحبة وضايقها الى ان ملكها بالامان واحسن الى اهله واجمل السيرة فيها . وكان قد نذر على نفسه انه متى ملكها بالامان والقهر شهر فيها السيف فعند ذاك شهر سيفه عند دخوله اليها واغمده عند استقرار امرها ووفى بنذره ورحل عنها بعد ان قرر امرها ورتب المستحفظين من قبله فيها قاصداً ناحية (٦٧) نصيين . وقد كان بعد وفاة السلطان ملك شاه قد رجع ابراهيم بن قريش الى بلاده وتسلم الموصل واعمالها وجمع العرب والاكراد ونزل في بلاد بني عقيل الموصل وما والاها وغلب ولد اخيه شرف الدولة محمداً وابعده عن الولاية . ولما وصل تاج الدولة الى نصيين وصل اليه الامير بوزان صاحب الرها وخرج اليه والي نصيين يبذل الطاعة له والمناصحة في الخدمة فامتنع اهل البلد من الجند الذين بها من اصحاب ابراهيم بن قريش فقاتلها وهدم بعض سورها وملكها بالسيف وقتل فيها تقدير الف رجل وقتل كل من التجأ الى جامعها ومساجدها واخذت الحرم وهتكت البنات وعوقبوا بانواع العقوبات الى ان اظهرت كل مذخور وابرز كل مستور وفعل في امرهم ما لا يستحلّه مسلم ولا يستحسنه كافر واطلق بعد ذلك من كان في الاسر من الرجال والنسوان الا من بقي في ايدي الاتراك وذلك في صفر سنة ٤٨٦ وحكى بعض من حضر هذه الكاينة القبيحة انه شاهد امرأة تحت الاتراك يطلب منها الفاحشة وهي تصيح وتستغيث وتتبع اشد التمتع « فجنته وحاولت تخليصها منه فلم يفعل فجرحتة فتغلى عنها واذا بها امرأة من وجوه الاشراف واخرجتها الى الخيم الى ان سكنت الفتنة واعدتها سالمة الى دارها دون كل بثر هتكت واحزت ثوابها وحسن الذكر بين اشراف نصيين »

سنة ست وثمانين واربعائة

في هذه السنة عاد السلطان تاج الدولة عن نصيين بعد ما جرى فيها طالباً لابرهم ابن قريش فلماً عرف خبره جمع وحشد واستصرخ واستنجد وحصل في خلق عظيم ونزل بهم في المنزل المعروف بشرقي الهرماس ونزل السلطان تاج الدولة على داراً . فلما كان يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول من السنة التقى الجيشان على نهر الهرماس واختلط الفريقان واشتد القتال وانكشفت الوقعة عن قتل جماعة من الاتراك والعرب وعاد كل فريق منهما الى مكانه فلما استقرّ بالعرب المنزل عاد عسكر تاج الدولة اليهم وهم غارون وحمل عليهم وهم غافلون فانهزمت العرب واخذهم السيف فقتل منهم (67^٧) العدد الكثير والاكثر من الرجالة المقيمين في الخيم وقتل الامير ابرهم بن قريش وجماعة من الامراء والمقدمين من بني عقيل وغيرهم وقيل ان تقدير القتلى من الفريقين عشرة الف رجل واستولى النهب والسلب والسبي على من وجد في الخيم وامتلات الايدي من الغنائم والسواد والمواشي والكرع بجيث بيع الجمل بدينار واحد والمائة شاة بدينار واحد ولم يشاهد أبشع من هذه الوقعة ولا أشنع منها في هذا الزمان وقتل بعض نساء العرب انفسهن اشفاقاً من الهزيمة والسبي . ولما عادوا بالاسرى والسبي وحصلوا بشاطي الفرات التقى جماعة من الاسرى انفسهم في الفرات فهلكوا وقصد السلطان تاج الدولة ديار بكر ونزل على آمد وضايقةا وملكها من ملكة ابن جهير (١) المقيم بها مع الجزيرة وولاً (هـ) نصيين عوضاً عن الجزيرة وملك آمد من ابن مروان وتسلم ميافارقين واعمالها وقرّر امرها (٢) وانفذ ولاته الى الموصل وسنجار وملك الاعمال وانهزم بنو عقيل من منازلهم وبلادهم وتوجهوا نحو السلطان بركيارق بن ملك شاه وكان علي بن شرف الدولة مسلم بن قريش والدة خاتون بنت السلطان محمد ابن داود (كذا) عمّة السلطان ملك شاه يشكون ما نزل به من السلطان تاج الدولة

ولما تهيأ لتاج الدولة ما تهيأ وما آمله من ملكة البلاد وطاعة العباد قويت

(١) هو ابو الحسن ابن الكافي ابي البركات جهير بن فخر الدولة بن جهير

(٢) قال الفارقي في تاريخه : واستقرّ السلطان بميافارقين واحسن الى اهله وعدل فيهم واسقط منهم المؤن والاعشار والاسقاط والكلف وجميع البوائق وحصل الناس معه في امان عيش

شركته وكثرت عدته وعدته وحدث نفسه بالسلطنة وتوجه الى ناحية خراسان وليس
ير ببلد ولا معقل من المعقل الا خرج اليه اهله وبذلوا له الطاعة والمناصفة في الخدمة
وامره يستفحل وشأنه يعظم . وفصل عنه قسيم الدولة صاحب حلب وعماد الدولة بوزان
صاحب الرها مغاضبين وقصدا ناحية السلطان بركيارق بن ملك شاه مخالفين له
وعاصين عليه واقتضت الحال عود تاج الدولة الى ديار بكر وتزل على مدينة سروج
فلكها وولى فيها وفي الجزيرة من ارتضاه من ثقات خواصه . واتصل به خبر وصول الامير
قسيم الدولة اق سنقر صاحب حلب ومريد الدولة صاحب الرها الذين كانا فارقا الى
السلطان بركيارق ودخولها عليه واكرامه لها وحسن موقع وصولها منه وسروره بمقدمها
عليه وانها شرعا في وقوع في ناحية تاج الدولة والتحذير من (68¹) الاهمال لاسره
والتعرض على معاجلة قبل اعضال خطبه وتكثفه من الغلبة على السلطنة والاستيلاء
على اعمال الملكة واثارا عليه بالمسير في هذا الوقت وطلبا منه من يسير معها لايصالها
الى بلديها حلب والرها فصار معها لايصالها الى الموصل ورد بني عقيل اليهم وقدم
عليها من شرف الدولة مسلم بن قريش عليهم ولقبه سعد الدولة . فوصل قسيم الدولة
الى حلب في شوال سنة ٤٨٦ ومعه جماعة من بني عقيل وبعض عسكر السلطان
بركيارق بحيث وصل الى حلب وانتهى الخبر بذلك الى تاج الدولة فنهض في العسكر
من ناحية الرجة الى الفرات وقصد بلد انطاكية واقام بها وورد عليه الخبر بانكفاء
السلطان من الرجة الى بغداد وان عزمه ان يشتر بها واقام تاج الدولة بانطاكية مدة
قلت الاقوات وارتفعت الاسعار وخوطب في العود الى الشام فلم يفعل وعاد الى دمشق
اخر ذي الحجة من السنة وفي جملة الامير وثاب بن محمود بن صالح وبنو كامل وجماعة
من العرب لم يجسروا على الاقامة بالشام خوفا من قسيم الدولة صاحب حلب . وفي هذه
السنة خرج من مصر عسكر كثير الى ثغر صور لما عصى واليها الامير منير الدولة
الحيوشي وقد كان اهل صور اتكروا عصيانه وكرهوا خلفه لسلطانه امير الحيوش بدر
وعرف ذلك من نيأتهم فحين اشتد القتال عليها نادوا بشعار المستنصر بالله وامير الحيوش
فهجم العسكر المصري على البلد ولم يدافع عنه مدافع ولا مانع دونه ولا ثمانع ونهب
واسر منه الخلق الكثير وأخذ في الجمة منير الدولة والي خواصه واجناده وحملوا
الى مصر في يوم الرابع عشر من جمادى سنة ٤٨٦ وقطع على اهل البلد ستون
الف دينار اجفبت باحوالهم واستغرقت بجل اموالها ولما وصل والي منير الدولة ومن

معه من اجناده واصحابه تقدّم امير الجيوش بضرب اعناقهم ففعل ذلك ولم يعف عن واحد منهم

وفي هذه السنة وردت الاخبار من العراق بابطال مسير الحاج لاسباب دعت الى ذلك والخوف عليهم في مسيرهم وسار الحاج من دمشق والشام في هذه السنة صاحب الامير الحاني احد مقدمي اترك السلطان (68^٢) تاج الدولة بعد العقد له بولايته وتأكد خطابه بحمايتهم ووصيته . فلما وصلوا وقصدوا مناسكهم وفروض حجهم تلوموا عن الانكفاء اياماً خوفاً من امير الحرم ابن ابي شيبه (١) اذ لم يصل اليه من جهتهم ما يرضيه فلما رحلوا من مكة تبعهم في رجاله ونهبهم قريباً من مكة فسادوا الى مكة وشكروا اليه وتصوروا لديه مما نزل بهم مع بعد دارهم فرد عليهم البعض من جمالهم وقتل في الواقعة اخو الامير الحاني المقدم فلما أيسوا من رد المأخوذ لهم ساروا من مكة عاندين على اقبح صفة فحين بعدوا عنها ظهر عليهم قوم من العرب من عدة جهات فاحاطوا بهم فصانعوهم على ما دفعوه اليهم هذا بعد ان قتل من الحجاج جماعة وافرة وهلك قوم بالضعف والانتطاع وجرى عليهم من العرب المكروه وعاد السالم منهم على اقبح حال واكسف بال . وفيها توفي الامام ابو الفرج عبد الواحد بن محمد بن الحسين رحمه الله في يوم الاحد الثامن والعشرين من ذي الحجة بدمشق وكان وافر العلم متين الدين حسن الوعظ محمود السميت

سنة سبع وثمانين واربعمائة

في هذه السنة ورد الخبر من العراق بوفاة الخليفة الامام المقتدي بامر الله ابي القاسم عبد الله بن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجأة في ليلة السبت اقتصاص الحرم وعمره ثمان وثلاثون سنة وتسعة اشهر وايام مولده ليلة الاربعاء الثاني ويقال الثامن من جمادى الاولى سنة ٤٤٨ وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة

(١) هو الامير تاج المعالي محمد بن جعفر من الامراء المواسم من بني موسى الجون الحسيني العلوي ولي مكة بعد حمزة بن وهاش كذا في عمدة الطالب في نسب آل ابي طالب لجمال الدين احمد المعروف بابن ابي عقبة وفي حاشية انه توفي في سنة ٤٨٧ . وفي تاريخ الاسلام ان فيها مات محمد بن ابي هاشم العلوي صاحب مكة كان يخطب مرة لبني عبيد ومرة لامير المؤمنين بحسب من يقوى منها وياخذ وجوائز هؤلاء

وخمسة أشهر وكان حسن السيرة جميل السيرة وولي الأمر بعده ولي عهده ولده
 أبو العباس أحمد المستظهر بالله أمير المؤمنين بن المقتدي بالله أمير المؤمنين وبويع
 له بالخلافة بعد أبيه في يوم الثلاثاء الثامن عشر من المحرم من السنة واستقام له
 الأمر وانتظمت بتدبيره الأحوال على قضية السداد وكُنْه المراد وعند ذلك قبض
 على أخوته واعتقلهم عنده وكان السلطان بركيارق عند وفاة المقتدي بالله رحمه الله مقيماً
 ببغداد وبقي فيها مقيماً إلى آخر السنة . وفي شهر ربيع الآخر منها برز السلطان تاج الدولة
 من دمشق في العسكر وتوجه إلى الشام وقطع العاصي في شهر ربيع الآخر (69^{هـ})
 وتقدم إلى العسكرية برعي الزراعات ونهب المواشي والعوامل ولما اتصل الخبر بذلك
 إلى قسم الدولة صاحب حلب شرع في الجمع والاحتشاد والتأهب لدفعه والاستعداد
 واجمع على لقائه وانتهى الخبر إلى تاج الدولة بذلك ووصول بوزان صاحب الرها إليه
 في عسكره لاسعاده عليه وإنجاده ولذلك وصول كربوقا صاحب الموصل ويوسف صاحب
 الرجة في الفين وخمسمائة فارس وحصول الجميع في حلب لموته وموازته فرحل من
 منزله بكفر حمار إلى الحانوتة ثم منها إلى الناعورة وغارت الخيل على المواشي بها واحرقوا
 بعض زرعها ورحل منها إلى ناحية الوادي ورحل قسم الدولة في جمعه من العسكر
 وتقديره نحو من عشرين ألفاً وزيادة على ذلك لكنهم في أحسن زي وهيئة واتم آلة
 وعدة وقطع سواقي نهر سفيان قاصداً عسكر تاج الدولة وكان بروزه من حلب في
 يوم الجمعة الثامن من جمادى الأولى من السنة والتقى الفريقان غداة يوم السبت تاليه
 عقيب اقتتان المربيع وزحل في برج الأسد المقدم ذكره بخمسة أيام وكان عسكرا كربوقا
 وبوزان لم يتمكنوا من قطع بعض السواقي فاقاموا على حالهم ولم يثق بمن كان معه من
 العرب فنقلهم في وقت المصاف من الميمنة إلى اليسرة ثم جعلهم في القلب فلم يغنوا
 شيئاً فنصر الله تعالى تاج الدولة وعسكره عليهم فانهزمت العرب وعسكر كربوقا وبوزان
 عند الحملة وعسكر يوسف وتحكمت السيوف فيهم وأسر قسم الدولة اق سنقر
 صاحب حلب وأكثر أصحابه وحين أحضروا بين يدي السلطان تاج الدولة فامر بضرب
 عنق قسم ومن اتفق من أصحابه فقتلوا وتوجه أكثر الفل إلى حلب واجتمعوا بأهل
 البلد والاحداث وتقرر بينهم الاعتصام بحلب والاستنجاد بالسلطان بركيارق . فوصل
 تاج الدولة في الحال إلى حلب وقد اختلفت الآراء فيها بينهم وشاروا فيما يعملون عليه
 فوثب جماعة منهم لم يؤبه لهم وكسروا باب البلد ونادوا بشعار تاج الدولة فدخل الأمير

وثاب بن محمود بن صالح البلد في مقدميه وبادر الى المقيم بقلعة الشريف التي قبلي حلب بالظهور الى تاج الدولة ومن باب منها دخل تاج الدولة وتزل اليه رسول الامير نوح صاحب (69^٧) قلعة حلب وزوجته وتوثقا منه واخذوا الامان له من تاج الدولة وعادا اليه واعلماه بما كان من تقرير الحال وأخذ الامان فسلمها اليه وحصل بها في يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الاولى وسلمت جميع الحصون اليه من الشام. وكان بوزان صاحب الرها في جملة من أسر في الوقعة فتقدم تاج الدولة بقتله فضربت عنقه صبرا وكذلك الامير كربوقا صاحب الموصل كان قد أسر في الوقعة فاعتقل بحلب الى ان تقرر امر حلب ورتبت النواب والمستحفظون فيها وقرر امره. ورحل السلطان تاج الدولة عن حلب في العسكر الى ناحية الفرات وقطعه وقصد حران فاستعادها وكذلك سروج والرها وقصد ديار بكر وعدل عن طريق السلطان بركيارق لانه كان نازلا بارض الموصل طالبا لخاتون زوج السلطان ملك شاه والدته اخيه محمود وكانت مستولية على اصفهان وجميع الاموال لمكاتبات ومراسلات ترددت بينهما في معنى الوصلة بينها وبينه واستقر الملك له ولها وكانت قد منعت السلطان بركيارق التصرف في تلك الاعمال والتفود فيها. وفي هذا الوقت حدثت زلازل في يوم وليلة دفعات لم يسمع بمثلا في كل زلزلة منها تقيم وتطول بخلاف ما جرت بمثله العادة. ورحل تاج الدولة عقيب ذلك ولم يتمكن من الاقام على سمته وعرفت خاتون الخبر فخرجت من اصفهان في عسكرها للقاء تاج الدولة فعرض لها في طريقها مرض حاد فتوفيت وتفرقت عسكرها الى جهة السلطان بركيارق والى غيره وحين عرف بركيارق ذلك سار في الحال الى اصفهان فدخلها وملكها وقد كان اهلها اشرفوا على الهلاك لفرط الغلاء بها وعدم الاقوات فيها. ووصل من عسكر خاتون الى تاج الدولة خلق كثير وكذلك من عسكر بركيارق فتضاعفت عدته وقويت شوكته ودعي له على منابر بغداد ووصل الى همدان وكاتب ولده فخر الملوك رضوان بدمشق يأمره بالمسير اليه في من بقي من الاجناد في الشام فسار الى حلب ومن حلب الى العراق ومعه الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق والامير وثاب بن محمود بن صالح وجماعة من امراء العرب واتراك حلب القسيمية وتوجه صوب بغداد على الرحلة في اول سنة ٤٨٧

وفي هذه (70^٦) السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بمرض امير الجيوش بدر المستولي على امرها وانه أسكت في مرضه هذا ودام به الى ان اشتد في جمادى

الاولى منها وتوفي في العشر الاول منه وقد كان الامر تمهد لولده الافضل واستقامت حاله مع المقدمين وسائر الاجناد والعساكرية قبل وفاته واطاعوا امره وعملوا برأيه وقيل ان وفاة امير الجيوش كانت في جمادى الاولى . وفي هذه السنة ايضاً وردت الاخبار من ناحية مصر بمرض الامام المستنصر بالله امير المؤمنين في العشر الثاني من ذي الحجة وان المرض اشتد به وتوفي الى رحمة الله في ليلة عيد الغدير الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٧ وعمره سبع وستون سنة وستة اشهر ومولده سنة ٤٢٠ ونقش خاتمه « بنصر السميع العليم ينتصر الامام ابو قيم » ومدة ايام دولته ستون سنة واربعة اشهر وكان حسن السيرة جميل السريرة محباً للعدل والانصاف ومُني في اكثر عمره من الاجناد بالعدا والاختلاف وولي الامر بعده ولده ابو القاسم احمد بن المستنصر بالله ولقب بالمستعلي بالله امير المؤمنين واخذ له البيعة على الامراء والمقدمين من الاجناد والعساكرية واعيان الرعية الافضل ابو القسم شاهنشاه بن امير الجيوش ونصبه في منصب ابيه المستنصر بالله واستقامت به الاحوال وانتظمت على غاية الاثار والآمال . وخرج اخواه من مصر خفية عبد الله وتزار ابنا المستنصر بالله فقصدا تزار منهما الاسكندرية وحصل مع نصر الدولة واليها وكان من اكابر العلما الجيوشية الذين عول عليهم امير الجيوش على اقامته في الامر من بعده دون ولده فاستحكم الخلف بينه وبين الافضل وجرت بينهما حروب ووقائع اسفرت عن ظفر الافضل به واستقام له الامر من بعده وصلحت احوال مصر واعمالها واستقامت بعد اضطرابها واختلالها (١) . واما ما يتعلق بمعرفة احوال السلطان تاج الدولة فانه تم في رحيله الى مدينة الري قتل عليها وضايقها وملاصكها واستولى على البلاد والاعمال والمعاقل من الشام والى الري وكان قد انهض عسكرياً مع

(١) وقال الفارقي في تاريخه : قبل انه كان في سنة ٤٨٩ مات الامام ابو قيم معه المستنصر بالله خليفة مصر ومن ذلك الوقت انفرقت الاسماعيلية والاماعيلية تقول ان المستنصر نص على ولده ابي منصور تزار والامامة فيه وكان المستنصر تزوج بنت الامير بدر امير الجيوش ورزق منها ابناً سماً احمد وكنأه باني القاسم ومات امير الجيوش بدر في سنة ٤٨٨ وولي موضعه ولده الافضل وولي الافضل اماره الجيوش . فلما مات المستنصر قوي امير الجيوش على تزار وولي ابن اخته ابا القاسم احمد ولقبه بالمستعلي وانفرق اهل مصر فرقتين فرقة مع المستعلي في السلطنة وفرقة مع تزار وهو مختلف بمصر . وجاء اليه الحسن بن الصباح من آلوت واقام بها عنده وتزوج الى بنت الحسن ابن الصباح واولد منها ولداً سماً محمد ولقبه بالمصطفى وقيل لُقّب بالقائم وقال المصنف ايضاً في النسخة السابقة من هذا التاريخ (التي كتبها قبل هذه النسخة الحاضرة

بني عقيل ونُيِّر الى اعمال بني عقيل فاستولوا عليها ما خلا الموصل وساءت سيرة الاتراك في الاعمال (٧٠) وشملها منهم ما عاد عليها بالفساد وسوء الحال وانفذوا مواشي اهلها واموالهم واستغرقوا بالنهب وارتكاب الظلم احوالهم واجلوهم عن منازلهم في زمن الشتاء وشدة البرد وسقوط الثلج والجليد. وبرز السلطان بركيارق من اصفهان في العسكر وقصد جهة عمه السلطان تاج الدولة وخاف تاج الدولة من اهل الري ان يحامروا عليه ان اقام فرحل عنها وتزل في منزل على اربعة فراسخ منها (١) ووصل السلطان بركيارق في عساكره وخيم بازائه وحالت بينهما طوابع الفريقين وتأهب كل منهما للقاء صاحبه ورُتبت المصافاة للحرب والتقى الفريقان في اليوم السابع عشر من صفر سنة ٤٨٨ فانقل عسكر السلطان تاج الدولة وتفرق ونهب سواده واثقاله وأسر اكثرهم وقُتل منه الخاق

في سنة ٥٦٠) ان قوماً منهم يقولون ان تزار الامام النص عليه وانه بقي مدة ثم خرج وكان اولد فأنص عليه يسمى محمد بن تزار ويلقب بالمصطفى وكان خرج تزار من مصر ومضى الى خراسان الى بيت الصباح في قلعة الموت واتصل اليهم واولد هذا الابن من بنت ابن الصباح ومات هناك وقد نص على هذا الابن وقيل يلقب بالقائم ومات هناك وله ابن نص عليه يسمى تزار بن محمد بن تزار وهو الان في هذا الزمان (امام) الاسماعيليه وهو على قولهم بخراسان وقوم قالوا بالمغرب وقوم قالوا بمصر ولم يخرج تزار من مصر والله اعلم. وهم يزعمون ان الامام منهم لا يموت الا وقد خاف ولداً ذكراً منصوباً عليه بالخلافة واما المستعلي فانه بقي في الخلافة بسيف خاله الافضل الى سنة ٥٠٣ (كذا) ومات بمصر وولي الامر من بعده ولده ابو (علي) ويلقب بالآمر وبقي في الخلافة مدة وحصل له قوم ودعاة يدعون باسمه ثم مات وكان قبل موته نص على الحسل وهو في مذهبهم ان الامام منهم لا يموت الا وقد خلف ولداً ذكراً منصوباً عليه فلما خلف الحسل وقد نص عليه باجماع الناس انتظرت الى ان وضع ابني واختلف الناس وماجوا وانتفقوا ان اخرجوا من اولاد المستنصر رجلاً يسمى عبد الحميد ويكنى بابي الميمون ويلقب بالحافظ وقيل انه كان ابن المستعلي وقيل بل ابن المستنصر واجمعوا عليه وولي الخلافة في سنة ٥٢٦ (كذا) وقُتل في سنة ٥١٦ (كذا) وانقطع النص من هؤلاء فاجمعوا اجماعاً من غير نص. والاسماعيليه تقول ان المستعلي ومن بعده ليس له في الامامة مدخل وانما هؤلاء اخذوها بالسيف وانما الامامة في ولد تزار وبعده وهذا نص اعتقادهم. والطائفتان على الباطل وليس الامامة والخلافة الا لبني العباس رضوان الله عليهم لقوله عليه السلام لعنه العباس رضي الله عنه: انت ابو الاملاك من امتي الى يوم القيامة وانما اصحاب الاهواء والامراض يقولون ان اولئك الخلفاء وهذا باطل ولا خلافة الا ببغداد

وقال الذهبي في تاريخ الاسلام: ان في سنة ٤٣٦ ولد تزار بن المستنصر الببيدي المصري الذي قتله الافضل بن امير الجيوش

(١) وفي زبدة التواريخ وهي اخبار الدولة السلجوقية: ان المصاف كان على قرية يقال لها دُسلوا على ١٣ فرسخاً من الري

الكثير واستشهد تاج الدولة رحمه الله في الجبل وقتله (١) بعض اصحاب قسم الدولة
اق سنقر صاحب حلب بعد اصطناعه اياه وتقريبه له ونُحِل رأسه وطيف به في العسكر
ثم نُحِل الى بغداد وطيف به فيها

سنة ثمان وثمانين واربعمائة

فيها ورد الخبر الى الملك فخر الملوك رضوان بن تاج الدولة باستشهاد ابيه تاج
الدولة وانقلاب عسكره وهو نازل في عانة على الفرات في عسكره يريد الانعام الى
بغداد ثم المصير الى ابيه تاج الدولة حين استدعاه الى الوصول اليه فاضطرب لذلك
وقاق وخاف من وصول من يطلبه فحط مضاربه في الحال وقوضت خيام العسكر
في الوقت ورحل مجدداً في سيره في نفر من سرعان خيله وغلماؤه وترك باقي عسكره
من ورائه ولم يزل مُغِذاً في قصده الى ان دخل حلب وفتح الوزير ابو القاسم النائب في
القلعة ابوابها واصعد اليها واخذوا الالهة لمن يقصدها. ووصل اليه من الفل اخوه
شمس الملوك دُقاق (٢) ابن السلطان تاج الدولة من ناحية ديار بكر وجماعة من خواص
عسكره المفلول واقام بحلب مدة يسيرة وراسله الامير ساوتكين الخادم المستناب في
القلعة والبلد وقرّر له ملكة دمشق سرّاً فخرج في الحال من حلب من غير ان يعلم به
احدٌ وجدّ في سيره ليله ونهاره فلما عرف الملك فخر الملوك خبره (٧١١) انهض عدّة من
الحيل في اثره فقاتلهم ولم يعرفوا له خبراً ولا وجدوا له اثرًا ووصل الى دمشق وحصل
بها واجلسه ساوتكين في منصب ابيه السلطان تاج الدولة واخذ له العهد على الاجناد
والعسكرية واستقام له الامر واستمرت على السداد الاحوال. وفي هذه السنة وردت
الانبار من ناحية الحجاز بان الامير اصفهاند وصل الى مكة في اربعمائة فارس من
التركمانية فقاتل اهلها فقهرهم وملكها وقتل خلقاً كثيراً من حرايتها من اصحاب ابن
ابي شيبه وانهزم ابن ابي شيبه وجمع الاشراف من مكة وحصل بها واقام بها مُدَيِّدةً
يسيرةً ورحل عنها

وفي هذه السنة وردت الاخبار بخلاص الامير ظهير الدين طغتكين اتابك من
اعتقاله عقيب الكسرة التاجية وتوجه عائداً الى دمشق وخرج صاحبه السلار حصن

(١) وفي الاصل: وقتل

(٢) وفي حاشية: قلت دُقاق كنيته ابو نصر وينال فيه ثُقاق ايضاً بالتاء

الدولة بمختيار شحنة دمشق نحوه لتلقيه والعود في خدمته . وقد كان هذا الامير المذكور في حادثة سنة ونضارة عُصنه قد حظي عند السلطان الشهيد تاج الدولة ورشحه بحجره وقدمه على ابناء جنسه من خواصه وبطائه وسكن الى شهادته وصرافته وسداد طريقته ورد اليه بعد ذلك ما انس منه الرشد وحسن التدبير في الصدر والورد والاسفهلارية على عسكريته واستنابه في تدبير امر دمشق وحفظها ايام غيبته فاحسن السيرة فيها وانصف الرعية من اهلها وبسط المعدلة في كافة من بها فكثرت الدعاء له والثناء عليه فعلت منزلته وامثلت اوامره وامثله ولم يلبث ان شاع ذكره بنجاحه واشفت النفوس من هيبته فولاه ميافارقين من ديار بكر وهي اول ولايته (١) وسلم اليه ولده الملك شمس الملوك دقاق واعتمد عليه في تربيته وكفالاته فساس امرها بالهيبة والتدبير واصلح فاسدها في اقرب اوان ومدته ونكا في جماعة من مقدميها ووجوه اهلها حين عرف منهم خيانة ومخامرة نكاية قامت بها الهيبة واستقامت معها امور الرعية . وتنقلت به الاحوال الى ان توجه مع السلطان تاج الدولة الى ناحية الري وشهد الوقعة التي استشهد فيها تاج الدولة وحصل في قبضة الاعتقال مع من اسر من المقدمين واقام مدة الى ان اذن الله في الخلاص (٧١٢) ووصل الى دمشق في سنة ٤٨٨ فلتأه الملك شمس الدولة دقاق وعسكره وارباب دولته وبورغ في اكرامه واحترامه ورد اليه النظر في الاسفهلارية واعتمد عليه في تدبير الملكة وسياسة البيضة . واقتضت الحال فيها بينه وبين الملك وامراء الدولة العمل على الامير ساوتكين والايقاع به وتم عليه الامر وقتل وعقدت الوصلة بينه وبين ظهير الدين اتابك وبين الخاتون صفوة الملك والدة الملك شمس الملوك دقاق ودخل بها واستقامت له الحال بدمشق واجسن السيرة فيها واجمل في تدبير اهلها وبالغ في الذب عنها والمراعاة دونها وسكنت نفس الملك شمس الملوك اليه واعتمد في التدبير عليه . وقد كان الملك فخر الملوك رضوان بن تاج الدولة صاحب حلب مائلا الى دمشق ومحبا لها وموثرا للعود اليها ولا يختار عليها سراها

(١) قال القاري في تاريخه ان السلطان تنش لما سلم اليه ميافارقين في سنة ٤٨٦ رتب في القصر مملوكا له يسمى طنتكين وان في سنة ٤٨٨ كانت شوشة آمد على نائبه جا وماشوا عليه وحضر طنتكين آمد وقتل جماعة وصلب جماعة وبقيت آمد بحكم تاج الدولة وانتقلت بسده الى الملك دقاق وانتقلت الى الامير ينال وانتقلت الى الامير فخر الدولة ابراهيم وبقيت في يده وولد له الى الان (سنة ٥٧٣)

لمعرفته بمحاسنها وترعرعه فيها فجمع وحشد واستنجد بالامير سُكبان بن ارتق وبرز طالبا لدمشق والتزول عليها وانتهاز الفرصة فيها. وقد كان الملك شمس الملوك دقاق والعسكر مع الامير ياغي سيان والامير نجم الدين ايل غازي قد غابوا عن دمشق في هذا الوقت فوصل الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب في عسكره ونزل بظاهر البلد في سنة ٤٨٩ وزحف في العسكر لقتالها. وكان في البلد وزير الملك شمس الملوك زين الدولة محمد بن الوزير ابي القاسم وتفر قليل من العسكرية وانضاف اليهم جماعة من الاجناد واهل البلد وأغلقت الابواب وارتكبت الاسوار وصاحوا ورشقوهم بالسهام وكانوا قد بلغوا في الزحف الى سوق الغنم وقربوا من السور والباب الصغير وطلب جماعة من العسكرية واحداث البلد الخروج اليهم والدفع لهم عن البلد فمنعهم السلار بمختيار شحنة البلد والرئيس امين الدولة ابو محمد بن الصوفي رئيس البلد من الخروج وقاتلوهم على الاسوار ومنعواهم من الوصول اليها. واتفق الامر المقتضى ان حبر المنجنيق وقع في رأس حاجب الملك رضوان وهو قائم يُجرّض على الحرب فقتله فسكنت الحرب واشتغلوا بامره وعادوا الى مخيمهم لاجله ولم يتم لهم امر ولا تسهل لهم عرض وبلغهم ان الملك شمس الملوك عائد (٧٢٣) في العسكر الى دمشق فرحل في العسكر عائدا الى حلب خائبا في الامر الذي طلب: وطلب في رحيله ناحية مرج الصفر وطلب حوران فعاث العسكر في اطرافها وطلب التوجه الى بيت المقدس. وعاد شمس الملوك دقاق لما انتهى اليه الخبر في العسكر ووصل الى دمشق وتبع عسكر الملك رضوان على اثره فوصل وتقارب المدى بين الفريقين وفصل الملك رضوان منكفئا الى حلب فوصل اليها في اخر ذي الحجة من السنة

سنة تسع وثمانين واربعمائة

فيها وصل خلف بن ملاعب الذي كان السلطان ملك شاه ابو الفتح اخذه من حمص عند اخذها منه واعتقله باضفهان وأطلق عند وفاة السلطان المذكور وتوجه الى مصر. وفيها ورد الخبر بوفاة ابي مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمستولي عليها في اخر صفر منها وكان له همة مشهورة وطريقة في اليقظة مشكورة. وفيها انكفا الامير ياغي سيان منفصلا عن الملك شمس الملوك دقاق الى بلده انطاكية في الحرم منها

سنة تسعين وأربعمائة

في مستهل شهر ربيع الأول منها اجتمع ستة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد وذكر اهل صناعة النجوم انهم لم يعرفوا اجتماع هذه الكواكب في برج في قديم الزمان وحديثه ولا سمعوا ذلك. وفي شعبان منها ورد الخبر بان الامير جناح الدولة حسين اتاك الملك فخر الملوك رضوان بحلب استوحش من الملك استيحاشا خاف معه على نفسه وكان زوج والدته ففصل عن حلب مُنكراً لما تم في امره وكان امر التدبير اليه والمعتمد في الحل والعقد فيها عليه ووصل الى حمص في عسكره وخواتمه وكان قراجه نائبه فيها فسلمها اليه وحصل بها وشرع في تحصينها والاحكام لجهات قلعته ونقل اهله اليها وامن على نفسه باستقراره بها. ووصل عقيب انفصاليه الامير ياغي سيان من انطاكية الى حلب وشرع في التدبير والتقرير بها والامر والنهي في عسكريتها واهليها وبرز الملك رضوان وياغي سيان من حلب في (72^٧) العسكر الى ناحية شيزر عازماً على الاحتشاد والتأهب والاستعداد لمعاودة النزول على دمشق فاقاموا على شيزر تقدير شهر ووقع الحلف بين مقدمي العسكر ففترقوا وعاد كل منهم الى مكانه وعاد الملك الى حلب. وفي هذه السنة ورد على فخر الملوك رضوان كتاب المستعلي بالله صاحب مصر مع رسوله يلتمس منه الدخول في طاعته واقامة الدعوة لدولته وكذلك كتاب الفضل يتضمن مثل هذه الحال فاجابها الى ما التمساه وامر بان يُدعى للمستعلي على النبر والافضل بعده ولنفسه بعده واقامت الخطبة على هذه القضية تقدير اربع مِجمع وكان الملك رضوان قد بنى الامر في ذلك على الاجتماع مع العسكر المصري والنزول على دمشق لاختها من اخيه الملك دقاق فوصل الامير سكيان (١) بن ارتق وياغي سيان صاحب انطاكية الى حلب وانكرا على الملك الدخول في هذا الامر واستبدعاه من فعله واشارا عليه بابطاله واطراح العمل به فقبل ما أُشير به اليه واعاد الخطب الى ما كانت عليه

وفي اول شهر ربيع الاول من السنة وردت الاخبار بخروج العسكر المصري من مصر وتزوله على ثغر صور عند ظهور عصيان واليه المعروف بالكُتَيْبة وخروجه عن الطاعة والايثار للخلف والعدول عن المخالصة في الخدمة والعود للبايعة ولم يزل العسكر مُنازلها

(١) وفي الاصل : شكناز في المواضع كلها

وَمُضَايِقًا عَلَيْهَا إِلَى أَنْ انْتَحَبَا بِالسِّيفِ قَهْرًا وَقَتْلَ فِيهَا الْخَلْقَ الْكَثِيرَ وَنَهَبَ مِنْهَا الْمَالَ الْجَزِيلَ وَأَخَذَ الْوَالِي أَسِيرًا مِنْ غَيْرِ أَمَانٍ وَلَا عَهْدٍ وَنَحَلَ إِلَى مِصْرَ قَتْلَ بِهَا

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَ مَبْدَأُ تَوَاصُلِ الْأَخْبَارِ بِظُهُورِ عَسَاكِرِ الْإِفْرَنْجِ مِنْ بَحْرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي عَالَمٍ لَا يُحْصَى عَدَدُهُ كَثْرَةً وَتَتَابَعَتِ الْأَنْبَاءُ بِذَلِكَ فَخَلَقَ النَّاسُ لِمَاعِهَا وَاتَّعَجَبُوا لِاشْتِهَارِهَا. وَصَحَّتِ الْأَخْبَارُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْمَلِكِ (دَاوُدَ بْنِ) سُلَيْمَانَ بْنِ قَتْلَمِشَ وَكَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ دَارًا فَشَرَعَ فِي الْجُمُوعِ وَالْإِحْتِشَادِ وَأَقَامَةَ مَفْرُوضِ الْجِهَادِ وَاسْتَدْعَى مِنْ أَمْكِنِهِ مِنَ التُّرْكَانِ لِلْإِسْعَادِ عَلَيْهِمُ وَالْإِنْجَادِ فَوَافَاهُ مِنْهُمْ مَعَ عَسَاكِرِ أَخِيهِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ وَقَوِيَّتِ بِذَلِكَ قُوَّةَ وَاسْتَدَّتْ شَوْكَتَهُ فَزَحَفَ إِلَى مَعَابِرِهِمْ وَمَسَالِكِهِمْ وَسَبَّلَهُمْ (٧٣٢) فَأَوْقَعَ بِكُلِّ مَنْ ظَفَرِيهِ مِنْهُمْ بِحَيْثُ قَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا وَعَادُوا إِلَيْهِ وَاسْتَظْهَرُوا عَلَيْهِ وَكَسَرُوا عَسْكَرَهُ فَقَتَلُوا مِنْهُمْ وَاسْرُوا وَنَهَبُوا وَسَبُّوا وَانْهَزَمَ التُّرْكَانُ بَعْدَ اخْتِذَاكَ أَكْثَرِ دَوَائِبِهِمْ وَاشْتَرَى مَلِكُ الرُّومِ مِنَ السَّبْيِ خَلْقًا كَثِيرًا وَجَمَلَهُمْ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَتَوَاصَلَتِ الْأَخْبَارُ بِهَذِهِ النُّوْبَةِ الْمُسْتَبْشِعَةِ فِي حَقِّ الْإِسْلَامِ فَعَظُمَ الْقَلَقُ وَزَادَ الْخَوْفُ وَالْفِرَقُ وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ لِعَشْرِ بَقِيَّةٍ مِنْ رَجَبٍ. وَفِي النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ تَوَجَّهَ الْأَمِيرُ يَاقِي سِيَانَ صَاحِبُ أَنْطَاكِيَّةَ وَالْأَمِيرُ سُبْكَمَانُ بْنُ أَرْتَقٍ وَالْأَمِيرُ كَرِيوْقَا فِي الْعَسْكَرِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِقُرْبِ الْإِفْرَنْجِ مِنْهَا وَتَزَوُّلِهِمْ بِالْبَلَاءَةِ وَخَفَ يَاقِي سِيَانَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَسَيَّرَ وَلَدَهُ إِلَى دِمَشْقَ إِلَى الْمَلِكِ دُقَاقٍ وَالْإِلَى جَنَاحِ الدَّوْلَةِ بِمَحْصٍ وَالْإِلَى سَائِرِ الْبِلَادِ وَالْأَطْرَافِ بِالْإِسْتِصْرَاحِ وَالْإِسْتِجَادِ وَبِالْبُعْثِ عَلَى الْخُفُوفِ إِلَى الْجِهَادِ وَقَصْدِ تَحْصِينِ أَنْطَاكِيَّةَ وَخَرَاكِجِ التَّنَاصُرِيِّ مِنْهَا. وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ شَوَّالٍ تَزَلَّتْ عَسَاكِرُ الْإِفْرَنْجِ عَلَى بَغْرَاسٍ وَعَادُوا عَلَى أَعْمَالِ أَنْطَاكِيَّةَ فَعِنْدَ ذَلِكَ عَصَى مِنْ كَانَ فِي الْحَصُونِ وَالْمَعَاوِلِ الْمَجَاوِرَةِ لِأَنْطَاكِيَّةَ وَقَتَلُوا مَنْ كَانَ فِيهَا وَهَرَبَ مِنْ هَرَبٍ مِنْهَا وَفَعَلَ أَهْلُ أَرْتَاخَ مِثْلَ ذَلِكَ وَاسْتَدْعَوْا الْمَدَدَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ. وَفِي شَعْبَانَ ظَهَرَ الْكَوْكَبُ ذُو الذَّوَابَةِ مِنَ الْغَرْبِ وَأَقَامَ ظُلُوعَهُ تَقْدِيرَ عَشْرِينَ يَوْمًا ثُمَّ غَابَ فَلَمْ يَظْهَرْ وَكَانَ قَدْ نَهَضَ مِنْ عَسَاكِرِ الْإِفْرَنْجِ فَرِيقٌ وَافَرٌ يَنَاهِزُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَعَاثُوا فِي الْأَطْرَافِ وَوَصَلُوا إِلَى الْبَارَةِ وَفَتَكُوا فِيهَا تَقْدِيرَ خَمْسِينَ رَجُلًا وَكَانَ عَسَاكِرُ دِمَشْقَ وَصَلَ إِلَى نَاحِيَةِ شَيْزَرٍ لِإِنْجَادِ يَاقِي سِيَانَ فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْفَرَقَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى الْبَارَةِ نَهَضُوا نَحْوَهُمْ وَتَطَارَدُوا وَقَتَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَعَادَ الْإِفْرَنْجُ إِلَى الرُّوحِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ. وَغَلَا سَعَرُ الزَّيْتِ وَالْمَلْحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَعُدِمَ فِي أَنْطَاكِيَّةَ وَتَوَاصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهَا سَرَقَةً فَرُخَصَ فِيهَا وَجَعَلَ الْإِفْرَنْجُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْطَاكِيَّةَ خُنْدَقًا لِكَثْرَةِ

الغارات عليهم من عسكر انطاكية وقد كان الافرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بان يسلموا اليه اول بلد يفتحونه ففتحوا نيقية وهي اول مكان فتحوه فلم يفوا له بذلك ولا سلموها اليه على الشرط وافتتحوا في طريقهم بعد الثغور والدروب . وفي هذه السنة وردت الاخبار من (٧٣٧) ناحية حلب بفساد حال رئيسها المعروف بالحن لما كان عليه من التمكن والغلبة على الامر وارتكاب الظلم بحيث قبض عليه ونهبت داره وقتل مع من قتل من اولاده واستوصلت شافته وذلك مجازاة الساعي في قتل النفوس وسفك الدماء وما هي من الظالمين بعيد وذلك في ذي القعدة . وفي هذه السنة استوزر الملك رضوان ابا الفضل بن الموصل وألقب مشيد الدين بحلب

سنة احدى وتسعين واربعائة

في آخر جمادى الاولى منها ورد الخبر بان قوماً من اهل انطاكية من حملة الامير ياغي سيان من الزرادين عمالوا على انطاكية وواطوا الافرنج على تسليمها اليهم لاساءة تقدمت منه في حقهم ومصادرتهم ووجدوا الفرصة في برج من ابراج البلد ممّا يلي الجبل باعوه للافرنج واطلعوهم الى البلد منه في الليل وصباحوا عند الفجر فانهزم ياغي سيان وخرج في خلق عظيم فلم يسلم منهم شخص ولا حصل بالقرب من ارمناز ضيعة بقرب من معرة مصرين سقط عن فرسه على الارض فحمله بعض اصحابه واركبه فلم يثبت على ظهر الفرس وعاد سقط فمات رحمه الله . واما انطاكية فقتل منها وأسر وسبي من الرجال والنسوان والأطفال ما لا يُدركه خصر وهرب الى القلعة تقدير ثلاثة الاف تحصنوا بها وسلم من كتب الله سلامته

وفي شعبان منها وردت الاخبار بخروج الافضل امير الجيوش من مصر في عسكر كثير الى ناحية الشام ونزل على بيت المقدس وفيه الاميران سكران وايل غازي ابنا ارتق وجماعة من اقاربهما ورجالهما وخلق كثير من الاتراك فراسلها يلتبس منهما تسليم بيت المقدس اليه من غير حرب ولا سفك دم فلم يجيباه الى ذلك فقاتل البلد ونصب عليه المناجيق فهدمت ثلثة من سورته وملكه وتسأم محراب داود من سكران ولما حصل فيه احسن اليهما وانعم عليهما واطلقهما ومن معها ووصلوا الى دمشق في العشر الاول من شوال وعاد الافضل في عسكره الى مصر . وفيها توجه الافرنج الى معرة النعمان باسرههم وتزلوا عليها في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة وقتلوا ونصبوا عليها

البرج والسلام. وبعد افتتاح الافرنج بلد (74٢) انطاكية بتدبير الزرّاد وهو رجل ارمني اسمه نيزوز في ليلة الجمعة مستهل رجب وتواصلت الاخبار بصحّة ذلك تجمّعت عساكر الشام في العدد الذي لا يدركه حصر ولا حزر وقصدوا عمل انطاكية للايقاع بعساكر الافرنج فحسروهم حتى عُدِمَ القوت عندهم حتى اكلوا الميتة ثم زحفوا وهم في غاية من الضعف الى عساكر الاسلام وهم في الغاية من القوة والكثرة فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم وانهزم اصحاب الجرد السبق ووقع السيف في الرجال المتطوعين والمجاهدين والمغالين في الرغبة في الجهاد وحماية المسلمين في ذلك في يوم الثلاثاء السادس من رجب في السنة

واهلت سنة اثنتين وتسعين واربعائة

في الحرم منها زحف الافرنج الى سور معرة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية واستندوا البرج الى سورها وهو اعلى منه فكشفوا المسلمين عن السور ولم يزل الحرب عليه الى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محرم وصعدوا السور وانكشف اهل البلد عنه وانهزموا بعد ان ترددت اليهم رسل الافرنج في التماس التتير والتسليم واعطاء الامان على نفوسهم واموالهم ودخول الشحنة اليهم فمنع من ذلك الخلف بين اهلها وما قضاه الله تعالى وحكم به وملكوا البلد بعد صلاة المغرب وقتل فيه خلق كثير من الفريقين وانهزم الناس الى دور المعرة للاختباء بها فامنهم الافرنج وغدروا بهم ورفعوا الصليبان فوق البلد وقطعوا على اهل البلد القطائع ولم يفوا بشيء مما قرروه ونهبوا ما وجدوه وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر الى كفرطاب. ثم قصدوا بعد ذلك ناحية بيت المقدس اخر رجب من السنة واجفل الناس منهم من اماكنهم وتزلوا اولاً على الرملة فملكوها عند ادراك الغلة وانتقلوا الى بيت المقدس فقاتلوا اهلها وضيقوا عليهم ونصبوا عليه البرج واستندوا الى السور (١) وانتهى اليهم خروج الافضل من مصر في العساكر الدثرة لجهادهم والايقاع بهم وانجاد البلد عليهم وحمايته منهم فشدوا في قتاله ولازموا حربه الى اخر نهار ذلك اليوم وانصرفوا

(١) وقال الفارقي في تاريخه: ان في سنة ٤٩١ ظهرت الافرنج فخرجت فلكت انطاكية وطرابلس وفي سنة ٤٩٢ ملكوا بيت المقدس وما حوله من صور وعكة وفي ٤٩٨ ملكوا باقي الساحل وقوي امرهم وملكوا الرها وما حولها من الحصون الفراتية.

عنه وواعدهم الزحف اليهم من الغد وتزل الناس عن السور وقت المغرب (٧٤٧)
فعاود الافرنج الزحف اليه وطلعوا البرج وركبوا سور البلد فانهزم الناس عنه وهجموا على
البلد فملكوه وانهزم بعض اهل الى الحراب وقتل خلق كثير وجمع اليهود في الكنيسة
واحرقوها عليهم وتسلموا المحراب بالامان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة
وهدموا المشاهد وقبر الخليل هم . ووصل الافضل في العساكر المصرية وقد فات الامر
فانضاف اليه عساكر الساحل وتزل بظاهر عسقلان في رابع عشر شهر رمضان منتظرا
لوصول الاسطول في البحر والعرب فنهض عسكر الافرنج اليه وهجموا عليه في خلق
عظيم فانهزم العسكر المصري الى ناحية عسقلان ودخل الافضل اليها وتمكنت سيوف
الافرنج من المسلمين فاقى القتل على الراجل والمطوعة واهل البلد وكانوا زهاء عشرة
الاف نفس ونهب العسكر وتوجه الافضل في خواصه الى مصر وضايقوا عسقلان الى
ان قرروا عليها بعده الافرنج عشرين الف دينار تحمل اليهم وشرعوا في جبايتها من
اهل البلد فاتفق حدوث الحلف بين المتقدمين فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئا وحكي
ان الذين قتلوا في هذه الواقعة من اهل عسقلان من شهودها وتناها وتجارها واحداها
سوي اجنادها الفان وسبعائة نفس

سنة ثلث وتسعين واربعائة

في صفر منها ورد الخبر بوصول السلطان بركيارق الى بغداد بعد ان جرى بينه وبين
اخيه السلطان محمد تبر خلف وحرب واستظهر فيها عليه وغلبه على مدينة اصفهان
وحصل بها . وتوجه الملك شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة من دمشق في عسكره الى
ديار بكر لتسلمها من المستولي عليها ووصل الى الرحبة في البرية ووصل الى ديار بكر
وتسلم ميافارقين ورتب فيها من يحفظها ويذب عنها (١٠) وفي رجب منها خرج يسند

(١) وقال الفارقي في تاريخه : قيل ومُلك جميع ديار بكر بعد موت السلطان تاج الدولة ولم
تبقَ للملك دقاق غير ميافارقين والامير ابرهيم (بن) ينال بيده آمد وبقي في يد اولاده الى
الان (يعني سنة ٥٧٣) وملك حسام الدولة تمكين بدليس وارزن وكان ملك ارزن الامير
شاروخ واخذها حسام الدولة وملك الامير شاروخ حاني وملك قزل ارسلان السبع الاحمر اسعد
وطتري وباهود وكان ملك مدينة دوين من بلد ارزن وملك الامير سكان بن ارتق حصن كيفا
سنة ٥٩٥ واخذها من الامير موسى وقتله وبقيت لهم الى الان ولما مات الامير سكان ملكها بعده
ولده الامير ابرهيم مدة ومات وملكها بعده ولده الامير داود بن سكان وبقيت في يد اولاده

ملك الافرنج صاحب انطاكية الى حصن اقامية ونزل عليه واقام اياماً واتلف زرعاً
ووصل الخبر بوصول الدنشمند الى ملطية في عسكره من الاتراك في خلق عظيم ومن
عسكر (قلج ارسلان بن) سليمان بن قتلش فعاد يسند عند معرفة ذلك الى انطاكية
وجمع وحشد وقصد عسكر المسلمين فنصر الله تعالى المسلمين عليه وقتلوا من حزبه
خلقاً كثيراً (75٢) وحصل في قبضة الاسر مع نفر من اصحابه وتفدت الرُّسل الى نوابه
بانطاكية يلتسون تسليمها في العشر الثاني من شهر صفر سنة ٤٩٣. وفيها وردت
الاخبار بان الآبار غارت في عدة جهات من اعمال الشمال والمنايع في اكثر المعامل
وقلت وتقلصت الاسعار فيها

سنة اربع وتسعين واربعائة

فيها جمع الامير سكرمان بن ارتق خلقاً كثيراً من التركمان وزحف بهم الى افرنج
الرها وسروج في شهر ربيع الاول وتسلم سروج واجتمع اليه خلق كثير وحشد
الافرنج ايضاً والتقى الفريقان وقد كان المسلمون مشرفين على النصر عليهم والقهر لهم
فاتفق هروب جماعة من التركمان فضعفت نفسه وانهمزم ووصل الافرنج الى سروج
فتسلّموها وقتلوا اهلها وسبوا منهم الأمان اقلت منهم هزياً. (و) في هذه السنة توفي
القاضي الفقيه الامام ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن عقيل بن زيد الشهرزوري
الواعظ رحمه الله يوم الاثنين السابع من المحرم منها. وفي هذه السنة وصل كندفري
صاحب بيت المقدس الى ثغر عكا واغار عليه فاصابه سهم فقتله وكان قد عمّر يافا
وسلمها الى طنكري فلما قتل كندفري سار اخوه بغدوين القمص صاحب الرها الى
بيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فجمع شمس الملك دقاق عند معرفة خبر عبوره
ونفض اليه معه الامير جناح الدولة صاحب حمص فلقوه بالقرب من ثغر بيروت فسارع

الى الان وملك الباقون ماردين وحصلوا هؤلاء امراء البلاد ومياfarقين بما الامير التاش من قبل
الملك دقاق. قيل وفي سنة ٤٩١ عاد الملك دقاق الى مياfarقين وحضر الى خدمته جميع امراء له
بديار بكر وكان معه الوزير محمد المعجمي من اهل دوين

واما آمد قال المصنف في النسخة السابقة من هذا التاريخ ان بعد قتل تاج الدولة ملك آمد
الامير صادر مدّة ثم مات وولاه الامير ينال اخوه مدّة ومات وملكها فخر الدولة ابراهيم وبقيت
بيده مدّة وما . وملكها ولده سعد الدولة ايكلي الى سنة ٣٦ ومات وولي بعده ولده جمال
الدين محمود الى يومنا هذا وهي بيده الى الان (يعني سنة ٥٦٠)

نحوه جناح الدولة في عسكره فظفر به وقتل بعض اصحابه . وفيها افتتح الافرنج حيفا على ساحل البحر بالسيف وارسوف بالامان واخرجوا اهلها منها . وفي اخرجب منها فتحوا قيسارية بالسيف وقتلوا اهلها ونهبوا ما فيها واعانهم الجنويون عليها وفيها ورد الخبر بقرب السلطان بركيارق من بغداد في عسكره طالباً للقاء اخيه محمد (١) فأسر وقتل وأخذ وزيره (٢) وجماعة من مقدميه وأمر بقتلهم وتوجه من وقته الى ناحية اصفهان فنزل عليها عند وصوله اليها وتقرر امرها بحيث ملكها وحصل فيها وهي دار السلطنة واستقام (٧٥٧) له الامر بها . وفيها تقدم الخليفة المستظهر بالله امير المؤمنين ببغداد بالقبض على عميد الدولة محمد بن محمد بن جهير وزيره وعلى نوابه واسبابه ومصادرتهم وقتلهم لاشياء قمعها عليه ومنكرات عزيت اليه . وفي شعبان منها ارسل القاضي ابن صليحة المتغلب على ثغر جبلة الى الامير ظهير الدين اتابك يلتبس منه انفاذ من يراه من ثقافته ليسلم اليه ثغر جبلة ويصل الى دمشق بماله وحاله ويسيره الى بغداد تحت الحوطة والامان والحماية وجميل الرعاية فاجابه الى ما اقترحه ووعدته بتحقيق امله وندب لولاية الثغر المذكور ولده الامير تاج الملوك بُوري وكان الملك شمس الملوك دقاق غائباً عن دمشق في ديار بكر فعاد منها ودخل الى دمشق في اول شوال من السنة وتقررت الحال على ما التمس ابن صليحة وتوجه تاج الملوك في اصحابه الى جبلة فقتلها وانفصل ابن صليحة عنها ووصل الى دمشق باصحابه واسبابه وكراعه ودوابه وكل ما تحويه يده من مال واثاث وحال فاكرم مشواه واحسن لقياه واقام ما اقام بدمشق وسير الى بغداد مع فرقة وافرة من الاجناد بجميع ما يملكه وحصل بها والتفق له من وثى بماله وعظم سعة حاله الى السلطان ببغداد فنهب واشتمل على ما كان يملك . واما تاج الملوك فانه لما ملك ثغر جبلة وتمكن هو واصحابه فيها اساءوا الى اهلهم وقبحوا السيرة فيهم وجروا على غير العادة الرضية من العدل والانصاف فشكروا حالهم فيما نزل بهم الى القاضي فخر الملك ابي علي عمّار بن محمد بن عمّار المتغلب على ثغر طرابلس لقربها منهم فوعدهم المعونة على مرادهم واسعادهم بالانفاذ لهم وانهم اليهم عدة وافرة من عسكره فدخلت الثغر واجتمعت مع اهلها على الاتراك فقهرهم واخرجوهم منه وملكوه وقبضوا تاج الملوك وحملوه الى طرابلس فاكرمه فخر الملك

(١) وفي الاصل: للقاء اخيه السلطان بركيارق بسكر اخيه محمد

(٢) وهو موثيد الملك ابو بكر عبد الله بن نظام الملك

واحسن اليه وسيره الى دمشق وكتب الى والده اتاك بك يعرفه صورة الحال ويعتذر اليه مما جرى . وفيها قبض الملك شمس الملوك دقاق على امين الدولة ابي محمد بن الصوفي رئيس دمشق وصالحه على جملة من المال يحملها الى خزائنه واطلقه من الاعتقال واقره على رئاسته

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف مع الامير سعد الدولة المعروف بالقواسمي ووصل الى (76^{هـ}) عسقلان لجهاد الافرنج في اول شهر رمضان واقام بحيث هو الى ذي الحجة منها ورحل عن عسقلان ونهض اليه من الافرنج الف فارس وعشرة الاف راجل والتقى الفريقان فكسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم وتبعوهم وبقي سعد الدولة المقدم في تفر يسير من عسكره في القلب فحمل الافرنج عليه وطلب الثبات فعاجله القضاء وكبأ به بجواده وسقط عنه الى الارض فاستشهد مكانه رحمه الله ومضى شهيداً مأجوراً . وعاد المسلمون على الافرنج وتذاثروا عليهم وبذلوا النفوس في الكرة اليهم فهزموهم الى يافا وقتلوا منهم واسروا وغنموا وكانت العقبى الحسنة لهم ولم يفقد الا تفر يسير منهم . وفيها انكفأ الامير كربوقا صاحب الموصل والجزيرة عن السلطان بركيارق لمشاهدة احوال ولايته واستعادة المخالفين الى طاعته فلما وصل الى مراغة عرض له مرض الموت واشتد به وتوفي هناك وسار الى ديه . وفي هذه السنة وصل السلطان بركيارق بن ملك شاه الى بغداد منهزماً من اخيه السلطان محمد في اخرها

سنة خمس وتسعين واربعائة

وفي هذه السنة وردت الاخبار بما اهل خراسان والعراق والشام عليه من الخلاف المستمر والشحناء والحروب والفساد وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في احوالهم بالخلف والمحاربة . وفيها وصل قص الرها مقدم الافرنج في عكره المخدول الى ثغريروت فقتل عليه طامعاً في افتتاحه وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ولم يتهياً فيه مراد فرحل عنه . ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يلتبس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الافرنج على طرابلس ويستصرخ بالعسكر الدمشقي ويستغيث بهم فأجيب الى ما التمس ونهض العسكر نحوه وقد استدعى الامير جناح الدولة صاحب حمص فوصل ايضاً في عسكره

فاجتمعوا في عددٍ دثرٍ وقصدوا ناحية انطراطوس ونهد الافرنج اليهم في جمعهم وحشدتهم وتقارب الجيشان والتقىا هناك فانقل عسكر المسلمين من عسكر المشركين وقتل منهم الخلق الكثير وقفل من سلم الى دمشق وحمص بعد فُقد من (٧٦٧) فُقد منهم ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة

وفيها وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة المستعلي بالله امير المؤمنين ابن المستنصر بالله صاحب مصر في صفر منها وعمره سبع وعشرون سنة ومولده سنة ٦٨٤ وكانت مدّة ايامه سبع سنين وشهرين وقش خاتمه « الامام المستعلي بالله امير المؤمنين » وكان حسن الطريقة جميل السيرة في كافة الاجناد والعسكرة وسائر الرعية لازماً قصره كهادة ابيه المستنصر بالله منكفئاً بالافضل سيف الاسلام ابن امير الجيوش فيما يريد به باصالة رايه وصواب تقديره وامضاه وقام في الامر بعده ولده ابو علي المنصور بن المستعلي بالله ابي القاسم احمد واخذ له البيعة على الاجناد والامراء وكافة الرعايا والخدم والاولياء الافضل السيد ابو القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش واجلسه في منصب ابيه عقيب وفاته ولقب بالامر باحكام الله واستقام له الامر بحسن تدبير الافضل وانتظمت به الاحوال على غاية المباغي والآمال

وفي هذه السنة خرجت العساكر المصرية من مصر (١) لانجاد ولاية الساحل في الثغور الباقية في ايديهم منها على منازلهم من احزاب الافرنج ووصلت الى عسقلان في رجب ولا عرف بغدوين قص بيت المقدس ووصلهم نهض نحوهم في جمعه من الافرنج في تقدير سبعائة فارس وراجل اختارهم فهجم بهم على العسكر المصري فنصره الله على حربه المفلول وقتلوا اكثر خيله ورجاله وانهزم الى الرملة في ثلاثة نفر وتبعوه واحاطوا به فتكسر وخرج على غفلة منهم وقصد يافا وافلت منهم فكان قد اختفى في اجمة قصب حين تبع واحترقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها وحصل يافا فارقع السيف في اصحابه وقتل وأسر من ظفر به في الرملة من رجاله وابطاله وحملوا الى مصر في اخر رجب من السنة . وفي هذا الوقت وصلت مراكب الافرنج في البحر تقدير اربعين مركباً ووردت الاخبار بان البحر هاج بها واختلفت ارياحه عليها فعطب اكثرها ولم يسلم منها الا القليل وكانت مشحنة بالرجال والمال

(١) قال سبط ابن الجوزي : مع نصير الدولة بين

سنة ست وتسعين وأربعمائة (٧٧٢)

فيها برز الملك شمس الملوك دقاق وظهير الدين اتابك من دمشق في العسكر وقصد
الرجبة وتزل عليها وضايق من بها وقطع اسباب الميرة عنها واضر بالمضايقة الى ان اضطر
المقيم بها الى طلب الامان له ولاهل البلد فأومنوا وسلمت اليه بعد القتال الشديد
والحرب المتصلة في جمادى الآخرة منها ورتب امرها وندب من رآه من الثقات لحفظها
وقرر احوال من بها ورحل عنها في يوم الجمعة الثاني والعشرين منها منكفئاً الى دمشق
وفيها ورد الخبر من حمص بان صاحبها الامير جناح الدولة حسين اتابك تزل من القلعة
الى الجامع لصلاة الجمعة وحواله خواص اصحابه بالسلاح التام فلما حصل بموضع
مصلاه على رسمه وثب عليه ثلاثة نفر عجم من الباطنية ومعهم شيخ يدعون له
ويسمعونه في زي الزهاد فوعدهم بضربوه بسكاكينهم وقتلوه وقتلوا معه جماعة من
اصحابه وكان في الجامع عشرة نفر من متصوفة العجم وغيرهم فاتهموا وقتلوا صبراً
مظلومين في الوقت عن اخرهم . واتزعج اهل حمص لهذا الحديث واجفلوا في الحال
وهربت اكثر سكاتها من الاتراك الى دمشق واضطربت الاحوال بها وراسلوا الملك
شمس الملوك بدمشق يلتبسون انفاذ من يتسلم حمص ويعتمد عليه في حمايتها والذب
عنها قبل انتهاء الخبر الى الافرنج وامتداد اطاعهم فيها فسار الملك شمس الملوك وظهير
الدين اتابك في العسكر من دمشق ووصل الى حمص وتسلمها وحصل في قلعتها ووافق ذلك
وصول الافرنج اليها وتزولهم على الرستن لمضايقتها ومنازلتها فحين عرفوا ذلك احجموا
عن القرب اليها والدنو منها ورحلوا عنها

وقد كان المعروف بالحكيم المنجم الباطني صاحب الملك فخر الملوك رضوان صاحب
حلب اول من اظهر مذهب الباطنية في حلب والشام وهو الذي ندب الثلاثة نفر لقتل
جناح الدولة بحمص وورد الخبر بهلاكه بعد الحادثة بأربعة عشر يوماً . ولما رتب شمس
الملوك امر حمص وقرر احوالها وانكفأ عائداً الى دمشق في اول شهر رمضان خرجت
العساكر المصرية من مصر الى البر والاصطول في البحر مع شرف ولد الافضل شاهنشاه
وصكتب في استدعاء المعونة على (٧٧٢) الجهاد وبُصرة العباد والبلاد بانفاذ العسكر
الدمشقي فأجيب الى ذلك وعاقبت عن مسيره اسباب حدثت وصوافت صدف وتوصل
اصطول البحر وتزل على يافا اخر شوال واقام اياماً وتفرق الاصطول والعساكر الى

الساحل وكانت الاسعار بها قد ارتفعت والاقوات قد قلت فصلحت بما وصل مع
الاصطول من الغلة ورخص الاسعار ألا ان غارات الافرنج متصلة عليها
وفي ذي القعدة من السنة تواترت الاخبار بخروج قايح ارسلان بن سليمان بن
قتلمش من بلاد الروم طالباً انطاكية ووصوله الى قريب من مرعش وجرى بينه وبين
الامير الدانشمند صاحب ملطية خلف ومنازعة اوجبت عوده عليه وايقاعه به وفل
عسكره والفتك برجاله ولما انكفاً بعد ذلك قيل انه وصل الى الشام وارسل رسوله
الى حلب يلتمس الاذن للسفار بالوصول الى عسكره باليمر والازواد وما يحتاج اليه سائر
العسكرية والاجناد فسر الناس بذلك وتباشروا به

سنة سبع وتسعين واربعمائة

في رجب منها وردت الاخبار بوصول الافرنج في البحر من بلادهم الى ظاهر
اللاذقية مشحونة بالتجار والاجناد والحجاج وغير ذلك وان صنعيل المنازل لطرابلس
استنجد بهم على طرابلس في مضايقتها والمعونة على ملكتها وانهم وصلوا اليه فاجتمعوا
معه على منازلها ومضايقتها فقاتلوها اياماً ورحلوا عنها وتزلوا على ثغر جيل فقاتلوه
وضايقوه وملكوه بالامان فلما حصل في ملكتهم غدروا باهله ولم يفوا بما بذلوه من
الامان وصادروهم واستنفدوا احوالهم واموالهم بالعقوبات وانواع العذاب. وورد الخبر
باجتماع الاميرين سُكمان بن ارتق وجكرمش صاحب الموصل في عسكرهما وتعاهدا
وتعاقدا على المجاهدة في اعداء الله الافرنج وبذل الطاقة والاستطاعة في حربهم وتزلا
في اوائل شعبان من السنة برأس العين. ونهض يميند وطنكري في عسكريهما من
ناحية انطاكية الى الرها لانجاد صاحبها على الاميرين المذكورين فلما قربا من عسكر المسلمين
النازلين على الرها تأهب كل من الفريقين للقاء صاحبه فالتقوا في تاسع شعبان فنصر
الله المسلمين عليهم وهزموهم وقتلوا منهم (٧٨١) مقتلة كثيرة وكانت عدتهم تزيد على
عشرة الاف فارس وراجل سوي السواد والاتباع وانهم يميند وطنكري في نفر يسير
وكان نصراً حسناً للمسلمين لم يتهياً مثله وبه ضعفت نفوس الافرنج وقلت عدتهم وقلت
شوكتهم وشككتهم وقويت نفوس المسلمين وارهنت وارهفت عزائمهم في نصرة الدين
ومجاهدة الملحدين وتباشروا الناس بالنصر عليهم وايقنوا بالنكاية فيهم والادالة منهم
وفي هذا الشهر ورد الخبر بنزول بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس في عسكره

على ثغر عكا ومعه الجنويون والمراكب في البحر والبرّ وهم الذين كانوا ملكوا ثغر
جُبيل في نيف وتسعين مركباً فيحصروه من جهاته وضايقوه من جوانبه ولازموه بالقتال
الى ان عجز واليه ورجاله عن حربهم وضعف اهله عن المقاتلة لهم وملكوه بالسيف قهراً .
وكان الوالي به الامير زهر الدولة بنا الجيوشي قد خرج منه لعجزه عن حمايته وضعفه عن
المرامة دونه وانفذ يلتمس منهم الامان له ولاهل الثغر ليأسه من وصول نجدة او
معونة فلما ملك الثغر تم على حاله منهزماً الى دمشق فدخلها واكرمه ظهير الدين اتابك
واحسن تلقيه وكان وصوله الى دمشق في يوم الخميس لثلاث بقين من شعبان وتقدم
شمس الملوك دقاق وظهر الدين اتابك في حقّه بما طيب نفسه واكد أنسه واقام بدمشق
الى ان تسهلت له السبيل في العود الى مصر فتوجّه اليها عائداً ووصل اليها سالماً ووضح
عذره فيما تم عليه من الغلبة فقبل عذره بعد الانكار عليه والغيط من فعله
وفي هذه السنة عرض للملك شمس الملوك دقاق بن السلطان تاج الدولة صاحب
دمشق مرض تطاول به ووقع معه تخليط الغذاء اوجب انتقاله الى علّة الدق فلم يزل به
وهو كل يوم في ضعف وثقل فلما اشفى ووقع اليأس من بُرءه وانقطع الرجاء من عافيته
تقدّمت اليه والدته الخاتون صفوة الملك بان يوصي بما في نفسه ولم يترك امر الدولة
وولده سُدى فعند ذلك نصّ على الامير ظهير الدين اتابك في الولاية بدمشق من بعده
والحضنة لولده الصغير تتش بن دقاق بن تاج الدولة الى حين يكبر واحسان تربيته
والقى اليه ما كان في نفسه وتوفي الى رحمة الله في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان
من السنة

وقد (٧٨٧) كان ظهير الدين اتابك قبل هذه الحال في عقايل مرض اشفى
منه وتداركه من الله تعالى العافية وابلّ من مرضه وشرع في احسان السيرة في العسكرية
والرعيّة واحسن الى الامراء والمقدمين من الدولة واطلق يده من الخزانة في الخلع
والتشريفات والصلوات والهبات وامر بالمعروف ونهى عن المنكر واقام الهيبة على المفسدين
المسيئين وبالغ في الاحسان الى المطيعين والحسنين وتألف القلوب بالعطاء واستمال الجانح
بالتردد والحباء واستقامت له الامور واجمع على طاعته الجمهور . وقد كان الملك شمس
الملوك قد حمل على الرئيس ابي محمد بن الصوفي رئيس دمشق الى ان قبض عليه في سنة
١٩٦ وبقي معتقلاً الى ان قرّرت عليه مصالحة نهض فيها وقام بها وبعد ذلك عرض له
مرض قضى فيه محتوم نجبه وصار منه الى ربه وقام بعده في منصبه ولده ابو المجالي

سيفٌ واخوه ابو الذواد المفرج وكتب لهما المنشور في الاشتراك في الرئاسة واحضرهما
 ظهير الدين اتابك عقيب وفاة شمس الملوك وطيب نفسيهما ووكد الوصية عليهما في
 استعمال النهضة في سياسة الرعايا وإنهاء احوالهما فيما يستمر عليهما من صلاح وفساد
 ليقابل المحسن اليها بالاحسان والجاني عليها بالتأديب والهوان فامثلا اوامره وعملا
 باحكامه . فكان الملك شمس الملوك رحمه الله قبل وفاته قد سير اخاه الملك ارتاش ابن
 السلطان تاج الدولة الى حصن بعلبك ليكون به معتقلا عند واليه فخر الدولة خادم
 ابيه كمشتكين التاجي فرأى ظهير الدين اتابك في حكم ما يلزمه لاولاد تاج الدولة ان
 ارسل الخادم المذكور في اطلاقه واحضاره الى دمشق فوصل اليها وتلقاه واکرمه وبجّله
 وخدمه واقامه في منصب اخيه شمس الملوك وتقدم الى الامراء والمقدمين والاجناد
 بالطاعة لأمره والمتابعة في خدمته واجلسه في دست الملكة في يوم السبت خمس
 بقين من ذي الحجة سنة ٤٩٧ فاستقامت بذلك الامور وسكنت اليه نفوس الجمهور .
 واتفق للامر المقضي الذي لا يُدافع والمحتوم الذي لا يُمانع من سعي في افساد هذا
 التدبير وتقض هذا التقرير فاوحش الملك محي الدين ارتاش من ظهير الدين اتابك (79)
 ومن الخاتون صفوة الملك والدة شمس الملوك ووقعت امه في نفسه الخوف منهما واوهمته
 انهما ربما عملا عليه فقتلاه والامر بالصدّ ممّا نقله الواشي اليه والقاء فخاف منهما وحسن
 له الخروج من دمشق ومملكتهما والعود الى بعلبك لتجتمع اليه الرجال والعسكرية فخرج
 منها سرا في صفر سنة ٤٩٨ وخرج ايتكين الحلبي صاحب بصرى اليها هاربا لتقرير
 كان بينهما في هذا الفساد فعائا في ناحية حوران وراسلا بغدوين ملك الافرنج
 بالاستنجاد به وتوجّها نحوه واقاما عنده مدة بين الافرنج يُحرّضانه على السير الى
 دمشق ويبعثانه على الافساد في اعمالها فلم يحصل منه على حاصل ولا ظفرا بطائل
 فحين يشا . من المعونة وخاب امليهما في الاجابة وتوجّها الى ناحية الرجة في
 البرية (١) . واستقام الامر بعدهما لظهير الدين اتابك وتفرد بالامر واستبد بالرأي
 وحسنت احوال دمشق واعمالها باياله وعمرت بحسبيل سياسته . وقضى الله تعالى بوفاة
 تُشّش ولد الملك شمس الملوك دقاق المقدم ذكره في هذه الايام . واتفق ان الاسعار
 رخصت والغلات ظهرت وانبسطت الرعية في عمارة الاملاك في باطن دمشق وظاهرها
 لاحسان سيرته واجمال معاملته وبث العدل فيهم وكف اسباب الظلم عنهم

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية طرابلس بظهور فخر الملك ابن عمار صاحبها في عسكره واهل البلد وقصدهم الحصن الذي بناه صنعجيل عليهم (١) وانهم هجموا عليه على غرة من فيه قتل من به ونهب ما فيه واحرق وأخرب وأخذ منه السلاح والمال والديباج والفضة الشيء الكثير وعاد الى طرابلس سالماً غانماً في التاسع عشر من ذي الحجة. وقيل ان يميند صاحب انطاكية ركب في البحر ومضى الى الافرنج يستصرخها ويستنجد بهم على المسلمين في الشام واقام مدة وعاد عنهم منكفئاً الى انطاكية

سنة ثمان وتسعين واربعمائة

فيها عرض لظهير الدين اتابك مرض اشتد به ولازمه وخاف منه على نفسه واشفق على اهله وولده واصحابه ورعيته ان تم عليه امر وتواصلت مكاتبات فخر الملك بن عمار (79٢) ورساله من طرابلس بالاستصراخ والاستنجد على الافرنج النازلين عليها والبعث على تعجيل اعاقته بمن يصل اليه من العساكر لكشف غمته وتفريج كربته وقد كان الامير سكيان بن ارتق والامير جكرمش صاحب الموصل قد اتفقا على الجهاد في الشركين ونصرة المسلمين فنتج لظهير الدين فكرة وراية فيما نزل به من المرض الخوف ان يرسل الامير سكيان بن ارتق يستدعي وصوله الى دمشق في عسكره ليوصي اليه ويعتمد في حماية دمشق عليه. ونفذت اليه ايضاً مكاتبة ابن عمار بتحريضه على المسارعة الى ذلك والقصد لنصرته وبذل له ما لا يجزيلاً على معونته ونصرته فحين واقف على مضمون المكاتبات اجاب الى المقترح عليه وسارع اليه وثنى عنانه الى دمشق مُغذاً في سيره مواصلاً لجدته نجده وتشيره وقطع الفرات الى ما حُضَّ عليه والمغارات. فلما وصل الى القريتين واتصل خبره الى اتابك لامة اصحابه وخوآصه على ما فرط في تدييره وعثقوا رأيه فيما استدعاه وخوفوه عاقبة ما اتاه وقالوا له: اذا وصلت الامير سكيان بن ارتق دمشق واخرجتها من يدك كيف يكون حالك واحوالنا او ليس قد عرفت نوبة اتسر لما استدعى السلطان تاج الدولة بن البارسلان وسلم اليه دمشق كيف بادر باهلاكه ولم يمهله ولا اهله. فعند ذلك افاق لغلظته وتنبه لغفلته وقدم ندامة الكسبي (٢) وزاده هذا الامر مرض الفؤاد مع مرض الجسم. وبينما هو واصحابه من التفكير فيما يعتمد من

(١) وفيه ايضاً انه على ميل منها

2) Freytag, Arab. Prov., II, 776 et Tabari I, 3184. i).

امره وتدير به حاله عند وصوله والخبر ورد من القرّيتين بان الامير سكهان ساعة وصوله في عسكره الى القرّيتين ونزوله لحقه مرض شديد وقضى منه محتوم نجبه وصار الى رحمة ربه وحمله اصحابه في الحال ورحلوا عاندين به فسرّ اتابك بهذه الحال سروراً زائداً كان معه بدء سعادته وعود برئه الى جسمه وعافيته فسيحان مدبر الخلق بحكمته ومُسبب الاسباب بقدرته وقصدوا ناحية الجزيرة وذلك في اوّل صفر من السنة وفي هذه السنة وردت الاخبار بهلاك صنجيل مقدّم الافرنج النازلين على ثغر طرابلس في رابع جمادى الاولى بعد ان كان الامر استقرّ بينه وبين فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس من المهادنة على ان يكون ظاهر طرابلس لصنجيل بحيث لا (80) يقطع الميرة عنها ولا يمنع المسافرين منها . وفي اوّل السنة ورد الخبر بوصول السلطان محمد تبر ابن ملك شاه الى الموصل ونزوله عليها وخروج الامير جكرمش صاحبها اليه باذلاً له الطاعة وشروط الخدمة ورحل عنها . وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان بركيارق ابن السلطان ملك شاه رحمه الله بنهاوند بعد ان تقرّرت الحال بينه وبين اخيه بحيث تكون مملكة خراسان باسرها للسلطان ابي الحرث سنجر واصفهان واعمالها وبغداد وما والاها برسم السلطان بركيارق والسلطنة له وارمينية واذربيجان وديار بكر والموصل والجزيرة والشام وما يليها للسلطان محمد تبر . وتوجّهت عساكر السلطان بركيارق بعد وفاته الى بغداد ومقدّمها الامير اياز ومعه الامير صدقة بن مزيد بن ديبس (١) وتوجّه السلطان محمد الى بغداد ايضاً . فلما عرف الامير اياز خبره خاف منه على نفسه فهرب منه ومعه ولد السلطان بركيارق ودخل السلطان محمد بغداد ووصل اليه الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد الاسدي واستقرّ امره معه . وعرف اياز ان حاله لا تستقرّ الا بالعود الى طاعة السلطان محمد والدخول في جملة والكف في خدمته فراسله والتمس الامان منه والتوثقة باستحلافه على الوفاء بما عاهده عليه فاجابه الى ما رامه منه ووصل اليه في العسكر مع ولد السلطان بركيارق وكان طفلاً صغيراً فانضاف في جملة مع عسكره . فلما كان بعد ايام غدر باياز ونكث عهده واخلف وعده وقبض عليه وهو آمن مطمئن بما توثق به من ايمانه وقتله وجعل سبب هذا الفعل اموراً اسرها في نفسه واوردها واحتج بامور اضمرها وعددها ليُعذر في فعله وما هو بمعذور في فعله ولا

بمشكور

(١) وهو صدقة بن منصور بن ديبس بن مزيد الاسدي

وفي أول شعبان توجه ظهير الدين اتابك الى بعلبك في العسكر ونزل عليها متكرراً على كشتكين الخادم التاجي واليه لاسباب انتهت اليه عنه فانكرها منه . فلما نزل عليه وضايقة وعرف ما في نفسه انفذ اليه ببذل الطاعة والخدمة والانكار لما اقترى به عليه والتنصل مما نُسب اليه والحلف على البراءة مما اختلق من الحال عليه فصيح له عن ذلك ورضي عنه وقرّر (80^٦) امره واوز بكف الاذية عن ناحيته . ورحل عنها متوجهاً الى ناحية حمص وقصد رفية ونزل عليها ووفد عليه خلق كثير من جبل بهرا فهجموا رفية على حين غفلة من اهلها وعرة من مستحفظها وقتلوا من بها وباعمالها والحصن المحدث عليها من الافرنج واحرق ما امكن احراقه في الحصن وغيره وهدم الحصن ومُلكت ابراج رفية وقتل من كان فيها وعاد العسكر الى حمص

وفي رجب خرج الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب وجمع خلقاً كثيراً وعزم على قصد طرابلس لمعونة فخر الملك ابن عمّار على الافرنج النازين عليه وكان الارمن الذين في حصن ارتاح قد سلّموا اليه الحصن لما شملهم من جور الافرنج وترايد ظلمهم فلما عرف طنكري ذلك خرج من انطاكية لقصد ارتاح واستعادتها وجمع من في اعماله من الافرنج ونزل عليها وتوجه نحو فخر الملك في عسكره لابطاده عنها وقد جمع وحشد من امكنه من عمل حلب والاحداث الحلبيين لقصد الجهاد . فلما تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين فثبت راجل المسلمين وانهمزمت الخيل ووقع القتل في الرجالة ولم يسلم منهم الا من كتب الله سلامته ووصل القل الى حلب وأحصي المفقود من الخيل والرجل فكان تقدير ثلثة الف نفس . وحين عرف ذلك من كان في ارتاح من المسلمين هربوا باسرهم منها وقصد الافرنج بلد حلب فاجفل اهله منه ونهب من نهب وسبي من سبي وذلك في الثالث من شعبان واضطربت احوال من بالشام بعد الامن والسكون

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشرة الاف فارس وراجل مع الامير شرف (١) المعالي ولد الافضل وكاتب ظهير الدين اتابك بالاستدعاء للمعونة والاعتضاد الى جهاد الكفرة الاضداد فلم يتمكن من الاجابة الى المراد لاسباب عاقته عن المعونة والاسعاد وتوجه في العسكر الى بصرى قتل عليها عازماً على مضايقتها وفيها الملك ارتاش بن تاج الدولة وايتهكين الحلبي لانها كانتا ضد

(١) وفي الاصل: « شمس » وكذا في مرآة الزمان للبط ابن الجوزي

الافرنج على ما شرح من امرهما أولاً. ثم استدرك الرأي واستصوب السير الى العسكر المصري للاعتضاد على الجهاد فصار اليه ووصل (81^٢) الى ظاهر عسقلان وتزل قريباً منه وعرف الافرنج الخبر فتنجسوا وقصدوا عسقلان والتقى الفريقان في رابع عشر ذي الحجة من السنة فيما بين يافا وعسقلان فاستظهر الافرنج على المسلمين وقتلوا والي عسقلان واسروا بعض المتقدمين وانهزم عسكر مصر الى عسقلان وعسكر دمشق الى بصرى وقيل ان الذين قتلوا من المسلمين بازاء الذين قتلوا من المشركين (كانوا متقاربين) ولما عاد ظهير الدين والعسكر الى بصرى وجد الملك ارتاش وايتكين الحلبي لما ينسا من نصرة الافرنج لها قد قصدا ناحية الرحبة واقاما بها مدة وتفرقا وواصل المقيان ببصرى نوشتكين وفلوا (كذا) من ظهير الدين يطلبان منه الامان والمهة لهما بالتسليم مدة اقتراحها فاجاب الى ما التمساه منه ورحل عنهما ولما بلغ الاجل منتهاه والوعد مداه سلما بصرى اليه وخرجا منها ووفى لهما بما وعدهما من الامان والاقطاع وزاد على ذلك واقاما عليه مدة ايامه

سنة تسع وتسعين واربعائة

فيها خرج الافرنج الى سواد طبرية وشرعوا في عمارة حصن علعال (١) فيما بين السواد والبثينة وكان من الحصون الموصوفة بالمنعة والحصانة فلما عرف ظهير الدين اتاك هذا العزم منهم اشفق من اتمام الامر فيه فيصعب تدارك الامر وتلافيه فنهض في العسكر وقصدهم وهو على غفلة بما دهمهم فاوقع بهم وقتلهم باسرههم وملك الحصن بما فيه من آلاتهم وكراعهم واثاثهم وعاد الى دمشق برؤوسهم واسرائهم وغنائمهم وهي على غاية الكثرة في يوم الاحد النصف من شهر ربيع الآخر. وفي هذا الشهر ظهر في السماء من الغرب كوكب له ذؤابة كقوس قزح اخذه من المغرب الى وسط السماء وقد كان رؤي قريباً من الشمس نهراً قبل ظهوره في الليل واقام عدة ليلان وغاب وفي السادس والعشرين من جمادى الاولى ورد الخبر بقتل خلف بن ملاعب صاحب افامية قتله قوم من الباطنية نفذهم اليه المعروف بابي طاهر الصائغ العجمي من حلب وهو الذي قام للباطنية مقام الحكيم المنجم الباطني بعد هلاكه بموافقة رجل (81^٢) من دعاتهم يعرف بابي الفتح السرميني كان مقيماً بافامية وقد قرر ذلك مع اهلها

فَنَقَبُوا ثَقْبًا فِي السُّورِ حَتَّى تَمَكَّنُوا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَرَّبُوا مَتْنَهُ وَاحَسَّ بِهِمْ لَقِيَهُمْ
فُؤَادٌ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَطَعَنَهُ فِي جَوْفِهِ فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي الْقَلْعَةِ يُرِيدُ بَعْضُ دُورِ أَهْلِهِ دِهِ (كَذَا)
فَطَعَنَهُ آخَرُ طَعْنَةً ثَانِيَةً فَعَاشَ سَاعَةً وَمَاتَ وَصَاحَ الصَّانِحُ عَلَى الْقَلْعَةِ وَنَادَوْا بِشَعَارِ الْمَلِكِ
رِضْوَانَ (١) فَجَاءَ أَوْلَادُهُ وَصَاحِبُهُ مِنَ السُّورِ وَمَلَكَوْا عَلَيْهِمُ الْمَوْضِعَ وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا
وَسَلِمَ وَلَدُهُ مَصْبِغُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ مَلَاعِبٍ وَتَوَجَّهَ إِلَى شِيرَزٍ وَأَقَامَ هُنَاكَ مَدَّةً فَاطَاقَ مِنْهَا.
وَوَصَلَ طَنْكَرِي إِلَى أَفَامِيَةِ عَقِيبَ هَذِهِ الْكَائِنَةِ طَامِعًا فِيهَا وَمَعَهُ اخٌ كَانَ لِأَبِي الْفَتْحِ
الدَّاعِي السَّرْمِينِيِّ كَانُوا مَأْسُورًا فِي يَدِهِ فَقَرَّرَ لَهُ شَيْئًا دَفَعَهُ إِلَيْهِ فَرَحَلَ عَنْهُ
وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَصَلَ قَلِجُ أَرْسَلَانَ بْنِ سَلْيَانَ بْنِ قَتْلَمِشٍ فِي عَسْكَرٍ كَثِيرٍ وَقَصَدَ الرُّهَا
وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهَا فَانْقَضَ أَصْحَابُ جَكَرْمَشِ الْقِيَمُونَ بِحَرْآنَ يَسْتَدْعُونَهُ لِقَايَتِهَا إِلَيْهِ فَوَضَلَ
إِلَيْهِمْ وَتَسَلَّمَهَا مِنْهُمْ وَاسْتَبَشَرَ النَّاسَ بِوُصُولِهِ إِلَى الْجِهَادِ وَأَقَامَ أَيَّامًا وَبَرَّضَ مَرْضًى أَوْجِبَ
لَهُ الْعُودَ إِلَى مِلَطِيَّةٍ وَأَقَامَ أَصْحَابَهُ بِحَرْآنَ. وَوَرَدَ الْخَبَرُ أَنَّ مَصْبِغَ بْنَ مَلَاعِبٍ الَّذِي أَفَلَتْ مِنْ
نُوبَةِ أَفَامِيَةِ التَّجَا إِلَى طَنْكَرِي ضَاحِبٌ أَنْطَاكِيَّةَ وَحَرَّضَهُ عَلَى الْعُودِ إِلَى أَفَامِيَةِ وَأَطْمَعَهُ فِي
أَخْذِهَا لِقَلَّةِ الْقُوَّةِ بِهَا فَنَهَضَ إِلَيْهَا وَنَزَلَ عَلَيْهَا وَضَاقَتْهَا إِلَى أَنْ تَسَلَّمَهَا بِالْأَمَانِ فِي الثَّلَاثِ
عَشَرَ مِنَ الْحَرَمِ سَنَةِ ٥٠٠ فَلَمَّا حَصَلَ أَبُو الْفَتْحِ السَّرْمِينِيُّ الْبَاطِنِيُّ فِي يَدِهِ قِتْلُهُ بِالْعَقُوبَةِ
وَحَمَلَ أَبَا طَاهِرَ الصَّانِعَ مَعَهُ وَأَصْحَابَهُ أَسْرَى وَلَمْ يَفِرْ لَهُمْ بِمَا بَذَلَ مِنَ الْأَمَانِ وَكَانَ الْقُوَّةُ
قَدْ نَقَضَ مِنْ أَفَامِيَةِ وَلَمْ تَزَلْ الْأَسْرَى فِي يَدِهِ إِلَى أَنْ فَدَوْا نَفْسَهُمْ بِمَالٍ بَذَلُوهُ لَهُمْ فَاطْلَقَهُمْ
وَوَصَلُوا إِلَى حَلَبَ

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ نَهَضَ ظَهْرُ الدِّينِ أَتَابِكُ فِي الْعَسْكَرِ إِلَى بُصْرَى لِمُشَاهَدَتِهَا عِنْدَ
تَسْلِيمِهَا مِنْ أَيْدِي الْقِيَمِينَ بِهَا عِنْدَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ الْمَضْرُوبِ لَهَا وَكَانَ قَدْ خَلَعَ عَلَى كَافَّةِ
الْأُمَرَاءِ وَالْمُقَدِّمِينَ وَأَمَاتِلِ الْعَسْكَرِ الْخِلْعَ الْمَكْتَلَةَ مِنَ الثِّيَابِ وَالْخِيُولِ وَالْمَرَاكِبِ بِحَيْثُ
تَضَاعَفَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ (٨٢٢) وَالْاعْتِرَافُ بِإِيَادِيهِ وَشَاعَ الْخَبَرُ بِذَلِكَ وَتَضَاعَفَتِ رَغْبَةُ
الْإِجْنَادِ فِي خِدْمَتِهِ وَالْمِيلُ إِلَى طَاعَتِهِ وَالْحَصُولِ فِي جَمَلَتِهِ فَلَمَّا حَصَلَ عَلَى بُصْرَى (٢)
(أَقْطَعَ نَوْشَكَيْنِ وَقَلَا) أَقْطَاعًا يَكْفِيهِمَا وَرَجَالُهَا أَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ وَوَفَّى لَهَا بِمَا قَرَّرَهُ
مَعَهَا حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ بِهِ الشَّرْحُ

(١) وَقَالَ سِبْطُ بْنُ الْجَوْزِيِّ: وَكَانَ رِضْوَانُ قَدْ بَنَى لَهُمْ دَارَ دَعْوَةٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عَمَلَهَا وَبَقِيَ
الْحَصْنُ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى أَخَذَهُ الْإِفْرَنْجُ مِنْهُمْ سَنَةَ ٥٠٠
(٢) وَفِي الْأَصْلِ: فَلَمَّا حَصَلَ عَلَى بُصْرَى أَقْطَاعًا يَكْفِيهِمَا الْخ

سنة خمسمائة

فيها ترايد فساد الافرنج في اعمال السواد وحوران وجبل عوف وانتهت الاخبار بذلك وشكروا اهلها الى ظهير الدين اتابك فجمع العسكر ومن انضاف اليه من التركمان ونهض بهم ونهض في السواد . وكان الامير عز الملك الوالي بصور قد نهض منها في عسكره الى حصن تبين من عمل الافرنج فجهم ربضة وقتل من كان فيه ونهب وغنم واتصل الخبر ببغديون ملك الافرنج فنهض اليه من طبرية ونهض اتابك الى حصن بالقرب من طبرية فيه جماعة من فرسان الافرنجية فقاتله وملكه وقتل من كان فيه وانكفأ الى المدان وعاد الافرنج اليه . فلما قربوا منه اندفع العسكر الى ناحية ذرا وتلاقت طلائع الفريقين وعزموا على المعصاة والالتقاء وقد قويت نفوس المسلمين فلما كان من غد ذلك اليوم ركب العسكر وقد تأهب للقاء على تلك النية وزحفوا الى موضع يُخفيهم فصادفهم وقد رحلوا عائددين الى طبرية ثم منها الى عكا فعاد ظهير الدين عند ذلك في العسكر الى دمشق

وكانت الاخبار متناصرة في هذه السنة باهتمام السلطان غياث الدنيا والدين محمد ابن ملك شاه بمحاصرة قلعة الباطنية المعروفة بشاهذر المجاورة لاصفهان والجد في افتتاحها وحسم اسباب الفساد المتوجه على البلاد من القيسيين بها وتوجه عنها في عساكره الدثرة المتناهية في القوة والكثرة ولم يزل منازلها ومضائقها الى ان منحه الله تعالى افتتاحها والاطهار على من فيها وملكها بالسيف قهراً وقتل من كان فيها من الباطنية قسراً وهدمها وازاح العالم من الشر المتصل منها والبلاء المبثوث من اهلها (١) . وأنشأ

(١) وفي زبدة التواريخ انه قتل عبد الملك المعروف بفطاس (كذا) الباطني صبراً وكان شديد البأس لا يسمع بامر له صولة ولا هالماً له منزلة الا يث اليه من يفتك به . وكان السلطان غياث الدين محمد طبر شديد البغض للباطنية مفرطاً في مدواتهم وفتح ايضاً قلعة حان وهي بقرب اصفهان وولى الاسر الاسفيسلار شيركبير محاصرة آلوت فاشرف على اخذها وان في سنة ٥٥١ سار ضياء الملك احمد بن الوزير نظام الملك وزير السلطان ومعه الامير جاوي الى آلوت فهزموا الباطنية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وان الامير شيركبير اشرف على فتح آلوت لولما اتفق من وفاة السلطان وولاية والده محمود فاستدعى الامير شيركبير فرحل عن آلوت ثم قبض عليه وقتله ولده عمر بن شيركبير وكان رحمه الله تعالى من ازهد الامراء واكثرهم ورعاً وقال سبط ابن الجوزي : ان قلعة شاه ذر هذه بناها السلطان ملك شاه وسبب بنائها ان بعض رسل الروم ورد عليه في رسالة واظهر الاسلام فخرج معه ذات يوم للصيد فهرب منه كلب صبور فصعد

كتاب الفتح يوصف الحال فيها الى سائر اعمال الملكة ليقرأ على (82^٧) المنابر ويستنزل في معرفة كل باد وحاضر امير الكتاب ابو نصر بن عمر الاصفهاني كاتب السلطان وبلاغته في الكتابة معروفة مذكورة وقضاء حقه في إنشائه موصوفة مشهورة وذكرت مضمونه في هذا الموضع ليعلم من يقف عليه شرح حال هذه القلعة وما من الله به على اهل تلك البلاد من الراحة من شر اهلها واذية القيمين بها ونسختها بعد العنوان والطرء : بسم الله الرحمن الرحيم وهو الوزير الاجل مجد الدين شرف الاسلام ظهير الدولة زعيم الملة بها الامة فخر الوزراء ابو المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب رضى امير المؤمنين . اما بعد اطال الله بقاء الوزير والقابله وادام تأييده وتمييده واحسن من عوائده مزيده فان الله تعالى يقول وقوله الحق : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزقة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (١) . ولقد آتانا الله وله الحمد من هذا الفضل ما صرنا به أطول الملوك في الاسلام باعاً واعزهم في الذب عن حريمه اشياء واتباعاً واشدهم عند الحفيظة له بأساً واطهرهم من درن الشبهة فيه لباساً واقصدهم في اقتفار الحق المبين انحاء واثقلهم على اعداء الله واعداء الدين المنير وطاعة وانحاء فلا تتجزع عزائنا لهم في ذلك الا حقةتنا الفصيل وطبقنا المفصل وغرينا القري واقتصدحنا من الزناد الوري واعدنا الحق جدعاً

الجبل وصعد السلطان وراءه وبعه الرومي فقال له : يا سلطان لو كان هذا الجبل عندنا لبنينا عليه قلعة ننتفع بها ويبقى ذكرها . فثبت هذا في قلب السلطان فبناها وانفق عليها الف دينار ومائتي الف دينار . فاحتال عليها ابن عطاش حتى ملكها فكان اهل اصبهان يقولون : انظروا الى هذه القلعة كان الدليل على بنائها كلب والمشير بينائهما كافر وخائفة امرها هذا الملحد . وكان الرومي لما عاد الى بلده (يقول) : اني نظرت الى اصبهان وهو بلد عظيم والاسلام به ظاهر فلم اجد شيئاً أفت به جموعهم وانفذ به اموالهم غير بناء هذه القلعة . ولما مات ملك شاه تميل عليها ابن عطاش وملكها واقام بها اثنتي عشر سنة ثم فتحها عنوة وهدمها وقتل ابن عطاش وولده في ذي القعدة وسلخ ابن عطاش ومثل باصحابه والقت زوجته نفسها من اعلى القلعة ومها جواهر نفيسة فهلك وما معها : وكان ابو ابن عطاش في اول امره طيباً فاخذ السلطان طنرل بك واراد قتله لاجل مذهبه فاظهر التوبة ومضى الى الري وصاحب ابا علي النيسابوري وكان متقدمهم بالري وصاهره وجمع رسالة في الدعاء الى هذا المذهب سماها الحقيقة ومات ببعض بلاد الري وجاء ابنه احمد فلك قلعة شاهذر

وانف الباطل مجدعا نعمة من الله تعالى اختصنا بها من دون سائر الانام واجلنا من التفرد
بزاياها في الذروة والسنام فالحمد لله على ذلك حمدا يوازي قدر نعمه ويتري الزيد من
مواد كرمه ثم الحمد لله على ما يسرنا له من اعزاز الدين ورفع عماده وقمع اضداده
واستئصال شأفة الباطنية المناهضين لعنادة الذين استرکوا العقول الفاسدة فاستغروها
باباطيلهم واستهروها باضاليلهم واتخذوا دين (83^٢) الله هزوا ولعبا بما لفقوه من
زخارف اقاويلهم سيما ما سنى الله من فتح الفتوح وهيا اسبابه من النصر المنوح باخذ
قلعة شاهذر التي شبع بها الجبل وبذخ وكان الباطل باض فيها وفرخ وكانت قذى في
عيون الممالك وسيا الى التورط بالمسلمين في المهاوي والمهالك ومرصدا عليهم بالشرارة
والنكارة حيثما ينحونه من المسالك . وفيها ابن عطاش الذي طار عقله في مدرج الضلال
وطاش وكان يرى الناس نهج الهدى مضلة ويتخذ السفر المشحون بالاكاذيب مجلة
ويستبيح دماء المسلمين هدرًا ويستحل اموالهم غرًا فكم من دماء سفكت وحرم
انتهكت واموال استهلكت . ورات تجرعتها النفوس فما أستدركت ولولم يكن منهم
الا ما كان عند حدثان امرهم باصفهان من اقتناص الناس غيلة واستدراجهم خديعة
وقتلهم اياهم بانواع العقوبات قتلة شنيعة ثم فتكهم عودا على بدء باعيان الحشم وخيار
العلماء واراقتهم ما لا يعد ولا يحصى من محرمات الدماء الى غير ذلك من هنات
يتمتع الاسلام لها اي امتعاض وما الله عن المسلم ان يتميز لها براض لكان حقا علينا
ان نناضل عن حمى الدين ونركب الصعب والذل في مجاهدتها ولو الى الصين . وهذه
القلعة كانت من امهات القلاع التي انقطع اليها رؤوس الباطنية كل الانتطاع فكان
تبث الجبائل منها في سائر الجهات والاقطار وترجع اليها نتائج الفساد رجوع الطير الى
الاوكر وهي في العزة والمنعة مثل مناط الشمس التي (تنال) منها حاسة البصر دون
حاسة اللمس تردة الطرف قليلا وتعد العدد الدثر في محاصرتها قليلا . وكانها وهي
اعلى شاهق تزلت على الجبل من حائق فهي بهذه الصفة مقابلة لبلدة اصفهان التي هي
مقر الملك ودار الثواء واولى البلاد بتطهيرها من احتياج الفتن واختلاف الاهواء ونحن
تقيم بها طول هذه المدة المديدة وندير امرها الى ما يصونه الرأي من الحيلة والمكيدة
وامامنا من المستخدمين واصحاب (83^٢) الدواوين نقر تصغي اليهم أفندتهم فيما كانوا
عليه من مخالفة الدين يتوصلون بكمهم الى تقض ما يبرم وتأخير ما تقدم ويوهمون انها
من النصائح التي تقبل وتلزم حتى تطاول دون ذلك الامل وبان من القوم المعتقد والتضح

لنا من صائب التدبير ما يعتمدُ وكنّا في خلال هذه الاحوال لم نُخلِ هذه القلعة من طائفة تَهْزُهُم حمية الدين من الجند ينتهون من التضييق عليها الى كل غاية من الجِدّ فيتوقرون على محاصرتهم ومصابرتهم ويتشترّون لمزاوتهم ومصاولتهم ويقعدون لهم بكل مرصد ويسدون كل متّزّل ومصدّر حتى انقطع عنهم المواد وخانتهم المير والازواد واضطروا الى ان تزل بعضهم على حكم الامان بعد الاستئثار والاستئذان فامرنا بتخلية سربهم وايمان سربهم وسلم الشطر من القلعة لخلوه من الفئة النازلة واعتصم ابن عطاش بقلّة اخرى تسمّى دالان مع نخب اصحابه من المقاتلة وهذه القلّة هي امنع المواضع من القلعة واحصنها واورعها مسلّكاً واحزنها فقد نُقل اليها ما كان بقي لهم من الميرة وسائر ما يستظهر به من السلاح والذخيرة على ان يلبثوا بها اياماً معدودة فينزّلوا ويُبدّل لهم الامان مثل ما بُدّل للاولين فيتحوّلوا كل ذلك بوساطة من قدّمنا ذكرهم من المستخدمين في الدواوين وفي باطن الامر خلاف ما يُتوهم من الاعلان وذلك انهم قدّروا ان ما سُلّم من القلعة يُترك على عمارته ومكائنه وما أمتنع به من القلّة لا يُقدر عليه لمنعه وحصانته فهم يتوصّلون بتمكّنهم من ذلك الحيل الى سرقة ما سلّموه آنفاً ببعض الحيل هذا وقد كفوا مؤن من نزل من الاكلة وعندهم الكفاف لمن بقي من العملة فقطناً لما عمدوا وعليه اعتمدوا وامرنا في الحال بالقلعة المسلمة فُنُسفت نسفاً وخُسفت بها خُسفاً وصيّر سفليها علواً كما كان علوها خلوّاً ثم انتقمنا من المستخدمين الغادرين بالملك والدين حتى ساقهم الحين المتاح الى حين فلم يفلت منهم صاحب ولا مصحوب ان الشقاء على الاشقين مصبوب. ووافق ذلك حلول الموعد للزول باقي القوم من دالان فابوا الا المطلق والليان. فلما مضت ايام على ذلك اظهروا التمرّد والعصيان فصاروا كما قال الله تعالى «وَمَنْ (84) يُرِدِ اللهُ فتنه فلا تقلك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يُردِ الله ان يُطهّر قلوبهم لهم في الدنيا جزى^١ ولهم في الآخرة عذاب عظيم^١» فعند ذلك استخرنّا بالله تعالى تجريد العزائم لهذا الجهاد الذي هو عندنا من انفس العزائم ولا نخاف فيه لومة لائم وأهبطنا بن حضرنا من العساكر المنصورة الى الاحداق بالقلعة المذكورة يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة فقلّوا لقناها محتشدين ولصدق اللقاء متشترين متجرّدين وجت مناوشة عشية هذا اليوم اثخنت عدّة من اولئك القوم وبات المسلمون ليلتهم تلك على اضم والملحدون

١) Sur. V, 45.

لحمًا على وضم . فلما تنفّس الصبح وعردت الديوك الصّبح وطوى الليل رداءه^١ ورفع
الفجر لواءه^٢ نصر الله الحقّ وادّال الدين وساء صباح المنذرين وعدّت جيوش النصر
يدًا واحدةً وكلمةً على التّظافر والتّظأهر مساعدة تسطوا بالقبّة المتحصّنة بالقلعة
سطوة الليث المصور وكأنّهم طاروا باجنحة الصقور على صمّ الصخور فلم يلبثوا قبل
ذرور الشمس بقرنها واخذها الناصح من لونها ان اخذوا القلعة عنوة وقهراً واجروا من
دماء الباطنية الملهدة نهراً فلم يثل منهم وائل ولا اخطأهم من السيوف البواتر وائل
وامرنا في الحال يهدمها والتعفية على ردها فلم يبق بها نافخ ضرمة ولا اثر من نسه
ولا مدرّ على آكمه وأسر ابن عطاش رأس الجالوت وولي الطاغوت الذي كان ممن قال
الله تعالى فيه : « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ (١) » فجعلناه وولده المقرون به مثلاً
لنظّار وعبرة لاولي الابصار فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين هذا
الفتح المبين والعزّة التي تُتلى لانها من الدهر الحين^٣ والنعمة التي تمت وعمّت واحت
بالنقمة على اعداء الله ورسوله وطمت وما ذاك الا من بركات عقائدنا الناصعة في
موالاة الدولة العباسية ظاهر الله مجدها وما يلتزمه في فرضها من فضل المناصحة
والمشايعة فيها نحن نسطو بالاعادي ونكفي من اعتراض النوايب كل العوادي وسوس
الدهماء من الخواضر والبوادي . وهذه البشري التي يُهنأ بها الاسلام وترفع بها من
الاشادة بذكرها في الخافقين الأعلام (84^٧) امرنا بنشرها في الاقصى والادنى لاسيما
الدائرة العزيزة ظاهر الله مجدها فانها اولى من يبشّر بمثلها ويهنأ وانهينا بالامير عزّ الدولة
الى ايصال هذه البشارة الى الديوان العزيز النبوي اعلى الله جدّه فندب من قبله من
يقوم بهذه الخدمة ويعلمه ما نحن نصدره من الاعتراف بقدر هذه النعمة وهذا الامير
كان من المندوبين اوّلاً واخراً لمحاصرة هذه القلعة فأبلى فيها بلاء حسناً جميلاً واغنى
غنائم نجد له فيه عديلاً ولذلك ما اختصصناه بهذه المزية واثرائه^٤ بابلاغ هذه البشري
الهنية والمعول تلمّ على الاهتمام الوزيري في القاها الى المقارّ المعظمة النبوية ليعلم من
صدق نهضتها بالخدمات وعندنا المسعاة في اعزاز الدين من اوجب المهمات ما يُزلقنا من
شريف المراضي ويفرض لنا من المحامد والمآثر التامة على الأبد اكرم الاحاطي وان
يتقدّم في حقّ المبشر ما هو على الدولة بثبها الله متعين حتى يعود ولا يستحسن من
موقع هذه البشارة عليه اثر^٥ بين^٦ والوزير اولى من اغتم هذه المكّمة فاعتقها وعكّن

١) Sur. XXVIII, 41.

من عصاة الرأي السديد فاعتلقها واستحمد اليها بما يتكلفه من جميل مساعيه ويتكفله بالاهتزاز والاهتمام فيه من سائر ما يلاحظه من الامور ويراعيه ان شاء الله تعالى وكتب بالامر العالي شفاهاً في ذي القعدة سنة ٥٠٠

وفي هذه السنة تتابعت المكاتبات الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد ابن ملك شاه من ظهير الدين اتابك وفخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس بعظيم ما ارتكبه الافرنج من الفساد في البلاد وتلك المعامل والحصون بالشام والساحل والفتك في المسلمين ومضايقة ثغر طرابلس والاستغاثة اليه والاستصراخ والحض على تدارك الناس بالمعونة. فندب السلطان لما عرف هذه الحال الامير جاولي سقاوه واميراً من مقدمي عسكره كبيراً في عسكر كثيف من الاتراك وكتب الى بغداد والى الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد والى جكرمش صاحب الموصل بتقويته بالمال والرجال على الجهاد والمباينة في اسعاده وانجاده واقطعه الرحبة وما على الفرات فنقل امره على المكانين فدافعه ابن مزيد وسار نحو الموصل يلتمس من جكرمش ما وقع به عليه فتوقف عنه فقتل (85) على قلعة السن ونهبها واجتمع اليه خلق كثير وخرج جكرمش الى لقائه فظفر به جاولي سقاوه واستباح عسكره وانهزم ولده الى الموصل فضبطها وتوجه وراه وقتل جكرمش اباه وانفذ رأسه الى الموصل. فلما عرف ولده ذلك كاتب قلعج ارسلان بن قتلش يستنجده من ملطية ويبذل له تسليم البلاد والاعمال التي في يده اليه وكان جكرمش قد جمع مالا عظيماً من الجزيرة والموصل وكان جميل الصورة في الرعية عادلاً في ولايته مشهوراً بالانصاف في اعمال اياته. فلما عرف قلعج ارسلان بن سليمان ما كتب به اليه ولد جكرمش اجابه الى ملتسه وسار نحوه في عسكره ووصل الى نصيبين واستدعى ابن جكرمش من الموصل فسار اليه ودخل قلعج ارسلان الى نصيبين لانه كان في بعض عسكره وباقيه في بلاد الروم لانجاده ملك القسطنطينية على الافرنج. ولما تقارب عسكر قلعج من عسكر جاولي سقاوه والتقت طلائع الفريقين ظفر قوم من اصحاب قلعج بقوم من اصحاب جاولي فقتلوا بعضاً واسروا بعضاً. فرحل جاولي يطلب عسكر قلعج وقد عرف انه قد انفذ يستدعي بقية عسكره من بلاد الروم وانه في قلّ وطلب ناحية الحابور وتوجه منها الى الرحبة وتول عليها ومضايقتها وراسل محمداً واليها من قبل الملك شمس الملوك دقاق صاحب دمشق (وعنده الملك ارتاش بن تاج الدولة الهارب من دمشق بعد

وفاته الملك دقاق اخيه مقيماً (بالتسليم اليه فلم يحفل برأسه وأرسله من طلبته فأقام
سليها مضيقاً لها مدة

ووصل اليه الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في جماعة وافوة من عسكره
التركان واستجد عليها بالملك فخر الملك رضوان فوصل اليه في عسكره بعد ان هاد
طنكري صاحب انطاكية . فلما فصل عن حلب وعرف جوسلين صاحب تل باشر بعده
عن حلب واصل الغارات على اعمالها من جميع جهاتها . ولم يؤل جاولي مقيماً على الرحبة
منذ اول رجب والى الثاني والعشرين من شهر رمضان وزاد الغارات زيادته المعروفة
فركب اصحاب جاولي الزواريق وصعدوا (857) طالبين سور البلد بمواطاة من بعض
اهل البلد فلم يتهيأ لهم امر مع من واطأهم بل هجموا السور وملكوا البلد ونهبوه
وصادروا جماعة من اهله واستخرجوا ذخائرهم بالعقوبة ثم امر جاولي برفع النهب وأمن
الناس وردهم الى منازلهم وتسلم القلعة بعد خمسة ايام في الثامن والعشرين من شهر
رمضان . وافرأ قطع محمد واليها عليه واستحلفه وقبض عليه بعد ايام لا سر بلفه عنه
فانكر منه واعتقله في القلعة وحصل الملك ارتاش في جملة سقاوه ولم يتمكن من التصرف
في نفسه . وكان محمد هذا الذي قد ارسل قلع ارسلان بن سليمان اولاً بالاستصراخ
به وطلب المعونة على دفع جاولي عن البلد فتوجه نحو الرحبة في عسكره وبلغه خبر
فتحها فعاد وتزل على الشسانية (١) ولم يكن في نيته لقاء جاولي . ورحل جاولي وتزل
ما كسين وعزم على التوجه الى ناحية الموصل ومعه فخر الملوك رضوان فاتفق انهم قصدوا
عسكر قلع فالتقى الفريقان في يوم الخميس التاسع من شوال وكان الزمان صيفاً
واشتدت وقدة الحر وحملت الرمضاء فهلك اكثر خيل الفريقين وحمل عسكر قلع
ارسلان على عسكر جاولي وقصد جاولي قلع ارسلان في الجملة وضربه بالسيف عدة
ضربات فلم تؤثر فيه وانهمزم عسكر قلع ارسلان وفصل عنه صاحب آمد وقت الحرب
مع صاحب ميافارقين وانهمزم الباقون ووقع السيف في اصحاب قلع ارسلان وسقط قلع
مع الهزيمة في الخابور فهلك في الماء ولم يظهر وبعد ايام وجد هاتكاً (٢)

(١) وفي الاصل : السمانية

(٢) وقال الفارقي في تاريخه : ان في السنة ٤٩٨ نفذ الوزير ضياء الدين محمد (الذي كان
رتبه الملك دقاق ميافارقين) الى ملطية الى السلطان قلع ارسلان بن سليمان بن قطنش يستدعيه
الى ميافارقين وكان الملك سليمان بن قطنش قد ورد من عند ملك شاه وفتح بلاد الروم ملطية

وعاد جاولي الى الموصل وعاد عنه الملك فخر الملوك رضوان الى حلب خوفاً منه
واخذ جاولي نجم الدين ايل غازي بن ارتق وطالبه بالمال الذي انفق في التركمان فصالحه
على جملة يدفعها اليه واخذ رهانه عليها الى ان يؤديها واقام له بها فيما بعد
وقد كان قلج ارسلان انفذ بعض مقدمي اصحابه الى بلاد الروم في خلق كثير من
التركمان لانجاد ملك القسطنطينية على يمينه ومن معه من الافرنج الواصلين الى الشام
فانصرفوا الى ملك الروم وما حشده من عساكر الروم فلما اجتمع الفريقين ما اجتمع
رتبوا (86٢) المصاف والتقوا فاستظهر الروم على الافرنج وكسروهم كسرة شنيعة آتت
على اكثرهم بالقتل والاسر وتفرق السالم الباقي منهم عائدين الى بلادهم وفصل اصحاب
قلج ارسلان الاتراك الى اماكنهم بعد ان اكرمهم وخلع عليهم واحسن اليهم
ولما عاد جاولي سقاوه الى الرحبة وتزل على الموصل راسل اهلها والجند بها فلم
يكنهم المدافعة له عنها ولا المراماة دونها فسلموها اليه بعد اخذ الامان منه على من
حوته وكان ولد قلج قد دخلها فقبض عليه وسيره الى السلطان محمد ولم يزل مقيماً عنده
الى ان هرب من المعسكر في اوائل سنة ٥٠٣ وعاد الى مملكة ابيه ببلاد الروم ويقال
انه لما وصل اليها عمل على ابن عمه وقتله واستقام له امر المملكة بعده
وفي هذه السنة وصل الى دمشق الامير الاصفهيد التركماني من ناحية عمله فاكرمه
ظاهر الدين واحسن توقيه واقطعه وادي موسى ومآب والشرارة والجبال والبلقاء وتوجه
اليها في عسكره وكان الافرنج قد نهضوا الى هذه الاعمال وقتلوا فيها وسبوا ونهبوا

وقبصارية واقصرا (والاصل اق سرا اي مدينة بيضاء) وقونية وسيواس وجميع ولاية الروم وبقي
فيها واستبد بها فلما مات وتي ولده قلج ارسلان . فلما نفذ اليه الوزير محمد حضر ودخل
ميفارقين في ١٧ جمادى الاولى سنة ٤٩٨ وملك ميفارقين وبقي مدة واستوزر الوزير محمد .
وحضر الى خدمته امراء جميع ديار بكر الامير ابراهيم صاحب آمد والسبع الاحمر من اسعد وسكان
ابن ارتق والامير شاروخ وحسام الدين (الدولة) . وولي ميفارقين مملوك ابيه خجرتاش السليمانى
وكان اتابكه وخرج من ميفارقين واخذ معه الوزير محمد واقطعه مدينة بلشين . واقام بعلطية
وجمع العساكر وعاد تزل الى باب الموصل وصاف جاولي سقاوه مملوك السلطان محمد فكسره
سقاوه وعاد منهزماً وغرق في الخابور في سنة ٤٩٩ وحمل تابوته الى ميفارقين وبني عليه اتابك
هذه القبة المروقة بقبة السلطان وبقي مدفوناً بها الى سنة ٥٣٨ ونفذ سلطان مسعود ولده الامير
السديد جاء الدين باكاليجار العلوي من قونية فاخرج تابوته وحمله الى آمد ليحمله الى قونية الى
ولده السلطان مسعود واتفق ان الملك بلشان (الآن) خرج في تلك السنة ورجل السلطان
عن قونية فعاد الامير السديد جاء الدين فردّه الى ميفارقين فهو بها الى الان (يعني سنة ٥٧٣)

ما قدروا عليه منها فلما وصل اليها وجد اهلها على غاية من الخوف وسوء الحال عما جرى عليهم من الافرنج فاقام بها . ونهض الافرنج اليه لما عرفوا خبره من ناحية البرية ونزلوا بازاء المكان الذي هو نازل به واهملوه الى ان وجدوا الفرصة فيه فكبسوه على غرة فانهزم في اكثر عسكره وهلك باقيه واستولوا على سواده ووصل الى عين الكتيبة من ناحية حوران والعسكر الدمشقي نازل عليها فتلقاه ظهير الدين متوجعا له بما جرى عليه ومسلما عما ذهب منه وعوضه وطلق له ما صلحت به حاله

سنة احدى وخمسة

فيها جمع ملك الافرنج بغدوين حربه المفلول وعسكره المخذول وقصد ثغر صور وتزل بازائه وشرع في عمارة حصن بظاهرها على تل المعشوقة واقام شهرا وصانعه واليه على سبعة الاف دينار ققبضها منه ورحل عنه . وفيها وردت الاخبار بوصول عسكر السلطان غياث الدنيا والدين محمد الى بغداد في اخر (86٢) شهر ربيع الاخر منها واعلن الامير سيف الدولة صدقة بن مزيد العصيان عليه خوفا لما بلغه من افساد شحنة بغداد (وعندها حاله معه ولم يزل السلطان مقيما ببغداد) الى العشرين من رجب فاجتمع اليه تقدير ثلثين الف فارس واجتمع مع صدقة تقدير عشرين الفا في الحلة وبينهما انهار وسواحل في الحلة فآثر السلطان مراسلته في تقرير امره والصفح وايقاع مهادنة وموادعة تستقيم معها الاحوال ويصلح بها الاعمال فآبى ذلك كافة الامراء والمقدمين وامتنعوا من الاهمال لامره ونهضوا اليه . فلما عرف الحال قطع الانهار ووصل في جمعه حتى صار بازائهم وحمل بعض الفريقين على بعض ونشبت الحرب بينهم وكان منزل صدقة بن مزيد كثير الوحل عسر المجال فترجل الاتراك عن خيلهم وحثوا عليهم واطلقوا السهام وشهروا الصفاح وشرعوا الرماح وفعل مثل ذلك اصحاب صدقة والتقى الجيشان ونظر صدقة الى اصحابه والسهام قد شكت خيولهم وقد اشرفوا على الهلاك وظن الاتراك انهم قد انهزموا فركبوا اكتافهم رشقا بالسهام وضربا بالسيوف وطعنا بالرماح فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتل الامير صدقة بن مزيد في الجملة ووجوه رجاله ولم يفلت منهم الا اليسير ممن حماه الاجل واستطار قلبه الخوف والوجل . وكان السلطان قد اعتمد في تدبير الجيش وترتيب الحرب على الامير مودود المستشهد يد الباطنية في جامع

دمشق ووصل السلطان غد يوم الواقعة ونزل الحلة . ولم يكن للعرب بعد صدقة مثله في البيت والتقدم واحسان السيرة فيهم والانصاف لهم والانعام عليهم وكرم النفس وجزيل العطاء وحسن الوفاء والصفح عن الجرائر والتجاوز عن الجرائم والكبائر والتعفف عن اموال الرعية واحسان انية للعسكرية غير انه كان مع هذه الخلال الجسيمة والمآثر الحميدة مطرحة لفرائض الشريعة متغافلا عن ارتكاب المحارم الشنيعة مستحسنا اسب الصحابة رضى الله عنهم فكان ما نزل به عليه عاقبة هذه الافعال الذميمة وما ربك بغافل عما تعملون

وتوجه السلطان بعد تقرير امر الحلة عائدا الى اصفهان (87^{هـ}) في اوائل شهر من السنة وقد قرر مع الامير مودود والعسكر قصد الموصل ومنازلتها والتضييق عليها والتسلط لها فرحل مودود والعسكر وتزل على الموصل وكان جاولى صاحبها قد اخرج اكثر اهلها منها وأساء اصحابه السيرة فيها وارتكبوا كل محرم منها ومضى الى الرجبة واستتاب فيها من وثق به من اصحابه في حفظها واقام العسكر السلطاني عليها مدة وعد سبعة نفر من اهلها على المواطاة عليها وفتحوا بابا من ابوابها وسلموها الى مودود ودخلها وقتل مقتلة كبيرة من اصحاب جاولى وآمن من كان في القلعة وحملهم وما كان معهم الى السلطان

وفي شعبان من هذه السنة اشتد الامر بفخر الملك بن عمار بطرابلس من حصار الافرنج وتطاول أيامه وتماذي الترقب لوصول الانجاد وقمادي تأخر الاسعاد فانفذ الى دمشق يستدعي وصول الامير ارتقى بن عبد الرزاق احد امراء دمشق اليه ليتحدث معه بما في نفسه فاجابه الى ذلك واستأذن ظهير الدين في ذلك فاذن له وتوجه نحوه وقد كان فخر الملك خرج من طرابلس في البر في تقدير خمسمائة فارس وراجل ومعه هدايا وتحف اعدّها للسلطان عند مضيه اليه الى بغداد فلما وصل ارتقى اليه واجتمع معه تقررت الحال بينهما على وصوله الى دمشق في صحبته فوصل اليها وأتزل في سرج باب الحديد بظاھرھا وبالغ ظهير الدين في اكرامه وتناهي في احترامه وحمل اليه امراء العسكرية ومقدموه من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك ما امكنتهم حمله واتحافه به . وكان فخر الملك المذكور قد استتاب عنه في حفظها ابا الناقب ابن عمه ووجوه اصحابه وغلماؤه واطلاق لهم واجب ستة اشهر واستحلفهم وتوثق منهم . فاطهر عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار الافضل بن امير الجيوش بحصر فلما عرف فخر الملك ما بدا منه كتب الى

اصحابه يأمرهم بالقبض عليه وُحْمَل الى حصن الخواري ففعل ذلك وتوجه فخر الملك الى بغداد ومعه تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك. وقد كان اتابك عرف ان جماعة ممن يحسده في باب (87^٣) السلطان ويقع فيه بالسعاية ويقصده بالاذية وافساد الحال عند السلطان فاصحب ولده المذكور من الهدايا والتحف من الخيول والسياب وغير ذلك مما يحسن انفاذ مثله واستوزر له ابا النجم هبة الله بن محمد بن بديع الذي كان مستوفيا للسلطان الشهيد تاج الدولة وجعله مدبراً لامره وسفيراً بينه وبين من انفذ اليه وتوجه في الثامن من شهر رمضان سنة ٥٠١ فلما وصلا الى بغداد لقي فخر الملك من السلطان من الاكرام والاحترام ما زاد على امله وتقدم الى جماعة من اكابر الامراء بالمسير معه لمعونته وانجاده على طرد محاصري بلده والايقاع بهم والابعاد لهم وقرر مع العسكر المجرد معه الامام بالوصل وانتزاعها من يدي جاولي سقاه ثم المصير بعد ذلك الى طرابلس فجرى ما تقدم به الشرح من ذلك وطال مقام فخر الملك طويلاً ضجر معه وعاد الى دمشق في نصف الحرم سنة ٥٠٢

فاماً تاج الملوك بن ظهير الدين فجرى امره فيما نفذ لاجله على غاية مراده ونهاية محابه وصادف من السلطان في حق ابيه وحقه ما سره وعاد منكفئاً الى دمشق بعد ما شرف به من الخلع السنية الامامية السلطانية ووصل الى دمشق آخر ذي الحجة من السنة. واقام فخر الملك بن عمار في دمشق بعد وصوله اليها اياماً وتوجه منها مع خيل من عسكر دمشق تجردت معه الى خيله فدخلها واطاعه اهلها. وانفذ اهل طرابلس الى الافضل بمصر يلتمسون منه انفاذ وال يصل اليهم في البحر ومعه الغلة والميرة في المراكب لتسلم اليه البلد فوصل اليهم شرف الدولة بن ابي الطيب والياً من قبل الافضل ومعه الغلة فلما وصل اليها وحصل فيها قبض على جماعة اهل فخر الملك بن عمار واصحابه وذخائره والاته واثاته وحمل الجميع الى مصر في البحر وفي هذه السنة اسرى ظهير الدين اتابك في عسكره الى طبرية وفرق عسكره فرقتين نفذ احدهما الى ارض فلسطين والاخرى غاربها على طبرية فخرج اليه صاحبها في رجاله المعروف بجرفاس وهو من مقدمي الافرنج المشهورين بالفروسية والشجاعة (88^٢) والبسالة وشدة المراس يجري مجرى الملك بغدوين في التقدم على الافرنج فالتقاء واحاطت خيل الاتراك به وباصحابه قُتِل اكثرهم وأسر هو وجماعة معه وُحْمِلوا الى دمشق فاخذ بعضهم هدية الى السلطان وقتل جرفاس ومن كان معه في الاسر من اصحابه بعد ان

بذلوا في اطلاقهم جملةً من المال فلم يقبلها . وفيها تقدّم السلطان غياث الدنيا والدين محمد عند وصوله الى بغداد برفع الكرس وابطال رسمها عن التجار والمسافرين في جميع بلاده وحظر تناول السير منها فلما عاد الى اصفهان منها طمع في التجار واخذ منهم المكس على سبيل الخلاف لما امر فلما عاد الى بغداد وانهى الامر اليه افكر ما جرى في مخالفة امره ووكد الامر في ابطال ذلك وحذر من المخالفة له في سائر البلاد

وفيها وردت الاخبار من بغداد بوقوع النار في الجانب الشرقي منها فاحرقت ما يزيد على خمسمائة دار وافتقر اهلها . وفيها تناصرت اخبار الباطنية بقلعة آلموت والحصون المجاورة لها في اغالمهم في الفساد وافاخلة النفوس بالعدوان والاحاد فانقض السلطان وزيره احمد بن نظام الملك خواجه بزرگ ومعه جاولى سقاوه في عسكر كشياف فاظفروه الله بهم ونصره عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وخرّب منازلهم وقلاعهم وفي هذه السنة نهض بغدوين في عسكره المختول من الافرنج نحو ثغر صيدا قتل عليه في البحر والبر ونصب البرج الحشب عليه ووصل الاصطول المصري للدفع عنه والحماية له فظفروا على مراكب الجنوية وعسكر البر واتصل بهم نهوض العسكر الدمشقي لحماية صيدا والذب عنها فرحلوا عنها عائدين الى اماكنهم

سنة اثنتين وخمسمائة

فيها انقذ صاحب عرقة الى ظهير الدين اتابك رسوله يلتبس منه المعونة على دفع الافرنج عنها وانقاذ من يتسلّمها فندب بعض ثقافته قتلها واقام اليها منتظراً وصول العسكر اليها والوفاء بما وعد به من الخلع عليه والاحسان اليه فحدث في (88٧) الوقت من الثلوج والامطار ما عاق المسير اليها وقتل القوت بها وانقطعت الميرة عنها فبادر الافرنج بالتزول عليها وتوجه ظهير الدين عند ذلك اليها فصادفهم قد احاطوا بها ولم يتمكن من دفعهم عنها وعاد الى حصن الائمة وتزل عليه وقاتله فلما عرف الافرنج ذلك نهضوا اليه في تقدير ثلثمائة فارس لانجاد من بالائمة فوصلوا اليهم ليلاً فقريت نفوسهم واقتضى رأي اتابك الرحيل عنها بحكم من صار فيها منهم فرحل كالمتهزم وطمع فيه وتتبّع العسكر فغنم من الخيل والكرّاع غنيمة كبيرة وتفرّق العسكر في الشجر والجبال ووصلوا الى حصص على اقبح صفة واشنع صورة من غير لقاء ولا محاربة وعاد الافرنج الى عرقة وعدم القوت فيها فملكوها بالامان

وفيه استوزر ظهير الدين أبا نجم هبة الله بن محمد بن بديع الاصفهاني الذي كان مستوفياً للسلطان تاج الدولة وكان قد وزر بعده لولده الملك رضوان بحلب وبقي في الوزارة مدة في اوائل سنة ٥٠٢ وافسد قلب ظهير الدين اتاك عليه مع ما كان في قلبه في الايام التاجية فامر بالقبض عليه واعتقاله في القلعة وحمل كل ما كان في داره وقبض املاكه واقام اياماً في الاعتقال ثم امر بخنقه فخنق ورُمي في جُب بالقلعة ثم أُخرج ودُفن في المقابر

وفي شعبان من هذه السنة وصل ريند بن صنجيل الذي كان نازلاً على طرابلس من بلاد الافرنج في جملة ستين مركباً في البحر مشحوناً بالافرنج والجنويين قتل على طرابلس ووقع بينه وبين السرداني ابن اخت صنجيل مشاجرة ووصل طنكري صاحب انطاكية اليه لمعنته للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب بيت المقدس في عسكره فاصلح بينهم . وعاد السرداني الى عرقة ووجد بعض الافرنج في زرعها فاراد ضربه فضربه الافرنجي فقتله ولما بلغ الخبر ريند بن صنجيل وجه من تسلم عرقة من اصحابه . وتزل الافرنج بجمعهم وحشدتهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها منذ اوّل شعبان الى الحادي عشر من ذي الحجة (٨٩٠) من السنة واسندوا ابرجهم الى السور فلما شاهد الجند والمقاتلة اهل البلد سقط في ايديهم وايقنوا بالهلاك وذلت نفوسهم لاشتمال اليأس من تأخر وصول الاصطول المصري في البحر والميرة والنجدة وقد كانت غلة الاصطول اُزيحت وسير الريح تردّه لما يريد الله تعالى من نفاذ الامر المقضي فشدة الافرنج القتال عليها وهجموها من الابراج فلكوها بالسيف في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها واسروا رجالها وسبوا نساءها واطفانها وحصل في ايديهم من امتعتها وذخائرها ودفاتر دار علمها وما كان منها في خزائن اربابها ما لا يُحصى عدده ولا يُحصَر فيذكر . وسلم الوالي بها وجماعة من جنده كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فلما ملكت أُطلقوا ووصلوا الى دمشق بعد ايام من فتحها وعوقب اهلها واستُصفيت اموالها واستُشيرت ذخائرهم من مكائنها وتزل بهم اشدّ البلاء وموّل العذاب

وتقرر بين الافرنج والجنويين على ان يكون للجنويين الثلث من البلد وما نهب منه والثلثان لريند بن صنجيل وافردوا للملك بغدوين من الوسط ما رضي به . وكان طنكري لما لم ينل ما اراد من نصرة السرداني قد عاد وتزل بانياس وافتحها وامن

اهلها في شوال من السنة وتزل على ثغر جُبيل وفيه فخر الملك ابن عمّار والقوت فيه تزد قليل فلم يزل مضيقاً له ولاهله الى يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة فراسلهم وبذل لهم الامان فاجابوه الى ذلك فقتلهم بالامان وخرج منه فخر الملك ابن عمّار سالماً وقد وعده باحسان النظر والاقطاع . ووصل عقيب ذلك الاضطول المصري ولم يكن خرج للمصريين فيما تقدم مثله كثرة رجال ومراكب وعدد وغلل لحماية طرابلس وتقويتها بالغة الكثيرة والرجال والمال لمدة سنة مع تقوية ما في المملكة المصرية من ثغور الساحل واهله ووصل الى صور في يوم الثامن من فتح طرابلس وقد فات الامر فيها للقضاء النازل باهلها . واقام بالساحل مدة وفرت الغلة في جهاتها وتمسك به اهل صور وصيدا (٨٩) وبيروت وشكوا احوالهم وضعفها عن محاربة الافرنج ولم يكن الاضطول المقام فاقلع عائداً عند استقامة الريح الى مصر

وفي شوال من هذه السنة وردت الاخبار بتسلُّك الامير سكان القطبي مدينة ميفارقين بالامان بعد الحصر لها والمضايقة لاهلها عدة شهور بعد ان عدم القوت بها واشتد الجوع باهلها (١٠١) وفيها وصل يميند صاحب انطاكية من بلاد الافرنج عائداً الى مملكته في خلق كثير وتزل بالقرب من قسطنطينة وخرج ملكها اليه ومعه خلق كثير من التركمان المجاورين له فاقتلوا اياماً وطلب الروم تفتسخهم بكل نوع الى ان تفرقوا وتبددوا في البلاد واصلح يميند امره مع الملك ودخل عليه ووطى بساطه ومن معه وكفى الله وله الحمد امرهم وصرف عن الاسلام شرهم

وفي هذه السنة توفي الامير ابق بن عبد الرزاق احد مقدمي امراء دمشق بمرض طال به وكثر الله بسببه الى ان قضى نحبه ليلة عيد النحر من سنة ٥٠٢

وفيها ترددت رسل الملك بغدوين الى ظهير الدين في التماس المهادنة والموادعة فاستقر الامر بينهما على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثاً للاتراك الثلث والافرنج والفلاحين الثلثان فانعقد الامر على هذه القضية وكتب الشرط على هذه المبنية . وكان فخر الملك بن عمّار لما ملك الافرنج جُبيل خرج منها وتوجه الى شيزر فاكومه صاحبها سلطان

(١) قال الفارقي في تاريخه : سَلَّمَهَا اليه اتابك نُحمرتاش الذي كان استبد له الامر بما بعد موت قلج ارسلان واجحف بالناس وصادرم وهو وزوجته ولقي الناس منه شدة شديدة . وقال ايضاً : ان في سنة ٥٠٤ تزل الامير سكان الي ميفارقين وقصد الرها فات هناك وحمل تابوته الى اخلاط ودُفن بها

ابن علي بن المقلد بن منقذ الكتاني واحترمه وجماعته وعرض عليه المقام عنده فلم يفعل
وتوجه الى دمشق عائداً الى ظهير الدين اتابك فآكرمه واتزله في دار واقطعه الزيداني
واعمالها في الحرم سنة ٥٠٣

سنة ثلث وخمسة

لما فرغ الافرنج من طرابلس بعد افتتاحها وتدير اعمالها وتقرير احوالها نهضوا الى
رفية وعرف ظهير الدين ذلك من قصدهم فنهض في العسكر نحوها لحمايتها وخيم
بازاتهم بجمص فلم يتمكن الافرنج من منازلتها ومضايقتها وترددت بينه وبينهم مراسلات
ومخاطبات افضت الى ان اجاب كل واحد من الفريقين (90٣) الى تقرير المواعدة على
الاعمال والمسألة واستقر الامر في ذلك على ان يكون للافرنج الثلث من استغلال
البقاع ويسلم اليهم حصن المنيطرة وحصن ابن عكار ويكفوا عن العيث والفساد في
الاعمال والاطراف وان يكون حصن مصياث وحصن الطوفان وحصن الاكراد داخلاً
في شرط المواعدة ويحمل اهلها عنها ما لا معيناً في كل سنة الى الافرنج فقاموا على
ذلك مدة يسيرة فلم يلبثوا على ما تقرر وعادوا الى رسمهم في الفساد والعناد
وفيها توفي الشريف القاضي المكين فخر الملك ابو الفضل اسمعيل بن ابراهيم بن
العباس الحسيني ليلة الخميس الخامس والعشرين من صفر منها بدمشق رحمه الله
وفي جمادى الاولى من هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوصول السلطان
ركن الدنيا والدين محمد بن ملك شاه الى بغداد وانفاذ كتبه الى سائر البلاد معلماً
فيها بما هو عليه من قوة العزم على قصد الجهاد والامر لظهير الدين اتابك بالمقام بحيث
هو الى حين ترد العساكر الى الشام وينضاف اليها ويدبر امرها لانه كان تابع كتبه
بالاستصراخ والاستنجاد على الكفرة الاضداد فعرضت عوائق عن ذلك عاقت وموانع
عن المراد صددت وطالت مدة الانتظار وتزايد طمع الكفار بتأخر العساكر السلطانية
فحملت ظهير الدين اتابك الحمية الاسلامية والعزيمة التركية على التأهب للسير بنفسه
الى بغداد لخدمة الدار العزيزة النبوية المستظهيرية والمواقف السلطانية الغياثية والمثول
بها والشكوى لما تزل بالمسلمين في الاعمال اليها من تملك البلاد وقتل الرجال وسبي
النساء والاطفال وحديثهم بينهم بالطمع في الامتداد الى تملك الاعمال الجزرية والعراقية.
وتأهب للسير واستصحب معه فخر الملك بن عمّار صاحب طرابلس وخواص اصحابه
وما امكنه من الخيول العربية السبق وطرف مصر من اجناس اللباس وما يصلح لتلك

الجهات من التَّخَفِّفِ والهدايا من كل فنَّ له قيمة وافرة وتوجَّه في البرِّيَّة على طريق
 السَّماة فاستناب في دمشق ولده تاج الملوك بُوري ووصَّاه بما يجب عمله من استعمال
 اليقظة (90^٢) في الذبِّ والحماية واحسان السيرة في الرعيَّة والمغالطة للافرنج والثبات
 على المِوادة المستقرَّة معهم الى حين العود. فلَمَّا سار وحصل في الوادي المعروف بوادي
 المياه من البرِّيَّة وافى الخبر بما شاع من المرجفين ببغداد من الحديث بتقليد السلطان بلاد
 الشام لامراء عَيْن عليهم ووقعت الاشارة في ذلك اليهم فاحدث هذا الخبر وحشة
 اوجبت عوده من طريقه واعتمد على فخر الملك بن عَمَّار ومن عوَّل عليه من ثقاة في
 الاتِّمَّام الى بغداد بما صنَّبه من التَّخَفِّفِ والهدايا والمنايا عنه في انهاء ما دعاه الى العود
 من طريقه. فوصل فخر الملك الى بغداد بما صجَّبه فصادف من الابتهاج بمقدمه والتأسف
 على عود اتابك ولم يصل ويشاهد ما زاد على الامل وظهور بطلان تلك الاراجيف بالمحال
 الذي لا حقيقة له وتواصلت الاجوبة عن ذلك بما سرَّ النقوس وشرح الصدور والاعتذار
 من اشاعة المحال واكاذيب الاخبار. وقد كان ظهير الدين اتابك في عوده من وادي
 المياه قد اتَّصل به ان كشتكين الخادم التاجي الوالي بعلبك قد ارسل الافرنج بالتماس
 المصافاة منهم وبمشهم على شَنِّ الغارات على الاطراف وانه قد سيَّر اخاه بايتكين الخادم
 التاجي الى السلطان للتوصل بالمحال الى افساد الحال فحين سمع ظهير الدين هذا الخبر
 وتقوَّضه ندب جماعة من العسكر وقرَّر معهم المصير الى المسالك والطرق التي لا بدَّ من
 عبوره فيها لمسلكه وحمله اليه فلم يقف لبائتين المذكور على خبر. وسار ظهير الدين في
 العسكر من طريقه وكتب الى ولده تاج الملوك يأمره بالخروج في العسكر الى بعلبك
 والتزول عليها فسارع الى امثال امره وسار اليها وتزل عليها على غفلة من اهلها وغرَّة
 ثَمَّن بها ثم ارسل الخادم المذكور يلتبس منه الدخول في الطاعة وتسليم الموضع اليه
 ويُحذِّره من الاستمرار على المخالفة والعصيان ويُخوِّفه الاقامة على ما يُفضي الى سفك
 الدماء وبالنَّع في الاعذار له والانذار فلم يجب الى المراد والايشار واصرَّ على الحلف
 والانتكار. ووافى عقيب ذلك ظهير الدين في العسكر ومن جمعه من الوجالة وزحف الى
 بعلبك مقابلًا لها ونصب عليها المناجيق وشرع في عمل آلة الحرب والنقوب لقصد الاماكن
 المستضعفة منها لانتهاز الفرصة فيها (91^٣) وتراعى اليه من احداث اهلها واجنادها
 جماعة احسن اليهم وخلع عليهم وزحف الى سورها وقَاتِل من عليه فقتل جماعة منهم
 فحين شاهدوا الجدَّ في القتال والصبر على التزال جنحوا الى الدخول في الطاعة والتسليم

الحادم الاقالة وبذل تسليم البلد والحصن على شرط اشتراطه واقطاع عينه وطلب بعض المتقدمين للحديث معه والتوفيق لنفسه فنقذ اليه الامير بليتاش لحله من الدولة فتقررت الحال على ما اقترحه وسلم البلد والحصن الذي هو غاية في المنعة والحصانة ومن العجائب والقلاع المشهورة وخرج اليه وجرى على عادته الجميلة في الصلح عمن اساء اليه واظهر العصيان عليه وعرضه عن بعلبك حصن صرخد وهو مشهور بالحصانة والمنعة ايضاً (١) وعاد اليه ما كان قبض عنه من ملك واقطاع (وعاد) الى دمشق . وسلم ظهير الدين اتابك بعلبك الى ولده تاج الملوك بُوري فرتب فيها من ثقات اصحابه من اعتمد عليه في حفظها وقرر احوالها وكانت مدة المقام في منازلها خمسة وثلاثين يوماً وتسلمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٠٣ هـ وامر ظهير الدين بازالة حوادث الظلم عن اهل بعلبك وتسوية بعض خراج اهلها واعاد عليهم املاكاً كانت قد اغتصبت في قديم الزمان وكثر له الدعاء وتواصل عليه الثناء وعاد منكفياً الى دمشق . وورد عليه الخبر بعود السلطان من بغداد الى اصفهان في شوال من السنة

وورد الخبر بوفاة الامير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة فيها مذكوراً بالظلم في اهلها وكان جماعة من اهلها قد خلوا عنها لاجله المستر عليهم واساءته اليهم فسرت النفوس بفقده وأمل من بعده الصلاح وقام مقامه ولده (٢) فكان اصلح منه سريرة واحسن طريقة

وفي هذه السنة خرج طنكري من انطاكية في حشده ولفيفه المخدول الى الثغور الشامية فملك طرسوس وما والاها واخرج صاحب ملك الروم منها وعاد الى انطاكية ثم خرج الى شيزر وقرر عليها عشرة الاف دينار مقاطعة تحمّل اليه بعد ان عاث في عملها ونزل على حصن (91٢) الاكراد فتسلمه من اهله وتوجه الى عرقة وكان الملك بغدادين وابن صنجيل قد تزلوا على ثغر بيروت برأ وبجراً فعاد طنكري الى انطاكية وسار جوسلين صاحب تل باشر الى ثغر بيروت لمعاونة النازلين عليه من الافرنج ويستعجد بهم على عسكر الامير مودود (٣) النازلين على الرها . وشرع الافرنج في عمل البرج ونصبه على

(١) قال سبط ابن الجوزي . ان في سنة ٤٦٦ بنى حسان بن مسمار الكلبي قلعة صرخد وكتب على بابها : امر بعمارة هذا الحصن المبارك الامير الاجل مقدم امراء العرب عز الدين فخر الدولة مدة امير المؤمنين . يعني المستنصر لانه كان في خدمته وذكر اسمه ونسبه (٢) وهو سعد الدولة ايكلي قد تقدم ذكره (٣) قال سبط ابن الجوزي : انه كان قد طرد جاولي عن الموصل وملك الجزيرة باسم السلطان

سور يبروت فحين نجز وزحفوا به كُسر بحجارة المناجيق وأُفسد فشرعوا في عمل غيره وعمل ابن صنجيل برجا آخر ووصل في الوقت من اصطول مصر في البحر تسعة عشر مركبا حرية فظهروا على مراكب الافرنج وملكوا بعضها ودخلوا بالميرة الى يبروت فقويت بها قوس من فيها من الرعية . وانفذ الملك بغدوين الى السويدية يستنجس بمن فيها من الجنوية في مراكبهم فوصل منها الى يبروت اربعون مركبا مشحنة بالمقاتلة فزحف الافرنج في البر والبحر اليها باسرههم في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال ونصبوا على السور برجين اشتدوا في القتال فقتل مقدم الاصطول المصري وخلق كثير من المسلمين ولم يروا الافرنج من ما تقدم وتأخر اشد من حرب هذا . وانخذل الناس في البلد وايقنوا بالهلاك فهجم الافرنج على البلد اخر نهار هذا اليوم فلكوه بالسيف قهرا وغلبة وهرب الوالي الذي كان فيه في جماعة من اصحابه وحمل الى الافرنج فقتل ومن كان معه وغنموا ما كان استصحبه من المال ونهب البلد وسبي من كان فيه وأسر واستصفت اموالهم وذخائرهم . ووصل عقيب ذلك من مصر ثلثانة فارس نجدة ليبروت فحين حصلوا بالاردن خرجت عليهم فرقة من الافرنج يسيرة العدد فانهزموا منهم الى الجبال فهلك منهم جماعة . فلما تقرر امر يبروت رحل الملك بغدوين في الافرنج وتزل على ثغر صيدا وراسل اهله يلتمس منهم تسليمه فاستمهلوه مدة عيئوها فاجابهم الى المهلة بعد ان قرر عليهم ستة الاف دينار تحمل اليه مقاطعة وكانت قبل ذلك الف دينار ورحل عنها الى بيت المقدس للحج

وفي هذه السنة وردت الاخبار بظهور الكُرج على بلاد كنجة (92^ق) وما قاربها واكثروا الميث والفساد في نواحيها وانتهى الخبر بذلك الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه فانهض اليهم عسكريا وافر العدد فواقع بهم وشردهم وعن الفساد والميث ابعدهم بالفتك فيهم وطردهم ودوخ بلادهم واخرب اعمالهم فامن اهل بلاد كنجة من شرهم وقامت الهبة باهلاكهم وعاد العسكر السلطاني ظافرا غانما

وفي هذه السنة وردت الاخبار بظهور قوم كافر نزل على من صادفوه في الاعمال ووصلوا الى جيحون فافسدوا تلك الاعمال واعاثوا فيها واتصل الخبر بالسلطان المعظم الي الحرث سنجر بن ملك شاه سلطان خراسان فانهض اليهم اميرا كبيرا من مقدمي عساكر خراسان في عدد دثر من الاتراك فظفر بهم وكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا عائدين خاسرين مغلولين .

وفي ثامن من ذي القعدة من السنة ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبة واقام الى اخروذي الحجة ثم غاب. وفيها كاتب السلطان غياث الدين والدين الامير سكران القطبي صاحب ارمينية ومياقارقين وشرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالسير في العساكر الى جهاد الافرنج وحماية بلاد الموصل فجمعا واحتشدا ونهضا وتولا بجزيرة بني نمير الى ان تكامل وصول ولادة الاطراف اليهما وخلق كثير من المتطوعة ووصل اليهما ايضا الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في خلق كثير من التركان واجتمع المسلمون في عدد لا يقوم بقتاله جميع الافرنج. واتفقت الاراء على افتتاح الجهاد بقصد الرها ومضايقتها الى ان يسئل الله افتتاحها بحكم حصانتها ومنعتها. فرحلوا باسراهم وتولوا عليها في العشر الثاني من شوال واحاطوا بها من جهاتها كالتطاق ومنعوا الداخل والخارج بالسير اليها وكان القوت بها قليلا فاشرف من بها على الهلاك وغلبها السحر وطالت مدة الحصر لها والتضييق عليها. وحين عرف الافرنج صورة هذه الحال شرعوا في الجمع والاحتشاد والتأهب للذب عنها والاستعداد واتفقت الكلمة بينهم على هذه الحال واجتمع (٩٢) طنكري صاحب انطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس والملك بزدوين مقدمو ولادة الاعمال من الافرنج وتعاقدوا وتعاقدوا على الثبات في الحرب والمصاهرة واللباث. فلما استقرت الاحوال بينهم على البينة رحلوا باسراهم الى ناحية الرها. واتصلت الاخبار بظهير الدين اتابك وعرف صورة الحال فها تقرر بينهم فساد من دمشق في العسكر وخيم على سلبية وعرف ان الافرنج قد قصدوا في طريقهم رمنية وفيها الامير شمس الخواص واليها وانهم لما تولوا عليها ظهر اليهم في خيله وقتل منهم جماعة ووصل الى الحميم بسلبية واجتمع اليه خلق كثير من الشام ووصل الخبر بحصول الافرنج على الثورات عازمين على قطعه (قصد) الرها فرحل اتابك في الحال وتوجه الى ناحية الرقة وقلعة جبر وقطع الثورات وتلوم هناك الى ان عرف خبر الافرنج وانهم قد احجموا عن العبور لتفرق سرايا العساكر الاسلامية وطلانهم في سائر الجهات والمسالك الى القرات

ولما عرف المسلمون قرب الافرنج منهم اتفقت الاراء فيما بينهم على الافراج لهم ليتمكنوا من قائلهم في القضاء من شرقي القرات ورحلوا عن الرها في اخروذي الحجة منها وتولوا ارض حران على سبيل الخديعة والمكر وكانت حران قد حصلت للامير مودود منها الى نجم الدين ايل غازي بن ارتق. وتفرق المسلمون عن لقاء الافرنج

الى ان يقربوا منهم ويصل اليهم عسكر دمشق وفطن الافرنج لهذا التدبير والاتفاق عليه فخافوا واستشعروا الهلاك والخذلان واجفلوا ناكسين على الاعقاب الى شاطئ الفرات وبلغ المسلمين خبرهم فنهضوا في اثرهم وادركهم سرعات الخيل وقد قطع الفرات بعضهم من مقدميهم فغنم المسلمون سوادهم واثقالهم واتوا على العدد الدثر من اتباعهم قتلاً واسراً وتكريماً في الفرات وامتلأت الايدي من الغنائم والاسلاب والسبي والدواب . ولم يتمكن المسلمون من قطع الفرات للحاق بهم بحكم اشتغالهم بامر الرها والعود اليها وكانوا قد اخرجوا منها كل ضعيف الحال ورتبوا جماعة من الارمن لحفظها وحملوا اليها ما صعب العسكر الواصل من الاقوات تقوية لها وخرج بغدوين الرؤيس (٩٣٢) صاحبها عنها وتوجه صجبة الافرنج المنهزمين . واقام عسكر الاسلام على الفرات اياماً نازلاً بازائهم ورحل طالباً للعود الى منازلة الرها وعرف ظهير الدين اتابك خبر عودهم على تالك الصفة فعاد منكفياً الى عمله لحمايته منهم بعد ان نفذ شطراً وافراً من معسكره الى النازلين على الرها لموتهم ووصل الى دمشق واقام من كان انهضه من عسكره الى الرها الى ان خلت البلاد منها وأذن لهم في العود الى اماكنهم بعد اكرامهم والاحسان اليهم

. وترددت بين اتابك ظهير الدين وبين الامير شرف الدين مودود مراسلات افضت الى استحكام المودة بينهما واتفاق الكلمة وتأكيده اسباب الألفة فطال مقام عسكر الاسلام على الرها لامتناعها وحصاتها وقل تواصل الميرة الى المخيم وعدم وجودها فدعتهم الحاجة الى العود عنها ففرقوا بعد ان رتبوا من يقيم على حران لحصر الرها . وحدث لنجم الدين ايل غازي ابن ارتق استيحاء من سكان القطبي لامر تجدد بينهما فاجفل من حران الى ماردين فقبض سكان على ابن اخيه بلك وحمله معه الى بلده مقيداً . وبعد تفرق العساكر اسلامية عن الرها عاد اليها بغدوين الرؤيس صاحبها وحصل بها والغارات متواصلة على اطرافها . وقد كان الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب لما عرف هزيمة الافرنج خرج الى اعمال حلب واستعاد ما كان غلب الافرنج عليه منها وغار على عمل انطاكية وغنم منه غنيمة وافرة ولما عرف خبر عودهم عاد الى حلب . ووصل الافرنج عقيب ذلك فافسدوا في عمل حلب وقتلوا واسروا خلقاً كثيراً وعاد طنكري وتزل على الاثارب وماكها بعد طول حصرها والمضايقة لها وذلك في جمادى الآخرة من السنة وأمن اهلها وخرج منها من اراد

الخروج واقام من اثر المقام واستقرت المودعة بعد ذلك بين الملك فخر الملوك رضوان
وبين طنكرى على ان يحمل اليه الملك من مال حلب في كل سنة عشرين الف دينار
مقاطعة عشرة أروثس خيلاً وفكاك الاسرى واستقرت على هذه القضية

وفيها وصل الملك بغدوين صاحب (93^٧) بيت المقدس الى ناحية بعلبك وعزم
على العيث والافساد في ناحية البقاع وترددت المراسلة بينه وبين ظهير الدين اتابك في
هذا المعنى الى ان تقررت المودعة بينهما على ان يكون الثلث من استغلات البقاع
للافرنج والثلثان للمسلمين والذلائخ وكتب بينهما الموصفة بهذا الشرح في صفر من
السنة ورحل عائداً الى عمله وقد فاز بما حصل في يده وايدي عسكره من غنائم بعلبك والبقاع
ووردت الاخبار فيها بوصول بعض ملوك الافرنج في البحر ومعه نيف وستون مركباً
مشحونة بالرجال لقصد الحج والغزو في بلاد الاسلام فقصد بيت المقدس وتوجه اليه
بغدوين واجتمع معه وتقرر بينهما قصد البلاد الاسلامية . فلما عادا من بيت المقدس
تلا على ثغر صيدا في ثالث شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٤ هـ وضايقوه برأ وبجراً . وكان
الاسطول المصري مقيماً على ثغر صور ولم يتمكن من انجاد صيدا فعملوا البرج وزحفوا
به اليها وهو ملبس بحطب الكرم والبسط وجلود البقر الطرية ليمنع من الحجارة والنفط
وكانوا اذا احكموه على هذه الصورة تقاوه على بكر تركب تحته في عدة ايام متفرقة
فاذا كان يوم الحرب وقرب من السور زحفوا به وفيه الماء والحل لظفي النار وآلة الحرب
فلما عاين من بصيدا هذا الامر ضعفت نفوسهم واشفقوا من مثل نوبة بيروت فاخرج
اليها قاضيها وجماعة من شيوخها وطلبوا من بغدوين الامان فاجابهم الى ذلك وامنهم
العسكرية معهم على النفوس والاموال واطلاق من اراد الخروج منها الى دمشق
واستخفوه على ذلك وتوثقوا منه وخرج الوالي والزمام وجميع الاجناد والعسكرية وخلق
كثير من اهل البلد وتوجهوا الى دمشق لعشر بقين من جمادى ٥٠٠ سنة ٥٠٤ وكانت
مدة الحصار سبعة واربعين يوماً . ورتب بغدوين الاحوال بها والحافظين لها وعاد الى بيت
المقدس ثم عاد بعد مدة يسيرة الى صيدا فقرّر على من اقام بها نيفاً وعشرين الف دينار
فاقرهم واستغرق احوالهم وصادر من علم ان له بقية (١) منهم (94^٧)

سنة اربع وخمسة

في سنة السنة وردت الاخبار بان جماعة من التجار المسافرين خرجت من تنيس

ودمياط ومصر ببضائع واموال حجة كانوا قد ضجروا وملأوا طول المقام وتعسّد مسير الاضطول في البحر : حملوا نفوسهم على الخطر واقلعوا في البحر فصادفتهم مراكب الاقربنج فاخذتهم وحصل في ايديهم من الامتعة والمال ما يزيد على مائة الف دينار واسروهم وعاقبهم واشتروا انفسهم بما بقي لهم من الذخائر في دمشق وغيرها

واما بندوقين فانه لا عاد من حيدرا قصد عسقلان وغار عليها وكان واليها المعروف بشمس الخلافة يرأسل بندوقين فاستقرت الحال بينهما على مال يحملة اليه ويرحل عنه ويكف الاذية عن عسقلان وكان شمس الخلافة اذغب في التجارة من المحاربة ومال الى المودة والمسالمة واما السابلة وقرّر على اهل صور سبعة الاف دينار تحمل اليه في مدة سنة وثلاثة شهور وانتهى الخبر بذلك الى الافضل صاحب مصر في شوال فانكر هذه الحال واسرها في نفسه ولم يُبديها لاحد من خاصته وجهاز عسكراً كثيفاً الى عسقلان مع والي يكون مكان شمس الخلافة . فلما قرب من عسقلان وعرف شمس الخلافة ذلك اظهر الخلاف على الافضل وجاهر بالعصيان عليه واخرج من كان عنده من العسكرية خوفاً من تديبرهم عليه من الافضل لما يعلمه من الامور التي انكرها عليه ونقمها منه ومراسله لبندوقين يلتمس منه المصافاة والمودة بالرجال والغلال وان دهمته امرٌ وحزينة خطب سَلَم اليه عسقلان فطلب منه العوض عنها . فلما عرف الافضل ذلك اشفق من تمام هذا الامر فكاتبه بما يطيب نفسه ونالطه واقطعه عسقلان واقر اقطاعه بمصر عليه وازال الاعتراض لشيء من ماله في ديار مصر من خيل وتجارة واثاث وخاف شمس الخلافة من اهل البلد فاستدعى جماعة من الارمن . فاثبتهم (١) في عسقلان ولم يزل على هذه الحال الى اخر سنة ٥٠٢ . فانكر امره اهل البلد ووثب عليه قوم من كتامة وهو رآكب فجرحوه وانهمزم الى داره فتبعوه واجهزوا عليه ونهبوا داره وماله وتخطفوا بعض دور (94^٧) الشهود والعامّة وانتهى الخبر الى صاحب السيادة فبادر الى البلد فاطاع امره من به وانفذوا رأسه الى الافضل الى مصر وانهموا جليلة حاله فحسن موضع ذلك منه وموقعه واحسن الى الواردين بهذه البشري ثم تقدم بمطالبة القوم القاتلين بما نهبوه من داره واستولوا عليه من ماله ومال اهل البلد واعتقالهم وقبض جماعة من اهل البلد وحملهم الى مصر ولما وصلوا اعتقلوا فيها

وفي هذه السنة هبت بمصر واعمالها ريح سوداء وطلع سحاب اسود اخذ بالانفاس

واظلمت منه الدنيا حتى لم يبصر احدٌ يدهُ والريح تسقي الرمل في مُقل الناس ووجوههم حتى يئسوا من الحياة وايقنوا بالبوار بهول ما عاينوه والخوف مما ترل بهم ولا تجلّى ذلك السواد عاد الى الصفرة والريح بحالها ثم انجلت الصفرة وظهرت للناس الكواكب وظنّ اهل تلك الاعمال بان القيامة قد قامت وخرج الناس من منازلهم واسواقهم الى الصحراء وركدت الريح واقلع السحاب وعاد الناس الى منازلهم سالمين من الاذى وكانت مدّة هذه الشدة منذ صلاة العصر الى صلاة المغرب

وفيها وصل السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه من همدان الى بغداد في جمادى الاولى منها ووردت الكتب والرسل اليه من الشام بانتهاء الحال وما جرى من الافرنج بعد عودهم عن الفرات ونوبة صيدا والاثارب واعمال حلب. ولما كان اول جمعة من شعبان حضر رجل من الاشراف الهاشمين من اهل حلب وجماعة من الصوفيّة والتجار والفقهاء الى جامع السلطان ببغداد فاستغاثوا واتلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا وبكوا لما لحق الاسلام من الافرنج وقتل الرجال وسي النساء والاطفال ومنعوا الناس من الصلاة والخدم والمقدمون يعدونهم عن السلطان بما يُسكنهم من انقاذ العساكر والانتصار للاسلام من الافرنج والكُفّار وعادوا في الجمعة الثانية المصير الى جامع الخليفة وفعلوا مثل ذلك من كثرة البكاء والضجيج والاستغاثة والنحيب. ووصلت عقيب ذلك الخاتون السيدة اخت السلطان زوجة الخليفة الى بغداد من اصفهان ومعها من التجمل والجواهر والاموال والآلات واصناف المراكب والدواب والاثاث (95) وانواع الملابس الفاخرة والخدم والغلمان والجوار والحواشي ما لا يدركه خزر فيحصر ولا عدّ فيذكر واتفقت هذه الاستغاثة فتكدر ما كان صافياً من الحال والسرور بمقدمها. وانكر الخليفة المستظهر بالله امير المؤمنين ما جرى وعزم على طلب من كان الاصل والسبب ليوقع به المكروه فنعه السلطان من ذلك وعذر الناس فيما فعلوه واوعز الى الامراء والمقدمين بالعود الى اعمالهم والتأهب للسير الى جهاد اعداء الله الكُفّار وفي جمادى الاخرة منها وصل رسول مملّك الروم بهدايا وتُحف ومُراسلات مضمونها البعث على قصد الافرنج والايقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الاعمال وترك التراخي في امرهم واستعمال الجِد والاجتهاد في الفتك بهم قبل اعضاء خطبهم واستفحال شرهم ويقول انه قد منعهم من العبور الى بلاد المسلمين وحاربهم فان طمعوا فيها بحيث تتواصل عساكرهم وامدادهم الى البلاد الاسلامية احتاج الى

مداراتهم واطلاق عبورهم ومساعدتهم على مقاصدهم واغراضهم للضرورات القائدة الى ذلك ويبالغ في الحث والتحريض على الاجتماع على حربهم وقلعهم من هذه الديار بالاتفاق عليهم

وفي هذه السنة تقضى الملك بغدوين صاحب بيت المقدس الهدنة المستقرة بين اتابك وبينه وكتب الى ابن صنجيل صاحب طرابلس يلتبس منه الوصول اليه في عسكره ليجتمع معه في طبرية وجمع وحشد ورحل الى ناحية بيت المقدس لتقرير امره كان في نفسه حدث له في طريقه مرض اقام به اياماً ثم ابل منه ولم يبق في عينه منهم امرٌ يحفل به من جهتهم . فنهض ظهير الدين اتابك عند معرفته قصده في عسكره ونزل في المنزل المعروف برأس الماء ثم رحل عنه الى اللجاة ونهض الافرنج في اثره الى الصنمين ففرق اتابك العسكر عليهم من عدة جهات وبث في المعابر والمسالك خيلاً يمنع من حمل الميرة اليهم وضايقتهم مضايقة الجأتهم الى الدخول في حكم المسالمة والموادعة وترددت المراسلات في ذلك (95^٢) الى ان استقرت الحال بينهما على ان يكون لبغدوين النصف من ارتفاع جبل عوف والسواد والجبانية مضافاً الى ما في يده ومن هذه الاعمال التي يليها في ايدي العرب من آل جراح وكوتب بينهما هذا الشرط ورحل كل منهما منكفئاً الى عمله في اخر ذي الحجة منها . وقد كان الامر تقزّر مع السلطان غياث الدنيا والدين على انهض العساكر عقيب تلك الاستغاثة المقدم شرحها ببغداد والتقدم الى الامراء بالتأهب للمسير الى الجهاد فتأهبوا لذلك وكان اوّل من نهض منهم الى اعمال الافرنج الامير الاسفهلار شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره الى سنجتان فافتتح تل مراد وعدة حصون هناك بالسيف والامان ووصل اليه الامير احمديل في عسكر كثيف الجمع وكذلك تلاه الامير قطب الدين سكمان القطبي من بلاد ارمينية وديار بكر فاجتمعوا في ارض حران وكتب اليهم سلطان بن علي بن منقذ صاحب شيزر يعلمهم نزول طنكري صاحب انطاكية ارض شيزر وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر وحمل الغلال اليه ويستصرخهم ويبعثهم على الوصول الى جهته . فحين عرفوا ذلك رحلوا الى الشام وقطعوا الفرات في النصف من المحرم سنة ٥٠٥ وناولوا على تل باشر في التاسع عشر من المحرم واقاموا عليه منتظرين وصول الامير برسق بن برسق صاحب همدان وكان قد أمر من السلطان بالتقدم عليهم فوصل اليهم في بعض عسكره وبه مرض من علة النقرس وسكمان القطبي ايضاً مريض والاراء

بينهما مختلفة وقاتل المطوعة والسوقة هذا الحصن وقبوه ، فانفذ جوسلين صاحب تل
باشر الى الامير احمديل الكردي يلاطفه بما له وهديّة ويبذل له الكون معه والميل اليه
وكان اكثر العسكر مع احمديل وسأله الرجيل عن الحصن وينزل اليه فاجابه الى ذلك
على كراهية من باقي الامراء واشتدّ مرض سكران القطني وعزم احمديل على العود طمعا
منه في ان السلطان يقطع له بلاد سكران وكان قد عقد بينهما وصلة وصهر فعادوا عن
تلّ باشر الى حلب وتزلوا عليها وعاثوا في اعمالها وفعلوا اقبح من فعل الاقربج في الفساد
وتوقعوا خروج (٩٦٣) الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب اليهم او خدمه ينفذها
لهم فلم يلتفت الى احد منهم واغلق ابواب حلب واخذ رهاين اهلها الى القلعة ورّتب
الجند واحداث الباطنية والطائعين لحفظ الاسوار ومنع الحلبيين من الصعود الى السور
واطلق الحرامية في اخذ من يظفرون به من اطراف العسكر . وقد كان ظهير الدين
اتابك عند اجتماع هؤلاء الامراء وعبروهم الفرات قد كاتبوه بالوصول اليهم وردّ التديير
فما يعتدّون عليه اليه ووصل اليه كتاب السلطان بمثل هذه الحال فاقضت الصورة
وصائب الرأي ان ينهض في العسكر نحوهم للاعتضاد على الجهاد وتقوية النفوس على
حماية هذه البلاد من اهل الشرك والاحاد وجمع من امكنه من رجال حمص وحماة
ورفنية وسائر المعقل الشامية وسار اليهم ووصلهم على ظاهر حلب فتلقوه بالابكرام
والمزيد في الاحترام وقويت بوصوله النفوس واشتدّت الظهور وسرّوا بمجصوله عندهم
سرورا اظهر منهم وشاع عنهم فلم ير منهم عزيمة صادقة في جهاد ولا حماية بلاد
واما سكران القطني فان المرض اشتدّ به واشفي منه ففصل عنهم وعاد الى بلده
وورد الخبر بوفاة في طريقه قبل وصوله الفرات (١) . وامّا برسق بن برسق . فانه كان

(١) وامّا الامير سكران صاحب اخلاط . قال الفارقي في تاريخه : انه في الخميس العشرين من
جمادى الاولى سنة ٥٠٢ تزل الى ميفارقين وحاصرها وكان تشرين الاول من السنة وضائقها
وكانت شتوة صعبة وبقي يحاصرها مدّة سبعة اشهر ثم سلّمها اليه اتابك خمرناش بعد ذلك في شوال
سنة ٥٠٢ ودخلها وكان معه جميع امراء ديار بكر وخلع عليهم وتفرّقوا عنه . ولقد احسن الى
اهل ميفارقين وازال عنهم الكلف واسقط منهم الاعشار والمؤن والاقساط ودار الضرب وما كان
جدّده المحتسب واتابك واتخذوه من الرسوم وحطّ عن الناس اشياء كثيرة واطلق الحشري
للسور واجرى الناس على املاكهم وخفّف عنهم من الخراج وازال عنهم جميع اسباب الظلم . وتزل
في القصر واليا مملوكه غزغلي وسلّم البلد الى خواجا اتير الدولة ابي الفتح وبقي الناس معه على
كل خير .

يحمل في اللحفة ولا يتكّن من فعل ولا قول . اما احمديل فان عزمه قوي على العود بسبب بلاد سكرمان وطبعه في اقتطاعها من السلطان فاستجرتهم ظهير الدين اتابك الى الشام فرحلوا في اخر صفر وتزلوا معرة النعمان فاقاموا على ذلك المنهاج الاول وامتار

وقال ايضا ان في سنة ٥٠٤ نزل الامير سكرمان الى مياقارقين وقصد الرها ومعه عساكر عظيمة قات هناك ووصل تابوته الى مياقارقين ونُحِل الى اخلاط ودُفِن بها . وقال ايضا ان في سنة ٥٠٦ وصلت الخاتون زوجة الامير سكرمان وولده الامير ابراهيم الى مياقارقين وعُزل قزلي عن الولاية وولي السيد ابو سعد الحويلي الوزارة وولي مياقارقين اخوه ابو منصور المتين واستقر متوليا . وفي سنة ٥٠٧ عصي المعين بمياقارقين وبقي مدة متحكما في البلد . وفي اخر سنة ٥٠٨ وصل قراجا الساقى مملوك السلطان محمد الى باب مياقارقين وتزل على الروابي وبقي مدة والمعين متولي البلد وهو لا يظهر الا انه عابر وهو ينتظر من يلحقه من اصحابه ولا يرسل المعين ولا يكلمه واخرج له المعين الاقامة والضيافة وكان كل يوم يركب الى الصيد ويعبر على باب البلد . فبعد ذات يوم كعادته على باب المدينة بباب الحوش وهجم على الباب وقطع بسيف كان يده السلسلة ودخل فوثب اليه بعض الحراسية فجذب سيفه وصاح فيه الامير . فدخل الى داخل البلد ومعه جماعة فوقف داخل الباب . فوثب الى بين يديه رجل حداد ومشى بين يديه الى باب القصر فوقعت الصيحة وغلقت باب القصر واجتمع الناس وبقوا ساعة ففتح المعين باب القصر ودخل عز الدين قراجا الى مياقارقين في اخر سنة ٥٠٨ وتزل المعين الى دار المعجمية وملك قراجا البلد ودخل اصحابه ورحله وثقله وزوجته وكانت جارية للسلطان محمد وكان معها ابنة السلطان تسمى فاطمة خاتون صغيرة وهي التي تزوجها الخليفة المقتفي في سنة ٥٣٤ ولقد حضرت لما دخلت اليه الى دار الخلافة في سنة ٥٣٤ ببغداد . وبقي قراجا ثلثة ايام واستوزر المعين وخلع عليه ورد الامور كلها اليه ثم ان السلطان نفذ طلبه واستدعاه فضى اليه واعطاه ولاية فارس وشيراز والمعين معه وزيره . فنفذ السلطان واليا اسمه الرزيكي فدخل مياقارقين في سنة ٥٠٩ . وفي ولايته تطاولت الايدي على مياقارقين وبلدها واخذوا منه من كل جانب وخرب اكثره وكان قد اخذ منه في ولاية اتابك خرتاش مواضع كثيرة فاخذ منه الامير سكرمان بن ارتقى بلد خزة لحصن كيفا من قاطع شط سائدا الى باب الشب الى شط ارن مقدار مائة ضيعة واخذ لماردين نجم الدين ايلغازي بلد المناضلة من قاطع دجلة الى جبل الصور مقدار ثمانين ضيعة واخذ الامير فخر الدولة ابراهيم صاحب آمد مقدار ثلثين ضيعة من شرقي خر الحو واخذ الامير شاروخ صاحب حائي رأس الخير الاعلى واخذ الامير احمد صاحب ابن مروان (وهو ابن الامير نظام الدين) بلد المخلنج واخذت السنانة مقدار ثلثين قرية من عاد الجوز (ذات الجوز) وما حوله داخل رأس السلسلة واخذ حسام الدولة صاحب ارن خمس وعشرين قرية من بين النهرين وكان ذلك لاختلاف الولاة وتغير الدول . وقال ايضا ان في سنة ٥١٢ نفذ السلطان الى الرزيكي رسولا يأمره ان يسلم مياقارقين الى نجم الدين ايلغازي فحضر وسلمها اليه وملكها وخرج الرزيكي وتزل على الروابي واقام ثلثة ايام قلما كان اليوم الرابع وصله رسول من السلطان يأمره ان لا يسلم فوجد الامر قد فات واستقر نجم الدين بمياقارقين واظهر العدل والانصاف والاحسان الى الناس

العسكر من عملها ما كفاهم وقصروا عن حملة من العلوفاة والاقوات وظهر لظهر الدين من سوء نيّة المقدمين فيه ما اوحشه منهم ونقر قلبه من المقام بينهم وذكر له ان الملك فخر الملوك رضوان راسل بعض الامراء في العمل عليه والايقاع به فاتفق مع الامير شرف الدين مودود وتأكدت المصافاة والمعاهدة بينهما وحمل الى بقية الامراء ما كان صعبه من الهدايا لهم والتخف والحصن العربية السبق والاعلاق المصرية (96) وقوبل ذلك منه بالاستكثار له والاستطراف والشكر والاعتراف ووفى له مودود بما بذله وثبت على المودة وجعل اتابك يحرضهم على قصد طرابلس ويعدهم حمل ما يحتاجون اليه من المير من دمشق وعملها وان ادركهم الشتاء ازلهم في بلاده فلم يفعلوا وتفرقوا ايدي سبا وعاد برسق بن برسق واحمدل وتبعوا عسكر سكرمان القطبي وتحلف منهم الامير مودود مع اتابك فرحلا عن المعرة ونزلا على العاصي

ولما عرف الافرنج رحيل العساكر وتفرقهم اجتمعوا ونزلوا اقامية باسرههم بغدوين وطنكري وابن صنجيل بعد التباين والمنافرة والحلف وصاروا يدا واحدة وكلمة متفقة على الاسلام واهله وساروا لقصدتهم فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه وجماعته واجتمع مع اتابك ومودود وحرّضها على الجهاد وهون عليهما امر الافرنج فرحلوا وقطعوا العاصي ونزلوا في قبلي شيزر وصار سوق العسكر في سوق شيزر ونزل عسكر مودود حول شيزر وبالح ابن منقذ وجماعته في الخدمة والمواصلة بالميرة واصعد اتابك ومودود وخوآصهما الى حصن شيزر وباشر خدمتهما بنفسه واسرته ونزل الافرنج شمالي قل ابن معشر ودبر امر العسكر احسن تدبير وثبت الخيل من جميع جهاتهم تطرق حولهم وتجول عليهم وتمنع من الوصول اليهم وضيقوا عليها وجلّوهم عن الماء وذادوهم عن العاصي لكثرة الرماة على شطوطه وجوانبه من قبله فما يذنو منه من الافرنج شخص الا وقد قتل وطمع الاتراك فيهم وسهل امرهم عليهم وكانت خيل المسلمين مثل خيل الافرنج الا ان راجلهم اكثر وزحف الاتراك اليهم فقتلوا للحرب عن قل كانوا عليه فهجمت الاتراك عليهم من غريبهم ونهبوا جانباً من عسكرهم وملكوا عدة من خيامهم واثقالهم وجالوا حولهم فعادوا الى مكانهم الذي كانوا به ورجعوا منه وذلك في شهر ربيع الاول واشتد خوف الافرنج من الاتراك واقاموا ثلاثة ايام لا يظهر احد منهم ولا يصل اليهم شخص وعاد المسلمون لصلاة الجمعة في جامع شيزر فرحل الافرنج الى اقامية ولم يزلوا فيها بل تعدّوها وتبهم المسلمون عند معرفة (97) رحيلهم وتحطفوا

اطرافهم ومن ظفروا به سائرًا على اثارهم وعادوا الى شيزر ورحلوا الى حماسة واستبشر
الناس بعود الافرنج على هذه الحال

سنة خمس وخمسة

واستحكمت المودة بين ظهير الدين اتابك وبين الامير مردود. وفي هذه السنة
جمع بغدوين الملك من امكنة جمعة من الافرنج وقصد ثغر صور فبادر عز الملك واليه
واهل البلد بمراصة ظهير الدين اتابك بدمشق يستصرخون به ويبتجدونه ويبذلون
تسليم البلد اليه ويثمنونه المبادرة والتعجيل بانفاذ عدة وافرة من الاتراك تصل اليهم
سرعة لموتهم وتقويتهم وان تأخرت المعونة عنهم قادتهم الضرورة الى تسليمه الى
الافرنج لياسهم من نصرة الافضل صاحب مصر فبادر اتابك بانفاذ جماعة وافرة من
الاتراك بالعدد الكاملة تريد على المائتين فرسانا رماة ابطالًا فوصلت اليهم واتت اهل
صور رجالة كثيرة من صور وجبل عاملة رغبوا في ذلك مع رجالة من دمشق وصلوا
اليهم وحصلوا عندهم وشرع اتابك في انفاذه عدة اخرى. فحين عرف بغدوين ما تقرر
بين اتابك واهل صور بادر التزول عليها فيمن جمعه وحشده في اليوم الخامس وعشرين
من جمادى الاولى سنة ٥٠٥ هـ وتقدم بقطع الشجر والنخل وبني بيوت الإقامة عليها
وزحف اليها فقاتلها عدة دفعات ويعود خاسرًا لم ينل منها غرضًا وقيل ان اهل صور
رشقوا في بعض ايام مقاتلتها في يوم واحد بعشرين الف سهم

وخرج ظهير الدين من دمشق حين عرف نزولهم على صور وخيم بانياس وبث
سراياه ورجالة الحرامية في اعمال الافرنج واطلق لهم النهب والقتل والسلب والارهاب
والحرق طلبًا لازعاجهم وترحيلهم عنها فتدخل العدة الثانية الى صور فلم يتمكن من
الدخول. رهن ظهير الدين الى الحليس الذي في السواد وهو حصن منيع لا يرام
فشد القتال عليه وملكه بالسيف قهرًا وقتل من كان فيه قسرًا وشرع الافرنج في
عمل برجي خشب للزحف بهما الى سور صور وزحف ظهير الدين اليهم عدة دفعات
ليشغلهم بحيث يخرج (97٢) عسكر صور فيحرق البرجين وعرف الافرنج قصده في
ذلك وخندقوا عليهم من جميع الجهات ورتبوا على الخندق الرجال بالسلاح لحفظه
وحفظ الابراج ولم يحفلوا بما يفعل وما يجري على اعمالهم من الغارات عليها والفتك بن
فيها. ومجى الشتاء فلم يضر بالافرنج لانهم كانوا تزولوا في ارض رمة صلبة والاتراك

بالضد من ذلك قد كابدوا من مقامهم شدة عظيمة ومشقة مؤلمة ألا أنهم لا يخلون من غارة وفائدة وقطع ميرة عن الافرنج ومادة وأخذ ما يحمل اليهم وقطع الاتراك الجسر الذي كان يعبر عليه الى صيدا ليقطع المادة ايضاً عنها فعدلوا عند ذلك الى استدعاء الميرة في البحر من جميع الجهات فظن ظهير الدين لذلك ونهض في فريق من العسكر الى ناحية صيدا وغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق تقدير عشرين مركباً على الشط وهو مع ذلك لا يهمل اصدار الكتب الى اهل صور بتقوية قلوبهم وتحريضهم على استعمال المصاهرة للافرنج والجد في قتالهم وتم عمل البرجين وكباشهما التي تكون فيهما في تقدير خمسة وسبعين يوماً وشرع في تقديمها والزحف بهما في عاشر شعبان وقرباً من سور البلد واشتد القتال عليهما وكان طول البرج الصغير منهما نيفاً واربعين ذراعاً والكبير يزيد على الخمسين ذراعاً. ولما كان اول شهر رمضان خرج اهل صور من الابراج بالنفط والخطب والقطران وآلة الحرق فلم يتمكنوا من الوصول الى شيء منها فالتقوا النار قريباً من البرج الصغير بحيث لم يتمكن الافرنج من دفعها فهبت ريح والقت النار على البرج الصغير فاحترق بعد المحاربة الشديدة عليه والمكافحة العظيمة عنه ونهب منه زرديات كثيرة وطوارق وغير ذلك واتصلت النار بالبرج الكبير. واتصل الخبر بالمسلمين بان الافرنج قد هجروا حربة البلد للاشتغال بجريق البرج وانشوا عن المقاتلة على الابراج وشد الافرنج عليهم وكشفوهم عن البرج واطفأوا ما علق به من النار ورثبوا عدة وافرة من ابطالهم لحفظ البرج والمنجنيقات من جميع الجهات (98) وواظبوا الزحف اليها الى اخر شهر رمضان وقربوا البرج الى بعض ابراج البلد وطمأوا الثلاثة الخنادق التي امامه وعمد اهل البلد الى تعليق حائط البرج الذي بازاء برج الافرنج واطلقوا النار فيه فاحترق التعليق وسقط وجه الحائط في وجه البرج فمنع من تقديمه الى السور والزحف به وصار الموضع الذي قصدوه قصيراً وابراج البلد تحكم عليه وبطل تقديمه من ذلك الوجه وكشف الافرنج الردم وجروه الى برج اخر من ابراج البلد ودفعوه اليه وقربوه من سور البلد وصدروا بالكباش التي فيه السور فزعزعوه ووقع منه شيء من الحجارة واشرف اهل البلد على الهلاك. فعمد رجل من مقدمي البحرية عارف بالصناعة من اهل طرابلس له فهم ومعرفة باحوال الحرب الى عمل كلاليب حديد لمسك الكبش اذا نطح به السور من رأسه ومن جانبه بجبال يجذبها الرجال حتى يكاد البرج الخشب يميل من شدة جذبهم

بها فتارةً تكسره الافرنج خوفاً من البرج وتارةً يميلُ او يفسدُ وتارةً ينكسرُ بصخرتين مُتَلَقِيَانِ عليه من البلد مشدودة احدهما الى الاخرى فعملوا عدةً من الكباش وهي تُكسّر على هذه الصفة واحداً بعد واحدٍ وكان طول كل واحد منها ستين ذراعاً مُعلّقاً في البرج الحشَب بجمال في رأس كل واحد من الكباش حديد يزيد وزنه على عشرين رطلاً. فلَمَّا طال تجديد الكباش وقربوا البرج من السور عمد هذا الرجل البحري المقدم ذكره الى خشبة طويلة جافية قوية اقامها في برج البلد الذي بازاء برج الافرنج وفي رأسها خشبة على شكل الصليب طولها اربعون ذراعاً تدور على بكرٍ بلولب كيف ما اراد مُتَوَلِّئها على مثال ما يكون في الصواري البحرية وفي طرف الخشبة التي تدور سهم حديد وفي طرفها الاخر حبالٌ مدارةٌ بها على ما يريد متوَلِّئها وكان يرفع فيها جوار الكدَر والنجاسة ليشغلهم بطرح ذلك عليهم في البرج عن الكباش. وضاق الامر بالناس وشغلهم ذلك عن امورهم واشغالهم وعمد البحري المذكور الى سلال العنب والقفاف فيجعل فيها الزيت والقيِر (98^٦) والسراقة والقلفونية وقشر القصب ويطلق فيها النار فاذا علقت بذلك وقع ذلك في الآلة المذكورة حتى يوازي برج الافرنج فتقع النار في اعلى البرج فيبادروا باطفائها بالخلّ والماء فيبادر برفع اخرى ومع هذا يرمي ايضاً بالزيت المغلي في قدورٍ صغار على البرج فيعظم الوقيد. فلَمَّا كثرت النار وحمل بعضها بعضاً وقويت قهرت الرجلين المتولين لرأس البرج وقتل احدهما وانهزم الاخر ونزل منه فتسكّنت النار من رأسه ونزلت الى الطبقة الثانية من رأسه ثم الى الوسطى وعملت في الحشَب وقهرت من كان حوله في الطبقات وعجزوا عن اطفائها وهرب كل من فيه وحوله من الافرنج وخرج اهل صور اليه فنهبوا ما فيه وغنموا من السلاح والآلات والعدد ما لا يحده وصف

فعند ذلك وقع يأس الافرنج منه وشرعوا في الرحيل عنه واحرقوا البيوت التي كانوا قد عمروها في المنزل لسكنائهم واحرقوا كثيراً من المراكب التي كانت لهم على الساحل لانهم كانوا اخذوا صواريخها وارجلها وآلاتها للابراج وكانت عدتهم تقدير مائتي مركب كباراً وصغاراً منها تقدير ثلثين مركباً حربية وحملوا في بعضها ما خف من اثقالهم ورحلوا في العاشر من شوال من السنة وكانت مدة اقامتهم على محاصرة صور اربعة اشهر ونصف شهر وقصدوا عكا وتفرّقوا الى اعمالهم. وخرج اهل صور وغنموا ما ظفروا به منهم وعادت الاتراك المتدبرون لاسعادهم الى دمشق وقد فقد منهم في

الحرب نحو عشرين رجلاً وكان لهم فيها الجراية والواجب في كل شهر . ولم يتم على برج من أبراج الأفرنج في القديم والحديث مثل ما تم على هذا البرج من احراقه من رأسه الى اسفله والذي اعان على هذا هو تساوي البرجين في الارتفاع ولو طال احدهما على الآخر لهلك اقصرهما . وكان عدد المفقودين من اهل صور اربعمئة نفس ومن الأفرنج في الحرب ايضاً على ما حكى الحاكمي العارفُ تقدير ألفي نفس . ولم يفر اهل صور بما كانوا بذلوه لظهير الدين اتابك من تسليم البلد اليه ولم يظهر لهم في ذلك قولاً وقال : انما فعلت ما فعلتُ الله تعالى وللمسلمين لا لرغبةٍ (99) في مالٍ ولا مملكةٍ . فكثرت الدعاء له والشكر بحسن فعله ووعدهم انه متى دهمهم خطبٌ مثل هذا سارع اليه وبالع في المعونة عليه وعاد الى دمشق بعد مكابدة المشقة في مقابلة الأفرنج الى ان فرج الله عن اهل صور . وشرع اهل صور في ترميم ما شعثه الأفرنج من سورها واعادوا الخنادق الى حالها ورسمها بعد طمئنها وحصنوا البلد وتفرق من كان فيه من الرجال

وفي الثاني من شعبان ورد الخبر بهلاك بدران بن صنجيل صاحب طرابلس بعلة لحقته واقام ابنه في الامر من بعده وهو طفل صغير كفله اصحابه ودبروا امره مع طنكري صاحب انطاكية وجعلوه من خيله واقطعه انطربوس وصافيثا ومرقية وحصن الأكراد

وفي هذه السنة حدث بمصر الرباء المفرط بحيث هلك به خاق كثير يقال تقدير ستين ألف نفس . وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بوصول السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن البي (كذا) الى بغداد في جمادى الاولى منها واقام بها مدة ثقل فيها على اهلها وارتفع معها السعر الى ان رحل عنها فصلحت الحال ورخص السعر . وفيها وردت الاخبار بوصول الامير شرف الدين مردود صاحب الموصل في عسكره ونزوله على الرها ورعيه لزرها في ذي القعدة منها واقام عليها الى المحرم سنة ٥٠٦ ورحل عنها الى سروج ورعي زرها وهو في غفلة غير متحفظ من عدو يطرق ومسلم يرهق ولم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر في خيله من الأفرنج ودواب العسكر منتشرة في الرعي هجم عليها من ناحية سروج على حين غفلة من مودود واصحابه فقتلوا منهم جماعة فاستاقوا اكثر كراعهم وقتل بعض المتقدمين واستيقظ من كان من المسلمين غافلاً وتأهبوا للقاءه فعاد الى حصن سروج

وفي هذه السنة انتقل تاج الملوك بوري بن اتابك الى دار الملك شمس الملوك دقاق

في قلعة دمشق في المحرم منها . وفيها ورد الخبر بوفاة قراجة الوالي بمحصر بعلة طالت به وكان فيها هلاكه وقد كان موثراً للظلم مُشاركاً للحرامية وقطاع الطريق واقيم في مكانه (99^٢) ولده خيرخان بن قراجة تابعاً في الظلم لافعاله ناسجاً في العدوان والجور على منواله

سنة ست وخمسمائة

فيها اشتد خرف اهل صور من عود الافرنج الى منازلهم فاجمعوا امرهم مع عز الملك انوشكين الافضلي الوالي بها على تسليها الى ظهير الدين اتابك بحكم ما سبق من نصرته لهم في تلك النوبة ومعاضدته اياهم في تلك الشدة وندبوا رسولا وثقوا به وسكنوا اليه في الحديث مع ظهير الدين اتابك في هذا الباب ووصل الى بانياس ووالها الامير سيف الدولة مسعود فتحدث معه وسار الامير مسعود مع الرسول الى دمشق لتقرير الحال بمحضر منه فصادف ظهير الدين اتابك قد توجه الى ناحية حماة لتقرير الحال فيما بينه وبين فخر الملوك رضوان صاحب حلب فاشفق الامير مسعود ان يتأخر الامر الى حين عود ظهير الدين من حماة فيبادر بغدوين بالتزول على صور ويفوت الغرض المطلوب فيها فقرر مع ولده تاج الملوك بوري النائب عنه في دمشق المصير معه الى بانياس وانتهاز الفرصة في تسليم صور اليه فاجاب الى ذلك وتوجه معه الى بانياس وتم مسعود الى صور ومعه من يعتمد عليه من العسكر ولم ينتظر وصول اتابك ووصل اليها وحصل بها . وانتهت الحال في ذلك الى اتابك فانهض فرقة وافرة من الاتراك الى صور تقوية لها فوصلت اليها وحصلت بها واستقر امر الاتراك فيها وحمل اليهم من دمشق ما أنفق فيهم وطيب نفوس اهل البلد وأجروا على الرسم في اقامة الدعوة والسكة على ما كانت عليه لصاحب مصر ولم يغير لهم رسم

وكتب ظهير الدين اتابك الى الافضل بمصر يعلمه : « ان بغدوين قد جمع وحشد للزول على صور وان اهلها استنجدوا بي عليه والتسوا مني دفعه عنهم فبادرت بانهاض من اتق بشهامته لحمايتها والراماة دونها اليه وحصلوا فيها ومتى وصل اليها من مصر من يتولى امرها وينب عنها ويحميها بادر بتسليمها اليه وخروج نوابي منها وانا ارجو ان لا يهمل امرها وانفاذ الاسطول بالغلة اليها والتقوية لها » . وحين عرف بغدوين هذا الخبر رحل في (100^٢) الحال من بيت المقدس الى عكا فوجد الامر قد

نجات وحصل بها الاتراك فاقام بـعكاً ووصل اليه من العرب الزرّيقين من بلد عسقلان رجل يعلمه « ان القافلة الدمشقية قد رحلت من بصرى الى ديار مصر وفيها المال العظيم وانا دليلك اليها وتطلق لي من أسر من اهلي » فنهض بغدوين من وقته عن عكاً في طلب القافلة واتفق ان بعض بني هوبر تحطّف بعضها وخلصت منهم ووصلت الى حلة بني دبيعة فمسكرها اياماً واطلقوها بعد ذلك وخرجت من تقب عازب (١) وبينه وبين بيت المقدس مسافة يومين للفراس فلما حصلت بالوادي اشرفت الافرنج عليها فهرب من كان بها فالذي صعد منها الجبل سلم وأخذ ماله واخذت العرب أكثر الناس فاشتمل الافرنج على ما فيها من الامتعة والبضائع وتتبعت العرب من افلت منهم فاخذوه وحصل لبغدوين منها ما يزيد على خمسين الف دينار وثلثائة اسير وعاد الى عكاً ولم يبق بلد من البلاد الا وقد اصيب بعض تجّاره في هذه القافلة . وفيها توفي القاضي ابو عبد الله محمد بن موسى البلاساغري التركي في يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة بدمشق رحمه الله وهو معزول عن قضائها ولازم منزله

وفي هذه السنة وصل ابن الملك تكش ابن السلطان البارسلان اخي السلطان العادل ملك شاه الى حمص هارباً من ابن عمه السلطان غياث الدنيا والدين محمد ولم يمكنه المقام بمحمص ولا حماة فتوجّه الى حلب وكان ولد فخر الملوك رضوان صاحب حلب في الدركاه الساطانية فاشفق من المقام بحلب فتوجّه الى طنكري صاحب انطاكية فاستجاره فاجاره وأكرمه واحسن اليه واجتمع اليه جماعة من الاتراك الذين مع طنكري فاقام عنده . وخرج طنكري من انطاكية في أوّل جمادى الآخرة الى ناحية كُربسيل مُقدّم الارمن وكان قد هلك طبعاً في تلك بلاده فعرض له مرض في طريقه اوجب عوده الى انطاكية فاشتدّ به المرض فهلك في يوم الاربعاء الثامن من جمادى الآخرة وقام في الامر بعده ابن اخيه سرجال (٢) فتسلّم انطاكية واعمالها واستقام له (١٠٠) الامر فيها بعد ان جرى بين الافرنج خلف بسببه الى ان اصلح بينهم القسوس وطلب من الملك رضوان مقاطعة حلب المستقرّة فاجابه الى ذلك ومبلغها عشرون الف دينار والخليل وطلب مقاطعة شيزر فاجاب صاحبها اليها وهي عشرة الاف دينار . وتواترت غارات بغدوين على عمل البثنية من اعمال دمشق واقطعت الطريق وقتل الاقوات بها

(١) وفي الاصل : غارب

(٢) وفي الاصل : سبر رجال

وغلا السر فيها وتتسابت كتب ظهير الدين اتابك الى الامير شرف الدين مودود صاحب الموصل بشرح هذه الاحوال في هذه الاعمال وبعثه على الوصول اليه للاعتضاد على دفع المردة الاضداد والفوز بفضيلة الجهاد وكان مودود قد شنع عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين بشناعات من المحال لفقها الحسدة الاعداء اوجبت استيحاشه منه وبعده عنه قيل في جملتها انه عازم على الخلاف والعصيان وان يده ويد اتابك قد صارت يدا واحدة واراؤهما متوافقة واهواؤهما متطابقة . فلما عرف ذلك سير ولده وزوجته الى باب السلطان باصفهان للتنصل والاعتذار وابطال ما رُمي اليه من المحال والتبري مما اقترى عليه وعزى اليه والاستعطاف له والاعلام بانه جار على ما الف منه على اخلاص الطاعة والعبودية والمناصرة في الخدمة والاهتمام بالجهاد . ثم جمع عسكره من الاتراك والاكرد ومن امكنه وتوجه الى الشام وقطع الفرات في ذي القعدة من السنة . فحين اتصل خبره ببغديون الملك قلق لذلك وارتعج لحبره . وكان جوسلين صاحب تل بامر قد اختلف هو وخاله ببغديون الرويس صاحب الرها وصار مع ببغديون صاحب بيت المقدس واقطعه طبرية واتفقا على ان راسل جوسلين لظهير الدين اتابك يبذل المصافاة والمودة ويرغبه في المودة والمسالمة ويسلم اليه حصن ثمانين المجاور لحصن وجبل عاملة ويتعوض عن ذلك بحصن الحبيس الذي في السواد ونصف السواد ويضمن عن ببغديون الوفاء بذلك والثبات على المودة والمصافاة وترك التعرض لشيء من اعمال دمشق ولا يعرض هو لشيء من اعمال الافرنج . فلم يجب الى ذلك ونهض من دمشق في العسكر للقاء الامير مودود والاجتماع به على الجهاد فاجتمعا بمرج سلمية واتفق رأيهما على قصد ببغديون (101^١) وسارا وقد استصحب اتابك جميع العسكر ومن كان بحمص وحماة ودرعية وتزلا يوم عيد النحر بقدس ورحلا منها الى عين الجبر بالبقاع ثم منها الى وادي التيم ثم تولا بانياس ونهضت فرقة من العسكر فقصدت ناحية ثمانين فلم يظفر منها بمراد وعادت

ووصل اليها ببغديون وقد كان لما ينس من اجابة اتابك الى المودة واصل الغارات والفساد في الشام الى ان وصل عسكر السلطان الى عمله . وبالع اتابك فيما حمله الى الامير مودود واعظامه واکرامه وما حماه اليه والى مقدمي عسكره وخواصه من انواع الملبوس والمأكول والمركوب ثم نهضوا معلمين على النزول على القحوة ووصل الى

بغدوين سرخالة (١) صاحب انطاكية وصاحب طرابلس واجمعوا رأيهم على النزول غربي جسر الصنبرة ثم يقطعون الى القحوانة للقاء المسلمين وقد احتاطوا على ائصالهم وراء الجسر والمسلمون لا يعلمون بذلك وانهم قد عارضوهم في المسير الى هذا المنزل . فسبق الاتراك الى نزولهم في القحوانة وقُطع بعد عسكر الاتراك الجسر لطلب العلوفات والزرع فصادفوا الافرنج قد ضربوا خيامهم وقد تقدّم بغدوين المسبق الى هذا المنزل ونزل صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وراءه يتبعونه اليه

ونشبت الحرب بين المتعلّقة وبين الافرنج وصاح الصائح ونفر الناس وقطعوا الجسر وهم يظنون انه جوسلين لانه صاحب طبرية فوقف اتابك على الجسر وتسرع خلق كثير من العسكر الى قطع الجسر وقطع الامير تيمراک بن ارسلانتاش في فريق وافر من العسكر ونشبت الحرب بين الفريقين من غير تائب للقاء ولا ضرب خيام ولا استقرار في منزل ولا مجال واختلط الفريقان فمنح الله الكريم وله الحمد المسلمين النصر على المشركين بعد ثلاث كرات قُتل فيها من الافرنج تقدير الف رجل من الاعيان ووجوه الابطال والشجعان وملكوا ما كان نصب من خيامهم والكنيسة المشهورة وافلت بغدوين بعد ما قبض وأخذ سلاحه ومُلكت دواب الرّجالة وما كان لهم وغرق منهم خلق كثير في البحيرة واختلط الدم والماء وامتنع الناس من الشرب منها اياماً حتى صفت منه وراقت والتجأ من نجا من الافرنج (١٠١٦) الى طبرية واكثرهم جرحى وذلك في يوم السبت الحادي عشر من المحرم سنة ٥٠٧ . وبعد انفصال الامر وصل باقي الافرنج اصحاب طنكوى وابن صنجيل فلاموه على التسرع وفندوا رأيه ونصبوا ما كان سلم من خيامهم على طبرية وفي غد يوم الوقعة نهض فريق من عسكر الاتراك الى ناحية طبرية واشرفوا على الافرنج بناحية طبرية وعزموا على النزول اليهم والايقاع بهم فخافهم الافرنج وايقنوا بالهلاك واقام الاتراك على الجبل عامة نهارهم وانكفؤا الى معسكرهم وطلع الافرنج الى الجبل وتحصنوا به لصعوبة مرتقاؤه وهو من غربي طبرية والماء ممتنع على من يكون فيه فعزم المسلمون على الصعود اليه ومواقعتهم واستدعى اتابك العرب الطائيين والكلابين والخفاجيين فوصلوا في خلق كثير بالزادات والروايا والابل لحمل الماء وصعدت الطلائع الى الجبل من شماله وعرفوا ان هذا الجبل لا يمكن الحرب فيه لصعوبته على الفارس والراجل . وعلم المسلمون ان الظفر قد لاحت دلائله واماراته والعدو قد ذل وانخرزل

وقلّ وانخذل وسرايا الاسلام قد بلغت في النهيض الى ارض بيت المقدس ويافا واخربت اعمالهم ودونختها واستاقت عواملها ومواسيها وغنمت ما وجدت فيها فانشى الرأي عن الصعود ودامت الحال على هذه القضية الى اخر صفر

وعقب هذه النوبة وصل من حلب من عسكر الملك فخر الملوك رضوان مائة فارس على سبيل المعونة خلاف ما كان قرره وبذله فانكر ظهير الدين اتاك وشرف الدين مودود ذلك منه وابطلا العمل باكانا عزموا عليه من الميل اليه واقامة الخطبة له وذلك في اول شهر ربيع الاول سنة ٥٠٧ وسيرا رسولا الى السلطان غياث الدنيا والدين الى مدينة اصفهان بالبشارة بهذا الفتح ومعه جماعة من اسارى الافرنج وروثهم وخيولهم وطوارقهم ومضاربهم وانواع سلاحهم

ثم ان العسكر رحل من المنزل الى وادي المقتول ونزل الافرنج عند ذلك عن الجبل الى منزلهم والتجأوا الى جبل في المنزل وتواصلت اليهم ميّتهم وازوادهم وامدادهم من اعمالهم فعاد اليهم عسكر الاتراك من منزلهم جرائد في بضع عشرة كدوسا ولزموا ذلك اياما يرومون ان يخرجوا اليهم فلم يظهروا للحرب ولازم بعضهم (102^٢) بعضا الفارس والراجل في مكان واحد لا يظهر منهم شخص وجعل الاتراك يحسبون عليهم فيصيدون منهم بالنشاب ما يقرب منهم ويمنعون الميرة والعلافة عنهم وقد احرقوا بهم كالنطاق وهالة بدر الافاق فاشتد الامر بهم فرحلوا عن منزلهم في ثلاثة ايام تقدير فرسخ عائدين فلما كان الليل قصدوا الجبل الذي كانوا ارضا عليه ملتجئين اليه ومحتسين به وواظب المسلمون قصدهم والتلّف على ما يفوت منهم ومن غنائمهم بالاستمرار على الاحجام عن ظهورهم على ان مقدمي العسكر يمنعونهم من التسرع اليهم والاقدام في منزلهم عليهم ويعدونهم بفرصة تنتهز فيهم فطال امد المقيم وضائق صدور اصحاب مودود لبعده ديارهم وتأخر عودهم وتعذر اوطارهم فتفرق اكثرهم وعادوا الى بلادهم فاستأذن اخرون في العود فاذن لهم وعزم مودود على المقيم بالشام والقرب من العدو ينتظر ما يصله من الامر السلطاني والجواب عما انهاء وطالع به فيعمل بحسبه ولم يبق في بلاد الافرنج مسلم الا وانفذ يلتبس الامان من اتاك وتقرير حاله ووصل اليه بعض ارتفاع نابلس ونهبت بيسان ولم يبق بين عكا والقدس ضيقة عامرة والافرنج على حالهم في التضييق عليهم والحصر لهم على الجبل واقتضى الرأي عود اتاك ومودود فعادا الى دمشق في الحادي والعشرين من شهر ربيع الاول

سنة ٥٠٧ وتزل مودود في حجرة الميدان الاخضر وبالع اتابك في اكرامه واحترامه واعظامه بما يجد اليه السيل وتأكدت المودة بينهما والمصافاة وتولى خدمته بنفسه وخاصته وواصل صلاة الجمعة جميعاً في مسجد الجامع بدمشق والتبرك بنظر المصحف الكريم الذي كان حمله عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة الى طبرية وحمله اتابك من طبرية الى جامع دمشق (١)

سنة سبع وخمسة

قد ذكرنا ما ذكرناه من الحوادث في سنة ٥٠٦ وسياسة الامر الى اول سنة ٥٠٧ رغبة في صلة الحديث ورغبة عن قطعه. ولما كان يوم الجمعة الاخيرة من شهر ربيع الآخر سنة ٥٠٧ دخل (102٧) الامير مودود من مخيمه بمرج باب الحديد الى الجامع على رسمه ومعه اتابك فلما قضيت الصلاة وتنقل بعضها مودود وعادا جميعاً واتابك امامه على سبيل الاكرام له وحولها من الديلم والأتراك والخراسانية والاحداث والسلاحية بانواع السلاح من الصوارم المربعة والصمصامات الماضية والنواحل المختلفة والخنجر المجردة ما شاكل الاجمة المشتبكة والغيضة الآشبة والناس حولها لمشاهدة زيهما وكبر شأنهما فلما حصل في صحن الجامع وثب رجل من بين الناس لا يؤبه له ولا يحفل به فقرب من الامير مودود كأنه يدعو له ويتصدق منه فقبض ببنده بانه بسرعة وضربه بخنجره أسفل سترته ضربتين احدهما نفذت الى خاصرته والاخرى الى فخذه هذا والسيوف تأخذه من كل جهة وضرب بكل سلاح وقطع رأسه ليعرف شخصه فما عرف وأضرمت له نار فألقي فيها. وعدا اتابك خطوات وقت الكائنة واحاط به اصحابه ومودود متمسك يعيش الى ان قرب من الباب الشمالي من الجامع ووقع فحمل الى الدار الاتابكية واتابك معه ماش واضطرب الناس اضطراباً شديداً وماجوا واختلفوا ثم سكنوا بمشاهدتهم له يعيش وظنوا به السلامة وأحضر الجرائحي فخاط البعض وتوفي رحمه الله بعد ساعات يسيرة في اليوم المذكور قتل اتابك لوفاته على هذه القضية وتزايد حزنه وأسفه وارتعاجه وكذلك سائر الاجناد والرعية وتألموا لمصابه وزاد التأسف والتلهف عليه وكفن ودفن وقت صلاة العصر من اليوم في

(١) وفي تاريخ الاسلام ان في سنة ٤٩٣ نقل الاتابك طنكين من طبرية المصحف الشامي خرقاً عليه الى دمشق وخرج الناس لتلقيه فافتره في خزانة بمقصورة الجامع

مشهد داخل باب الفرديس من دمشق وكل عين تُشاهده بأكية والمدامع على الوجنات جارية. وشرع اصحابه في التأهب للعود الى اماكنهم من الموصل وغيرها من البلاد وتقدم اتابك باطلاق ما يستدعونه لسفرهم واستصحبوا معهم اثقاله وجواهره (١) وماله

وقد كانت سيرته في ولايته حائرة وطريقته في رعية الموصل غير حميدة وهرب خلق كثير من ولايته لجوره فلما بلغه تغير نية السلطان فيه عاد عن تلك الطريقة وحسنت افعاله وظهر عدله وانصافه واستأنف ضد ما عُرف منه وسُرع (103) عنه ولزم التدثين والصدقات والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المكروه فشاعت بالجميل اخباره وبُحُسن الارتضاء آثاره ثم توفي سعيداً مقتولاً شهيداً ولم يزل مدفوناً في ذلك المشهد مخدوم القبر بالقوامة والقراءة الى اخر شهر رمضان من السنة ووصل من عند ولده وزوجته من حمل تابوته اليهما

وفي هذه السنة ورد الخبر من بغداد بوفاة الفقيه الامام ابي بكر محمد بن احمد الشاشي رحمه الله ببغداد يوم السبت الخامس والعشرين من شوال منها وقد انتهت الرئاسة اليه على اصحاب الشافعي ودُفن في تربة شيخه ابي اسحق الشيرازي رحمه الله قد تقدم من ذكر ما كان من نوبة صور وانتقال ولايتها الى ظهير الدين اتابك واستنابته مسعوداً في حفظها وحمايتها وتدير امرها وانفاذ رسوله الى الافضل بشرح حالها ولم يزل الرسول المسير الى مصر مقيماً بها الى ذي الحجة من سنة ٥٠٦ وظهر للافضل صورة الحال فيها وجاية الامر بها واعاد الرسول بالجواب الجميل وان : « هذا امرٌ وقع منّا اجمل موقع واحسن موضع » واستصواب رأي ظهير الدين فيما اعتمده وإجماد ما قصده. وتقدم بتجهيز الاسطول اليها بالغلة والميرة ومال النفقة في الاجناد والعسكرية وما يُباع على الرعية من الغلات ووصل الاسطول بذلك الى صور (ومقدمه شرف الدولة بدر بن ابي الطيب الدمشقي الوالي كان بطرابلس عند تلك الافرنج لها) في اخر صفر سنة ٥٠٧ بكل ما يحتاج اليه فرخصت الاسعار بها وحسنت حالها واستقام امرها وزال طمع الافرنج فيها. ووصل في جملة خلع فاخرة من طرف مصر برسم ظهير الدين وولده تاج الملوك بوري وخواصه ولمسعود الوالي المستناب بها واقام الاسطول عليها الى ان استقام الريح له فاقلع عنها في العشر الاخير من شهر ربيع الاول منها. وارسل بغداديين الملك

في الأمير مسعود واليه ياتس منه المهادة والمودة والمسالمة لتحسم اسباب الاذية عن الجانبين فاجابه الى ذلك وانعقد الامر بينهما على السداد واستقامت الاحوال على المراد وأمنت السابلة للمتددين والتجار والسفار الواردين من جميع (103) الاقطار وتوفي رحمه الله في عاشر شوال سنة ٥٠٧ وقد كان صاحب انطاكية لما فصل عن الملك بغدوين يسكره عائدا الى انطاكية فسح عنه ولد الملك تكش بن السلطان البارسلان وقصد صور وانفذ الى ظهير الدين اتابك في الوصول الى دمشق فاجابه بالاعتذار الجليل والاحتجاج المقبول ودفعه احسن دفع فلما ايسه توجه الى مصر ولقي من الافضل ما احب من الاكرام والمزيد من الاحترام والانعام واطلاق ما يعود اليه بصالح الحال وتحقيق الامال

وفي جمادى الآخرة وردت الاخبار من ناحية حلب بمرض عرض للملك فخر الملوك رضوان صاحبها وانه اقام به واشتد عليه وتوفي رحمه الله في الثامن والعشرين من الشهر فاضطرب امر حلب لوفاته وتأسف اصحابه لفقده وقيل انه خلف في خزائنه من العين والعروض والآلات والاولاني تقدير ستمائة الف دينار وتقرر الامر بعده لولده البارسلان وعمره ست عشرة سنة وفي كلامه حبسة وتمتعة وامه بنت الامير ياغي سيان صاحب انطاكية وقبض على جماعة من خواص ابيه قتل بعضا واخذ مال بعض ودبر الامر معه خادم ابيه لولده فاساء كل واحد منهما التدبير وقبض على اخويه ملك شاه من امه واويه ومبارك من ابيه وجارية وقتلها . وقد كان ابوه الملك رضوان في مبدأ امره فعل مثل فعله بقتل اخويه من تاج الدولة ابي طالب وبهرام شاه وكانا على غاية من حسن الصورة فلما توفي كان ما فعل بولديه مكافأة عما اعتمده في اخويه . وكان امر الباطنية قد قوي بحلب واشتدت شوكتهم بها وخاف ابن بديع رئيس الاحداث بحلب واعيان البلد منهم لكثرتهم وشدة بعضهم من بعض وحماية من يلجأ اليهم منهم لكثرتهم وكان الحكيم المنجم وابو طاهر الصانع اول من اظهر هذا المذهب الخبيث بالشام في ايام الملك رضوان واستمالا اليه بالخدع والحالات ومال اليهم خلق كثير من الاسماعيلية يسمين والجور وجبل السناق وبني عليم فشرع ابن بديع رئيس حلب في الحديث مع الملك البارسلان بن رضوان في امرهم وقرر الامر معه على الايقاع بهم والنكاية فيهم قبض على ابي ظاهر (104) الصانع وعلى كل من دخل في هذا المذهب وهر زهاء مائتي نفس وقتل في الحال ابو طاهر الصانع واسماعيل الداعي واخو الحكيم المنجم

والاعيان المشار اليهم منهم وحبس الباقون واستُصفيت اموالهم وسُفّع في بعضهم فمنهم من أُطلق ومنهم من رُمي من اعلى القلعة ومنهم من قُتل وهرب جماعةٌ افلتوا الى الافرنج وتفرّقوا في البلاد

ودعت الملك البارسلان الحاجة الى من يدبّر امره ويثقف أوده فوق اختياره على ظهير الدين اتابك صاحب دمشق فراسله في ذلك والقى مقاليدَه اليه واعتمد في صلاح احواله عليه وسأله الوصول الى حلب والنظر في مصالحها وأوجبت الصورة ان خرج الملك نفسه في خواصه وقصد اتابك في دمشق ليجتمع معه ويؤكد الامر بينه وبينه فوصل اليه في النصف من شهر رمضان من السنة فلقيه اتابك بما يجب لمثله من تعظيم مقدّمه واجلال محله وادخله الى قلعة دمشق واجلسه في دست عمه شمس الملوك دقاق بن تاج الدولة وقام هو والخواص في خدمته وحمل اليه ما امكن حمله من تحف وألطافٍ تصلح لمثله وكذلك لجميع من وصل في صحبته واقام أياماً على هذه الحال وتوجّه عائداً الى حلب في أوّل شوال من السنة ومعه ظهير الدين اتابك في أكثر عسكره ووصل الى حلب واقام أياماً. وأشار عليه قوم من اصحابه بالقبض على جماعة من اعيان عسكره وعلى وزيره ابي الفضل بن الموصول وكان حميد الطريقة مشهوراً بفعل الخير وتجنّب الشرّ ففعل ذلك واستخلص ظهير الدين اتابك من جملتهم الامير كشتيكن البعلكي مقدّم عسكره وخالف ما في نفس اتابك من صائب الرأي ومحمود التدبير فحين شاهد الامر على غير السداد والصواب وبأن له فساد التدبير واختلاف التقدير رأى ان الانكفاء الى دمشق أصوب ما قصِدَ وأحسن ما أُعتمد وفي صحبته والدة الملك رضوان لرغبتها في ذلك واياها لها. ولما حصل في دمشق اتّصلت الرسالة بينه وبين بغدادين ملك الافرنج في ايقاع الهادئة والموادة والمسالمة لتعمّر الاعمال بعد الاخراب وتأمّن (104٧) السوابل من شرّ المفسدين والخرب فاستقرّت هذه الحال بينهما واستحلف كل واحد منهما صاحبه على الثبات والوفاء واخلاص المودّة والصفاء وأمنت المسالك والاعمال وصلحت الاحوال وتوفّر الاستغلال

وفي هذه السنة ورد الخبر من شيراز بان جماعة من الباطنية من اهل افامية وسرمين ومعرّة النعمان (ومعرّة) نصريين في فصيح النصارى وثبوا في حصن شيراز على غفلة من اهله في مائة راجل فلكوه واخرجوا جماعةً واغلقوا باب الحصن وصعدوا الى القلعة فملكوها وابراجها وكان بنو منقذ اصحابها قد خرجوا لمشاهدة عيد النصارى وكان هذا امرٌ قد

رُتِبَ في المَدَّة الطويلة وقد كانوا احسنوا الى هؤلاء المُقدمين على الفساد كل الاحسان فبادر اهل شيزر قبل وصولهم الى الباشورة ورفع الحرم بالحبال من الطاقات وصاروا معهم وادركهم الامراء بنو منقذ اصحاب الحصن وصعدوا اليهم وكَبَرُوا عليهم وقتلواهم حتى الجأؤهم الى القلعة فخذلوا وذُلُّوا وهجموا اليهم وتكاثروا عليهم وتحكمت سيوفهم فيهم فقتلواهم باسرههم وقتل كل من كان على رأيهم في البلد من الباطنية ووقع التعرُّز من مثل هذه الحال

سنة ثمان وخمسة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بان بابا المعروف بلؤلؤ الخادم اتاك الملك تاج الدولة البارسلان ولد الملك رضوان صاحب حلب عمل عليه وواطأ جماعة من اصحابه على الايقاع به والفتك به عند وجود الفرصة متسهلة فيه فحين لاحت لهم وثبوا عليه فقتلوه في داره بقلعة حلب واضطرب الامر بعده وقد كان تديره لنفسه وعسكرته ورعيته سبئاً فاسداً لا يرجى له صلاح ولا اصلاح ففُضِيَ لسيله غير مأسوف عليه ولا محزون لفقده . وفيها توفي الشريف نسيب الدولة ابو القسم علي بن ابراهيم بن العباس بن الحسن الحسيني رحمه الله في ليلة الاحد الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر ودُفِنَ بعد صلاة الظهر في التربة الفخرية بدمشق (١) . (105^{هـ}) وفي هذه السنة حدثت بالشام زلزلة عظيمة ارتجّت لها الارض واشفق الناس وسكنت فسكنت لها النفوس بعد الوجيب والقلق وقرت القلوب بعد الاتزعاج والفرق

وفي هذه السنة نزل الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق على حمص وفيها خيرخان ابن قراجا وكان عادة نجم الدين اذا شرب الخمر وتمكّن منه اقام منه عدة ايام محموراً لا يُفَيِّق لتدبير ولا يُستأمر في امر ولا تقرير وقد عرف خيرخان منه هذه العادة المستبشعة والغفلة المستبدعة فحين عرف انه على تلك القضية خرج من قلعة حمص في رجاله وكبسه في مخيمه وانتهاز الفرصة فيه وقبض عليه وحمله الى حمص وذلك في شعبان منها وضاق صدر ظهير الدين اتابك لما انتهى الخبر بذلك اليه وكاتب خيرخان بالانكار عليه والاكبار لما اجرى عليه وتغيّرت نيته فيه واقام اياماً في اعتقاله الى ان اطلقه وخلّى سبيله

(١) وقال تقي الدين ابن قاضي شعبة في متقى العبر المنتخب من كتاب العبر للحافظ الذهبي : انه صاحب الاجزاء العشرين التي خرّجها له الخطيب (يعني الحافظ ابن عساكر)

وفيهما وردت الاخبار من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم بغدادين بعلّة هجمت عليه مع انتقاض جرح كان اصابه في الوقعة الكائنة بينه وبين المصريين فهلك بها وقام مقامه من بعده من أرْتُضي به . وفيها توفي الشيخ ابو الوحش سُبَيْع بن مسلم الضرير المعروف بابن قيراط المقرئ المجود بالسبغة رحمه الله في يوم السبت الحادي عشر من شعبان منها ودُفن بباب الصغير بين قبور الشهداء رضي الله عنهم وكان ملازماً للجامع دمشق يقرأ الى ان توفي على حسن طريقه

سنة تسع وخمسمائة

في هذه السنة قويت شوكة الافرنج في رفنية وبالعوا في تحصينها وتشجّنها بالرجال وشرعوا في الفساد والتناهي في العناد فصرف ظهير الدين همه الى الكشف عن احوالهم والبحث عن مقاصدهم في اعمالهم وترقب الفرصة فيهم ومعرفة الفرّة منهم وتقدّم الى وجوه العسكر ومقدميه بالتأهب والاستعداد لقصد بعض الجهات لاحراز فضيلة الجهاد والنهوض (105٦) لامرٍ من الممّات ثم اسرى اليهم مغنّداً حتى ادركهم وهم في مجاثمهم غارون وفي اماكنهم لاهون قارون فلم يشعروا الا والبلاء قد احاط بهم من جميع جهاتهم فهجمت الاتراك عليهم البلد فملكوه وحصل كل من كان فيه في قبضة الاسر وربقة الذل والقهر فقتل من قُتل وأسر من أُسر وغنم المسلمون من سوادهم وكراهم واثمهم ما امتلأت به الايدي وسرّت به النفوس وقويت بثله القلوب وذلك في يوم الخميس لليلة خلت من جادى الآخرة من السنة وانكفأ المسلمون الى دمشق ظافرين مسرورين غانين لم يُفقد منهم بشرٌ ولا عُدِم شخصٌ ومعهم الاسرى ورؤوس القتلى فأطيف بهم في البلد بحيث تضاعف بمشاهدتهم السرور وانشرت الصدور وقويت من الجند في الجهاد والغزو الظهور . ولما شاع ذكر ظهير الدين اتابك في الاعمال العراقية والدركاه السلطانية بما اعطاه الله من شدّة البأس في محاربة الافرنج الارجاس ومنحه من النصر عليهم والنكاية فيهم والذبّ عن اهل الشام ومراماته دونهم ومحاماته عنهم واحسان السيرة فيهم بحيث دُعي له في محافل الرعايا والتجار وشكر بين الرفق من سفّار الاقطار فحسده قوم من مقدّمي الدركاه السلطانية النيسائية وراموا القدح فيه والطعن عليه طلباً لافساد حاله واعتماداً لعكس اماله وخطاً لرتبته بالحضرة السلطانية وتشعّيث الاراء الجسيمة النيسائية وظهر الامر بذلك وانتشر وشاع من كل صوب واشتهر وكتب

ليه بذلك من يُؤثر صلاحه من الاصدقاء ويشفق عليه فاحدث ذلك له استيحاشاً دعاه الى التأهب والاستعداد لتوجه ركابه الى الباب الامامي المستظري والباب السلطاني النياثي بمدينة السلام بغداد للمتولي بهما والخدمة لهما والتقرب بالسعي اليهما وانهاء حاله اليهما وازالة ما وقع في النفوس كانه بالقدوم عليهما. وأشار عليه بترك ذلك واهماله وحذر منه وبعث على اغفاله فلم يصح الى هذا المقال ولا اعاد على احد جواب سؤال بل تأهب للسير وبالع في الجد فيه (106) والتشير واعد ما يصحبه من انواع الثخف المستحسنة من اواني البلور والمصاغ واجناس الثياب المصرية والخيول السبق العربية مما يصلح ان يتقرب بمثله الى تلك المناصب العلية وسار في خواصه واهل ثقته من غلمانه في يوم الاحد لست بقين من ذي القعدة من السنة

قلماً قرب من بغداد وأنهى خبر وصوله تلقاه من خواص الدار العزيزة النبوية المستظهرية والدركاه السلطانية النياثية ووجوه الدولة واعيان الرعية من بالغ في اكرامه وتناسه في احترامه وقبول من ذلك وما زاد في مسرة اوليائه والفت في اعضاء حشده واعدائه ووضح حاله فيما قصد لاجله فما سمع الا ما عاد ببسط عذره واحماد فعله واطراء امره وتطبيب نفسه وابعاد استيحاشه وتأكد انه وحين عزم على الانكفاء الى دمشق وأذن له في ذلك شرف بالخلع السنية والكرامات الهنية وكتب له المنشور العالي السلطاني النياثي بولاية الشام حرباً وخراجاً واطلاق يده في ارتفاعه على اثاره واختياره بانشاء الطفرائي ابي اسمعيل الاصفهاني (١) وهو اذ ذاك فريد زمانه في الكتابة والبلاغة ووحيد عصره في الآداب والبراعة وقد اثبت نسخته في هذا المكان ليعرف الواقف عليه فضل منشئه وعلو مرتبة من كتب له واحسن وصفه فيه وهو: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا منشور امر بانشاءه السلطان المعظم غياث الدنيا والدين اطلال الله بقاءه واعز اوليائه ونصر لواءه للامير الاصفهاني لاجل الكبير ظهير الدين اتابك ادام الله تأييده لما بان تمسكه من الطاعة باحكم علائقها واعتصامه من الخدمة باوكد وثائقها واتتهاجه من المشايعة اقوم مسالكها واعتماده افضل طرائقها

(١) هو الحسين بن علي بن محمد صاحب قصيدة لامية المعجم توفي سنة ٥٠٤ هـ وقال سبط ابن الجوزي في ترجمته: انه جد وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين الذي اسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطفرائي

واجلت التجارب منه عين الناصح الاريب والمهذب اللبيب المتسدرج في مراقي الرتب السنية بالمساعي الرضية والحرز احاطي القرب الخطيرة بالاثار الشهيرة المشهورة موافقة في قود الجواهر العظام والذب عن حوزة الاسلام والتجرد لمظاهرة الاولياء ومقارعة الاعداء والاستقلال (106^٧) بمضلعات الاعباء الجامع الى خصائص هذه الاسباب والالام بخدمة الابواب والتحقق بزمر الحشم والاصحاب المستقل بنصحه المنحول بولائه المقبول ووسائله المشفوعة توالدها بالطوارف وشوافعه المنصورة سوائها بالاوائف ان يزداد في الاناقة بقدره والاشادة بذكره ويستخلص تخلية صدره بتفخيم امره وتجدد الصنعة عنده بما يكون لواجب حقوقه قضاء ولمصالح مساعيه كفاء ولحله المرموق لانقا ولوضعه من الدولة مضاهيا مطابقا فرأناه أحق من أفيضت عليه ملابس الانعام وحيي من الكرامة باوفر الاقسام ورُفِعَ من مراتب الاجتباء والاختصاص الى الذروة والسنام ورُشِحَ لكفاية المهام وتدير الامور الجسام وأُوطِىَ عقبة الكرامة الانجاد ورد الى اياته الامصار والاجناد رسنا ان نجدد له هذا المنشور بامارة الشام ونقرر عليه جميع ما دلت عليه المناشير المنشأة المتضمنة لاسامي البلاد الموجبة له صارة رسمه معها يجري معها ويضاف اليها من النواحي والضياع والحصون والقلاع حسب ما أورد ذكره مُفَصَّلًا في هذا المثال وجعلناها نعمة مصونة من الارتجاع وطعمة محمية من الانتزاع قلدها في عامة تلك البقاع اعمال الحرب والمعاون والاحداث والاخرجة والاعشار وسائر وجوه الجبايات (١) والعروض والاعطاء والنفقة في الاولياء والمظالم والاحكام وسائر المستظهر عليه بنظر الولاة الكفاة والنصحاء الثقة رعاية لحقوقه اللازمة ومحافظة على اذمته المتقدمة وثقة منه باستدامة النعمة وارتباطها بالتوفر على شرائط الخدمة واستدعاء مزيد الاحسان واستيفاء عوائد الاصطناع بدوام النصيح وفضل الاستقلال والاضطلاع والله تعالى يُجْرِينَا عَلَى احسن عوائده باصابة شاكلة الصواب في اختيار الاولياء ويلهمنا المرشد في مرامي الافكار ومواقع الاراء . ولا يَخْلِينَا فِي اصطفاء من يصطفيه واجتباء من يجتبيه من مساوقة التوفيق لما نرتاده ورتنيه امرناه بتقوى الله وطاعته واستشعار خيفته ومراقبته (107^٨). والالتجاء منها الى الحصن الامنع والظل الامتع والاستظهار منها بالذخر الاتقى والحرز الاوقى والاحتراس من هواجس الهواء باعتلاق عُروتها الوثقى وادراع شعارها الاتقى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمْ فُرْقَانًا وَنُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١). وأمرناه أن يسير فيمن قبله من الأولياء والحشم أجمل سيرة ويحملهم بحسن السياسة على أفضل وثيرة • يسلكهم مسلكاً وسطاً بين اللين والخشونة والسهول والوعورة ويشعر قلوبهم من هيبته ما يقبض المتبسط ويودع المتسلط ويرد غرْب الجامح ويقيم صمر الجانح ويخص منهم ذوي الرأي والحكمة والثبات والمسكة بالمشاورة والمباحثة ويستخلص مخائل حدودهم عند طروق الحوادث بالمفاوضة والمنافعة ويستعين بثمار الباهم ونتائج أفكارهم على دفاع الملهم وكفاية المهم ويتناول سفهاءهم وذوي العيث والفساد منهم بالتقويم والتهذيب والتعريب والتأديب ويؤدبهم عن غلوائهم بالقول ما كفى وأحرز النصح ما تجدى واغنى ومن زاده الأناة والحلم والاحتمال والكظم تقادياً في العدوان وتتابعاً في الضغيان عركه عرك الأديم وتجاوز به حد التقويم إلى التحطيم متيقناً أن إعطاء كل طبقة مما تحسن تشمله رعايته وتكفنه آياته حقها من قوانين السياسة أرهاقاً لبصيرة القارح المتسك وكفاً لغرب الحرج المتهالك. قال الله تعالى: «وَأِمَّا تَحَافَنَ مِنْ قَوْمٍ حِيَاةً فَأَنْذِرْ لِيهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٢)» وأمرناه أن يوكّل بأمر الثغور المتاخمة لأعماله والمصاوبة لبلاده عيناً كالشاة واذناً واعية وهمة للصغير والكبير في مصالحها مراعية فيشحنها بذوي البأس والنجدة المذكورين بالبسالة والشدة المعروفين بالصرعة والغناء والصبر عند اللقاء والبصيرة بمكابدة الأعداء ويستظهر لهم باستجادة الأسلحة والآلات والاستكثار من المير والاقوات ويُنَازِب بينهم في مقارَهم مناوبة تجم المكدود وتريح المجهود وتدرّ عليهم الارزاق عند (107^٣) الوجوب والاستحقاق ليقوم أودهم ويقلّ عددهم ويحسن طاعتهم وتلين مقادتهم ويكشف عددهم وعدّتهم ويشدّد على الأعداء شركتهم ويفيظ الكفاء وربهم وشأزهم. قال الله تعالى: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ (٣)» وأمرنا أن يأخذ نفسه وأصحابه بالثبات والصبر عند قراع السيوف بالسيوف وذلول الرخوف بالحروف ويرخصوا أنفسهم في ابتغاء مرضاه والذبّ عن حوزة الدين والمحاماة عن بيضة الإسلام والمسلمين ويحتاط مع ذلك لنفسه وأصحابه ولا يقدم بهم على غرر ولا يفسح لهم في ركوب

1) Qur. VIII, 28. 2) Qur. VIII, 60.

3) Qur. VIII, 62.

خطر ألا بعد الاخذ بالحزم واستعمال الرفق في الحذر ويكون اقدامهم على بصيرة تامة لا تقتحم معها غرة ولا تضاع فرصة ولا يُنجحون اذا احمر الناس واشتد المراس عن تورد المعركة ولا يلقون بانفسهم اذا حمى الوطيس والتقى الخيس بالخيس الى التهلكة . قال الله جل وعلا: «وجاهدوا في الله حق جهاده (١)» وامرناه ان يصل جناح ضامه بالوفاء ويشد اركان عهده بالثبات ويصون ذمته عما يحفرها ويشفق عليها مما يُحِيلها ويغيرها ويذهب مع دواعي الصدق ويصير على تكاليف الحق ولا يروع لهم سرباً أمانة ولا ينقض شرطاً ضمينه ولا ينكث عهداً ابرمه ولا يخلف وعداً اقدمه ولا يتجافى عن يلود بعقوته ولا يأبى قبول السلم ممن اتقى بصفحته . قال الله تعالى: «وأوفوا بالعهد . إن العهد كان مسؤولاً (٢)» . وقال جل من قائل: «وإن جئتموا للسلم فاجنح لها (٣)» وامرناه ان نعلم رعاية القارة والمآزة بالامن العائد عليهم بسكون الجأش وسعة المعاش ويحوطهم في متوجهااتهم ومتصرفاتهم حيطة تكتفهم من جميع جهاتهم ويحمي نفوسهم وذرائعهم واموالهم ومعايشهم حماية ترد كيد الظالم وتقبض يد الغارم وتخرج ذوي الريب من مظلماتهم وتحول بينهم وبين عدوانهم وتجري حكم الله فيهم وتقيم حده على من سفك فيهم دماء وانتهك محرماً او اظهر شقاقاً وعناداً او سعى في الارض فساد . قال الله تعالى: «إنا جزاء الذين يُحاربون الله ورسوله وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَساداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ يُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ (108) خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤)» وامرنا ان ينظر في اموال الرعايا اتم نظر واوفاه ويستل عن ظلاماتهم ابلغ سؤال واحفاه ويستن بالسنّة العادلة فيهم وينع اقوياهم عن تهضم مستضعفيهم ويحمل من تحت يده على التعادل والتناصف ويصدّهم عن التعاصب والتظالم ويقرّ الحقوق مقارها عند وضوح الحجّة وارتفاع الشبهة ويختار لهم من العمال والولاة أسدّهم طرائق واقومهم مذاهب واحمدهم خلائق ويأمر كلاً منهم ان لا يغير عليهم رسماً ولا ينوي لهم حقاً ولا يسومهم في معاملاتهم خسفاً ولا يحدث عليهم من يدع الجور رسماً ولا يرتكب منهم ظلماً ولا يأخذ منهم براً باثماً ولا يبرأ بسقيم ويتنسع منهم في اخرجاتهم ومقاساتهم وقسوطهم ومقاطعاتهم بالحق المستمرة ويحملهم في العدل على الفوائد المستقرّة ويستقرى آثار

1) Qur. XXII, 77. 2) Qur. XVII, 36.

3) Qur. VIII, 63. 4) Qur. V, 37.

الولاية قبله فما طالب منها وحسن اقتفاؤه اقتفره وما ذم منها واستنكره اماطه وغيره .
ويعتقد انه مسؤول عما اكتسب واجترح ومحاسب على ما افسد واصلاح . قال الله تعالى :
« وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءُ الْأَوْفَى (١) »
فليتلقى هذه النعمة الكبيرة والعارفة الخطيرة باعظام قدرها والقيام بواجب شكرها
وليتحقق انها قاطنة بفنائنه ما احسن جوارها بجالصة نصحه وولائه وباقية عليه على عقبه
ما عملوا باحكام هذا العهد وغنوا بتأكيد اسبابه واعلنوا بشعار الدولة واستمروا على
السنة المألوفة في اقامة الخطبة والسكة ويسكروا بولاء الدولة العباسية التي هي سنة
متبعة وما عداها ضلالة مبتدعة وجاهدوا في الله حق جهاده واحسنوا السيرة في عبادته
وبلاده والله تعالى يدنا وياه في هذا الرأي الذي رأيناه ويزلف من رضاه يحمده فاتحته
وعقباه ان شاء الله تعالى وكتب في المحرم سنة ٥١٠ هـ

وتوجه منكنفا الى دمشق على اجمل ضفة واحسن قضية في سلامة النفس والجملة
وتزايد العز والحرمة ودخلها في يوم الاثنين (108٧) ثلث عشرة ليلة بقيت من ربيع
الاول سنة ٥١٠ هـ

سنة عشر وخمسمائة.

في هذه السنة ورد الخبر بان بدران بن صنجيل صاحب طرابلس قد جمع وحشد
وبالغ واجتهد ونهض الى ناحية البقاع لاختراجه بالعيث والفساد والاضرار والعناد وكان
الاصفهسلار سيف الدين البرسقي صاحب الموصل قد وصل الى دمشق في بعض عسكره
لمعونة ظهير الدين اتابك على الافرنج والغزو فيهم وبالغ اتابك في الاكرام له والتعظيم
لمحلته . وصادف ورود هذا الخبر بنهضة الافرنج الى البقاع فاجتمع رأيهما على القصد
لها جميعا وأغذا السير ليلاً ونهاراً بحيث هجموا عليهم وهم غارون في مخيمهم قارون
لا يشعرون فادهقهم العسكر فلم يتمكنوا من ركوب خيلهم ولا اخذ سلاحهم فنجحهم
الله النصر عليهم واطلقوا السيف فيهم قتلاً واسراً ونهباً فاتوا على الرجال وهم خلق
كثير قد جمعوا من اعمالهم واسروا وجوه فرسانهم ومقدميهم واعيان شجعانهم وقتلوا
الباقين منهم ولم يفلت منهم غير مقدمهم بدران بن صنجيل والمقدم كند اصطلب ونفر
يسيرة معهما بمن نجا به جواده وحماه أجلاه واستولى الاتراك على العدد الجملة والخيول

١) Qur. LIII, 41.

والكرع والسواد. وذكر الحاكي المشاهد العارف ان المفقود المقتول من الافرنج الحيلة والسرجندي الرجالة والنصاري الحيلة والرجالة في هذه الوقعة ما يزيد على ثلاثة آلاف نفس

وعاد ظهير الدين اتابك وسيف الدين (اق) سنقر البرسقي في عسكريهما الى دمشق مسرورين بالظفر السني والنصر الهني والغنائم الوافرة والنعم المتوافرة فلم يفقد من العسكريين بشر ولا اصابهم بؤس ولا ضرر ووصلا البلد بالاسرى ورؤوس القتلى وخرج الناس من البلد لمشاهدتهم واستبشروا بمعاينتهم وسرّوا بنظرهم سرورا واصلوا معه حمد الله مولى النصر ومانع القهر وشكروه تعالى على ما سنّاه من الاستظهار المبين بالاستعلاء المشرق الجبين. واقام اق سنقر البرسقي اياما بعد ذلك وتوجّه (109٢) عائدا الى بلده بعد استحكام المودة بينه وبين ظهير الدين والمصافاة والمرافقة على الاعتضاد في الجهاد متى حدث امر او حزب خطب. وقد كان في هذه السنة وردت الاخبار قبل عود ظهير الدين من العراق بالكائنة الحادثة من الباطنية في الدركاه السلطانية وقتلهم الامير احمديل فيها في الحرم منها مع وجاهته وتزايد حششته ووفور عدته واكثر الناس التعجب من هذا الاقدام المشهور والفعل المذكور والله عاقبة الامور

وفيها وردت الاخبار من ناحية حلب بقتل لؤلؤ الخادم الذي كان غلب امره فيها وعمل على قتل ولد مولاه الملك البارسلان بن رضوان في ذي الحجة منها بامر دبره عليه اصحاب الملك المذكور

سنة احدى عشرة وخمسمائة

في هذه السنة توفي السلار بجختيار شحنة دمشق ونائب ظهير الدين في تولي امر البلد وسياسة الرعية بعلل اختلفت عليه وطالت به الى ان قضى نحبه رحمه الله في ليلة النصف من شعبان منها فاحزن ظهير الدين فقده واهته المصاب به وتأسف اكثر الناس عليه لانه كان عفيفا في افعاله غير معترض لحرم غني الحال والنفس معيّنا لمن يقصده في دفع مظلمة واتقاذ من شدّة جميل المناب فيما يعود بصلاح الرعية والبعث على العمل بالعدل والسوية واقم ولده السلار عمر في منصبه فاقتفى اثره في اشغاله وحذا مثاله في اعماله

وفيها وردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه باصفهان رحمه الله بعلّة حدثت به وطال مقامها عليه الى ان توفي في الحادي

عشر من ذي الحجة منها وقام مقامه في السلطنة ولده محمود واستقام له الامر واستقرت على صلاح الحال

وفيها وردت الاخبار من ناحية حلب بان الاصفهسلار يارقتاش الخادم متولي اصفهسلارية حلب هادن الافرنج ووادعهم وسلم اليهم حصن القبة . وقيل ان الامير اق سنقر البرستي خرج من الرحبة في عسكره وقصد حلب وتزل عليها طامعا في تملكها فلم يتسهل له ما امل ورحل (109) عنها عائدا الى الموصل . وورد الخبر ايضا بان الاصفهسلار يارقتاش المقدم ذكره اخرج من قلعة حلب ورد امر الاصفهسلارية والنظر في الاموال الى الامير ابي المعالي (الحسن) بن الملحمي العارض الدمشقي ودبر الاشغال بها والاعمال فيها . وفي النصف من الحرم منها هجمت الافرنج على ربض حماة في ليلة خسوف القمر وقتلوا من اهلها تقدير مائة وعشرين رجلا

وورد الخبر بهلاك دوقس انطاكية . وفي الحرم منها وصل الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في عسكره الى حلب وتولى تدبير امرها مدة صفر وفسد عليه ما اراده فخرج منها وبقي ولده حسام الدين تمرتاش . وفيها وردت الاخبار من القسطنطينية بموت متملك الروم الكرانكس (١) وقام في الملك بعده ولده يوحنا واستقام له الامر وعمل بسيرة ابيه . وفيها وردت الاخبار بمهلك بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعلّة طالت به وكانت سبب هلاكه في ذي الحجة منها وقام بعده في الامر كندهو (كندھري) الملك

سنة اثني عشرة وخمسة

في هذه السنة شاعت الاثار والاخبار من ناحية الافرنج بطمعهم في المعقل والبلاد واجماعهم على قصدها بالبيث والافساد لغفلة الاسلام عن قصدهم بالغزو والجهاد وانهم قد شرعوا في التأهب لهذه الحال والاستعداد وكاتب ظهير الدين اتابك ارباب الجهات والمناصب وبعضهم على التعاون على دفع شر الملائين بالتوازر والتواظب . وورد الخبر بتوجه الامير نجم الدين ايل غازي الى دمشق في عسكره للاجتماع مع ظهير الدين اتابك على اعمال الرأي في التدبير والتشاور في العمل والتقريب هذا بعد ان راسل طوائف التركان بالاستدعاء لاداء فريضة الجهاد والتحريض على الباعث لذلك والاحتشاد . ووصل

(١) وفي الكامل لابن الاثير اسمه: «الكرابكس»

الامير المذكور الى دمشق من حلب في بعض اصحابه وخواتمه واجتماعه وتعاهدا وتعاقدًا على بذل المكتبة والاجتهاد في مجاهدة الكفرة الاضداد وطردهم عن الافساد في هذه المعقل والبلاد ووقع الاتفاق بينهما على الامير (١١٠) نجم الدين ايل غازي بن ارتق والي ماردين لانجاز امره وجمع التركمان من الاعمال وحضهم على النكاح في اخواب الشرك والضلال واقتضت الاراء مصير الامير ظهير الدين معه لتأكيد الحال وتسهيل الامال وسارا في العشر الاول من شهر رمضان سنة ٥١٢ وعاد ظهير الدين عنه بعد ان قرأ مع طوائف التركمان صلاح احوالهم والتأهب للوصول الى الشام بجمعهم الموفرة وعزائهم المنصورة في صفر سنة ٥١٣ ليقع الاجتماع على نصرة الدين واصطلام المردة الملحدين. واقام ظهير الدين بدمشق الى حين قرب الاجل المضروب والوقت المرقوب وسار الى ناحية حلب في اول شهر ربيع الاول سنة ٥١٣.

ووردت الاخبار من ناحية العراق بوفاة الخليفة الامام المستظهر بالله امير المؤمنين ابن الامام المقتدي بالله امير المؤمنين بعلّة عرضت له واستمرت به الى ان قضى نحبه الى رحمة ربه في ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاخر سنة ٥١٢ وكانت مدة خلافته ستاً وعشرين سنة وشهرين واثمناً وكان جميل السيرة محباً للعدل والانصاف ناهياً عن قصد الجور والاعتساف وولي الامر من بعده ولده ولي العهد ابو منصور الفضل المسترشد بالله امير المؤمنين بن ابي العباس احمد المستظهر بالله امير المؤمنين وجدّد له اخذ البيعة واستقام له الامر ونفذت المكاتبات الى سائر الاعمال بالتعزية عن الامام الماضي والتهنئة بالامام الباقي

ودخلت سنة ثلث عشرة وخمسمائة

ولما وصل ظهير الدين اتاك الى حلب للاجتماع مع نجم الدين على الامر المقرر بينهما بعد مضي الاجل المعين عليه بتديريهما وجد التركمان قد اجتمعوا اليه من كل فج وكل صوب في الاعداد الدثرة الوافرة والقوة الظاهرة كأنهم الاسود تطلب فريستها والشواهي اذ حامت على مكاسرها. ووردت الاخبار ببوز روجير صاحب انطاكية منها في من جمعة وحشده من طوائف الافرنج (١١٠) ورجال الارمن من سائر اعمالهم واطرافهم بحيث يزيد عددهم على العشرين الف فارس وراجل سوى الاتباع وهو العدد الكثير في اتم عدة واكمل شكة وانهم قد تولوا في الموضع المعروف بشرمدا

وقيل دانيث البقل بين انطاكية وحلب فحين عرف المسلمون ذلك طاروا اليهم باجنحة الصقور الى حماية الوكور فما كان باسرع من وقوع العين على العين وتقارب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم واحاطوا بهم من جميع الجهات وسائر الجنبات ضربا بالسيوف ورشقا بالسهام ومنح الله تعالى وله الحمد حزب الاسلام النصر على المردة الطغام ولم تضر ساعة من نهار يوم السبت السابع من شهر ربيع الاول من سنة ٥١٣ هـ الا والافرنج على الارض سطحة واحدة فارسهم ورجالهم بجيولهم وسلاحهم بحيث لم يفلت منهم شخص يجبر خبرهم ووجد مقدمهم روجير صريعا بين القتلى . ولقد حكي جماعة من المشاهدين لهذه الواقعة انهم طافوا في مكان هذه المعركة لينظروا آية الله تعالى الباهرة وانهم شاهدوا بعض الخيول مصرعة كالتنافذ من كثرة النشاب الواقع فيها . وكان هذا الفتح من احسن الفتوح والنصر الممنوح لم يتفق مثله للاسلام في سالف الاعوام ولا الالف من الايام . وبقيت انطاكية شاغرة خالية من حمايتها ورجالها خاوية من كوماتها وابطالها فريسة الواثب نهزة الطالب فوق التغافل عنها لغية ظهير الدين اتابك عن هذه الواقعة لتسرّع التركمان اليها من غير تأهب لها للامر النافذ والقدر النازل واشتغال الناس باحراز الغنائم التي امتلأت بها الايدي وقويت بها النفوس وسرّت بجنتها القلوب فتلك بيوتهم خاوية والحمد لله رب العالمين

وعاد ظهير الدين اتابك منكفيا الى دمشق عقيب هذا الظفر ودخلها يوم السبت ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٥١٣ هـ فصادف الحاتون صفوة الملك والدة الملك شمس الملوك دقاق ابن السلطان تاج الدولة تنقش بن السلطان البارسلان قد نهكها المرض وطال بها وقد اشفت على الموت (111) وكانت لقدومه متوقعة والى مشاهدته متطلعة فادركها وشاهدها وسمع مقالها وقبل وصيتها واقامت القليل وتوفيت الى رحمة الله ومغفرته ورضوانه بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الاحد اخرج جمادى الاولى سنة ٥١٣ هـ ودُفنت عند ولدها في القبة التي بنتها على التلعة المطلّة على الميدان الاخضر فاقد كانت من النساء المصونات المحبة للدين والصدقات والتزّه عن الظلم بطلب الخيرات مع قوة النفس وشدة الهبة ومعرفة التدبير فيما توخّته في حق ظهير الدين عند وفاة ولدها الملك شمس الملوك الى ان استقام له الامر واستقرت في الملكة والدولة الحال وتسهلت له المطالب برأيا وهيبتها وسياستها والآمال . فقلق ظهير الدين لفقدائها وتضاعف عليها حزنه وأفسه وتسلم ما خلفته واستخرج ما ذخّره وادعته وعمل بوصيتها

وفي رجب من هذه السنة توفي الامير حارق بن كمشكين العراقي في رجب منها وكان من مقدمي الدولة ووجوه امرائها . وفيها وردت الاخبار من العراق بان السلطان محمود ابن ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه توجه الى عمه السلطان سنجر بن ملك شاه الى خراسان ودخل عليه ووطئ بساطه بعد ما جرى بينهما من الوقائع والحروب فاكرمه واحترمه واحمده وقرّر احواله على ما فيه صلاح امره واستقامة حاله ووصله بابنته واقراه على مملكته وشرفه بمخلعه وتكرّمه وعاد منكفياً الى اصفهان ببلده طامراً بامله وبغيته .

وفي هذه السنة حكى من ورد من بيت المقدس ظهور قبور الخليل وولديه اسحق ويعقوب الانبياء عليهم الصلاة من الله والسلام وهم مجتمعون في مغارة بارض بيت المقدس وكأنهم كالاحياء لم يبدل لهم جسد ولا رم عظم وعليهم في المغارة قناديل معلقة من الذهب والفضة وأعيدت القبور الى حالها التي كانت عليه . هذه صورة ما حكاه الحاكي والله اعلم بالصحيح من غيره

سنة اربع عشرة وخمسة

(111٢) فيها ورد الخبر من ناحية حلب بان الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق رفع الكوس عن اهل حلب والوثن والكلف وأبطل ما جدده الظلمة من الجور والرسوم المكروهة وقوبل ذلك منه بالشكر والثناء والاعتداد والدعاء . وحكي عن ماردن انها وقع عليها برد عظيم لم تجر بثله عادة ولا أبصر أكثر منها ما اهلك المواشي واتلف أكثر النبات والشجر . وفيها هدم نجم الدين زردنا وفيها كسر الامير بلق بن ارتق عفراس الرومي وقتل من الروم تقدير خمسة الاف على قلعة سرمان من بلد اندكان واسر مقدمهم عفراس

وفيها ورد الخبر بان السلطان محمود كسر عسكر اخيه مسعود بباب همدان تحت الزعفراني . وفيها وردت الاخبار بوصول الكندهو (كندهرى) ملك الافرنج في المراكب البحرية وملك أكثر المعقل . وفيها وقعت المهادنة بين نجم الدين ايل غازي بن ارتق صاحب حلب وبين الافرنج وتقررت المودة والمسالمة وكف كل جهة من الفريقين الأذية عن الآخر . وفيها وردت الاخبار بان السلطان محمود قصد حلة ديس بن صدقة ابن مزيد في عسكره ونهبها وهزم عسكرها وانهمز ديس طلى قلعة جعبر مستجيراً

بصاحبها الامير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك فاجاره واكرمه واحترمه وقيل انه
انعقد بينهما صهرٌ، وقيل ان في ذي الحجة من السنة هبَّت رِيحٌ شديدة هائلة منكرة
بنواحي الخزر فخرَّب بها كنانس ومعاقل وقلعت كثيراً من شجر الزيتون. وقيل ان
جوسلين غار على العرب والتركمان الشازلين بصقن وغنم منهم ومن مواشيهم بشاطي
الفرات وفي عوده خرب حصن بزاعة

سنة خمس عشرة وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار بقتل الافضل بن امير الجيوش صاحب الامر بمصر
رحمه الله ثاني عيد الفطر بامر رُتب له وعمل فيه عليه الى حين امكنت الفرصة فيه
فانتهزت الفرصة وصدف راكباً في مركبه مجتازاً في بعض اسواق القاهرة وقد كان على
غاية من التحرُّز والتحفظ واستعمال الاحتراس والتيقظ لاسيما من الطائفة الباطنية
والاحتياط منهم بانواع السلاح ووافر الغلمان (112) والخدم والعبيد والعُدَد المختلفة
والسيوف الماضية وكان المرتب لقتله والمرصد له جماعة فوثب عليه رجلٌ من بعض
الشوارع بحيث شغل اصحاب الركاب ووثب الاخر من بين يديه فضربه ضربات سقط
بها عن ظهر جواده الى الارض وقتل في الحال وحمل الى داره وبه رمقٌ وتوفي رحمه
الله من يومه وادعى ان الباطنية تولوا قتله وليس ذلك صحيحاً بل ذلك ادعاء باطلٌ
ومحالٌ زائلٌ وانما السبب الذي اجتمعت عليه الروايات الصحيحة التي لا تشك في هذا
الامر فساد ما بينه وبين مولاه الامر باحكام الله امير المؤمنين لتضييقه عليه ومنعه مما
تميل نفسه اليه ومنافرتة اياه في بعض الاوقات. وقد كان هذا الخلف المستمر بينهما قد
ظهر بمصر لكثير من اهلها وتحدثوا فيه وكان الامر قد عزم على اغتياله اذا دخل عليه
في قصره للسلام عليه او في ايام اعياد وقويت نفسه على اقام هذا الامر فمنعه من ذلك
الامير ابو الميمون عبد المجيد وقال له : ان هذا الامر اذا تم على هذه القضية كان فيه
شناعة وسوء سمعة لان هذا واباه في خدمتنا منذ خمسين سنة لا يعرف الناس في سائر
اقطار البلاد غير هذا فما يُقال في مثل هذه الحال في مجازاتنا لمن هذه صفته هذه
المجازاة الشنيعة والمكافأة الفظيعة وما العذر في ذلك الى الناس وهم لا يعلمون ما في
نفوسنا له وما ننقم عليه بسببه وما يعرفون منه في ظاهر الامر الا الموالاة الخالصة
والطاعة الصادقة والذب عن الدولة والمحاماة عنها ولا بد ان تدعو الضرورة الى اقامة

غيره في مكانه والاعتماد عليه في منصبه فيتمكن كتمكُّنه او بعضه فتحدَّر من الدخول الى قصرنا خوفاً على نفسه مما جرى على غيره وان دخل علينا كان خائفاً مُعدَّداً وان خرج عنَّا خرج وجلاً مستعدَّداً. وفي هذا الفعل ما يُؤكِّد الوحشة ويدلُّ على فساد التدبير في اليوم وفيما بعد بل الصواب في التدبير ان تستميل ابا عبد الله (محمد) بن البطائحي (١) الغالب على امره المطلع على سرِّه وجهره وتراسله وتعهده وتُتمِّيه وتطمعه في منصبه فانه يُجيب الى ذلك ويعين عليه (١١٢) لامرين احدهما ديناً لان مذهبه مذهبنا واعتقاده موالاتنا ومحبتنا والثاني للدنيا وجبها وكونه يصير في منصبه فيها ويدبر الامر عليه بمن لا يعرف ولا يوبه له ولا يلتفت اليه ممن يقتاله اذا ركب فاذا ظفروا بمن قتله قتلناه واظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه والاسف لفقده فيكون عذرنا عند كافة الرعية مبسوطاً ويزول عنَّا قبح القالة وسوء السعة

فاستقر الامر على هذه القضية وُشرع في اقامه والحال فيه ظاهرة وقضى الله عليه قضاء المحتوم وسرَّ الامر بمقتله سروراً غير مستور عن كافة الخاص بمصر والقاهرة . وقيل ان الموضع الذي قُتل فيه بمصر عند كرسي الجسر في رأس السويقتين في يوم الاحد سلخ شهر رمضان سنة ٥١٥ وعمره اذ ذاك ٥٧ سنة لان مولده كان بعكاء سنة ٤٥٨ وكان حسن الاعتقاد في مذهب السنة جميل السيرة موثراً للعدل في العسكرية والرعية صائب الرأي والتدبير عالي الهمة ماضي العزمة ثاقب المعرفة صافي الحس كريم النفس صادق الخدس عادلاً عن الجور حائداً عن مذاهب الظلم فبكته العيون وحزنت له القلوب ولم يأت الزمان بعده بمثله ولا أحمد التدبير عند فقده وانتقل الامر بعده الى صاحبه الامر باحكام الله امير المؤمنين واشتمل على خزائنه وامواله وذخائره وكراعه واثاثه وهو الفاية في الكثرة والوفور وانتظمت للامر (٢) الامور على المأثور واقام ابا عبد الله بن البطائحي ووفى له بوعده ولقبه بالمأمون وبسط يده في البرم والنقض والرفع والحفض

ووردت الاخبار في هذه السنة بظهور الكرج من الدروب وقصدهم بلاد الملك

(١) وفي متنى المبر لتقي الدين ابن قاضي شهبة المنتخب من العبر للحافظ الذهبي : ان كان ابوه جاسوساً للمصريين مات ورثي محمد هذا يتيماً فصار يُحمل في السوق فدُخل مع الحمالين الى دار امير الجيوش فراه شاباً ظريفاً فاعجبه واستخدمه مع الفرّاشين ثم تقدَّم عنده
(٢) وفي الاصل : لِلأَمْرَامِ

طغرل فاستنجد بالامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق صاحب حلب وباتركان وبالامير ديبس بن صدقة بن مزيد فاجابوا الى ما دعاهم اليه وبعثهم عليه وتوجهوا نحوه في خلق عظيم فانهمزم جمع الكرج خوفاً وعاد فرقا وضايقهم المسلمون وضايقوهم في الدروب فعادوا على المسلمين فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقصدوا مدينة تفليس فافتحوها بالسيف وقتلوا من كان فيها (١)

وقال الفارقي في تاريخه: وفي سنة ٥١٥ هـ نفذ اهل تفليس الى نجم الدين ايل غازي يستدعونه ليلسّموا اليه تفليس وكانت يد اهلها مقدار اربعين سنة وكان ملكها قوم من اهلها يسمون بني جعفر من مقدار مائتي سنة ثم انقض كبرهم واضمحأوا فعاد امرهم الى اهلها وكان كل شهر يلي امرهم منهم واحد وبقوا كذلك مدة اربعين سنة. وكان الملك داود ملك الانجاز والكرج فضايقتها مضايقة شديداً واضمحلت وكان قد نفذوا الى السلطان طغرل بك بن السلطان محمد وكان ملك جتزي واراد ان ينفذهم شحنة وزادت مضايقة ملك الكرج بهم وبقوا على هذا مدة فاتفقوا ان يحملوا له في كل سنة عشرة الاف دينار ويكون عندهم شحنة معه عشر فوارس فبقوا على ذلك مدة ونفذوا الى نجم الدين ايلغازي يستدعونه فسار معه عساكر عظيمة ومعه ديبس بن صدقة ملك العرب وكان صهر نجم الدين على ابنته كمار خاتون وكان قد وصل اليه في تلك السنة فسار بالعساكر ونفذ الى شمس الدولة طغان ارسلان صاحب ارزن وبديليس وكان له مدينة دوين واسره ان يدخل من شرقي تفليس وسار واخذ معه القاضي علم الدين ابن نباتة ومعه ولده القاضي علم الدين ابو الفتح الكبير هو الان (يعني سنة ٥٢٢) قاضي ماردين والوزير ابو تمام ابن عبدون وسار معه فوصلوا الى ارزن الروم وتخلّف القاضي والوزير بارزن الروم ودخل بالعساكر من ولاية الفرس وطريق تريباليث واتفقوا ان تجتمع العساكر اجمع على باب تفليس. وتجهز السلطان طغرل بك من ناحية جتزي وسار طغان ارسلان الاحدب من دوين ووصل نجم الدين الى ان بقي بينه وبين تفليس الجبل مقدار نصف يوم

وخرج الملك داود ومعه ولده ديميطري من جنب الغرب في عساكر عظيمة وكان يحذر عليهم من الجبل وهم في الحفة ولم تكن وصأت عساكر السلطان طغرل بك ولا شمس الدولة الاحدب بن معه وتقاتلوا قتالاً عظيماً وكسر نجم الدين وقتل منه خلقاً كثيراً وغنم الكفار منهم غنيمة عظيمة وخرج نجم الدين ودّيبس في نفر يسير بحيث ان بقي عندهم من الاسرى الى زمائس. ولقد رأيت موضع الرقعة حين دخلت الى تفليس في سنة ٥٢٨ هـ فاقمت بها ثم وصلت الى خدمة ملك الانجاز وبقيت عنده وخرجت معه وسرت في ولايته معه مقدار نصف وسبعين يوماً واجتاز الى اللان وطرف الدربند والى ولاية الانجاز. ولقد وصلنا بعض الايام في ولاية الانجاز الى برج واسع تحت جبل في قلعة شائعة ونزل الملك هناك وقال لي: يا فلان في هذه القلعة رجل اسير مستعرب من نوبة ايلغازي فاصمد اليه من الغد وابصره واسئله من اين هو. فعولت على ذلك وقلت: اطلبه من الملك ليعطيه. فبست تلك الليلة فلما كان من وقت السحر ضرب بوق الى الرجل لانه وصل

وفي هذه السنة هبت بمصر ربيع سوداء (113^{هـ}) ثلاثة ايام فاهلكت شيئاً كثيراً
من الناس والحيوان

سنة ست عشرة وخمسمائة

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية بغداد بان الامير ديبس بن صدقة بن مزيد
جمع واحتشد وقصد بغداد في حشده وعاث في اطرافها وافسد في اكنافها فخرج الامام
الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين من دار الخلافة واجتمعت اليه الاجناد وظهر اليه
وحمل عليه فهزمه وتم الى الحلة فنهبا ونهب مقتار قریش ببغداد وما بها من القناديل
الفضة والستور والديباج وعاد الى بغداد ودخلها في المحرم سنة ٥١٧
وورد الخبر فيها بان السلطان محمود سخط على وزيره (١) لاشياء تقمها عليه وانكرها

اليه الخبر ان بعض ولايته قد تشوشت عليه فحين وصله الخبر رحل ورحل الناس ولم يقدر على
الاجتماع هذا الرجل

ولما كسر نجم الدين وعاد بن بقي معه رجل ملك الالبغاز بالقنائم والاسرى وتزل على تفليس
وحاصرها مدة ثم هدم سورها من قبل الغربي ودخلها سيقاً فاحرقها ونهبها وبعد ثلاثة ايام آمن
اهلها وطيب قلوبهم ووعدهم بالجميل واسقط عنهم تلك السنة الأعمار والموت والاقساط والخراج
وشرط للمسلمين كلما ارادوه من الشرط الذي هو الان باق بها انه لا يعبر الى جانب المسلمين
بالمدينة ختير ولا يُذبح بها ولا في سوقها. وضرب لهم الدرهم عليها اسم السلطان والخليفة في
الوجه الواحد وفي الوجه (الآخر) اسم الله واسم النبي عليه السلام واسمه على جانب الدرهم .
ونادى في البلد ان من آذى مسلماً قد اهدر دمه وشرط لهم الاذان والصلاة والقراءة ظاهراً
وان يُخطب يوم الجمعة ويُصلى ويُدعى للخليفة وللسلطان ولا يدعى لغيرها على المنبر وشرط ان
حام اسماعيل بتفليس لا يدخلها كرجي ولا ارمني ولا يهودي ووصف خدمة الكرجي في السنة
خمس دنانير وخدمة اليهودي اربعة دنانير وخدمة المسلم ثلاثة دنانير

واحسن الى المسلمين غاية الاحسان وجعل لاهل العلم والدين والصوفية اكرام المنازل وما
ليس لهم عند المسلمين ولقد رأيت هذه الشروط كلها لما دخلت الى تفليس في سنة ٥١٨ هـ ولقد
رأيت ملك الالبغاز ديمطري الذي كنت في خدمته وقد تزل الى تفليس واقام بها اياماً وتزل
ذات يوم جمعة الى الجامع وجلس على دكة تُقابل الخطيب فوقف موضعه حتى خطب الخطيب وكل
الناس يسمع الخطبة جميعاً ثم خرج واطلق برسم الجامع مائتي دينار احمر. وكنت ارى العلماء والوعاظ
والاشراف والصوفية والذين يصلون بكرمهم ويعطيهم ويحترمونهم ويعتمدونهم ما ليس بمثله ولقد
كنت ارى لاحترامه للمسلمين ما لو انهم ببغداد ما احترموا تلك الحرمة

(١) هو كمال الملك ابو طالب علي بن احمد بن حرب السُميري قبله الباطنية كذا في
الكامل لابن الاثير. وفي مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي هو الذي عاجل الطغرائي الذي تقدم

منه وامر بالقبض عليه ثم تقدم بقتله فقتل وفي صفر منها توجه عائداً الى مدينة اصفهان. وفي صفر ورد الخبر من ناحية حلب ان ابا الفضل بن الموصل وزير الملك رضوان توفي بحلب في الشهر وكان حسن الطريقة يميل الى فعل الخير وعن قصد الشر. وفيها جاء سيل عظيم حتى دخل الى ربض قلعة جعفر فغرق اكثر دورها ومساكنها وهدمها واخرج منها فرساً حمله من الربض حتى رمى به من اعلى السور في الفرات وقيل ان عدة الدور الهالكة بهذا السيل الجارف ثمانمائة مكان. وقيل ان الامير نجم الدين بن ارتق خرج من حلب في عسكره وقطع الفرات وصادف الافرنج فلم يلقوه فالتف ما ظفر به في اعمالهم وعاد متكفئاً الى الفنديق بظاهر حلب

وفي هذه السنة وصل الاسطول المصري الى صور وهو مشحون بالرجال البحرية وطائفة من العساكر. وفي نفس الوالي العمل على الامير سيف الدولة مسعود الموالي بصور من قبل الامير ظهير الدين اتابك. فلما خرج للسلام على والي الاسطول سألوه النزول فلما حصل في مركب المقدم اعتقله وثقت عليه المكيدة وحصل البلد في ايديهم ولما اقلع الاسطول ووصل الى مصر وفيه الامير مسعود اكرم وأتزل في دار وأطلع له ما يحتاج اليه. والسبب كان في هذا التدبير ان شكاوي اهل صور تتابعت (١١٣) الى الامر باحكام الله والافضل بما يعتمد مسعود مع الرعية من الاضرار لهم والمخاللة للعادة والموافقة لهم فاقتضت الاراء التدبير عليه وازالة ما كان من الولاية اليه وكانت عاقبة خروجه منها وسوء التدبير فيها خروجها الى الافرنج وحصولها في ملاكتهم

ذكره بالقتل بانه اقام اقواماً شهدوا عند السلطان محمود انه زنديق لا يتدين بدين الاسلام. وفيه ايضاً ان ابن السمعاني ابا سعد حكى في الذيل: ان السلطان جلس يوماً في جوقه عصفير فقال: آذنتنا هذه العصفير. فقال له بعض خواصه: يأمر السلطان بعض الفرائدين يصعد اليها بسلّم فبرمي باعشاشها او يأمر بعض الغلمان ان يرميهم بالبندق. فقال: لما استحل ذلك. فقبل له: فكيف استحللت قتل مؤيد الدين الطغرائي مع شيخوخته وفضله؟ فقال: ما مع الفضل فضول. يعني انه اوقع بينه وبين اخيه. وقال المصنف: ما احسن هذا الجواب الذي جدد العقلاء الى طريق الصواب. وفيه ايضاً في ترجمة السديري: ان في تاريخ السلاجقية في مقتل وجه اخر وذلك انه لما قتل الطغرائي تجرّد له غلام اسود من غلمان الطغرائي ورصده مدّة طويلة حتى دخل الحمام وغفل عنه اصحابه فوثب عليه فضربه عدة سكاكين فحمل الى داره وهو منخن بالجراح فخيّطت وهو في ثم استال ذلك الاسود حتى تسور عليه الحائط ليلة ولم يكن عنده احد فقضي عليه. والاول اشهر

وفي هذه السنة ورد الخبر بان الامير نور الدولة بلك بن ارتق نهض في عسكره في ايام من رجب وقصد الافرنج بالرُّها ووقع بهم وكسرهم واسر مقدمهم جوسلين وابن خالته كليان وجماعة من مقدميهم عند سروج. وورد الخبر بوفاة الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق بعلّة عرضت له وهو نازل في قرية تُعرف بالفحول من عمل ميافارقين من ديار بكر في السادس من شهر رمضان من السنة وقام في منصبه بعده ولده شمس الدولة سليمان واخوه تمرتاش ابناء نجم الدين وملكا مارددين واقاما مدّة متفقين وجرى بينهما خلف استمر من كل منهما (١) . وفيها توفي الحاجب فيروز شحنة دمشق في اربع الاخر منها

سنة سبع عشرة وخمسة

فيها وردت الاخبار من ناحية بغداد يبروز الامام المسترشد بالله امير المؤمنين وفي جملة الامير (اق) سنقر البرسقي عازماً على قصد الامير دُبّيس بن صدقة بن مزيد لا هو عليه من الخلاف والمجاهرة بالعصيان والفساد في الاعمال وقصدوا الحلة

(١) قال الفارقي في تاريخه: وفي سنة ٥١٥ هـ عاد نجم الدين الى ميافارقين واقام هناك ومعه زوجته الخاتون بنت طتكين صاحب دمشق فرض وتوفي يوم الخميس سابع عشر من رمضان فحمل ليلاً وركب ولده الامير شمس الدولة سليمان والخاتون بنت طتكين ووصلوا ميافارقين ووصلوا الى باب الهوة واجلسوا الامير على فرسه ومن ورائه رجل يمسكه وتقدماتوا وصاحوا: اتزل الوالي. وكان اسمه قنلي فدخل شيخ ممن صحبه الامير نجم الدين من اول زمانه وكلمه شمس الدولة والخاتون ففتح الباب فقالوا: ان الامير مريض. فلما حصلوا في ارض القصر صاحوا وضجوا وقالوا: مات الامير في هذه الساعة. واصبح الناس وصعد اهل البلد ومن كان جا من الجند الى القصر وغسل الامير وصلي عليه ودُفن بالسندلي مدّة ثم أُخرج ودُفن في مسجد الامير شرقي قبة السلطان فدُفن هناك. وكان نجم الدين ايلغازي قد تزوّج بفرخندا خاتون بنت الملك رضوان لما ملك حلب وتمقّد عليها ولم يدخل بها ولا رآها ومات ولم يرها تزوّجها بعده الامير بلك ابن جهرام ابن ارتق. قيل واستقرّ شمس الدولة سليمان بميافارقين واستوزر الوزير عبد الملك بن ثابت ورد الامور اليه واخذ خربت من الامير بلك وبقيت معه الى ان مات واخذها الامير داود واخذ بلد حزة من الامير داود واخذ الضياع الذي اخذها حسام الدولة (قرقي بن الاحدب) صاحب ارنج من بلد ميافارقين (وكان اخذ خمس وعشرين قرية من بين النهرين في ولاية الرزيكي في سنة ٥٠٩ هـ ومات شمس الدولة في سنة ٥١٨ هـ). . . فوصل حسام الدين (تمرتاش) ودخل البلد في شوال سنة ٥١٨ هـ واستوزر عبد الملك واستقرّ حاله ووصل له جميع ما كان لابيّه نجم الدين واحسن الى الناس واحبوه واستبدّ بالملك

واتتهبها وارتفع السعر ببغداد حتى بلغ الخبز ستة ارطال بدينار . وورد الخبر من ناحية حلب باستقرار المهادنة بين الامير بدر الدولة بن عبد الجبار (١) بن ارتق صاحب حلب وبين الافرنج على تسليم قلعة الاثارب الى الافرنج فقتلوا وحصلت في ايديهم واستمرت المهادنة على هذا واستقامت احوال الاعمال من الجانبين وامنت السابلة للمتددين فيها بين العمليين في صفر من السنة

وفيهما ورد الخبر بنهيض بغداديين ملك الافرنج في عسكره الى ناحية حلب الى الامير بلك بن ارتق في تاسع صفر منها وهو منازل الحصن كركر فنهض اليه والتقى بالقرب من منظرة فكسره واسره وحصل في يده اسيراً (114٢) مع جماعة من وجوه عسكره فاعتقله في جب في قلعة خربت مع جوسلين ومقدمي الافرنج . وفي اخر صفر نهض ظهير الدين اتابك في العسكر فجهم بفض حصص ونهبه واحرقه وبعض دوره وكان طغان ارسلان بن حسام الدولة قد وصل الى حصص لمعونة خيرخان صاحبها فعاد ظهير الدين عنها الى دمشق

وورد الخبر من ناحية حلب بنزول الامير بلك بن ارتق عليها في ربيع الاول منها واحرق زرعها وضايقها الى ان تسلمها بالامان في يوم الثلاثاء غرة جمادى الاولى من بدر الدولة ابن عمه عبد الجبار (٢) بن ارتق وقد كان ذلك تسلم مدينة حران في شهر ربيع الاول . وفيها وردت الاخبار بوصول فريق كثير من عسكر لواتة من ناحية الغرب الى مصر وافسدوا في اعمالها وظهر اليهم المأمون ابو عبد الله بن البطايعي المقام في مقام الفضل الشهيد بن امير الجيوش في عسكر مصر بامر صاحبه الامام الامر باحكام الله بن المستعلي بالله ولقيهم فكسروهم وقتل واسر منهم خلقاً كثيراً وقرر عليهم خراجاً معلوماً يقومون به في كل سنة وعادوا الى اماكنهم وعاد المأمون الى مصر غانماً منصوراً وبحسن الظفر مسروراً . وفيها ورد الخبر بان اصطول مصر لقي اصطول البنادقة في البحر فتحاربوا فظفر به اصطول البنادقة واخذ منه عدة قطع . وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول منها ملك الامير بلك بن ارتق حصن البارة واسر اسقفها

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية خربت بان الملك بغداديين الرؤيس وجوسلين مقدمي الافرنج وغيرهم من الاسرى الذين كانوا في اسر الامير بلك المعتقلين في قلعة

(١) وفي الاصل : بدر الدولة بن ابل غازي

(٢) وفي الاصل : ابل غازي

خرّبت عملوا الحيلة فيما بينهم وملكوا القلعة وهربوا الملك بغدوين ونجا ولم يظفروا به وهرب في ذلك اليوم ايضاً اسقف البارة من اعتقاله . وفي الشهر المذكور توجه الامير نور الدولة بلك في عسكره الى خربت وضائق قلعتها الى ان استعادها من الافرنج الواصلين عليها ورتب فيها من يحفظها ويتيقظ فيها . وفي هذه السنة ورد الخبر بان محمود بن قراجه (١١٤٢) والي حماة خرج في رجاله وقصد ناحية افامية وهجم ربضها فاصابه سهم من الحصن في يده ولما قلع منه عملت عليه وتزايد امرها فمات منه وكان عاهراً ظالماً مشرداً وقتل جماعة من اعيان حماة ظلماً وتعدياً بسعاية بعضهم على بعض ولما عرف ظهير الدين ذلك انهض الى حماة من تسلمها وتولى امرها من ثقاته

وفيهما ورد الخبر بالنوبة الكائنة بين السلطان مغيث الدين محمود وبين اخيه طغرل ابني السلطان محمد وان السلطان محمود صافه وكسره وهزمه وملك عسكره وان طغرل استعان بالامير دؤيس بن صدقة بن مزيد واستنجد به عليه وأجيب الى ذلك . وفي هذه السنة كانت النوبة الكائنة بين عسكري ظهير الدين اتابك الدمشقي وسيف الدين اق سنقر البرسقي حين تجتمعوا وتزلوا على عزاز من عمل حلب ومضايقتها بالنقوب والحروب الى ان سهل امرها فتجمع الافرنج من كل صوب وقصدوا ترحيل العسكر عنها والتقى الجيشان وانقل جيش المسلمين وتفرقوا بعد قتل من قتل وأسر من أسر وعاد ظهير الدين اتابك الى دمشق في جمادى الاولى من السنة . وفي شهر رمضان من السنة توجه الحاجب علي بن حامد الى مصر رسولا عن ظهير الدين اتابك

سنة ثمانى عشرة وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية العراق بان القاضي قاضي القضاة زين الاسلام ابا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي كان قافلاً من ناحية خراسان بجواب السلطان منجر عما صدر على يده اليه وانه لما نزل بهمدان في جامعها وثب عليه على حين غفلة منه قوم رتبوا له من الباطنية فضربوه بسكاكينهم قتلوه وهربوا في الحال ولم يظهر لهم خبر ولا بان منهم اثر ولا تبهم شخص للخوف منهم فمضى لسبيله شهيداً الى رحمة الله وذلك للقضاء النازل الذي لا يدافع والقدر الحال الذي لا يمانع وذلك في رجب منها

وفيهما ملك الافرنج ثغر صور بالامان وشرح الحال في ذلك كان قد مضى من ذكر الذي اوجب اخراج الامير (١١٥٦) سيف الدولة مسعود واليهما منها وحمله في الاسطول الى مصر ما لا يحتاج الى الاعداد له والاطالة بذكره . ولما حصل بها الوالي المندوب من مصر بعد مسعود طيب نفوس اهله وكاتب ظهير الدين بصورة الحال فاعاد الجواب بان الامر في ذلك لمن دبره والمرجوع الى ما رتبته وقرره . واتفق ان الافرنج لما عرفوا هذا الامر وانصرف مسعود عن ولاية صور تحرك طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم بتملكها وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها والمضايقة لها . واتصل بالوالي صورة الامر وانه لا طاقة له بالافرنج ولا ثبات على محاصرتهم لقلة من بها من الجند والميرة فطالع الامر باحكام الله صاحب مصر بذلك فاقتضى الرأي ان ترد ولاية صور الى ظهير الدين اتابك ليتولى حمايتها والذب عنها والرامة دونها على ما جرى رسمه فيها وكتب منشور الولاية باسمه فندب لتوليها جماعة لا غناء لهم ولا كفاية فيهم ولا شهامة ففسد امرها بذلك وتوجه طمع الافرنج حولها لاجله وشرعوا في النزول والتأهب للمضايقة لها ونزلوا بظاهرها في شهر ربيع الاول من السنة وضايقوها بالقتال والحصار الى ان خفت الاقوات فيها وعدمت الميرة . وتوجه ظهير الدين في العسكر الى بانياس للذب عن صور

ونفذت المكاتبات الى مصر باستدعاء المعونة لها وتمادت الايام بذلك الى ان ضعفت النفوس واشرف اهلها على الهلاك وعرف اتابك جليّة (الامر) وتعذر تلافيها ووقع اليأس من المعونة لها فراسل الافرنج بالملاطفة والمداينة والارهاب والارغاب الى ان تقررت الحال على تسليمها اليهم بحيث يؤمن كل من بها ويخرج من اراد الخروج من العسكرية والرعيّة بما يقدرون عليه من احوالهم ويقيم من اراد الإقامة

ووقف اتابك في عسكره بازاء الافرنج وفتح باب البلد وأذن للناس في الخروج فحمل كل منهم ما خفّ عليه واطاق حملة وترك ما ثقل عليه وهم يخرجون بين الصفتين وليس احد من الافرنج يعرض لاحد منهم بحيث خرج كافة العسكرية والرعيّة ولم يبق منهم الاضعيف (١١٥٧) لا يطيق الخروج فوصل بعضهم الى دمشق وتفرقوا في البلاد وذلك في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة ٥١٨

وفيهما ورد الخبر باجتماع الافرنج من اعمالهم ونزولهم على حلب وشرعهم في قتال من بها والمضايقة وتمادى الامر في ذلك الى ان قلت الاقوات فيها واشرف على الهلاك

اهلها فلما ضاق بهم الامر وعدم الصبر وراسلوا الامير سيف الدين (اق) سنقر البرسقي صاحب الموصل بشكوى احوالهم وشرح ما تزل بهم والسؤال له في انجادهم على الافرنج واتقاذهم من ايدي الكافرين فضاقت لذلك صدره وتوزع سره وتأهب في الحال للمصير اليهم وصرف الاهتمام الى الذب عنهم . فلما وصل اليهم في ذي الحجة من السنة وعرف الافرنج خبره ونحوه قريبا منهم وما هو عليه من القوة وشدة الشوكة اجفلوا مولين ورحلوا منهزمين وتبعهم سرعان الخيول يتلقتون من يظفرون به في اعناقهم ولم يلبس منهم من هزم على متلوم الى ان حصلوا بانطاكية . وكانوا قد ابتنوا في منزلهم مساكن وبيوتا تقيمهم الحر والبرد واصروا على المقام ولطف الله تعالى وله الحمد باهل حلب وخلصهم من البلاء وانتاشهم من اللأواء . وكسب اق سنقر البرسقي بهذا الفعل الجميل جزيل الاجر والثناء ودخل حلب واحسن السيرة فيها واجمل المعاملة لاهليها واجتهد في الحماية لها والاراماة دونها بحيث صلت احوالها وعمرت اعمالها وامنت سابلتها وتواصلت الرفق اليها ببضائعها وتجارتها

وفي شتوة هذه السنة احتبس الغيث بارض الشام في كانون وكانون واكثر شباط وتلف الزرع وغلا السعر وعم القحط اكثر البلاد الشامية ثم تدارك الله عبيده بالرحمة وانزال الغيث بعد القنوط فاحيا به الارض بعد موتها وانتاش الزراعات بعد فوتها وطابت النفوس وزال عنها الهم والبؤس . وارتفعت الاسعار في هذه السنة في حلب ودمشق واعمالها الى الرحبة والقلعة والموصل وبقي الى سنة ١٩ وهلك كثير من ضعفاء الناس بالجوع

سنة تسع عشرة وخمسمائة

(116٢) في هذه السنة وردت الاخبار من مصر بتقدم الامر باحكام الله بالقبض على المأمون ابي عبد الله واخيه المؤمن ابي البطاخي غلامي الافضل اللذين كانا عاملا على قتله واعاناه على إتلافه واعتقالهما في شعبان والاستيلاء على اموالهما ودفنهما للاسباب التي تقيم بها عليهما والمنكرات التي اتصلت به عنهما

وفيها اتصلت الاخبار من ناحية بغدادين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بالاحتشاد والتأهب والاستعداد لقصد ناحية حوران من عمل دمشق للغيث فيها والافساد وشرع في شن الغارات على الجهات القريبة من دمشق والمضايقة لها وقطع الطرقات

على الواردين اليها. فعند المعرفة بذلك والتحقق له شرع ظهير الدين اتابك في الاستعداد للقاءه والاجتماع على جهاده وكاتب أمراء التركمان ومقدميهم واعيانهم باعلامهم صورة الحال ويستنجد بهم عليهم ويبذل لهم الاحسان والانعام وبرز في عسكره وقد ورد عليه خبر قريبهم من طبرية قاصدين اعمال البلد من مرج الصفر وشرخوب وخيتم به وكاتب ولاية الاطراف بامداده بالرجالة والتفق وصول التركمان في الفي فارس أولى بأس شديد ورغبة في الجهاد ومسابقة الى الكفاح والجلاد فاجتمع اليه خلق كثير. وكان الافرنج حين عرفوا نزول اتابك والعسكر بمرج الصفر رحلوا اليه وخيموا بازانه ووقعت العين على العين وتطاردت طلائع الفريقين. فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء القاضي والحكم النافذ من أحداث دمشق والشباب الأغرار ورجال الغوطة والمرج والاطراف وأحداث الباطنية المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص وغيرها والعقبة وقصر حجاج والشاغور خلق كثير رجالة وخيالة بالسلاح التام والناهض مع المتطوعة المتدينين وشرعوا بالمصير للحاق المصاف قبل اللقاء وقد شاع الخبر بقوة عسكر الاسلام وكثرته واستظهاره على حزب الافرنج وشدة شوكته ولم يشك احد في هلاك الافرنج في هذا اليوم وبوارهم وكونهم طعمة للمسلمين متسهلة (116^v) والتفق ان فرقة وافرة من عسكر التركمان غارت على اطراف الافرنج وثالت منهم واستظهرت عليهم وخاف الافرنج وعلمو انه لا طاقة لهم بهذا الجمع وايقنوا بالهلكة ورحلوا باسرهم من منزلهم الذي كانوا فيه عائددين الى اعمالهم على غاية من الخوف والوجل ونهاية من الذل والهزل. ونشب فرقة من التركمان في فريق منهم وهم راحلون فغنمت من اثقالهم ودوابهم غنيمة وافرة وظفرت بالكنيسة المشهورة التي لهم في مخيمهم. وطمع العسكر عند ذاك فيهم وحملوا عليهم وهم مولون لا يلون على تابع ولا يققون على مقصر لاحق وقد شملهم الرعب وضايقوهم مضايقة الجأثم الى رمي نفوسهم عليهم امأ لهم وامأ عليهم فتجمعوا وعادوا على العسكر الاسلامي وحملوا عليه حملتهم المعروفة فكسروهم وهزموهم وقتلوا من اعقابهم من شطبة الرجل وخانه الاجل. وتم العسكر في الهزيمة على حاله وعادوا على جميع الرجالة وهم العدد الكثير والجم الغفير واطلقوا السيف فيهم حتى اتوا عليهم وتتبعوا المنهزمين بالقتل حتى وصلوا الى عقبة سحورا وقربوا من البلد من شرخوب مع بعد المدى والمسافة وصبر خيولهم ووصل ظهير الدين اتابك والعسكر الى دمشق آخر نهار هذا اليوم وبنوا الامر بينهم

على مُباكرتهم في غد للايقاع بهم فصادفهم قد رحلوا عائدين الى عملهم خوفاً مما عُزِ-
عليه من قصدهم وتتبعهم والله يحكم ما يشاء

سنة عشرين وخمسة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية الموصل باستشهاد الامير الاصفهانسياف الدين اق سنقر البرسقي صاحبها بيد الباطنية رحمه الله في مسجد الجامع بها في ذي القعدة منها وكان الذي وثب عليه جماعة قد رُتبت لمراصدته وطلب غرته حتى حان الحين ونفذ الاجل وقد كان على غاية من التيقظ لهم والتحفظ منهم بالاستكثار من السلاحية والحاقدارية والسلاح الشاك لكن القضاء النازل لا يُدافع والقدر النافذ لا يُمانع وعليه مع هذا من (117) لباس الحديد ما لا تعمل فيه مواضي السيوف ومُرهفات الخناجر وحوله من الغلمان الاتراك والديلم والحراسانية بانواع السلاح عُدَّة. فلما حصل بالجامع على عادة لقضاء فريضة الجمعة والنقل على رسمه وصادف هذه الجماعة الحبيثة في زي الصوفية يُصلُّون في جنب المشهد لم يؤبه لهم ولا ارتيب بهم. فلما بدأ بالصلاة وثبوا عليه بسكاكينهم فضربوه عدة ضربات لم تؤثر في لبس الحديد الذي عليه وقد غفل اصحابه عنه وانتضى سيقاً كان معه وضرب احدهم فقتله وصاح واحد منهم حين رأوا السكاكين لا تعمل فيه شيئاً: ويلكم اطلبوا رأسه واعلاه. وقصدوا حلقه بضرباتهم فأنحروا الى حين ادركه اصحابه وحماته فقُضي عليه وقتل شهيداً وقتلوا جميع من كان وثب عليه. وقد كان هذا الامير رحمه الله سديد الطريقة جميل الافعال حميد الاخلاق موثر العدل والانصاف كثير التدين محمود المقاصد محباً للخير واهلاً مكرماً للفقهاء والصالحين خزن الناس عليه واسفوا لفقده على هذه الحال ولما عرف ظهير الدين اتابك هذا قلباً له وضاق صدره لسجاعة. وقام في الامر بعده ولده الامير مسعود وهو مشهور بالنجابة والزكاء معروف بالشهامة والعناء فاجتمع اليه خواص ابيه ووزيره وكُتَّابه وسلك منهاجه. المحمود وقصد قصده المشكور فاستقام له الامر وانتظمت على السداد والمراد احواله

وفي هذه السنة نهض ظهير الدين نحو تدمر ولم يزل حتى استعادهها من ايدي العاملين عليها الموابين على ابن اخيه الوالي كان بها في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر منها واستقر الامر على ان يجعل برسم الامير شهاب الدين

محمود بن تاج الملوك بُوري بن ظهير الدين اتابك وُسِّلَت اليه وخرج اليها ومعه من رُتَب لحفظه وحفظها من الثقات

وفي هذه السنة عاد ظهير الدين من حلب وقد بدا له من المرض ودخل دمشق في شعبان منها ووصل اليه امين الدولة كمشكين والي بصرى من مصر بجواب الرسالة التي كان نقذ لاجلها ومعه الامير المنتضى (١١٧٦) ابن مُسافر الغنوي رسول الامر باحكام الله صاحب مصر وعلى يديه خلع سنيّة وتحف مصرية في الشهر المذكور

وفي هذه السنة استفحل امر بهرام داعي الباطنية وعظم خطبته في حلب والشام وهو على غاية من الاستتار والاختفاء وتغيير الزي واللباس بحيث يطوف البلاد والمعاقل ولا يعرف احد شخصه الى ان حصل في دمشق بتقرير قرره نجم الدين ايل غازي بن ارتق مع الامير ظهير الدين اتابك وخطاب وكده بسببه فأكرم لا لقاء شره وشر جماعته وسحمت له الرعاية وتأكدت به العناية بعد ان تقلبت به الاحوال وتنقل من مكان الى مكان وتبعه من جهة الناس وسفهاء العوام وسفساف الفلاحين الطعام من لا عقل له ولا ديانة فيه احتفاء به وطلباً للشر بحزبه . ووافقه الوزير ابو علي طاهر بن سعد الزدقاني وان لم يكن على مذهبه على امره وساعده على بث حبال شره واطهار خافي سره . فلما ظهر امره وشاع وطاوعه وزير ظهير الدين المذكور ليكون عوناً له على فعله وتقوية يده في شغله التمس من ظهير الدين اتابك حصناً يأوي اليه ومعتقلاً يحتمي به ويعتمد عليه فسلم له ثغر بانياس في ذي القعدة سنة ٥٢٠ فلماً حصل فيه اجتمع اليه اوباشه من الرعاع والسفهاء والفلاحين والعوام وغوغاء الطعام الذين استغواهم بحاله واباطيله واستألمهم بخدعه واضاليله فعظمت المصيبة بهم وجلت المحنة بظهور امرهم وسبيهم (كذا) وضائق صدور الفقهاء والتدنيين والعلماء واهل السنة والمقدمين والستر والسلامة من الاخيار المؤمنين واحجم كل منهم من الكلام فيهم والشكوى لواحد منهم دفعا لشرهم وارتقياً لدائرة السوء عليهم لانهم شرعوا في قتل من يعاندهم ومعاضدة من يوازرهم على الضلال ويرافدهم بحيث لا يُنكر عليهم سلطان ولا وزير ولا يقل احد شرهم متقدماً ولا اميراً

وفي هذه السنة ورد الخبر بوصول السلطان مغيث الدنيا والدين محمود ابن السلطان محمد بن ملك شاه (١١٨٦) الى بغداد وجرى بينه وبين الخليفة الامام المسترشد بالله امير المؤمنين مراسلات ومخاطبات اوجبت تشيخ الحال بينهما والمنافرة من كل

منهما وتفاقم الامر الى ان اوجب زحف السلطان في عسكره الى دار الخلافة ومحل الامامة ومحاربه في قصره والطلبة لغلبته وقهره ولم يزل الشحنة مستمرة والفتنة على غير الاشار مستقرة الى ان زالت اسباب الحلف والنفار وعادت الحال الى ما الفيت من شوائب الاكدار بحسن سفارة الوزير جلال الدين بن صدقة وزير الخلافة وجميل وساطته وسديد نيابته وعاد السلطان مع ذلك الى المألوف من طاعته والمعروف من مناصحته والتصرف على اوامر امير المؤمنين وامثله وذلك في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ٥٢٠ وقيل في اول المحرم سنة ٥٢١

وفي رجب من هذه السنة توفي الامير طرخان بن محمود الشيباني احد امراء دمشق بعلة حادة هجمت عليه فاردته . وفيها قصدت الافرنج رفية وضايقوها واستعادوها من ملكة المسلمين

سنة احدى وعشرين وخمسة

فيها ورد الخبر من ناحية العراق بقتل المعين وزير السلطان سنجر ابن السلطان ملك شاه صاحب خراسان بتدبير الباطنية في شهر ربيع الاخر منها . ذكر انه كان فتك بجماعة منهم ومحرضاً للسلطان على النكاية فيهم وتطهير الارض منهم فرتبوا له قوماً من سفهائهم للارصاد لفرصة تلوح فيه وغرة تظهر منهم فلم يتم لهم في ذلك نيل طلب ولا تسهل لهم ادراك ارب فافردوا منهم سفيةاً ولم يزل يتحيل الى ان خدم في اسطبل دوابه سائساً لبغاله واقام في خدمته الى ان وجد الفرصة متسهلة عند حضوره لمشاهدة كراعه فوثب عليه وهو غافل مطمئن فقتله ومسك فقتل من بعده . وكان هذا الوزير موصوفاً بجميل الافعال وحيد الفعال ومتانة الدين (١١٨٣) وحسن اليقين والانصاف في اعماله والتسدد في اقواله ومضى حال سبيله شهيداً وانتقل الى ربه مرضياً حميداً عند نقاد المدة واقضاء العدة والله عاقبة الامر ويده محتوم النفع والضرر

وقد تقدم من شرح حال الامير سيف الدين اق سنقر البرسقي صاحب الموصل في استشهاده بيد الباطنية في جامعها رحمه الله وقيام ولده الامير مسعود في الامر من بعده ما فيه الكفاية . فلما استتب امره وقويت شوكته واستقامت ولايته شمع بانفه ونفخت حدائث السن في سخره وحدثته نفسه بمنازلة البلاد الشامية والطمع في تلك المعازل الاسلامية والاطراح لمجاهدة العصب الافرنجية بالضد من اولي الحزامة والسداد وذوي

البأس والبسالة في احراز فضيلة الغزو والجهاد . وفي الخبر عنه الى ظهير الدين اتابك بحكايات تدل على حسده له بما أوتي من الهية وحسن الصيت وجميل الذكر وكبر الشأن والامر وأنه عازم على التأهب والاحتشاد لقصد اعمال الشام والعيث فيها والافساد . فعزم ظهير الدين اتابك عند معرفته هذه الاحوال التي لا يصدر مثلها عن اريب ولا يبدو شبهها عن حازم في رأيه ليب على الاستعداد لقصده في عسكره حين يدنو من الاعمال الشامية فيوقع بعسكره ويشفي غليله بالفتك بحزبه . فما كان بعد ذلك الا الايام القلائل حتى انقضت عرى شبابه وتزل محتوم القضاء به بهجوم مرض حاد عليه بظاهر الرحبة اتى عليه واصاره الى المحتوم الذي لا بد له عنه ولا مجير له منه فانقل حده وخذه انصاره وجنده واسلمته للقضاء نحاته وتفرقت عنه خواصه وثقاته وهلك في الحال وزيره وشريكه في الوزر ومشيريه بلاء شديدة اعجلته وفي اشراك المنية اوبقته وهرب جماعة من خواص غلمان ابيه الاتراك باعلامه التي كانت قد استعملها على مراده واثاره وتناهى في احكامها على قضية اقتراحه واختياره ووصلوا بها الى ظهير الدين اتابك متحين له بها ومتقرين اليه باهدائها فاحسن اليهم وبالغ في الاكرام لهم والانعام عليهم واصطفاهم لنفسه وضمهم الى ثقاته واهل انسه وقابلهم على وفودهم عليه (119) بالفعل الجميل والعطاء الجزيل (١)

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بمسير السلطان مغيث الدنيا والدين محمود وقد عبث به مرض خاف منه على نفسه محمولا في محفة نحو همدان واجتاز عند

(١) قال الفارقي في تاريخه : وفي سنة ١٩ او في أول سنة ٥٢٠ قتل البرسقي في جامع الموصل قتله الباطنية وولي ولده مسعود البلاد من ديار ربيعة وغيرها واجتمع جاء الدين القاضي الشهرزوري ونصير الدين جقر وصلاح الدين محمد الفيصاني (الباغسياني) وحصلوا خزانه وخدمة ونزلوا الى بغداد ليعخدم السلطان محمود وبقر الامير مسعود ولد البرسقي في البلاد ولما وصلوا اذنوا وقالوا : ان هذا صبي ولا يقوم بالملك وربما لا يدبر البلاد ويكون الحيف علينا . فاقضى راجم ائهم اجتمعوا بقسم الدولة زنكي بن اق سقر وكان شحنة بغداد في تلك شحنة وقرروا معه ما ارادوا من مصالحهم واستحلفوه ان يكون لبهاء الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والامور الدينية له . فحلف ان تكون الحجة وامارة المسكر لصلاح الدين وان يكون ولاية الموصل وجميع البلاد الى نصير الدين ويولي فيها من يراه فحلف بهم على ذلك وتقرر الامر اليهم بينهم ثم انهم خدموا السلطان واصحابه والخليفة واصحابه بالمال الذي وصل معهم فطلبوا زنكي فسلم اليه السلطان ابيه الب ارسلان والحناجي وحصل اتابكها واوفى له بالبلاد وسار الى الموصل وملك الموصل والبلاد اول سنة ٥٢٢

ذلك بدار الخلافة وراسل الامام المسترشد بالله امير المؤمنين يسأله المساححة بما سبق منه في تلك النوبة الحادثة بينهما وان يحلله ويدعوه ولا يدعو عليه فخرج اليه جواب الرسالة باجمل جواب وألطف خطاب طابت بهما نفسه وزاد في استماعهما امله في البر وأنسه ثم انه افاق من مرضه هذا وعأوده نشاطه بعد الكسل والفتور وعاد الى الغرض المأثور. وكان قد انكر على وزيره شمس الملوك خواجه بزرگ اموراً دعتة الى الامر باقبض عليه وتسليمه الى حاجبه فقتله وقيل انه شرب الخمر في قحف رأسه

وفي شعبان من هذه السنة قصد بغدادين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس في عسكره وادي مرسى فنهب اهله وسباهم وشردهم وعاد عنهم. وفي جمادى الآخرة منها ورد الخبر بان الامير ختلغ ابه السلطاني وتي مدينة حلب وحصل في قلعتها بطلائع اختيار له ولم يقيم الا القليل حتى فسد امره واضطرب حاله ووقع بينه وبين احداث الحلبين فحصره في القلعة الى ان وصل الى حلب عسكر الامير عماد الدين اتابك فقتلته من القامة واعتقل واستؤذن في امره فاذن في سمل عينيه فسلما سنة اثنتين وعشرين وخمسة

في هذه السنة اشتد المرض بظهير الدين اتابك وطال به طويلاً أنهك قوته وأخل جسمه واضعف منته واشفى منه على نزول ما لا يدفع بحيلة ولا ينفع بقوة فاحضر ولده الامير تاج الملوك وامراء دولته ونخواته واهل ثقته واعيان عسكرته واعلمهم بانه قد احسن من نفسه باقتطاع الاجل وفراغ المهل وخيبة الرجاء من البقاء والامل « ولم يبق غير الوصية بما يعمل عليه ويدبر به الامر بعدي وينتهي اليه وهذا ولدي تاج الملوك بوري هو اكبر ولدي والمترشح للانتصاب مكاني من بعدي والمأمول لسد ثلثة فقدي ولا اشك في (119) سداد طريقته واشاره لفعل الخير ومحبه وان يكون مقتنياً لا ثاري في حفظ قلوب الأمراء والعسكارية وعاملاً على مثالي في انصاف الاعيان والرعية فان قبل وصيتي هذه ونهج السبيل المرضية في بسط المعدلة والنصفة في انكافة وازال بحسن سياسته عنهم اسباب الوجع والمخافة فذاك الظن في مثله والمرجو من سداده وجميل فعله وان عدل عن ذلك الى غيره وحاد عن ما يؤثر من السداد في سره وجهره فما هو متشاهد لهذه الحال ومتوقع لمثل هذا المآل » فقال: بل اوفى على المراد ولا اتعدى سبيل السداد والرشاد فوكد الامر عليه في ذلك تأكيداً فيه منه وقبله عنه

ثم توفي الى رحمة الله ضحى نهار يوم السبت لثمان خلون من صفر من السنة فابكى
العيون ونكأ القلوب وفَتَّ في الاعضاء وفَتَّت الاكباد واشتدَّ الاسف لفقده والجزع
عليه ولم يُسَمَّع الا متفجعاً له وذاكرٌ لجميل افعاله وشاكر لايامه . وقام ولده تاج
الملوك بوري بالامر من بعده واحسن السيرة في خاصه ورعيته وجنده فلو كانت مجاري
الاقدار تدفع اليه عن ذوي المناصب والاختار لكان هذا الامير السعيد الفقيه احق
من تخطأ به المنايا ولم تُلم بساحته الرزايا وابقتة الايام لها رتبة تتباهى بها وحلية
تتنافس بها الا ان الله تعالى لا يغالب امره ولا يدافع حكمه ولا بُدَّ من تمام ما
سبق به علمه وحدوث ما تقرَّر نفاذه في خلقه لان الموت غاية الحيوان ونهاية ما
يكون من مصير الانسان . وقد كان هذا الامير السعيد قد بالغ في استعمال
العدل والكف عن الظلم واعاد على جماعة من الرعية املاكاً في ظاهر البلد جمعة
دائرة أُغتصبت منهم في زمن الولاة الظالمة وقُبضت عنهم في زمن القُتاة الجائرة
وجرت عليهما احكام المقاسمة وعنت الايدي العادية الغاشية فاعادها الى خراجها
القديم المستقر ورسمها السالف المستمر ورفع عنها مواد الجور والعدوان وحسم عن
مالكها اسباب التأؤل في كل مكان واوان فاحرز بذلك صالح الدعاء وجميل
الشكر والثناء

ثم رفع الى امير المؤمنين الخليفة المسترشد بالله رُقعة عند مصيره الى بغداد
(120^{هـ}) ومهاجرته الى الباب الامامي المسترشي والسلطاني النيابي يذكر فيها حال
مواضع دائرة في عمل دمشق وحِصص عامرة وارض مُعطاة لا مالك لها ولا فائدة في
عطلتها ولا انتفاع لحاصي ولا عامي بشي منها لدورها ودروس معاملها ورسومها
واستاذنة في بيعها ممن رغب فيها ويؤثر عمارتها للانتفاع بريعتها وغائتها وصرف ما
يحصل من ثمنها في الاجناد المرتبين للجهاد فاذن له في ذلك اذنا تاماً مؤكداً اباحه
له وامضاه لمن يملكه بالابتياح منه واحله واطلقه ووقع بذلك على ظهر الرقعة بالامضاء
وابطال التأؤل فيه والتحذُر من ابطال شيء من حكمه او التجاوز لرسمه ووكَّده
بالعلامة الشريفة الامامية المسترشدية التي قبلها منه وتقلدها عنه واشهد عليه بذلك
الشهود المعدلين وامضى البيع في ذلك لمن رغب فيه فعمرت عدَّة ضياع يباباً خالية
وعلى عُروشها خاوية وارض عافية لا انتفاع بها ولا فائدة لاحد فيها فأجريت عيون
مياها وأعيدت الى اجل عاداتها وظهرت منها الخيرات وعمَّت بذلك الميامن والبركات

ودامت له الدولة ولن بعده ببركات هذه الافعال الحسنة والنية الجيدة وحسنت لهم
العقبى في الولد والأسرة والاهل والجملة وحصل له الذكر الجليل في الآفاق والاقطار
والامصار والثناء الطيب الحسن الآثار ومضى لشأنه سعيداً عزيزاً حميداً على ظهر فراشه
لا يُرد له امر ولا يخالف له قول ولا يتجاوز له حكم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم

ذكر تاج الملوك بوري بن اتابك عند توليه الامر بعد ابيه ظهير الدين
اتابك واخباره وما جرى في ايامه من نوبة الباطنية والاحداث المتجددة وما
جرى مع الافرنج الى ان مضى سبيله

شرح ذلك

لما قد القضا في ظهير الدين اتابك رحمه الله قام ولده الامير تاج الملوك (120^٢)
بالامر من بعده اذ كان نجله وولي عهده فعلم بما كان القاه اليه واعتمد على ما وكده
في وصيته عليه من حسن السيرة في جميع من حوته دمشق من الاجناد والعسكرية
وكافة الاتباع والرعية وزاد على ذلك وبالع في الذب عنهم والمراعاة دونهم وجرى على
منهاج ابيه في بسط المعدلة واعتماد النصفة للاجناد وثقل الوطأة على الاعداء والاضداد
وانصاف المتظلمين وردع الظالمين وحماية السفار والمتردين والتبليغ بالنكاية للمفسدين
بحيث اجتمعت القلوب على حب دولته وانطلقت الالسن بالدعاء الصالح بادامة ايامه
واطالة مدته واقر وزير ابيه ابا علي طاهر بن سعد المزدقاني على وزارته واجراه على
رسمه في سفارته ولم يصرف احداً من نوابه المعروفين بخدمته عن رسمه وعادته ولا
ازاله عن معيشته بل زاد في ارزاقهم وخلع عليهم واحسن اليهم واقر الاقطاعات على
اربابها والجامكيات على اصحابها فكثرت الدعاء له والثناء عليه واحسن الى وزيره المقدم
ذكره واطلق له عشر ارتفاعه مع حقوق العرض عن الاقطاعات والواجبات والنفقات.
وقد كان اسر في نفسه من امر الباطنية ما لم يبيده لاحد من خواصه وثقات بطائنه
عند ما قويت شوكتهم وتضاعفت مضرتهم اتباعاً لما كان عليه ابوه من اظهار الرعاية لهم
والمداواة لدفع شرهم فلما مكثه الله منهم واقدره عليهم افتتح امره بالتسدير عليهم
والاياع بهم فكان منه في امره ما سيأتي مشروحاً في مكانه

ذكر ما حدث من الباطنية بدمشق واعمالها وما آلت اليه احوالهم
من البوار وتعفية الآثار في بقية سنة ٥٢٢

شرح الامر والسبب في ذلك

قد تقدم من ذكر بهرام داعي الباطنية والسبب الذي اوجب تسليم ثغر بانياس
اليه ما فيه الكفاية عن تكرير الذكر له ولما حصل في بانياس شرع في تحصينها وتزعيم
ما استمر وتشتت منها وبث دعاته في سائر الجهات فاستغروا خلقا كثيرا من جهال
الاعمال وسفاسف الفلاحين من الضياع وغوغاء الرعاع ممن لا (1213) لب له يصده
عن الفساد ويردعه ولا تقية تصدقه عن النكر وتغنه فقوي شرهم وظهر بقبح الاعتقاد
سرهم وامتدت ايديهم وألستهم الى الاختيار من الرعية بالثلب والسب والى المنفردين
في المسالك بالطمع والسلب واخذهم قسرا وتناولهم بالمكروه قهرا وقتل من يقتل
من الناس تمديا وظلما. واعانهم على الايغال في هذا الضلال ابو علي طاهر بن سعد
المزدقاني الوزير معونة بالغ فيها وحصل له وخيم عاقبتها وذمهم مغبتها لما تقرر بينه وبين
بهرام الداعي المقدم من الموازنة والمعاوضة والمظاهرة والمرافدة مراقبة في غير ذات الله
ولا طاعته طلبا لأن تكون الايدي واحدة على من يقصدهما بمكروه والنيات مترادفة
على من يتوي لهم شرا وتاج الملوك غير ارض بذلك ولا موثر له بل تبعض السياسة
السديدة والحلم الوافر والمعرفة الثاقبة على الاغضاء منهم على القذى والصبر على مؤلم
الاذى وهو يسر في نفسه ما لم يظهره ويطوي من امرهم ما لم ينشره الى حين يجد
الفرصة متسبلة المرام والمكنة من اعداء الله بادية الاعلام فعند ذاك تنتهز الفرصة
وتقتنص الفريسة. واتفق ان بهرام الداعي لما يريد الله تعالى من بواره ويحل به من
هلاكه ودماره حدثته نفسه بقتل برق بن جندل احد مقدمي وادي التيم لغير سبب
حملة عليه ولا جناية دعت له بل اغترار بعاقبة الظالمين في سفك الدماء المحرمة وافاظة
النفوس المحظورة وجهلا بما حذر الله تعالى من يقصد ذاك ويقدم عليه بقوله عز وجل:
وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدِّيًا فَجَزَاءُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ
وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (١) فخدعه الى ان حصل في يده فاعتقله وقتله صبرا فتألم قتل

1) Qur. IV, 95.

مثله على هذه مع حادثة سنه وشهامته وحسن صورته واعلنوا بان قاتله في الحافل والمشهد وذمه من كل غائب ومُشاهد. فحملت اخاه ضحاك بن جندل وجماعته وأسرته الحمية الاسلامية والحركة الاهلية على الطلب بدمه والاخذ بثاره فتجمعوا وتعاهدوا وتعاهدوا وتحالفوا على المصاهرة على لقاء اعدائهم والايغال في الطلب لدمائهم وبذل المهج والنفوس (121^٧) في ادراك ثارهم وشرعوا في التأعب لهذه الحال صابرين وللفرصة متوقعين الى ان ساق بهرام ولفيفه الحين المتاح وقضى الله عليهم بالاصطلام والاجتياح فتجمعوا من كل ناحية وتهافتوا من كل صوب وجهة وظهر بهم من بانياس في سنة ٥٢٢. وقصد ناحية وادي التيم للايقاع بالذكورين وكانوا مستعدين للقائه مترقبين لحربه. فلما أحسوا بقربه منهم نهضوا باجمعهم اليه نهوض الليوث من غايها للحاماة على اشياها وطاروا نحوهم مطار صقور الجبال الى يعاقبها واجبالها حين دنوا من حربه المفلول وحشده المخذول هجموا عليهم وهم في مخيبتهم غارون وبهم مغترئون وصاح صائحهم وهم غافلون وبما نزل بهم من البلاء ذاهلون والى ان يتمكن فارسهم من امتطاء جواده وراجلهم من تناول عدته وعتاده الى القتل على اكثرهم ضربا بالسيوف ووجياً بنجابر الحتوف ورشقا بسهام البلاء ورجما باحجار الاقدار والقضاء.

وكان بهرام في خيمته وحوله جماعة من شركائه في جهله وضلالته غافلاً عما احاط به وبطائفته وقد وثبوا عند سماع الضوضاء والصياح الى اخذ آلة السلاح فارهقوهم بسيوفهم الماضية وخنابروهم المبيدة القاضية حتى اتوا على الجميع وقطع رأس بهرام ويده بعد تقطيعه بالسيوف والسكاكين واخذهما واحد مع خاتمه من الرجال القاتلين ومضى بهما الى مصر مبشراً بهلاكه ومهتلاً ببواره فخلع عليه واحسن اليه وشاعت بذلك الاخبار وعمت الكفاة الجذل بهلكهم والاستبشار واخذ الناس من السرور بهذا الفتح باوفر السهام واكل الاقسام قتل عدتهم واتقصفت شوكتهم وانتقلت شكتهم

وقام بعد بهرام صاحبه اسمعيل العجمي رفيقه في الضلال والعدوان وشريكه في المحال والطغيان مقامه واخذ في الاستغواء للسفاسف مثاله وزاد في الجهل زيادة اظهرت سخف عقله ومحاله وتجمع اليه بقايا الطائفة الحيثة من النواحي والاصقاع ومن كان منهم متفرقا في النواحي والبقاع. وجرى ابو علي طاهر بن سعد المزدقاني الوزير على الحال التي سلكها مع بهرام في حق اسمعيل في المساعدة على مراده (122^٧) والمعاوضة

على اغراضه لتحززه من الشرّ ورغبته في السلامة ولم يعلم ان عُقبي هذه الافعال عين الندامة والبعد عن طريق السلامة فقد قيل «رُبَّ مستسلمٍ نجت به سلامته ومتحرّزٍ من الشرّ كانت فيه آفته» ولم تزل شكوى الناس من الخاصّة والعامة تتضاعف والاضرار بهم من المخذولين يتوالى ويترادف الى ان صرف تاج الملوك بن ظهير الدين اتابك الى الفتك بهم والاجتياح لهم هتته وارهدف لتطهير الاعمال منهم عزيمته ورأى ان صلاح الامر فيما يقتضيه التدبير فيما يُراد والتقرير الايقاع بابي علي الوزير اوّلًا فانه أُصوبُ ما اعتمد واوّل ما قصد فرتب لقتله من خواصه من اعتمد عليه وسكن في امره اليه وقرّر معه ان يضرب رأسه بالسيف متى اشار اليه . فلما كان يوم الاربعاء السابع عشر من شهر رمضان سنة ٥٢٣ حضر مع جماعة الامراء والمقدمين على الرسم في قبة الورد من دار القلعة بدمشق وجرى في المجلس امورٌ ومخاطباتٌ مع تاج الملوك والحضور انتهى الامر فيها الى الانصراف الى منازلهم والعود الى دورهم ونهض الوزير المذكور منصرفاً بعدهم على رسمه فاشار تاج الملوك الى خصمه فضرب رأسه بالسيف ضربات اتت عليه وقُطع رأسه وحمل مع جثته الى رمادة باب الحديد فالقيت عليها لينظر انكافّة الى صنع الله تعالى بمن مكر واتخذ معيناً سواء وبغيره انتصر وأحرقت جثته بعد ايام بالنار وصار رماداً تذروه الرياح ذلك بما قدّمت يداه وما الله بظلام للعبيد (١) وشاع الخبر بذلك في الحال فثارت الاحداث بدمشق والغوغاء والابواب بالسيوف والخناجر المجردة فقتلوا من ظفروا به من الباطنية واسبايهم وكل متعلّق بهم ومتمم اليهم وتتبعوهم في اماكنهم واستخرجوهم من مكائهم وافنؤهم جميعاً تقطيعاً بالسيوف وذبحاً بالخناجر وجعلوا مصرّعين على الزابل كالخيف الملقاة والميته المجتواة وقبض منهم نفرٌ كثيرٌ التجأوا الى جهاتٍ يحتمون بها واملوا السلامة بالشفاعة منها قهراً وأريقت دماؤهم هدرًا واصبحت النواحي والشوارع منهم خالية والكلاب على اشلائهم وجيفهم مُتَهارشَةٌ عاويةٌ ان في (122) ذلك لآيةٌ لأولي الالباب

وكان قد اخذ في الجملة المعروف بشاذي الخادم تربية ابي طاهر الصانع الباطني الذي كان مجلب وهذا اللعين الخادم كان اصل البلاء والشر فعوقب شرّ عقوبة شفت قلوب كثير من المؤمنين وُصلب ومعه نفرٌ منهم اُعلى شرفات سور دمشق ليشاهد فعل

(١) قال سبط ابن الجوزي : ان هذا الوزير هو الذي بني المسجد على الشرف الشمالي شمالي دمشق عند تربة ست الشام ويسمى بمسجد الوزير وفيه القراء وعليه الوقف

الله بالظالمين ونكالة بالكافرين . وكان الحاجب يوسف بن فيروز شحنة البلد ورئيسه
الوجيه ثقة للملك ابو الذواد مفرج بن الحسن الصوفي قد بالنس في التحريض على هلاك
هذه الطائفة الخبيثة فاخذوا في التعرّض والاحتياط من اغتيال من يُندب اليهما من
باطنية أُمّت متمرّ الباطنية بلبس الحديد والاستكثار من الحفظة حولها بالسلاح الوافر
العتيد لحصل الشقاء لمن اساء وكفر والسعادة لمن احسن واعتبر

واما اسمعيل الداعي المقيم بانياس ومن معه فانهم لما سمعوا ما حدث من هذه
الكائنة سقط في ايديهم واخذوا وذلوا واقبل بعضهم على بعض يتسلاومون وتفرّق
سُلمهم في البلاد وعلم اسمعيل ان البلاء محيط به ان اقام بانياس ولم يكن له صبر
على الثبات فانفذ الى الافرنج يبذل لهم تسليم بانياس اليهم ليأمن بهم فسلّمها اليهم
وحصل هو وجماعة في ايديهم قتلوا من بانياس الى الاعمال الافرنجية على غاية من
الذلة ونهاية من القلّة وعرض اسمعيل علّة الذرب فهلك بها وقُبر في بانياس في اوائل
سنة ٥٢٤ فخلت منهم تلك الناحية وتطهرت من رجسهم

وفي سنة ٥٢٢ ورد الخبر من بغداد بوفاة الوزير جلال الدين ابي علي الحسن بن
علي بن صدقة وزير الخليفة رحمه الله في جمادى الآخرة منها وكان حسن السيرة محمود
الطريقة كاتباً فاضلاً بليغاً محبوباً من الخاصّة والعامة سديد الرأي حميد التدبير صادق
العزم صافي الحسن كريم النفس . فكثرت الاسف عليه والتوجع لفقده واستوزر بعده تقيب
النقباء شرف الدين ابو القسم علي بن طراد الزيني في جمادى الاولى منها وهو من
جلالة القدر وشرف الاصل ونباهة الذكر والمزلة المشهورة والرتبة المعروفة والمكان
المشتهر . وفي جمادى الاولى سنة ٥٢٢ توفيت الخاتون شرف النساء والدة تاج الملوك
رضي الله عنها (123) وقُبرت في قبتها المبنية برسمها خارج باب الفراديس

سنة ثلث وعشرين وخمسة

قد مضى ذكر نوبة الباطنية وغيرهم لما اقتضى سَوق الكلام فيه في سنة ٢ و ٣ لا
اتهى الى الافرنج خبر الكائنة في الباطنية وانتقال بانياس عنهم اليهم احدث ذلك
لهم طمعا في دمشق واعمالها واكثروا الحديث في قصدها وبشوا رسلمهم الى الاعمال في
جمع الرجال والاحتشاد فاجتمع اليهم سائر من حوثة بلادهم من الرؤها وانطاكية
وطرابلس والساجل ووصلهم في البحر ملك كُند هو الذي قام بمقام بندوقين الهالك في

الافرنج ومعه خلق كثير فاجتمعوا ونزلوا على بانياس وختموا عليها وشرعوا في تحصيل المير والازواد للاقامة وتواترت الحكايات عنهم فمن شاهدتهم واحصى عددهم انهم يزيدون على ستين الفا فارسا وراجلا واكثرهم الرجالة

فلما عرف تاج الملوك ذلك من عزمهم تأهب لهذا الامر وصرف همه الى الاستكثار من العدد والسلاح وآلة الحرب وما يحتاج اليه من الآلات التي يحتاج اليها لتذليل كل صعب وكاتب امراء التركمان على ايدي رسله المندوبين اليهم بالاستنجاد والاستغاثة بهم وبذل من المال والغلال ما بعثهم على المبادرة الى اجابة ندائه والسرعة الى دعائه ووصل اليه من طوائفهم المختلفة الاجناس كل ذي بسالة وشدة مراس راغبين في اداء فريضة الجهاد ومسارعين الى غزو الكفرة الاضداد واطلق ما يحتاجون اليه لقوتهم وقضيم خيولهم

ورحل الملاعين عن بانياس طالبين دمشق على اناقة وترتيب ونزلوا على جسر الحشب والميدان المعروف المجاور له في ٠٠٠٠ من ذي القعدة سنة ٥٢٣ وختموا هناك واصبح العسكر خرج من دمشق وانضم اليه التركمان من منازلهم حول البلد والامير مرة بن ربيعة في العرب الواصلين معه وتفرقوا كراديس في عدة جهات ووقفوا بازائهم لتخرج منهم فرقة فيسارعوا اليها ويحفوا فييادروا الى لقاءهم فلم يخرج منهم فارس ولا ظهر راجل بل ضموا اطرافهم ولزموا مخيمهم واقام الناس على هذه الصورة اياما (123) يتوقعون زحفهم الى البلد فلا يشاهد منهم الا تجيئهم وإطافتهم حول مخيمهم وبريق يضيهم وسلاحهم وكشف خبرهم وما الذي اوجب تأخرهم عن الزحف وتلوهم قليل انهم قد جردوا ابطال خيلهم وشجعان رجالهم للمصير مع البغال الى حوران لجمع المير والغلال التي يستعان بمثلها على الاقامة والنزال وانهم لا حركة لهم ولا قوة بهم الى عود المذكورين

فلما عرف تاج الملوك هذه الحال بادر بتجريد الابطال من الاتراك الدمشقين والتركمان الواصلين والعرب القادمين مع الامير مرة و اضاف اليهم الامير سيف الدولة سوار في عسكر حماة وقرر معهم نهوضهم اخريومهم والجد في السير عامة الليل ووصولهم عند الصباح الى ناحية براق لان تقدير وصول الملاعين عند عودهم من حوران الى ذلك المكان فسارعوا الى العمل بما مثل لهم واصبحوا في ذلك المكان وهم على غاية من الكثاة والمنعة ومعهم سواد عسكرهم باسره في عدد لا يحصى كثرة فهجموا عليهم

فلم يتكامل ركبهم الا وقد قُتل منهم جماعة بالنشاب وضربوا مصافاً ووقفوا قطعة واحدة وحمل عليهم المسلمون قُتبتوا ولم يزل عسكر الاسلام يكرّ عليهم ويفتك بهم الى ان فشلوا وانخذلوا وايقنوا بالبوار وحلول الدمار. وولى كلياًم دبور مقدمهم وشجاعهم في فريق من الخيالة منهزمين وحمل الاتراك والعرب حملة هائلة واحدقوا بهم ضرباً بالسيوف وطعنوا بالرماح ورشقوا بالسهام فما كان الا بعض النهار حتى صاروا على وجه الارض مصرعين وبين ارجل الخيل مُعقرين وغنموا منهم الغنيمة التي امتلأت ايديهم بها من الكراع والسلاح والاسرى والغلمان وانواع البغال وهو شيء لا يُحصّر فيذكر ولا يُعدّ فيعدّ ولم يسلم منهم الى معسكرهم الا القليل من الخيالة الذين نجت بهم سوابقهم المضرة وعاد الاتراك والعرب الى دمشق ظافرين غائبين منصورين مسرورين اخرين
ذلك اليوم المذكور. فابتهج الناس بهذا اليوم السعيد والنصر الحميد وقويت به النفوس وانشرت به الصدور وعزم العسكر على مباكرتهم بالزحف الى مخيمهم عند تكامل وصوله (124^ت) وتسرع اليهم جماعة من الخيل وافرة وهم ينظرون الى كثرة النار وارتفاع الدخان وهم يظنون انهم مقيمون فلما دنوا من المنزل صادفهم وقد رحلوا اخر تلك الليلة عندما جاءهم الخبر وقد احرقوا اثقالهم وآلاتهم وعددهم وسلاحهم اذ لم يبق لهم ظهر يحملون عليه عند ما عرفوه من حقيقة الامر الذي لا يمكن معه المقام مع معرفتهم بكثرة عسكر الاتراك ولا طاقة لهم به ولم يتأمنوا ان رحلوا لا يلوون على منقطع ولا يقفون على مُقصر وخرج الى منزلهم فغنموا منه الشيء الكثير من اثاثهم وزادهم وصادفوا جماعة من الجرحى في الرقعة قد هلكوا مع وصولهم ودُفِنوا في اماكنهم وخيولهم مُصرعة من الجراح الكثيرة (١) ولحقوا اخرهم العسكر فقتلوا جماعة من المتقطعين واغذوا سيرهم في هزيمتهم خوفاً من لحاق المسلمين لهم. وامن الناس وخرجوا الى ضياعهم وانتشروا في اماكنهم ومعائشهم وانفرجت عنهم الكربة وانكشفت الغثة وجاءهم من لطف الله تعالى وجميل صنعه ما لم يكن في حساب ولا خطر في بال. فله الحمد والشكر على هذه النعمة السابعة والموهبة الكاملة حمداً يستديم جزيل نعمة ويستمد المزيد من منائح وقسمة

وعاد التركمان الى اماكنهم بالغنائم الوافرة والخلع الفاخرة وتفرق جمع الكفرة الى معاقلهم على اقبح صفة من المذلة وعدم الكراع وذهاب الاتقال وققد ابطال الرجال

وسكنت القلوب بعد الوجع وأمنت بعد الخوف والوهل وايقنت النفوس بان الكفرة لا يكاد يجتمع لهم بعد هذه الكائنة شملٌ بعد فناء ابطالهم واجتياح رجالهم وذهاب ائقالمهم

سنة اربع وعشرين وخمسة

في المحرم اؤل هذه السنة توفي الشيخ الامين جمال الأمناء ابو محمد هبة الله بن احمد الاكفاني رحمه الله وكان موصوفاً بالكفاية والامانة معروفًا بالصيانة والديانة ولم يقم من الشهود بعده مثله في الذكاء والامانة والفناء

لما خلا ديوان الوزارة بدمشق بعد قتل ابي علي طاهر المزدقاني الوزير من حارفي ينظم حساباته ويسدّد امور معاملاته وارتاد تاج الملوك كافياً يرُدُّ الامر في ذلك (124) اليه ويعتمد فيه عليه ويسكن الى نهضته في تهذيب احواله وترتيب اعماله وحفظ ابواب ماله فلم يتسهّل له بلوغ المقصود ولا تيسر لارتياده نيل الغرض المنشود فوقع تعويله على الرئيس الوجيه ثقة الملك ابي الذرادر المفرّج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق فردّ الامر في ذلك اليه وقلّده منصب الوزارة واعتمد فيه عليه ووجده أكفى من وقعت اليه الاشارة من كتابه ومتصرفيه وان كان ضيف الصناعة في الكتابة خفيف البضاعة من البلاغة فان رأيه سديد ومذهبه في التنزه والامانة حميد وله معرفة بسياسة المعاملين في المعاملات ويدّ في الحكّ والخبط في استدعاء الحسابات وحفظ الاخراجات ولم يجد له محيداً عنه ولا بدلاً منه قلّده هذا المنصب واثقاً بحسن سفارته ومرضي موازته وخلع عليه وزاد في احسانه اليه واجلسه مجلسه من الديوان بمحضر من الامراء والامائل والاعيان وامر بكتب المنشور بأحسن اوصافه والتحذير من تجاوز امره وخلافه ولقبه محيي الدين تأكيداً لامره ورفعاً لقدره فاحسن السياسة وسدّد احوال الرئاسة واستعمل العدل في اعماله والانصاف لمعاملته وعمّاله ونظر في الاعمال واعتمد على الكفاة الثقات من العمّال وجرت الاحوال في ذلك على السداد واطردت على الاستقامة أحسن اطراد

(و) في هذه السنة ورد الخبر بوصول الامير عماد الدين اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل الى حلب في عسكره عازماً على الجهاد وارسل تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك يلبس منه المعونة والإسعاد على محاربة الافرنج الاضداد وتردّت الرسل

بينهما في ذلك الى ان اجاب الى المراد وانفذ اليه من استجلفه على المصافاة والوداد وتوثق منه على الوفاء وجميل الاعتقاد واكد الامر في هذه الحالة تأكيداً سكن اليه ووثق به واعتمد عليه وبادر بتجريد وجوه عسكره في خمسمائة فارس وكتب الى ولده بهاء الدين سونج بجاية يأمره بالخروج في عسكره والاختلاط بالعسكر الدمشقي ومقدمه الامير شمس الامراء الخواص وعدة من الامراء والمقدمين (125) فامتل الامر وخرج من حماة في رجالة وتجهله وتوجهوا جميعاً الى مخيم عماد الدين اتابك فاحسن لقاءهم وبالغ في الاكرام لهم واغفلهم اياماً وعمل عليهم وغدر بهم وقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة المقدمين ونهب خيامهم واثقالهم وكراهم فهرب منهم من هرب واعتقل الباقين وحملهم الى حلب وامر بحفظهم فيها

وزحف من يومه الى حماة وهي خالية من الرجال الحماة فملكها واستولى على ما فيها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها خيرخان بن قراجه معه بعسكره ومناصب في خدمته وعامل بطاعته وكان المعين له والمحرص على الغدر بسونج وقبضه حين نزل عليها غدرًا بخيرخان صاحبها واعتقله ونهب خيامه واثقاله وتوثق منه وطلب بتسليم حمص اليه فراسل نوابه فيها وولده بذلك فلم يلتفتوا الى مقالته ولا وقعت منهم اجابة الى سؤاله فاقام عليها مدة طويلة يبالغ في المجاربة لاهلها والمضايقة لها فلم يتهيأ له فيها مطلب ولا يتسر مأرب فرحل عنها الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك والمقدمين من عسكر دمشق وافر الباقين في حلب وترددت المراسلات في اطلاق المعتقلين فلم يفعل والتمس عنهم خمسين الف دينار اجاب تاج الملوك الى تحصيلها والقيام بها

في هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بقتل الامر باحكام الله صاحبها في اخرها تدبيراً دبر له وعمل فيه عليه لامور منكرة ارتكبها واحوال قبيحة اعتمدها ادعت الى قتله واوجبت الفتك به لانه بالغ في ظلم الرعية وأخذ اموالهم واغتصاب ملاكهم وسفك الدماء واساء السيرة وارتكب المحذورات واستحسن القبائح من المحذورات فابتهج الخاص العام بالحادث فيه والراحة منه في يوم الثلاثاء الثاني من ذي القعدة سنة ٥٢٤ وعمره ٣٤ سنة ومولده بالقاهرة سنة ٤٩٠ وایام دولته ٢٤ سنة ونقش خاتمه « الامام الامر باحكام الله امير المؤمنين » وقام بعده ابن عمه ابو اليمون عبد المجيد بن الامير ابي القاسم ابن الامام المستنصر بالله امير المؤمنين وأخذت له البيعة على

الرسم (125^٧) فيها ونعت بالحافظ لدين الله امير المؤمنين فاستقام له الامر واستتب برأيه التدبير وقلد الامر ابا علي احمد بن الفضل امير الجيوش وزارة الدولة وتدير المملكة فساس الكفاية أعدل سياسة ودبر الاعمال اجمل تدبير وجرى على منهاج ابيه الفضل رحمه الله في حب العدل وايشاره واحتواء الجور واتحاد ناره واعاد على التناء والتجار ما اغتصب من اموالهم وقبض من املاكهم وأمن البر التقي واخاف المفسد الشقي وبالغ في ذلك مبالغة احزبها شكر القريب والبعيد وحاز بها اجر الوفاق السعيد. ولم يزل على هذا المذهب الحميد مواظباً ولهذا المنهاج السديد مداوماً الى ان نجم له من مقدمي الدولة حسنة حسدوه على ما الهمة الله من افعال الخيرات واقتناء الصالحات تجتمعوا على افساد احواله ولفقوا المحال في الطعن في اعماله وسعوا في العمل بانواع من الكذب جمعوها والفاظ من الباطل نغقوها وقرّر ذلك مع العسكرية دون الاعيان والامثال من الرعية وأغفل الى ان وجدت الفرصة فيه متسهلة والغرة منه بادية وحصل في جانب من الميدان خالياً من العدة والعدة والاعوان والنجدة لا يشعر بما قد رتب له ودبر عليه فوثبوا عليه وقتلوه رحمه الله وانفردوا به وادركه اصحابه وقد قضى قتلوا الجناة وحملوه الى تربته فدفنوه بها (١)

سنة خمس وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة انتهى الى تاج الملوك عن الرئيس المقلد امر الوزارة محال غير قلبه عليه وقدح في منزله وافسد ما كان جميلاً فيه من رأيه وامر باعتقاله مع بعض اقاربه اعتقالاً جميلاً وعزله عن الوزارة والرئاسة في شهر ربيع الاول منها وعول في تقليد مكان الوزارة على كريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزاق المزدقاني ابن عم الوزير ابي علي المزدقاني المقدم ذكره فرد الامر في ذلك اليه وعول في الوزارة والسفارة عليه واستقام له الامر ومشت الاحوال به واستبشر اكثر المتصرفين والعمال لانه كان حسن الطريقة قد تهذب في النيابة عن الوزارة في الديوان وعرف سياسة (126^٨) الاعمال في كل عصر واوان فصيح اللسان بالفارسية والعربية ولم يزل مستمر الامر الى ان حدث

(١) قال سبط ابن الجوزي : انه لُقّب بالاكمل وانه قُتل في سنة ٥٢٦ هـ وحمل رأسه الى الحافظ فُسّر بقتله لانه كان قد حجر عليه واستوزر يانس الكاتب ولقبه امير الجيوش واستصفى اموال الاكمل فكانت ثلثمائة الف دينار

ما تغيّرت به حاله لان الباطنية لما جرى عليهم اقضاه الله من البوار واحله بهم من الهلاك والدمار انتهى خبر ذلك الى رفقائهم بالكموت فاسفوا عليهم وقلقوا لما نزل بهم وشرعوا في بث حبائل شرهم ونصب اشراك خترهم ومكرهم وندبوا لتاج الملوك من يتتاله ويوقع به من جهال اخوانهم وفئاك اقرانهم . ووقع اختصارهم على جاهلين من الخراسانية قرروا معها التحيل في امر تاج الملوك والطلب له والفتك به في داره عند امكان الفرصة فيه ووصل هذان الرجلان الى دمشق في زي الاتراك بالقباء والشربوش وحضرا الى معارف لهما من الاتراك وسألوهما الوساطة في استخدامهما وتقدير الواجب لهما وخدعاهم ولم يرتابوا بهما وتدرجا بالحيلة والمكر الى ان صارا في الجسة من الخراسانية المرتين لحفظ ركاب تاج الملوك وتمكنا وسكنت القلوب اليهما لانهما ضمنا . ورقبا الفرصة في تاج الملوك الى ان دخل الحمام وعاد منه ووصل الى باب داره من القلعة بدمشق وتفرق عنه من كان في ركابه من الخراسانية والديلم والاحداث الحفظة له فوثبا عليه في يوم الخميس خمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٥٢٥ وضربه احدهما بالسيف طالبا لرأسه فجرحه في رقبته جرحا لم يتمكن منه وضربه بسكين عند خاصرته فذلت بين اللحم والجلد ورمى بنفسه في الحال عن فرسه سليما وتكاثر الرجال عليهما فقتلوهما بالسيوف وأحضر اهل الخبرة بعداد الجراح من الاطباء والجراحين وعولجا فبرا احدهما الذي عند الرأس وتنسر الذي في الخاصرة وصلحت الحال في ذلك وركب واقام مدة يحضر مجلسه الخواص والعسكرية والاجناد للسلام والشراب على الرسم المعتاد

وفيها ورد الخبر من بغداد بوفاة السلطان غياث الدنيا والدين محمود ابن السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن الملك شاه بن البارسلان رحمه الله في شوال سنة ٥٢٥ بمرض حدث به كان معه نقاد اجله وفراغ مهله وتقررت السلطنة بعده لأخيه السلطان ابي الفتح مسعود بن محمد (١٢٦) بن ملك شاه بن البارسلان وتكون ولاية العهد من بعده لابنه داود بن محمود ثم لأخيه السلطان طغرل بن محمد وسيأتي ذكر كل واحد منهم في موضعه

وفيها ورد الخبر من حلة مكتوم بن حسان بن مسمار بان الامير ديبس بن صدقة ابن مزيد اجتاز بالحلة وكان قد انهزم من العراق في خواص اصحابه وغلماهه خوفا من الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين وضل في الطريق لم يكن معه دليل عارف بالمسالك

والمناهل وكان قصده حلة يمرى بن ربيعة فهلك أكثر من كان معه وتفرق أصحابه بعد موت من مات بالعطش وقد حصل في الحلة كالمنقطع الوحيد في نفر يسير من أصحابه فانهمض تاج الملوك فرقة من الحيل نحوه لاحضاره فاحضرته الى القلعة بدمشق في ليلة يوم الاثنين لست خلون من شعبان سنة ٥٢٥ فتقدم تاج الملوك بانزاله في دار بالقلعة واكرامه واحترامه والتثوث في شرايه وطعامه وحمل اليه من اللبوس والمفروض ما يقتضيه محله الرفيع ومكانه المكين الوجيه واعتقله واعتقال كرامة لا اعتقال اهانة وانهى الحال في ذلك الى الدار العزيزة الامامية المسترشدية فورد الجواب اليه بالتوثق منه والاحتياط عليه الى حين يصل اليه من يتسلمه ويحمله الى بغداد

ولما عرف عماد الدين اتابك زنبي صاحب الموصل هذه الحال نفذ رسولا له الى تاج الملوك يلتس منه تسليمه ويكون الجزاء عنه الخمسين الف الدينار المقررة على ولده سونج وبقية العسكر الدمشقي المتعلقين فاجابه تاج الملوك الى ذلك وتقرر الشرط عليه وان يصل عسكره الى ناحية قارا ومعه المعتقلون ويخرج الامير دويس مع عسكر دمشق الى هناك فاذا تسلم المعتقلين سلموا دويسا الى أصحابه فتوجهوا به من دمشق ووصلوا به الى قارا فتسلموا المعتقلين منهم وسلموا اليهم دويسا في يوم الخميس الثامن من ذي القعدة من السنة وعاد كل من العسكرين الى مكانه ووصل سونج الى دمشق هو والجماعة فسر تاج الملوك بهم وزال شغل قلبه (١٢٧٢) بوصولهم فعند ذلك خوطب تاج الملوك في الرئيس واهله المعتقلين وسئل في اطلاقهم والمن عليهم بتخليفة سيولهم فاجاب الى ذلك بعد ان قرر عليه مصالحة يقوم بها وأطلق وأعيد الى رئاسته دون وزارته وخلع عليه وعلى الوزير كمال الدين كريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزاق المزدقاني في مستهل رمضان من السنة

وفي هذه السنة ورد الخبر من صرخد بوفاة واليهما فخر الدولة كشتكين الخادم التاجي في جهادي الآخرة منها وكان حسن الطريقة جميل الذكر كثير التدين مشكور المقاصد . وفيها وصل سيد الدولة ابن الانباري كاتب الخليفة الامام المسترشد بالله امير المؤمنين رسولا منه في امور واسباب اقتضتها في آخر ذي القعدة منها ويبعث على تسليم الامير دويس الى من يحمله الى بغداد وقد فات الامر فيه فاكرم مشواه وسر بمقدمه وأجيب عن رسائله وتوجه عائدا بعد ان حمل اليه ما يقتضيه محله ويوجه مكانه وصادفه في طريقه بناحية الرحبة خيل الامير عماد الدين فقبضت عليه ونهبت ما كان معه وقتلت

بعض غلمانه ولقي شدة عظيمة من الاعتقال والإغصات الى ان خلاص وأطلق سراحه وعاد الى بغداد (١) . وفي يوم الخميس ثلاث ليال خلت من جمادى الآخرة منها جمع تاج الملوك جماعة من الامراء والمقدمين والخواص واعيان الاجناد والكتاب والفقهاء وامثال الرعية في مجلسه وقال لهم : انني قد انتهت بي الحال بسبب هذا الجرح الذي قد طال آله وتعذر اندماله ما قد ائتمت معه الحلول بالامر المقضي الذي لا بد منه ولا مندوحة للخلق عنه وقد يئست من روح الحياة واستشعرت قرب الوفاة وهذا ولدي ابو الفتح اسمعيل قد لاح لي منه امارة الشهامة والنجابة وبانت لي فيه مخايل الكفاية واللبابة وهو اكبر ولدي والمرجو لسد ثلمة فقدي وقد رأيت ان اجعله ولي عهدي والمرشح لتولي الامر بعدي ثقة بسداده وحن تأتبه مع حداثة سنه وحيد اقتصاده فان سلك منهاج الخير واقتناه وقصد سبيل العدل والانصاف وتوخاه فذاك المراد منه والمأمول فيه وان عدل عن المطلوب المشار اليه وخالف (١٢٧) الامر المنصوص عليه كان المعول عليكم في تنبيه من نومته وايقاظه من فتور غفلته فان الحازم اللبيب والسديد الاريب اذا ذكر ذكر واذا أنهى عن منكر اعرض عنه واقتصر . فقالوا : الامر امرك الذي لا يخالف ولا يعدل عنه والحكم حكمك الذي لا خروج لنا منه وطاعتنا لك في حياتك كطاعتنا لولدك بعد وفاتك والله يد لك في العمر وعين عليك بالعافية الشافية وتبجيل السلامة والبر . فسر بمقالمهم وشكر ما بدأ منهم من الحوادث الدالة على حميد خلاصهم ثم نص في الامر عليه وأشار في ولاية العهد من بعده اليه وقرر معهم العمل بطاعته والانتهاى الى اشارته وخلع عليه خلعاً سنياً تليق بثله وتضاهي شرف مثله وركب فيها الى داره من القلعة بين الامراء والمقدمين والاتباع من الخراسانية والعلمان والسلاحية والمقرعدارية (كذا) والجاووشية في اليوم المذكور والحفل المحضور وتضاعف بذلك

(١) وفي قصة دبّيس قال سبط بن الجوزي : ان ذكره هكذا في تواريخ اهل الشام وابي يعلى بن القلانسي (يعني هذا التاريخ) . اما تواريخ البغداديين فانهم قالوا : ضل في طريقه فقبض عليه بجيلة مكتوم بن حسن الكلي من اعمال دمشق وانقطع منه اصحابه فحمل الى دمشق فباعه اميرها الى زنكي بن اق سنقر صاحب الموصل بخمسين الف دينار وكان زنكي عدوه فظن انه سيهلكه فلما وصل في قبضته اكرمه وخوله المال والسلاح . فلما ورد الخبر الى بغداد بثت الخليفة ابن الاتباري ليتوصل في اخذه فلما وصل الرحبة قبض عليه اميرها بامر زنكي وحصل الى قلعة الموصل وانه لم يخلص الا بشفاة السلطان محمود

منهم الجذل والسرور ومالت كافة الاصحاب اليه واجتمعوا عليه وواظبوا الخدمة له في كل يوم والتسليم عليه

سنة ست وعشرين وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك بغدوين الرئيس ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعكاً في يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان منها وكان شيخاً قد عركه الزمان بجوارحه وعانى الشدائد من نوائبه وكوارثه ووقع في ايدي المسلمين عدة دفعات اسيراً في محارباته ومصافاته وهو يتخلص منهم بجيله المشهورة وخدعه المخبورة ولم يخلف بعده فيهم صاحب رأي صائب ولا تدبير صالح وقام فيهم بعده الملك القومص الجديد الكند المجور الواصل اليهم في البحر من بلادهم فلم يتسدد في رأيه ولا اصاب في تدبيره فاضطربوا لفقده واختلفوا من بعده

وفيها اشتد مرض الجرح بتاج الملوك ووقع اليأس من برئه وصلاحه فطال الامر به طويلاً ستم معه الحياة واحب الوفاة وتزايد الضعف به والذبول في جسده وقوته وقرب اجله وخاب في الصحة امله (128) وتوفي الى رحمة الله ومغفرته وتجاوزته على مضي ساعة من نهار يوم الاثنين الحادي والعشرين من رجب منها قتلت القلوب لمصابه وأفيضت الدموع للنازل به :

واذا المنية أنشبت اظفارها ألقبت كل نعمة لا تنفع

ولكن قضاء الله تعالى لا يُغالب وحكمه لا يُدافع لان هذه الدنيا دار سوء لم يدم فرح لا مری فيها ولا حزن الا تناس فيها محصاة معدودة والاجال محصورة محدودة والليل والنهار يقطعان الاعمار ويُفنيان المدة وما فهم مواعظ الزمان من سكن الى خدع الايام . ولقد انشد عند فقده الشريف الرضي :

بُعداً ليومك في الزمان فإنه أقذى الميون وفَتَّ في الاضداد

لولا ما من الله من قيام نجله في الامر من بعده ونصه عليه في ولاية عهده شمس الملوك فازال الروعة وخفف اللوعة فاشتغل الناس بالتهنئة بالامير الموجود عن التعزية بالشهيد المفقود . وقد كان لتاج الملوك رحمه الله من المحاسن والآثر والمناقب ما يُذكر

في المحافل ويُنشر في الاندية والمحاضر ونظمت مدائحه الشعراء ونشرت فضائله الفصحاء
البلغاء وكان الاديب الفاضل ابو عبد الله محمد بن الحياط الشاعر الدمشقي رحمه الله
وهو طرفه شعراء الشام والمشهور بمحاسن الفنون من المديح وغيره بينهم قد نظم في تاج
الملك عدة قصائد بالغ في تهنيئها وتحريرها وتحكيكها فذكرت من جملة ابياتها المعربة
عن صفات معاليه ما يُستدل به على استحقاقه ما بالغ فيه من مدح مقاصده ومسايعه
فن ابيات قصيدة اولها:

لقد كرم الله ابن دهر نسوده وشرف يا تاج الملك بك الدهرا
ومن على هذا الزمان واهله بأروع لا يعصى الزمان له اسرا
حسام امير المؤمنين ومن يكن حساما له فليقتل الخوف والفقرا
اذا قلت في تاج الملك قصيدة من الشعر قالوا قد مدحت به الشعرا

وقال من أخرى

(128^v) ألم تلك للسلوك الفخر تاجا وللدينا وعالمها سراجا
لقد شرف الزمان بك افتخارا كما سعد الانام بك ابتهاجا
مددت الى اقتناء الحمد كفا طس بجر السباح جا وماجا
وغادرت المسالي بالموالي كخيس اللبث عز به ولاجا

ذكر ايام شمس الملك ابي الفتح اسمعيل بن تاج الملك بوري بن ظهير الدين
اتابك وشرح حاله في ابتداء امره الى انقضائه وما كان في خلال
ذلك من الحوادث المتجددة ومعرفة تواريخها واوقاتها واحوالها

لما مضى الامير تاج الملك بوري بن اتابك رحمه الله من هذه الدنيا الفانية الى الدار
الباقية سعيدا حميدا شهيدا اقام ولده شمس الملك ابو الفتح اسمعيل مقامه في المملكة
حسب ما كان عهد به اليه في حياته واوصى بما يعمل به بعد وفاته احسن السياسة
والسيرة وخلص النية في اعماله والسريرة وبسط العدل في الرعية وافاض احسانه على
كافة الاجناد والعسكارية وقر الاقطاعات على اربابها والجامكيات على اصحابها وزاد
في الواجبات ولم ينقصها وقر وزير ابيه على وزارته ورتب العُمال والمتصرفين على ما
كانوا عليه ورد امر التقرير والتدبير الى الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق واعتمد
عليه في مهمات امره وسكن اليه في جهره وسره وافتتح امر السياسة بالنظر في امر

الرعية والمتعشّين بان رفع عنهم ما كان يستخرج منهم في كل سنة من اقساط الفينة وابطل رسمها وحظر تساؤلها وازال حكمها وعرض ارباب الحوالات عليها بجهات غيرها فكثرت له الدعاء واتصل عليه الشاء وذلك في رجب سنة ٥٢٦ . وظهر من شهامته وشدة بأسه وشجاعته واقدامه وبسالته ومضاء عزيمته ما لم يقع في وهم ولا خطر في بال وفهم وسندكر من ذلك في اماكنه ما يقوم مقام العيان دون الحكاية بالمقال فن ذلك أولاً افتتاحه حصن اللبوة والرأس (129^٤) وكانا في يدي المندويين لحفظهما من قبل تاج الملوك ابيه وكانا قد اقرأ على رسمهما فانتهى الى شمس الملوك ان اخاه شمس الدولة محمد بن تاج الملوك صاحب بعلبك قد عمل عليهما حتى استنزلهما على حكمه من حصنهما المذكورين وندب لهما من رآه من ثقافته ونوابه لحفظهما فانكر مثل هذا الفعل عليه وامتنع منه وراسل اخاه المذكور بالعاقبة على ما قصده ويهتجن رأيه فيما اعتمده ويسأله النزول عليهما واعادتهما الى ما كانا عليه فامتنع من الاجابة الى ما طلب والقبول لما التمس فاهمل الامر فيه وفي الحديث في معناه مدة يسيرة ثم استعد وتأهب لقصد الحصنين المذكورين ولم يشعر احدٌ بما عزم عليه وصرف همه اليه . ثم نهض في العسكر وآلات الحرب من دمشق موهما انه يطالب ناحية الشمال في آخر ذي القعدة من السنة ثم عاد في طريق اخرى مغرباً بعد تشريقه فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد تزل عليه وزحف من وقته اليه بعزيمة لا تدافع وشدة لا تمنع . فلما احس من فيه بالبلاء لما شاهده من شدة القتال ولم يجد له مخلصاً بحال من الاحوال طلب الامان من يومه فأجيب الى ما سأل وأسعف بما أمل وتزل من الحصن وسلمه اليه فقرر امره واستتاب في حفظه من اعتمد على كفايته ونهضته . ثم رحل عنها عند الفراغ منه الى حصن الرأس فجرى امر من فيه على تلك القضية فتسلمه وولاه لمن يحفظه ثم رحل عنه وتزل على بعلبك وقد استعد اخوه صاحبها واحتشد واجتمع اليه خلق كثير من فلاحى البقاع والحيال وغير ذلك من الحرامية المفسدين فحصرهم فيها وضايقهم وزحف اليهم في العارس والراجل وخرج من بعلبك من المقاتلة جماعة قُتل منهم وجرح ثقل كثير وعلى السور ايضا ثم زحف بعد ايام الى البلد البراني وقد حصّفوه بالرجال فشدّ عليهم القتال وفرت العسكر عليه من عدة جهات فملكه وحصل العسكر فيه بعد ان قُتل وجرح الخلق الكثير ممن كان فيه ونصب المناجيق على البلد والحصن وبواظب الزحف اليهما والشدّ عليهما . فلما عاين صاحبها شدة الامر والاستمرار على الإقامة (129^٥) والمصايرة راسل

في بذل الطاعة والمناصحة والسؤال في اقراره على ما كان عليه في أيام أبيه فحملت عاطفة القُرْبى على اجتماع ما جرى والاعضاء عمّا سلف واجاب الى ما التمس وتزل على ايشاره ما طلب وتقرر الامر بينهما على ما اقترح وعاد شمس الملوك في العسكر الى دمشق ظافراً مسروراً في اوائل المحرم منها

سنة سبع وعشرين وخمائة

في المحرم منها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بوقوع الخلف بينهم من غير عادة جارية لهم بذلك ونشبت المحاربة بينهم وقتل منهم جماعة. وفيها صادف جماعة من التركمان صاحب زردنا (١) في خيله فظفروا به وقتلوه ومن معه واشتملوا على خيولهم وكراعهم. وقيل ان ابن الدانشند ظفر بفريق وافر خرج من القسطنطينية فوقع به وقتل من كان فيه من الروم وغيرهم

وفي سابع عشر جمادى الآخرة غار الامير سوار من حلب في خيله على تل باشر فخرج من فيه من ابطال الافرنج اليه فقتل منهم تقدير الف فارس وراجل وحمل رؤوسهم الى حلب. وفي رجب منها قبض شمس الملوك على مري بن ربيعة فاعتقله وعلى اسامة بن المبارك وصانعه على متحالفة قام بها واطلقه واقام مري على حاله وتردد فيه خطاب انتهى آخره الى قتله وهذا مكافأة ما اسلفه من قبيح الافعال ومذموم الاعمال والظلم الذي ارتكبه في سائر الاحوال

ولما عاد شمس الملوك من ناحية بعلبك بعد المقرر بينه وبين اخيه صاحبها مما تقدم ذكره وشرحه انتهى اليه من ناحية الافرنج ما هم عليه من فساد النية والعزم على نقض المودعة المستقرة. وشكا اليه بعض التجار الدمشقيين ان صاحب بيروت قد اخذ منهم عدة حمال كئان قيمتها جملة وافرة من المال فكتب الى مقدم الافرنج في رد ذلك على اربابه واعادته على من هو اولى به وترددت المكاتبات في ذلك فلم تسفر عن نيل مراد ولا نيل طلاب فحمله الغيظ والحسرة على مقابلة هذا الفعل بمثله واسر ذلك في نفسه ولم يبد له لاحد من خاصته وثقات بطانته وصرف همه وعزمه الى التأهب لمنازلة بانياس (١٣٠٤) واتراعاها من ايدي الملاءين المتغلبين عليها ونهض اليها في اواخر المحرم من السنة وتزل عليها في يوم الاحد غرة صفر منها وزحف في عسكر اليها وفيها جماعة وافرة

من الخيالة والرجال فارتاعوا لما اتاهم فجأةً وذلّوا وانخذلوا وقرب من سورهم بالدرك الجفتيات والخراسانيين والنقابين وترجّل عن جواده وترجّل الاتراك بأسرهم لترجله ورشقوا من على السور بالنشاب فاستتروا ولم يبقَ أحدٌ يظهر برأسه عليه لكثرة الرماة وألّزق الجفتيات الى مكان من السور استرقه فنقبوه الى ان تمكّنوا منه ثم هجموه وتكاثروا في البلد والتجأ من كان فيه من الافرنج الى القلعة والابراج وتحصّنوا بها ومانعوا عن نفوسهم فيها وملك البلد وفتح بابه وقتل كل من صودف فيه من الافرنج وأسر. ولما رأى من بالقلعة والابراج من المهزمين ما نزل بهم من تلك البلد والقصد لهم بالقتال ولا ناصر لهم ولا أمانع عنهم التمسوا الامان فأجّتيوا اليه ونزلوا فأسروا جميعاً ونهب ما كان في البلد وقرّر فيه من الرجال الاجلاد من يحفظه ويذب عنه ورحل عنه في العسكر ومعه الاسرى ورؤوس القتلى وحرم الوالي الذي كان به واولاده والعُدَد الكثيرة ووصل الى دمشق في يوم الخميس لست ليال خلت من صفر من السنة. وخرج الناس من البلد للقاء ومشاهدة الأسرى في الجبال والرؤوس في القصب وهم الشيعة الكثير والجهم الغفير فرأى الناس من ذلك ما اقرّ عيونهم وسرّ قلوبهم وشدّ متهم وابتهجوا له واكثروا من شكر الله تعالى على ما سناه من هذا النصر العزيز والفتح المبين وشاعت الاخبار بذلك في الافرنج فهاهم سماعه وارتاعوا لحدوث مثله وامتلأت قلوبهم رعباً ورجلاً واكثروا التعجب من تسهل الامر في بانياس مع حصاتها وكثرة الزجال فيها في اقرب مدّة واسهل مرام واسفوا على من قُتل من الخيالة الفرسان والرجال

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بوصول السلطان مسعود بن السلطان محمد (١) الى بغداد وتزوله في الجانب الغربي منها واقام بها اياماً قلانل لتقرير الحال وكتب تذكرةً بأشياء اقترحها والتبس اضافة الشام الى العراق (١٣٠٧) ووصل اليه قاضي القضاة والاعيان والامائل واستحلفوه على ما تضمنه المشروع المقترح في التذكرة وطولع بما جرى فخرج الامر السامي الامامي المسترشد بالاذن له في تزوله في دار السلطنة وكتبت ألقابه وإقامة الدعوة له وحمل اليه ما يحتاج الى مثله من الفرش وغيره وخطب له آخر جمعة من المحرم وكتب بتقرير امر السلطنة الى جميع الاعمال والامر بالدعاء له على منابرها. واستدعي الى الدار العريضة المسترشدية وناب الوزير

(١) وفي الاصل: مسعود. وكذلك في جميع المواضع

شرف الدين انوشروان بن خالد وزير الخليفة عنه في ايصال سلامه ودعائه احسن منابر وخطوب باجمل جواب وافيضت الخلع عليه في يوم الاحد لحمس خلون من شهر ربيع الاول من السنة وقد جلس الامام الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين فحضر بين يديه وخدم كما جرت العادة لمثله فقال له امير المؤمنين في مبدإ خطابه : تَلَقَّ هذه النعمة بشكرك واثق الله تعالى في سرك وجهرك . وكان هذا التشريف سبع دراربع مختلفات الاجناس والسابعة منها سوداء وتاجاً مرصعاً وسوارير وطوق ذهب ولماً جلس على الكرسي المدل له وقبل الارض قال له امير المؤمنين : من لم يحسن سياسة نفسه لم يصلح لسياسة غيره . قال الله تعالى ذكره : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » (١) . فاعاد الوزير عليه ذلك بالفارسية فاكثر من الدعاء له والثناء عليه واستدعى امير المؤمنين السيفين المعدن له فقلده بهما واللوائين فعقدتهما له بيده وسلم عليه السلطان داود بن محمود اخيه (٢) واتابكه اق سنقر واكد الوصية عليه في بايها واجمال الرعاية لهما واستحلفه على الوفاء بما قرره في بايها وقال له امير المؤمنين : انهض وخذ ما اتيتك (٣) وكُن من الشاكرين . وتوجه السلطان مسعود بعد ذلك الى ناحية اذربيجان في اول شهر ربيع الآخر من السنة وقد انضم اليه (اق) سنقر احمديلي (٤) وخلق كثير من الاتراك

ووردت الاخبار الى بغداد بان عسكر السلطان مسعود كسر عسكر السلطان طغرل بن محمد (٥) بناحية همدان في ثامن عشر رجب من السنة وتفرق عسكره في البلاد وعاد السلطان مسعود الى (١٣١٢) منزله وخطوب له في جامع همدان وفي هذه السنة عزم شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك على قصد حماة لئلازمتها واستعادتها من ايدي الغالبين عليها ومملكتها وقد كان اخفى هذا العزم في نفسه ولم يظهر عليه غيره وشرع في التأهب لذلك والاستعداد للمصير اليها وقد كانت الاخبار انتهت الى الحافظ لها بهذا الاعترام فبالغ في التحصين لها والتأهب للذب عنها والمراماة دونها واعد لذلك كل آلة يحتاج اليها ويعتمد عليها . وانتهى الخبر بهذه الحال الى شمس الملوك فلم يحفل بهذا الامر ولا يشطن عنه بل برز في العشر الاخير من شهر رمضان سنة

١) Qur . ICIX, .7 , 8

٢) وفي الاصل : اخاه

٣) وفي زبدة التواريخ : ما اتيتك بقوة

٤) وفي الاصل : سنقر واحمديلي

٥) وفي الاصل : محمود

٢٧ ولم يبق من مقدمي أمرائه وخواتمه إلا من أشار عليه بإبطال هذه الحركة واستوقف عزمه عنها وهو لا يحفل بمقال ولم يسمع منه جواب خطاب وقيل له: تهمل هذا إلى فراغ صوم هذه الأيام القلائل من هذا الشهر المبارك وتقتضي سنة العيد ويكون التوجه بعده إلى ذلك المكان فلم يصنع إلى أحد في هذا الرأي ولا عمل بمشورة انسان وبنى أمره على قصدها واهلها غارون ومن بها من الحماة غفلون لتحقيقهم أنه لا ينهض أحد في هذه الأيام إلا بعد العيد وترفيه الجند ثم أنه رحل في الحال إليها واغذ السير حتى تزل عليها وهجم في يوم العيد على من فيها فراعهم ما احاط من البلاء بهم وزحف اليهم من وقته في اوفر عدة واكمل عدة فتحصنوا بالدروب والرحا وصبروا على الرشق بالسهم والنبال وعاد العسكر في ذلك اليوم وقد نكأ فيهم نكابة ظاهرة في القتل والجرح والنهب والسلب وبأكرهم من غده في الفارس والراجل وفرقتهم حول البلد من جميع نواحيه ثم زحف في خواصه من الفلمان الاتراك وجماعة وافرة من الرجالة والخيالة للقتال واسترق موضعاً من حماة قصد إليه وعول في هجم البلد عليه وشد على من به من الحماة والرماة فاندفعوا بين يديه وهجم البلد بنفسه من ذلك المكان ولاذ من بها بالامان وترامى اليه جماعة من حماتها مستأمنين فأمنهم وخلع عليهم واحسن اليهم ونادى بالكف عنهم ورفع الاذية عن كآفتهم ورد ما نهب عليهم فخرج اليه أكثر رجال القلعة طالبين الامان فخلع عليهم (١٣١٢) وأمنهم. حين رأى الوالي ذلك وعرف عجزه عن المصابرة طلب أيمانه فأمنه: وسلم القلعة بما فيها اليه وحصلت مع البلد في يديه بأسهل أمر واسرع وقت فرتب لولايتها من اعتمد عليه وسكن في حفظها اليه ورحل عنها وقصد شيزر ونزل عليها وأمر بالعيث والفساد في نواحيها ولم يزل على هذه الحال إلى ان لوطف واستعطف بما نحل اليه ورحل عائداً إلى دمشق ودخلها مسروراً ظافراً في ذي

القلعة من السنة

ومن اقتراحات شمس الملوك الدالة على قوة عزمته ومضاء همته ومستحسن ابتدائه ما أحدثه من البابين المستجدين خارج باب الحديد من القلعة بدمشق الاوسط منها وباب جسر الخندق الشرقي منها وهو الثالث لها انشأهم في سنة ٥٢٧ مع دار المسرة بالقلعة والحمام المحدث من شامها على قضية اخترعها وبنية اقترحها وصفة أثرها فجاءت في نهاية الحسن والطيبة والتقويم والاعتدال وفرغ منها في اوائل سنة ٥٢٨ وفيها (ورد) الامير المنتضى ابو الفوارس وثاب بن مسافر الغنوي رسولاً من مصر

في يوم السبت لاربع بقين من ذي القعدة منها بجواب ما كان صدر من مكاتبة شمس الملوك وواصل ما صحبه من الخلع السنية وأسفاط الثياب المصرية والخيل والمال وقُرى الكتاب الوارد على يده ولم يزل مقيماً الى ان تسهل مسيره فعاد منكفئاً سنة ٢٨ في يوم السبت ليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول منها

وفي ذي الحجة منها وردت الاخبار بوصول عسكر وافر من التركان الى ناحية الشمال وانهم غاروا على طرابلس واعمالها من معاقل الافرنج فظفروا بخلق كثير منهم قتلاً واسراً وحصل لهم من الغنائم والدواب الشيء الكثير وان صاحب طرابلس قنص طولوا بن بدران الصنجلي خرج اليهم فيمن حشده من اعماله ولقي عسكر التركان فكسروه واظفرهم الله بحشده المفلول وجمعه المخذول وقتل اكثر رجاله وحل حماته وابطاله وانهم في نفر قليل من الحصن المعروف بعرين فالتجأوا اليه وتحصنوا به وتزل عكر الاتراك عليه واقاموا محاصرين له اياماً كثيرة حتى نفذ ما فيه من القوت (١٣٢) والاء بحيث هلك منهم ومن خيلهم الاكثر فاعملوا الحيلة واستغنموا القفلة واتهزوا الفرصة وخرجوا في تقدير عشرين مع المقدم فنجوا ووصلوا الى طرابلس وكاتب ملك بنض طولوا صاحبها ملك الافرنج بعكاً يستصرخ به وبمن في اعماله ويبعثهم على نصرته فاجتمع اليه من الافرنج خلق كثير ونهضوا الى التركان لترحيلهم عن حصن برين واستقاذ من بقي فيه منهم فلما عرفوا عزمهم وقصدهم زحفوا الى لقاءهم فقتلوا منهم جماعاً كثيراً واشرف التركان على الظفر بهم والنكاية فيهم لولا انهم اندفعوا الى ناحية رفية فاتصل بهم رحلهم عنها وعودهم على طريق الساحل فشق ذلك عليهم واسفوا على ما فاتهم من غنائمهم وتفرقوا في اعمالهم

وفي هذه السنة عرض لكريم الملك ابي الفضل احمد بن عبد الرزاق وزير شمس الملوك مرضاً حاداً لم يزل به الى ان توفي الى رحمة الله في يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي الحجة منها فحزن له الناس وتنفجوا بوفاة وتأسفوا عليه بحسن طريقته ومشكور افعاله وحيد خلاله وكان محباً للخير متمسكاً بالدين مواظباً على تلاوة القرآن العظيم

وفي صفر من السنة نهض صاحب بيت المقدس ملك الافرنج في خيله الى اطراف اعمال حلب ووصل الى موضع يعرف بنوار فنهض اليه الامير سوار النائب في حلب في عسكر حلب وما انضاف اليه من التركان فالتقوا وتحاربوا اياماً وتطاردوا الى ان وصلوا الى ارض قنسرين فحمل الافرنج عليهم فكسروهم كسرة عظيمة قتلوا فيها من المسلمين

تقدير مائة فارس فيهم جماعة من المقدمين المشهورين المذكورين وقتل من الافرنج اكثر من ذلك ووصل الفل الى حلب وتم الافرنج الى قنسرين ثم الى المقاومة ثم الى نقرة الاخرين (كذا) فعاود الامير سوار النهوض اليهم من حلب في من بقي من العسكر والاتراك فلقوا فريقاً من الافرنج فاوقعوا به وكسروه وقتلوا منه تقدير مائة فارس فانكفت الافرنج هزيماً نحو بلادهم وعاد المسلمون بروؤس القتلى والقلائع الى حلب فانجلت تلك الغمة بتسهل هذه النعمة . ووصل الملك الى انطاكية وانتهى الى (132^٧) سوار خيل الرها فنهض الامير سوار وحسان البعلبكي فاوقعوا بهم وقتلوه عن آخرهم في بلد الشمال واسروا من وقع في ايديهم حياً وعادوا الى حلب ظافرين سالمين ومعهم الأسرى والروؤس

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

وفي هذه السنة نهض شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك في عسكره الى شتيف تيرون الذي في الجبل المطل على ثغر بيروت وصيدا فلكه وانتزعه من يد ضحالك بن جندل التميمي المتغلب عليه في يوم الجمعة لست بقين من المحرم منها

وفي هذه السنة خرج شمس الملوك الى التصيد اواخر شهر ربيع الآخر بناحية صيدنايا وعسال فلما كان يوم الثلاثاء التاسع منه وقد انفرد من غلمانه وخواصه وثب عليه احد مماليك جده ظهير الدين اتابك من الاتراك يعرف بايلبا وقد وجد منه خلوة وفرصة بالسيف وضربه ضربة هائلة يريد بها قطع رأسه ففضى الله تعالى بالسلامة فانقلب السيف من يده ولم يعمل شيئاً ورمى بنفسه الى الارض في الحال وضربه ثانية فوقعت في عنق الفرس فالتفه وحال بينه وبين الفرس الى ان تكاثر عليه الغلمان وتوافوا اليه فانهزم وانهض في اثره من الخيل من يتعقبه ويطلبه ويتوالت منه وعاد الى البلد . وقد اضطرب الامر فيه عند اشاعة هذه الكائنة فسكنت النفوس بسلامته . وجد المنهضون في طلبه من الخيل والغلمان والبحث عنه في الجبال والطرق والمسالك الى ان لحقوه فجرح جماعة بالشباب الى ان امسكوه فلما احضروه الى شمس الملوك وقرره وسأله : ما الذي حملك على هذا الفعل . فقال : لم افعله الا تقرباً الى الله تعالى بقتلك وراحة الناس منك لانك قد ظلمت المساكين

والضعفاء من الناس والصنّاع والمتعيشين والفلاحين وامتهنت العسكرية والرعيّة .
وذكر جماعة من الغلمان أبرياء اوقعهم في التهمة بانهم وافقوه على هذا قبض عليهم
واضافهم اليه وقتل الجميع في الحال صبراً . ولامة الناس على ذلك (حيث قتل) هؤلاء
الغلمان بقول هذا الجاني من غير بينة قامت (133) ولا دلالة ظهرت ولم يكفه قتل
من قتل ظلماً حتى اتهم اخاه سونج بن تاج الملوك فقتله وهو كبيره اشنع قتلة بالجوع
في بيت وبالغ في هذه الافعال القبيحة والظلم ولم يقف عند حدٍ

وفي يوم السبت الرابع من جمادى الاولى من السنة وصل اثير الملك ابو علي الحسن
ابن اقش رسولاً من الدار العزيرة النبوية المسترشدية وعلى يده برسم شمس الملوك
التشريف الامامي المندوب لايصاله اليه وافاضته عليه ووردت المكاتبات على يده عن
الوزير شرف الدين ابي القسم علي بن طراد النقيب الزينبي وزير الخليفة وكان معزولاً
عن الوزارة فأعيد اليها في شهر ربيع الاول سنة ٥٢٨ هـ وصرف عنها الوزير شرف الدين
انوشروان بن خالد صرفاً جميلاً

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بالخلاف الحادث بين ولدي الامام
الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد امير المؤمنين ابي علي الحسن ولي عهد المسلمين
واخيه ابي تراب حيدرة ابني الحافظ واقتسام الاجناد فرقتين احدهما مائلة الى مذهب
السنة واهله والاخرى الى مذهب الاسماعيلية وحزبه واستعار نار الحرب بينهما واستظهار
حزب السنة على حزب الاسماعيلية بحيث قتل منهم خلق كثير وكان اكثر القتل في الریحانية
والسودان واستقام الامر بعده لابي علي الحسن وتتبع من كان ينصر مذهب الاسماعيلية
من المتقدمين والدعاة ومن يجري مجراهم فابادهم بالقتل والتشريد وصلحت الاحوال
واستقامت امور الاعمال بعد الاضطراب والاختلال وورد كتاب الحافظ لدين الله الى
شمس الملوك بهذه الحال في اواخر ذي الحجة من السنة بما تجدد عنده من هذه النعمة
وفي ذي القعدة من السنة انتهت الاخبار الى شمس الملوك من ناحية الافرنج
باعترافهم على تقض المستقر من الهدنة وبيع الموادة المستمرة وتأهبهم للجمع
والاحتشاد وقصد الاعمال الدمشقية بالبعث والفساد فحين عرف شمس الملوك هذه
الحال شرع في جمع الرجال واستدعى التركمان من جميع الاعمال واتصل به نهوض
الافرنج الى ناحية حوران فبرز في (133) العسكر وتوجه اليهم وخيم بازائهم وشرعوا
في اخاب امهات الضياع الحورانية ووقع التطارد بين الفريقين . وكان الافرنج في جمع

كثيف من الخيل والرجل بحيث حصروهم في منزلهم لا يخرج منهم فارس ولا راجل
ألا رشقته السهام واختطفه الحام واقامت المناوشة بين الفريقين عدة أيام ثم اغفلهم
شمس الملوك ونهض في فريق وافر من العسكر وهم لا يشعرون وقصد بلادهم عكاً
والناصرية وما جاورهما وطبرية وما والاها فظفر بما لا يحصى كثرة من المواشي والعوامل
والنسون والصبيان والرجال وقتل من صادفه وسبي من ظهر له واحرق ما وجدته وامتلات
ايدي التركمان من غنائمهم . واتصل الخبر بالافرنج فانخذلوا وقلقوا وانزعجوا واجفلوا في
الحال من منزلهم طالين اعمالهم وعرف شمس الملوك ذاك فانكفاً الى مخيمه على طريق
الشعراء سالماً في نفسه وجهاته ظانراً غنائماً . ووصل الافرنج الى اعمالهم فشهدوا ما حل
بها ونزل باهلها من البلاء فساءهم ذاك وقت في اعضاءهم وانفلت شكتهم واتصفت
شوكتهم وتفرق شملهم وذلوا وطلبوا تقرير الصلح بينهم وعاد شمس الملوك الى دمشق
مسروداً في اخر ذي الحجة من السنة

وفيهما وردت الاخبار باجتماع الامير عماد الدين اتابك والامير حسام الدين قمر تاش
ابن ايل غازي بن ارتق على بلاد الامير داود بن سكرمان بن ارتق ونهض اليهما في
عسكره والتقى الفريقان على باب آمد فانهمز داود وانفل عسكره وأسر بعض اولاده
وقتل جماعة من اصحابه وذلك في يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة ونزل على آمد وحصرها
وقطع شجرها ولم يحصل منها على طائل فرحل عنها

ووردت الاخبار بان عماد الدين اتابك نزل على القلعة المعروفة بالصور وضائقها
وافتحها في رجب من السنة ١١٠ . وفيها ورد الخبر من ناحية بغداد بوقوع النار في بعض
محالها فاحترق الخان المشهور بمخازن التجار وكثير من الاسواق وتلف للتجار الخاضرين
والغائبين من جميع الجهات ما لا يحصى من اموالهم وبضائعهم . وفيها ورد الخبر بان عماد
الدين اتابك استوزر ضياء الدين (134٢) ابا سعيد الكفرتوئي وهو مشهور بحسن
الطريقة والكفاية وحُب الخير والمقاصد السديدة والمذاهب الحميدة . وفيها وردت الاخبار
من ناحية العراق بوفاة السلطان طغرل بن السلطان محمد بن مالك شاه رحمه الله .
وفيها تواصلت الاخبار من ناحية الامير عماد الدين اتابك باعتزامه على التأهب لقصد
مدينة دمشق لمنازلتها ومحاصرتها وأنه منصرف الهمة الى الاستعداد لذلك .

(١) قال الفارقي في تاريخه : ولسها الى السيد حسام الدين (قمر تاش) وكانت للامير ركن
الدولة داود (بن سكرمان بن ارتق)

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

في أوّل الحرّم هرب الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق الى تدمر خوفاً من
شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك بوري

. شرح السبب في ذلك

كان الحاجب المذكور في جاء تاج الملوك متسكّناً الرتبة عنده مقبول الرأي فيما يرومه
وقد صرف همه ووكّده الى تطلب معقل حصين بعده لنائبة تنوب وخطب من
خطوب الزمان تتجدّد واتّفق ان الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك المقيم بتدمر
قد سئم المقام بها وضجر من كونه فيها واراحت نفسه الى دمشق والاقامة فيها وجعل
يراسل اياه تاج الملوك ويسأله نقله عنها ولم يزل الى ان أُجيب الى مقترحه وأُسعف بمطلبه.
فوجد يوسف بن فيروز الغرض الذي يتطلّبه قد تسهّلت اسبابه فشرع في الحديث فيه
والخطاب بسببه والاستعانة بمن يُعينه على ذلك من المقدمين والوجوه الى ان تسهّل
الامر وأُجيب اليه وعُول في تولّي امر تدمر عليه وتسلمها وحصلت في ولايته ورُتب
فيها ولده مع من وثق به في حفظها والذب عنها من ثقات اصحابه وأمناء نوابه وشرع
في تحصينها ومرمتها ولم شعثها وشحنها بالغلّة والعُدود وحصل فيها كل ما يحتاج مثلها
الى مثله . فلما عرف من شمس الملوك التكرّر عليه وظهر له فساد نيّته فيه وبان ذاك له
من ثقات يسكن اليهم ولا يشكّ فيهم وحمله الخوف من المعاجلة له والايقاع به فهم
بالهروب الى تدمر وترقّب الفرصة في ذلك الى ان اتّفق لشمس الملوك في بعض الجهات
خروج فخرج من البلد اخر النهار وسرّه مكتوم عن الخلق والجار وقصد ضيعته لمشاهدتها
(134^٢) وقد استصحب خواص اصحابه وغلّمانه ثم تمّ على حاله مُغذّاً في سيره مجداً
في قصده الى ان حصل بتدّمر آمناً ممّا توقّاه ظافراً بما رجاه . وظهر خبره في غد ذلك اليوم
فحين عرف شمس الملوك جليّة حاله ضاق صدره لافلاته من يده وتضاعف ندمه لفوات
الامر فيه وكاتبه بما يطيب نفسه ويؤنسه بعد استيحاشه فلم يُصغِر الى ذلك بل اجابه
جواب الخاضع والطائع والعبد الناصح والمستخدم المخلص ويقول: « انني في هذا
المكان خادمٌ في حفظه والذب عنه » فلما وقع اليأس وعلم ان المقال لا ينجع حنق
عليه وذكره بكل قبيح واطهر ما يُسرّه في نفسه ولم يعرض لشيء من ملكه وداره

واقطاعه واهله واسبابه . وتجدد بعد ذلك ما يُذكر في موضعه وكان هروبه في ليلة الجمعة ليلة خلت من المحرم سنة ٥٢٩ من الضيعة الجارية في اقطاعه المعروفة بالمنيحة من الغرطة

وفي هذه السنة شاعت الاخبار في دمشق بين خاصتها وعامتها عن صاحبها الامير شمس الملوك ابي الفتح اسمعيل بن تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك بتناهيته في ارتكاب القبائح المنكرات وايغاله في اكتساب المآثر المحظورات الدالة على فساد التصور والعقل وصداء الحسن وظهور الجهل وتبلى الفهم وحب الظلم وعدوله عما عرف فيه من مضاء العزيمة في مصالح الدين والمسارة الى الجهاد في الاعداء الملحدين وشرع في مضادات المتصرفين والعُتَال وتآول الحال على المستخدمين في الاعمال واستخدم بين يديه كرديا جاءه من ناحية حمص يُعرف ببدران الكافر لا يعرف الاسلام ولا قوانينه ولا الدين وشروطه ولا يرقب في موطن ولا ذمة ونصبه لاستخراج مال المصادرين من المتصرفين والاختيار المستورين بفنون قبيحة اختارها في العقوبات وانواع مستبشرة في التهديد لهم والمخاطبات . وظهر من شمس الملوك مع هذه الحال القبيحة والافعال الشنيعة بخل زائد واشفاق نفس الى الدنيا متواصل بحيث لا يأنف من تناول الخسيس الحقير بالعدوان واخذه من غير وجهه بالعتو والطغيان واشياء من هذا الباب لا حاجة الى ذكرها لاشاعتها واشتهار امرها بحيث أنكرت من افعاله واستبشعت (135) من امثاله ولم يكفه ما هو عليه من هذه الافعال الذميمة والحصول المكروهة حتى اسر في نفسه مصادرة كُفاته من الكتاب وخواتمه من الأمراء والحجّاب وعزم على الابتداء او لا بالحاجب سيف الدولة يوسف بن فيروز أحطى من كان عند ابيه او لا وعنده ثانيا واشتهر عنه حتى هرب الى تدمر منه ورأى الغنيمة الكبرى ببعده من شره وراحته من نظره . وكاتب في اثناء هذا الاختلال والاضطراب الامير عماد الدين اتابك حين عرف اعتزاه على قصد دمشق لمنازلتها ومضايقتها والطمع في ملكتها يبعثه على سرعة الوصول اليها ليسلمها اليه طائعا ويمكّنه من الانتقام من كل من يكرهه من المقدمين والامراء والاعيان باهلاكهم واخذ اموالهم واخراجهم من منازلهم لامر تصوره وهذيان في نفسه قرره وتابع الكتب اليه بالمسئلة في الاسراع والبدار وترك التاوم والانتظار ويقول له في اثناء هذا المقال « وان اتفق افعال لهذا الامر واغفال او امبال أحوجت الى استدعاء الافرنج من بلادهم وسألت اليهم دمشق بما فيها وكان اثم دم

من بها في رقبته « واسر ذلك في نفسه ولم يُبدو لاحد من وجوه دولته واهل بطانته وكانت كتبه بذلك بخط يده وشرع في نقل المال والاواني والثياب من خزائنه الى حصن صرخد حتى حصل الجميع به ظناً منه انه يفوز به ويهلك جميع الناس من بعده . فلما بدأ هذا الامر يظهر والسر فيه ينتشر شرع في القبض على اصحابه وكتابه وعماله وغيرهم من اهل دمشق ومقدمي الضياع امتعض الامراء والمقدمون ووجوه العلماء الاتابكية وكافة العسكرية والرعية من هذا الفعل واشفقوا من الهلاك والبوار ان تم هذا التدبير المذموم لما يعلمون من افعال عماد الدين اتابك اذا ملك البلد فاجروا الحديث فيما بينهم سرّاً . وانهموا الحال فيه الى والدته الخاتون صفوة الملك فقلقت لذلك وامتعضت منه واستدعتة وانكرته واشتبشت وحملها فعلها الجميل ودينها القويم وعقلها الرصين على النظر في هذا الامر بما يحسم داءه ويعود بصلاح دمشق ومن حورته وتأملت الامر في ذلك تأمل الحازم الاريب والمرثاني (١٣٥٧) المصيب فلم تجد لدائه دواء ولا لسنمه شفاء الا بالراحة منه وحسم اسباب الفساد المتزايد عنه واثار عليها وجوه العلماء واكابرهم بذلك واستصوبوا رأيها فيه وبشوها على المعالجة له قبل ذاهور الشر وفوات الامر وانه لا ينفع فيه امر ولا ينجع معه وعظّم . فصرفت الهمة الى مناجزته وارتقبت الفرصة في خلوته الى ان تسهل الامر المطلوب عند خلوته من غلمانه وسلاحيته فأمرت غلمانها بقتله وترك الامهال له غير راحة له ولا متألمة لفقده لما عرفت من قبيح فعله وفساد عقله وسوء سيرته ومذموم طريقته واوزت باخراجه حين قتل والقائه في موضع من الدار ليشاهده غلمانه . وكلّ سر بمصرعه وابتهج بالراحة منه وبالغ في شكر الله تعالى على ما سهله فيه واكثر الدعاء لها والثناء عليها وذلك ضحى نهار يوم الاربعاء الرابع عشر من ربيع الاخر سنة ٥٢٩ . وقد كان مولده ليلة الخميس السابع بالعدد من جمادى الاخرة سنة ٥٠٦ في الساعة الثانية منها والطلع برج السرطان او المشتري فيه كبح مح والمريخ في السنبلة والزهرة في الخامس والعقرب والشمس في السادس من القوس والقمر وزحل في التاسع وسهم السعادة في العاشر

وقد كان المعروف بسدران الكافر لعنه الله في يوم الثلاثاء المتقدم ليوم الاربعاء الذي قتل فيه وقد راح من بين يديه بعد ان اسر اليه بشرّ يعمل عليه له . فلما حصل في بيته وقت الظهر من يومه المذكور ارسل الله تعالى ذكره عليه آفة عظيمة اخذت بانفاسه وربا لسانه حتى ملأ فاه وهلك من وقته وكانت الكائنة في غده

فبالغ الكفاة في حمد الله تعالى وشكره على هذه الآية الباهرة والقدرة الظاهرة
وواصلوا تسبيحه وتقديسه وتمجيده فسبحان مالك الامر ومدبر الخلق تعالى عما يقول
الظالمون علواً كبيراً

وفي الوقت نودي بشعار اخيه الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بن اتابك
جلس في منصبه بمحضر من والدته خاتون صفوة الملك وحضر الامراء وامثال الاجناد
واعيان الرعية فسلموا عليه بالامرة واستحلفوا على الطاعة (136^{هـ}) له ولوالدته والمناصفة
في خدمتهما والنصرة لاوليائهما والمجاهدة في اعدائهما وحلف كل منهم بالشرع من
صدره وانفساح من امله وظهر من سرور الكفاة خاصيتها وعاميتها بهذه النوبة السعيدة
والافعال الحسيدة ما يزيد على الوصف وايقنوا بالخلاص من المكروه الذي اشرفوا
عليه واستقامت الاحوال وتحققت الآمال

وتتابعت المكاتبات في اثناء ذلك من سائر الجهات بوصول عماد الدين في عسكره
وقطعه الفرات مجداً لتسلم دمشق من شمس الملوك صاحبها ووصلت رسله لتقرير الامر
فصادفوا الحال بالصد والتدبير بالعكس ألا انهم اكرموا وبجلوا واحسن اليهم وأعيدوا
باجل جواب وألطف خطاب وأعلم عماد الدين جلالة الحال واتفاق الكلنة في حفظ
الدولة والذب عن الحوزة والبعث على اجمال الرعاية والعود على احسن نية

فلما انتهى اليه الجواب ووقف عليه لم يحفل به ولا اصاخ الى استماعه فاهتمته نفسه
بالطمع في ملكة دمشق ظناً منه بان الحلف يقع بين الامراء والمقدمين من الغلمان
فكان الامر بخلاف ما ظن وواصل الرحيل واغذاذ السير الى ان وصل الى ظاهر دمشق
وخيم بارض عذراء الى ارض القصير في عسكر كثيف الجمع عظيم السواد في اوائل
جمادي الاولى في سنة ٥١٩ هـ وقد كان التأهب له مستعملاً عند ورود اخبار عزمته
واجفلت الضياع وحصل اهلها في البلد ووقع الاستعداد لمحاربتة واللقاء عند منازلته
والاجتماع على صده ودفعه ولم تزل الحال على هذه القضية والانتصاب بازائه على هذه
السجية وقد اشعرت النفوس من شدة البأس والصبر على المراس للقاءه والتأهب لرحفه
ودنوه من البلد وقربه وقد كان رحل عن عذراء وتزل تحت العقبة القبلية وكان يزحف
في عسكره وقد فرقه في عدة مواضع كالراكب حتى تقرب من البلد فيشاهد كثرة
من يخرج من البلد والعسكرية واحداث الرعية بالسلاح الشاك وامتلاء المصلي وسائر
الاماكن والكمناء في جميع المسالك ما يروعه ويصده عن الزحف وفي كل يوم يصل

من مستأمني عسكره جملةً وافرة مع ما ينهب من خيولهم ويقلع من فوارسهم
(١٣٦^٧) فلما طالت الايام عليه ولم يحصل على طائل مما حاول ولا مرام راسل في
طلب الصلح والدخول في طاعته والتمس خروج الامير شهاب الدين محمود بن تاج
الملوك اليه لوطء بساط ولد السلطان الواصل معه ويخلع عليه ويعيده الى بلده واجمل
الخطاب في ذلك والوعد فام يجب الى خروج شهاب الدين وتقررت الحال على خروج
اخيه تاج الملوك بهرام شاه بن تاج الملوك . ووافق ذلك وصول الرئيس بشر بن كريم بن
بشر رسولاً من الامام المسترشد بالله امير المؤمنين الى عماد الدين اتابك بجلع أعدت له
والامر بالرحيل عن دمشق وترك التعرض لها والوصول الى العراق لتولي امره والتدبير
له . وان يخطب للسلطان البارسلان المقيم بالموصل

ودخل الرسول المذكور والقاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري الى دمشق لتقرير
الامر ولاحكام القاعدة في الجمعة في الثامن والعشرين من جمادى الاولى فتقرر الامر
ووكدت الايمان وحضرا الجامع لصلاة الجمعة وخطب للسلطان البارسلان على المنبر
بامر امير المؤمنين وعاد الى العسكر الاتابكي وخروج بهرام شاه فأكرمه واعاده على اجمل
قضية ورحل في يوم السبت غد ذلك اليوم منكفئاً والقلوب قد امتنت بعد الوجمل
والنفوس قد سكنت بعد الاضطراب والوهل والشكر له متواصل والثناء عليه متكامل .
فلما حصل بحجة انكر على شمس امراء الخواص واليها امراً اظهر له منه وتزايد شكوى
اهلها لاصحابه ونوابه فعزله عنها وقرر من رآه في ولايتها . وقد كان ظهر من الامير
شجاع الدولة بزواج ومعين الدين أُر من حسن السياسة في تدبير العسكرية
والاجناد عند الترتيب في الحرب ما وافق الاعراض وطابق الاصابة والسداد بحيث
شكرا ومُحَدت مقاصدهما

وفي ذي القعدة منها وردت الاخبار من العراق باستشهاد الامام الخليفة
المسترشد بالله ابي منصور الفضل بن المستظهر بالله امير المؤمنين رحمه الله عليه ورضوانه
وشرح السبب في ذلك

قد مضى ذكر ما كان من الخليفة المفقود في معنى السلطان مسعود بن السلطان
محمد (١) بن ملك شاه (١٣٧^٧) من تقرير السلطنة له ورد تدبير الاعمال والامر
بالدعاء له على منابر البلاد وتشريفه بالخلع والحملان الكامل . وعقيب هذا الفعل

الجميل ظهر لامير المؤمنين المسترشد بالله امور انكرها وباعته اسباب امتنع منها
وبدت منه افعال اكبرها فرام استعطافه واستعادته الى الواجب المألوف في طاعة
الحلفاء فامتنع وحاول استمالته الى الصواب المعروف في المناصحة وحسن الوفاء فلم
ينفع وبشه على الحق الذي هو خير من التادي في الباطل فلم يقبل . فافضت
الحال صرف الهمة العلية المسترشدية الى مداواة هذا الداء والاستعداد له الى ان
اعضل بالدواء ولم ير فيه أنجح من التأهب لقصده والاحتشاد للايقاع به وصدمه
لان اخباره كانت متناصرة بعزمه على قصيد بغداد والارباب لها والاعاثة في نواحيها
فرأى الصواب في معاجلته ومقابلة فعله بمثله

واتفق وصول جماعة من وجوه عسكره ومقدمي جنده لخدمة الخليفة والمعاودة
له على محاربة عدوه وشرعوا في تحريضه على البروز اليه والمسارة للإطلال عليه
فتوجه نحوه في تجمل يعجز عنه الوصف ويقصر دونه النعت وقد اجتمع اليه من
اصحاب الاطراف واصناف الاجناد الخلق الكثير والجهم الغفير الذي بثله قويت
نفسه واشتد بأسه ولم يشك احد في انه الظافر به والمستولي على حزبه . فلما قرب
من مخيمه بناحية همدان ووقع العيان على العيان زحف اليه في عسكره والتقى
الجمعان واتفق للقضاء المكتوب والقدر المحجوب ان أمراء الاتراك الواصلين لخدمة
الخليفة في عسكره خامروا عليه بمواطاة كانت وتقريرات تقررت وبانت فانقلبوا عنه
واسلموه وعملوا عليه واغتموه بحيث تفرقت عنه جماعة وخذله ابطاله وكأته وثبت هو
وخواتمه في المصاف يقاتلون ولا يؤتون الى ان انقل عنه حزبه وضعف امره وغلب
على نفسه فاخذوه ووزيره النقيب وكاتبه سديد الدولة بن الانباري وصاحب مخزنه
وخدمه وخاتسته وحملوه مع اصحابه المذكورين الى خيمه ووصل بجماعة من يحفظهم
ويتوثق منهم (137^٢) ويحتاج عليهم

وكتبت المطالعات الى السلطان سنجر بن ملك شاه صاحب خراسان بصورة الحال
والاستئذان بما يعتمد في بابه ووعده السلطان مسعود الخليفة ومن معه بالاطلاق واعادتهم
الى بغداد وتقرير امر الخلافة على ما جرى به الرسم قديماً فلما عاد الجواب من السلطان
سنجر في هذا الباب وتقرير ما اقتضاه الرأي في امر الخلافة بين السلطانين المذكورين
ندب عدة من الرجال تقدير اربعة عشر رجلاً نسبوا الى انهم من الباطنية فقصدوا
الخليفة في خيمته وهو مطمئن لا يشعر بما تزل به من البلاء واحاط به من محتوم القضاء

وهجموا عليه فقتلوه في يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٩ صبراً وقتلوا معه من اصحابه وفرأشيه من دافع عنه ومانع دونه . وشاع الخبر بذلك بناحية مراغا على مرحلتين منها ودُفن بها واستبشع الناس هذا الفعل الشنيع والقصد الفظيع في حق خليفة الزمان وابن عم رسول الله عليه افضل الصلاة والرضوان واكبروا الجرأة على الله والاقدام على هذا المنكر في الاسلام والدم الحرام واطلقوا الألسنة بالدُّعاء والذم على من استحسن هذا الفعل البقيع ودبر هذا الخطب الشنيع وتيقن كل انسان من الخاص والعام ان الله تعالى لا يعجل المُقَدِّم عليه ولا (يرضى) بفعل المُجْرِم اليه لانه جلَّت قدرته لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدي كيد الخائنين ولا يعجل عقوبة الظالمين ولما انتهى هذا الخبر الى ولده ولي عهده تقدَّم بتحسين بغداد والتأهب لدفع من يقصدها بسوء من الاعداء والمخالفين وبويع بالخلافة في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩ ولقب بالراشد بالله ابي جعفر المنصور بن المسترشد بالله امير المؤمنين وجلس في منصب الخلافة في ذي الحجة سنة ٥٢٩ واستقام له الامر وتوكلت له البيعة على الرسم ووعد كافة الاجناد والعسكرية وامثال الرعية بما طيب نفوسهم وشرح صدورهم واطلق مال النفقات والواجبات على جاري العادة فكثرت الدعاء له والثناء عليه وسكنت الدهماء (١)

(١) قال الفارقي في تاريخه : قيل وفي شعبان سنة ٥٢٩ خرج الخليفة المسترشد من بغداد ولقي السلطان مسعود بباب همدان الى موضع يسمى دآي مراك قريب من جبل جهتون ونهب العسكر وكان جمع السلطان خلقاً عظيماً وكان نفذ له عمه السلطان سنجر عسكراً عظيماً فالتقوا فكسر الخليفة واسروه واسروا ارباب المناصب كلها

ولقد سألت السعيد مؤيد الدين ابا عبد الله محمد بن عبد الكرم الانباري رحمه الله في سنة ٥٣٤ ببغداد حين تزلت اليه في هذه السنة عن حال المسترشد والوقعة وما جرى فقال رضي الله عنه : كان قد وقع (خلاف) بين السلطان والخليفة في ايام السلطان محمود وخرج واسره مرتين . فلما ولي مسعود استطال نوابه على العراق وعارضوا الخليفة في املاكه فوقعت الوحشة وتجهز المسترشد وعزم على الخروج وجده في ذلك . واتفق ان بعض الايام دخل الوزير شرف الدين الزينبي علي ابن طراد على الخليفة وانا معه وجمال الدين طلحة صاحب المخزن وكان الخليفة قد طرد اصحاب السلطان عن العراق ورتب صاحب المخزن على دار السلطان للمظالم والبلد . فلما دخلنا ذلك اليوم قال له الوزير شرف الدين : يا مولانا في نفس المملوك شيء وهل يؤذن له في المقال . فقال : قل . قال : يا مولانا الى اين تمضي ومن تعصده والى من تلتجى ومن تنصر ؟ ومقامنا ببغداد امكن لنا ولا يقصدنا احداً الا وقيتنا نحن الظهر والعراق فيه لنا كفاية فان الحسين بن علي عليهما السلام

(138^{هـ}) سنة ثلثين وخمسمائة

في المحرم منها وردت الاخبار من ناحية العراق بقتل الامير دُبَيْس بن صدقة بن مزيد قتله السلطان مسعود بن محمد لامور انكرها واسباب امتعض منها نسبت اليه وقيل ان هذا مكافأة من الله تعالى له عما كان منه في عصيان الخليفة الامام المسترشد

لما خرج الى العراق جرى عليه ما جرى ولو اقام بمكة والمدينة ما اختلف عليه انسان وكان تابعه جميع الناس. فقال له الخليفة: ما تقول يا كاتب. فقلت: يا مولانا الصواب المقام وما رآه الوزير فهو الرأي فلا يقدم علينا بالعراق احدٌ وليت بقي لنا العراق. فقال لصاحب المخزن: يا وكيل ما تقول. قال: في نفسي ما في نفس مولانا. (وكان هو قد حمله على الخروج) فقال المسترشد: واذا لم يكن من الموت بد فمن الغبن ان تموت جباناً. ثم خرج

وقال ايضاً السيد مؤيد الدين: لما قُتل المسترشد نفذ السلطان مسعود واحضرنا عنده فحضر الوزير شرف الدين وجمال الدين صاحب المخزن وانا فلما حضرنا عنده قال: ما الرأي وما التدبير في امر الخلافة ومن ترون. فقال الوزير: يا مولانا الخلافة لولي العهد الراشد وقد بايعه الناس وجلس واستقر وقد بويغ له بولاية العهد والان بعد قتل ابيه. فقال: ما الى هذا سبيل ولا اقره عليها ابداً فانه تحدثت نفسه بالخروج مثل ابيه ونحن كل يوم من حيث ولي المسترشد لم يزل بخروج علينا وكان خرج الى اخي محمود مرتين وعليّ مرة وهذه اخرى وقد تم عليه ما تم وبقيت علينا شناعة عظيمة وسببة الى اخر الدهر ويقولون: قتلوا الخليفة. وهم كانوا السبب في عود الخلافة الى هذا البيت. لا اريد يجلس الا لمن لا يداخل نفسه في غير امور الدين ولا يجند ولا يتخذ ولا يجمع ولا يخرج ملي ولا على اهل بيتي وفي الدار جماعة فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل ورأي وتدبير ويلزم نفسه ما يجب من طاعتنا ولا يخرج من داره ولا تعرجوا عن هرون بن المقتدي فهو شيخ كبير ولا يرى الفتنة وقد اشار به صمي سنجر. وكان في الدار في ذلك الوقت سبعة اخوة من اولاد المقتدي ولهم اولاد واولاد ومن اولاد المستظهر سبعة اخوة وكان للمسترشد اولاد جماعة والراشد وله مقدار نصف وعشرين ولداً

وقال المؤرخ ايضاً: قيل ونفذ السلطان مسعود الى عمه سنجر يأخذ اذنه فيمن يوتي فنفذ اليه يقول: لا تولي الا من يقع عليه رأي الوزير وصاحب المخزن وكاتب الانشاء ويضمنون ما يجري منه ويكون الجواب عليهم. فلما اشار السلطان بولاية هرون وعرفهم ما امرهم السلطان سنجر قال الوزير: اذا كان هذا الامر يلزمنا فنحن نولي من نراه وهو الزاهد العابد الدين الذي ليس في الدار مثله. قال السلطان: من هو. فقال الوزير: الامير ابو عبد الله بن المستظهر. فقال: وتضمنون ما يجري منه. فقال الوزير: نعم. وكان الامير ابو عبد الله صهر الوزير شرف الدين على ابنته فانها دخلت ذات يوم في الدار في زمن المستظهر فراها الامير ابو عبد الله فطلبها من ابيه فزوجه اياها وكان شرف الدين اذ ذاك تقيب النقباء ودخل بها وبقيت عنده مدة وماتت عنده. فقال السلطان: ذاك اليكم واكنتموا الحال لئلا ينمو الامر فيقتل. ثم رحل السلطان يطلب بغداد والوزير والجماعة في جملة

بالله امير المؤمنين والسعاية في دمه . وكان هذا الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين رحمه الله عالماً تقياً فاضلاً حسن الخط بليغاً نافذاً في اكثر العلوم عارفاً بالفتوى واختلاف الفقهاء فيها اشقر الشعر اشهل العينين بوجهه نَشَّ وكانت مدَّة خلافته سبع عشرة سنة وما الله بغافل عما يعمل الظالمون . وفي شهر ربيع الاول منها تسلم الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك مدينة حمص وقلعتها

شرح الحال في ذلك

لما عرف من كان بجمص وقلعتها من اولاد خيرخان بن قراجة وخمارتاش الوالي من قبلهم فيها ما استمر عليها من مضايقة الامير عماد الدين اتابك لها وبذل جهده وحرصه في تملكها واخذها واخذه حماة المجاور لها وجدته في طلبها وإضعاف اهلها ومواصلة الغارات عليها وانهم لا طاقة لهم بضبطها لقلة القوت بها وعدم الميرة فيها انقذوا رسلهم الى شهاب الدين يلمسون منه انفاذ من يراه لتسلم حمص وقلعتها ويعرضهم عنها بما يتفق عليه الرأي . وتوسط الحاجب سيف الدولة يوسف بن فيروز المقيم بتدبير الامر في ذلك طمعاً في الكون بها والانتقال من تدمر اليها لكونها من الاماكن الحصينة والقلاع المنيعه واستأذن في الوصول الى دمشق للحديث وتقرير الحال في ذلك فأذن له ووصل الى دمشق وجرى في ذلك خطاب طويل افضى آخره الى ان تسلم حمص وقلعتها الى شهاب الدين وتسلم الى خمارتاش تدمير عوضاً عنها ووقع الشرط واليمين على هذه الصفة . وبرز شهاب الدين من دمشق في العسكر وتوجه اليها فحين حصل بها نزل خمارتاش من القلعة واولاد خيرخان واهله بما يخصهم وسأموها اليه فتسأماها يوم الاحد الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٥٣٠ . وحصل بها ورتب امرها (١٣٨) وقرّر ولايتها للحاجب يوسف بن فيروز وان يكون فيها نائباً عن الامير معين الدين أنز الاتابكي حسب ما استقر وكتب الى الجهات والاطراف بحمل الاقوات اليها والتقوية لها بالميرة وعاد شهاب الدين عنها بعد تقرير امرها منكفئاً الى دمشق . وشرع الامير سوار النائب عن عماد الدين في حلب ومن بجدة من قبله في الغارات على اعمال حمص ورعي زرعها وجرى في ذلك مراسلات ومخاطبات اسفرت عن المهادنة والمواذعة والمسألة الى امد معلوم وأجل مفهوم بحيث انحست اسباب الفساد عن الجهتين واستقامت احوال الجانبين

وفي يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى من السنة خلع شهاب الدين على أمين الدولة كشتكين الاتابكي والي صرخد وبصري الخلع التامة ورد إليه أسفلاً رتبة العسكرية وخطب بالاتابكية وأُتِل في دار الكبيرة الاتابكية بدمشق وحضر الناس لهناؤه فيها وأوعز إلى الكافة باتباع رأيه والامتناع لأمره. وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة قُتل الحاجب يوسف بن فيروز في ميدان المصلّى بدمشق.

شرح السبب في ذلك

كان الحاجب يوسف بن فيروز المقدم ذكره عند كونه في خدمة شمس الملوك اسمعيل بن تاج الملوك وتمكّنه عنده وارتفاع طبقته لديه قد اعتسد في حقّ مقدّمي الغلمان الاتابكية ما أوحشهم منه وبلغهم ما ضيق صدورهم عنه وأسرّوا ذلك في نفوسهم وأخفوه في قلوبهم لا سيما ما قصده في نوبة الغلمان الذين قتلهم شمس الملوك مع أخيه سونج بن تاج الملوك بسبب اتهمهم بكونهم مع إيلبا الغلام التركي (الذي كان وثب على شمس الملوك وضربه بالسيف طالباً قتله فسلمه الله منهم ونجّاه حسب ما تقدّم به الشرح وكونه أكبر السعاة عليهم والسبب في قتلهم على عادة قد ألفت من فعله وطريقة قد عرفت من طبعه وقد كان حصل بتدبير وأهل أمره ونُسي ما سبق به شره. فلما راسل من تدمر من يطلب الاذن في الوصول إلى دمشق لتقرير أمر حص وأوجب إلى الاذن في ذلك أنكر الأمير شجاع الدولة بزواج والحاجب سنقر وأكابر الغلمان الاتابكية الاذن له في ذلك وامتنعوا من وصوله كل الامتنعاض (139) لا عرفوا من سوء فعله ومشهور سعيه وختله وأشاعوا بينهم ما هم عازمون عليه من العمل على قتله. ونصحه أهل وُدّه والاشفاق عليه والمتقربين إليه بذلك فألجى القبول منهم وأخذ النصيح منهم وقويت نفسه على التغرير بها والمخاطرة باتباع هواها. وتمسك بدفاعه الأمير معين الدين عنه والمنع منه لصداقة كانت بينهما قد استحسنت قراها ووصلة انعقدت وأحكمت عراها ولما وصل إلى دمشق توثق لنفسه من الجماعة بأيمان سكنت إليها نفسه وتوَكَّد معها أنسه وقرَّر معه أنه يكون ينحضر للسلام في كل يوم ويهوى إلى داره ويقع بالكون في ملكة دمشق والتثقل منها إلى حص ولا يداخل نفسه في أمر غير ذلك

فما هُوَ إِلَّا ان حصل بها وجعل يُدَبِّرُ امراً غير خافٍ ويقرر تقريراً غير مكتوم ولا مستتر فاثار بذلك ما كان في نفوس الغلمان كامناً وحرك ما كان في القلوب ساكناً . ووجد الامير بزواج والغلمان السيل الى تقض ما عاهدوا عليه باعتماده المخالفة لما قرروه معه وسكنوا اليه ولاحت الفرصة لهم فيه ولما كان في يوم المقدم ذكره وقد تقرر الامر بينهم على الفتك به صادفه شجاع الدولة بزواج المقدم ذكره في الميدان المجاور للمصلى بظاهر دمشق فباشاه ساعة بالحديث وقد خلا من اصحابه واغفله وجرّد سيفه وضربه به ضربة عظيمة في وجهه الى رأسه وثني بأخرى فسقط الى الارض واجهز عليه اخر من الغلمان ولم يتجاسر احد من اصحابه من الدنو منه ولا الدفع عنه لقوة شوكة الغلمان واتفاق كلمتهم على قتله

وانهزم شهاب الدين واصحابه من الميدان الى داره وبقي ساعة مطروحاً على الارض في الميدان يشاهد مصرعه ويعتبر اللبيب بمنظره ثم حمل الى المسجد الذي بناه فيروز ابوه بالعقبيّة فدفن عند قبره في يومه في تربته . وانفذ بزواج وسنقر وجماعة الغلمان الى شهاب الدين ووالدته الخاتون مراسلات ومعاتبات على ما اعتمدها من الاذن له في العود الى دمشق بعد ما كان من فعله في حق من قتل بسعيه من الغلمان واشتروطوا اموراً وقع الالباء لها والاستيحاش منها ومن طلب مثلها وامتنع الغلمان واكثر التراك من الدخول الى البلد والعود الى دورهم الا بعد تقرير امر بزواج (139٧) وجماعة الغلمان والدخول فيما راموه وتطييب نفوسهم بالاجابة الى ما حاولوه

واندفعوا الى ناحية المرج فقتلوا فيه وخيموا في ناحية من نواحيه وترددت بينهما مراسلات لم تسفر عن سداد ولا نيل مراد فاظهروا الخلاف وكاشفوا بالعصيان والانحراف وعمدوا الى خيل الجشار فاستاقوها واشتملوا على جميعها وهي العدد الكثير لسائر الامراء والعسكريّة والرعيّة من انواع الدواب ولها قسمة عظيمة وتوجهوا بها في يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الاولى من السنة من تل راهط الى ناحية المرج . وخرج اليهم من بقي في البلد من العسكر مع الامراء والمقدمين وهم منهم اكثر عدداً واتم عدداً طلباً للايقاع بهم وتخليص الجشار من ايديهم فما اغنوا قليلاً ولا اعادوا ممّا اخذوا كثيراً ولا قليلاً ورحلوا به الى صوب بعلبك . فخرج اليهم الامير شمس الدولة محمد ابن تاج الملوك صاحبها ووقعت الموافقة والمعاهدة بينهم على اقامته والدخول في طاعته والمناصحة في خدمته واجتمع اليه خلق كثير من التركمان فاخافوا السيل وشرعوا في

العيث والفساد واقتضت الحال مراسلتهم بالملاطفة ودعاهم الى الطاعة وترك المخالفة وتطبيب نفوسهم وبعثهم على العود الى ما كانوا عليه والاجابة الى ما اقترحوا واساروا اليه واستقرت الحال على مرادهم وأخذت الأيمان الموكدة عليهم ولهم بالوفاء واستعمال الاخلاص والصفاء وأذن لهم في العود فعادوا الى البلد ونهيم بزواج وجماعته بجسر الخشب وامتنع من الدخوال الى داره لما رآه وجال في نفسه . واتفق الرأي على خروج شهاب الدين في العسكر الى ناحية حوران على الرسم في ذلك والاجتماع هناك وتقرير ما يجب تقريره من الاحوال والبعث على تحصيل الغلال واتفق الرأي في اوائل شعبان على تقديم بزواج على سائر الاجناد والعلمان وردت اليه الاسفيسلارية وخوطب بالانابكية وكتب بحمال الدين مضافاً الى القابه فاستقام له الامر ونفذ في النفع والضرر

وفي العشر الاول من رجب من السنة خرج امين الدولة كمشتكين الانابكي والي صرخند من دمشق مظهرًا قصد الصيد (140^ق) والإشراف على ضياعه لاجل الجراد الظاهر بها في خواصه وثقله وفي النفس ضد ذلك قلنا توارى عن البلد اغذ السير قاصداً سمت صرخند ومفارقاً لما كان فيه خوفاً على نفسه من العلمان بحيث حصل بها وسكنت نفسه من الخوف فيها . ثم روسل بالاستعطاف والتلطف في العود الى داره ومنزله والانكفاء الى رتبته فأبى واحتج بأسباب ذكرها واحوال شرحها ونشرها فوقع السلو عنه واليأس منه

وفي يوم السبت الثالث عشر من شعبان سنة ٥٣٠ وردت الاخبار من ناحية الشمال بنهوض الامير مسعود سوار من حلب فيمن انضم اليه من التركمان الى الاعمال الافرنجية فاستولوا على اكثرها وامتلات ايديهم بما حازوه من غنائمها وتناصرت الاخبار بهذا الظفر من جميع الجهات والاستكثار لذلك والتعظيم له ولقد ورد كتاب من شيرد يتضمن البشرى بهذه النوبة ويشرحها على جليتها فاثبت مضمونه في هذا الموضع تأكيداً للخبر وتصديقاً لما وُصِفَ وذكر وهو : ان المتجدد عندنا بهذه الناحية ما يجب علينا من حيث الدين ان نُذيعه ونُبشِّر به كافة المسلمين فان التركمان كثرتهم الله ونصرهم اجتمعوا في ثلاثة الف فارس جيده مُعدَّة ونهضوا الى بلاد اللاذقية واعمالها بغتة بعد اليأس منهم وقلة الاحتراز من غارتهم وعادوا من هذه الغزاة الى شيرد يوم الاربعاء حادي عشر رجب ومعهم زيادة عن سبعة الف اسير ما بين رجل وامرأة وصبي وصبيّة ومائة الف رأس دواب ما بين بقر وغنم وخيل وحمير والذي حازوه واحتاجوه يزيد عن مائة قرية

كبار وصغار وهم متواصلون بجيـث قد امتلأت الشام من الاسارى والدواب . وهذه
نكبة ما مُني الافرنج الشاميون بمثلها وبعد هذا لا يُبَعّ منهم اسيرٌ الا بشئنه ولا تقص
السعر الاوّل وهم سائرون بهم الى حلب وديار بكر والجزيرة

وفي آخر نهار يوم الاربعاء الرابع وعشرين من ايار طلع على دمشق سحاب اسود
اظمحت الدنيا له وصار الجو كالليل ثم طلع بعد ذلك سحاب احمر اضاءت الدنيا منه
وصار الناظر اليه يظن انه نارٌ موقدة وكان (140٧) قد هبّ قبل ذلك ريحٌ عاصفٌ
شديدة أذت كثيراً من الشجر وقيل انه في هذا الوقت والساعة جاء في حوران بردٌ
كبارٌ ومطرٌ شديدٌ بحيث جرت منهما الادرية وجاء في الليلة مطرٌ عظيمٌ زاد منه برداً
زيادةً لم يُرَ مثلها عظمًا

وفي المحرم من هذه السنة في الثالث عشر منه ارسل الله تعالى من الغيث ما طبق
الاعمال الدمشقية بحيث سالت به الادرية والشعاب وزاد المد في الانهار بحيث اختلطت
وانكسر نهر يزيد ونهر باناس والقنوات والتقت المياه وبطلت الارحية ودخل الماء الى
بعض بيوت العقبة وذكر جماعة من الشيوخ المعترين انهم لم يشاهدوا في مثل هذا
الوقت مثل ذلك

وفي شعبان من هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بان السلطان مسعود
ابن محمد (١) بن ملك شاه حضر بغداد وضائق الامام الخليفة الراشد بالله بن الامام
المسترشد بالله امير المؤمنين ومعه السلطان داود ابن اخيه والامير عماد الدين اتابك
زنكي بن اق سُنقر واقتضى التدبير حين لم يُنَل منها غرضٌ ولم يُظفر بمرادٍ ولا بدّ من
اللقاء والمجاربة العود عنها فعاد السلطان داود الى بلاده وعماد الدين اتابك الى الموصل
واقام السلطان مسعود على رسمه في بغداد وحين رأى الامام الراشد بالله اقامة السلطان
على الاستيحاء منه زادت وحشته وعلم انه لا طاقة له بالمقام معه وخاف على نفسه
فتبع عماد الدين الى الموصل وتزل بظاهرها وخيم به كالمستجير والعاث به . وحين خلت
بغداد من الخليفة وتديره تمكّن من كل ما يُريد فعله ويروم قصده فاقام في منصب
الخلافة ابا عبد الله محمد اخا المسترشد بالله ولقبه المقتني لامر الله وعمره اربعون سنة
واخذ البيعة له على جاري الرسم وخطب له على المنابر في بلاده فقط في ذي القعدة
سنة ٥٣٠ وبقي الامر واقفاً الى ان تقرر الصلح بين السلطان مسعود وبين عماد الدين

اتابك في سنة ٥٣١ هـ فخطب له والسلطان في الموصل وسائر الاعمال وسيأتي ذكر ذلك مشروحاً في موضعه

وفي هذه السنة سنة ٥٣٠ هـ تشي السلطان مسعود ببغداد وatabك عماد الدين (141^١) والامام الراشد بالله ووزيره جلال الدين ابو الرضا بن صدقة بظاهر الموصل وفيها وردت الاخبار في ذي القعدة منها بظهور متملك الروم من القسطنطينية وحكي ان طالع ظهوره كان عشر درج من الميزان وان الزهرة والمشتري في العاشر والشمس في الاسد والمريخ في السابع والله اعلم بالغيب . وفي يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة قتل الرئيس محيي الدين ابو الذواد المفرج بن الحسن بن الحسين الصوفي رئيس دمشق بظاهر المسجد الجديد قبلي المصلى في اليوم المذكور والسبب في ذلك ان الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك صاحب دمشق والامير بزواج والحاجب سنقر كانوا قد انكروا عليه اموراً بلغتهم عنه واحوالاً استوحشوا بسببها منه فشرعوا في افساد حاله وتحديثوا في اخذ ماله وتقررت الحال فيما بينهم على هذه الصورة في الحميم بحوران وكان الرئيس المذكور قد فارقه من خوران وعاد الى البلد لمداواة مرض عرض له . فلما استقر الامر بينهم على هذه القضية وعادوا الى البلد وخرج الرئيس المذكور في جماعة لتلقيهم فحين سلم عليهم وافق ذلك حديث جرى بينهم في معنى المعاملات اجاب عنه جواباً غلظ عليهم وانكروه منه فعادوا لذلك عن القبض عليه الى القتل له . وقد كان بلغه اعتراضهم على افساد حاله باخذ ماله وأشير عليه بالاحتياط على نفسه والتخيل في دفع الضرر عنها فلم يقبل للامر المقضي والقدر النازل فقتل مظلوماً رحمه الله بغير استحقاق للقتل ومضى شهيداً واعتقل باقي اقاربه والتمسوا الاذن لهم بعد ايام في التوجه الى صرخد دفناً للشر وانحداءاً لنار الفتنة فأذن لهم في ذلك فتوجه من توجه منهم اليها

وفي هذه السنة في اواخرها حضر المعروف بالاصمعي الديوان السهائي والتمس الاذن له في ضرب الدينار في دمشق على ان يكون عياره نصف وربع وثمان دينار خلاصاً والباقي من الفضة والنحاس وكرر الخطاب الى ان أجيب الى ما طلب وتقرر ضربه على هذه السجية وان ينقش السكة باسم الامام الراشد بالله امير المؤمنين والسلطان (141^٢) المعظم مسعود وشهاب الدين . ولما وردت الاخبار باخذ السلطان البيعة الامام المتقي لامر الله وتوجه الراشد بالله الى ناحية الموصل وظهر السلطان رقعة بخط الراشد بالله

تتضمن أنه متى خرج من داره وقصد محاربة السلطان أو إباح دماً محرماً بغير واجب أو مديداً إلى أخذ مالٍ من غير حله ولا جهته كانت بيعته باطلة وخرج من عهدة الخلافة وكان متعدياً للواجب وبذلك أشهد على نفسه القضاة والفقهاء والأعيان فكان ذلك أركد الحجة في خلعه وتقض أمره

سنة إحدى وثلاثين وخمسة

في هذه السنة وردت الأخبار بظهور متملك الروم كالياني من القسطنطينية في ذي القعدة سنة ٣٠ وقيل بل أول المحرم سنة ٣١ ووصل إلى جزيرة أنطاكية وأقام بها إلى أن وصلت مراكبه البحرية بالاثقال والميرة والمال والعُدَد في عاشر نيسان ونزل على نيقية فملكها وقيل بل هادنه عليها أهلها ووصل إلى الثغور وتسلم اذنة والمصيصة وغيرهما وحاصر عين زربة وملكها عنوةً. وقيل في التاريخ أن أمير المؤمنين المأمون بالله ابن الرشيد بالله كان عمر عين زربة عند الاجتياز بها لما ورد إلى هذه الجهات وانفق على عمارتها مائة وسبعين ألف دينار مع جاه الخلافة والسلطنة والقدرة وكان يعمل فيها كل يوم أربعون ألف فاعل سوى البنائين والحُدَّادين والنَّبَّارين. وملك تل حمدون وحمل أهله إلى جزيرة قبرص وكان صاحبها ابن هيثم الأرمني ثم عثر مينا الاسكندرية ثم خرج إلى أنطاكية ونزل عليها وضائق أهلها في سلخ ذي القعدة وجرى بينه وبين صاحبها ريند ابن سدقين (كذا) مصالحة ورحل عائداً إلى الدروب فافتتح ما بقي في يد ابن أيون الأرمني من الحصون وشقّى بها

وفي رجب من السنة نهض الأمير بزواج في فريقٍ وافرٍ من العسكر الدمشقي من التركمان إلى ناحية طرابلس فظهر إليه قومُصّها في عسكره والتقى فكسره بزواج وقتل منهم جماعة وافرة وملك حصن وادي ابن الأحمر وغيره. وفي رجب أيضاً نهض ابن صلاح والي حماة في رجاله إلى (142^ف) حصن الخربة فملكه

وفي شعبان منها ورد الخبر بأن عماد الدين أتابك بن إق سنقر توجه في عسكره من ناحية الموصل وقطع الفرات في العشر الأول منه ووصل إلى حمص وكان قد تقدّمه إليها صلاح الدين في أوائل العسكر ونزلاً عليها وضائقاها وفيها الأمير معين الدين أنر واليها فرأسله في تسليمها فاحتجّ عليه بأنها للأمير شهاب الدين وأنه نائبه فيها فنصب الحرب عليها والمضايقة لها أياماً ولم يحطّ منها بطائل فرحل عنها في العشرين من شوال من

السنة وتزل على الحصن المعروف ببعرين لينتدعه من ايدي الافرنج . فلما عرفوا ذلك تجتمعوا وتزلوا قريباً لحمايته ومعونة من فيه منهم فحين عرف عماد الدين خبرها كمن لهم كميناً والتقى الجمعان فانهزم فريق من الاتراك بين ايدي الافرنج وقتلوا منهم جماعة وافرة عند عودهم الى منزل محبتهم وظهر عليهم عماد الدين في من كمن لهم من الكُمناء ووقع الرجالة ومالك الاثقال والسواد وحين قربوا من المخيم وشاهدوا ما نزل عليهم وحل بهم اتخذوا وفشلوا وحمل عليهم عسكر عماد الدين فكسرههم ومحقهم قتلاً واسراً وحصل لهم من الغنائم الشيء الكثير من الكراع والسواد والاثاث وعاد عماد الدين الى حصن بعرين . وقد انهزم اليه ملكهم كند اياجور ومن يجامعه من مقدمي الافرنج وهم على غاية من الضعف والخوف قتل عليهم وحصرهم في الحصن المذكور ولم يزالوا على هذه الحال في المضايقة والمجاربة الى ان نفذ ما عندهم من القوت فاكلوا خيلهم وتجمع من بقي من الافرنج في بلادهم ومعاقلمهم وانضموا الى ابن جوسلين وصاحب انطاكية واجتشدوا وساروا طالبين نصرة المخذولين المحصورين في حصن بعرين وتحاصهم مما هم فيه من الشدة والخوف والهلاك فحين قربوا من عسكر اتابك وصح الخبر عنده بذلك اقتضت الحال ان آمنهم وعاهدتهم على ما اقترحه عليهم من طاعته وقرر عليهم خمسين الف دينار يحملونها اليه واطلقهم وتسلم الحصن منهم وعاد من كان اجتمع لنصرتهم

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بان الامام (١٤٢٠) الخليفة الراشد بالله امير المؤمنين ابن المسترشد بالله كان قد فصل عن الموصل قاصداً الى مراغة وانه اجتمع بالسلطان داود بن محمود وجرى بينهما احاديث وتقريرات قررهما كل واحد منهما مع الآخر (١) . ووردت الاخبار من ناحية الشمال بان الامير عماد الدين اتابك رخل في عسكره

(١) قال الفارقي في تاريخه : وكان الراشد على طريقة ابيه وكان بايعه الناس في آخر سنة ٥٢٩ وكان شهماً شريف النفس ذا رأي وهمة فلماذا انخرط السلطان من توليته الخلافة . وقال ايضاً انه كان بعد قتل ابيه قد بايعه الناس واستبدت واستقرت ونفذ الى اتابك زنكي الى الموصل واستدعاه وضمن له ان تكون السلطنة في الملك الب ارسلان ابن محمود الذي عند اتابك وتكون الاتابكية والخلافة بمحكمه فترل اتابك الى بغداد وتزل بالجانب الشرقي في احد دور السلطنة وبقي الى ان وصله ان السلطان قد طلب بغداد فيخيم في الجانب الغربي . فلما قرب السلطان من بغداد وتزل قريباً من الثمروان حقق الراشد الحال وانه لا بد من تولية غيره فجمع الامراء باسرم الذين كانوا في الدار من بني الخلفاء في سرداب وتقدم بان يطبق السرداب

عن حلب في يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضان من السنة ونزل على حمص وخيم بها وقاتلها ووصل اليه رسول متملك الروم

ولقد حدثني زين الدولة ابو القاسم علي بن الحاجب وكان هو حاجب الباب هو وابوه وجدته وكان بين يدي الراشد قال : لما جمع الراشد الامراء في السرداب استدعاني وقال : يا علي خذ هذا السيف (وكان بيده سيف) وقال : احذر ان يسبق سيفي سيفك فاني اريد اخرج كل من في السرداب واقتل الجميع حتى لا يبقى من يصلح للخلافة فان هؤلاء ربما دخلوا وغتروا وولوا غيري . ثم امر بفتح السرداب والصايج جاءه فقال : ما الخبر . فقال : ان اتابك زنكي نصب الحرير الطاهر . (وطلب الموصل في ذي القعدة واما السلطان فوصل وعبر النهر وان ولما حقق اتابك نزول السلطان بالنهر وان انخرم) فرى السيف من يده ودخل الى الدار واخذ معه من الجواهر ما لا يعرف له قيمة واعطاني منه مثل ذلك وخرج . واخرج معه قاضي القضاة الزيني وكان قد استوزر جلال الدين ابا الرضا (ابن) صدقة فخرج وخرجنا ولحق اتابك زنكي على طريق الموصل

قال السيد مؤيد الدين رحمه الله : فلما كان بكرة ذلك اليوم دخل السلطان بغداد ودخلنا معه فتنزل في داره وتزلنا نحن في دورنا وكان دخولنا عاشر ذي القعدة سنة ٥٣٠ فلما كان من الغد مضى الوزير الى دار السلطنة ونحن معه واستأذنه فبما فعل فاخذ خطه وخطوطنا بالضمائم ثم عدنا الى دورنا واصبحنا يوم الاثنين سابع عشر ذي القعدة سنة ٥٣٠ وحضرنا عند الامير ابي عبد الله وتحدث الوزير معه وتحدثنا معه وشرط عليه القيام بامر الخلافة وطاعة السلطان واعلناه « اتنا قد ضنا ذلك من السلطان جميع ما اقترحه عليك » فرضي بذلك وانفصلنا عنه ومضينا الى السلطان واعلناه ما جرى وانه رضي بما شرطت عليه فقال السلطان : اذا كان من الغد فبايعوه . فلما اصبحنا صعدنا الى الدار واخرجنا من الدار اشياء من آلات التي تصلح للفناء واشياء لا تليق وشهد جماعة من اهل الدار انه شرب الخمر فافق العلماء بخلعه واعتنق ذلك القاضي عماد الدين شرف القضاة ابو طاهر احمد ابن الكرخي المحتسب وكان قاضي اصحاب الشافعي رحمه الله واجتمع العلماء والاكابر فخلعوه

ودخل اليه الوزير وصاحب المخزن وانا وتحدثنا وناولته رُقعة فيها ما يسمى به من اللقب وكان فيها المقتني لامر الله والمستضيء بامر الله والمستنجد بالله فقال : ذلك اليكم . فقال لي الخليفة : ما ترى . فقلت : المقتني لامر الله . فقال : مبارك . ثم مد يده فاخذها الوزير وقبلها وقال : بايتم سيدنا ومولانا المقتني لامر الله امير المؤمنين على كتاب الله وسنة رسول الله واجتهاده . ثم اخذها صاحب الحزن وقبلها وبايعه على مثل ذلك ثم اخذت يده وقلت بعد ان قبلتها : بايتم سيدنا ومولانا الامام المقتني لامر الله امير المؤمنين على ما بايتم عليه اباه واخاه وابن اخيه في ولاية عهده . (وكنت بايتم الامام المستظهر بالله لما خدمته في وكالة الدار سنة ٩٠ وبقيت الى سنة ٥٠٧) لما وليت ديوان الانشاء وبايتم المسترشد والراشد ثم قمنا من عنده ودخل الى الدار ودخل العلماء والفقهاء والقضاة واکابر الناس اجمع فبايعوه وحضر السلطان مسعود بعد ثلاثة ايام وبايعه وبايعه جميع اصحابه من خواجا والامير حاجب وجميع ارباب دولته واستبد له الامر واستقر

ووردت الاخبار من ناحية العراق بالتقاء عسكري السلطان مسعود واخيه (كذا) داود وان عسكر السلطان مسعود ظهر على عسكر السلطان داود وكسره وقتل من مقدميه واجناده جماعة وافرة من السنة (كذا)

وفي سنة ٥٣١ هـ ترددت المراسلات من الامير شجاع الدولة ابي الفوارس المسيب ابن علي بن الحسين الصوفي وجماعة المقيمين بصرخند وكتب الامير امين الدولة كشتكين الاتابكي الوالي بصرخند الى الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك والي الامير شجاع الدولة بزواج والحاجب اسد الدين اكرز في التماس الاذن لهم في العود الى دمشق والسؤال في اعادة ما قبض من املاكهم اليهم واعادة كل مغصوب منها عليهم ولم تزل المراسلات في هذا الباب متناصرة وانكُتِب في طلبه متواترة الى ان تقررت الحال في ذلك والاجابة اليه على مصالحته معينة مقتسطة برسم واجبات الاجناد يقومون بها في انجتها المعينة واوقاتها المبينة تصلح الاحوال بتأديها وتتحقق الامال بتملكتها وان يُردَّ امر الرئاسة في البلد الى الامير المقدم ذكره وكُتِب له النشور بالرئاسة ونُعت فيه مع اوصافه بالامير الرئيس الاجل مؤيد الدين محمد الاسلام مضافاً الى القابه ونعوته المتقدمة وان يكون الرسم في الرئاسة جارياً على العادة المستمرة والقاعدة المقيمة المستقرة في الحماية والواجبات والرسم الجاريات في دار الوكالة وسائر العراض ونفذت الكُتُب اليهم بالاجابة الى ما التمسوه والاسعاف بما اقترحوه والاذن لهم في العود الى البلد واثقين بما يُقدمون عليه من حفظ الحُرمة وحراسة الحشمة والتطبيب بالنفس وتأكيده (143) الأنس . فعند الوقوف على ما صدر اليهم من هذه الحال سُرَّت به نفوسهم وابتهجت

في الخلافة

وقال المصنف ايضاً: واما ما كان من الراشد فانه خرج مع اتابك زنكي في صفر سنة ٥٣١ هـ الى الموصل ومعه قاضي القضاة الزينبي وجلال الدين ابو الرضا بن صدقة ابن اخي الوزير ابي علي وبقي عنده مدة فوصل معه الى باب نصيبين واقام اياماً ثم عاد الى الموصل وانفصل عن اتابك ومضى الى السلطان مسعود حتى يستأذنه ويمضي الى السلطان سنجر . وقيل قصد السلطان داود ودخل عليه حتى يرده الى الخلافة فلما قارب اصفهان خرج عليه قوم من الملاحدة ودخلوا عليه وقتلوه في شهر رمضان سنة ٥٣٣ هـ وحمل الى اصفهان ودُفن بها في مدينة شهرستان من اصفهان على فرسخ ويقال انها من ابنة ذي القرنين على ماء زندروذ على القنطرة وكانت خلافته من حيث بويغ له بعد قتل ابيه الى ان بويغ للمقتني احد عشر شهراً زائداً وناقصاً وقبل ان تغد السلطان من قتله وجعل الاسم للملاحدة

بعرفته قلوبهم وشرعوا في التأهب للعود بصدورٍ مُنشرة وآمالٍ مُنفسحة وعادوا بأسرهم وحين قربوا من البلد خرج كل من فيه من خاصّ وعامٍ لتلقيهم واطهار السرور والاستبشار بعودهم والاعتباط والابتهاج بمقدمهم ودخلوا البلد في العشر الاول من رجب من السنة المذكورة فاستقامت احوالهم على منهج السداد واستمرت على قضية الايثار والمراد وأعيد عليهم جميع ما اعترض لهم من ملكٍ وغيره واجروا على كل رسم جميل وأكرامٍ وتبجيلٍ . فكم من شدة فرجها الله تعالى ذكره بعد اشتدادها وغمّة كشفها بلطفه بعد اظلامها

ربما تجزع النفوس من الام رله فرجة كحل العقال

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان مقدم الارمن بها قام في حربه على صاحبها الامام الحافظ لدين الله ابي الميمون عبد المجيد وزحف اليه في قصره واتام عليه كالحاصر له فعاد اكثر الجند عنه خوفاً وقتلاً فانخذل وانهمزم . وقيل ان السبب في ذلك كون اخ لمقدم الارمن في الصعيد ورّد عليه خبر قتله فغلظ هذا الامر عليه وحمله على ما كان منه ثم انه تطفأ امره بحيث عفي عنه ولزم داره خائفاً مروعاً

وفي رجب من السنة نهض الامير بزواج في العسكر ومن حشده وجمعه من التركمان الى ناحية طرابلس في الرابع منه فظهر اليه صاحبها في خيله من الافرنج فكمن لهم في عدة مواضع فلما حصلوا بالموضع المعروف بالكورة ظهرت عليهم الكمناء فهزموهم ووقع السيف في اكثرهم ولم يفلت منهم الا اليسير وهجم على الحصن الذي هناك فنهبوا وقتل من فيه من المتقدمين والاتباع واسر من بذل في نفسه المال الكثير وحصل له ولعسكره القصة الكثيرة

وفي شوال من السنة تقررت المهادنة والموادعة بين عماد الدين وبين شهاب الدين صاحب دمشق على قاعدة أحكمت . وفي ذي الحجة منها ورد الخبر بعود متملك الروم في عسكره عن انطاكية الى ناحية بعرين من عملها في الثاني والعشرين منه (١٤٣) وانفذ رسوله الى عماد الدين اتابك وظهر الامير سوار النائب عنه في حلب بسرية وافرة العدد من عسكر الروم فقتل بعضاً واسر بعضاً ودخل بهم الى حلب

وورد الخبر بان حسام الدين قورتاش بن ايل غازي بن ارتق ملك قلعة الهتّاخ (١)

(١) وفي الاصل: الهياخ . وفي تاريخ الفارقي اخذها من الامير شمس الدولة عيسى بن احمد ابن نظام الدين بن مروان

من بقية آل مروان وما كان بقي في ايديهم غيرها بعد البلاد والمعاقل ملكها بجيلة
اعملها عليهم ومكيدة نصبها لهم وهي على غاية من الحصانة والمنعة
وفيها شرع اهل حلب في تحصينها وحفر خنادقها والتحصن من الروم بها لقربهم
منها. وورد الخبر بان عماد الدين اتابك عزل وزيره ابا المعاسن علي بن ابي طالب العجمي
وقبض عليه واعتقله بسبب مال وافر وانكسر عليه من المعاملات ما عجز عن القيام به
والخلاص بتأديته وبقي معتقلاً في القلعة بحلب بسببه

سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة

اولها يوم الاثنين مستهل المحرم وهو العشرون من ايلول وفيه وصل الحاجب حسن
الذي كان أرسل الى متملك الروم ومعه رسول الملك عماد الدين اتابك. وفي رابع عشر
المحرم وصل اتابك في عسكره الى حماة ورحل عنها متوجهاً الى ناحية البقاع فملك
حصن المجدل من ايدي الدمشقيين ودخل في طاعته ابراهيم بن طرغت والي بانياس من
عمل دمشق. وورد الخبر في صفر بان زلزلة عظيمة جاءت بالجزيرة واعمال الموصل وقيل
انها اهلكت عدة مواضع من الارض وهالك فيها خلق كثير وافر من اهلها. وفي اوائل
شهر ربيع الاول من السنة وقيل ان رسول السلطان مسعود بن السلطان محمد ووصل
الى الموصل بالتشريف الكامل لعماد الدين اتابك ووصلت كتب نصير الدين نائبه فيها
يشرح حالها

وورد الخبر بان صاحب انطاكية قبض على بطركها الافرنجي ونهب داره وذكر ان
السبب في ذلك ان ملك الروم لما تقرّر الصلح بينه وبين ريند صاحب انطاكية شرط
في جملة الشروط ان ينصب بانطاكية بتركا (كذا) من قبل الروم على ما جرى بمثله
الرسم قديماً ثم انتقض هذا الرسم فيما بعد وخرج ريند صاحب انطاكية الى متملك الروم
وهو محتيم في (١٤٤) عسكره بمرج الديباج وقرّر معه الهدنة والموادعة وعاد الى
انطاكية. وفيها عاد عماد الدين اتابك عن دمشق الى حماة في شهر ربيع الآخر ونزل عليها
ورحل عنها الى حمص فتزل عليها محاصراً لها

وفي هذه السنة تقض الافرنج الهدنة المستقرّة بين عماد الدين اتابك وبينهم واطهروا
الشقاق والعناد وشرعوا في الميث والفساد بعد اصطناعه لقدمهم والكف عنهم حين

أظهره الله عليهم وقبضوا بانطاكية وثلغور الساحل جماعة من تجار المسلمين وأهل حلب
والسفار تقدير خمائة رجل في جمادى الآخرة

وفيها شتى السلطان مسعود ببغداد ووصل رسوله إلى أتابك بحمص وشتى ملك
الروم بالثغور والدروب وخيم بمرج الديساج وفي يوم الأحد النصف من جمادى نهض
الأمير بزواج من دمشق في عسكره إلى ناحية الأفرنج وقد فسد أمره مع شهاب الدين
صاحب دمشق لعجرفة فيه وإقدام على استعمال الشر ونودي عليه بنسب أمره وظهور
غدره ومكره وكثرة جهله وتناهيه في سوء فعله وأقام بظاهر البلد مدة وعاد أمره
انصلح ودخل البلد وأقام فيه مستقيم الحال مبلغاً غاية الأمال فعمل عليه شهاب الدين
وقتل بقلعة دمشق بأيدي الشية في يوم الاثنين السادس من شعبان من السنة .
والسبب في ذلك أن شهاب الدين كان قد تقم عليه أموراً أنكرها واستوحش منه
لأجلها وعبث بالارتفاع يزقه في النفقات والإطلاقات فاعمل الحيلة في قتله وآتته
وطبته إلى حين وجد الفرصة فيه متسهلة وحصل عنده بقية الورد في داره بالقلعة وقد
رتب له جماعة من الأرمن الشية أصحاب ركابه وقرّر معهم قتله فحين تمكّنوا منه
بجلاوة من أصحابه قتلوه وأخرجوه ملفوفاً في كساء إلى المقبرة المبنية لزوجته فدُفن بها

وفي يوم الأحد السابع عشر من شعبان من السنة خلع شهاب الدين على الأمير
معين الدين أنز وقرّر له أمر الأسفسلارية وخطب بالآتابكية ورد أمر الحجابة إلى
الأمير الحاجب أسد الدين أكر وطيب بنفسيهما ورد التدبير والتقدير في سائر الأعمال
وعامة الأحوال إليهما

وفي هذا (١٤٤٧) الشهر وردت الأخبار من ناحية الشمال بتزول ملك الروم في
عسكره على شير محاصراً لها ومضايقاً عليها ونصب عليها عدة من المناجيق واشتدت
الحرب بينه وبين أهلها وقتل فيها جماعة من المسلمين بحيث أشرفت على الهلاك مع
مباغة الأمير عماد الدين أتابك في إمدادها بالرجال والأسلحة وآلات الحرب وكونه بإزاء
الروم يجول بجيلة على أطرافهم ويفتك بمن يظفر به منهم ولم يزالوا على هذه القضية
إلى أن نسّم المقام عليها ويشوا من بلوغ الغرض فيها ولطف الله تعالى بأهل الشام
وتداركهم برحمته وورد خبر رحيلهم عن شير إلى انطاكية واستبشر الناس برحيلهم
وعودهم خاسرين غير ظافرين ومفلولين غير فالين فلهذا تعالى الحمد على هذه النعمة
دائماً والشكر متواصلاً متتابعاً

قد مضى من ذكر الروم فيما اعتمدوه في هذه الايام ما قد عُرف ويُذكر بعد ذلك مبدأ احوالهم وخروجهم وافعالهم وذلك انهم ظهروا من ناحية مدينة البسلاط في يوم الخميس الكبير من صومهم وتزلوا غفلة على حصن بزاعة بالروادي في يوم الاحد عندهم وغارت خيلهم على اطراف حلب في تاسع عشر رجب من السنة واستأمن منهم الى حلب جماعة من كافر ترك واندروا من بحلب بالروم فحذروا وضمو اطرافهم وتحرزوا وتحفظوا واستعدوا وتيقظوا قبل الاعارة بليلة وكان هذا الانذار من المستأمنة لطفاً من الله تعالى ورحمة . وبعد هذا التحرز والاحتياط اشتمل الروم في عاداتهم على جملة وافرة من اهل حلب وضواحيها وانفذ اهل حلب من اعيانهم من مضى الى عماد الدين اتابك مستصرخاً به وهو مخيم على حمص فانهض اليهم من امكنه من الخيالة والرجالة والناشبة والنبالة والعدد الوافرة وحصل الجميع في السابع وعشرين من رجب من السنة ووردت الاخبار بتملك الروم المذكورين حصن بزاعة بعد حصره ومضايقته ومحاربه بالمنجنيقات في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب بالامان وغدر باهله بعد تسلحه وأعيانهم وجمع من غدر بهم واحصاهم وقيل انهم كانوا خمسة الف وثمانمائة نفس وتنصر قاضي بزاعة وجماعة من اليهود (145^{هـ}) وغيرهم تقدير اربعمائة نفس واقام الملك بعد ذلك بمكانه عشرة ايام يُدخن على مغارات اختفى فيها جماعة فملكوا بالدخان وفي يوم الاربعاء الخامس من شعبان تزل الروم ارض الناعورة ورحلوا عنها في يوم الخميس ثامنه واجتازوا بحلب ومعهم عسكر انطاكية ومقدمهم ريمند صاحبها وابن جوسلين فزلوا على حلب ونصبوا خيامهم على نهر قويق وارض السعدي . وزحف الملك من غده في خيله ورجله من قبلي حلب وغربها من ناحية قرنة بُرج الغنم وخرج اليها فرقة وافرة من احداث حلب فقاتلتهم وظفرت عليهم فقتلوا فيهم وجرحوا وأصيب من الروم مقدم مذكور وانكفوا خائبين الى مخيمهم واقاموا على حلب اياماً قلائل ورحلوا عنها غداة يوم الاربعاء ثامن شعبان مقتبلين الى ارض صلح وخاف من بقلعة الاثارب فهربوا منها في يوم الخميس تاسع شعبان وطرحوا النار في خزائنها وعرف الروم ذلك فنهضت منهم طائفة الى القلعة وتزلت عليها وملكتها وحازوا ما فيها والجاوا السبايا والاسرى الذين في ايديهم من حصن بزاعة الى ربض الاثارب وخندقها بحيث عرف الامير سوار النائب بحلب ذلك وانغزال الروم عنها نهض في عسكر حلب وادركهم بالاثارب فاوقع بهم وقهرهم واستخلص الأسورين والمسيين الأ

اليسير منهم وذلك في يوم السبت الحادى عشر من شعبان وُسِرَّ اهل حلب بهذه النوبة سروراً عظيماً

وفي يوم الخميس التاسع من الشهر رحل عماد الدين اتابك عن حماة الى بلسية وسيرثقله الى الرقة وبقي في خيله جريدة مُحَفَّفة . وفي يوم الاثنين رحل ملك الروم عن بلد المعرة فهرب من كان مقيماً في كفرطاب من الجند خوفاً على نفوسهم . وتناصرت الاخبار بعبور عسكر التركان الفرات مع ولد الامير داود بن ارتق الى ناحية حلب للغزو في الروم وتزلوا بجميع المروج ونهض فريق وافر من عسكر دمشق للغزاة ايضاً في خدمة عماد الدين اتابك وكان سبب رحيل الروم عن شيزر ما انتهى اليهم من وصول التركان وتجمع العساكر خاسرين وكان مدة اقامتهم عليها ثلاثة وعشرين يوماً ووصول ملك الروم الى انطاكية في عوده يوم الاحد (١٤٥) الثامن من شهر رمضان من السنة وتواصلت الاخبار باتمام الروم في رحيلهم الى بلادهم وسكنت القلوب بعد ارتعاجها وقلتها منهم ووجلها

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي بهاء الدين ابن الشهرزوري بها في يوم السبت السادس عشر من شهر رمضان من السنة وحمل الى مشهد صفين ودفن به وكان صاحب عزيمة ماضية وهمة نافذة ويقظة ثاقبة (١) . وفي هذه السنة توفي القاضي الاعز ابو الفتح محمد بن هبة الله بن خلف التيسبي رحمه الله في ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان وكان من المتخصصين ذوي الروة وكرم النفس

وفي هذه السنة ترددت المراسلات من الامير عماد الدين اتابك الى الامير شهاب الدين في التماس انعقاد الوصلة بينه وبين والدته الخاتون صفوة الملك زمرّد ابنة الامير جاولى الى ان اجيب الى ذلك واستقر الامر فيه ونُذِب من دمشق من تولى لها العقد في محبته بمحصر في يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان من السنة وتقررت الحال على تسليم حمص اليه فتسلّمها مع القلعة وعوّض عنها لواليتها الامير معين الدين أنر حصن يعرب (٢) وتوجهت الخاتون صفوة الملك والدة شهاب الدين من دارها الى عسكر عماد

(١) قال الفارقي في تاريخه : انه مات بالرقة ودفن بها وولي ولده نجم الدين قضاء القضاة

(٢) وقال ايضاً ان في هذه السنة تسلّم زنكي حمص وقتل قرخان صاحبها . وقال سبط ابن الجوزي في تروج اتابك زنكي بالخاتون انه كان قد طلبها في السنة الماضية فامتنع يراوش (بزواج)

الدين اتابك بناحية حمص وحماة مع اصحاب عماد الدين المندويين لايصالها اليه في اواخر شهر رمضان منها

ووردت الاخبار من ناحية العراق بان الامام الراشد بالله امير المؤمنين كان قد فصل عن الموصل وتوجه الى ناحية الجبل فقضى الله تعالى للقدر النازل والحكم النافذ استشهاده على باب اصفهان بامرٍ قرر له وعمل عمل عليه فصار الى رحمة ربه سعيداً مأجوراً شهيداً في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رمضان من السنة فكانت خلافته الى ان استشهد ستين وعشرة اشهر

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة الامير طغان (ارسلان الاحدب) بن حسام الدولة ببديس وانتصب في مكانه ولده الامير قرتي بن طغان ارسلان واستقام له الامر وحكي عنه حكايات في الظلم والتعجرف والتجبر والجور تُنكرها النفوس وتغير من سماعها القلوب (١)

سنة ثلث وثلثين وخمسة

(١٤٦) اول هذه السنة يوم الجمعة بالرويا مستهل المحرم وفيه اجتمع الامير عماد الدين اتابك بالحاتون صفوة الملك والدة الامير شهاب الدين بظاهر حمص وقد اجتمع عنده جماعة وافرة من رُسل الخليفة والسلطان ومصر والروم ودمشق وغير ذلك. وفي

فقال : وما السبب في اتنا تزيل دولة مولانا بايدينا ؟ فلما قتل راسل اتابك زنكي في هذا المعنى وهو مقيم على حمص فأجيب وعقد العقد

(١) وقال الفارقي في تاريخه : ان في سنة ٥٣٣ وصل الى ميفارقين حسام الدولة قرتي ابن الاحدب صاحب ارزن. وقال ايضاً : ان في سنة ٥٤٣ حضر الوزير من عند الامير فخر الدين دولت شاه بن طغان ارسلان صاحب ارزن وبديس وعقد على نورة خاتون بنت السعيد حسام الدين (قمرتاش) على خمسين الف دينار. وان في سنة ٥٣٨ كان مات حسام الدولة قوتي (قرتي) بارزن وولي الامارة اخوه شمس الدين ياقوت ارسلان الى سنة ٥٤٠ ونفذ اخاه لاه دولت شاه الى خدمة اتابك زنكي لما عبر واخذ بلاد الامير داود بعد موته. وكان موته في سنة ٥٣٩ بجاني وكان ملك بعده ولده الأمير فخر الدين قرا ارسلان حصن كيفا وخربت (خرتبرت) وبالو وملك ولده ارسلان تغميش قلعة منازجرد. ثم مات ياقوت ارسلان يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة ٥٤٠ وسار ضياء الدين ايوب (الوزير) وكان زوج امه الى معسكر اتابك فاخذه وعاد به الى ارزن وملك البلاد واستبد بالامارة وملك جميع ولاية ابيه واخيه

هذا الشهر غارت الافرنج على ناحية بانياس ونهض شهاب الدين في العسكر في اثرهم
نلم يُدركهم وعاد الى البلد

وفي يوم الثلاثاء الرابع من صفر جاءت في دمشق زلزلة هائلة بعد الظهر اهتزت بها
الارض ثلث مرّات وتلاها في ليلة الجمعة وقت عشاء الاخرة ثانية اهتزت بها الارض
عدّة مرّات. وفي ليلة الاثنين التاسع عشر من صفر عادت الزلزلة في الثلث منها ثلث
مرّات فتبارك رب هذه القدرة الباهرة والآية الظاهرة وعادت في ليلة الاربعاء يتلوها في
الربع الاخير من ليلة الجمعة وتناصرت الاخبار من الثقات السفار والواردين من ناحية
الشمال بصفة هذه الرجفات المذكورات وانها كانت في حلب وما والاها من البلاد
والمعاقل والاعمال اشد ما يكون بحيث انهدم في حلب الكثير من الدور وتشعث السور
واضطربت جدران القلعة وظهر اهل حلب من دورهم الى ظاهره من خوفهم على
نفوسهم ويقول المكثرون من الحاكلي ان الزلزلة جاءت تقدير مائة مرة وقوم يحققون انها
ثمانون مرة والله اعلم بالغيب والصواب تبارك الله رب العالمين القادر على كل شيء.

وفي يوم السبت السابع عشر من شعبان الموافق للتاسع من نيسان جاء رعد هائل
مختلف من عدّة جهات وبرق زائد وجلبات هائلة قبل الظهر ثم جاء مع ذلك مطر
شديد الوقع وبرد هائل حكى بعض الثقات انه وزن واحدة من كبار البرد فكان وزنها
في ناحية الفوطه والمرج ثمانية دراهم وكان آخرون وزنوا واحدة فكانت سبعة عشر
درهماً وقتل كثيراً من الطير واتلف كثيراً من الطير والزرع والثمار

وفي يوم الاربعاء النصف من شوال وردت الاخبار من ناحية مصر بالحادثه الكائنة
بمصر بين الاجناد بها بحيث قتل بينهم من الفريقين الحلق الكثير من الحيّالة والرجال
وعلى مضي ست ساعات من (146^٦) نهار يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شوال
جاءت رجفة هائلة ارتاعت لها القلوب ورجفت به الصدور

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من شوال من السنة في غداة ظهرت الحادثة المدبرة
على الامير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بن ظهير الدين اتابك وقتله في فراشه وهو
في نومه في ليلة الجمعة المذكورة بيد غلمانه الملاحين البنش الارمني الذي اصطنعه وقرّبه
اليه واعتمد في اشغاله عليه ويوسف الخادم الذي وثق به في نومه لديه والخزكاوي
الفرّاش الراقد حواله ووقوع الزحف عند اشتها هذا الخبر الى كاتبه النفيس ابي طالب
عقيل بن حيدرة مستوفي ديوان المعاملات وقتله في الطريق عند اخذه من الدار التي

جأ إليها واختفى عند هروبه فيها . وكان هؤلاء الثلاثة النفر الجناة الملاءين يبيتون حول سريره فلما قرّر معهم هذا الامر رقدوا في اماكنهم على جاري عاداتهم فلما انتصف الليل وتحققوا نومه وثبوا عليه فقتلوه في فراشه على سريره وصاح فرأش آخر كان معهم فقتلوه ايضاً ودبروا امرهم بينهم واخفوا سرهم بحيث خرجوا من القاعة وظهر الامر وطلب البغش لعنه الله فهرب ونهب بيته ومسك الاخران فصولاً على سور باب الجاية . وكتب الى الامير جمال الدين محمد بن تاج الملوك اخيه صاحب بعلبك بصورة الحال فبادر بالوصول الى دمشق في اسرع وقت واقرب اوان فجلس في منصبه وعقد الامر له واستحلف الامراء والمقدمين والاعيان على الطاعة والمناصرة في خدمته فتقررت الحال وسكنت الدهماء وظهرت الكائنة وانكشفت الغمائم .

وحين انتهى (الخبر) الى الخاتون صفوة الملك والدة الامير شهاب الدين رحمه الله قلقت وانزعجت وحزنت عليه واسفت واكبرت هذا الامر وحدث مثله على ولدها وراسلت الامير عماد الدين اتابك وهو بناحية الموصل معلمة له بصورة الحال وباعثة له همتته على النهوض لطلب الثأر من غير تلؤم ولا اغفال فحين وقف على الخبر امتعض له اشد الامتعاض ولم يكن باستمرار مثله بالراضي وصرف الاهتمام الى التأهب لما حرصته عليه وأشارت اليه بالاستعداد له والاحتشاد لقصده وثني أغنة (147^{هـ}) الاعتزام الى ناحية الشام مجداً في قصد دمشق لبُلُوغ كل مطلب ينحوه ومرام وتناصرت الاخبار بهذه العزيمة الى دمشق فوقع الاحتياط والتحرز من جانبه والاستعداد ثم تلى ذلك ورود الخبر بنزوله على بعلبك في يوم الخميس العشرين من ذي الحجة من السنة في عسكر كفيف وجهم غفير . وقد كانت قبل نزوله عليها تدشخنت بالرجال المقاتلة والعُدَد الكاملة ورد امر الولاية فيها الى معين الدين أُرُوقد تمكنت حالته وارتفعت رقبته ونفذت اوامره في الدولة وامثلته فنصب عليها عدة من المناجيق وواصل المحاربة لاهلها وبالغ في المضايقة لها وقيل ان عدة المنجنيقات المنصوبة عليها اربعة عشر منجنيقاً يرمي عليها بالنوبة ليلاً ونهاراً بحيث اشرف من بها على الهلاك . ولم تزل هذه حالها الى ان ورد الخبر بافتتاحها بالامان لشدة ما نزل باهاها من البلاء والمضايقة والنقوب وبقيت القاعة وفيها جماعة من شجعان الاتراك المندوبين لحمايتها والذب عنها فلما أيسوا من معين يأتهم من المعين ووصول من ينقدهم من البلاء المحيط سلبوها الى عماد الدين اتابك بمعد اخذ امانه والتوثيق منه . فلما حصلت في ملكته نكث عهده ونقض امانه لخنق

أسره وغيظه على من كان فيها أكثه فامر بصلبهم ولم يفلت منهم الا من حماه اجله فاستبشع الناس ذلك من فعله واستبدعوه من نكته . وقد كان الخبر ورد قبل ذلك بافتتاح عماد الدين اتابك قلعة الاثارب في يوم الجمعة اول صفر من السنة المقدم ذكرها . ووردت الاخبار بان رجفة عظيمة حدثت في الشام بعد ما تقدم ذكره في ليلة الجمعة الثامن من صفر منها

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بان الامير الافضل رضوان بن ولحشى صاحب الامر بمصر خرج منها لامر خاف معه من صاحبه الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين ووصل الى صرخد وان امين الدولة كشتكين الاتابكي واليهما تلقاه بالاكرام ومزيد الاعظام والاحترام واقام في ضيافته وكرامته مدة ثم عاد من عنده طالباً لمصر لامر كان دبره وسبب قرره فلما وصل اليها فسد ذلك التدبير عليه ولم ينل ما كان صرف همه اليه فاعتقل في القصر مكروماً ومبجلاً محترماً

(١٤٧٦) وفيها توفي النقيب الامام جمال الاسلام ابو الحسن علي بن محمد (١) بن الفتح السلمي الشافعي متولي المدرسة الامامية في يوم الاربعاء الثالث عشر من ذي القعدة منها وهو ساجد في صلاة الغداة رحمه الله وكان مشهوراً بوفور العلم في التفقه وقوة الفرائض والوعظ والدين والامانة بحيث وقع التألم لفقده واقتقر الى مثله من بعده

سنة اربع وثلاثين وخمسمائة

اول هذه السنة المباركة يوم الثلاثاء بالروية مستهل المحرم . وفيه ورد الخبر بفراغ عماد الدين اتابك من ترتيب امر بعلبك وقتلها وترميم ما تشعث منها وشروعه في التأهب للتزول على مدينة دمشق لمضايقتها وورد عقيب ذلك الخبر برحيله عنها في العسكر ونزوله في البقاع في شهر ربيع الاول منها وانفذ رسوله الى الامير جمال الدين محمد بن تاج الملك بوري بن اتابك صاحبها في التماس تسليم البلد اليه ويعرض عنه بما يقع الاختيار والاقتراح عليه فلم يجب الى ما رغب فيه فرحل عن البقاع وتزل على دارياً ظاهر دمشق

(١) وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي « ابن المسلم » مدرّس الغزالية والامينية واول ما درّس بمدرسة امين الدولة سنة ٥١٤ .

في يوم الاربعاء ثالث عشر ربيع الآخر منها . وكان عند نزوله على دارياً قد التقت الطلائع فظفر بجماعة وانهزم الباقون الى البلد وزحف بعد ذلك الى البلد في عسكر من ناحية المصلى في يوم الجمعة الثامن وعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة فظفر بجماعة وافرة من احداث البلد والغوطة واطلق السيف فيهم فمهم من مضى قتيلاً واسيراً ومنهم من عاد الى البلد سالماً وجريحاً واشرف البلد في هذا اليوم على الهلاك لولا لطف الله تعالى وعاد الى مخيمه بمن اسر بعد من قتل وامسك اياماً عن الحرب (١) . وتابع المراسلة والتلطف في تسليم البلد واخذ العوض عنه بملبسك وحمص وما يقترح معها فاثر جمال الدين محمد بن تاج الملوك الدخول في هذا الامر لما فيه من الصلاح وحقق الدماء وعمارة الاعمال وسكون الدهماء واباءة غيره عند الاستشارة فيه وجعل يزحف بعسكره في ايام متفرقة بحيث لم يصدق في القتال ولا بالغ في التضييق والتزال اشفاقاً من سفك الدماء كالكاف المسالم والمتأني في الوقائع والمغانم . وابتدأ بجمال الدين (148) محمد ابن تاج الملوك مرضاً اتصل به في جمادى الاولى من السنة فصار يخف تارةً ويثقل ويمضي ويعود ويقل ويزيد الى ان اشتد به اشتداداً وقع اليأس معه منه ولم يكن له فيه طب ولا راق ولم يزل على هذه الحال الى ان قضى محتوم نجه وصار الى رحمة ربه في ليلة الجمعة الثامن من شعبان منها في الوقت الذي اصيب فيه اخوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك رحمهما الله فعجب الناس من ذلك واتفاق الوقت والساعة وسبحوا الله وقدموه وجُهِز ودُفن في تربة جدته بالفراديس

فاجتمع رأي المتقدمين واصحاب الامر من بعده على سدّ ثلثة فقهه بنصب ولده الامير عضب الدولة ابي سعيد ابق بن جمال الدين محمد في مكانه واخذت له بذلك العهود المؤكدة بالايمان المشددة على الاخلاص في الطاعة والصدق في الخدمة والمناصحة فاستقام الامر وصلاح التدبير وزال الحُلف وسكنت الامور بعد اضطرابها وقرت النفوس بعد استيحاشها . وحين عرف عماد الدين اتابك هذه القضية زحف في عسكره الى البلد طامعاً في خلف يجري بين المتقدمين بوفاته فينال به بعض طلباته فكان الامر بالضدّ ممّا امل والحال بالعكس فيما ظنّ ولم يصادف من اجناد دمشق واحداًها الا الثبات على القراع والصبر على المناوشة والمصاع فعاد منكفئاً الى عسكره وقد ضعفت

(١) قال الفارقي : ان في هذه السنة ملك اتابك زنكي قلعة بعلبك وتزل على دمشق وحاصرها مدة ثم سلموا اليه قلعة بصرى

نفسه وضاق لهذا الامر صدره . وقد كان تقرّر الامر مع الافرنج على الاتفاق والاعتضاد والمرازة والاسعاد والامتزاج في دفعه والاختلاط في صده عن مراده ومنعه ووقعت المعاهدة على ذلك بالأيمان المؤكدة والضمان للوفاء بما بذلوه والتمسوا على ذلك ما لا مُعِينًا يُحْمِلُ اليهم ليكون عونًا لهم على ما يحاولونه وقوة ورهانًا تسكن بها نفوسهم واجبوا الى ذلك ونحل اليهم المال والرهائن من اقارب المقدمين وشرعوا في التأهب للانجاد والاستعداد للموازة والاسعاد وكاتب بعضهم بعضًا بالبعث على الاجتماع من سائر المعقل والبلاد على ابعاد اتابك وصده عن نيل الارب من دمشق والمراد قبل استفحال امره واعضال خطبه وقوة شوكته واستظهاره على عُصَب الافرنج وقصد بلادهم

فحين تيقن صورة الحال في هذا العزم (148^٢) وتجمعهم تقصده مع عسكر دمشق رحل عن منزله بداريًا في يوم الاحد الخامس من شهر رمضان طالبًا ناحية حوران للقاء الافرنج ان قربوا منه وطلبهم ان بعدوا عنه واقام على هذا الاعتزام مدة ثم عاد الى ناحية غوطة دمشق ونزل بعذراء يوم الاربعاء لست بقين من شوال فاحرق عدة ضياع من المرج والغوطة الى حرستا التين ورحل يوم السبت تاليه متشاملاً حين تحقق نزول الافرنج بالمدان في جموعهم . وكان الشرط مع الافرنج ان يكون في جملة المبدول لهم انتزاع ثغر بانياس من يد ابراهيم بن طرغت وتسليمها اليهم فاتفق ان ابراهيم بن طرغت واليه كان قد نهض من اصحابه الى ناحية صور للاغارة عليها فصادفه ريند صاحب انطاكية في قصده واصلاً الى اسعاد الافرنج على انجاد اهل دمشق فالتقيا فكسره وقتل في الواقعة ومعه ثغر يسير من اصحابه وعاد من بقي منهم الى بانياس فتحصنوا بها وجمعوا اليها رجال وادي التيم وغيرهم ومن امكن جمعه من الرجال للذب عنها والمراعاة دونها فنهض اليها الامير معين الدين في عسكر دمشق ونزل عليها ولم يزل محارباً بالمنجنيقات ومضايقاً لها بانواع المحاربات ومعه فريق وافر من عسكر الافرنج عامة شوال

وورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك قد نزل على بعلبك وانفذ يستدعي التركمان من مطانهم (كذا) في شوال لقصد بانياس ودفع المنازلين لها عنها ولم تزل الجالية جارية على هذه القضية الى آخر ذي الحجة من السنة ووردت الاخبار من ناحية مصر بان الافضل بن والحشي لما فصل عن صرخد ووصل

الى ظاهر مصر ان الاتراك الذين انضموا اليه عملوا عليه وغدروا به وانتهبوا ما كان معه من كراع وسواد فحين وجدوا منه الغرة والغفلة لم يبتوا على شيء مما صحبه وتفرقت عنه اصحابه وزجاله وبقي فريداً فحصل في ايدي الحافظية اسيراً ووكل به من يحفظه ويحتاط عليه وهذا الافضل المقدم موصوف بالشجاعة والفروسيّة وعلو الهمة ومضاء العزيمة والبسالة وحسن السياسة وذكاء الحس ولكن المقادير لا تغالب والاقضية لا تُدافع والله يفعل ما يشاء ويختار . ولم تزل بانياس على حالها في المضايقة والمحاورة الى ان نفذت منها الميرة وقلّ قوت المقاتلة فسُلمت (149) الى معين الدين وعُرض عنها الوالي الذي كان بها بما ارضاه من الاقطاع والاحسان وسألمها الى الافرنج ووفى لهم بالشرط ورحل عنها منكفئاً الى دمشق ظافراً بامله خامداً لعمله في اواخر شهر شوال

وفي صبيحة يوم السبت السابع من ذي القعدة من السنة حصل عماد الدين اتاك بعسكره جريدة بظاهر دمشق ووصل المصلّى وقرب من سور البلد ولم يشعر به احد تكون الناس في اعقاب نومهم فلما تبّيج الصباح وعُرف خبره علت الجلبة والصياح ونفر الناس واجتمعوا الى الاسوار وفتح الباب وخرجت الخيل والرجالة وكان قد فرق عسكره الى حوران والغوطة والمرج وسائر الاطراف للغارة ووقف هو في خراصه بازاء عسكر دمشق بحيث لا يمكن احداً من اصحابه في اتباع احده من خيله المغيرة ونشبت الحرب بينه وبين عسكر دمشق وخرج من الفريقين جملة وافرة واحجم عنهم لاشتغاله عن به من سراياه في الغارات وحصل في ايديهم من خيول الجشار والاغنام والاحمال والابقار والاثاث ما لا يحصى كثرة لانهم جاءوا على غفلة وغرة وتزل من يومه بمرج راهط الى ان اجتمعت الرجال والغنائم وسار عائداً على الطريق الشمالية بالغنائم الدثرة المتناهية في الكثرة

ووردت الاخبار من ناحية بغداد بعزل الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي عن وزارة الامام المقتفي بامر الله وتقليدها الوزير نظام الدين ابن جهير

سنة خمس وثلثين وخمسمائة

في شهر رمضان منها ورد الخبر بظهور عسكريّة عسقلان على خيل الافرنج الفائرة عليها وقتل جماعة منهم وعودهم مغلولين خاسرين . وفيها ورد الخبر من ناحية الشام

بتملك الباطنية حصن مصياث بجيلة دُبرت عليه ومكيدة نُصبت له . وفيها توفي
البديسي (١) امام المسجد الجامع بدمشق في ثالث ذي الحجة منها رحمه الله وكان حسن
الطريقة قليل التبذل جيد الحفظ والقراءة والتصون ووقع الاختيار على الشيخ الامام
ابي محمد بن طاووس في اقامته مكانه لما فيه من حسن الطريقة والتصون والتدين
والقيام بقراءة السبعة المشهورة (٢)

(١٤٩) سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها ورد الخبر من ناحية الشمال باغارة الامير لجه التركي النازح عن دمشق الى
خدمة الامير عماد الدين اتابك على بلد الافرنج وظفروه بخيلهم وقتكه بهم بحيث ذكر
ان عدة القتولين منهم تقدير سبعمائة رجل . وفيها ورد الخبر من ناحية العراق بايقاع
عسكر السلطان غياث الدنيا والدين ركن الاسلام والمسلمين مسعود بن محمد بجلة بني

(١) هو اسماعيل بن فضائل بن سعيد وقال فيه سبط ابن الجوزي : ذكره الخافظ ابن عساكر
وقال : اقام اماماً بجامع دمشق نيفاً وثلاثين سنة يؤمُّ الناس ويتلو القرآن فظهر عليه شيء من اعتقاده
من ميله الى السنة فنزل عن الامامة في رمضان سنة ٥٢٨ وبُعث مكانه ابو محمد طاووس وجرى في
ذلك مرافعات وتصبّات فاستقر الامر على ان لا يبقى في الجامع من يصلّي اماماً غير امام الشافعية
والحنفية لا غير وبطلت امامة المالكية والحنابلة

(٢) قال القاري في تاريخه : وكان يمافارقين شرف الدين حبشي والحاجب يوسف بنال في
الولاية فدبر حبشي امر العسكر والبلد وساس الناس وبقي الامر كذلك الى اخر سنة ٥٣٥
ونفذ اتابك زنكي الى حسام الدين (عمر تاش) يقول : ان كان رسول يصلني منك ويصالك مني لا
يصحوك ولا يصحوني فان اردت اتقادنا فننذ الى حبشي . فنفذه اليه ومعه جماعة . فلماً لقوه اترلهم
وبقي ثلثة ايام ثم ولي شرف الدين حبشي الاستبفاء وخلع عليه الجبة الاطلس والبركان بالذهب
المراقي والفرس بالمركب وعادت الامراء الذين مضوا معه . ثم انه قُسمت للاتابك زنكي اخذ البلاد
واقطعه في ذلك فقال (فقال لي من قد حلف لي) : فمضى وصلنا الى البلاد سلمتها اليك . وفي سنة
٥٣٧ صد اتابك زنكي الى ديار بكر ودخل الى ولاية الامير يعقوب ابن السبع الأحمر فقصد
حيزان والمدن وابرزون وفطليس واخذ جميع ولايته وكُنْتُ في هذه السنة بالموصل مدة شهرين .
وفي سنة ٥٣٨ قصد اتابك زنكي البلاد ووصل الى ماردين ودخل الى تل بسمي على انه يدخل
الى ولاية آمد وميافارقين وكان قد ملك حاني واسعد وجبل جور وذي القرنين وجميع تلك
الولاية اخذها بعد صلح بالامير داود وتزل في الزيتون الذي في تل بسمي . فلماً كان بعض
الليالي دخل الى حبشي الى خيمته مؤتمل الشاقصي ومحمد بن ابي المكارم الحلبي وضرباه بالسيوف
واخذوا رأسه وساروا به الى السيد حسام الدين ووقع الصبغة واختبط العسكر واصبح اتابك من
غداة فرحل وعاد الى نصيبين

خفاجة ونهبها وقتل من ظفر به لكثرة فسادهم وتزايد عنادهم واخافتهم السابغة واخذهم كل رُقعة من التجار الصادرة والقافلة وعوده الى بغداد ظافراً غانماً
وفيهما توفي النقيب الامام ابو القسم عبد الوهاب بن عبد الواحد الحنبلي رحمه الله في ٠٠٠٠٠٠ برض حادثة عرض له فاضغفه وقضى فيه نحبه وكان على الطريقة المرضية والحلال الرضية ووفور العلم وحسن الوعظ وقوة الدين والتزّه مما يقدح في افعال غيره من المتفهمين وكان يوم دفنه يوماً مشهوراً من كثرة المشيعين له والساكنين حوله والمؤبنين لافعاله والمتأسفين عليه

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية العراق بالوقعة الهائلة بين السلطان المعظم ناصر لدين الله (كذا) سنجر بن ملك شاه سلطان الشرق وبين كافر ترك الواصل من ناحية الصين عندما وراء النهر وكان في عسكر لا يحصى عدداً وقصده السلطان سنجر في عسكر يُناهزه والتقى الجمعان فظهر عسكر كافر ترك على عسكر السلطان سنجر فكسره وهزمه وقتل اكثره الا اليسير من جنده اجله واشتمل على ما حواه من الاموال والحرم والكرام والسواد وهو شيء لا يحيط به وصف فيوصف ويحصر ولا يدركه نعت فيذكر وعاد السلطان منهزماً الى بلخ (١)

وفيهما ورد الخبر بوفاة ضياء الدين ابي سعيد بن الكفر توثي وزير الامير عماد الدين اتابك في خامس شعبان وكان على ما حكى عنه حسن الطريقة جميل الفعل كريم النفس مرضي السياسة مشهور النفاسة والرئاسة. وفيها ورد الخبر بوفاة الامير سعد الدولة صاحب آمد وجلوس ولده محمود (٢) في منصبه من بعده (١٥٥٠) فانتظم له الامر من بعد فقده (٣٠٣) وفيها ورد الخبر بوفاة الامير ولد الدانشمند رحمه الله وانتصاب ولده في

(١) وقال فيه سبط ابن الجوزي: اخذ الله المسترشد بالثار واحل به الهلاك والبار

(٢) وفي الاصل: محمد

(٣) قال الفارقي في تاريخه: وفي منتصف جمادى الاولى من هذه السنة مات الامير سعد الدولة ايكليدي ابن ابراهيم صاحب آمد وكان مؤيد الدين ابن نيسان متولي آمد فرتب ولده شمس الملوك محمود في الامارة وقررها وكانت أمه يمني خاتون بنت نجم الدين ايلغازي وكان حسام الدين خاله وكنت في هذه السنة بآمد وكنت في صبغة والذي رحمه الله

وقال ايضاً ان في سنة ٥٤٢ وصل عز الدولة ابو نصر بن نيسان الى ميافارقين وعقد على صبغة خاتون بنت السعيد حسام الدين لجمال الدين شمس الملوك محمود بن ايكليدي صاحب آمد على خمسين الف دينار

منصبه من بعده واستقام له الامر . وفيها توفي الشيخ ابو محمد بن طاووس امام المسجد الجامع بدمشق في يوم الجمعة سابع عشر من المحرم من السنة

سنة سبع وثلثين وخمسمائة

فيها وردت الاخبار من ناحية مصر بعظم الوباء في الاسكندرية والديار المصرية بحيث هلك هناك الخلق العظيم والجسم الغفير . وفي يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الاول توفي القاضي بهجة الملك ابو طالب علي بن عبد الرحمن بن ابي عقيل بمرض صعب كان فيه قضاء نجه وانتقاله الى رحمة ربه وهو من جلالة القدر وجميل الذكر على الطريقة المرضية المشهورة والسجية المستحسنة المشكورة

وفيها ورد الخبر بظهور صاحب انطاكية الى ناحية بزاعة وان الامير سوار النائب في حفظ حلب ثناه عنها وحال بينه وبينها . وفيها وردت الاخبار بظهور متملك الروم الى الثغور دفعة ثانية بعد اوله وبرز اليه صاحب انطاكية وخدمه واصلاح امره معه وطيب نفسه وعاد عنه الى انطاكية

وقال ايضاً : وكانت في سنة ٥٤٤ هـ ماتت صفية خاتون بآمد وفي اول سنة ٥٤٦ هـ خرج السيد حسام الدين ونازل آمد وطالبهم بصدائق صفية خاتون وبقي مدة ورحل عن آمد الى ماردين وبقي اياماً . وتقد ابن نيسان رجلين فاقاما بقلعة ماردين يعملان بالفاعل اياماً ثم ان الوزير زين الدين ركب ذات يوم وصعد الى القلعة فجاز في موضع ضيق فخرج عليه اولئك الرجلان فضر به احدهما بفأس في رأسه فوق فطلب جماعة كانوا بين يدي الوزير الرجلين فقتلواهم : ما تريدون نحن نصعد معكم الى الامير . فصعدا مع القوم الى باب القلعة والناس خلفهم ودخلا القلعة الى بيت يدي الامير وقالوا : نحن قتلنا الوزير . فقال لهم : لم ؟ فقالوا : أمرنا بذلك . وأكثر الناس قالوا ان ابن نيسان دس عليه وقتله . وامر الامير حسام الدين بضرب رقابهما على قبره وكان دفن بماردتين وكان الرجلان من الملاحدة . وعاد حسام الدين نزل على آمد وضايقها . فحضر جاء الدين اوس بن مسعود وهو في خدمة بنت سكان القطبي وزير اخلاط فاجتمع بالسيد حسام الدين على باب آمد وتحدث معه وسأله فيهم ثم دخل الى آمد واجتمع بمؤيد الدين بن نيسان وقرّر معه الحال فخرج مؤيد الدين الى الامير واستقر الصالح وخرجوا الاميرية الى السيد حسام الدين وحصلوا في جملة وتمت امره ورحل عنهم

وقال ايضاً : وفي سنة ٥٥١ هـ في غرة شعبان مات مؤيد الدين ابو علي بن نيسان بآمد وولي آمد ولده جمال الدولة (الدين ؟) ابو القاسم واستقل ولده عز الدولة بمصن آسكل وما كان فيه من الخزائن والذخائر

وفيهما وردت الاخبار بان الامير عماد الدين اتابك استوزر الاجل ابا الرضا ولد اخي جلال الدين بن صدقة وزير الخليفة . وفيها ورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك افتتح قلعة اشب المشهورة بالمنعة والحصانة . وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بموت متملك الروم . وفيها توفي القاضي المنتجب ابو المعالي محمد بن يحيى في يوم الاربعاء النصف من شهر ربيع الاول منها ودُفن بمسجد القدم رحمه الله وتولى بعده القضاء ولده القاضي ابو الحسن علي بن محمد القرشي وكتب له منشور القضاء من قاضي القضاة ببغداد

سنة ثمان وثلثين وخمسة

ففيها وردت الاخبار من ناحية العراق بان الخبر ورد اليها بهلاك ملك كافر ترك من ناحية الصين الذي كان ظفر بعسكر السلطان سنجر في تلك الوقعة المقدم ذكرها . وفيها ورد الخبر بافتتاح الامير عماد الدين قلعة حيزان (١٠١) وفي شهر رمضان منها (150^٢) وردت الاخبار من ناحية العراق بقتل السلطان داود ابن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه بيد نفر ندبوا لقتله فاغتالوه وقتلوه ولم يعرف لهم اصل ولا جهة ولا علم مستقرهم (٢٠٢) وفي ثالث جمادى الاولى منها قبض على الامير الحاجب اسد الدين اكر واخذ ماله وسملت عيناه واعتقل وتفرق عنه اصحابه . وفيها ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم الكند ايجور ملك بيت المقدس بعلة عرضت له كان فيها اتلاف نفسه واقيم ولده الصغير واهله مقامه في الملك ورضي الافرنج بذلك واستقامت الحال عليه . وفي رمضان منها عزل ابو الكرام عن وزارته ديوان دمشق لاسباب انكرت عليه واشياء قبيحة عزيت اليه . وفيها ورد الخبر بعزل عماد الدين اتابك وزيره ابا الرضا بن صدقة لاسباب اوجبت ذلك ودعت اليه واغراض بعثت عليه واستوزر مكانه

سنة تسع وثلثين وخمسة

في يوم الخميس الحادي عشر من المحرم منها توجه الامير الرئيس مؤيد الدين

(١) قال الفارقي في تاريخه: في سنة ٥٣٧ هـ صعد اتابك زنكي الى ديار بكر ودخل الى ولاية الامير يعقوب ابن السبع الاحمر (يعني قزل ارسلان) فقصده حيزان والمعدن وايرنون وفطيس واخذ جميع الولاية وكنس بالموصل في هذه السنة
(٢) قال الفارقي: انه قتل بسوق تبريز

رئيس دمشق الى ناحية صرخد مستوحشاً من احوال بلغته عن ابي الكرام المستناب في وزارة ديوان دمشق وعن الامير مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ انكرها من سعيهما واستبشعها من قصدهما فسار عن البلد ممتعضاً من اقدامهما على ما يخالف امره ويضيق صدره ووصل اليهما وتلقاهُ واليها بالاكرام لثواه واحسان لقياه . وتردّدت المراسلات بينه وبين الامير معين الدين اتابك صاحب الامير والتدبير بدمشق في هذا الباب وتكرّر المقال بينهما بالاعتذار من كل واحد منهما والعتاب ولم تزل هذه الحال مترددة بينهما الى ان اسفرت عن تقرير عوده الى داره واخراج ابي الكرام الوزير وأسامه بن منقذ الى ناحية مصر باهليهما ومالهما واسبابهما فسارا من دمشق الى ناحية مصر بعد استئذان صاحبها في امرهما وخروج اذنه بوصولهما في يوم الخميس السابع من جمادى الاولى من السنة على سبيل المداراة والمصانعة وقيل انهما لقيا من احسان تلك الدولة السعيدة من الاحسان وجزيل الانعام ما جرت به عادتهما المستحسنة في حق من يلجأ الى ظلها وسابغ عدلها . وفي يوم الجمعة (151^{هـ}) الثالث عشر من جمادى الاولى عاد الامير مؤيد الدين الى دمشق من صرخد وخبر اهل البلد لتلقيه واظهار السرور به والاستبشار بعوده وطابت نفسه ببلوغ امانيه ومضي اعاديه الساعين فيه

وفي شهر ربيع الاخر ورد الخبر بمخرج عسكر الى فرقة وافرة من الافرنج وصلت الى ناحية بعلبك للعث فيها وشنّ الاغارات عليها فالتقيا فاظفر الله المسلمين بهم واظهرهم عليهم فقتلوا اكثرهم واستولوا على ما كان معهم وامتلات ايدي المسلمين بغنائمهم وعادوا الى بعلبك سالمين مسرورين غانمين وعاد الباقون من الافرنج الى مكانهم مغلولين محزونين خاسرين

وفي جمادى الاولى منها ورد الخبر من ناحية الشمال بان عسكر حلب ظفر بفرقة كبيرة من التجار والاجناد وغيرهم خرجت من انطاكية تريد بلاد الافرنج ومعها مال كثير ودواب ومتاع واثاث فاوقعوا بها واشتملوا على ما كان فيها وقتلوا من كان معها من خيالة الافرنج لحمايتها والذب عنها وعاد الى حلب بالمال والسبي والاسرى والدواب

وفي يوم السبت الثالث عشر من رجب من السنة توفي الاخ الامين ابو عبد الله محمد بن اسد بن علي بن محمد التميمي عن ٨٤ سنة بعلة الذرب ودُفن بقرية اقترحها خارج باب الصغير من دمشق وكان على الطريقة المرضية من حسن الامانة والتصون

والديانة ولزوم داره والتنزّه عن كل ما يُورتغ الدين ويكره بين خيار المسلمين غير مكاثّر للناس ولا معاشر لهم ولا مختلط بهم

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشمال بان الامير عماد الدين اتابك افتتح مدينة الرها بالسيف مع ما هي عليه من القوة والحصانة والامتاع على قاصديها والحماية على طالبها من العساكر الجئة ومنازلتها وان السبب في ذلك ان الامير عماد الدين اتابك لم يزل لها طالباً وفي تملكها رغباً ولازنتها الفرصة فيها متوقفاً لا يبرح ذكرها جائلاً في خلدِه وسرِه وامرُها ماثلاً في خاطره وقلبه الى ان عرف ان جوسلين صاحبها قد خرج منها في جُلّ رجاله واعيان حُماته وابطاله لامر اقتضاه وسبب من اسباب الى البعد عنها دعاهُ للامر المقضي والقدر النازل حين تحقّق (١٥١٦) ذلك بادر بقصدها وسارع الى النزول في العسكر الدثر عليها لمضايقتها والحصر لمن فيها وكاتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونة عليها والاسعاد واداء فريضة الجهاد فوصل اليه منهم الخلق الكثير والجُم الغفير بحيث احاطوا بها من جميع الجهات وحالوا بينها وبين ما يصل اليها من المير والاقوات والطائر لا يكاد يقرب منها خوفاً على نفسه من صواب سهام منازلها ويقظة المضيقين عايتها ونصب على اسوارها المناجيق ترمي عليها دائماً والمحاربة لاهلها مضراً ومواظباً. وشرع الخراسانيون والحلبيون العارفون بمواضع النقب الماضون فيها فنقبوا في عدة مواضع عرفوا امرها وتيقنوا نفعها وضرها ولم يزالوا على هذه الحال في الايغال في النقب والتماذي في بطن الارض الى ان وصلوا الى تحت اساس ابراج السور فعلقوه بالاخشاب المحكمة والآلات المتخبة وفرغوا من ذلك ولم يبق غير اطلاق النار فيها. فاستأذنوا عماد الدين اتابك في ذلك فأذن لهم بعد ان دخل في النقب وشاهد حاله واستعظم كونه وهاله. فلما أطلقت النار في تعاليق النقب تمكّنت من اخشابها وابادتها فوق السور في الحال وهجم المسلمون البلد بعد ان قُتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم وقُتل من الافرنج والارمن وجرح ما اوجب هزيمتهم عنه وملك البلد بالسيف في يوم السبت سادس وعشرين من جمادى الآخرة منها ضحوة النهار (١٠) وشرع

(١) قال الفارقي في تاريخه : انه فتحها عنوة في ٢٥ من جمادى الآخرة وكان ٢٣ كانون الاول من السنة وكان اخذتها الافرنج بعد موت تاج الدولة في سنة ٦٩٢ ثم رحل عنها بعد ما رتب امرها ونزل على البيرة فعاصرها مدة. وكانت النصارى يقولون ان اتابك يقتل ليلة الميلاد وكانوا متظرين ذلك وكان فتحها ليلة الميلاد وسلم اتابك وكذبوا

في النهب والقتل والامر والسبي والسلب وامتلات الايدي من المال والاثاث والدواب والغنائم والسبي ما سُرَّت به النفوس وابتهجت بكثرة القلوب وشرع عماد الدين اتابك بعد ان امر برفع السيف والنهب في عمارة ما انهدم وترميم ما تشعث ورَّتَب من رآه لتدبير امرها وحنظها والاجتهاد في مصالحها وطيب بنفوس اهليها ووعدهم باجمال السيرة فيهم وبسط المعدلة في اقاصيلهم وادانيهم . ورحل عنها وقصد سروج وقد هرب الافرنج منها فملكها وجعل لا يرَ بعمل من اعمالها ولا معقل من معاقلها فينزل عليه الا سلم اليه في الحال

(152^٢) وتوجه الى حصن البيرة من تلك الاعمال وهو غاية في الامتناع على طالبه والصعوبة على قاصده فقتل عليه وشرع في محاربته ومضايقته وقطع عنه سائر من يصل اليه بالقوت والميرة والمعونة والنصرة ولم يزل محاصراً له ومحارباً ومضيقاً الى ان ضعف امره وعُدمت الميرة فيه . وورد على عماد الدين وقد اشرف على ملكته من خبر تائه في الموصل الامير جقر بن يعقوب في الوثوب عليه وقتله ما ازعجه واقلقه ورحله عنها لكشف الحال الحادثة بالموصل مما يأتي شرح ذلك في موضعه

وفي جمادى الاولى منها ورد الخبر بان الامير عماد الدين اتابك انتهى اليه ان اهل الحديثة عانة قد خالفوا امره وعصوا عليه فانهمض اليها من عسكره فريقاً وافراً فقصدها ونزل عليها وحاربها وضايقتها وملكها بالسيف وقتل اكثر اهليها ونهبها وبالغ في اهلاك من بها

وفي شهر رمضان منها ورد الخبر من ناحية الشمال بان عسكر الافرنج المجتمع بناحية انطاكية لانجاد اهل الرها من جميع اعمالها ومعاقلها وكان عماد الدين اتابك قد انهض اليه جيشاً وافراً العدد من طوائف التركان والاجناد فهجموا عليه بغتة ووقعوا بن وجدوه في اطرافه ونواحيه وفتكوا به فرحل في الحال وقد استولوا على كثير من الافرنج قتلاً واسراً واشتملوا على جملة وافرة من كراعهم وتحكم السيف في اكثر الراجل وتفرقوا في اعمالهم ومعاقلهم مفلولين مخذولين خاسرين . وفيها كانت الحادثة على الامير نصير الدين جقر بن يعقوب النائب عن الامير عماد الدين في ولاية الموصل

شرح الحال في ذلك

كان الملك فرخان شاه (الحنفاجي) بن السلطان (كذا) اخي السلطان محمود بن

محمد بن ملك شاه قد حدث نفسه على العمل على الأمير نصير الدين الوالي بالموصل والفتك به وملكه الموصل وبالتفرّد بالامر واشتال جماعة من غلمان الأمير عماد الدين أتابك تقدير أربعين غلاماً من وجوه الغلمان مع أصحابه وخوآصه ورقب الفرصة فيه والغفلة منه مع شدة تيقظه ومشهور احتراسه وتحفظه الى ان اتفق ركوبه (١٥٢) في بعض الايام للتسليم على الخاتون في دارها وقد خلا من سماته ووجوه أصحابه ورصده فلما حصل في دهليز الدار وثبوا عليه فقتلوه وادركه أصحابه ومن في البلد من أصحاب عماد الدين فهرب من هرب ومسكوا الملك ابن السلطان فمانع فخرج وأخذ واعتقل معه أكثر الغلمان المشاركين في دمه وتوثق منهم بالاعتقال لهم والاحتياط عليهم وذلك في يوم ١٠٠٠٠٠٠ وكتب الى عماد الدين بصورة هذه الحال وهو منازل قلعة البيرة في عسكره وقلعة سماع هذا الخبر الشنيع والرؤد الفظيع ورحل في الحال عن البيرة وقد شارب افتتاحها والاستيلاء عليها وهو متفجع بهذا المصاب متأسف على ما أصيب به متيقن انه لا ينجد بعده من يقوم مقامه ولا يسد مسده . وارتاد من يقيه في موضعه وينصبه في منصبه فوقع اختياره على الأمير علي كوجك لعلمه بشهامته ومضائه في الامور وبسالته وولاه مكانه وعهد اليه ان يقتفي آثاره في الاحتياط والتحفظ ويتبع افعاله في التحرز والتمسك وان كان لا يغني غناه ولا يضاوي كفاءته ومضائه فتوجه نحوها وحصل بها وساس امورها سياسة سكنت معها نفوس اهلها واطمأنت معها قلوب المقيمين فيها وبذل جهده في حماية المسالك وامن السوابل وقضاء حوائج ذوي الحاجات ونصرة ارباب الظلامات فاستقام له الامر وحسنت بتدبيره الاحوال وتحققت يقطته في اعماله الآمال . وقد كان نصير الدين هذا المقصود اخباراً في العدل والانصاف وبجنب الجور والاعتساف متداولة بين التجار والمسافرين ومتناقلة بين الواردين والصادرين من السفار وقد كان دأبه جنع الاموال من غير جهة عن حرام وحلال لكنه يتناولها بألف مقال وأحسن فعال وأرفق توصل واحتيال وهذا فن محمود من ولادة

(١) قال الفارقي في تاريخه : كان قتل غلامه في ثامن ذي القعدة من السنة ورتب في الموصل زين الدين علي كوشك وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والصادرات والاقساط فلما ولي زين الدين ازال ذلك جميعه فاحسن الى الناس والرعايات وجميع البلاد ورأي الناس منه كل خير الى ان مات في سنة ٥٦٢

الامور وقصده سديد في سياسة الجمهور وهذه هي الغاية في مرضي السياسة والنهاية في قوانين الرئاسة

وفي اواخر هذه السنة فرغ من عمارة المسجد الذي تولّى عمارته واختيسار بُقْعته الامير مجاهد الدين بزان بن مامين (153) مقدّم الاكراد بظاهر باب الفراديس من دمشق بعقب الجسر القبلي وكان مكانه اولاً مستقبح المنظر واجمع الناس على استحسان بُقْعته واقترح هيئته بعد ان انفق عليه المبلغ الوافر من ماله مع جاهه رغبة في حسن الذكر في الدنيا ووفور الثواب والاجر في الآخرة. ان الله لا يُضيع اجر المحسنين

سنة اربعين وخمسمائة

في جمادى الاولى منها تناصرت الانباء من ناحية الامير عماد الدين اتابك بصرف الاهتمام الى التأهب والاستعداد والجمع والاحتشاد لقصد الغزو والجهاد وشاعت عنه الانباء بانه ربما قصد الاعمال الدمشقية والنزول عليها ولم تزل اخباره بذلك متصلة وما هو عليه بالاستكثار من عمل المناجيق وآلة الحرب وما يحتاج اليه لتذليل كل ممتنع صعب الى اوائل شعبان ووردت الاخبار عنه بان عزيمته عن ذلك قد انحرفت واعتة رأيه الى غيره قد تُنيت وأعيدت المناجيق الى ناحية حمص من بعلبك. وقيل ان الخبر وافاه من جهة الرها بان جماعة من الارمن عملوا عليها وارادوا الايقاع بين فيها من مستحفظيها وان مكتوم سرهم ظهر ومخفي امرهم بدأ وانتشر وان الجناة أخذوا وتتبّعوا وقبولوا على ذلك بما يُقابل به من يسعى في الارض بالفساد من القتل والصلب والتشريد في البلاد

وفي اوائل شعبان من السنة وردت الاخبار من ناحية بغداد بوصول السلطان غياث الدنيا والدين مسعود بن محمد (١) بن ملك شاه الى بغداد وقيل انه وجّل من اخيه السلطان طغرل بن محمد (٢) لانه قد جمع واجتهد فيما حشد وهو عازم على لقائه والايقاع بسكره

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بوفاة الامير المعظم ابي المظفر تُخارناش الحافظي صاحب باب الامام الحافظ لدين الله امير المؤمنين صاحب مصر بعلة

(١) وفي الاصل: بن محمود بن محمد

(٢) وفي الاصل بن محمود

عرضت له وقضى فيها نحبه وقيل انه كان حسن الطريقة جميل الفعل مشكور القصد قال الرئيس الاجل مجد الرؤساء ابو يعلي حمزة بن اسد بن علي بن محمد التميمي: قد انتهيت في شرح ما شرحته من (153) هذا التاريخ ورتبته وتحفظت من الخطأ والخطأ والزلل فيما علقته من افواه الثقات نقلته واكدت الحال فيه بالاستقصاء والبحث الى ان صحتته الى هذه السنة المباركة وهي سنة ٥٤٠ وكنت قد منيت منذ سنة ٥٣٥ والى هذه الغاية بما شغل خاطر عن الاستقصاء عما يجب اثباته في هذا الكتاب من الحوادث المتجددة من الاعمال والبحث عن الصحيح منها وجميع الاحوال فتركت بين كل سنين من السنين بياضاً في الاوراق ليثبت فيه ما يعرف صحته من الاخبار وتعلم حقيقته من الحوادث والآثار. واهملت فيما ذكرته من احوال سلاطين الزمان فيما تقدم وفي هذا الاوان استيفاء ذكر نعمتهم المقررة والقايمهم المحررة تجنباً لتكريرها باسرها والاطالة بذكرها لم تجر بذلك عادة قديمة ولا سنة سالفة في تاريخ يصنف ولا كتاب يؤلف وانما كان الرسم جارياً في القديم باطراح الالقاب والانكار لها بين ذوي العلوم والاداب. فلما ظهرت الدولة البوسية الديلمية ولقب اول مسعود نبع فيها بعماد الدولة بن بويه ثم اخوه وتلوه في الولادة والسعادة بركن الدولة ابي علي ثم اخوهما بمعز الدولة ابي الحسين وكل منهم قد بلغ من علو المرتبة والمملكة ونفاذ الامر في العراق وخراسان والشام الى اوائل المغرب ما هو مشهور وذكره في الآفاق منشور. ولما علا قدر الملك عضد الدولة فتأخسره بن ركن الدولة ابي علي بن بويه بعدهم وظهر سلطانه وعلا شأنه وملك العراق باسره وما والاها من البلاد والمعاقل وخطب له على المنابر وزيد في نوره في ايام المطيع لله امير المؤمنين رحمه الله تاج الملّة ولم يزد احد من اخوته مؤيد الدولة صاحب اصفهان وفخر الدولة صاحب الرأي وما والاها وانضاف اليهما على اللقب الواحد. ولم يزل الامر على ذلك مستمراً الى ان ظهر امر السلطان ركن الدنيا والدين طغرل بك محمد بن ميكال بن سلجوق وقويت شوكة الترك وانخفضت الدولة البوسية واضمحلت وانقرضت ولقب السلطان طغرل بك ولما ظهر امره في العراق واجتاح شأفة ابي الحرث ارسلان الفساسيري في ايام (154) الامام الخليفة القائم باسر الله امير المؤمنين رحمه الله بالسلطان المعظم شاهنشاه الاعظم ركن الدين غياث المسلمين بهاء دين الله وسلطان بلاد الله ومنيت عباد الله بين خليفة الله طغرل بك. ثم زاد الامر في ذلك الى ان اضيف الى القاب ولادة الاطراف الدين والاسلام والانام والملّة والأمة وغير ذلك بحيث اشتك

في هذا الفن الخاص والعام لا سيما في هذا الاوان والقاب سلاطينه لان منهم : سلطان خراسان السلطان المعظم شاهنشاه الاعظم مالك رقاب الامم سيد سلاطين العرب والعجم ناصر دين الله مالك عباد الله الحافظ بلاد الله سلطان ارض الله معين خليفة الله معز الدنيا والدين كهف الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة تاج الملة الظاهرة وغيث الامم الباهرة ابو الحرث سنجر بن ملك شاه برهان امير المؤمنين . وسلطان العراق السلطان المعظم شاهنشاه الاعظم مالك رقاب الامم مولى العرب والعجم جلال دين الله سلطان ارض الله ناصر عباد الله حافظ بلاد الله ظهير خليفة الله غياث الدنيا والدين ركن الاسلام والمسلمين عضد الدولة القاهرة ومغيث الامم الباهرة ابو الفتح مسعود بن محمد (١) بن ملك شاه قسيم امير المؤمنين . وسلطان الشام وغيره الامير الاسفهلار الكبير العادل المؤيد المظفر المنصور الاوحد عماد الدين ركن الاسلام ظهير الانام قسيم الدولة معين الملة جلال الامة شرف الملوك عمدة السلاطين قاهر الكفرة والمتردين قانع الملحددين والشركين زعيم جيوش المسلمين ملك الأمراء شمس المعالي امير العراقيين والشام بهلوان جهان الب غازي ايران اينانج قتلغ طغرلبك اتابك ابو سعيد زنكي بن اق سنقر نصير امير المؤمنين . وصاحب دمشق الامير الاسفهلار الكبير العادل المؤيد المظفر المنصور ظهير الدين عضد الاسلام ناصر الامام تاج الدولة سيف الملة محيي الامة شرف الملوك عماد الامراء كهف المجاهدين زعيم جيوش المسلمين ابو سعيد اتق بن محمد بن بوري اتابك سيف امير المؤمنين

سنة احدى واربعين وخمسمائة

(154^٧) قد تقدم من ذكر عماد الدين اتابك زنكي في اواخر سنة ٥٤٠ هـ في نزوله على قلعة دوسر على غرة من اهلها وهجمه على ربضها ونهبه واخذ اهلها ما لا حاجة الى اعادة ذكره وشرح امره ولم يزل مضايقا لها ومحاربا لاهلها في شهر ربيع الاخر من سنة ٥٤١ هـ حتى وردت الاخبار بان احد خدمه ومن كان يهواه ويأنس به يعرف بـيرنقش واصله افرنجي وكان في نفسه حقد عليه لاساءة تقدمت منه اليه فاسرها في نفسه . فلما وجد منه غفلة في سكره وواقفه بعض الخدم من رفقته على امره فاغتالوه عند نومه في ليلة الاحد السادس من شهر ربيع الاخر

من السنة وهو على الغاية من الاحتياط بالرجال والعُدَد والحرس الوافر العَدَد حول سرادقه فذبحه على فراشه بعد ضربات تمكّنت من مقاتله ولم يشعر بهم احد حتى هرب الخادم القاتل الى قلعة دوسر المعروفة حينئذ بجعبه وفيها صاحبها الامير عز الدين علي بن مالك بن سالم بن مالك فبشّره بهلاكه فلم يصدقه . واواه الى القلعة واكرمه وعرف حقيقة الامر فسرّ بذلك واستبشر بما اتاه الله من الفرج بعد الشدة الشديدة والاشقاء على الملكة بتطاول المحاصرة والمصايبة وارسال خواصه وثقاته اليه بما استدعاه منه واقترحه عليه من آلات فاخرة وذخائر وافرة اشار اليها وعيّن عليها ووعدّه اذا حصلت عنده بالافراج عنه فعند حصوله ذلك لديه مع اصحابه غدر بهم وعزم على الاساءة اليهم فاتاه من القضاء النازل الذي لا دافع له ولا مانع عنه ما صار به عبرة لأولي الابصار وعبرة لذوي العقول والافكار . وتفرقت جيوشه ايدي سباً وثمّبت امواله الجمة وخزائنه الدثرة وقبر هناك بغير تكفين الى ان نُقل كما حُكي الى مشهد على الرقة

وتوجّه الملك ولد السلطان المقيم كان معه فيمن صحبه وانضم اليه الى ناحية الموصل ومعه سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك رحمه الله وامتنع عليهم للوالي بالموصل على كوجك اياماً الى حين تقرّرت الحال بينهم ثم فتح الباب ودخل ولده واستقام له الامر (155) وانتصب منصبه

وعاد الامير سيف الدولة سوار وصلاح الدين في تلك الحال الى ناحية حلب ومعهم الامير نور الدين محمود بن عماد الدين اتابك وحصل بها وشرع في جمع العساكر وانفاق المال فيها واستقام له الامر وسكنت الدهماء (١) وفصل عنه الامير صلاح

(١) قال الفارقي في تاريخه : ولقد سألت الوالي المصدر الكامل قاضي القضاء كمال الدين ابو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري ادام الله ظله في سنة ٦٤٥هـ بالموصل عن قتل اتابك وما جرى فقال : كنّا نازلنا القلعة مدّة فلما كان بعض الايام خرج الامير حسام الدين التنجي وصاح : اريد اكلم الامير علي (وهو سيف الدولة ابو الحسن علي بن مالك) فترأى له من على السور وقال له : تعلم ما بيني وبينك من الصداقة وانت تعرف اتابك وما هو عليه وما لك من تلتجئ اليه ولا من يصرفه عنك والرأي ان تسلم وآلا ان آخذها بالسيف يمري ما لا تقدر على دفعه وبعد هذا ايش تنتظر ؟ فقال له : يا امير حسّان انتظر الفرج من الله تعالى وما انتظرت على منبج لما حاصرها الامير بذلك وكفاك الله امره . فقال جمال الدين : والله ما كان الآتلك الليلة نصف الليل وكان ذلك اليوم الاربعاء خامس شهر ربيع الآخر وقيل تاسع سنة ٦٤٥هـ والصانع جاءنا من

الدين وحصل بحجة ولايته على سبيل الاستيحاش والخوف على نفسه من امر يُدبر عليه على ان الأعمال كانت قد اضطربت والمسالك قد اختلت بعد الهيبة المشهورة والامنة المشكورة وانطلقت ايدي التركمان والحرامية في الافساد في الاطراف والعيث في سائر النواحي والاكناف. ونظمت في صفة هذه الحال ايات من الشعر تنطق بذكرها وتُعرب بالاختصار عن جلية امرها منها من جملة قصيدة يطول شرحها بتشبيها :

كذاك عماد الدين زكي تنافرت	سمادته عنه وخرت دعائمه
وكم بيت مال من نضار وجوهر	وانواع ديباج حوَّما مخائمه
واضعت باعلى كل حصن مصونة	بماهي عليها جنده وخوادمه
ومن صافيات الخيل كل مطهر	تروع الاعادي حلبه وتراجمه
ولو رامت الكتاب وصف شياحه	باقلامها ما ادرك الوصف ناظمه
وكم مقل قد رامه بسوفه	وشامخ حصن لم تفتته ضائمه
ودانت ولاة الارض فيها لامره	وقد أمتهم كنبه وخوائمه
وأمن من في كل قطر جبهة	تُراع بها اعرابه واعاجمه
وظالم قوم حين يُذكر عدله	فقد زال عنهم ظلمه وخصائمه
واصبح سلطان البلاد بسيفه	وليس له فيها نظير يُزاحمه
وكم قد بنى دارا تباهي بحسنها	جنان خلود احكمتها عرائمه
فمن خرفه بالتبر من كل جانب	واغصان بقش قد تحلت حمائمه
وزاد على الاملاك بأسا وسطوة	ولم يبق في الاملاك ملك يُقاومه
فلما تنهاى ملكه وجلاله	وراعت ولاة الارض منه لواثمه
(155 ^v) اناه قضاء لا يُردّ سهامه	فلم يُنجيه امواله ومغانمه

القلعة يصبح : قتل اتابك واختبط الناس وماجوا. وكان سبب ذلك ان الامير اتابك كان يبيت في الخيمة وعنده خادم فما كان يبيت عنده غيره فلما نام تلك الليلة قتله الخادم في الخيمة واخذ السكين بالدم وخرج وطلع الى الرض الى تحت القلعة وصاح اليهم : قتل اتابك . فلم يصدقوه فارام السكين وعلامة اخرى كان اخذها من عنده فاصدوه اليهم وحققوا الحال منه وصاحرا فاختبط الناس واختلفوا . وقصد الناس غنيم جمال الدين الوزير فذهب وانهمزم وجاء الي وقصدي الامراء والكبار وركبت وقالوا : ما رأي الملك . فقصدوا وقصدت خيمة الب ارسلان ابن محمود وقلت : انا والناس واتابك غلمان الملك والبلاد له والكل خدمه وباليك السلطان . فاجتمع الناس على الملك وتفرق الناس فرقتين فاخذ صلاح الدين محمد ابن ايوب اليقسياني نور الدين محمود بن اتابك وعسكر الشام وعضوا الى الشام فللك حلب وحماة ومنبج وحران وحمص وجميع ما بيد اتابك من الشام واستقر به . ومرنا نحن مع الملك وعساكر ديار ربيعة فطلبنا الموصل فوصلنا الى سنجار . فانهمز الملك وطلب الجزيرة فلاحقه اخي تاج الدين ابو طاهر يحيى بن التهرزوري رحمه الله وعز الدين ابو بكر الديلمي وحلفاء له ورداه الى المسكر وتزلوا الى الموصل

واذكره للحين منها حمامه
واضحى على ظهر الفراش مجدلاً
وقد كان في الخيش اللهاج مبيتاً
وسر السوالي حوله بالكفهم
ومن دون هذا مصبة قد ترتبت
وكم رام في الأيام راحة سره
فاودى ولم ينعمه مال وقدره
وأضحت بيوت المال تُهبي لغيره
وكم مسالك السفر آمن مساه
وكم ثغر اسلام حماه بيفه
فلما توكل قام كل مخالف
وأطلق من في اسره وجبوسه
وعاد الى اوطانه بعد خوفه
وفرّت وحوش الارض حين تزلزلت
ولم يبق جان بعده يحذر الردى
فن ذا الذى يأتي خيبة مثله
فلو رُقيت في كل مصر مذكره
ومن ذا الذي ينجو من الدهر سالماً
ومن رام صفواً في الحياة فابرى
فاياك لا تنبسط مليكاً بملكه
فان كان ذا عدل وأمن لخائف
وقل للذي يبني الحصون لحفظه
(156) فكم ملك قد شاد قصراً مزخرفاً
واصبح ذاك القصر من بعد هجته
وفي مثل هذا عبرة ومواعظ

وحامت عليه بالثون حوائه
صريعاً توكل ذبحه فيه خادمه
ومن حوله ابطاله وصوارمه
تذود الردى عنه وقد نام نائمه
باسمها بردى من الطير حائمه
وهتته تعلو وتغوى شكائمه
ولا عنه رامت للقضاء مخاضمه
يُمزقها ابتاؤه ومظالمه
وسرح حي ان تراعى سوائمه
من الروم لما ادرى كنهه مراحه
وشام حساماً لم يجد وهو شائمه
ونكبت عن الاقدام منه اداومه
وطابت له بعد السغب مطاعه
كواسره عنها وفلت سواهمه
ولا داعر يخشى عليه مناقمه
وتنفذ في اقصى البلاد مراسه
اراقمه ذلت هناك اراقمه
اذا ما اتاه الامر والله حائمه
له صفو عيش والحمام يحاومه
ودعه فان الدهر لا شك قاصمه
فلا شك ان الله بالعدل راحه
رؤيدك ما تبني فدهرك هادمه
وفارق ما قد شاده وهو عادمه
وقد درست آثاره ومعالمه
جاء يتناسى المرء ما هو طارمه

وهذه صفاته فيما ملكه من البلاد والثغور والمعاقل وحازه من الاموال والقلاع
والاعمال ونفوذ اوامره في سائر الاطراف والاكناف ثم اتاه القضاء الذي لا يدافع
والقدر الذي لا يُمانع . وحين اتصل هذا الخبر اليقين الى معين الدين وعرف صورة
الحال شرع في التآهب والاستعداد لقصد بعلبك وانتهاز الفرصة فيها بآلات الحرب
والمنجنقات ونهد اليها ونزل عليها وضايقتها ونصب الحرب على مستحفظيها ولم يحض الا
الايام القلائل حتى قل الماء فيها قلّة دعتهم الى النزول على حكمه . وكان الوالي بها (١)

ذا حزم وعقل ومعرفة بالامور فاشتراط ما قام له به من إقطاع وغيره وسلم البلدة والقلعة اليه ووفى له بما قرّر الامر عليه وتسلم ما فيه من غلّة وآلة في ايام من جمادى الاولى من السنة . وراسل معين الدين الوالي بحمص وتقرّرت بينه وبينه مهادنة وموادعة يعودان بصلاح الاحوال وعمارة الاعمال . ووقعت المراسلة فيما بينه وبين صلاح الدين بحجة وتقرّر بينهما مثل ذلك . ثم انكفأ بعد ذلك الى البلد عقيب فراغه من بعلبك وترتيب من رتبة لحفظها والاقامة فيها في يوم السبت الثامن عشر من جمادى الاخرة من السنة وصادم الحادم يرتقى القاتل لعماد الدين اتابك رحمه الله قد فصل عن قلعة جعبر لحوف صاحبها من طلبه منه ووصل الى دمشق متيقناً انه قد امن بها ومُدلاً بما فعله وظناً منه ان الحال على ما توهمه قبض عليه وأُنفذ الى حلب صحبة من حفظه واوصله اليها فاقام بها اياماً ثم نُحِل الى الموصل وذكر انه قُتل بها

ووردت الاخبار في اثناء ذلك في ايام من جمادى الاخرة من السنة بان ابن جوسلين جمع الافرنج من كل ناحية وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها وقتل من فيها (١٥٦) من المسلمين فضاقت الصدور باستماع هذا الخبر المكروه ووردت الاخبار مع ذلك بأن الامير نور الدين صاحب حلب نهض في عسكره وانضاف اليه من التركمان عند وقوعه على الخبر وتقدّمه سيف الدولة سوار واغذوا السير ليلاً ونهاراً وغدوا وابتكاراً من اجتمع من الجهات وهم الخلق الكثير والجمل الغفير زهاء عشرة الف فارس ووقفت الدواب في الطرقات من شدة السير ووافوا البلد . وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه فهجموا عليهم ووقع السيف فيهم وقُتل من ارمن الرها والنصارى من قُتل وانهزم الى برج يقال له برج الماء فحصل فيه ابن جوسلين في تقدير عشرين فارساً من ابطال اصحابه واحرق بهم المسلمون من جهاته وشرعوا في النقب عليهم وما كان الا بقدر ككلا ولا حتى تعرقب البرج وانهزم ابن جوسلين وافلت منه في الخفية مع اصحابه واخذ الباقون ومحق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها واستخلص من كان أسر من المسلمين ونهب منها الشيء الكثير من المال والاثاث والسبي وسرّت النفوس بهذا النصر بعد الحزن والاختزال وقويت القلوب بعد الفشل والانهزال وانكفأ المسلمون بالغنائم والسبي الى حلب وسائر الاطراف

وفي شوال من هذه السنة ترددت الرسل والراسلات من الاميرين نور الدين محمود بن عماد الدين اتابك صاحب حلب ومعين الدين أنز الى ان استقرت الحال

بينهما على اجل صفة واحسن قضية وانعقدت الوصلة بين نور الدين وبين ابنة معين الدين وتأكدت الامور على ما اقترح كل منهما وكتب كتاب العقد في دمشق بحضور من رُسل نور الدين في الخميس الثالث والعشرين من شوال سنة ٥٤١ هـ وشرع في تحصيل الجهاز وعند الفراغ منه توجهت الرُسل عائدة الى حلب وفي صحبتهم ابنة معين الدين ومرّ في جمعتها من خواص الاصحاب في يوم الخميس النصف من ذي القعدة من السنة

وكان معين الدين قد حصل آلات الحرب والمنجنيقات وجمع من امكنه جمعه من الخيل والرجل وتوجه الى ناحية صرخد وبُصرى بعد ان اخفى عزيمته وستر نيته استظهاراً بلوغ طلبه وتسهيلاً اربه (1574) ونزل غفلة على صرخد وكان المعروف بها بالتوناش غلام امين الدولة كمشكين الاتابكي الذي كان واليها اوّلاً وكانت نفسه قد حدثته بجهله انه يقاوم من يكون مستولياً على مدينة دمشق وان الافرنج يعينونه على مراده وما يلتبس من النجاده واسعاده ويكفونون معه على ما نواه من عيشه وافساده . وكان قد خرج للامر المقضي من حصن صرخد الى ناحية الافرنج للاستنصار بهم وتقدير احوال الفساد معهم ولم يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين ولم يشعر بما نواه معين الدين من ارهاقه بالمعاجة وعكس اماله بالمنازلة فقال بينه وبينه العود الى احد الحصنين المذكورين ولم تزل المحاربة بين من في صرخد والمنازلين متصلة والثقوب مستعملة والمراسلات متروكة من الافرنج الى معين الدين بالمسئلة والتلطّف في اصلاح الامر والوعد والوعيد والترهيب والتهديد ان لم يُجب الى المطلوب ومعين الدين لا يعدل عن المغالطة والمدافعة . وكان قد عرف تجبّعهم وتأثّبهم للنهوض اليه ولزعاجه وترحيلهم عنها فاجبت هذه الحال ان راسل نور الدين صاحب حلب يسئله الانجاء على الكفرة الاضداد بنفسه وعسكره فاجابه الى ذلك . وكان لاتفاق الصلاح مبرزاً بظاهر حلب في عسكره فثنى اليه الاعنة واغذ السير ووصل الى دمشق في يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة من السنة وخيّم بعين شواقة واقام اياماً يسيرة وتوجه نحو صرخد ولم يُشاهد احسن من عسكره وهيئته وعدته ووفور عدته

واجتمع العسكران وارسل من بصرخد اليهما يلتسان الامان والمهلة اياماً ويسلم المبكّان وكان ذلك منهم على سبيل المغالطة والمخاتلة الى حين يصل عسكر الافرنج لترحيل النازلين عليهم وقضى الله تعالى للخيرة التامة للمسلمين والمصلحة الشاملة لاهل

الدين وصول من اخبر بتجمع الافرنج واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم
مجددين السير الى ناحية بصرى وعليها فرقة وافرة من العسكر محاصرة لها فنهض
العسكر في الحال والساعة عند المعرفة بذلك الى ناحية بصرى كالشواهد الى صيدها
والنزة (١٥٧٧) الى حبلها بحيث سبقوا الافرنج الى بصرى فخالوا بينهم وبينها ووقعت
العين على العين وقربت المسافة بين الفريقين واستظهر عسكر المسلمين على المشركين
وملكوا عليهم المشرب والمسرّب وضايقوهم برشق السهام وارسال نبل الحمام واكثروا
فيهم القتل والجراح واضرام النيران في هشم النبات في طرقهم ومسالكتهم واشرفوا
على الهلاك والدمار وحلول البوار وولوا الادبار وتسهلت الفرصة في اهلاكم وتسرعت
الفارس والابطال الى الفتك بهم والمجاهدة فيهم

وجعل معين الدين يكف المسلمين عنهم ويصدّهم عن قصدهم والتّبع لهم في
انهزامهم اشفاقاً من كربة تكون لهم وراجعة عليهم بحيث عادوا على اعقابهم ناكسين
وبالحذلان منهم منهزمين قد شملهم الفناء واحاط بهم البلاء ووقع اليأس من فلاحهم
وسلمت بصرى الى معين الدين بعد تقرير امر من بها واجابتهم على ما اقترحوه من
اقطاعاتهم ورحل عنها عائداً الى صرخد. وجرى الامر في تسليمها الى معين الدين على
هذه القضية وعاد العسكران الى دمشق ووصلها في يوم الاحد السابع والعشرين من
الحرم سنة ٤٢ واقام نور الدين في الدار الاتابكية وتوجه عائداً الى حلب في يوم الاربعاء
انسلاخ الحرم من السنة المذكورة

وفي هذا الوقت وصل التوتناش الذي خرج من صرخد الى الافرنج بجعله وسخافة
عقله الى دمشق من بلاد الافرنج بغير امان ولا تقرير استئذان توّهما منه انه يكرم
ويصطنع بعد الاساءة القبيحة والارتداد عن الاسلام فاعتقل في الحال وطالبه اخوه
خطلح بما جناه عليه من سمل عينيه وعقد لها مجلس حضره القضاة والفقهاء وواجبوا
عليه القصاص فسل كما سمل اخاه وأطلق الى دار له بدمشق فاقام بها

وفي ذي الحجة من سنة ٤١ ورد الخبر بان السلطان شاهنشاه مسعوداً عمل رايه
وتديره على تطيب نفس الامير عباس فسكن الى ذلك بعد التوثقة بالآيمان المؤكدة
والعهد المشددة ووصل اليه الى بغداد ساكناً الى ما كان تأكده من ايمانه على نفسه وجماعته
وكان السلطان قد تمكّن في نفسه من الرعب منه والخوف على عسكره من قوة شوكرته
ومشهور هيئته وكثرة عدده (١٥٨٠) وعدته ما لم يمكنه ترك الفرصة فيه وقد امكنت

والفرقة قد تسهلت وتيسرت فرتب له جماعة للفتك به عند دخوله عليه فعرجل عليه بالقتل (١) ونهبت خزائن امواله وآلاته وكراعه وامتلات ايدي جماعة من نهبتها وتفرقت عسكره في البلاد والاعمال. وكان له الذكر الحسن والفعل المستحسن والاجر الوافر والمدح السائر بما كان له في مجاهرة احزاب الباطنية والفتك بهم والقمع لهم والحصر في معاقبهم وانكف لشركهم ولكن الاقدار لا تغالب والاقضية لا تدافع

واما اخبار المغرب والحوادث فيه فلم تسكن النفس الى اثبات شيء من طوائع اخباره وما يؤخذ من افواه تجارده. وقد افردت من احوال الخوارج فيه والفتن المتصلة بين اهليه من الحروب المتصلة وسفك الدماء ما لا تثق النفس به لاختلاف الروايات وتباين الحكايات. وكان قد ورد من فقهاء المغاربة من وثقت النفس بما اورده وسكنت الى ما شرحه وعدده وحضرت كتب من اهل المغرب الى اقاربهم ببعض الشرح ووافق ورود ذلك في سنة ٥٤١ بالتواريخ المتقدمة والحكايات المختلفة فرأيت ذكر ذلك وشرحه في هذا المكان. فمن ذلك ظهور المعروف بالفقيه السوسي الخارج بالمغرب وما آل اليه امره الى ان هلك ومن قام بعده واستمر على مذهبه وما اعتمده من الفساد وسفك الدماء ومخالفة الشريعة الاسلامية. ومبدأ ذلك على ما حكى ظهور المعروف بالفقيه الى محمد ابن تومرت من جبل السوس وولده به واصله مصودي وكان غاية في التفقه والدين مشهوراً بالورع والزهد وكان قد سافر الى العراق وجال في تلك الاعمال ومهر في المناظرة والجدال واجتمع بأئمة الفقهاء واخذ عنهم وسبع منهم وعاد الى ناحية مصر وما والاها واجتمع مع علمائها وقرأ عليهم ثم عاد الى المغرب ودعا الى مذهب الفكر. وابتداء ظهوره في سنة ٥١٢ في مدينة تعرف بدران في جبل اوله في البحر المحيط وآخه في بحر الاسكندرية في رأس اوثان وغلب على جبل السوس واجتمع اليه خلق كثير من قبائل المصامدة بجبل درن وقيل انه وصل الى المهدي واسر اهليها ان يبنوا قصرًا على نية الفكرة (158^٧) وان يعبدوا الله فيه بالفكرة فاجتمع مشايخ اهل المهدي وفقهاؤها وعزموها على بناء ما امرهم به والعبادة لله تعالى فيه فقام رجل من كبار الفقهاء وقال: نقيم ما اقنا بالمهدية ويحيي اليكم رجل بربري مصودي يأمركم بالعبادة بالفكرة فتجيئون الى ما امركم به وتسارعون الى قبول ما ذكره لكم. وانكر هذا الامر انكاراً شديداً حتى عادوا عنه وابطلوه واقتضت هذه الحال خروج الخارجي من المهدي اذ لم يتم له فيها امر ولا بلغ غرضاً

(١) وفي زبدة التواريخ: ان ذلك في بكرة خمس من ذي القعدة من السنة.

وقصد بلدًا في الغرب يعرف ببجاية (١) في ايدي بني حماد بن صنهاجة وشرع في الانكار على اهل شرب الخمر وجعل يكثر الاراني الى ان منع من شربها وساعده على ذلك ابن حمدون مقدم هذا البلد حمل اليه مالا فامتنع من اخذه وتعفف عنه لما اظهره من الزهد في الدنيا والتفقه والورع. ثم خرج من هذا البلد وقصد مدينة اغمات فظهر فيها الزهد وتدرّس الفقه وصار معه من اتباعه تقدير اربعائة رجل من الصامدة ثم ارتفع امره وظهر سره واتصل خبره الى الامير ابن يوسف بن تاشفين وما هو عليه وما يظهره ويطلقه من اباحة دمه ودم اصحابه واهل مملكته فاستدعاه الامير المذكور الى حضرته وجمع له وجوه الفقهاء والمقدمين الى مجلس حفل ووقع الاختيار من الجماعة على قتيبة يعرف بابي عبد الله محمد بن مالك بن وهب الاندلسي لمناظرته فناظره في هذا المحفل فاستظهر عليه في المناظرة وقهره وغلبه فقال الخارجي السوسي المناظر له : انظري . فاجابه الى ما طلب ثم قال لابن يوسف بن تاشفين المقدم : ينبغي ان يأمر الامير بحبس هذا المفتن لكشف سره ويحقق امره ويظهر لكافة المسلمين صحة خبره فانه لا يريد غير الدنيا والسلطنة والفساد في الارض وقتل النفوس . فما حفل بكلامه ولا اصنى الى اشارته وتغافل عنه للامر القضي واعان هذا الخارجي قوم من المقدمين على مرامه وحامى عنه .

ثم عاد الى السوس الى جبل درن وكان يقول للناس : كلما قربتم من المرابطين وملمتم اليهم كانوا مطاياكم الى الجنة لانهم حماة الدين والذائبون عن المسلمين . ثم حمل المرابطين والمثمين وقد مال معه منهم الخلق الكثير والجمل الغفير على محاربة الامير علي بن يوسف ابن تاشفين وجمع عليه وحشد وقويت نفسه (١٥٩) ونفوس من معه على اللقاء ومعهم اصحاب القوة والبسالة وشدة البأس والشجاعة ونشبت الحرب بين الفريقين وأريق الدماء بين الجهتين ولم تزل رحي الحرب دائرة بينهم الى ان كان بينهم في عدة سنين متوالية اربعة مصافات هائلة منكرة قتل فيها من الفريقين ما قدر وحزر تقدير مائتي الف نفس ولم تزل الحرب على ذلك مستمرة على هذه القضية الشنيعة والصفة الفظيعة الى ان اهلكه الله تعالى بمدينة درن في سنة ٥٢٢ . وخلف جماعة من تلامذته واصحابه سلكوا سبيله وبشوا على بنائه وسلكوا مذهبه في الفساد وتوالد بينهم مذهب سموه

« تكفير الذنب » هذا ما اورده وحكاه وشاهده واستقصاه الفقيه ابو عبد الله محمد

ابن عبد الجبار الصقلي باملائه من لسانه

ثم تناصرت الاخبار بعد ذلك من ناحية المغرب بظهور احد تلامذة المذكور يعرف بالفقيه عبد المؤمن فلقب بالمهدي « امير المؤمنين وخليفة المهدي الى سبيل الموحدين » واجتمع اليه مع من كان في حربه من طوائف السوس والبربر والمصامدة والمرايطين والمثمين ما لا يحصى له عدد ولا يدرك امد وشرع في سفك الدماء وافتتاح البلاد المغربية بالسيف والتتل لمن بها من الرجال والحرم والاطفال ما شاعت به الاخبار وانتشر ذكره في سائر الاقطار. ووردت مكاتبات السفار والتجار ومن جملة كتاب وقفت عليه من هذا الخارجي ما نسخة عنوانه :

من امير المؤمنين وخليفة المهدي الى سبيل الموحدين الى اهليه . بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين . امأ بعد : يا عضد الفجار وعباد الفساق الاشرار فقد كاتبناكم بالبنان وخطبناكم بالبيان حتى سار كالبدور واستمر مرور الدهر فلم تحيوا ولا اطعمتم بل تناقلتم عن الحق وعصيتم وان الله سينتقم منكم لاوليائه نعمة من كان قبلكم من الانهم الجاحدة والفرق المعاندة فانتظروا سيف الدم ينهلككم وحجارة المدر تدمغكم ثم لا يكون لكم استرجاع ولا يقبل فيكم استشفاع وهذه خيل الله قد اظلتكم وبلها وطمى عليكم سيلها فتأهبوا للموت والسلام على من اتبع (159) الهدى هداة ولم يغلب عليه هواه ورحمة الله وبركاته (١)

سنة اثنتين واربعين وخمسة

في صفر منها عاد الحاجب محمود الكاتب من بغداد بجواب ما صدر على يده

(١) قال الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥٢٨ هـ ظهر عبد المؤمن بالمغرب وانا اذكر من حاله وما وصل الي من امره . وهو ان محمد بن تومرت كان من المصامدة وخرج الى بلاد المشرق وهو شيخ عبد المؤمن بن هلي اللموني من جبال السوس الاقصى بالمغرب . وكان محمد بن تومرت الادريسي الحسيني خرج (168١) الى المشرق وبقي مدة ثم عاد الى الغرب في سنة ٥١٩ هـ واقام بمراكش (١) واجتمع اليه جماعة من الفقهاء فناظرهم وجرى بينهم اشياء غير ما جرت به عادة المغاربة وخارجاً عن طريقهم فانكر عليهم وانكروا عليه . ثم انهم اجتمعوا الى امير المسلمين على ابن تاشفين وقالوا له : تخرج هذا من بيننا والافسد الناس واهلكهم فتقدم اليه بالخروج فخرج في

(١) وفي الأصل : مروكش

من الكتابات المينة ومعه رسولاً للخليفة والسلطان وعلى ايديهما التشريف برسم ظهير الدين ومعينه ولبسائه وظهر ا فيه في يوم السبت الثامن عشر من ربيع الاخر واقاما اياماً وعادا مجواب ما وصل معهما

وورد الخبر عقيب ذلك من بغداد بان السلطان كان قد توجه منها بعد قتل الامير عباس في العسكر الى ناحية همذان عند انتهاء الاخبار اليه بان الامير عباس وعسكره قد انضم الى الامير بوزبه وصاروا يداً واحدة في خلق عظيم وقصدوا ناحية اصفهان وتزلا عليها وضايقاها الى ان اسلمت الى بوزبه باسباب اقتضت ذلك ولما حصل السلطان بظاهر همذان تواصلت العساكر من كل جهة اليه وصار في خلق كثير

ووردت الاخبار الى بغداد بان السلطان لما كثف جمعه وقويت نفسه وقصد المذكورين وقصدوه وترتب المصاف بينهم والتقى المصافات ومنح الله السلطان النصر عليهم وكبرهم وقتل بوزبه وابن عباس واستولى عسكر السلطان على الفل والسواد . وحكى الحاكي المشاهد لهذه الواقعة في كتابه بشرحها ما ذكر فيه ان مبدأ الفتح ان السلطان كان في محيمه بباب همذان في تقدير ثلثة الاف فارس وبوزبه في عسكره على باب اصفهان في خلق عظيم وان بوزبه لما عرف ذلك طمع فيه ونهض في عسكره اليه

سنة ٥٢٠ وقناه الى الجبل الى المصامدة وم جنس من البربر وكانوا عشيرته . فاقام بينهم وحملهم على ترك طاعة الامير المسلمين فلقبه فكبره وقتل رأس العسكر فخرج امير المسلمين بنفسه وجمع الجموع فلقبه وكبره وتكفن في الجبل وهو مسيرة شهر في شهر وهو جبل درن (١) بولاية مراکش والسوس . واجتمع اليه خلق كثير وبقي الى سنة ٥٢٣ ومات محمد بن تومرت وولى موضعه علي الورثي (٢) وجهاز العساكر وحاصر مراکش في سنة ٥٢٤ فكبره امير المسلمين وازاحه من مراکش (٣) فانضم الى الجبل وتحصن به وبقي الامر بينه وبين امير المسلمين يزيد وينقص الى سنة ٥٢٨ ومات علي الورثي (٣) فتولى موضعه عبد المؤمن بن علي اللستوني وكان من جملة اصحاب محمد بن تومرت وتلامذته واصحابه ومعاضديه فجمع ولقي امير المسلمين فكبره وملك الجبل بأسره وملك ولاية اخرى ونزل في سنة ٥٣٠ الصحراء وفتح اكثر بلاد امير المسلمين وكانت له البقاع وفتح اكثر افرقية وبلاداً من الاندلس وفتح اكثر بلاد امير المسلمين وفتح من الافرنج مواضع كثيرة وبقي الى سنة ٥٤٠ ولقي امير المسلمين تاشفين ابن علي بن يوسف وكبره وقتل خلقاً كثيراً واسره وقتله . وتوطدت له البلاد وفتح اكثر المغرب وهابة الناس وكان لا يفتح مدينة الا قتل كل من فيها وكان يقول : انا صاحب الزمان

(١) وفي الاصل : ارن (٢) وفي الاصل : الورثي (٣) وفي الاصل : مروكش

وقطع مسافة ثلاثين فرسخاً في يوم وليلة ووصل الى مكر بابكان (١) وقد كأت الخيل ونزل هناك . فلما عرف السلطان ذلك التجأ الى بساتين همدان وجعلها ظهره مع جبلين هناك ووصل اليه الامير حيدر صاحب زنكان في الف فارس ووصله الامير اكز في خمسة الف فارس ووصله خاصبك بلنكي (٢) في اثني عشر الفاً قويت بهم شوكتة ونهض الى جهة بوزبه عند ذلك وعياً كل فريق منهما مصافه في يوم السبت من شهر ٠٠٠٠٠ منذ غداته الى وقت العصر منه وكسرت الميسنة السلطانية وفيها الامير جندار (٣) (١٦٥٠) والميسرة فيها الامير تير وبقي السلطان في القلب وعرف ان بوزبه يقصده فقال للامير جندار : انا المطلوب أقم انت مكاني تحت الشمة فان بوزبه يطلبها لقصدي . ففعل ونهض السلطان في جملة وافرة من العسكر وجاء من وراء عسكر بوزبه وحمل بوزبه وقصد مكان السلطان تحت الشمة فلما قرب بوزبه في جملة من الشمة كبا به جواده وسقط الى الارض فاقتل عسكره وادركته الخيل فأخذ هو وخواتمه وابن عباس ووزير بوزبه يقال له صدر الدين ابن الخرجندي وكان قد اعلن بوزبه على تسلم اصفهان فجازاه على ذلك باستيزاره (٤)

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر وصل رسول مصر الى دمشق بما صحبه من تشریف وقود ومال برسم ظهير الدين ومعيشه على جاري الرسم في مثل ذلك . وفي ليلة الجمعة الثالث من شهر ربيع الاول من السنة توفي الفقيه شيخ الاسلام ابو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي بدمشق رحمه الله

(١) وفي زبدة التواريخ : مرج ورامان (٢) وفيها ايضاً ان اسمه خاصبك بن ملكري

(٣) وفيها ايضاً ان اسمه زنكي الجندار

(٤) وفي زبدة التواريخ ان بوزابه حمل الى السلطان مسعود فعاتبه عتياً وهو لا يتكلم ولا يتألم واراد الابقاء عليه فابى خاصبك فقتله السلطان مسعود وانجلى النقع عن بن عباس مقتولاً وان الذي كان سلم لبوزابه اصفهان هو صدر الدين بن الخرجندي

وقال تقي الدين ابن قاضي شبة في كتابه منتقى العبر المنتخب من العبر للحافظ الذهبي ان في سنة ٥٥٢ توفي صدر الدين ابو بكر الخرجندي محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت رئيس اصفهان شافعي وعالمها . قال ابن السمعاني : كان صدر العراق في زمانه على الاطلاق اماماً مناظراً واعظاً جواداً مهيباً كان السلطان محمرد يصدر عن رأيه وكان بالوزراء اشبه منه بالماء درس بفسداد بالنظامية وكان يعظ وحوله السيوف ومات فجأة في قرية بين همدان والكرخ في شوال وقد روى عن ابي علي الحداد

وكان بقية الفقهاء المقيمين على مذهب الشافعي رحمه الله ولم يخلف مثله بعده (١)
وفي جمادى الآخرة منها تقررت ولاية حصن صرخند للامير مجاهد الدين بوزان بن
مامين على مبلغ من المال والغلة وشروط وإيمان دخل فيها وقام بها وتوجه اليه وحصل
به في النصف من الشهر المذكور واستبشر من بتلك الناحية من حصوله فيه لما هو عليه
من حب الخير والصالح والتدين والعفاف عقيب من كان قبله متين لا يدين الله بدين
ولا صلاة ولا انصاف ولا تراهة نفس ولا جميل فعل

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بان رضوان بن ولحي المنعوت كان
بالافضل وزير صاحب مصر الذي كان معتقلاً بالقصر وقد تقدم ذكره فيما مضى تقب
من المكان الذي كان فيه الى مكان ظاهر القصر تقباً يكون تقدير طوله اربعون
ذراعاً واجتمع اليه خلق كثير من العسكرية ممن كان يهوداً ويتوالاه في العشر الاخير
من ذي القعدة سنة ٤٢ وانه راسل سلطان مصر ياتمس منه اعادته الى منصبه واخراج
المال لينفق على العسكرية والاجناد فعاد الجواب اليه بالوعد (١٦٠) بالاجابة على
سبيل المغالطة والمدافعة الى حين دبر الامر عليه ورتب له من الرجال الاجلاد وابطال
الاجناد والانجاد من هجم عليه في مكانه وجمع اموانه قتل وقتل معه من دنا منه
وتابعه وورد بشرح قصته السجل من سلطان مصر الى ثغر عسقلان وقرى على منبرها
ومضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من شوال
سنة ٤٢ وهو مستهل نيسان اظلم الجو وتزل غيث ساكن ثم اظلمت الارض في وقت
صلاة العصر ظلاماً شديداً بحيث كان ذلك كالغبرة بين العشائين وبقيت السماء في
عين الناظر اليها كصفورة الورد وكذلك الجبال واشجار الغوطة وكل ما ينظر اليه
من حيوان وجماد ونبات . ثم جاء في اثر ذلك من الرعد القاصف والبرق الخاطف والمهدات
المزعجة والزحفات المفرعة ما ارتاع لها الشيب والشبان فكيف الولدان والنسوان وقامت
لذلك الحيول في مراتبها واجفلت من هولها وبقي الامر على هذه الحال الى حين وقت
العشاء الآخرة ثم سكن ذلك بقدرة الله تعالى واصبح الناس غد ذلك اليوم يظنون في

(١) وفي كتاب العبر للخافظ الذهبي : وله اربع وتسعون سنة وهو آخر اصحاب ابن ابي
لقمة . وقال تقي الدين ابن قاضي شهبة في طبقات الفقهاء انه درس بالقرائية بعد شيخه نصر وله
اوقاف على وجوه البر وكان منقبضاً عن الدخول على السلاطين . والشيوخ نصر هو نصر بن ابراهيم
ابن نصر بن ابراهيم بن داود ابو الفتح المقدسي النابلسي توفي سنة ٤٩٠

اعقاب ذلك المطر فاذا على الارض والاشجار وسائر النبات غبار في رقّة الهواء بين اليباض والغبرة بحيث يكون اذا جرد عنها الشيء الكثير ويلوح فيه بريق لا يُدري ما لونه ولا جسمه من نعومته فعجب الناس من هذه القدرة التي لا يُسلّم ما اصلها ولا شيء لها بل نزلت في جملة المطر ممتزجة به كما تراج الماء بالماء والهواء بالهواء

وفي هذه السنة تواصلت الاخبار من ناحية القسطنطينية وبلاد الافرنج والروم وما والاها بظهور ملك الافرنج من بلادهم منهم المان والفرنش وجماعة من كبارهم في العدد الذي لا يُحصر والعدد التي لا تحزر لقصد بلاد الاسلام بعد ان نادوا في سائر بلادهم ومعتقلهم بالنفير اليها والاسراع نحوها وتخليّة بلادهم واعمالهم خالية سافرة من حماتها والحفظة لها واستصحبوا من اموالهم وذخائرهم وعددهم الشيء الكثير الذي لا يحصى بحيث يقال ان عدّتهم الف الف عنان من الرجالة والفرسان وقيل اكثر (161^٢) من ذلك وغلبوا على اعمال القسطنطينية واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ومسالتهم والنزول على احكامهم . وحين شاع خبرهم واشتهر امرهم شرعت ولاية الاعمال المصابقة لهم والاطراف الاسلامية القريبة منهم في التأهب للمدافعة لهم والاحتشاد على المجاهدة فيهم وقصدوا منافذهم ودروب معايرهم التي تمنعهم من العبور والنفوذ الى بلاد الاسلام وواصلوا شن الغارات على اطرافهم واشتجر القتل فيهم والفتك بهم الى ان هلك منهم العدد الكثير وحلّ بهم من عدم القوت والعلوفات والمير وغلاء السعر اذا وجد ما افنى الكثير منهم بموت الجوع والمرض ولم تزل اخبارهم تتواصل بهلاكهم وفناء اعدادهم الى اواخر سنة ٥٤٢ بحيث سكنت النفوس بعض السكون وركنت الى فساد احوالهم بعض الركون وخفّ ما كان من الاترجاج والفرق مع تواصل اخبارهم

ثم دخلت سنة ثلث واربعين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة الحادي وعشرين من ايار والشمس في الجزاء . وفي اوائلها تواترت الاخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الافرنج المقدم ذكرهم الى ساحل البحر وحصولهم على سواحل الثغور الساحلية صور وعكا واجماهم مع من كان بها من الافرنج ويقال انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع تقدير مائة الف عنان وقصدوا بيت المقدس (١) وقضوا مفروض حجتهم وعاد بعد ذلك من عاد الى بلادهم

(١) قال سبط ابن الخوزي : وصلوا صلاة الموت وعادوا الى عكا وفرقوا المال في المساكين

في البحر . وقد هلك منهم بالموت والمرض الخلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي المان اكبر ملوكهم ومن هو دونه واختلفت الاراء بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية والاعمال الشامية الى ان استقرت الحال بينهم على منازلة مدينة دمشق وحدثتهم نفوسهم الخبيثة بملكتهما وتبايعوا ضياعها وجهاتها . وتواصلت الاخبار بذلك وشرع متولي امرها الامير معين الدين أنز في التأهب والاستعداد لحربهم ورفع شرهم وتحصين ما يخشى من الجهات وترتيب الرجال في المسالك والمنافذ وقطع مجاري الميرة (١٦١) الى منازلهم وطم الآبار وعفى المناهل وصرفوا اعتنتهم الى ناحية دمشق في حشدتهم وحدهم وحديدتهم في الخلق الكثير على ما يقال تقدير الخمسين الف من الخيل والرجل ومعهم من السواد والجمال والابقار ما كثروا به العدد الكثير ودنوا من البلد وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادفوا الماء معدوماً فيه مقطوعاً عنه فقصدوا ناحية المزة فخيّموا عليها لقربها من الماء وزحفوا اليه بخيلهم ورجلهم . ووقف المسلمون بازائهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الاول سنة ٤٣ ونشبت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الاجناد والأتراك القتال واحداث البلد والمطوعة والغزاة الجمل الغفير واشتجر القتل بينهم واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الاعداد والعدد وغلبوا على الماء وانتشروا في البساتين وخيّموا فيها وقربوا من البلد وحصلوا منه بما كان لم يتمكن احد من العساكر قديماً ولا حديثاً منه . واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الفندلاوي المالكي (١) رحمه الله قريب الربوة على الماء لوقوفه في وجوههم وترك الرجوع عنهم اتباعاً لاوامر الله تعالى في كتابه الكريم وكذلك عبد الرحمن الحلحولي الزاهد رحمه الله جرى امره هذا المجري

وشرعوا في قطع الاشجار والتحصين بها وهدم القناطر (٢) وباتوا تلك الليلة على هذه الحال وقد لحق الناس من الارتياح لهول ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما ضعفت

وكان مقدار ما فرقوه سبعمائة الف دينار ولم يظهروا انهم يريدون دمشق ووزروا بنيرها وهرّبوا المسلمين بين ايديهم وجمعوا الفلال والأتبان واحرقوها ولم تشعر اهل دمشق الا وحلك الالمان قد ضرب خيمته على باب دمشق في الميدان الاخضر

(١) وفي كتاب البدر الحافظ الذهبي : هو ابو الحجاج يوسف بن دوباس المغربي الفندلاوي قُتل شهيداً في حصار الفرنج مقبلاً غير مدبراً والدعاء عند قبره خارج الباب الصغير مستجاب
(٢) وفي الاصل : المطاير

به القلوب وخرجت معه الصدور وبأكروا الظهور اليهم في غد ذلك اليوم وهو يوم الاحد
تاليه وزحفوا اليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم واكثروا القتل والجراح
فيهم . وابلى الامير معين الدين في حربهم بلاء حسناً وظهر من شجاعته وصبره وبسالته
ما لم يشاهد في غيره بحيث لا يني في ذياتهم ولا يُفنى عن جهادهم ولم تزل رحي
الحرب دائرة بينهم وخيل الكفار محجمة عن الحملة العروقة لهم الى ان تنهياً الفرصة
لهم الى ان مالت الشمس الى الغروب واقبل الليل وطلبت النفوس الراحة وعاد كل
منهم الى مكانه وبات الجند (162) بازانهم واهل البلد على اسوارهم للحرس والاحتياط
وهم يشاهدون اعداءهم بالقرب منهم

وكانت المكاتبات قد نُفذت الى ولاية الاطراف بالاستصراخ والاستنجد وحصلت
خيل التركمان تتواصل ورجالة الاطراف تتابع وبأكروهم المسلمون وقد قويت نفوسهم
وزال روعهم وثبتوا بازانهم واطلقوا فيهم السهام ونبل الجرح بحيث تتبع في محيهم
في راجل او فارس او فرس او جمل

ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها رجالة كثيرة من الرماة فزادت بهم
العدة وتضاعفت العدة وانفصل كل فريق الى مستقره هذا اليوم وبأكروهم من غده
يوم الثلاثاء كالبراة الى تعايب الجبل والشواهين الى مطار الجبل واحاطوا بهم في
محيمهم وحول محيمهم وقد تحصنوا باشجار البساتين وافسدوها رشقاً بالنشاب وحذاً
بالاحجار . وقد احجموا عن البروز وخافوا وفشلوا ولم يظهر منهم احدٌ وظن بهم انهم
يعملون مكيدة ويُدبرون حيلة ولم يظهر منهم الا النفر اليسير من الخيل والرجل على
سبيل المكاردة والمناوشة خوفاً من المهاجمة الى ان يجدوا حملتهم مجالاً او يجدون
لفرهم احتيلاً وليس يدنو منهم احدٌ الا اصرع برشقة او طعنه وطمع فيهم نفرٌ كثيرٌ
من رجالة الاحداث والضياع وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد اثنوا (١) فيقتلون من
ظفروا به ويحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عنها وحصل من رؤوسهم العدد الكثير

وتواترت اليهم اخبار العساكر الاسلامية بالحقوق الى جهادهم والمسارة الى
استنصاهم فايقنوا بالهلاك واليوار وحاول الدمار واعملوا الاراء بينهم فلم يجدوا لنفوسهم
خلاصاً من الشبكة التي حضلوا فيها والهوة التي القوا بنفوسهم اليها غير الرحيل سحراً

يوم الاربعاء التالي مجفلين والحرب مخذولين مفلولين (١) وحين عرف المسلمون ذلك وبانت لهم آثارهم في الرحيل برزوا لهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا نحوهم في آثارهم بالسهام بحيث قتلوا في اعقابهم من الرجال والحيول والدواب العدد الكثير ووجد في اثار منازلهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم وفاخر خيولهم ما لا (162) عدد له ولا حصر يلحقه بحيث لها ارائح من جيفهم تكاد تصرع الطيور في الجو وكانوا قد احرقوا الربوة والقبة المدودة في تلك الليلة واستبشر الناس بهذه النعمة التي اسبغها الله عليهم واكثروا من الشكر لله تعالى ما اولاهم من اجابة دعائهم الذي واصلوه في ايام هذه الشدة فله على ذلك الحمد والشكر

واتفق عقيب هذه الرحمة اجتماع معين الدين مع نور الدين صاحب حلب عند قربه من دمشق للانجاد لها في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة وانهما قصدا الحصن المجاور لطرابلس المعروف (٢) وفيه ولد الملك الفتنش احد ملوك الافرنج المقدم ذكرهم كان هلك بناحية عكا ومعه والدته وجماعة وافرة من خواصه وابطاله ووجوه رجاله فاحاطوا به وهجموا عليه وقد كان وصل الى العسكرين النوري والمعيني فرقة تناهر الالف فارس من عسكر سيف الدين غازي بن اتابك ونشبت الحرب بينهم فقتل اكثر من كان فيه واسر واخذ ولد الملك المذكور وأمه ونهب ما فيه من العدد

(١) قال سبط ابن الجوزي : وكان زمان الفواكه قتل الفرنج الوادي فاكلوا منها شيئا كثيرا فاحللت اجوافهم ومات منهم خلق كثير ومرض الباقون . ولما ضاق باهل دمشق الحال اخرجوا الصدقات بالاموال على قدر احوالهم واجتمع الناس في الجامع الرجال والنساء والصبيان ونشروا مصحف شمان وحشوا الرماد على رؤوسهم وبكوا وتضرعوا فاستجاب الله لهم . فكان مع الافرنج قسيس كبير طويل اللحية يقتدون به فاصبح في اليوم العاشر من ثروهم على دمشق فركب حماره وعلق في عنقه صليبا وجعل في يديه صليبين وعلق في عنق حماره صليبا وجمع بين يديه الاناجيل والصليبان والكتب والخيالة والرجال ولم يتخلّف من الفرنجية احد الا من يحفظ الحيام . وقال لهم القسيس : قد وعدني المسيح اني افتح اليوم . وفتح المسلمون الابواب واستسلموا للسوت وغاروا للاسلام وحملوا حملة رجل واحد وكان يوما لم ير في الجاهلية والاسلام مثله وقصد واحد من احداث دمشق القسيس وهو في اول القوم نضربه فأبان رأسه وقتل حماره وحمل الباقون فانعزم الافرنج وقتلوا منهم عشرة الاف واحرقوا الصليبان والخيالة بالنفط وتبعوهم الى الحيام وحال بينهم الليل فاصبحوا وقد رحلوا ولم يبق لهم اثر

(٢) وفي الكامل لابن الاثير : حصن عرصة

والحيول والاثاث وعاد عسكر سيف الدين الى محبته بجمص ونور الدين عائداً الى حلب ومعه ولد الملك وأمه ومَن أسر معها وانكفاً معين الدين الى دمشق

وقد كان ورد الى دمشق الشريف الامير شمس الدين ناصح الاسلام ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني النقيب من ناحية سيف الدين غازي بن اتابك لانه كان قد ندب رسولاً من الخلافة الى سائر الولاة وطوائف التركان لبعثهم على نصرة المسلمين ومجاهدة المشركين وكان ذلك السبب في خوف الافرنج من تواصل الامداد اليهم والاجتماع عليهم ورحيلهم على القضية المشروحة. وهذا الشريف المذكور من بيت كبير في الشرف والفضل والادب واخوه ضياء الدين نقيب الاشراف في الموصل مشهور بالعلم والادب والفهم وكذا ابن عمه الشريف نقيب العلويين ببغداد وابن عمه نقيب خراسان واقام بدمشق ما اقام وظهر من حسن تأتية في مقاصده وسداده في مصادره وموارده ما احز به جميل الذكر ووافر الشكر وعاد منكفاً الى بغداد بجواب ما وصل (163) فيه يوم الاربعاء الحادي عشر من رجب سنة ٤٣

وفي رجب في هذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بان صاحبها نور الدين اتابك امر بابطال «حي على خير العمل» في اواخر تأذين الغداة والتظاهر بسب الصحابة رضي الله عنهم وانكر ذلك انكاراً شديداً وحظر المعاودة الى شيء من هذا المنكر وساعده على ذلك الفقيه الامام برهان الدين ابو الحسن علي الحنفي وجماعته من السنة بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيلية واهل الشيع وضائق له صدورهم وهاجوا له وماجوا ثم سكنوا واحجموا بالخوف من السطوة النورية المشهورة والمهية المحذورة

وفي رجب من هذه السنة اذن لمن يتعالي الوعظ بالتكلم في الجامع المعمور بدمشق على جاري العادة والرسم فبدأ من اختلافهم في احوالهم واعراضهم والخوض فيما لا حاجة اليه من المذاهب ما اوجب صرفهم عن هذه الحال وابطال الوعظ لا يتوجه معه من الفساد وطمع سفهاء الارغاد وذلك في اواخر شعبان منها

وفي جمادى الآخرة منها وردت الاخبار من بغداد باضطراب الاحوال فيها وظهور العيث والفساد في نواحيها وضواحيها وان الامير بازبه والامير قيس والامير علي بن دليس بن صدقة اجتمعوا وتوافقوا في تقدير خمسة الاف فارس ووصلوا الى بغداد على حين غفلة من اهاليها وهجموها وحصلوا بدار السلطان وتناهوا في الفساد والعناد بحيث وقعت الحرب بينهم وقتل من النظار وغيرهم نحو خمسمائة انسان في الطرقات وان امير

للمؤمنين المقتني لامر الله رتب الاجناد والعسكرية بازانهم بحيث هزموهم واخرجوهم من بغداد وطلبوا ناحية النهروان وتناهاوا في العيث والافساد في الاعمال والاستيلاء على الغلال وخرج امر الخلافة بالشروع في عمارة سور بغداد وحفر الخنادق وتحصينها والزام الاماثل والتشاء والتجآر وعيان الرعايا القيام بما يُشفق على العمارات من اموالهم على سبيل القرض والمعونة ولحق الناس من ذلك المشقة والكلفة المائلة (١٠١) وذكر ان السلطان ركن الدين مسعود مقيم بهمدان وان امره قد ضعف عما كان والاقوات قد قلت والسعر قد غلا والفتن (163) قد ثارت والفساد في الاعمال قد انتشر وان العدوان في اعمال خراسان قد زاد وظهر والفناء قد كثر

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ديار مصر بظهور بعض اولاد تار واجتمع اليه خلق كثير من المغاربة وكثامة وغيرهم وقربوا من الاسكندرية في عالم عظيم وان امام مصر الحافظ انهض اليهم العساكر المصرية ونشبت الحرب بينهم وقتل من الفريقين العدد الكثير من الفرسان والرجال وكان الظهور العساكر الحافظية على التزارية بحيث هزموهم واتخذوا القتل فيهم واجلت الوقعة عن قتل ولد تار المقدم ومعه جماعة من خواصه واسبابه وانهزم من ثبطه الاجل واطار قلبه الوجل وخمدت عقيب هذه النوبة الثائرة وزالت تلك الفتنة الثائرة وسكنت النفوس وزال عن مصر الخوف والبؤس

ووردت الاخبار في رجب منها من ناحية حلب بان نور الدين صاحبها كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية وظفر بقدرة وافرة من الافرنج وان صاحب انطاكية جمع الافرنج فصدّه على حين غفلة منه فنال من عسكره وانتقاله وكراعه ما اوجبه الاقدار النازلة وانهزم بنفسه وعسكره وعاد الى حلب سالماً في عسكره لم يفقد منه الا النفر اليسير بعد قتل جماعة وافرة من الافرنج واقام بحلب اياماً

(١٠) وفي زبدة التواريخ: ان في هذه السنة وصل الى بغداد جماعة من الاسراء ومعهم الملك ملك شاه بن محمود وهم متناصرون على خلع السلطان مسعود وخرج اهل بغداد لدفعهم عنها فانهم لم يحق استجروهم ثم كثروا عليهم فقتلوا منهم خمسمائة رجل ثم طلبوا من الخليفة المقتني لامر الله ثلثين الف دينار ليرحلوا فاشار عليه كُتَّابُهُ بذلك الايمى بن هيرة صاحب الديوان فانه قال: ان كان لا بد من اتلاف هذا المبلغ فالرأي اتفقه في جيش يدفعهم من التزل المطلقة ببغداد وانواع الناس ويكون هذا يداً عند السلطان مسعود ثم لو دفع لهم ذلك لجعلوا ببغداد خبابة لهم . قبل الخليفة رأيه وخرج بذلك الجيش اليهم فهزمهم . وكان هذا من الاراء الصائبة والمخاطر الثابتة فرأى الخليفة ان يستوزر ابن هيرة

بجيث جدد ما ذهب له من البرك وما يحتاج اليه من آلات العسكر وعاد الى منزله وقيل لم يعد

وكان الغيث امسك عن الاعمال الحورانية والغوطية والبقاعية بجيث امتنع الناس من الفلاحة والزراعة وقنطوا وينسوا من نزول الغيث فلما كان في ايام من شعبان في نوء المنعة ارسل الله تعالى وله الحمد والشكر على الاعمال من الامطار المتدركة ما رويت به الاراضي والآكام والوهاد وانشرت الصدر ولحقوا معه اوان الزراعة فاستكثروا منها وزادوا في الفلاحة والعمارة وذلك في شعبان

وقد كان تقدم من شرح نوبة قتل برق بن جندل التميمي بيد الاسماعيلية وجمع اخيه ضحّاك بن جندل لبني عمه وأسرتهم وقومه ورجاله وكبسهم لجماعة خصومه وقتلهم مع رأس طغيانهم (164) بهرام الداعي ما قد شرح في موضعه من هذا التاريخ وعرف وورد الخبر في شعبان من هذه السنة بان المذكورين ندبوا لقتل ضحّاك المذكور رجلين احدهما قوآسا والاخر نَشَّاباً فوصلا اليه وتقرباً بصنعتهم اليه واقاما عنده برهة من الزمان طويلاً الى ان وجدوا فيه الفرصة متسهلة وذلك ان ضحّاك بن جندل كان راكباً مسيراً حول ضيعة له تُعرف بيت لهما من وادي التيم فلما عاد عنها وافق اجتيازه بمنزل هذين المفسدين فلقياهُ وسألاهُ النزول عندهما للراحة وألحاً عليه في السؤال فنزل والقدرُ منازلةً والبلاءُ مُعادلةً فلما جلس اتياهُ بما كُول حضرها فحين شرع في الاكل مع الخلوة وثبا عليه فقتلاه واجفلا فادركهما رجاله فاخذوهما واتوا بهما الى ضحّاك وقد بقي فيه روقٌ فلما رآهما امر بقتلهما بجيث شاهدهما ثم فاضت نفسه في الحال وقام مقامه ولده من امارة وادي التيم وبهذا الشرح وصل كتابه وعلى هيئته اوردته

وفي ذي الحجة ورد الخبر من ناحية بغداد بوفاة القاضي قاضي القضاة الاكل فخر الدين عز الاسلام ابي القسم علي بن الحسين بن محمد الزنبي رحمه الله يوم النحر من سنة ٥٤٣ هـ وصلى عليه الامام المقتفي لامر الله امير المؤمنين وصلى عليه بعده تقيب النقباء ودُفن على والده نور الهدى في تربة الامام ابي حنيفة رحمه الله وولي امر القضاء بعده القاضي ابو الحسن علي بن الدامغاني

ودخلت سنة اربع واربعين وخمسمائة

واولها يوم الاربعاء الحادي عشر من ايار. قد كان كثر فساد الاقرنج المقيمين بصور

وعكاً والثغور الساحلية بعد رحيلهم عن دمشق وفساد شرائط الهدنة المستقرة بين معين الدين وبينهم بحيث شرعوا في الفساد في الاعمال الدمشقية فاقتضت الحال نهوض الامير معين الدين في العسكر الدمشقي الى اعمالها مُغيراً عليها وعائثاً فيها وخيم في ناحية حوران بالعسكر وكاتب العرب في اواخر سنة ٥٤٣ هـ ولم يزل مواصلاً للغارات وشتها على (164^٢) بلادهم واطرافهم مع الايام وتقضيها والساعات وتصرُّمها واستدعاء جماعة وافرة من التركمان واطلق ايديهم في نهب اعمالهم والفتك بمن يظفرون به في اطرافهم الحرامية واهل الفساد والارباب ولم يزل على هذه القضية لهم مُحاصراً وعلى النكابة فيهم والمضايقة لهم مُصابراً الى ان الجأهم الى طلب المصالحة وتجديد عقد المهادنة والمساخة ببعض المقاطعة وتردَّدت المراسلات في تقرير هذا الامر واحكام مشروطه واخذ الأيمان بالوفاء بشروطه في المحرم سنة ٥٤٤ هـ وتقرَّرت حال المودعة مدَّة سنتين ووقعت الايمان على ذلك وزال الحلف واطمأنَّت النفوس من اهل العملين بذلك وسكنت الى تمامه وسُرَّت باحكامه

ووافق ذلك تواصل كُتُب نور الدين صاحب حلب الى معين الدين يعلمه ان صاحب انطاكية جمع افرنج بلاده وظهر يطلب بهم الافساد في الاعمال الحلبية وانه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب للقاءه وكفَّ شره عن الاعمال وان الحاجة مأساة الى معاضدته بمسيره بنفسه وعسكره اليه ليتفقا بالعسكريين عليه . فاقتضت الحال ان ندب الامير معين الدين الامير مجاهد الدين بزان بن مامين في فريق وافر من العسكر الدمشقي للمصير الى جهته وبذل المجهود في طاعته ومناصحته وتوجَّه في يوم ٠٠٠٠٠ من العشر الاول من صفر من السنة وبقي معين الدين في باقي العسكر بناية حوران لائناس حال العرب وحفظ اطرافهم وتطبيب نفوسهم لنقل الغلال عن جماهم الى دمشق على جاري العادة وحفظها والاحتياط عليها

وفي صفر من السنة وردت البشائر من جهة نور الدين صاحب حلب بما اولاه الله وله الحمد من الظهور على حشد الافرنج المخدول وجمعهم المفلول بحيث لم يفلت منهم إلا من خبَّ بيوارهم وتعجيل دمارهم وذلك ان نور الدين لما اجتمع اليه ما استدعاه من خيل التركمان والاطراف ومن وصل اليه من عسكر دمشق مع الامير مجاهد الدين (165^٢) بزان قويت بذلك نفسه واشتدَّت شوكته وكثف جمعه ورحل الى ناحية الافرنج بصل انطاكية بحيث صار عسكره يناهز الستة الاف فارس مقاتلة سوى الاتباع

والسواد والافرنج في زهاء اربعمائة فارس طعانة والى راجل مقاتلة سوى الاتباع . فلما حصوا بالموضع المعروف بإنب نهض نور الدين في العسكر المنصور نحوهم ولما وقعت العين حمل الكفرة على المسلمين حملتهم المشهورة وتفرق المسلمون عليهم من عدة جهات ثم اطبقوا عليهم واختلط الفريقان وانعقد العجاج عليهم وتحكمت سيوف الاسلام فيهم ثم انتشع القتال وقد منح الله وله الحمد والشكر المسلمين النصر على المشركين وقد صاروا على الصعيد مصرعين وبه مغفرين وبحرهم مخدولين بحيث لم ينج منهم الا نفر اليسير ممن ثبته الاجل واطار قلبه الوجل بحيث يخبرون بهلاكهم واحتناكهم وشرع المسلمون في اسلابهم والاشتال على سوادهم وامتلأت الايدي من غنائمهم وكراهم . ووجد اللعين البلبس مقدمهم صريحا بين حماته وابطاله فعرف وقطع رأسه وحمل الى نور الدين فوصل حامله باحسن صلوة وكان هذا اللعين من ابطال الافرنج المشهورين بالفروسيّة وشدة البأس وقوة الحيل وعظم الخلقة مع اشتهاار الهيبة وكبر السطوة والتناهي في الشرّ وذلك في يوم الاربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة ٤٤٤ ثم نزل نور الدين في العسكر على باب انطاكية وقد خلت من حماتها والذاتين عنها ولم يبق فيها غير اهلها مع كثرة اعدادهم وحصانة بلدهم وتردّت المراسلات بين نور الدين وبينهم في طلب التسليم الى نور الدين وايمانهم وصيانة احوالهم فوقع الاحتجاج منهم بان هذا الامر لا يمكنهم الدخول فيه الا بعد انقطاع امالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم فحملوا ما امكنهم من التّخف والمال واستمهلوا فأهلوا وأجيبوا الى ما فيه سألوا ثم رتب بعض العسكر للاقامة عليها والمنع لمن يصل اليها ونهض نور الدين في بقية (165^v) العسكر الى ناحية افامية . وقد كان رتب الامير صلاح الدين في فريق وافر من العسكر لمتازلتها ومضايقتها ومحاربتها حين علم من فيها من المستحفظين هلاك الافرنج وانقطع امالهم من مواد الانجساد واسباب الاسعاد التمسوا الامان فأمنوا على نفوسهم وسلموا البلد ووفى لهم بالشّروط فرتب فيها من رآه كافيا في حفظها والذب عنها وذلك في الثامن عشر من شهر ربيع الاول من السنة

وانكفأ نور الدين في عسكره الى ناحية الساحل الى صوب انطاكية لانجاده من بها وطلب نور الدين تسهل الفرصة في قصدهم للايقاع بهم فاجتمعوا عن الاقدام على التقرب منه وتشاغلو عنه وافتضت الحال مهادنة من في انطاكية وموادعتهم وتقرير ان يكون ما قرب من الاعمال الحلبية له وما قرب من انطاكية لهم . ورحل عنها الى جهة

غيرهم بحيث قد كان في هذه النوبة قد ملك ما حول انطاكية من الحصون والقلاع والمعقل وغنم منها الغنائم الجمة وفصل عنه الامير مجاهد الدين بُزَّان في العسكر الدمشقي وقد كان له في هذه الوقعة ولن في جملة البلاء المشهور والذكر المشكور لما هو موصوف به من الشهامة والبسالة واصالة الرأي والمعرفة بواقف الحروب ووصل الى دمشق سالماً في نفسه وجملة في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الاخر من السنة . ومن لفظه وصفته هذا الشرح معتدداً فيه على الاختصار دون الاكثار وفيه من تقوية اركان الدين واذلال ما بقي من الكفرة الملحدين ما هو مشهور بين العباد وسائر البلاد مشكورٌ مذكورٌ والله تعالى اسمة عليه الحمد المشكور

وقد مضى من ذكر معين الدين أنز فيما كان انهضة من عسكره الى ناحية حلب لاعانة نور الدين صاحبها على ملاقاته الافرنج المجتمعين من انطاكية واعمالها للافساد في الاعمال الشامية وما منح الله تعالى وله الحمد من الظفر بهم والنصر عليهم ما اغنى عن ذكر شيء منه . واتفق ان معين الدين فصل عن عسكره بحوران ووصل الى دمشق في ايام من آخر شهر ربيع الاول سنة ٥٤٤ هـ لامرٍ اوجب ذلك ودعا اليه وامعن في الأكل لعادة جرت (166) له فلحقه عقيب ذلك انطلاقٌ تمادى به وحمله اجتهداه فيما يدبره على العود الى العسكر بناحية حوران وهو على هذه الصفة من الانطلاق وقد زاد به وضعفت قوته وتولد معه المرض المعروف بجوسنطيريا وعمله في الكبد وهو مخوف لا يكاد يسلم صاحبه منه وارجف به وضعفت قوته فاوجبت الحال عوده الى دمشق في محفلةٍ لمدائاته فوصل في يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر من السنة فزاد به المرض والارجاف بموته وسقطت قوته وقضى نحبه في الليلة التي صيحتها يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاخر من السنة ودُفن في ايوان الدار الاتابكية التي كان يسكنها ثم نُقل بعد ذلك الى المدرسة التي عمرها . ولما دُفن في قبره وقُرغ من امره اجتمع حسام الدين بلاق وموئيد الدين الرئيس ومجاهد الدين بُزَّان واعيان الاجناد في مجلس مجير الدين بالقلعة واليه الامر والتقدم وتقررت الحال بينهم على ما اتفق من صلاح الحال وفي مستهل جمادى الاولى من السنة توفي ابو عبد الله البسطامي المقرئ المصلي في مشهد زين العابدين رحمه الله . وورد الخبر من ناحية الموصل بوفاة الامير سيف الدين غازي بن عماد الدين اتابك رحمه الله بعلّة قولنجية دامت به في اوائل جمادى الاولى

من السنة وأنه قرّر الامر لاختيه مودود بن عماد الدين والنظر في امره للامير علي كوجك والوزارة لجمال الدين

وفي يوم الجمعة التاسع من رجب سنة ٥٤٤هـ قرئ المنشور المنشأ عن مجير الدين بعد الصلاة على المنبر بإبطال الفيئة المستخرجة من الرعيّة وإزالة حكمها وتعفير رسمها وإبطال دار الضرب فكثّر دعاء الناس له وشكروهم

وحدث عقيب هذه الحال استيحاء مؤيد الدين الرئيس من مجير الدين استيحاءاً اوجب جمع من امكنه من سفهاء الاحداث والغوغاء وحمّاة السلاح من الجهة العوام وترتيبهم حول داره ودار اختيه زين الدولة حيدرة للاحتماء بهم من مكروه يتم عليهما وذلك في يوم الاربعاء الثالث وعشرين من رجب ووقعت المراسلات من مجير الدين بما يسكنهما ويطيب قلوبهما فما وثقا بذلك وجدّاً في الجمع والاحتشاد من العوام وبعض الاجناد (166^٢) واثارا الفتنة في ليلة الخميس تالي اليوم المذكور وقصدوا باب السجن وكسروا اغلاقه واطلقوا من فيه واستنفروا جماعة من اهل الشاغور وغيرهم وقصدوا الباب الشرقي وفعلوا مثل ذلك وحصلوا في جمع كثير وامتلات بهم الازقة والدروب فحين عرف مجير الدين واصحابه هذه الصورة اجتمعوا في القلعة بالسلاح الشاك فاخرج ما في خزائنه من السلاح والعدّد وفُرقت على العسكرية وعزموا على الزحف الى جمع الاوباش والايقاع بهم والنكاية فيهم . فسأل جماعة من المقدمين التمهّل في هذا الامر وترك العجلة بحيث تُتحقن الدماء وتسلم البلد من النهب والحريق وألحوا عليه الى ان اجاب سرّاهم ووقعت المراسلة والتلطّف في اصلاح ذات البين فاشتراط الرئيس واخوه شروطاً أجيبا الى بعضها وأعرض عن بعض بحيث يكون ملازماً لداره ويكون ولده وولد اختيه في الخدمة في الديوان ولا يركب الى القلعة الاّ مستدعي اليها وتقرّرت الحال على ذلك وسكنت الدهماء . ثم حدث بعد هذا التقرير عود الحال الى ما كانت عليه من العناد واثارة الفساد وجمع الجمع الكثير من الاجناد والمقدمين والرعاع والفلاحين والتفقوا على الزحف الى القلعة وحضر من بها وطلب من عين عليه من الاعداء والاعيان في اواخر رجب ونشبت الحرب بين الفريقين وسُرح وقتل بينهم نفر يسير وعاد كل فريق منهم الى مكانه

ووافق ذلك هروب السلار زين الدين اسمعيل الشحنة واخيه الى ناحية بعلبك ولم تزل الفتنة ثائرة والمجاربة متّصلة الى ان اقتضت الصورة ابعاد من التمس ابعاده من

خوَصَّ محيى الدين وسكنت الفتنة وأطلقت ايدي النهاية في دور السلار زين الدين واخيه واصحابهما وعمهما النهب والارباب ودعت الصورة الى تطيب نفس الرئيس واخيه والخلع عليهما بعد ايمان حلف بها واعادة الرئيس الى الوزارة والرئاسة بحيث لا يكون له في ذلك معترض ولا مُشارك

وورد الخبر بظهور الافرنج الى الاعمال للعث فيها والافساد وشرعوا في التآهب لدفع شرهم . وورد الخبر من ناحية مصر بوفاة صاحبها الامام الحافظ بامر الله امير المؤمنين عبد المجيد بن الامير ابي القاسم بن المستنصر بالله . رحمه الله في الخامس (167^{هـ}) من جمادى الآخرة سنة ٤٤٠ وولي الامر من بعده ولده الاصغر ابو منصور اسمعيل بن عبد المجيد الحافظ ولقب بالظافر بالله وولي الوزارة امير الجيوش ابو القتح ابن مصال المغربي فاحسن السيرة واجمل السياسة واستقامت بتدييره الاعمال وصلحت الاحوال ثم حدث من بعد ذلك من اضطراب الامور والحلف المكروه بين السودان والريحانية بحيث قتل بين الفريقين الخلق الكثير وسكنت الفتنة بعد ذلك وانتشر الامن بعد الخوف . وقد كان الحافظ رحمه الله ولي الامر اولاً في المحرم سنة ٥٢٦ هـ بحيث كانت مدة اقامته فيه ثلثي عشرة سنة وخمسة اشهر وخمسة وعشرين يوماً وكان اول زمانه حسن الافعال والسيرة وبث الاحسان في العسكرية والرعية

وقد كان الخبر اتصل بنور الدين بافساد الافرنج في الاعمال الحورانية بالنهب والسي فغزم على التآهب لقصدتهم وكتب الى من في دمشق يعلمهم ما عزم عليه من الجهاد ويستدعي منهم المعونة على ذلك بالف فارس تصيل اليه مع مقدم يعول عليه وقد كانوا عاهدوا الافرنج ان يكونوا يداً واحدة على من يقصدتهم من عساكر المسلمين فاحتج عليه وغولط . فلما عرف ذلك رحل وتزل بمرج ييوس وبعض العسكرية يبعفون فلما قرب من دمشق وعرف من بها خبره ولم يعلموا اين مقصده وقد كانوا ارسلوا الافرنج بنخبه وقرأوا معهم (١) الانجاد عليه وكانوا قد نهضوا الى ناحية عسقلان لعمارة غزة ووصلت اوائهم الى بانيس . وعرف نور الدين خبرهم فلم يحفل بهم وقال : لا انحرّف عن جهادهم . وهو مع ذلك كاف ايدي اصحابه عن العيث والافساد في الضياع واحسان الرأي في الفلاحين والتخفيف والدعاء له مع ذلك متواصل من اهل دمشق واعمالها وساير البلاد واطرافها . وكان العيث قد انحبس عن حوران والبعوطة والمرج حتى ترج اكثر

اهل حوران عنها للمحل واشتداد الامر وترويع سربهم وعدم شربهم . فلما وصل الى بعلبك اتفق للقضاء المقدّر والرحمة النازلة ان السماء ارسلت عزاليها بكل وابل وطال وانسكاب وهطل بحيث اقام ذلك منذ يوم الثلاثاء الثالث من ذي الحجة سنة ٤٤٠ الى مثله (١٦٧) وزادت الأنهار وامتألت برك حوران ودارت ارجيتها وعاد ما صرح من الزرع والنبات غصنا طريفا وضجّ الناس بالدعاء لنور الدين وقالوا: هذا ببركته وحسن معدلته وسيرته

ثم رحل من منزله بالاعوج وتزل على جسر الخشب المعروف بمنازل العاسر في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٤٤٠ وراسل مجير الدين والرئيس بما قال فيه : انني ما قصدت بنزولي هذا المنزل طالبا لمحاربتكم ولا منازلتكم وانما دعاني الى هذا الامر كثرة شكايه المسلمين من اهل حوران والعربان بان الفلاحين الذين أخذت اموالهم وسُتت نساؤهم واطفالهم بيد الافرنج وعدم الناصر لهم لا يسعني مع ما اعطاني الله وله الحمد من الاقتدار على نصرة المسلمين وجهاد المشركين وكثرة المال والرجال ولا يحل لي القعود عنهم والانتصار لهم مع معرفتي بعجزكم عن حفظ اعمالكم والذب عنها والتقصير الذي دعاكم الى الاستصراخ بالافرنج على محاربتكم وبذلكم لهم اموال الضعفاء والمساكين من الرعية ظلما لهم وتعديا عليكم وهذا ما لا يرضي الله تعالى ولا احدا من المسلمين ولا بد من المعونة بانف فارس تراح (١) العلة تجرد مع من توثق بشجاعته من المقدمين لتخليص ثغر عسقلان وغيره

فكان الجواب عن هذه الرسالة : ليس بيننا وبينك ألا السيف وسيوافينا من الافرنج ما يعيننا على دفعك ان قصدتنا وتزلت علينا . فلما عاد الرسول بهذا الجواب ووقف عليه أكثر التعجب منه والانكار له وعزم على الزحف الى البلد ومحاربتة في غد ذلك اليوم وهو يوم الاربعاء الخامس والعشرون من نيسان فارسل الله تعالى من الامطار وتداركها ودوامها ما منعه من ذلك وصرفه عنه

ودخلت سنة خمس واربعين وخمسمائة

اولها يوم الاثنين مستهل المحرم . وفيه تقرّر الصلح بين تور الدين وارباب دمشق والسبب في ذلك ان نور الدين اشفق من سفك دماء المسلمين ان اقام على حربها

والمضايقة لها مع ما اتصل به من اخبار دعتة الى ذلك واتفق انهم (168^١) بذلوا له الطاعة واقامة الخطبة له على منبر دمشق بعد الخليفة والسلطان والسكة ووقعت الايمان على ذلك وخلع نور الدين على مجير الدين خلعة كاملة بالطوق واعاده مكرماً محترماً وخطب له على منبر دمشق يوم الجمعة رابع عشر المحرم ثم استدعى الرئيس الى المخيم وخلع عليه خلعة مكسلة ايضاً واعاده الى البلد وخرج اليه جماعة من الاجناد والخواص الى المخيم واختلطوا به فوصل من استباحه من الطلاب والفقراء والضعفاء بحيث ما خاب قاصده ولا اكدى من سأل له ورحل عن مخيمه ليلة الاحد عائداً الى حلب بعد احكام ما قرر وتكميل ما دبر

وورد الخبر في الخامس من المحرم من ناحية حلب بان عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب اعزاز واصحابه وحصوله في قبضة الاسر في قلعة حلب فسر بهذا الفتح كافة الناس . وورد الخبر بان الملك مسعود وصل في عسكره طالباً انطاكية ونزل على تل بامر وضايقتها في ايام من المحرم

وفي ايام من المحرم وصل الى دمشق جماعة من حجاج العراق وخراسان المأخوذون في طريق الحج عند عودهم لجماعة من كفار العربان وزطهم واباشهم تجتمعوا في عدد دثر وحكوا مصيبة ما نزل مثلها باحد في السنين الحالية ولا يكون اشنع منها وذكر انه كان في هذا الحج من وجوه خراسان وتنائها وفقهاها وعلمائها وقضاها وخواتين امراء العسكر السلطانية والحرم العدد الكثير والاموال الجمّة والامتعة الوافرة فأخذ جميع ذلك وقتل الاكثر وسلب الاقل الاثر وهتكت النساء وسلبوا وهلك من هلك بالجوع والعطش فضاقت الصدور لهذه النازلة الفادحة والريضة الحادثة فكسا العاري منهم واطلق لهم ما استعانوا بقدره على عودهم الى اوطانهم من اصحاب المرأة والمقدمين بدمشق وذلك بتقدير الحكيم القدير

وقد كان نور الدين عقيب رحيله عن دمشق وحصول ابن جوسلين في قلعة حلب اسيراً توجه في عسكره الى اعزاز بلد ابن جوسلين ونزل عليها وضايقتها وواظب قتالها الى ان سهل الله تعالى ملكتها بالامان وهي على غاية من الحصانة والمنعة والرفعة فلما تسلمها رتب فيها من ثقاته من وثق به ورحل (168^٢) عنها ظافراً مسروراً عائداً الى حلب في ايام من شهر ربيع الاول من السنة

وورد الخبر بعد المضايقة والمجاربة عن تل بامر في يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر

يرحيل الملك مسعود ووصل أكثر 'حماتها' لاسباب اوجبت ذلك ودعت اليه وكان مجاهد الدين 'بزان' قد توجه الى حصنه صرخد لتفقد امواله وترتيب احواله واحوال ولده النائب عنه في حفظه وتقرير اموره وعرضت بعده 'نفرة' بين مجير الدين والرئيس بسعايات اصحاب الاغراض والفساد واقتضت الحال استدعاء مجاهد الدين لاصلاح الحال فوصل وتم ذلك بوساطته على شرط ابعاد الحاجب يوسف حاجب مجير الدين عن البلد مع اصحابه وتوجهوا ولم يعرض لشيء من اموالهم وقصد بعلبك فاكمه عطاء واليها

وقد كانت الاخبار متناصرة من ناحية مصر بالخلف المستمر بين وزيرها ابن مصال وبين الامير المظفر بن سلار وجميع العسكرية ووقوع الحرب منهم وسفك الدماء الى ان اسفرت عن قتل ابن مصال الوزير وظفر ابن سلار به وغلبته على الامر وانتصابه في الوزارة وسمى في صلاح وترتيب الاجناد واطلاق واجباتهم وهدت النائرة وسكنت الفتنة الثائرة

وورد الخبر بوصول منكوبرس في جماعة من الاتراك والتركمان الى ناحية حوران واجتماعه مع الامير سرخاك والي 'بصري' على العيث والفساد في ضياع حوران وقيل ان ذلك باذن نور الدين وقصدوا عمل صرخد بالافساد والارهاب والمضايقة لها ورحلوا بعد ذلك الى غيرها للافساد ومنع الفلاحين من الزرع

وفي يوم الاثنين السابع عشر من رجب من السنة توفي القاضي بهاء الدين عبد الملك بن الفقيه عبد الوهاب الحنبلي رحمه الله وكان اماماً فاضلاً مناظراً مستقلاً مفتياً على مذهب الامامين احمد وابي حنيفة رحمهما الله بحكم ما كان (يجري) عليه عند اقامته بخراسان لطلب العلم والتقدم وكان (فصيح) اللسان بالعربية والفارسية حسن الحديث في الجدل والهزل وكان له يوم دفنه في جوار ابيه وجدته في مقابر الشهداء رحمهما الله مشهود بكثرة العالم والباكين حول سريره والمؤبنين له والمتأسفين عليه (169^٢) وتوفي ايضاً عقيب وفاته الشريف القاضي النقيب ابو الحسين فخر الدولة ابن القاضي بن ابي الجن رحمه الله في يوم الخميس العشرين من رجب من السنة ودُفن في مقابر فخر الدولة جدته رحمه الله وتفجع الناس له لخبرته وشرف نيته

وفي رجب من السنة وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره بعسكر الافرنج

النازلين بازائه قريباً من تلّ باشر وعظم النكابة فيهم والفتك بهم وامتألت الايدي من غنائهم وسيبهم واستيلائه على حصن خالد الذي كان مضايقة ومنازلة وفي العشر الاخير من رجب ورد الخبر من حوران بان الامير منكوبرس التقى في المعروف بالنوسه (كذا) الحاجي ورجاله من عسكر دمشق فهزمه وجرحه جرحاً تمسك منه وحمل الى البلد فمات في الطريق ووصل وقبر في مقابر الفراديس في يوم الاثنين السادس من شعبان من السنة

وفي يوم الاربعاء الرابع عشر من شهر رمضان ارسلت السماء عزاليها بثلج لم ير في السنين الحالية مثله وتقاتت به الايام بحيث عم كثيراً من اقطار ارض حوران والبقاع والبرية وقيل ان اقصاه من بلاد الشمال الى قلعة جعبر وجرت اودية حوران ودارت ارحيتها وامتألت بركها وفاضت آبارها واستبشر الناس بهذه النعمة العامة وشكروا موليا والمنعم بها وزادت انهار بردى والعيون عقيب ذلك زيادة وافرة وسرت النفوس وتتابع بعد ذلك غيث كانون الثاني روى الزراعات ومنابت العشب

وفي يوم السبت الثالث من ذي الحجة من السنة توفي القاضي المكين ابو البركات محفوظ ابن القاضي ابي محمد الحسن بن مصري رحمه الله بعلة طالت به وهو في اواخر الثمانين، وكان مشهوراً بالخير والعفاف وسلامة الطبع

وورد الخبر من ناحية مصر بالخلف المستمر بين وزيرها العادل بن سلار واجنادها بحيث الدماء بينهم مسفوحة وابواب الشر والعناد مفتوحة

ودخلت سنة ست واربعين وخمسمائة

واولها يوم الجمعة مستهل المحرم . وفي يوم الاربعاء العاشر من المحرم من هذه السنة المباركة نزل اوائل عسكر نور الدين على ارض عذراء من عمل دمشق وما والاها (169) وفي يوم الخميس تاليه قصد فريق وافر منهم ناحية السهم والنيب وكنوا عند الجبل لعسكر دمشق فلما خرج منها اليها اسرع النذير اليهم فحذرهم وقد ظهر الكمين فانهزموا الى البلد وخرج من اعقابهم وسلموا من الايقاع بهم وفي يوم الجمعة تاليه وصل نور الدين في عسكره ونزل على عيون فاسرياً ما بين عذراء ودومة وامتدوا الى تلك الجهات وفي يوم السبت التالي له رحلوا من ذلك المكان وتزلوا في اراضي حجيرا وراوية وتلك الجهات في الحلق الكثير والجهم الغفير وانبتت ايدي المفسدين في عسكر الدمشقي

والاوباش من اهل العيث والافساد في زروع الناس فحصدوها واستأصلوها وفي الثار فافتوها بلا مانع ولا دافع وضر ذلك باصحابها الضر الزائد وتحرك السعر وانقطعت السابة وضائق الصدور ووقع التأهب والاستعداد لحفظ البلد والسور ووافقت رسل نور الدين الى ولاية امر البلد تقول: انا ما أوترأ إلا صلاح المسلمين وجهاد المشركين وخلاص من في ايديهم من الاسارى فان ظهرتم معي في عسكر دمشق وتعاضدنا على الجهاد وجرى الامر على الوفاق والسداد فذلك غاية الاثار والمراد فلم يعد الجواب اليه بما يرضاه ويوافق مبتغاه (١)

وفي يوم السبت الثالث والعشرين منه رحل نور الدين في عساكره عن ذلك المتزل بحيث نزل في ارض مسجد القدم وما والاها من الشرق والغرب ومبلغ منتهى الحميم الى المسجد الجديد قبلي البلد وهذا منزل ما تزل احد من مقدمي العساكر فيما سلف من السنين وجرى بين اوائل العسكر وبين من ظهر اليه من البلد مناوشات ثم عاد كل الى مكانه ولم تزل الحال مستمرة من العسكر النوري على اهمال الزحف الى البلد ومحاربة من فيه اشفاقاً من قتل النفوس واخذان الجراح في مقاتلة الجهتين بحيث اطلقت ايدي المفسدين من القريتين في الفساد وحصد زراعات المروج والغوطة وضواحي البلد وخراب مساكن القرى وتقل أبقاضها الى البلد والعسكر وزاد الاضرار باربابها من التناء والفلاحين وترايد طمع الرعاع والاوباش في التناهي في الفساد بلا رادع لهم ولا مانع منهم وعديم التنبه لعلف الكراع في جميع الجهات وارتفع السعر وعظم (١٧٠) الخطب وصعب الامر والابخار تتناصر باحتشاد الافرنج واجتماعهم للانجاد لاهل دمشق والاسعاد وقد ضاقت صدور اهل الدين والصلاح وزاد انكارهم لمثل هذه الاحوال المنكرة والاسباب المستبشرة ولم تزل الحال على هذه القضية المكروهة والمناوشات في كل يوم متصلة من غير مزاحفة ولا محاربة الى يوم الخميس الثالث عشر من صفر من السنة ثم رحل العسكر النوري من هذه المنازل وتزل في اراضي فدايا وحلقبتين والخامسين المصابقة للبلد وما عرف في قديم الزمان من اقدم من الجيوش على الدنومنها ونشبت المطاردة في اليوم المذكور وكثر الجراح في خيالة البلد ورجاله وملك مواشي الفلاحين

(١) وقال سبط ابن الجوزي ان نور الدين ارسل الى مجير الدين يقول: قد كنت اتفقت معكم وحلفت لكم والآن قد صبح عندي انكم ظاهرتم الافرنج و(ان) اعطيتموني ساكرم لاجاهد في سبيل الله رجعت عنكم فلم يرد جواباً

والضعفاء ودواب المتعلقة من البلد وما يخص فلاحي القوطة والمزج والضواحي . ثم رحل في يوم الخميس العشر من صفر عائداً الى ناحية دارياً لتواصل الارجاف بقرب عسكر الافرنج من البلد للانجاد ليكون قريباً من معايرهم لقوة العزائم على اقاتهم والاستعداد لحربهم لان العسكر النوري قد صار في عدد لا يحصى كثرة وقوة وفي كل زيادة بما يتواصل من الجهات وطوائف التركمان ونور الدين مع هذه الحال لا يأذن لاحد من عسكره في التسرع الى قتال احد من المسلمين من رجال البلد وعوامه تحرجاً من اراقة الدم فيما لا يجدي نفعاً اذ كانوا يحملهم الجهل والغرور على التسرع والظهور ولا يعودون الا خاسرين مفلولين . واقام على هذه الصورة ثم رحل الى ناحية الاعوج لقرب عسكر الافرنج وعزمهم الى قصده . واقتضى رأيه الرحيل الى ناحية الزبداني استجراراً لهم وفرق من عسكره فريقاً يناهز اربعة الف فارس مع جماعة من المقدمين ليكونوا في اعمال حوران مع العرب لقصد الافرنج ولقاتهم وترقباً لوصولهم وخروج العسكر الدمشقي اليهم واجتماعهم ثم تقاطع عليهم

واتفق ان عسكر الافرنج وصل عقيب رحيله الى الاعوج ونزل به في اليوم الثالث من شهر ربيع الاول سنة ٤٦٠ ووصل منهم خاق كثير الى البلد لقضاء حوائجهم وخروج مجير الدين وموئده في خواصهما وجماعة وافرة من الرعية واجتمعوا بملكهم وخواصه وما (170) صادفوا عندهم شيئاً مما هجس في النفوس من كثرة ولا قوة وتقرر بينهم النزول بالعسكريين على حصن بصرى لملكه واستغلال اعماله

ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء ولم يتهيأ خروج العسكر الدمشقي اليهم لعجزهم واختلافهم وقصد من كان بحوران من العسكر النوري ومن انضاف اليهم من العرب في خلق كثير ناحية الافرنج للايقاع بهم والنكاية فيهم والتجأ عسكر الافرنج الى لجاة حوران للاعتصام بها وانتهى الخبر الى نور الدين فرحل ونزل على عين الجر من البقاع عائداً الى دمشق وطالبا قصد الافرنج والعسكر الدمشقي . وكان الافرنج حين اجتمعوا مع العسكر الدمشقي قد قصدوا بصرى لملكها ومضايقها ومحاربتها فلم يتهيأ ذلك لهم وظهر اليهم سرخاك واليهما في رجاءه وعادوا عنه خاسرين وانكفاً عسكر الافرنج الى اعماله في العشر الاوسط من شهر ربيع الاول من السنة وراسلوا مجير الدين وموئده يلتصقون باقي المقاطعة المبذولة لهم على ترحيل نور الدين عن دمشق وقالوا: لولانحن ندفعه ما رحل عنكم

وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاصطول المصري الى ثغور الساحل في غاية من القوة وكثرة العدة والعدة وذكر ان عدة مراكبه سبعون مركبا حربية مشحنة بالرجال ولم يخرج مثله في السنين الخالية وقد أنفق عليه ما حكي وقرب ثلثائة الف دينار وقرب من يافا من ثغور الافرنج قتلوا واسروا واحرقوا ما ظفروا به واستولوا على عدة وافرة من مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا ثغرا عكّا وفعلوا فيه مثل ذلك وحصل في ايديهم عدة وافرة من المراكب الحربية الافرنجية وقتلوا من حجاج وغيرهم خلقا عظيما وانفذوا ما امكن الى ناحية مصر وقصدوا ثغرا صيدا ويروت وطرابلس وفعلوا فيها مثل ذلك. ووعد نور الدين بمسيره الى ناحية الاسطول المذكور لاعتته على تدوين الافرنجية واتفق اشتغاله بامر دمشق وعوده اليها لمضايقتها وحدث نفسه بملكيتها لعله بضعفها وميل الاجناد والرعية اليه واشارتهم لولايته وعدله وذكر ان نور الدين امر بعرض عسكره وحصره فذكر انه بلغ كمال ثلثين الف مقاتلة. ثم رحل وتزل بالدلمية من عمل البقاع ثم رحل منها طالبا نحو دمشق وتزل في (171٢) ارض كوكبا من غربي داريا في يوم السبت الحادي والعشرين من ربيع الاول وغارت الخيل على طريق حوران الى دمشق فاشتملت على الشيء الكثير من الجمال والغلة والمواشي وغاروا على ناحية القوطة والرج واستاقوا ما صادفوا من المواشي ثم رحل عن هذا المنزل في يوم الاثنين وتزل من ارض داريا الى جسر الخشب ونودي في البلد بخروج الاجناد والاحداث اليه فلم يظهر منهم الا اليسير ممن كان يخرج اولاً (١) وفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين من الشهر رحل من هذا المنزل وتزل في ارض القطيعة وما والاها ودنا منها بحيث قرب من البلد ووقعت المناوشة بين الفريقين من غير زحف ولا شد في محاربة.

وورد الخبر الى نور الدين بتسليم الامير تاييه الامير حسن (حسان) المنبجي مدينة تل باشر بالامان في يوم الخميس الخامس وعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٤٦ وضربت في عسكره الطبول والكوسات والبوقات بالبشارة وورد مع السيد جماعة من اعيان تل باشر لتقرير الاحوال

واستمر رأي نور الدين على الزحف الى البلد ومحاربة اهله وعسكرته تخرجاً من قتل المسلمين وقال: لا حاجة الى قتل المسلمين بايدي بعضهم بعضاً وانا ارفقهم

(١) وقال سبط ابن الجوزي: هذا لما وتر في نفوسهم من استنجاد مجير الدين وابن الصوفي

ليكون بذل نفوسهم في مجاهدة المشركين. وحدثت مع هذه النية تردد المراسلات في عقد الصلح في أيام من شهر ربيع الآخر على شروط اشير اليها واقتراحات عين عليها وتردد فيها الفقيه برهان الدين علي البلخي والامير اسد الدين شيركوه واخوه نجم الدين ايوب (١) وتقارب الامر في ذلك وترددت المراسلات الى ان استقرت الحال على قبول الشروط المقترحة ووقعت الأيمان من الجهتين على ذلك والرضا به في يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الآخر من السنة ورحل نور الدين في عسكره في يوم الجمعة عد اليوم المذكور طالباً ناحية بصرى للتزول عليها والمضايقة لها والتمس من دمشق ما تدعو اليه الحاجة من آلات الحرب والمناجيق لان سرخالك الوالي المذكور كان بها كان شاع عصيانه وخلافه ومال الى الافرنج واعتضدهم فانكر نور الدين ذلك عليه وانقض فريقاً وافراً من عسكره اليه

وورد الخبر من ناحية قلعة جعبر في يوم السبت الثالث عشر من (١٧١٦) شهر ربيع الآخر بان صاحبها الامير عز الدين علي بن مالك بن سالم بن مالك خرج في اصحابه الى عسكر الرقة وقد غار على اطراف اعماله لتخليص ما استاقوا منه فالتقى الفريقان وسبق اليه سهم من كمين ظهر عليهم وعاد به اصحابه الى قلعة جعبر وجلس ولده مالك بن علي في منصبه واجتمع عليه جماعة أسرته واستقام له الامر من بعده

ووردت الاخبار في سنة ٤٦ من ناحية مصر بان اهل دمياط حدث فيهم فناء عظيم ما عهد مثله في قديم ولا حديث بحيث أحصي المفقود منهم في سنة ٥٤٥ سبعة الف شخص وفي سنة ٤٦ مثلهم سبعة الف بحيث يكون الجميع اربعة عشر الفا وثلث دُور كثيرة من اهلها وبقيت مُغلقة ولا ساكن فيهم ولا طالب لهم وفي يوم السبت الثاني من جمادى الآخرة سنة ٤٦ توفي القاضي السيد الخطيب

(١) قال القاري في تاريخه : ان في سنة ٥٥٠ وثب قسوس بمدينة آنة واخذوها من الامير فخر الدين شداد (بن) منوچهر وسلمت الى اخيه الامير فضلون . وخرج الامير شداد من تلك البلاد وطلب الشام وقصد اسد الدين شيركوه وكان ابوه شاذي من اتباع هذا البيت وهو بيت قديم في هذا الطرف ويعرف بيت ابن ابي الاساور بن منوچهر وكان جميع ولاية اران من جتري ودرز وجميع البلاد التي حولهم

ابو الحسين (١) بن ابي الحديد خطيب دمشق رحمه الله وكان خطيباً سديداً مبلغاً متصوفاً عفيفاً ولم يكن له من يقوم مقامه في منصبه سوى ابي الحسن الفضل ولد ولده حدث السن فُتُصِبَ مكانه وخطب وصلى بالناس واستمر الامر له ومضى فيه

ووردت الحكايات بحدوث زلزلة وافت في الليلة الثالثة عشر من جمادى الآخرة سنة ٤٦ اهتزت الارض لها ثلاث رجفات في اعمال بصرى وحوران وسكنت وما والاها من سائر الجهات وهدمت عدة وافرة من حيطان المنازل بصرى وغيرها ثم سكنت بقدرة من حرّكها وسكنها سبحانه وتعالى انه على كل شيء قدير

وفي يوم الخميس الثاني عشر من رجب سنة ٤٦ توجه مجير الدين صاحب دمشق الى حلب في خواصه ووصل اليها ودخل على نور الدين صاحبها واكرمه وبالغ في الفعل الجليل في حقه وقرّر معه تقريرات اقترحها عليه بعد ان بذل له الطاعة وحسن النيابة عنه في دمشق وانكفاً عنه مسروراً بما قصده في حقه من الاكرام وحسن الاحترام ووصل الى دمشق في يوم الثلاثاء السادس من شعبان من السنة

وفي آخر شعبان ورد الخبر من ناحية بانياس بان فريقاً وافراً (172٣) من التركمان غاروا على ظاهرها وخرج اليهم واليها من الافرنج في اضعابه وواقفهم فظهر التركمان عليهم وقتلوا منهم واسروا ولم يفلت منهم غير الوالي وتفرّ يسيراً واتصل الخبر بمن في دمشق فانكر مثل هذا الفعل بحكم انعقاد الهدنة والمواذعة وانهض اليهم من العسكر الدمشقي من صادف بعض التركمان متخلفاً عن رُفقتهم فحصلوا منهم ما كان في ايديهم وعادوا ثلاثة نفر منهم

وفي ايام من اوائل رمضان من السنة ورد الخبر بان اكثر عسكر الافرنج قصدوا ناحية البقاع على غرة من اهلها وغاروا على عدة وافرة من الضياع فاستباحوا ما بها من رجال ونسوان وشيوخ واطفال واستاقوا عواملهم ومواشيهم ودوابهم واتصل الخبر بوالي بعلبك فانهض اليهم رجاله واجتمع اليهم خلق كثير من رجال البقاع واسرعوا نحوهم القصد ولحقوهم وقد ارسل الله تعالى عليهم من الثلوج المتداركة ما ثبّطهم

(١) ساء سبط ابن الجوزي « عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابا الحسين بن ابي القاسم بن ابي حديد » وحكي أنهم كانوا يبيت ابي الحديد يتوارثون نعل النبي صلعم وانهم كانوا قد انقرضوا فلم يبق منهم احد

وحَيَّرَهُمْ فَقَتَلُوا مِنْ رِجَالِهِمُ الْكَثْرَ وَاسْتَخْلَصُوا مِنَ الْأَسْرَى وَالْمَوَاشِي مَا سَلِمَ مِنَ الْهَلَاكِ بِالثَّالِثِ وَهُوَ الْأَقْلُ وَعَادُوا عَلَى أَقْبَحِ صِفَةٍ مِنَ الْخَذْلَانِ وَسُوءِ الْحَالِ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ لِلْمُسْلِمِينَ

وَفِي يَوْمِ السَّبْتِ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ وَهُوَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ مِنْ شَيَاطِ وَأَفْتِ قَبِيلِ الظُّهْرِ زَلْزَلَةٌ اهْتَزَّتْ لَهَا الْأَرْضُ ثَلَاثَ هَزَّاتٍ هَائِلَةٍ وَتَحَرَّكَتِ الدُّوَرُ وَالْجُدُرَانِ ثُمَّ سَكَتَتْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ

وَدَخَلَتْ سَنَةٌ سَبْعٌ وَارْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةً

أَوَّلُهَا يَوْمُ الثَّلَاثِ مُسْتَهْلَ الْحَرَمِ . وَفِي الْحَرَمِ مِنْهَا وَرَدَ الْحَبَرُ مِنْ نَاحِيَةِ نُورِ الدِّينِ بِزُولِهِ عَلَى حَصْنِ أَنْطَرُطُوسٍ فِي عَسْكَرِهِ وَافْتِتَاحِهِ لَهُ وَقُتِلَ مِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الْإِفْرَنْجِ وَطَلَبَ الْبَاقُونَ الْأَمَانَ عَلَى النُّفُوسِ فَأُجِيبُوا إِلَى ذَلِكَ وَرَتَّبَ فِيهِ الْحَفِظَةَ وَعَادُوا عَنْهُ وَمَلَكَ عِدَّةٌ مِنَ الْحَصُونِ بِالسَّيْفِ وَالسَّبِي وَالْأَخْبَابِ وَالْحَرْقِ وَالْأَمَانَ وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ مِنْ نَاحِيَةِ عَسْقلَانٍ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ الْعَاشِرِ مِنَ الْحَرَمِ بِظُفْرِ رِجَالِ عَسْقلَانٍ بِالْإِفْرَنْجِ الْمَجَاوِرِينَ لَهُمْ بِغَزَّةٍ بِحَيْثُ هَلَكَ مِنْهُمْ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ . وَفِي لَيْلَةِ الثَّلَاثِ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْحَرَمِ مِنْ أَوَّلِ نَيْسَانَ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى غِيَاً (١٧٢٧) هَطَّالًا مَجَلَّلًا بِالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ الْمُتَتَابِعَةِ مَا زَادَتْ مَعَهُ مَيَاهُ بَرْدَى زِيَادَةً وَافِرَةً وَتَصَنَدَلَ لَوْنُ مَانِهَا بِمَسَائِلِ الْأَوْدِيَةِ وَالْجِبَالِ وَانْتَفَعَتْ بِهِ زَرَاعَاتُ السَّقْيِ وَالْبَعُولُ نَفْعًا ظَاهِرًا وَفِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ إِيَّارٍ مِنْ صَفَرٍ سَنَةِ ٤٧ كَانَ مِنْ زَجْجَةِ الرُّعُودِ وَتَتَابُعِ الْبُرُوقِ وَالْأَمْطَارِ فِي عِدَّةٍ جِهَاتٍ مَا زَادَتْ بِهِ الْأَنْهَارُ وَسَالَاتٍ مَعَهُ شُعَابُ الْجِبَالِ وَالْأَوْدِيَةِ . وَفِي وَقْتِ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْإِحْدِ الثَّانِي وَالْعَشْرِينَ مِنْ إِيَّارٍ وَالْعَشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنَ السَّنَةِ نَشَأَتْ غَمَامَةٌ بِرُّعُودٍ مَجْلُجَةٍ هَائِلَةٍ مُتَتَابِعَةٍ لَا تَقَرُّ مُزْجَعَةٌ ثُمَّ انْهَلَتْ بِوَابِلٍ هَطَّالٍ جَوْدٍ بِالْمَطَرِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ثُمَّ أَقْبَلَتْ بَرْدَى بِاللَّيْلِ بِالسَّيْلِ الزَّائِدِ الْمُتَغَيِّرِ اللَّوْنِ بِمَاءِ الْجِبَالِ الْمُخْتَلِفِ بِحَيْثُ أَفْعَمَتْ الْأَنْهَارُ وَالسُّوَاكِي وَالْمَجَارِي وَاحْمَرَّتْ أَمَاكِنُهَا وَصَادَفَتْ طَرَحَاتُ الزَّرْعِ وَالْكَدَّاسَةِ فَنَيَّرَتْ الشَّعِيرَ وَصَفَّرَتْهُ وَسَكَتَتْ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَنُفِعَ مِنْ نَشَأَتِهَا ثُمَّ حَضَرَ مِنْ شَاهِدِ هَذَا الْعَارِضِ وَحَكِيَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْبَرْدِ الْكِبَارِ مَا حَدَّثَهُ بِحَيْثُ أَفْسَدَ مِنَ الْمَوَاشِي الْكَثِيرِ وَهَدَمَ بَعْضَ دُورِ الْغُوطَةِ وَصَارَ الْمَاءُ فِي الْحُقُولِ رَاكِدًا وَسَائِغًا بِالْأَنْهَارِ الْمَغْدُودَةِ وَحَكِيَ الْحَاكِي أَنَّ هَذَا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ فِي الْأَزْمَانِ

وفي اواخر صفر سنة ٤٧٢ توجه مجير الدين في العسكر ومعه مؤيد الدين الوزير الى ناحية حصن بصرى ونزل عليه محاصراً لسرخالك واليه ومضايقا لاهليه لمخالفته لاوامره ونواهي وجوره على اهل الضياع الحورانية واعتدائه عليهم والزامهم ما لا طاقة لهم به واستدعى المنجنقيات وآلة الحرب لمنازلها . واتفق لمجير الدين المصير الى صرخد لمشاهدته واستأذن مجاهد الدين واليه في ذلك فقال له : هذا المكان بحكمك وانا فيه من قبلك . وانفذ الى ولده سيف الدين محمد النائب فيه باعتداد ما يحتاج اليه وتلقى مجير الدين بما يجب له فخرج اليه في بعض اصحابه ومعه المفاتيح فوفاه ما يجب له من الاعظام واجلى الحصن من الرجال ودخل اليه في خواصه . فسر بذلك وتعجب من فعل مجاهد الدين وشكره على ذلك وقدم اليه ما اعده من القود والتحف وعاد عنه شاكراً الى مخيمه على بصرى وحاربها عدة ايام الى ان استقرت (173) الصلح والدخول فيما اراد وعاد الى البلد . وفي اوائل شعبان من السنة وردت الاخبار ب وفاة السلطان غياث الدنيا والدين مسعود ابن السلطان محمد

وفي العشر الاول من شوال من السنة الموافق للعشر الاول من تشرين الثاني تغير الماء والهواء في دمشق وعرض لاهلها الحُمى والسعال بحيث عم الحاص والعام والشيوخ والشباب والاطفال بحيث وقع الزحام على حوانيت العطارين لتحصيل الغلي . وحكى الحاكم ان بعض العطارين احصى ما باعه في يوم فكان ثلاثمائة وثمانين صفة والسالم منه والمعافي الاكثر وما يُقيم هذا المرض بالانسان اكثر من الاسبوع ودونه يعيى من قضي اجله وضعف امر المغسلين والحفارين واحتيج اليهم لكثرة الموتى . وفي يوم السبت الرابع وعشرين من شوال من السنة توفي الامير سعد الدولة ابو عبد الله محمد بن المحسن بن الملحي رحمه الله ودُفن في مقابر الكهف وكان فيه اذب وافر وكتابة حسنة ونظم جيد وتقدم والده في حلب في التدبير والسياسة وعرض الاجناد ودخلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

اولها يوم الاحد والشمس في برج الحمل والطالع الجدي . وفي سادس وعشرين من المحرم منها ورد الخبر من ناحية مصر بان العادل المعروف بابن سلار الذي كانت رتبته قد علت ومنزلته في الوزارة قد تمكنت ونفذ امره في البسط والقبض وحكمه في الارام والنقض وانه كان قد جلس للانفاق في رجال الاسطول ليجهزه في البحر الى ناحية عسقلان بالميرة لتقوية من بها على النازلين عليها من الافرنج والمضايقين لها وهو في

الجمع الكثير والجهم الغفير بالمال والرجال والغلال واشراف اهلها على الخطر وانه نهض من المجلس على العادة للراحة من النصب والهجة عقيب التعب وكان لزوجته ولد يُعرف بالامير عباس قد قدمه واعتمد عليه في الاعمال ولعباس هذا ولد قدمه الوزير وانعم عليه واذن له في الدخول بغير اذن اليه فدخل عليه وهو نائم في فرشته على (173) العادة فاخذ سيفه وضربه به فقطع رأسه وخرج به بين اثوابه ولم يشعر احد واتى به الى باب القصر في يوم الاحد الثاني عشر من المحرم وقال لخدم الامام الظافر بالله : هذا رأس المنافق . قليل له : ما كان منافقا . وكان جماعة من الاتراك قد اصطنعهم الوزير المقتول لنفسه فتجمعوا في زهاء ثلثائة فارس وانهم طلبوا ليقتلوا فحموا نفوسهم بالسهم وحصلوا بظاهر القاهرة وصادفهم عباس عائدا من بليس حين وافاه الخبر فوعدهم الجليل واقرارهم على واجباتهم فلم يثقوا به وتفرقوا على اقبح حال ووصلوا الى دمشق في اواخر المحرم وقيل ان عباسا المذكور حصل في منصب العادل المذكور واستقام له الامر وتمكن في الاعمال وقيل ان العادل كان قد قتل من الحبرية والريحانية واصناف الاجناد حتى استقام له الامر وتمكن في الاعمال

وتواصلت الاخبار من ناحية نور الدين سلطان حلب والشام بقوة عزمه على جمع العساكر والتركمان من سائر الاعمال والبلدان للغزو في احزاب الشرك والطغيان وبنصرة اهل عسقلان على النازلين عليها من الافرنج وقد ضايقوها بالزحف اليها بالبرج الخدول وهو في الجمع الكثير والله يحربها من شرهم واقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين في جمهور عسكره للتعاقد على الجهاد في يوم السبت الثالث عشر من المحرم واجتمع معه في ناحية الشمال واتفق بينهما وجماعة المقدمين من امراء الاعمال والتركمان وهم في العدد الدثر . وقد ملك نور الدين الحصن المعروف بافلس بالسيف بامر قضاء الله وسهله ويسره وعجله وهو في غاية المنعة والحصانة وقتل من كان فيه من الافرنج والارمن وحصل للعسكر من المال والسيي الشيء الكثير

ونهضوا طالبين ثغر بانياس وتزلوا عليه في يوم السبت التاسع وعشرين صفر وقد خلا من حماته وتسهلت اسباب ملكته وقد تواصلت استغاثة اهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين فقضى الله تعالى بالحلف بينهم والقتل وهم في تقدير عشرة الف فارس وراجل فاجفلوا عنها من غير طارق من الافرنج طرقهم ولا عسكر (174) منهم ارقهم وتزلوا على المنزل المعروف بالاعوج وعزموا على معادة النزول على بانياس واخذها ثم

احجموا عن ذلك من غير سبب ولا موجب وتفرقوا. وعاد مجير الدين الى دمشق ودخلها سالماً في نفسه وجملته في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الاول من السنة وعاد نور الدين الى حمص ونزل بها في عسكره.

ووردت الاخبار بوصول اسطول مصر الى عسقلان وقويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال وظفروا بعدة وافرة من مراكب الافرنج في البحر وهم على حالهم في محاصرتها ومضايقتها والزحف بالبرج اليها.

قد تقدم من شرح الحال للرئيس في تمكنه من منصب الوزارة بنفيه من نفاه من المعاندين له بحيث طابت نفسه وتوكد انه فخرض بينه وبين اخويه عز الدولة وزينها مشاحنات ومشاجرات اقتضت المساعدة الى مجير الدين في جمادى الاولى من السنة وانفذ مجير الدين الى الرئيس يستدعيه للاتصال بينهم في القلعة فامتنع من ذلك وجلس في داره وهم بالتحقق عنه باحداث البلد والفوضى. وآلت الحال الى تمكن زين الدين منه بمعاونة مجير الدين عليه لاسباب تقدمت وتقرر بينهما اخراج الرئيس من البلد وجماعته الى حصن صرخد مع مجاهد الدين بزان واليه في يوم الثلاثاء التاسع عشر من جمادى الاولى بعد ان قرر له بقاء داره وبستانه وما يخصه ويخص اصحابه وتقلد اخوه زين الدين له مكانه وخلع عليه وامر ونهى ونفذ الاشغال على عادته في العجز والتقصير وسوء الافعال والتاس الرشاء على اقل الاعمال. ورأى مجير الدين عقيب ذلك التوجه الى بعلبك لتخليب نفس واليها عطاء الخادم واستصحابه معه الى دمشق لينوب عنه في تدبير الامور والاعمال والمعونة على مصالح الاحوال وعاد وهو معه واستشعر مجاهد الدين ان نية مجير الدين قد تغيرت فيه فاستوحش من عودته الى البلد عن غير عين يحلف له بها على ايمانه على نفسه فوعد بالاجابة الى ما رغب فيه وبقي الامر موقوفاً لاسباب اقتضت التوقف.

ووردت الاخبار في اثناء ذلك بان الافرنج النازلين على عسقلان قد (174) ضايقوها بمغادة القتال ومراوحتهم الى ان تسهلت لهم اسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها فهدموه وهجموا البلد وقتل بين الفريقين الخلق الكثير والحالات الضرورة والغلبة الى طلب الامان فأجبيوا اليه وخرج منها من امكنه الخروج في البر والبحر الى ناحية مصر وغيرها. وقيل ان في هذا الثغر المفتوح من العدد الحرية والاموال والميرة

والغلال ما لا يحصر فيذكر (١). ولما شاع هذا الخبر في الاقطار ساء سماعه وضاعت الصدور وتضاعفت الافكار بحدوث مثله فسبحان من لا يُردّ نافذ قضائه ولا يدفع محتوم امره عند نفوذه ومضائه

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الاديب ابي الحسين احمد بن منير الشاعر في ايام من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ بعلة هجمت عليه ربا فيها لسانه بحيث قضى نحبه وكان اديباً شاعراً عارفاً بفنون اللغة واوزان العروض لكنه مرهوب اللسان بحيث الهجاء يُعيد فيه لا يكاد يسلم من مقاطيع هجائه منعم عليه ولا مُسيء اليه وكان طبعه في الدم اخف منه في المدح وكان يصل بهجائه لا بمدحه وثنائه

ووصل الى دمشق الاديب ابو عبد الله محمد بن (نصر ويقال له ابن) صغير القيسراني الشاعر من حلب يوم الاحد الثاني عشر من شعبان سنة ٤٨ هـ باستدعاء مجير الدين له وحضر مجلسه وانشده قصيدة حترها يائنة مقيدة حسنة المعاني والمقاصد فاستحسنها السامعون واستجادها وشفعها بغيرها ووصله احسن صلة واتفق عوده الى منزله فعرضت له حتى حادثة وجاء معها اسهال مُفرط قضى نحبه في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان من السنة وكان اديباً شاعراً مترسلاً فاضلاً بليغ النظم مليح المعاني كثير التطبيق والتجنيس وله يد قوية في علم النجوم والاحكام والهيئة وحفظ الاخبار والتواريخ وكان بينه وبين ابي الحسين احمد بن منير على قديم الزمان مشاحنات حرص معها على الاصلاح بينهما فما تهيأ ذلك لمن رامه وكان بينهما هذه المدة اليسيرة (٢)

(١) وقال الفارقي في تاريخه: ان الخليفة الظاهر لما علم ان الافرنج مُنازل عسقلان كان نقل رأس الحسين بن عليّ عليهما السلام الى مصر وتبى عليه بمصر شهداً وغرم عليه مالا عظيماً لا يحصى. وقال سبط ابن الجوزي: بلغني ان سبب تسليم عسقلان الى الافرنج ان اهلها في ضيقة عظيمة يرتقبون في كل يوم الاسطول والتجدة تأتيم من مصر فينسا هم في آخر نفس اذا بركب صفيح من مصر قد اقبل فاستبشروا وظنوا انه مقدم التقوية واذا في رجل معه كتاب من الفائز بامر الله صاحب مصر الى والي عسقلان يقول فيه: ساعة وقوفك على هذا الكتاب تنفذ لنا مقصبة عسقلان فانه قصب غليظ فجعلها شبابات للجواري. فقال للرسول: نعم الى غداة عدي. ثم خرج في الليل الى الافرنج واخذ منهم اماناً لاهل البلد فلما طلع الفجر فتح الابواب ودخل الافرنج البلد فاحضر الرجل الذي جاء بالكتاب فقال: هذا هو الجواب. وفي حاشية: دونك خسارة عقل هذا الامير

(٢) وفي كتاب المبرر للحافظ الذهبي: ان القيسراني تولى اذان الساعات التي بدمشق مدة ثم سكن حلب

وكان قد ورد من بغداد الى دمشق في اوائل سنة ٥٤٨ هـ الشيخ الامام الفيلسوف ابو الفتح بن الصالح وكان غاية في الذكاء وصفاء الحسن والنفاذ في العلوم الرياضية (175٣) الطب والهندسة والمنطق والحساب وفنون النجوم والاحكام والموايد والفقه وما يتصل به وتوازيخ الاخبار والسير والاداب بحيث وقع الاجتماع عليه بانه لم يُر مثله في جميع العلوم وحسن الخلق وتزاهة النفس بحيث لا يقبل من احده من الولاة صلة قلت او كثرت واتفق للحنين المقضي انه عرض له مرض حاد ومعه اسهال مُفرط اضعف قوته اقام به اياماً وتوفي الى رحمة الله في دمشق يوم الاحد السادس والعشرين من شعبان من السنة وقيل انه من بيت كبير في العلم والاصل ونظم فيه هذه الايات بصفة حاله في هذا الموضع ليعرف محله :

سردت ابا الفتح نفوس قوم	راوك وحيد فضلك في الزمان
حويت علوم اهل الارض طراً	وبيئت الحلي من البيان
دعيت الفيلسوف وذاك حق	بما اوضحت من غرر المعاني
ووافاك القضاء بعيد دار	غريباً ما له في الفضل ثمان
فاودعت القلوب عليك حزناً	يعض عليه اطراف البنان
ان بخل الزمان علي ظلماً	باني لا اراك ولن تراني
فقد قامت صفاتك هند مثلي	مقام السع مني والبيان
سقي جدثاً به أصبحت فرداً	ملاك النيث بحي غير وان

وفي ايام من تشرين الثاني الموافق لايام من شعبان سنة ٤٨ هـ ارسل الله تعالى وله الحمد والشكر من الغيث المتدارك المطال ما احيا به الارض بعد القحط والجذب واجرى اودية حوران وافعم بركها بعد جفافها وقيل ان هذا الغيث لم يُر مثله في هذا الوقت في السنين الماضية وانه افراط في اعمال طبرية بحيث حدث منه سيل جارف هدم عدة من مساكنها ورمها الى البحيرة فسبحان محيي عباده ومغيث بلاده

وفي يوم الخميس انسلاخ شعبان من السنة توفي الشيخ الامام الفقيه برهان الدين ابو الحسن علي البلخي رئيس الحنفية رحمه الله ودُفن في مقابر باب الصغير المجاور لقبور الشهداء رضي الله عنهم وكان من التفقه على مذهب الامام ابي حنيفة (175٣) رحمه الله ما هو مشهور شائع مع الورع والدين والعفاف والتصون وحفظ ناموس الدين والعلم والتواضع والتردد الى الناس على طريقة مرضية وسجية محمودية لم يشاركه فيها غيره ووقع الاسف عليه من جميع الخاص والعام والتأبين له والحزن عليه (١)

(١) قال الحافظ ابن عساكر: ان البلخي عاد الى دمشق في اول ملكة نور الدين بعد خروج

قد مضى من ذكر الرئيس المسيب في حصوله بصرخه وتقرر بعد ذلك تطييب نفس مجاهد الدين والحلف له على ازالة ما خامره من الاستيحاش والنفار ما سكن اليه واعتمد عليه وعاد الى داره بدمشق. وَاخِرُ شَعْبَانَ وصام رمضان فيها ثم هجس في خاطره من مجير الدين وخواصه ما اوحشه منهم ودعاه ذلك الى الخروج من البلد سراً في يوم الثلاثاء الثاني عشر من شوال طالباً صرخه حين عرف خبره نهض في طلبه وقص اثره جماعة من الحيل فادركوه وقد قرب من صرخه فقبض عليه واعيد الى القلعة بدمشق واعتقل بها اعتقالاً جميلاً

وحدث في هذه الايام من تتابع الامطار في الاماكن والتلوج في الجبال والاعمال البقاعية ما لم ير مثله ثم ذاب الثلج وسالت بانه الاودية والشعاب وساح على الارض كالنيل الجارف وامتلات به الانهار والتقت الشطوط وافسد ما سر به من الاراضي المنخفضة ووصل المد الى بردي وما قرب منها ورأى من كثرتة وعظمه وتغير لونه ما كثر التعجب منه والاستعظام له فسبحان مالك الملك منزل الفيث من بعد القنوط انه على كل شيء قدير

ثم تجدد عقيب ذلك من الرئيس الوزير حيدرة المتقدم ذكره اشياء ظهرت عنه مع ما في نفس الملك مجير الدين منه ومن اخيه المسيب والمعرفة بالسعي والفساد ما اقتضت الحال استدعاه الى القلعة على حين غفلة منه وعن القضاء النازل به لسوء افعاله وقبح ظلمه وخبثه ثم عدلت به الجندارية الى الجحام بالقلعة في يوم الاحد مستهل ذي القعدة من السنة وضربت عنقه صبراً واخرج رأسه ونصب على حافة الخندق ثم طيف به والناس يلعنونه ويصفون انواع ظلمه وتفنته في الأدعية والفساد ومقاسمة اللصوص وقطاع

ابق منها وتوفي في هذه السنة. وقال سبط ابن الجوزي: ان فيه نظراً لان نور الدين افما ملك دمشق في سنة ٦٤٩هـ وقد حكى لي جماعة من مشايخ دمشق في سنة ٦٥٠هـ عن ابايهم انهم يذكروا حضور نور الدين مجلس البلخي بدمشق في الجامع وما كان يخاطبه الاممود وكان القطب النيسابوري بدمشق فسأل نور الدين ان يحضر مجلسه فحضر فشرع يخاطبه «محمود» فشق على نور الدين وقال للحاجب: اصعد اليه وقل له «لا تخاطبني باسي». فلما افرغ المجلس سأله الحاجب من ذلك فقال لي: ان البلخي اذا قال لي «محمود» قامت كل شعرة في جسدي هيبة له ويرق قلبي. وقال المؤرخ ايضا: يحتل ان تكون هذه الواقعة بجلب» وفي كتاب العبر للحافظ الذهبي انه درس بالصادرية جوار جامع دمشق ثم جعل له دار الامير طرخان جوارها من داخل مدرسة فنسبت اليه وقام عليه الخنايلة لانه تكلم فيهم وهو الذي قام في ابطال «حي على خير العمل» من حلب

الطريق على اموال الناس المستباحة بتقريره وحمايته وكثير السرور بمصرعه وابتهج بالراحة منه ثم رجعت العامة والقوغاء ومن كان من اعوانه على الفساد من اهل العيث والافساد الى منازل خزائنه ومخازن غائته واثاثه وذخائره فاقتهبوا منها ما لا يحصى وغلبوا اعوان السلطان وجنده عليها بالكثرة ولم يحصل للسلطان من ذلك الا التذر (176٦) اليسير ورد امر الرئاسة والنظر في البلد في اليوم المقدم ذكره الى الرئيس رضي الدين ابي غالب عبد المنعم بن محمد بن اسد بن علي التميمي وطاف في البلد مع اقاربه وسكن اهله وسكنت الدهماء ولم يعلق في البلد حانوت ولا اضطرب احد واستبشر الناس قاطبة من الخصاص والعام والعسكرية وعامة الرعية ويولع في اخاب منازل الظالم وقتل اخشابها وهذه عادة الباري تعالى في الظالمين والفسقة المفسدين وكذلك اخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم أليم شديد (١)

وفي ذي القعدة سنة ٤٨ وردت الاخبار من ناحية بغداد بورود الاخبار اليها من ناحية الشرق باضطراب الاحوال في الاعمال الحراسانية وانغلال عسكر السلطان سنجر والاستيلاء عليه والقهر والاستظهار وحصره في دار مملكته بلخ والتضييق عليه واستدعاء ما في خزائنه من الاموال والآلات والذخائر والامتعة والجواهر بخلق عظيم من الغز والتركان تجتمعوا من اماكنهم ومعاقلم وحللم في الاعداد الدثرة والتناهي في الاحتشاد والكثرة ولم يكن للسلطان سنجر مع كثرة عساكره واجناده طاقة ولا لدفعه عنه قوة فقهره وغلبوه وحصلوه وقيل ان نيسابور (٢) وتلك الاعمال حدث فيها من الفساد والحلف والقتل والنهب والسلب ما ترتاع النفوس باستماع مثله وتفرق من قبح فعله ونهبت بلخ بالذكورين المقدم ذكرهم اشنع نهب وابشع سلب فسبحان مدير بلاده وعباده كما يشاء انه على كل شيء قدير

وفي الشهر المذكور حدث بمدينة دمشق ارتفاع السعر لعدم الواصلين اليها بالغلات من بلاد الشمال على جاري العادة بتقدم نور الدين صاحب حلب بالمنع من ذلك وحظره فاضرت ذلك باهلها من المستترين والضعفاء والساكين وبلغ سعر الغرارة الحنطة خمسة وعشرين ديناراً وزاد على ذلك وخلا من البلد الخلق الكثير ولقوا من البؤس والشدة والضعف ما اوجب موت جماعة وافرة في الطارقات وانقطعت الميرة من كل الجهات

١) Qur. XI, ١٥٤.

٢) وفي الاصل: نساوور. وقال ياقوت: هكذا يستونه العامة

وذكر ان نور الدين عازم على قصد دمشق بمنازلتها والطمع لهذه الحال في مملكتها وذلك مستصعب عليه لقوة سلطانها وكثرة اجنادها (176) واعوانها والله تعالى المرجو لقرب الفرج وحن النظر بخلقها بالرافة والرحمة كما جرت عوائد احسانه وفضله فيما تقدم وفي اواخر ذي القعدة استدعى الرئيس رضي الدين الى القلعة المحروسة وشرف بالخلع المكمل والركوب بالسخت والسيف المحلى والتبس وركب معه الخواص واصحاب الركاب الى داره وكتب له المنشور بالتقليد والاقطاع ولقب بالرئيس الاجل رضي الدين وجيه الدولة سديد الملك فخر الكفاة عز العالي شرف الرؤساء وكان عطاء الخادم المقدم ذكره قد استبد بتدبير الاءور ومد يده في الظلم واطلق لسانه بالهجر وافرط في الاحتجاب عن الشاكي والمشتكي بالعلمان والحجاب وقصر في قضاء الخواص تقصيرا منكرا واتفق للاقضية المقدرة والمكافاة المقررة ان تقدم مجير الدين باعتقاله وتقييده والاستيلاء على ما في داره ومطالبته بتسليم بملك وما فيها من مال وغلل وسرت بصره النفوس ونهب العوام والنوغاء بيوت اصحابه واسبابه وارسل الله تعالى النيث المتدارك بحيث افترت الارض عن نضارتها وابانت عن اخضرارها وغضارتها

ولما كان في يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي الحجة من السنة امر مجير الدين بضرب عنق عطاء الخادم المذكور لاسباب اوجبت ذلك ودعت اليه (١٠) وفي يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة استدعى مجير الدين بالفضل ولد تقيس الملك المستوفي لجدّه تاج الملوك رحمه الله وردّ اليه استيفاء ديونه على عادة ابيه واقبه لقب ابيه وجيه الدين تقيس الملك وتقرر اشراف الديوان سعد الدولة ابي الحسن علي بن طاهر الوزير المزدقاني

ودخلت سنة تسع واربعين وخمسمائة

اولها يوم الاربعاء مستهل المحرم والطالع للعالم الجوزاء وفي العشر الثاني من المحرم

(١) قال بيط ابن الجوزي: فخلت دمشق من الامراء ولم يبق عند مجير الدين غير عطاء بن حفاظ الخادم السلمي وكان صاحب بملك قد ردّ اليه مجير الدين امر دولته وكان ظالما فكتب نور الدين الى مجير الدين يقول: قد نفّر عليك عطاء بن حفاظ قلوب الرعية فاقبص عليه. لعلم نور الدين انه لا يتم له امر في دمشق مع وجود عطاء فقبضه مجير الدين وامر بقتله فقال له عطاء: لا تقتلني فان الحيلة قد غشيت عليك وذهب ملكك وسرى. فلم يلتفت اليه وقتله فجاءه قوي طمع نور الدين في دمشق

منها وصل الامير الاسفهلار اسد الدين شيركوه رسولا من نور الدين صاحب حلب الى ظاهر دمشق وخيم بناحية القصب من المرج في عسكر يناهز الالف فأنكر ذلك ووقع الاستيحاش منه واهمال الخروج اليه لتلقيه والاختلاط به وتكررت المراسلات فيما اقتضته الحال ولم يسفر عن سداد ولا نيل مراد.

وغلاسر الاقوات (١٧٧٦) لا تقطاع الواصلين بالغلات ووصل نور الدين في عسكره الى شيركوه في يوم الاحد الثالث من صفر وخيم بعيون الفاسريا عند دومة ورحل في الغد وتزل بارض الضيعة المعروفة ببنت الابار من الغرطة وزحف الى البلد من شرقيه وخرج اليهم من عسكريته واحداه الخلق الكثير ووقع الطراد بينهم ثم عاد كل من الفريقين الى مكانه ثم زحف يوما بعد يوم . فلما كان يوم الاحد العاشر من صفر للامر المقدّر المقضي والامر الماضي وسعادة نور الدين الملك واهل دمشق وكافة الناس اجمعين باكر الزحف وقد احتشد وتهيأ لصدق الحرب وظهر اليه العسكر الدمشقي على العادة ووقع الطراد بينهم وحملوا من الجهة الشرقية من عدة اماكن فاندفعوا بين ايديهم حتى قربوا من سور باب كيسان والدبابة (١) من قبلي البلد وليس على السور نافخ ضربة من العسكرية والبلدية لسوء تدبير صاحب الامر والاقدار المقدرة غير تقرر يسير من الاتراك المستحفظين لا يؤبه لهم ولا يعول عليهم في احد الابراج . وتسرع بعد الرجالة الى السور وعليه امرأة يهودية فارسلت اليه نجلا فصعد فيه وحصل على السور ولم يشعر به احد وتبعه من تبعه واطلعوا علما نصبوه على السور وصاحوا (اصحاب) نور الدين « يا منصور » وامتنع الاجناد والرعية من المانسة لما هم عليه من المحبة لنور الدين وعدله وحسن ذكره وبادر بعض قطاعي الحشب بفأسه الى الباب الشرقي فكسر اغلاقه وفتح فدخل منه العسكر على رغب وسعوا في الطرقات ولم يقف احد بين ايديهم وفتح باب توما ايضا ودخل الناس منه . ثم دخل الملك نور الدين وخواصه وسر كافة الناس من الاجناد والعسكرية لما هم عليه من الجوع وغلاء الاسعار والخوف من منازلة الافرنج الكفار

وكان مجير الدين لما احس بالغلبة والقهر قد انهزم في خواصه الى القلعة وانفذ اليه وأومن على نفسه وماله وخرج الى نور الدين فطيب نفسه ووعد الجليل ودخل القلعة في يوم الاحد المقدم ذكره . وقد امر نور الدين في الحال بالمناداة بالامان للرعية والمنع

من اتّهباب شيء من دورهم وتسرع قوم من الرعاع والاباش الى سوق علي وغيره فعاثوا ونهبوا واتخذ المولى الملك نور الدين الى اهل البلد بما طيب (١٧٧٧) نفوسهم وازال نفرتهم. وخرج مجير الدين ما كان له في دوره بالقلعة والحزان من المال والآلات والآلات على كثرته الى الدار الابابكية دار جدّه واقام اياماً ثم تقدّم اليه بالمسير الى حمص في خرواصه ومن اراد الكون معه من اسبابه واتباعه بعد ان كتب له المنشور باقطاعه عدّة باعمال حمص برسمه ورسم جنده وتوجّه الى حمص على القضية المقدّرة (١). ثم احضر بعد غد ذلك اليوم امثال الرعية من الفقهاء والتجار وخطبوا بما زاد في ايتاسهم وسرور

(١) قال الفارقي في تاريخه: وسار مجير الدين وبقي في خدمة نور الدين مدّة ثم وصل الى ميفارقين الى خدمة الملك نجم الدين (الي بن السعيد حسام الدين قمر تاش) واقام عنده مدّة وتزل في سنة ٥٥٠ الى بغداد وخدم مع الخليفة المقتفي وهو الى الان (يعني سنة ٥٧٢). مقيم ببغداد في خدمة المقتفي والمستنجد والمستضي. قيل: ولم ار اعجب من سنة ٥٤٩ ولا اكثر من حوادثها. منها ما جرى بين اولاد تاج الدين وخروج القضاء عن ايدجم (وكان وقع الحلف بين ضياء الدين وجاء الدين اولاد تاج الدين بن نباتة وعزلوا عن القضاء بميفارقين وكان القضاء في يد بني نباتة ٥٩٠ سنة من حين مات القاضي ابو بكر بن صدقة سنة ٤٩٠) ومنها ان الزمير فخر الدين شداد صاحب آنه نفذ وخطب بنت عز الدين سلق صاحب ارزن الروم وبقي مدّة ثم زوّجها ابوها من صاحب ارزن ونفذ شداد الى سلق وقال: قد ضعفت عن آنه فتعصر فقشترجها مني فالي طاقة للكرج ولا اقدر على دفعهم فاكون في خدمتك فاسلمها اليك

فلما وصل نفذ الى ملك الانجاز والكرج ديمطري وكان في جبل بازوي يشه وبين آنة مسيرة يوم او اكثر يلحمة بوصول سلق فوصل في عسكر الكرج فصبح مدينة آنة صباحاً فوقع بالسكر وقتل منهم مقتلة عظيمة واسروا عز الدين سلق واسر معه خلق عظيم وأسر من المسلمين ما لا يحصى وكان يوماً على المسلمين عظيماً. ثم ان ملوك ديار بكر وديار ريعة والشام راسلوا ملك الانجاز وتواصلوا واستقرّ حال عز الدين سلق على مائة الف دينار وأطلق وعاد الى بلاده وخرج من بلاده مال لا يحصى لانهم اشترى الاسارى الذين كانوا اخذوا معه

ومنها اخذ نور الدين دمشق وقلع اولاد اتابك ططكين وكانت بايديهم مقدار ٥٠ سنة. وانقراض بيت الصوفي وكان بيت بكرم. ومنها ان صاحب صقلية قصب تنيس في اربعين مركباً ودخلها ونصب كل ما كان فيها وسبى اهلها اجمع واسرم وبيع النهب في جميع الشام وبقي اسكنر اهلها اسارى الى الان بصقلية. ومنها ان فيها جرى الحلف باخلاط وخرج جاء الدين الوزير وانفصل عن خدمة بنت سكان (القطبي) والخاتون وابعد اهل اجمع وحبس اكثرهم وانهمزم جاء الدين اوس بن مسعود فطلب خوي فعب على قلعة فيها رجل كردي من اصحاب بنت سكان فقبضه وحمله الى اخلاط فحبس في قلعة ذات الجوز شرقي اخلاط وبقي مدّة وتوصل مؤيد الدين بن نيسان في خلاصه فأطلق وتزل الى ديار بكر واقام باسمرود ومضى الى فخر الدين قرا ارسلان واقام عنده ثم حجّ وعاد الى حصن كينا واقام مدّة وتزل الى الموصل واقام بها مدّة

نفوسهم وحسن النظر لهم بما يعود بصلاح احوالهم وتحقيق امالهم فأكثر الدعاء له والثناء عليه والشكر لله على ما اصاروه اليه . ثم تلا ذلك ابطال حقوق دار البطيخ وسوق البقل وضمان الانهار وانشأ بذلك المنشور وقُرئ على المنبر بعد صلاة الجمعة فاستبشر الناس بصلاح الحال واعلن الناس من التناء والفلاحين والحرم والمتعشين برفع الدعاء الى الله تعالى بدوام ايامه ونصره واعلامه والله سبحانه ولي الاجابة بيمينه وفضله

وقد كان مجاهد الدين بزان قد اطلق يوم الفتح من الاعتقال وأعيد الى داره ووصل الرئيس مؤيد الدين المسيب الى دمشق مع ولده النساب عنه في صرخد الى داره معولاً على لزومها وترك التعرض لشيء من التصرفات والاعمال فبدا منه من الاسباب المعربة عن اضرار الفساد والعدول عن مناهج السداد والرشاد ما كان داعياً الى فساد النية فيه . وكان في احدى رجليه فسخ قد طال به ونسر ثم لحقه معه مرض وانطلق متدارك افراط عليه واسقط قوته مع فواق متصل وقلاع في فيه زائد فقضى نحبه في الليلة التي صبيحتها يوم الاربعاء الرابع من شهر ربيع الاول سنة ٤٩٠ ودفن في داره واستبشر الناس بمهلكه والراحة منه ومن سوء افعاله بحيث لو عدت مخازيه مع جنونه واختلاله لطال بها الشرح وعجز عنها الوصف

وفي اواخر المحرم من السنة ورد الخبر من ناحية ماردن بوفاة صاحبها الامير حسام الدين بن ايل غازي بن ارتق رحمه الله في اول المحرم وكان مع شرف قدره في التركان ذكياً محباً لاهل العلم والادب مميّزاً عن امثاله بالفضيلة (١) . وفي شهر ربيع الاول من السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بان الامام الظافر بالله امير المؤمنين (١٧٨١) صاحبها كان ركن الى اخويه يوسف وجبريل والى ابن عمهم صالح بن حسن وانش بهم في اوقات مسراته فعملوا عليه واغتالوه وقتلوه واخفوا امره في يوم الخميس انسلخ صفر سنة ٤٩٠ وحضر الامام العادل عباس الوزير وولده ناصر الدين وجماعة من الامراء والمقدمين للسلام على الرسم فقتل لهم : ان امير المؤمنين ملتاث الجسم . فطلبوا الدخول عليه لعيادته فاحتج عليهم فلم يقبلوا والخوا في الطالب فظهر الامر . وانكشف واقتضت الحال المسارعة الى قتل الجناة في الوقت والساعة واقامة ولد الظافر عيسى وهو صغير يناهز ثلث سنين ولقبوه الفايز بنصر الله وأخذ له البيعة على الاجناد والعسكرية واعيان

(١) وقال الفارقي في تاريخه : وبقي السيد حسام الدين في الولاية الى يوم الخميس ثاني ذي

القعدة سنة ٥٤٨ وتوفي بماردن وكانت ولايته بمافارقين ٣٠ سنة وبماردن ٣٢ سنة

الرعية على جاري العادة والعاذل عباس^١ الوزير واليه تدير الامور واستمرت الاحوال على المنهاج (١٠١) ثم ورد الخبر بعد ذلك بان الامير فارس المسلمين طلائع بن رزيك وهو من اكابر الامراء المقدمين والشجعان المذكورين لما انتهى اليه الخبر وهو غائب عن مصر قلق لذلك وامتنع وجمع واحتشد وقصد العود الى مصر فلما عرف عباس الوزير بما جمع خاف الغلبة والاقدام على الملكة اذ لا طاقة له بملاقاته في حشده الكثير ولم يمكنه المقام على الخطار بالنفس فتأهب للهرب في خواتمه واسبابه وحرمه ووجوه اصحابه وما تهيأ من ماله وتجهله وكراعه وسار مغدًا فلما قرب من اعمال عسقلان وغزوة ظهر اليه جماعة من خيالة الافرنج فاغتر بكثرة من معه وقلة من قصده فلما حملوا عليه فشل اصحابه واعانوا عليه وانهمز اقبسح هزيمة هو وولد له صغير وأسر ابنه الكبير الذي قتل ابن السلار مع ولده وحرمه وماله وكراعه وحصلوا في ايدي الافرنج ومن هرب اتقى من الجوع والعطش ومات العدد الكثير من الناس والدواب ووصل الى دمشق منهم من نجاه الهرب على اشنع صفة من العدم والعري والفقر في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة وضاعت صدور المسلمين بهذه المصيبة المقتضية بيد الافرنج فسبحان من لا يؤد له قضاء ولا محتوم امر.

وفي اخر شهر ربيع الاول وصل الامير الاسفهلار مجد الدين ابو بكر محمد نائب المولى (178٢) الملك نور الدين في حلب الى دمشق عقيب عوده من الحج واقام ايامًا وعاد منكفئًا الى منصبه في حلب وتدير اعمالها وتسديد احوالها وفي شهر ربيع الاخر سنة ٥٤٩ هـ ثار في دمشق مرض مختلف الحيات منه ما يقصر ومنه ما يطول واعقبه بعد ذلك موت في الشيوخ والشباب والصبيان ثم تقاصر ذلك

(١) قال القاري في تاريخه : وسبب قتله ان امير الجيوش العادل السلار كان له ابن بنت يسمى نصر ويلقب عضد الخلافة وكان ابوه اميرًا مقدمًا يسمى عباسًا وكان عضد الخلافة موادًا للظافر وكانا جميعًا يأكلان ويشربان ويفترجان وكان بحبة محبة عظيمة بحيث ان الظافر كان لا يصبر من ابن بنت العادل ساعة واحدة فاغرى عباس ابنه بجده العادل فقتله وبقي مدة وقتل الظافر ثم دخل الى الدار عباس وابنه وقتلا من كان في الدار واخذوا الاموال والجواهر ما لا يحصى قيمته وقتلا ثلث بنين للحافظ هم جبريل وابراهيم ويوسف وخرج العباس واخذ الاموال والجواهر وطلب الشام فاخذته الافرنج وجميع ما كان معه. ثم ان اهل مصر ولوا عليهم الملك الصالح ابا الفسارات طلائع ابن رزيك واخرج ابنًا للظافر اسمه عيسى ويكنى بابي القسم ويلقب بالفائز فولوه الخلافة وقتل عضد الخلافة نصر بن عباس واستقر الفائز بالخلافة وولى الملك السلطنة وكان فاضلاً يحب العلماء والشعراء وكان له شعر ملبح

وفي أيام من جمادى الأولى من السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان عدّة وافرة من
مراكب الافرنج من صقلية وصلت الى مدينة تنيس على حين غفلة من اهلها فهجمت
عليها وقتلت واسرت وسبت وانتهبت وعادت بالغنائم بعد ثلاثة ايام وهي صفر وبعد ذلك
عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثة ومن سلم واختفى وضاعت الصدور عند
استماع هذا الخبر المكروه

وفي شهر رمضان ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة القاضي فخر الدين ابي منصور
محمد بن عبد الصمد الطرسوسي رحمه الله وكان ذا همة ماضية وبقظة مضيئة ومروءة
ظاهرة في داره وولده ومن يلهم به من غريب ووافد وقد نفذ امره وتصرفه في اعمال
حلب في ايام الملكية النورية واثّر في الوقوف اثرًا حسنًا توفّر به ارتفاعه ثم انزل عن
ذلك اجل اعتزال. وفي يوم الثلاثاء الثامن من شهر رمضان سنة ٥٤٩ توفي الحكيم ابو
محمد بن حسين الطبيب المعري رحمه الله وكان حسن الطريقة والصناعة كثير التجربة
ثاقب المعرفة فكثرت الأسف عليه وعند فقد مثله

ودخلت سنة خمسين وخمسمائة

واولها يوم الاثنين مستهل المحرم والطلع العقرب عشرون درجة وثلثون دقيقة
وثمان واربعون ثانية. وفي اليوم الرابع والعشرين من ربيع الأولى من السنة تقررت
اسباب المودة بين الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وبين ملك الافرنج تقدير
السنة وتمهدت القاعدة على هذه الحال الى اخر المدة المستقرّة. وبعد ايام قلائل من ذلك
خرج الامر الملكي النوري بالقبض على ضحالك والي بعلبك وطلب منه تسليمها فاجاب
الى ذلك ورحل العسكر المنصور اليها لتسليمها وفي يوم الخميس السابع من (179)
شهر ربيع الأول من السنة كان تسليمها ورّتب فيها من سلّمت اليه واعتمد في حفظها
عليه. وفي يوم الاثنين الحادي وعشرين من رجب من السنة توجه الامير اسد الدين
شيركوه الى حلب عند استدعاء الملك العادل نور الدين له

وفي ايام من شعبان من السنة ورد الخبر من ناحية مصر بان المنتصب في الوزارة
فارس الاسلام بن رزيك لما استقام له الامر عزم على مصالحة الافرنج وموادعتهم
واستكفاف شرّهم ومصانعتهم بما لا يحسد اليهم من الخزانة وما يفرض على اقطاع
المقدمين من الاجناد فحين شاورهم في ذلك انكروه ونفروا منه وعزموا على عزله

والاستبدال به من يرتضون به واختاروا مقدماً يعرف بالامير..... (١) مشهوراً بالشهامة والبسالة وحسن السياسة . وارْتُضِيَ لتولية الاسطول المصري مقدماً من البحريَّة شديد البأس بصيراً باسغال البحر فاختر جماعة من رجال البحر يتكلمون بلسان الافرنج وألبسهم لباس الافرنج وأنهضهم في عدّة من المراكب الاسطوليَّة واقلع في البحر لكشف الاماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب الروم وتعرف احوالها ثم قصد ميناء صور وقد ذُكرَ له ان فيه شخيرة روميّة كبيرة فيها رجال كثيرة ومال كثير وافر فهجم عليها وملكها وقتل من فيها واستولى على ما حوتهُ واقام ثلاثة ايام ثم احرقها وعاد عنها في البحر فظفر بمراكب حجاج الافرنج فقتل واسر واتهب وعاد منكفئاً الى مصر بالغنائم والاسرى

وفي الشهر المذكور ورد الخبر من ناحية حلب بوقوع الخلف بين اولاد الملك مسعود بعد وفاته وبين اولاد قتلش وبين اولاد قليج ارسلان وان الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وحلب دخل بينهم للصلح والاصلاح والتحذير من الخلف المقوي للاعداء من الروم والافرنج وطمعهم في المعاقلة الاسلامية وبالغ في ذلك باحسن توسُّط وبذل التحف والملاطفات وصلحت بينهم الاحوال

وتناصرت الاخبار في هذا الاوان من ناحية العراق بان الامام المقتني لامر الله امير المؤمنين قد اشتدَّت شوكته وظهر واستظهر على كل مخالف له وعادل عن حكمه ولم يبقَ له مخالفٌ مشاقٌّ ولا عدوٌّ منافقٌ وانهُ مجمعٌ على قصد (179) الجهات المخالفة لامره

وفي يوم الجمعة العاشر من ذي الحجة سنة ٥٥٠ عاد الملك العادل نور الدين الى دمشق من حلب وقد كان ورد الخبر قبل ذلك بان الامير قرا ارسلان بن داود بن سكرمان ابن ارتق (٢) ورد على الملك العادل نور الدين وهو باعمال حلب فبالغ في الاكرام له والسرور بمقدمه ولاطفه والطفه بما جلَّ قدره وعظم امره من التحف والعطاء ثم عاد عنه الى عمله مسروراً شاكراً

وورد الخبر ايضاً في شهر رمضان سنة ٥٠ بان الملك العادل نور الدين تزل في عسكره بالاعمال المختصة بالملك قليج ارسلان بن الملك مسعود بن سليمان بن قتلش

(١) بياض في الاصل

(٢) وفي الاصل: قرا ارسلان بن سكرمان بن داود بن ارتق

ملك قونية وما والاها فملك عدة من قلاعها وحصونها بالسيف والامان وكان الملك قلع
ارسلان واخواه ذوالنون ودولاب (كذا) مشغلين بمجاربة اولاد الدانشمند واتفق
ان اولاد الملك مسعود رزقوا النصر على اولاد الدانشمند والظهار على عسكره في وقعة
كانت على موضع يُعرف باقصر في شعبان سنة ٥٥٠ فلما عرف وعاد ما كان من الملك
العادل نور الدين في بلاده عظم عليه هذا الامر واستبشعه مع ما بينهما من المودة
والمهادنة والصهر وراسله بالمعاتبه والانكار عليه والوعيد والتهديد واجابه بحسن الاعتذار
وجميل المقال وبقي الامر بينهما مستمرا على هذه الحال

ودخلت سنة احدى وخمسين وخمسة

واولها يوم الجمعة مستهل المحرم والطالع الدلو خمس عشرة درجة وست عشرة
عاشرة (وبعد) وصول الحجاج يوم الجمعة السادس من صفر من السنة توجه الملك
العادل نور الدين الى ناحية حلب في بعض عسكره في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من
صفر من السنة عند انتهاء خبر الافرنج اليه بعيشهم في اعمال حلب وفسادهم وصادفة
في طريقه المبشر بنظف عسكره في حلب بالافرنج المفسدين على حارم وقتلهم جماعة
منهم واسرهم ووصل مع المبشر عدة وافرة من رؤوس الافرنج المذكورين وطيف بها
في دمشق. وفي يوم الثلاثاء الثالث من شهر ربيع الاول من السنة توفي الشيخ الفقيه
الزاهد ابو البيان نبا بن محمد المعروف بان الحوراني رحمه الله وكان حسن الطريقة منذ
نشأ (180) صلتا الى ان قضى متدينا ثقة عفيفا محبا للعلم والادب والمطالعة للغة
العرب وكان له عند خروج سريه لقبره في مقابر الصغيرة المجاورة لقبور الصحابة من
الشهداء رضي الله عنهم يوم مشهور من كثرة المناسقين والمتأسفين عليه (١)

وورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشريف السيد بهاء الدين ابي الحسن الهادي بن
المهدي بن محمد الحسيني الموسوي رحمه الله في اليوم السابع عشر من رجب سنة ٥٥١
وكان حسن الصورة فصيح اللسان بالعربية والفارسية جميل الاخلاق والخلال مشكور
الافعال كريم النفس مليح الحديث واسع الصدر مكنى المحل من الملك العادل نور

(١) قال سبط ابن الجوزي: وحكي لي بعض مشايخي بدمشق ان ابا البيان دخل يوماً من باب
الساعات الى جامع دمشق فنظر الى اقوام في الحائط الثابي وهم يبكون اعراض الناس فاستقبل
القبلة ورفع يديه وقال: اللهم كما انيتهم ذكرك فانسيهم ذكرى. واسمه نبا بن محمد بن محفوظ

الدين ركن الاسلام والمسلمين سلطان الشام ادام الله علاه وناله من الحزن لفقده
والتأسف عليه ما يقتضيه مكانه المكين عنده ونظم فيه هذه الايات رثاءً بها من كان
بينه وبينه مودة مستحكمة اوجبت ذاك ان رأيت اثباتها في هذا الموضع مع ذكره
وهي :

نعي الساعي جاء الدين لما	اتاه نازل القدر المساح
فروع كل ذي علم وفضل	من الادباء والعرب الفصاح
بكنه غزاة الافاق حزناً	واظلم ررؤه ضوء الصباح
واسبت الميون دماً عليه	كذلك عادة المقل الصراح
فكم متفجع يبكي عليه	بجربة موجع دامي الجراح
وينشر فضله في كل ناد	بالفاظ مخبرة فصاح
على حسناؤه تبكي المعالي	بدمة تأكل خود رداح
فلورام البليغ لها صفات	اقصر عن مرات وامتداح
له خلق صحيح لا يضاهي	ووجه مشرق الارحاء صاح
وكف جودها كالغيث جسي	على العافين كالجود المباح
له شرفان في عرب وفارس	وقد صالاً برهفه الصفاح
فأضحى لا مساجل في جلال	ولا شرف ينير ولا سماح
على امثاله عند الرزايا	يعط جيوب ارباب البطاح
ومن كان الحسين اباه قدماً	فقد نال المعلى في القداح
لئن واره في حلب ضريح	بيد عن مواطنه الفصاح
واصبح فيه منفرداً غريباً	من الالهين في غلس وضاح
فهذا الرسم جار في البرايا	بلا قصد يكون ولا اقتراح
فلا برحت عمام كل نوه	نروضة بانوار الاقاحي
ورحمة محيي الاموات تسري	عليه في الندو وفي الرواح
هذى الايام ما ناحت هتوف	ولاح بقره ييض الاداحي

(180^v)

وفي اليوم الخامس والعشرين توفي الشيخ ابو طالب شيخ الصوفية بدمشق رحمه
الله وكان خيراً تقياً عفيفاً حسن الطريقة مستكورا للخال
شرح الزلازل الحادثة في هذه السنة المباركة وتواليها

في ليلة الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٥١ الموافق لليوم السابع والعشرين من
ايلول في الساعة الثانية منها وافت زلزلة عظيمة رجفت بها الارض ثلث او اربع
مرات ثم سكنت بقدره من حركها وسكنها سبحانه وتعالى من مليك قادر قاهر ثم
واني بعد ذلك ليلة الاربعاء الثاني وعشرين من شعبان المذكور زلزلة وجاءت قبلها

وبعدها مثلها في النهار وفي الليل ثم جاء بعد ذلك ثلث دونهن بجيث أحصين ست مرّات وفي ليلة السبت الخامس وعشرين من الشهر المذكور جاءت زلزلة ارتاع الناس منها في أوّل النهار وآخره ثم سكنت بقدره محرّكها سُبُعائه وتعالى

وتواصلت الاخبار من ناحية حلب وحماة بانهدام مواضع كثير . وانهدام برج من ابراج افامية بهذه الزلازل الهائلة (١) وذكر ان الذي احصى عدده منها تقدير الاربعين على ما حكى والله تعالى اعلم . وما عُرِف مثل ذلك في السنين الماضية والاعصر الحالية وفي يوم الاربعاء التاسع وعشرين من الشهر بعينه (شعبان) وافت زلزلة تتلو ما تقدّم ذكره اخر النهار وجاءت في الليل ثانية في اخره ثم وافى في يوم الاثنين أوّل شهر رمضان من السنة زلزلة مروّعة للقلوب وعادت ثانية وثالثة ثم (181) وافى بعد ذلك في يوم الثلاثاء ثالثة ثلث زلازل احداهن في أوّله هائلة والثانية والثالثة دون الاولى وأخرى في وقت الظهر مشاكلة لهنّ ووافى بعد ذلك أخرى هائلة ايقظت النيام وروّعت القلوب اتصاف الليل فسبحان القادر على ذلك ثم وافى بعد ذلك في الساعة التاسعة من ليلة الجمعة النصف من شهر رمضان من السنة زلزلة عظيمة هائلة اعظم ممّا سبق ولما كان عند الصباح من الليلة المذكورة وافت أخرى دونها وتلا ما تقدّم في ليلة السبت اولها وجاءت أخرى آخرها ثم تلا ذلك في يوم الاثنين زلزلة هائلة وتلا ذلك في ليلة الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان في الثلث الاول منها زلزلة عظيمة مُزعجة وفي غداة يوم الاحد ثاني شوال من السنة تالي ما تقدّم ذكره وافت زلزلة اعظم ممّا تقدّم روّعت الناس وازعجتهم وفي يوم الخميس سابع شوال المذكور وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاحد الثالث عشر منه وافت زلزلة هائلة في وقت صلاة الغداة وفي يوم الاثنين تلوّه وافت زلزلة أخرى مثلها ثم أخرى بعدها دونها ثم ثالثة ثم رابعة . وفي ليلة الاحد الثاني والعشرين من شوال وافت زلزلة عظيمة روّعت النفوس ثم وافى عقيب ذلك ما أهمل ذكره لكثرة دفع الله تعالى عن دمشق وضواحيها ما خاف اهلها من توالي ذلك وتتابعه برأفته بهم ورحمته لهم فله الحمد والشكر لكن وردت الاخبار من ناحية حلب بكثرة ذلك فيها وانهدام بعض مساكنها الا شيرفان الكثير من مساكنها انهدم على سُكّانها بجيث قتل منهم العدد الكثير . واما كفرطاب فهرب اهلها

منها خوفاً على ارواحهم واما حماة فكانت كذلك واما باقي الاعمال الشامية فما عُرف ما حدث فيها من هذه القدرة الباهرة

وفي يوم الاربعاء الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٥١ وصل المولى الملك نور الدين اعز الله نصره الى بلده دمشق عائداً من ناحية حلب واعمال الشام بعد تهذيبها وتفقد احوالها سالماً في النفس والجملة بعد استقرار المواجهة بينه وبين ولد السلطان مسعود وصاحب قونية (١٨١٦) وزوال ما كان حدث بينهما

وفي شوال تقررت المواجهة والمهادنة بينه وبين ملك الافرنج مدة سنة كاملة اولها شعبان وان المقاطعة المحمولة اليهم من دمشق ثمانية الاف دينار سورية وكتبت الموصفة بذلك بعد تأكيدها بالامان بالمواثيق المشددة. وكان المعروف بابي سالم بن همام الحلبي قد ولي مشاركة الديوان بدمشق بعناية الامير اسد الدين النائب عن الملك العادل نور الدين فظهر منه خيانات اعتمدها وتفريطات قصدها بجهله وسخافة عقله وتقصيره فاظهرها قوم من المتصرفين عند الكشف عنها والتحقيق لها فاقترضت الحال القبض عليه والاعتقال له الى ان يقوم بما وجب عليه فلما كان في يوم الاحد السادس عشر من شوال سنة ٥٥١ خرج الامر السامي النوري بالكشف عن سعياته في فضول كان غنياً عنها فاقترضت الحال بان يخلق لحيته ويركب حملاً مقلوباً وخلفه من يعلوه بالدرّة وان يطاف به في اسواق دمشق بعد سخام وجهه وينادى عليه « هذا اجزاء كل خائن وغام » ثم اقام بعد ذلك في الاعتقال اياماً ثم امر بنفيه الى حلب بشفاعة من شفع فيه من مقدمي الدولة السعيدة فمضى على اقبح صفة من لعن الناس ونشر مخازيه وتعديد مساريه وفي شعبان من السنة وردت الاخبار من ناحية مصر بارتفاع اسعار الغلّة بها وقلة وجودها وشدة اضرارها بالضعفاء والمساكين وغيرهم وامر المتولي لامرها التّناء والمحتكرين لها ببيع الزائد على اقواتهم على المُقلّين والمحتاجين ووكد الخطاب في ذلك وما زادت الحال الا شدة مع ما ذكر من توفية النيل في السنة

وفي شعبان وردت الاخبار من ناحية العراق بخلص السلطان سنجر ابن السلطان العادل من ضيق الاعتقال المتناول به بتدبير أُعمل على الموكّلين به وعود وافية بحيث اجابوا الى ذلك وعاد الى مكانه من السلطنة ووفي بما وعد المساعدين له على الخلاص وقويت شوكته واستقامت مملكته (١)

(١) قال سبط ابن الجوزي: انه كان قعد عندم اربع سنين في الذلّ والحوان حتى ضرب به

وفي شهر رمضان وردت الاخبار من ناحية الموصل بان السلطان سليمان شاه بن السلطان محمد (١) عزم على العبور في عسكره الى اعمال الموصل فانفذ اليه واليها ومدبرها الامير زين الدين علي كوجك يقول له: انك فعلت واضرت بالاعمال واذيت اهلها. وسأله (١٨٢) فلم يقبل ونهض اليه في عسكره من الموصل ومن انضاف اليه وصافه فرزق النصر عليه وهزم عسكره اقبج هزيمة واستولى على سواده وعاد به الى الموصل ظافراً منصوراً

وفي العشر الاخير من ذي الحجة من السنة غدر الكفرة الافرنج ونقضوا ما كان استقر من المواعدة والمهادنة بحكم وصول عدّة وافرة من الافرنج في البحر وقوة شوكتهم بهم ونهضوا الى ناحية الشعراء المجاورة لبانياس وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكرية والرعيّة وعوامل الفلاحين فلاحي الضياع ومواشي الجلّالين والعرب الفلاحين الشي. الكثير الذي لا يحصى فيذكر للحاجة الى الرعي بها والسكون الى الهدنة المستقرّة ووقع من المندوبين لحفظهم من الاتراك تقصير فانتهزوا الفرصة واستاقوا جميع ما وجدوه وأفقروا اهلهم منه مع ما اسروه من تركمان وغيرهم وعادوا ظافرين غانمين آثمين والله تعالى في حكمه يتولى الكفاة لهم والادالة منهم وما ذلك عليه بعزير

ودخلت سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة

اولها يوم الاربعاء مستهل المحرم والطالع برج الدلو اثنتين وعشرين درجة وثلاثي عشرة دقيقة. قد تقدم شرح ما حدث من الزلازل الى اواخر سنة ٥١٠٠ ما يُغنى عن ذكره ولما كانت ليلة الاربعاء التاسع عشر من صفر سنة ٥٥٢ وافت زلزلة عظيمة عند انبلاج الصباح فروعت وازتجت ثم سكّنها مُحركها بلطفه ورأفته بعباده ثم تلا ذلك اخرى دونها الى ليلة الخميس تاليه بعد مضي ساعات منها ووافت بعدها اخرى بعد صلاة الجمعة تاليه وتواصلت الاخبار من ناحية الشمال بعظم تأثير هذه الزلازل الاول منها والاخر في مدينة شيزر وحماة وكفرطاب وافامية وما والاها الى مواضع من حلب والله تعالى ذكره وعزّ اسمه اعلم وارحم خلّقه

وفي العشر الاخير من صفر ورد كتاب السلطان غياث الدين ابي الحرث

اهل بغداد الاشغال فكان اذا مرّ على انسان سدائد قالوا: اما اشتغى الفز من سنجر؟

(١) وفي الاصل: مسمود

سنجر ابن السلطان العادل ابي الفتح بن السلطان البارسلان اعزّ الله نصره الى الملك العادل نور الدين ادام الله ايامه بالتشوق اليه والاحقاد (182^٧) بجلاله وما ينتهي اليه من جميع افعاله واعلامه وما من الله عليه به من خلاصه من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي بُلي به في ايدي الاعداء الكفرة من ملوك التركان بحيلة دبرها وسياسة احكمها وقررها بحيث عاد الى منصبه من السلطنة المشهورة واجتماع العساكر المتفرقة عنه اليه واذعانها بطاعته وامثالهم لاوامره وامثلته واحسان وعده لكافة المسلمين بنصره على احزاب الضلال من الافرنج الملاعين

وتواصلت مع ذلك الى نور الدين رُسل ارباب الاعمال والمعاقل والولايات بالاستعداد للخوف الى اعداء الله الملاعين وغزو من باذاته من المشركين الاضداد المفسدين في البلاد والناكثين ايمانهم المؤكدة في المصادعة والمهادنة . فعند ذلك امر المولى نور الدين بزيئة البلد المحروس سروراً بهذه الاحوال وفعل في ذلك ما لم تجر عادةً فيما تقدم في ايام الولاية الخالية وامر مع ذلك بزيئة قلعه ودار مملكته بحيث حلّى (١) اسوارها بالآلات الحربية من الجواشن والدروع والتراس والسيوف والرماح والطوارق الافرنجية والقنطاريات والاعلام والمنجوقات والطبول والبوقات وانواع الملاهي المختلفة وهرعت الاجناد والرعايا وغرباء البلاد من المسافرين لمشاهدة الحال فشهدوا ما استحسن منه مدة سبعة ايام فالحق تعالى يقرن ذلك بالتوفيق والاقبال وتحقيق الامال في اكمال الكفرة اولى الافك والضلال بمتى وفضله

وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الاول توجه المولى نور الدين ادام الله ايامه الى ناحية بعلبك لتفقد احوالها وتقرير امر المستحفظين لها وتواصلت الاخبار اليه من ناحية حمص وحماة باغارة الافرنج الملاعين على تلك الاعمال واطلاقهم فيها ايدي العيث والفساد والله تعالى يحسن الادالة منهم وتعجل البواد عليهم والاهلاك لهم

وفي يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول توجه زين الحجاج كثر الله سلامته الى ناحية مصر رسولاً من المولى نور الدين لايقال ما صحبه من المطالعات الى صاحب الامر فيها وصحبته ايضاً الرسول الواصل منها

وفي يوم الاحد الخامس عشر من شهر ربيع الاول ورد المبشر من المعسكر المنصور برأس الماء بان نصرة الدين امير ميران لما انتهى اليه خبر الافرنج الملاعين بانهم قد انهضوا

سرّيةً وافرة من العدد من ابطالهم (183^١) الموفرة العدد الى ناحية بانياس لتوليها وتقويتها بالسلاح والمال فاسرع النهضة اليهم في العسكر المنصور وقد ذكر ان عدّتهم سبعائة فارس من ابطال الاستتارية والسرجنديّة والداويّة سوى الرجالة فادركهم قبل الوصول الى بانياس وقد خرج اليهم من كان فيها من حماتها فواقع بهم وقد كان كمن لهم في مواضع كمناء من شجعان الاتراك وجالت الحرب بينهم واتفق اندفاع المسلمين بين ايديهم في اول المجال وظهر عليهم الكمناء فانزل الله نصره على المسلمين وخذلانه على المشركين فتحكمت من رؤوسهم ورقابهم مرهفات السيوف بقوارع الحما والخنوف وتمكنت من اجسادهم مشرعات الرماح وصوارم السهام بحيث لم ينج منهم الا القليل ممن ثبّطه الاجل واطار قلبه انجل وصاروا باجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب واسير وطاريح وحصل في ايدي المسلمين من خيولهم وعدد سلاحهم وكراعهم واموالهم وقراطيسهم واسرائهم ورؤوس قتلاهم ما لا يحصى كثرة ومحقت السيوف عامّة رجالتهم من الافرنج ومسلمي جبل عاملة المضافين اليهم وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الاول ووصلت الاسرى والرؤوس من القتلى والعدد الى البلد المحروس في يوم الاثنين تاليه وأطيف بهم البلد وقد اجتمع لمشاهدتهم الحلق الكثير والجهم الغفير وكان يوماً مشهوداً مستحسنًا سرّت به قلوب المؤمنين واحزاب المسلمين وكان ذلك من الله تعالى ذكره وجل اسمه مكافأة على ما كان من بغي المشركين واقدامهم على نكث أيمان المهادنة مع المولى نور الدين اعزّ الله نصره وتقض عهود الموادة واغارتهم على الجشارات ومواشي الجلايين والفلاحين المضطرين الى المرعى في الشعراء لسكونهم الى الامن بالمهادنة والاعتذار بتأكيد الموادة. وكان قد انفذ الى المولى نور الدين الى بعلبك جماعة من اسرى المشركين فامر بضرب اعناقهم صبراً ذلك لهم خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (١) وتبع هذا الفتح المبين ورود البشرى الثانية من اسد الدين باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركان وانه قد ظفر من المشركين بسرّية وافرة ظهرت من معاقلم من ناحية الشمال فانهزمت وتخطف التركان منهم من ظفروا به ووصل اسد الدين الى بعلبك في العسكر (183^٢) من مقدمي التركان وابطالهم للجهاد في اعداء الله المشركين وهم في العدد الكثير والجهم الغفير واجتمع بالملك العادل نور الدين في

1) Qur. XXVI, 228.

يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدوينها واقامة فرض الغزو والجهاد لمن بها والابتداء بالتزول على بانياس والمضايقة لها والجهاد في افتتاحها والله يسهل ذلك بلطفه ويعجله بمعونته

ووصل نور الدين الى البلد المحروس في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الاول لتقرير الامر في إخراج آلات الحرب وتجهيزها الى العسكر بحيث يتم اياماً يسيرة ويتوجه في الحال الى ناحية العساكر المجتمعة من التركمان والعرب للجهاد في الكفرة الاضداد والله يسهل اسباب الادالة منهم ويعجل البوار والهلاك لهم ان شاء الله تعالى . وفي وقت وصوله شرع في انجاز ما وصل لاجله وامر بتجهيز ما يحتاج اليه من المناجيق والاسلح الى العسكر المنصور بالنداء في البلد المحروس في الغزاة والجاهدين والاحداث المتطوعة من فتيان البلد والغرباء بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الافرنج اولي الشرك والاحاد وبادر بالسير في الحال الى عسكره المنصور مُغذّاً غير متلوم ولا مترتب في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الاول وتبعه بين الاحداث والمتطوعة والفقهاء والصوفية والمتدينين العدد الكثير الدثر المباهي في الوفور والكثرة فالله تعالى يقرن آراءه وعزماته بالنصر المشرق النار والظفر باخواب المردة الكفار ويعجل لهم اسباب الهلاك والبوار بحيث لا تبقى لهم باقية ولا يرى لهم رائحة ولا غادية وما ذلك على الله تعالى القادر القاهر عزيز

ولما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر تالي اليوم المقدم ذكره عقيب نزول الملك العادل نور الدين على بانياس في عسكره المنصور ومضايقته لها بالمنجنيقات والحرب سقط الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس يتضح كتابه الاعلان بورود المبشر من معسكر اسد الدين بناحية هونين في التركمان والعرب بان الافرنج خذلهم الله انهضوا سرية من اعيان مقدميهم وابطالهم تريد على مائة فارس سوى اتباعهم لكبس المذكورين ظناً منهم انهم في قل ولم يعلموا انهم في الوف فلما دنوا منهم وثبوا اليهم كالليث الى فرائسها فاطبقوا عليهم بالقتل والاسر والسلب ولم يفلت (184) منهم الا اليسير ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى وعددهم من الخيول المنتخبة والطوارق والقنطاريات الى البلد في اليوم الاثنين تالي اليوم المذكور وطيف بهم فيه فُرت القلوب بمشاهدتهم واكثروا الشكر لله على هذه النعمة المسهلة بعد الاولى المتكلمة واقفه المأمول لتجبل هلاكهم وبوارهم وما ذلك على الله بعزيز . وتتلو هذه المرهبة

المجددة سقوط الطائر من المعسكر المحروس بانياس في يوم الثلاثاء يتلو المذكور بذكر افتتاح مدينة بانياس بالسيف قهراً على مضي اربع ساعات من يوم الثلاثاء المذكور عند تناهي النقب واطلاق النار فيه وسقوط البرج المنقوب وهجوم الرجال فيه وبذل السيف في قتل من فيه ونهب ما حواه وانهمز من سلم الى القلعة وانحصارهم بها وان اخذهم بنية الله تعالى لا يُبطلُ والله يسهله ويعجله

واتفق بعد ذلك للاقضية المقدرة ان الافرنج تجتمعوا من معاقلم عازمين على استنقاذ الهنري صاحب بانياس ومن معه من اصحابه الافرنج المحصورين بقاعة بانياس وقد اشرفوا على الهلاك وبالقوا في السؤال للامان للمولى نور الدين ويسلمون ما في ايديهم من القلعة وما حوته لينجوا سالمين فلم يجيبهم الى ما سأله ورغبوا فيه . فلما وصل ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النازلين على بانياس لحصارها والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها واقتضت السياسة الاندفاع عنها بحيث وصلوا اليها واستحصلوا من كان فيها فحين شاهدوا ما عم بانياس من خراب سورها ومنازل سكاتها يشوا من عمارتها بعد خرابها وذلك في ايام من العشر الاخير من شهر ربيع الاخر

وفي يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من المعسكر المحروس النوري تتضمن الاعلام بان الملك العادل نور الدين اعز الله نصره لما عرف ان معسكر الكفرة الافرنج على الملاحة بين طبرية وبانياس نهض في عسكره المنصور من الاتراك والعرب وجد في السير . فلما شارفهم وهم نمازون وشاهدوا راياته قد اظلتهم بادروا بلبس السلاح والركوب واقتربوا اربع فرق وحملوا على المسلمين فعند ذلك ترجل (184) الملك نور الدين وترجلت معه الابطال وارهقوهم بالسهام وخرصان الرماح فما كان الا كلاً ولا حتى ترزلت بهم الأقدام ودهمهم البوار والحمام وانزل الله العزيز القهار نصره على الاولياء الابرار وخذلانه على المردة الكفار ونمكتنا من فرسانهم قتلاً واسراً واستأصلت السيوف الرجالة وهم العدد الكثير والجم الغفير ولم يفلت منهم على ما حكاه الحبير الصادق غير عشرة نفر ممن ثبتة الاجل واطار قلبه الوجل . وقيل ان ملكهم لعنهم الله فيهم وقيل انه في جملة القتلى ولم يعرف له خبر والطلب مجده له والله المعين على الاظفار به ولم يفقد من عسكر الاسلام سوى رجلين احدهما من الابطال المذكورين قتل اربعة من شجعان الكفرة وقتل عند حضور

اجله واتهماء مهله والاخر غريب لا يُعرف فكل منهما مضى شهيداً مُثاباً مأجوراً رحمهما الله . وامتلات ايدي العسكرية من خيولهم وعُددهم وكراعهم واثاث سوادهم الشيء الذي لا يحصى كثرة وحصلت كنيستهم في يد الملك نور الدين بالآتها المشهورة وكان فتحاً من الله القادر الناصر عزيزاً ونصراً مُبيناً اعز الله بهما الاسلام واهله واذل الشرك وحزبه

ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى الى دمشق في يوم الاحد تالي يوم الفتح وقد رتبوا على كل جبل فارسين من ابطالهم ومعهما راية من راياتهم منشورة وفيها من جاود رؤوسهم بشعرها عدّة والمقدمون منهم وؤلاة المعازل والاعمال كل واحد منهم على فرس وعليه الزردية والحوذة وفي يده راية والرجالة من السرجندية والدركولية كل ثلاثة واربعة واقل واكثر في جبل وخرج من اهل البلد الحلق الذي لا يحصى لهم عدد من الشيوخ والشبان والنسوان والصبيان لمشاهدة ما منح الله تعالى ذكره كافة المسلمين من هذا النصر المشرق الاعلام واكثروا من التسبيح ومواصلة التقديس لله تعالى مولى النصر لاوليائه ومدياهم من اعدائه وواصلوا الدعاء الحاصل للملك العادل نور الدين الخامي عنهم والمرامي دونهم والثناء على مكارمه والوصف لحاسنه ونظم في ذلك ابيات في هذا المعنى وهي :

(185 ^٢)	مثل يوم الفرنج حين علّتهم	ذلة الاسر والبلا والشقاء
	وبراياهم على العيس زفوا	بين ذل وحسرة وعناء
	بعد عزّ لهم وهيبة ذكر	في مصاف الحروب والهيجاء
	هكذا مكذا هلاك الاعادي	ضد شن الاغارة التسواء
	شؤم اخذ الجشار وكان وبالاً	عمهم في صباحهم والمساء
	نقضوا هدنة الصلاح بجهل	بعد تأكيدها بحسن الوفاء
	فلقوا بنهم بما كان فيه	من فساد يجلبهم واعتداء
	لاحى الله بشامهم من شتات	بمواضع تفوق حدّ المضاء
	فجزاء الكفور قتل واسر	وجزاء الشكور خير الجزاء
	فلرب العباد حمد وشكر	دائم مع تواصل النعماء

وشرع في قصد اعمالهم لتسلّكها وتدوينها والله المعين والموفق لذلك بئنه ولطفه ومشيتته . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الاولى وافت زلزلة عظيمة بعد مضي ثلث ساعات منه اهتزت لها الارض هزات ثم وافت بعدها ثانية قرنت بعد

مضي ست ساعات من اليوم ثم بعد مضي ثماني ساعات من هذا اليوم المذكور وافت
ثالثة اشد من الاولين وازعج فسبحان محرّكهن بقدرته ومسكنهن بحكمته تعالى علواً
كبيراً

وفي آخر هذا اليوم وافت زلزلة رابعة لما تقدّم بين العشائين من ليلته مروعة هائلة
ازعجت واقلقت وضعّ الناس بالتهليل والتسبيح والتقديس. وفي ليلة الاحد الرابع من
جمادى الآخرة من السنة آخرها عند صلاة الغداة وافت زلزلة هائلة وجاء بعدها اخرى
دونها وتواصلت الاخبار من ناحية الشمال بان هذه الزلازل اثّرت في حلب تأثيراً ازعج
اهلها واقلقهم. وكذلك في حمص وهدمت مواضع فيها وفي حماة وكفرطاب واقامية
وهدمت فيها ما كان من هدم ما بني من المهدوم بالزلازل الأول وحكي عن تياء ان
هذه الزلازل اثّرت في مساكنها تأثيراً مهولاً

وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة تواصلت (١٨٥٧) الاخبار بوصول ولد السلطان
مسعود (١) في خاق كثير للزبول على انطاكية واوجبت الصورة تقرير المهادنة بين الملك
العادل نور الدين وملك الاقزنج وتكرّرت المراسلات بينهما والاقتراحات والمشاجرات
بحيث فسّد الامر ولم يسفر على ما يؤثر من الصلاح ومرضي الاقتراح المقرون بالنجاح
ووصل الملك العادل نور الدين اعزّ الله نصره الى مقرّ عزّه في بعض عسكره في
يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من السنة واقرّ بقية عسكره ومقدميه
مع العرب بازاء اعمال المشركين فذلّهم الله

وكانت الاخبار تناصرت من بغداد باظهار امير المؤمنين المقتدى لامر الله اعزّ الله
نصره على عسكر السلطان (محمد شاه) الخالف لامره ومن انضمّ اليه من عسكر
الموصل وغزبه بحيث قتل منهم العدد الكثير والجهم الغفير ورحلوا عن بغداد مفرّقين
مفلولين خاسرين بعد المضايقة والتناهي في المحاصرة والمصاهرة (٢) وفي يوم الاحد الثالث
من رجب توجه الملك العادل نور الدين الى ناحية حلب واعمالها لتجريد مشاهدتها
والنظر في حمايتها بحيث عبث المشركون فيها وقرب عساكر الملك ابن مسعود (١) منها
والله الموفق له فيما يراه ويقصده ويتوخاه

وفي الساعة التاسعة من يوم الاثنين الرابع من رجب سنة ٥٢٠ وافت زلزلة عظيمة

(١) وفي الاصل: مسعود

(٢) وفي زبدة التواريخ: ان انقطعت بعد ذلك اطاع السلاطين السلجوقية عن بغداد

في دمشق لم يُرَ مثلاً فيها فيما تقدم ودامت وجفائتها حتى خاف الناس على انفسهم ومنازلهم
وهربوا من الدور والخوانيت والسقايف وانزعجوا وانثرت في مواضع كثيرة ورميت من
فص الجامع الشيء الكثير الذي يعجز عن اعادة مثله ثم وافت عقيبها زلزلة في الحال
ثم سكنتا بقدر من حركتهما وسكنت نفوس الناس من الروعة والخوف برحمة خالقهم
ورازقهم لا الله الا هو الرؤوف الرحيم. ثم تبع ذلك في اول ليلة اليوم المذكور زلزلة وفي
وسطه زلزلة وفي آخره زلزلة اخف من الاولى والله تبارك وتعالى لطيف بعباده وبلاده
وله الحمد والشكر رب العالمين. وتلا ذلك في يوم الجمعة الثامن من رجب زلزلة مهولة
ازعجت الناس وتلاها في النصف منها ثانية وعند انبلاج الصبح ثالثة وكذلك (186^٢)
في ليلة السبت وليلة الاحد وليلة الاثنين وتتابع بعد ذلك بما يطول به الشرح
ووردت الاخبار من ناحية الشمال بما يسوء سماعه ويُعرب النفوس ذكره بحيث
انهدمت حماة وقلعتها وسائر دورها ومنازلها على اهلها من الشيوخ والشبان والاطفال
والنيران وهم العدد الكثير والجمل الغفير بحيث لم يسلم منهم الا القليل اليسير.
واما شيز فان ربضها سلم الا ما كان خرب او لا واما حصنها المشهور فانه انهدم
على واليها تاج الدولة بن ابي العساكر بن منقذ رحمه الله ومن تبعه الا اليسير من
كان خارجاً واما حمص فان اهلها كانوا قد اجفلوا منها الى ظاهرها وسلموا وتلفت
مساكنهم وتلفت قلعتها واما حلب فهدمت بعض دورها وخرج اهلها و(اما ما) بعد عنها
من الحصون والمعاقل الى جيلة وجبيل فاثرت فيها الا (ثار) المستبشرة واتلفت سلمية
وما اتصلت بها الى ناحية الرحبة وما جاورها ولو لم تُدرك العباد والبلاد رحمة الله
تعالى ولطفه ورحمته ورأفته لكان الخطب الخطير والامر الفظيع المزعج بحيث نظم
في ذلك من قال:

روعتنا زلازل حادثات بقضاء قضاء رب السماء
هدمت حصن شيزر وحماة اهلك اهلها بسوء القضاء
وبلاداً كثيرةً وحصوناً وثغوراً موثقات البناء
واذا ما رنت عيون اليها اجرت الدمع عندها بالدماء
واذا ما قضى من الله امره سابق في عباده بالمضاء
حار قلب اللبيب فيه ومن كان له فطنة وحسن ذكاء
وتراء متبججاً باكي العين م مروعا من سخطه وبلاد
جل رأي في ملكه وتعالى من مقال الجهال والسفهاء

واماً اهل دمشق فلما وافتهم الزلزلة من هولها واجفلوا من منازلهم والمسقف الى الجامع والاماكن الخالية من البنايان خوفاً على نفوسهم ووافت بعد ذلك اخرى وفتح باب البلد وخرج الناس الى ظاهره والبساتين والصحراء واقاموا عدة ليال (186^v) وايام على الخوف والجزع يستبحون ويهللون ويرغبون الى خالقهم ورازقهم في العفو عنهم واللطف بهم والله تعالى والي الاجابة وقبول الرغبة والالابة

ووردت الاخبار مع ذلك من ناحية العراق في اوائل رجب سنة ٥٥٢ برفاة سلطان غياث الدنيا والدين ابي الحرث سنجر ابن السلطان العادل ابي الفتح ابن السلطان البارسلان وهو سلطان خراسان عقيب خلاصه من الشدة التي وقع فيها والاسر الذي حصل فيه وكان يحب العدل والانصاف للرعايا حسن الفعل جميل السيرة وقد علت سنة وطال عمره وتولاه الله برحمته وسابغ مغفرته بفضله ورأفته

وفي شهر رهنان من السنة ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة الشيخ الامير مخلص الدين ابي البركات عبد القاهر بن علي بن ابي جراحة الحلبي رحمه الله في العشر الثاني منه بعرض عرض له وهو الامين على خزائن مال الملك العادل نور الدين سلطان الشام فراعني فقده والمصاب بمنله لانه كان خيراً كاتباً بليغاً حسن البلاغة نظماً ونثراً مستحسن الفنون من التذهيب البديع وحسن الخط المحرر على الاصول القديمة المستطرفة مع صفاء الذهن وتوقد الفطنة والذكاء وكان بيني وبينه مودة موصلة محصدة الاسباب في ايام الصبا وبسدها بكم تردده من حلب الى دمشق وواجبت هذه الحال تفجعي به وتأسفي على مثله نظم هذه الايات ارضيه بها وأصف محاسنه فيها وهي :

تذكره في غيبة وحضور	فجئت بجل كان يونس وحشي
وليس له من مشبه ونظير	فتى كان ذا فضل يصول بفضله
ونظم كدراً في قلائد حور	وقد كان ذا فضل وحسن بلاغة
وخط بديع في الطروس منير	يفوق محسن اللفظ كل فصاحة
نقد صرت ذا حزن بغير سرور	وقد كنت ذا شوق اليه اذا نأى
بفقدني من اهوى بغير مجبر	سأشكوا زماناً روعتني صروفه
على كل ملك في الزمان خطير	وما نافي شكوى الرمان وقد غدا
وكل شجاع فاتك ونصير	واجناده بالمرهفات تحوطه
بكل اصيل حادث وبكور	بقى الله قبراً ضمته بمجلجل
يزهر يروق الناظرين نصير	ليصبح كالروض الانيق اذا بدا
وفيران رب العباد غفور	برحمة من يرجى لرحمة مثله

(187^v)

وفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين من شهر رمضان من السنة وافت في دمشق
زلزلة روعت الناس وازعجتهم لما قد وقع في نفوسهم مما قد جرى على بلاد الشام من
تتابع الزلازل فيها وهدم ما هدمت منها . ووافت الاخبار من ناحية حلب بان هذه
الزلزلة المذكورة جاءت في حلب هائلة قلقلت من دورها وجدرانها العدد الكثير واجفل
منها اهلها الى ظاهرها خوفاً على نفوسهم . وانها كانت بحجة اعظم ما كانت في غيرها وانها
هدمت ما كان عُمرَ فيها من بيوت يلتجأ اليها وانها دامت فيها اياماً كثيرة في كل يوم
عدة وافرة من الرجفات الهائلة وتتبعها صيحات مختلفات تُوفي على اصوات الرعود
القاصفة المزعجة فسبحان من له الحكم والامر ومنه تُؤمل الرحمة واللفظ وهو على
كل شيء قدير . وتلا بعد ذلك رجفات متوالية اخف من غيرهن فلما كان في ليلة
السبت العاشر من شوال وافت زلزلة هائلة بعد صلاة العشاء الآخرة ازعجت واقلقت
وتلاها في اثرها هزة خفية ثم سكّنها مُحركهما بقدرته ورافته باهل دمشق ورحمته فله
الحمد والشكر رب العالمين

وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من شوال من السنة ورد الخبر من ناحية بُصرى
باستشهاد واليها فخر الدين سرخالك غيلة في مقره من حصنها بتدبير تقرر بين الامير
علي بن جولة زوج ابنته ومن واقفه من اعيان خاصته وامائل بطائته وكان فيه افراط
من التحرز واستعمال التيقظ ولكن القضاء لا يُغالب ولا يُدافع والمحتوم النافذ
لا يانع

وفي اول ليلة الاحد العشرين من شوال من السنة توفي الشيخ ابو محمد عبد
الرحمن بن احمد بن سلامة بمرض عرض له وقد علت سنه وبلغ سبعا وتسعين سنة
المعروف بابن الحراسي وكان شيخاً ظريفاً حسن الهيئة نظيف اللبسة اديباً فاضلاً حسن
المحاضرة عند (187^٢) الثابتة والمذاكرة وكان اكثر زمانه مقيماً بشير بين آل منقذ
مكرماً مُحترماً رحمه الله

وفي ليلة السبت العاشر من ذي القعدة من السنة وافت اولها زلزلة رجفت لها
الارض ووجلّت لها القلوب وتبعها عدة اخف من الاولى . وفي غد هذا اليوم بعد مضي
تقدير ساعتين منه وافت زلزلة وأخرى في اثرها وسكّنه المحرك لهن بقدرته وحكمته
وسلم منهن برحمته ورافته سبحانه وتعالى الرؤوف الرحيم
وكان الغيث قد احتبس وتسيئه عن العادة المعروفة واحتاج ما بذر من الغلال الى

سقيه وضائق الصدور لذلك وقنطت النفوس ثم بعث الله برحمته خلقه في أول ذي القعدة منه ما روى الوهاد والآكام وعم حوران وسائر البقاع وسرت بذلك النفوس وانحطت سر الغلة بعد ارتفاعه فله الحمد على انعامه على عبيده وله الشكر

وفي ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ذي القعدة التالي لما تقدم بعد مضي ساعة منها وافت زلزلة روعت القلوب وهزت المنازل والمساكن ثم سكنتها محركها بقدرته القاهرة ورحمته الواسعة فله الحمد والشكر رب العالمين

وفي ليلة الاحد الخامس والعشرين من الشهر المذكور التالي يوم الجمعة المقدم ذكره وافت في اوائلها زلزلة ازعجت واقلقت ثم تلاها ثانية عند انتصافها اعظم منها نفر الناس من هولها الى الجامع والاماكن المكتشفة وضجروا بالتكبير والتهليل والتسبيح والدعاء الى الله تعالى والتضرع اليه ثم وافى بعد تلك الثانية ثالثة دونها عند تصرم الليل ثم وافى بعد الثالثة رابعة دونها ثم خامسة وسادسة ثم سكنت بقدرتها محركها ولم تؤثر اثرًا منكرًا في البلد فله الحمد تعالى امره وعظم شأنه

وفي اوائل ذي القعدة من هذه السنة ورد الخبر من حمص بوفاة واليها الامير الملقب بصلاح الدين وكان في ايام شبيبته قد حظي في خدمة عماد الدين اتابك زنكي صاحب حلب والشام رحمه الله وتقدم عنده بالمناصحة وسداد التدبير وحسن السفارة وصواب الرأي ولما علت سنه ضعفت قوته وآتته عن السعي الا في ركوب الخيل والجاته الضرورة الى الحمل في المحفة لتقرير الاحوال والنظر في (188) الاعمال ولم ينقص من حبه وفهمه ما ينكر عليه الى حين وفاته وخلفه من بعده اولاده في منصبه وولايته

وفي يوم الجمعة انسلاخ ذي القعدة من السنة بعد مضي تقدير ساعتين منه وافت زلزلة رجفت بها الارض وانزعج الناس لها ثم سكنت بقدرتها المحرك لها وحكمته البالغة فله الحمد على لطفه بعباده تبارك الله رب العالمين

وفي ايام من شوال سنة ٥٥٢ ورد الى دمشق امير من ائمة فقهاء بلخ في عنفوان شبابه وغضارة عوده ما رأيت اوضح من لسانه ببلاغته العربية والفارسية ولا اسرع من جوابه ببراعته ولا اطيش من قلمه في كتابته قللت ما ينبغي ان يهمل اثبات اسم هذا الامير الامام في هذا التاريخ المصنف لاني ما رأيت مثله ولا شاهدت شيئاً له فالتمست نعوتها التي بها يعرف واليه تنسب فانفذ الي كتاباً قد كتب عن السلطان غياث الدنيا والدين ابي شجاع محمود بن محمد بن ممدود قسيم امير المؤمنين في الطغراء

وكتاب وزيره محمود بن سعد بن عبد الواحد مخلص امير المؤمنين الى الملك العادل نور الدين ملك الشام وكلاهما ينطق بحسن صفاته واحترامه والوصية المؤكدة باكرامه ووصفه بنعوته المكملة وهي: الامير الامام الاجل العالم المحترم الاخص الحميد الاعز نظام الدين عماد الاسلام تاج الملوك والسلطين ملك الكلام بستان العالم افصح العرب والعجم اعجوبة الدهر كريم الاطراف فخر الاسلاف افتخار ما وراء النهر تاج العراق سراج الحرمين مقتدى الائمة مرتضى الخلافة رئيس الاصحاب شرقاً وغرباً مهذب الائمة والافاضل ذو المناقب والفضائل نادر الزمان نسيب خراسان ابو الحياة محمد بن ابي القسم بن عمر البلخي (ووعظ) في جامع دمشق عدة ايام والناس يستحسنون وعظله ويستطرفون فنه وسلطة لسانه وسرعة جوابه وحدة خاطره وصفاء حسنه ونظمت في صفاته هذه الايات:

(188) نظام الدين افضل من رأينا
وانهى منهم لفظاً وخطاً
يفوق فصاحة قساً ويوفي
اذا رام البديع من المعاني
فليس له مجاري في فنون
اذا وعظ الامام سمعت وعظاً
ويخرق حسن منطق اذا ما
له الشرف الرفيع اذا تنامت
وما البيت من يحظى بمدح
وما سمعت لغير علاه نفي
فلا زالت مطايا المدح تسري
مدى الايام ما هتفت هتوف

من العلماء في عرب وعجم
بحسن بلاغة وصفاء فهم
عليه عند مشور ونظم
اتاه مسرعاً كالغيث يجسي
حوى احسانها من كل علم
يحيط العصم من قال الاشم
تكرر حسنه سمع الاسم
مفاخرة السراى بكل قرم
سواه اذ مضى في المدح عزيم
على ضي بي عن كل قدم
اليه وقد خلا من كل ذم
على غصن بغص النور ينمي

قد تقدم من ذكر الملك العادل نور الدين في نهوضه من دمشق في عساكره الى بلاد الشام عند انتهاء الخبر اليه بتجمع احزاب الافرنج خذلهم الله وقصدتهم لها وطعمهم فيها بحكم ما حدث من الزلازل والرجفات المتتابعة بها وما هدمت من الحصون والقلاع والمنازل في اعمالها وثغورها لحمايتها والذب عنها وايناس من سلم من اهل حمص وشيزر وكفرطاب وحماة وغيرها بحيث اجتمع اليه الخلق الكثير والجهم الغفير من رجال المعقل والاعمال والتركمان وخيم بهم بازاء جمع الافرنج في الاعداد

الذرة والتناهي في الكثرة بالقرب من انطاكية وحصرهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الاقدام على الافساد

فلما مضت ايام من شهر رمضان سنة ٥٥٢ هـ عرض للملك العادل نور الدين ابتداء مرض حاد فلما اشتد به وخاف منه على نفسه استدعى اخاه نصرة الدين امير ميران واسد الدين شيركوه واعيان الامراء والمقدمين واوصى اليهم ما اقتضاه رأيه واستصوبه وقرر معهم كون اخيه نصرة الدين القائم في منصبه من بعده والساد لثمة فقهه واشتباره بالشهامة وشدة البأس ويكون مقيماً بحلب ويكون اسد الدين في دمشق في نيابة (189) نصرة الدين واستحلف الجماعة على هذه القاعدة . فلما تقررت هذه القاعدة اشتد به المرض فتوجه في المحقة الى حلب وحصل في قلعتها وتوجه اسد الدين الى دمشق لحفظ اعمالها من فساد الافرنج وقصد اعمال الملاعين في اوخرشال من السنة وتواصلت عقيب هذه الحال الاراجيف بالملك نور الدين فقلقت النفوس وترعجت القلوب ففرقت جموع المسلمين واضطربت الاعمال وطمع الافرنج فقصدوا مدينة شيرز وهجموها وحاصوا فيها فقتلوا واسروا وانتهبوا وتجمع من عدة جهات خلق كثير من رجال الاسماعيلية وغيرهم فاستظهروا عليهم وقتلوا منهم واخرجوهم من شيرز

واتنق وحول نصرة الدين الى حلب فاغلق والي القلعة مجد الدين في وجهه الابواب وعصى عاينه فثارت احداث حلب وقالوا : هذا صاحبنا وملكنا بعد اخيه . وزحفوا في السلاح الى باب البلد فكسروا اغلاقه ودخل نصرة الدين في اصحابه وحصل في البلد وقامت الاحداث على والي القلعة بالآؤم والانكار والوعيد واقترحوا على نصرة الدين اقتراحات من جملتها اعادة رسمهم في التأذن « بحجى على خير العمل » « محمد وعلي خير البشر » فاجابهم الى ما رغبوا فيه واحسن القول لهم والوعد ونزل في داره . وانفذ والي القلعة الى نصرة الدين والحلبين يقول : « مولانا الملك العادل نور الدين حي في نفسه مقيم في مرضه . وما كان الى ما فعل حاجة تدعو الى ما كان قليل الذنب في ذلك الى الوالي وكنتم الحال وصعد الى القلعة من شاهد نور الدين حياً يفهم ما يقول وما يقال له فانكر ما جرى وقال : الان انا اصبح الاحداث عن هذا الخطل ولا اواخذهم بالزلل وما طلبوا الا صلاح حال اخي وولي عهدي من بعدي

وشاعت الاخبار وانتشرت البشارات في الاقطار بعافية الملك نور الدين فانت القلوب بعد الاستيحاش وابتهجت النفوس بعد القلق والارتعاج وتزايدت العافية وصرفت

الهمم الى مكاتبات المقدمين بالعود الى جهاد الملاعين وكان نصرة الدين قد ولي مدينة حوران واضيف اليها وتوجه نحوها . وكان الغيث قد امسك عن اعمال حوران وعزم اهلها على (189^٧) التزوح من ضياعها لعدم ماء شربهم وبعده عنهم وكذلك سائر الاعمال فلطف الله تعالى بعباده وبلاده فارس عليهم في العشاء الاخر من كانون الثاني من السنة الشمسية الموافق للعشر الاخر من ذي الحجة من السنة القمرية سنة ٥٥٢ من الغيث الهطال المتدارك والثلج المتتابع ما روى الوهاد والآكام وجرت به اودية حوران ودارت اريجيتها واتتمشت زروعها وانبتت بالغيث سباخها فله تعالى الحمد على هذه النعمة التي لا يحصى لها عدد ولا يحصر لها امد

ولما تناصرت الاخبار بالبشائر الى اسد الدين بدمشق بعافية الملك العادل نور الدين واعتزاه على استدعاء عساكر الاسلام لجهاد اعداء الله والمقيمين بالشام سارع بالتهوض من دمشق الى ناحية حلب ووصل اليها في خياله واجتمع مع الملك العادل نور الدين فاكرم لقاءه وشكر مسعاه وشرعوا في حماية الاعمال من شر عصب الكفر والضلال بما يعود بصلاح الاحوال والله المسهل لنيل المباغي والآمال بتمه وفضله . ونظمت هذه الايات في هذا المعنى :

لقد جئت صفائك يا زماني	وقزت بما رجوت من الاماني
فكم اصبحت مرعوباً مخوفاً	فبدلت المخافة بالامان
فكم من وحشة وافت وزالت	وهدمت الرفيع من المباني
وجاءتنا اراجيف بملك	عظيم الشأن معود الزمان
فرومت القلوب من البرايا	وصار شجاعها مثل الجبان
وثارت فتنة تخشى اذاها	على الاسلام في قاص ودان
ووافي بعد ذاك بشير صدق	بعافية الملك مع التهماني
فولى الخوف مهدوم المباني	وطاد الامن بمعدور الغماني

ودخلت سنة ثلث وخمسين وخمسمائة

واولها يوم الاثنين اول المحرم والطالع الجدى . وفي اوائله تناصرت الاخبار من ناحية الافرنج خذلهم الله المقيمين في الشام في مضايقتهم لحصن حارم ومواظبتهم على رميه (190^٢) بحجارة المناجيق الى ان اضعف وملك بالسيف وتزايد طمعهم في شن الغارات في الاعمال الشامية واطلاق الايدي في العيث والفساد في معاقلها وضياعها بحكم تفرق

العساكر الاسلاميّة والحلف الواقع بينهم باشتغال الملك العادل بعقاييل المرض العارض له والله المشينة التي لا تدافع والاقضية التي لا تمنع

وفي صفر منها ورد الخبر والمبشر ببروز الملك العادل نور الدين من حلب المتوجه الى دمشق واتفق للكفرة الملاعين متواتر الطمع في شن الغارات على اعمال حوران والاقليم واطلاق ايدي الفساد والعيث والاحراق والارباب في الضياع والنهب والاسر والسي وقصد داريا والتزول عليها في يوم الثلاثاء انسلاخ صفر من السنة واحرق منازلها وجامعها والتتاهي في اخابها وظهر اليهم من العسكرية والاحداث العدد الكثير وهشوا بقصدهم والاسراع الى لقائهم وكثفهم فنعوا من ذلك بعد ان قربوا منهم وحين شاهد الكفار خذلهم الله كثرة العدد الظاهرة اليهم رحلوا في آخر النهار المذكور الى ناحية الاقليم

ووصل الملك نور الدين الى دمشق وحصل في قلعتها غرة يوم الاثنين السادس من شهر ربيع الاول سالما في نفسه وجملته ولقي باحسن زي وترتيب وتجميل واستبشر العالم بمقدمه المسعود وابتهجوا وبالفوا في شكر الله تعالى على سلامته وعافيته والدعاء له بدوام ايامه ونصر اعلامه وشرع في تدبير امر الاجناد والتأهب للجهاد والله تعالى يده بالانصر وادراك كل بنية ومراد

وفي اوائل (شهر) ربيع الاول من سنة ٥٣٠ ورد الخبر من ناحية مصر بخروج فريق وافر من عسكرها الى غزة وعسقلان واغاروا على اعمالها وخرج اليها من كان بها من الفرنج الملاعين فظهر الله المسلمين عليهم قتلا واسرا بحيث لم يفلت منهم الا اليسير وغنموا ما ظفروا وعادوا سالمين ظافرين وقيل ان مقدم الغزاة في البحر ظفر بعدة من مراكب المشركين وهي مشحنة بالافرنج قتل واسر منهم العدد الكثير والجمل الغفير وحاز من اموالهم وعددهم واثاثهم ما لا يكاد يحصى وعاد ظافرا غانما

وورد الخبر في الخامس عشر (١٩٠) من شهر ربيع الاول من السنة من ناحية حلب بحدوث زلزلة هائلة روعت اهلها وازعجتهم وزعزت مواضع من مساكنها ثم سكنت بقدرة محركها سبحانه وتعالى ذكره . وفي ليلة السبت الخامس والعشرين من ربيع الاول من السنة وافت زلزلة بدمشق روعت واقلقت ثم سكنت بقدرة محركها تعالى ذكره

وفي يوم الاحد التاسع من شهر ربيع الاخر من السنة برز الملك العادل نور الدين

من دمشق الى جسر الحشب في العسكر المنصور بآلات الحرب مُجَدًّا في جهاد الكفرة
المشركين وقد كان اسد الدين قبل ذلك عند وصوله في من معه من فرسان التركان
غار بهم على اعمال صيدا وما قرب منها فغنموا احسن غنيمة واوفرها وخرج اليهم
ما كان بها من خيالة الافرنج ورجالتها وقد كدوا لهم فغنمواهم وقتل اكثرهم وأسر الباقون
وفيههم ولد المقدم المولى حصن حارم وعادوا سالين بالاسرى وروؤوس القتلى والغنيمة
لم يُصب منهم غير فارس واحد فقد والله الحمد على ذلك والشكر

وفي يوم الثلاثاء اول شهر تموز الموافق لاول جمادى الاخرة من السنة وافى في البقاع
مطر هطال بحيث حدث منه سيل احمر كما جرت به العادة في تنبول (كذا) الشتاء ووصل
الى برّدى ووصل الى دمشق فكثرت التعجب من قدرة الله سبحانه وتعالى حدوث مثل ذلك
في مثل هذا الوقت

وفي اخر ليلة الاربعاء الثالث والعشرين من رجب من السنة وافت زازلة عند
تأذين الغداة روعت القلوب وازعجت النفوس ثم سكنت بقدرة الله الرؤوف الرحيم ثم
وافت أخرى عقب الماضية في ليلة الخميس وقت صلاة الغداة ثم سكنت بقدرة
الله تعالى

وورد الخبر من العسكر المحروس بان الافرنج خذلهم الله تجتمعوا وزحفوا الى
العسكر المنصور وان المولى نور الدين نهض في الحال في العسكر والتقى الجمعان واتفق
ان (في) عسكر الاسلام حدث لبعض المقدمين فشل فاندفعوا وتفرقوا بعد الاجتماع وبقي
نور الدين ثابتاً بمكانه في عدة يسيرة من شجعان غلمانه وابطال خواصه في وجوه الافرنج
واطلقوا فيهم السهام فقتلوا منهم ومن خيولهم العدد الكثير ثم ولّوا منهزمين خوفاً من
(191^٢) كمين يظهر عليهم من عسكر الاسلام ونجى الله وله الحمد نور الدين من
بأسهم بعبوة الله تعالى له وشدة بأسه وثبات جأشه ومشهور شجاعته وعاد الى محبته
سالماً في جماعته ولا من كان السبب في اندفاعه بين يدي الافرنج وتفرق جمع الافرنج
الى اعمالهم وراسل ملك الافرنج في طلب الصلح والمهادنة وحرص على ذلك وتردّت
المراسلات بين الفريقين ولم يستقرّ حال بينهما واقام العسكر المنصور بعد ذلك مدة ثم
اقتضى الراي السعيد الملكي النوري الانكفاء الى البلد المحروس فوصل اليه في يوم ...
من شعبان من السنة

ولما كان في اواخر ايام من رجب سنة ٥٥٣ تجمّع قوم من سفهاء العوام وعزموا

على التحريض للملك العادل نور الدين على إعادة ما كان ابطله وسامح به اهل دمشق من رسوم دار البطيخ وعرضة البقل والانهار وصانهم من اعنات شر الضمان وحوالة الاجناد وكرّروا بسخف عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة الاف دينار بيضاء وكتبوا بذلك حتى أُجيبوا الى ما راموه فشرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المقدمين والاعيان والرعايا فما اهتمدوا الى صواب ولا نجح لهم رأي في خطاب ولا جواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألموا واكثروا الضجيج والاستغاثة الى الملك العادل نور الدين فصرف همه الى النظر في هذا الامر فتتجت له السعادة واثير العدل في الرعية في إعادة ما اشكل الى ما كان عليه فلما كان يوم الاثنين العاشر من شهر رمضان امر باعادة الرسوم المعتادة الى ما كانت من أمانها وتعفية اثرها واطاف الى ذلك تبرعاً من نفسه ابطال ضمان الهريسة والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرأ على كافة الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفية ذكرها فبالغ العالم في ذلك من مواصلة الادعية للملك العادل والثناء عليه والنشر لحاسنه فانه تعالى يستجيب منهم ويديم ايامه ويقرن ايامه بالسعادة والتصر لاوليائه واعلامه

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان من السنة وصل الحاجب محمود المولد من ناحية مصر بجواب ما تحمّلنا من المراسلات من الملك الصالح متولي امرها (191) ومعه رسول من مقدمي امرائها ومعه المال المنقذ برسم الخزانة الملكية النورية وانواع الاثواب المصرية والجياد العربية . وكانت فرقة من الافرنج خذلهم الله قد ضربوا المهم في المعابر فاظفر الله بهم بحيث لم يفلت منهم الا القليل التذر ثم تلا ذلك وورد الخبر من العسكر المصري بظفروه بجمة وافرة من الافرنج والعرب تناسهز اربعمائة فارس وتزيد على ذلك في ناحية العريش من الجفار بحيث استولى عليهم القتل والاسر والسلب وكان فتجاً حسناً وظفراً مستحسناً والله المحمود على ذلك المشكور

وفي يوم الثلاثاء ثالث شوال من السنة توفي المنتجب ابو سالم بن عبد الرحمن الحلبي متولي كتابة الجيش وعرض الاجناد في ديوان الملك العادل نور الدين رحمه الله وكان خيراً حسن الطريقة مجموعاً على شكره والتأسف على فقد مثله وتلا مصابه وفاة المهذب ابي عبد الله بن نوفل الحلبي في دمشق ايضاً رحمه الله في يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة من السنة وكان كاتباً للامير الاسفهلار اسد الدين ووزيره وهو

موصوف بالخيرية محمود الافعال مشكور المقاصد في جميع الاحوال والحلال واستخدم
ولده في منصبه

وتلا ذلك ورود الخبر من ناحية حماة في العشر الاخير من ذي الحجة من السنة
ب وفاة رضي الدين ابي المجد 'مرشد بن علي بن عبد اللطيف المعري بحماة رحمه الله وكان
من الرجال الاسداء الكفاة فيما كان يستهض فيه في ايام الاتابكية وكذلك في الايام
النورية وكان مع ذلك موصوفاً بالخيرية وسلامة الطبع مستمراً في ذلك على منهاج اسوته
وكانت الاخبار قد تناصرت من ناحية القسطنطينية في ذي الحجة من السنة
ب بروز ملك الروم منها في العدد الكثير والجهم الغفير لقصد الاعمال والمعاقل الاسلامية
ووصوله الى مروج الديباج وتحييسه فيها وبث سراياه الاغارة على الاعمال الانطاكية
وما والاها وان قوماً من التركمان ظفروا بجماعة منهم هذا بعد ان افتتح من الاعمال
لاوين ملك الارمن عدة من حصونه ومعاقله . ولما عرف الملك العادل نور الدين هذا
شرع في مكاتبة ولاة الاعمال والمعاقل باعلامهم ما حدث من (192^{هـ}) الروم ويبعثهم
على استعمال الثبظ والتأهب للجهاد فيهم والاستعداد للنكاية بمن يظفر منهم والله تعالى
ولي النصر عليهم والاظفار بهم كما جرت عوائده الجميلة في خذلانهم والاظهار عليهم
ورد باسمهم في نحورهم وهو تعالى على كل شي . قدير .

وقد اتفق في هذه السنة السعيدة التي هي سنة ٥٥٣ هـ منذ ابتداء تشرين الثاني
انكاثن فيها الى اوائل شباط ان السماء بامر خالقها ارسلت عزاليها بتدارك الشراج
والامطار مع توالي الليل والنهار بحيث عمت الاقطار وروت الوهاد والاغوار والبراري
والقفار وجرت الاودية وتتابعت السيول بماثا المصنل والبنى والبنكي واكتست
الاراضي المنخفضة والبقاع بنخضرة الزرع وعشب التبات واشبعت السائمة بعد الضعف
والسغب واراحتها من كلفة العناء والتعب وكذلك سائر المواشي الراعية والوحوش القاصية
والدانية وتناصرت الاخبار من سائر الجهات بمحوم هذه النعمة وذكر الشيخ انهم لم
يشاهدوا مثل ذلك في السنين الحالية فله على (نعمته) خالص الحمد ودائم الشكر

ودخلت سنة اربع وخمسين وخمسمائة

اولها يوم الجمعة مستهل الحرم منها . وفي هذا اليوم وافت زلزلة عظيمة ضحى نهاره
وسكنها محركها بقدرته ورحمته وتلاها في يومها ثلثان دونها

وكان في اوائل ايام من ذي الحجة سنة ٥٥٣ قد عرض للملك العادل نور الدين مرض تزايد به بحيث اضعف قوته ووقع الارجاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتفعت الرعايا واءوان الاجناد وضائق صدور قطان الثغور والبلاد خوفاً عليه واشفاقاً من سوء يصل اليه لاسيما مع اخبار الروم والخبر من الافرنج خذلهم الله . ولما احس من نفسه بالضعف تقدم الى خواص اصحابه وقال لهم : انني قد عزمت على وصية اليكم بما قد وقع في نفسي فكونوا لها سامعين مطيعين وبشروطها عاملين . فقالوا : السمع والطاعة لامرك وما تقرره من رأيك وحكمك فاننا له قابلون وبه عاملون . فقال : اني مشفق على الرعايا وكافة (192) المسلمين ممن يكون بعدي من الولاة الجاهلين والظالمة الجائزين وان اخي نصرة الدين امير ميران اعرف من اخلاقه وسوء افعاله ما لا ارتضي معه بتوليته امراً من امور المسلمين وقد وقع اختياري على اخي الامير قطب الدين مودود بن عماد الدين متولي الموصل وخواصه لا يرجع اليه من عقل وسداد ودين وصحة اعتقاد بان يكون في مناصبي بعدي والساد لثمة قدي فكونوا لامره بعدي طائعين وحكمه سامعين فاحلفوا له بصحة من نياتكم وسرائركم واخلص من عقائدكم وضمايركم . فقالوا : امرك المطاع وحكمك المتبع . فحلفوا الأيمان المؤكدة على العمل بشروطها واتباع رسومها وانفذ رساله الى اخيه المذكور لاعلامه صورة الحال ليكون لها مستعداً واليها مسرعاً . ثم تفضل الله تعالى عليه وعلى كافة المسلمين بدوء الابلال من المرض وتزايد القوة في النفس والجسم وجلس المدخول اليه والسلام عليه فسرت النفوس بهذه النعمة وقويت بتجديدها

وكان الامير مجد الدين التائب في حلب قد رتب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها فظفر المقيم في منبج برجل حمال من اهل دمشق يعرف بابن مغزو معه كتب فانفذه بها الى مجاهد الدين متولي حلب فلما وقف عليها امر بصلب متحتمها . وانفذها في الحال الى الملك العادل نور الدين فلما وقف في يوم الخميس من العشر الثاني من الحرم من السنة الجديدة وجدها من امين الدين زين الحاج ابي القسم متولي ديوانه ومن عز الدين متولي ولاية القلعة مملوكه ومن محمد حصري (كذا) احد حجابيه الى اخيه نصرة الدين امير ميران صاحب حران باعلامه بوقوع اليأس من اخيه الملك العادل ويحضونه على المبادرة والاسراع الى دمشق لتسلم اليه . فلما عرف ذلك عرض الكتشب على اربابها فاءتروا بها فامر باعتقالهم وكان في جملتهم الرابع لهم سعد الدين عثمان وكان قد خلف

فهرب قبل ذلك بيومين . وورد في الحال كتاب صاحب قلعة جعبر يخبر بقطع نصرة الدين مجداً الى دمشق فانقض اسد الدين في العسكر المنصور لردّه ومنعه من الوصول فأَتصل به خبر عوده الى مقرّه عند معرفته بعافية الملك العادل اخيه فعاد اسد الدين في العسكر الى البلاد

ووصلت رُسُل الملك من (١٩٣) ناحية الموصل بجواب ما تحمّاهُ الى اخيه قطب الدين وفارقوه وقد برز في عسكره متوجّهاً الى ناحية دمشق فلما فصل عن الموصل اتّصل به خبر عافية الملك نور الدين فاقام بحيث هو ونقّذ الوزير جمال الدين ابا جعفر محمد بن علي لكشف الحال فوصل الى دمشق في يوم السبت الثامن من صفر سنة ٥٥٤ في احسن زيّ وانهى تجملٍ وخرج الى لقائه الخلق ابكثير . وهذا الوزير قد الهى الله تعالى من جميل الافعال وحيد الاخلاق وكرم النفس واتفاق ماله في ابواب البرّ والصلات والصدقات ومستحسن الاثار في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلّم ومكّة والحرم والبيت ما قد شاع ذكره وتضاعف عليه مدحه وشكره واجتمع مع الملك العادل نور الدين وجرى بينهما من المفاوضات والتقريرات ما انتهى عوده الى جهته بعد الاكرام له وتوفيته حقه من الاحترام واصحبه برسم قطب الدين اخيه وخواصه من الملائكة ما اقتضته الحال الحاضرة وتوجه معه الامير الاسفهلار اسد الدين شيركوه في خواصه يوم السبت النصف من صفر من السنة المذكورة

وقد كان وصل من ملك الروم رسول من معسكره ومعه هدية اتحف الملك العادل من اثواب ديباج وغير ذلك وجميل خطاب وبغال وقبول بمثل ذلك وعاد اليه في اواخر صفر من السنة . وحكي عن ملك الافرنج خذله الله ان المصالحة بينه وبين ملك الروم تقوّرت والمهادنة انعقدت والله يردّ بأس كل واحدٍ منهما الى نحوه ويذيقه عاقبة غدره ومكره وما ذلك على الله بعزيز

وفي العشر الثاني من صفر من السنة توجه الحاجب محمود المسترشي الى مصر عائداً مع رُسُلها كتب الله سلامتهم بجزايات ما كان ورد معهم من مكاتبات الملك العادل الصالح متولي امرها عن الملك العادل نور الدين اعز الله نصره

ووردت اخبار من ناحية ملك الروم باعتزله على انطاكية وقصد المعقل الاسلامية فبادر الملك العادل نور الدين بالتوجه الى البلاد الشامية لايّناس اهلها من استيحاشرهم من شرّ الروم والافرنج خذلهم الله فسار في العسكر المنصور صوب حمص وحماة وشيزر

والاقدام الى حلب الى ان اقتضت الحال ذلك في يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة (193^٧) وفي الليلة الاخذ الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة وافت في انتصافه زلزلة هائلة ماجت اربع موجات ايقظت النيام وازعجت اليقظي وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه وعلى مسكنه ثم سکنها محرکها باطفه ورحمته فله الحمد الرؤوف بعباده الرحيم ولم يعلم تأثيرها في الاماكن النائية فنبجان القادر على ما يشاء العليم الحكيم

وفي العشر الاول من شهر ربيع الاخر من السنة ورد الخبر من ناحية حلب بوفاة ابي الفضل اسمعيل بن وقار الطيب في يوم الجمعة آخر شهر ربيع الاول رحمه الله وكان في خدمة الملك العادل نور الدين اعز الله انصاره وكان قد حظي عنده باصابات في صناعه وقرب سعاده مع ذكاء فيه ومعرفة بكونه سافر الى بغداد من دمشق واجتمع بمجاعة من فضلائها وقرأ عليهم واخذ عنهم هذا مع خبرته وحيد طريقته واجتماع الناس على احماده والتأسف على فقد مثله في حسن فعله لكن القضاء لا يُدافع والمقدور لا يمانع وفي يوم الجمعة التاسع من جمادى الاولى من السنة هبت ربيع شديدة اقامت يديها وليتها فالتفت اكثر الثار صينيها وشتويها واندت بعض الاشجار ثم وافت آخر الليل زلزلة هائلة ماجت موجتين ازعجت واقلقت وسكنها محرکها وحرس المساكن مشتبها برحمته وقدرته فله الحمد والشكر رب العالمين

وفي جمادى الاولى من السنة في اوله تناصرت الاخبار المبهجة من ناحية العسكر المنصور الملكي النوري باعمال حلب بتواصل الامراء المقدمين ولالة الاعمال المجاهدة احزاب الكفرة الضلال من الروم والافرنج لقصد الاعمال الاسلامية والطمع في ثلکها والافساد فيها والحماية لها من شرهم والذب عنها من مكرهم في التناهي في الكثرة والاعداد الدثرة فقضى الله بحسن لطفه بعباده ورحمته ورأفته ببلاده ان سهّل للعزائم المنصورة الملكية النورية من صائب الرأي والتدبير وحسن السياسة والتقرير وخلص النية لله تعالى وحسن السرية بحيث المهادة الموكدة والمواذعة المستحكمة بين الملك العادل نور الدين وملك الروم ما لم يكن في الحساب ولا خطر ببال بحيث انتظمت الحال في ذلك في عقد السداد وكنه المراد بحسن رأي ملك الروم ومعرفته بما يؤول اليه عواقب الحروب ويمسر الامل المطلوب بعد تكرّر المراسلات والاقتراحات في (194^٢) التقريرات واجيب ملك الروم الى ما التمسهُ من اطلاق مقدمي الافرنج

المقيمين في حبس الملك نور الدين وانقذهم بأسرهم وما اقترحه اليه وحصولهم لديه وقابل ملك الروم هذا الفضل بما يضاعفه افعال عظماء الملوك الاسدءاء من الاتحاف بالاثواب الديباج الفاخرة المختلفة الاجناس الوافرة العدد ومن جوهر نفيس وخيمة من الديباج لها قيمة وافرة وما استحسن من الخيول الحلية ثم رحل عقيب ذلك في عسكره من منزله عائداً الى بلاده مشكوراً محموداً ولم يؤذ احدًا من المسلمين في العشر الاوسط من جمادى الاولى سنة ٥٥٤ فاطمأنت القلوب بعد ارتعاجها وقلقها وأمنت عقيب خوفها وفرقها فله الحمد على هذه النعمة حمد الشاكرين

وورد الخبر بعد ذلك بان الملك العادل نور الدين صنع لاختيه قطب الدين ولعسكره ولبن ورد معه من المقدمين والولاة واصحابهم الواردين لجهاد الروم والافرنج في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الاولى من السنة سباطاً عظيماً هائلاً ينهي فيه بالاستكثار من ذبح الخيول والابقار والاغنام وما يحتاج اليه في ذلك ممّا لا يشاهد مثله ولاشبه له مما قام بمجملته كبيرة من الغرامة وفرّق من الحصن العربية والخيول والبغال العدد الكثير من الخلع وانواع الديباج المختلفة وغيره والصحن الذهب الشهيء الكثير الزائد على الكثرة وكان يوماً مشهوداً في الحسن والتجمل . واتفق ان جماعة من غرباء التركمان وجدوا من الناس غفلةً باستغفالهم بالسباط وانتهابه فغاروا على العرب من بني اسامة وغيرهم واستاقوا مواشيهم فلما ورد الخبر بذلك أنهض في اثرهم فريق وافر من العسكر المنصور قادر كهم واستخلصوا منهم جميع ما اخذوه واعيد الى اربابه وسكنت النفوس بعد ارتعاجها والله المحمود المشكور

ثم تقرّر الرأي الملكي النوري إعلاء الله على التوجه الى مدينة حرّان لمنازلتها واستعادتها من اختيه نصرة الدين (١) حسباً رآه في ذلك من الصلاح ورحل في العسكر المنصور في اول جمادى الاخرة فلما نزل عليها واخطب بها وقعت المراسلات والاقتراحات والممانعات والحاربات الى ان تقرّرت الحال على ايمان (194^٧) من بها وتسأمت في يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الاخرة المذكور وقرّرت احوالها واحسن النظر اليها في احوال اهليها وسلّمت الى الامير الاجل الاسفهلار زين الدين على سبيل الاقطاع له وفوض اليه تدبير امورها

(١) قال سبط ابن الجوزي: وسيله ان نور الدين لما مرض وقع اليأس منه وكاتب اخوه الجند وطمع في الملك فشقّ على نور الدين

ودخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة

واولها يوم الثلاثاء مستهل المحرم والشمس في كح درجة وكح دقيقة من الجدى والثاني عشر من كانون الثاني والطلع القوس سبع عشرة درجة وخمس دقائق. وفي ليلة الجمعة من صفر من هذه السنة توفي الامير مجاهد الدين بزان بن مامين (١) احد مقدمي امراء الاكراد والوجهة في الدولة رحمه الله موصوف بالشجاعة والبسالة والسماحة مواظب على بث الصلوات والصدقات في المساكين والضعفاء. والفقراء مع الزمان وكل عصر ينقضي واوان جميل الحيا حسن البشر في اللقاء وتحمل من داره يساب الفراديس الى الجامع للصلاة ثم الى المدرسة المشهورة باسمه فدفن فيها في اليوم ولم يخل من بالكر عليه وموت بن له ومتأسف على فقده بجميل افعاله وحميد خلاله ورثي بهذه الايات المختصرة وهي :

كم غافل وسهام الموت مصية	نصبيه في غفلة منه ونسيان
بيننا تراه سريع الخطو في وطر	حتى تراه سريعاً بين اكفان
كذلك كان بزان في امارته	ما بين جند وانصار واعوان
هبت رياح الرزايا في منازله	فغادرها بلا انس وجيران
امسى بقبر وحيداً جنب مدرسة	بلا رفيق ولا خل واخوان
ما عابنت نمنه عين مؤرقة	الا بكنته بانواد وعثمان
فرحمه الله لا ينفك زائره	لحدأ حوى جسمه منه بغفران
ولا اغبت ثراه كل مرعدة	تضي عليه بنيت ليس بالوافي
حتى تروضة منها بصيبها	بكل زهر فضيض ليس بالغالي
ما دامت الشهب في الافلاك دائرة	وناحت الورق ليلاً بين اغصان
(195٢) من يفعل الخير في الدنيا فقد ظفرت	يداه بالحمد من قاص ومن دان

وفي يوم الخميس مستهل صفر من السنة رفع القاضي ذكي الدين ابو الحسن علي ابن محمد بن يحيى بن علي قاضي دمشق الى الملك العادل نور الدين رقة يسئل فيها الاعفاء من القضاء والاستبدال به فاجاب سؤاله وولى قضاء دمشق القاضي الاجل الامام كمال الدين بن الشهرزوري وهو المشهور بالتقدم ووفور العلم وصفاء الفهم والمعرفة

(١) وفي حاشية: قلت هذا مجاهد الدين هو ابو الفوارس بزان بن مامين بن علي بن محمد وهو من الاكراد الجلالية وهي طائفة منهم بلادهم في العراق بنواحي دقوقا من اعمال بغداد

بقوانين الاحكام وشروط استعمال الانصاف والعدل والنزاهة عن الاشفاف وتجنب
الهوى والظلم وحكم بين الرعايا باحسن افعال في الحكم وكتب له المنشور بذلك
بنعوته المكتلة وصفاته المستحسنة ووصاياه البليغة المتقنة واستقام له الامر على ما
يهواه ويؤثره ويرضاه على ان القضاء من بعض ادواته واستقر ان النائب عنه عند
اشتغاله ولده (١)



هذا آخر ما وجد من مذيل التاريخ الدمشقي والحمد لله وحده وصلواته على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً

وكان الفراغ من كتابته سلخ ربيع الآخر سنة ٦٢٩ كتبه اسير ذنبه الراجي
عفو ربه محمد بن ابي بكر بن اسمعيل بن الشيرجي الموصل
غفر الله له زله وخطاه وخطله لجميع المسلمين



(١) ودونك ترجمة السنة الخامسة والخمسين بعد الحسنة عن الفارقي قال في تاريخه: انه مات
في الخليفة الفائز ابن الظاهر بمصر والسايطان اذ ذاك الملك الصالح ابن رزيك واجتمعوا وولوا
صبياً صغيراً من الدار اسمع عبد الله ويكنى بابي محمد ويلقب بالعاقد وهو ابن يوسف بن عبد

المجيد الحافظ وابنه احد الثلاثة الذين قتلهم عباس بعد الظاهر واستقر في الخلافة وهو الخليفة الرابع عشر من حيث ولّوا هذا البيت لان كل خليفة وُلّيَ عُلقت منطقته بقبلة الجامع وتكون منطقة الذين قبله مكشوفة ومنطقة الحي مغطاة فاذا مات وُلّي غيره كُشفت وعُلقت منطقة المولى منطقة وكمل في الجامع مع هذه الى هذه السنة اربع عشر منطقة . وحدّثني هذا جماعة ممن سافر الى ديار مصر . وبقي الماضد في الخلافة واستقر والصالح السلطان بالبلاد

وقال ايضاً : وفي سنة ٥٥٦ وثب القوس بمدينة آنة على صاحبها الامير فضلون بن منوچهر واخزم ومضى الى قلعة تسمى بكران مجاور سمراري وسأحو القوس آنة الى ملك الابخاز كركور وحضر عساكره وملكها ونهب منها ما لا عظيمًا وسى جميع اهل شداد وفضلون . وفي جمادى الاولى ولى ملك الابخاز فيها حاجبه سعدون وعاد الى تفليس

وفي رجب من السنة اجتمعت العساكر جميعها من جميع اطراف شاه ارمن وعز الدين سلتق وفخر الدين (دولت شاه) صاحب ارزن وصاحب القرس وسمراري وساروا الى خراس وخرج صاحب نجم الدين (الي بن تترتاش) يقصدهم فقتلوا على آنة في شعبان من السنة واقاموا عليها فقصدهم ملك كركور ملك الابخاز وكسرم على باب آنة و (لماً) وصلت العساكر والملك اخزم الامير سلتق فانفصل عن المسلمين لان كان ملك الابخاز ديمطري لما أسره كما ذكرنا واطلقه استخلفه انه لا يضرب في وجهه سيفاً ولا وجه اولاده ولا يلتقي له عسكرياً ولا لاولاده ما عاش وطلب سلتق الفرس . فلما انفصل الامير سلتق اخزم العساكر من المسلمين ووقع فيهم السيف وقتل منهم خلقاً عظيماً . فانخزم شاه ارمن من باب آنة وصاحب ارزن بفرسه واسر من المسلمين ما لا يحصى ونهب برك شاه ارمن وقتل اكثر اصحابه والمسيود من سلم من الواقعة وأسر من المسلمين مقدار تسعة الف فارس ورجال من اكابر بيت سكران وغيرها فأسر بدر الدين اخو الخاتون صاحبة اخلاط لأما وخلق لا يحصى

وبلغ خبر الكفرة للصاحب نجم الدين وكان وصل الى ولاية مناجرد فماد ولم يجتمع بشاه ارمن ولا حضر الوقعة ووصل الى ميفارقين . ونقذ الوزير جمال الدين وزير الموصل الى ملك الابخاز رسولاً وشفع في الامير هلدري القرطقي صاحب اسباگرد وكان من اصحاب شاه ارمن وأسر في الوقعة فاطلقه ونقذ جمّة الف دينار واشترى بها اسارى من المسلمين ممن ليس له احد ولا اهل ولا مال واشترى قومًا حجارين كانوا أسروا في الوقعة

وقال ايضاً : وفي شهر شعبان من سنة ٥٥٧ اغارت الكرج على مدينة دوين ودخلوا اليها ونهبوا جميع ما كان فيها وقتلوا خلقاً عظيماً وأسروا من المسلمين خلقاً لا يحصى ونقضوا المنارة التي كان بناها قُرقي بن الاحدب من هاجم الكرج في وقعة اوقع بهم واخربوا المساجد واكثر الدور وعادوا الى تفليس واقاموا مدة وخرجوا وقصدوا مدينة جتري ونهبوا وأسروا خلقاً ثم عادوا الى تفليس والاسارى على العجل وغنموا غنائم لا تحصى

وقال ايضاً : وفي يوم الاربعاء تاسع شعبان من سنة ٥٥٨ كسر شاه ارمن والسلطان ارسلان شاه ابن طغرل بك وشمس الدين الدكر وفخر الدين صاحب ارزن ملك الابخاز والكرج كسرة عظيمة ودخلوا الى حصن الكركري وكانت الوقعة هناك وكسروا اقبح كسرة وفنم منهم من الاموال ما لا يوصف ولا يحصى وأخذ اصطبل الملك وكانت مملوكة فضة وأخذ الشرايطانه وما كان فيه وأخذ الدنانير الفضة التي كانت فيه . وأحضر الدن الواحد بين يدي السلطان وكان الدن

ورقيقه يُحملان على فجلة فنفذه السلطان وانفذ من القنينة مقدار ألفي دينار يشتري بها وحمل شربات ذهب وفضة وحمل الجميع الى جامع همدان للسيل برسم شرب الماء واخذ التركمان الدن الاخر وقطعته وضربوا منهم نجاً عظيماً وقتلوا خلقاً كثيراً وانخرم ملك الالبغاز الى غيبة عظيمة فيها خشب الصنوبر مسيرة ثلثة ايام لا يقع على احد فيها الشمس الا نادراً وقد رأيت موضع الوقفة في هذه الغيبة ما كنت في خدمة ملك الالبغاز في سنة ٦٩٠

واخذ شاه ارمن ثلثة جمال كان احدها فيه آنية ذهب وفضة والثاني كان احدها فيه آنية ذهب وفضة والثاني كان عليه بيعة الملك فيه صلبان ذهب وفضة مرصعة بابواع الجواهر وفيه اناجيل مصورة بالذهب مرصعة بالجواهر لا يعرف قيمتها ولا يوجد مثالا والثالث عليه خزانة الملك من ذهب وفضة وجوهر ما لا يقوّم بعضه كثرة بحيث انه قيل ان كتاب اخلاط بديوانها قوموا ما وصل الى شاه ارمن وكان مثل ما أخذ منه على باب آنة عند ما كسر ثلثين ضمفاً . ولقد سمعت هذا من جماعة كثيرة من اهل اخلاط ممن كان بالوقفة وكنت اذ ذاك يسدليس ويوم وصل المبشر الى اخلاط كنت باخلاط وجماعة من الفار فيه وكان يوماً عظيماً بحيث انه ذبح من البقر بعد يومين مقدار ثلثمائة رأس وفُرق لحماً على المساكين والضعفاء وبعد ايام وصل شاه ارمن الى اخلاط واظهروا فيها كل شيء لا يرى مثله من الاموال والتجمل ووصل صاحب بدليس اليها وزين البلد لقدموه في اول شهر رمضان وكنت يسدليس

وقد روى مؤلف زبدة التواريخ في هذه الوقفة ان اتابك الدكر لما صار باذربيجان راسلته الكرج وقالوا له : انه لنا على كدجة وبيلقان خراج يصل الى خزنة الملك في كل سنة وقد انقطع عنا منذ سنين ما وصل الى الخزنة ونريد منك ان تدفع ذلك لنا . فقال لهم بالجواب : انني ما تركت العراق وجئت الى هذه البلاد الا حتى اجمع العساكر واقصد تفليس واحاصرها ولا ازال دون ان آخذها فما عندكم من قوة فظهروها فانا قاصد بلادكم قد اتيتكم بمساكر لا ينبغيكم منها الا الضرب بالسيوف والطنن بالأسنة . وكان السلطان ارسلان شاه بن طغرل بحدان وقد عادت امور عساكر العراق الى أجل ما كانت عليه في زمن السلطان مسعود فنفذ اليه اتابك الدكر وعرفه رسالة الكرج وانه قد اجابهم بكذا وكذا وشرح له الرسالة والجواب واستقدمه اليه . فنهض السلطان ارسلان شاه بن طغرل من العراق بمساكر راقق السيوف وهيبة راعت القلوب ورجال يوزن آحادهم بالاف وافرادهم باضفاف قد رتبهم الحروب في حجورها واراضتهم التجارب من سطورها فلم يسمع بمسكر في العراق اجتمع فيه من القدوم وطبقات الجنود ما جمعه ذلك المسكر وسار حتى لحق باتابك الدكر بنخجوان ورحل من نخجوان الى ان وصل كندجة فاقام فيها اياماً . ولما سمع ملك الكرج بآياله وانه مُجد على لقائه وقتاله ارسل اليه رسولا وتضرع اليه انني قد تركت عما كنت قد طلبته منك ولست اعود الى ما يسوءك وانا نازل عند ما تريده وسعفك بما تطلبه

وكان شاه ارمن ستمان بن ابراهيم ايضاً قد جاء الى عسكر السلطان ليفوز بخدمة ويحظى بتقيل بباطه بمساكر كثيرة وعدد وافرة وحظي عند وصوله الى خدمة السلطان بالاعزاز والاحكام والتبجيل والاعظام وكان يخاطبه السلطان « ابيي »
فلما وصل رسول الكرج الى اتابك الدكر بذلك عرضة على السلطان ارسلان شاه بن طغرل

فجمع الامراء باسراهم وشاه ارمن وحضر اتابك الدكرز معهم وتشاوروا في الجواب لرسول ملك الكرج فاشاروا كلهم الى الاتابك الدكرز : ان الرأي رأيك وانت أعرف ببلادك فاذا ترى . فلاح لهم منه انه يميل الى المصالحة فقام امراء العراق وخدموا السلطان وقالوا له : نحن انفقنا اموالنا على اجنادنا ورجالنا وجمعنا عساكر يضيق عنها الفضاء ويجب من سورتها وشرتها القضاء وجئنا الى هاهنا ونعود من غير ان نلقي عدو الاسلام ونُريه بأساً يورده في موارد الانتقام ومراساً يقوده الى الاذلال والارغام وقهراً يرده عن شريعة الطمع وقسراً يُنزل بقلبه البأس والجزع

ووافقهم شاه ارمن على هذا الرأي وقال : ان عدو الاسلام شديد كلبه ثقيلة على المسلمين وطأته وبالايس ما قد فعله من الفارة على دوين ونخبها وأسر جماعة اهلها وقد رأينا اننا اجتمعنا للقائه وتحياؤنا لدفع مضرته وبلاده ويرى اننا تفرقنا من غير مكافأته ومساوئته وعدنا دون مصادمته ومساوئته وقد انفقنا من الاموال ما انفقنا واذهبنا لحس العساكر ما اذهبناه فحينئذ يزداد طمعه ويخشى انه اذا عاد السلطان خلف الله مأكبه الى العراق ان يخرج الى بلاد الاسلام بجموعه وبطرقها بعساكره وهي خالية ممن يقاومه صفواً ممن يقابله ويصادمه فتظهر ممرته باهل الاسلام وتفشو مضرته بالخاص منهم والعام

فلما سمع اتابك الدكرز هذه المقالات وان القوم مصرّون على الملاقاة قام الى كل واحد من الامراء فاعتقه وقبّل وجهه وقال : الان علمت انكم على الجهاد حريصون وعلى مكافحة اعداء الله مصرّون فتأهبوا للقاء الكفار وبيع انفسكم بالجهاد على الواحد القهار . ودفعوا رسول ملك الكرج باين من القول ورحلوا من مقامهم وقد اجتمع على السلطان من التراسكة ما ليس لهم عدد ولا بصرم لكثرتهم احد وقصدوا بلاد الكرج

فلما علم جم ملك الكرج بانهم قد قصدوا بلاده تأعّب للقاء واستمدّ وجمع قضة وقضيضه وخرج بعساكر لجة واثقال ما حوى عسكر من عساكر الكفار ما حواه عسكره من العدة والعتاد وآلات الحرب والطراد والخيول المسومة والبغال المطهّمة . وقرب المريقان بعضهم من بعض وكان اتابك الدكرز قد جعل المسكر ثلاثة فرّق فرقة تأهّبت للقاء الملك وعسكره وفرقة ثانية فيها عسكر العراق امرم ان يتوقّفوا الى ان تحتلط الخيل بالخيول والرجال بالرجال وتنشب بينهم الضراب والطمان فيأتونهم عند ذلك لتقوى قلوب المسلمين بآتيانهم وتضعف قلوب المشركين عند ممايتهم ووقفهم في الفرقة الثالثة ومع غلانه وخواصه رجال قد جربوا الحرب ولاقوها مراراً وتلقبوا فيها وعلموا احوالها سرّاً وجباراً

فوصل الملك ورّتب عساكره ميسرة وميسرة وقلبا وجناحين وعساكر المسلمين مقابلة ورفعت الحملات من الكرج على المسلمين وثبتوا له اشدّ ثبات ودارت بينهم رحى الحرب يفتلون بالبيض البوارق ما بين الطلي والمواق ويضربون مفارق الهام ضرب القدام بقبة القدام . فلما اشتدّت وطأة الحرب على ضجتها ومرّت كاسها على شرجها وتكافحت جموع الكرج على المسلمين لم يرهم الا الفرقة الثانية من المسلمين وهم امراء العراق قد اظلمت بخيل كظلام الليل وملتطم السيل مملئين بالتكبير معومين بالحزم والتشهير وانضافوا الى اخوانهم من المسلمين وتقدّموا على اعداء الله يهدمون صفوفهم ويحزمون ابطالهم ويزيلونهم من مواقعهم ومع ذلك فهم ثابتون امام ملكهم الى

ان انتصف النهار . وجاءهم اتابك الدكر بنفسه ورجاله الاتراك واشباله القبال بالطم والرم والليل المدلهم

فلما رأى الملك كثرة المساكر والامداد وانهم يأتونهم فوجاً بعد فوج زالوا عن مقامهم واخذتهم السيوف من وراءهم وامامهم وتكاثرت اولياء الله المسلمون على جماهير الكفار المشركين يأتونهم أزا ويقتلونهم رقصاً وجزاً . فلم ينتصف النهار الا بانتصاف المسلمين من اعداء الله المخذولين وحكموا السيوف في زهاء عشرة الاف رجل من ابطالهم وشجعانهم فبسطوهم على العراء واطعموهم سباع الارض وطيور الهواء وأحيط بجماعة من وجوه الكفار وجماهيرهم فسيقوا بجرم اثم القسر والقهر والأمر الى موقف السلطان واتابك الدكر كما يساق المجرمون الى النيران وجوه عليها غيرة الكفران ترهقها قفرة الخذلان فن مكتوف الى الظهر قهراً ومسحوب على الخد جراً ومضروب على الوريد ضرباً

ونجا ملك الكرج بجشاشة نفسه ورضي من النتيجة بالاياب ومن الظفر بالانقلاب واستولى المسلمون على غنائم لم يقم احد من المسلمين وعسكر من المسلمين مثلاً وامتلأت الايدي من الغنائم والخيل السوائم والاموال الجزيلة والحياض الحسنة الجميلة والفلان الذين كانهم اللؤلؤ المكنون . ومن جملة ما كان مع الملك الاصطال التي كان يسقي فيها خيله كلها فضة والآنية التي كان يحضر فيها طعامه والمييد والاطباق والصحون والزرابادي جميعها ذهب ووجد في خزانته من الجواهر والعقايان واللؤلؤ والمرجان كما ذكره الله سبحانه في القرآن ووعد به اهل الخان . وكانت هذه الحرب سنة ٥٦٦ (كذا) ودخلت المساكر بعد ما أحمت اياماً الى بلاد الكرج وشقوا فيها الغارات ووقعوا فيها النهب والقتل والامر والجرباب الى ان غادروها خاوية كأن لم تكن بالامس وخرجوا وقد حصل لهم من الغنائم ما ارتاشت بها احوالهم وتحققت آمالهم . ورجع السلطان واتابك الدكر الى كنجة ومضى شاه ارمن الى دار ملكه واقعد اتابك الدكر في كنجة من يقوم بحفظها والذب عنها من خصم عساه ان ينشئ ضواحيها وبلادها وسار الى ان اتى نخجوان اقام بها مدة في خدمة السلطان وقصدوا همدان ووصلوا اليها سالمين غانمين لم يمسهم سوء ولم يخلفهم أمل مرجو

واماً ما كان من بعد في امر مدينة آنة فهذا ما قاله الفارقي في تاريخه : وفي سنة ٥٥٩ في جمادى الاولى دخلت الكرج مدينة آنة واخلوها ووصل شمس الدين الدكر وملكها واقام بها اياماً وعاد اليها بعض من بعد عنها وشرع في عمارتها وانصرف شمس الدين الدكر الى باب مدينة جتري وعزم على لقاء الكرج

وفي هذه السنة اوقع الامير ابراهيم صاحب سرماري بالكرج وقعة عظيمة وقتل منهم خاقاً كثيراً واسر جماعة من كراجم

وفي آخر السنة سلم شمس الدين الدكر آنة الى الامير شاهنشاه اخي الامير شداد وفضلون اللذين كانا اصحابها من اولاد شوجهر . وقال ايضاً في ترجمة سنة ٥٦٣ : انه في اول رجب سنة وصل الخبر ان عز الدين سلق صاحب ارزن الروم توفي وولي ولده الملك محمد موضعه . وقال ايضاً في شهر ربيع الاول من سنة ٥٧٠ قصد الكرج آنة وحاصروها اياماً واخذوها من الامير شاهنشاه اخي شداد ونهبوها ونهبوا كل ما كان فيها ورتبوا فيها والياً من قبلهم وحصلت من ولاية الكرج

وقال ايضاً : ان في هذه السنة وصل الخبر بان اتاك الدكر قصد الكرج واقتتلوا قتالاً عظيماً وانخزم المسلمون وقُتل جماعة وأُسر جماعة وُحِب من الملاحين شيء كثير . وبقي اتاك مدّة ثم جمع جمعاً كثيراً وقصدهم فالتقوا في صحراء اوين وما اختلط بعضهم ببعض ولا جرى بينهم قتال وعادت الكرج ولم يظفروا شيء ودخل اتاك الدكر الى مدينة نخجوان وهو يجمع المساكن ونفذ الى صاحب اخلاط وجماعة الامراء ليحضروا ويلقوهم والله ينحدهم زهم الكرج

وقال ايضاً : وفي المعرّم سنة ٧١ قسد اتاك الدكر والسلطان ارسلان شاه وشاه ارمن صاحب اخلاط وعساكر ديار بكر والبهلوان ولد الدكر ومعهم عساكر اذربيجان وهمذان في خلق لا يُحصى ولاية الكرج الى ان حاوروا صحراء لوري ودومايس وخرجوا الى اقشهر وهي ما بين اخل كاعاك وصحراء ترابايت فنهبوا تلك الولاية واخربوا الضياع وسبوا من كان فيها ودقّوا الزروع ولم يبقوا في تلك النواحي عمارة وحاس الملك في غيضة بحضرتها وما كان اليه طريق ولم يقدر ان يخرج اليهم فبقوا اياماً وعادوا اجمع والسلطان يدوين وعاد شاه ارمن وعساكره الى ديار بكر والى اخلاط فوصلوا في العشر الاول من ربيع الاول ودخلوا الى اخلاط وزيّبوا البلد وكان يوماً مشهوداً واظهر اهل اخلاط من الاموال والزينة ما لم ير مثله ببلد آخر وقيت الرينة ثلاثة ايام باخلاط



فهرس الأعلام

التي وردت في الكتاب

- | | |
|---|--|
| أحمد بن نظام الملك (أبو نصر) ضياء الملك | * ١ * آق سنقر أحمدبلي ٢٣٨ |
| الوزير ١٥١, ١٦٣ | — سيف الدين البرسقي صاحب الموصل |
| — بن أبي هشام أبو القاسم العتيقي العلوي ٩ | ١٩٧, ١٩٩, ٢٠٨, ٢١٧ |
| — بن يعقوب الداعي ٦٧ | — قسم الدولة صاحب حلب ١١٩ |
| — شاه التركي ١٠٩, ١١٣ | ١٢٦, ١٣٠ |
| أحمدبلي (بن أبرهيم بن وهسودان) الأمير | الأمير بأحكام الله المبيدي ١٢٩, ١٤١, ٢٠٣ |
| الكردي ١٧٤-١٧٧, ١٩٨ | ٢١٢, ٢١٥, ٢٢٨ |
| أحمدبلي هو آق سنقر | الابن ٢٠٥, ٢٢٨ |
| ارتاش (بكتاش) مجير الدين بن تئش بن الب | أبرهيم الأمير صاحب مرماري ٢٦٤ |
| ارسلان ١٤٥, ١٤٨, ١٤٩, ١٥٦, ١٥٧ | — بن جعفر أبو محمود ٢-٥ |
| ارتق بن عبد الرزاق الأمير ١٦٠ | — بن سكران بن ارتق ١٢٧ |
| ارجوان هو برجوان | — — القطبي ١٧٦ |
| ارسلان تغمش بن داود بن ارتق ٢٦٧ | — بن قريش العقبلي ١٢٢, ١٢٣ |
| — مسلوك بن منقذ ١١٤ | — بن ينال أخو طغرل بك ٨٧-٩٠ |
| — شاه بن طغرل بك ٣٦١, ٣٦٣, ٣٦٥ | — — فخر الدولة صاحب آمد ١٢١, ١٢٧ |
| ارمانوس ملك الروم ١٠٣, ١٠٤ | ١٢٨, ١٥٨, ١٦٧, ١٧٦ |
| الارمن ٢٤, ١٠٥, ١٤٨, ١٧٠, ١٧٢, ٢٠٠ | أبق بن عبد الرزاق الأمير ١٦٤ |
| ٢٠٦, ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٧٩, ٢٨٢, ٢٨٨ | — هو مجير الدين |
| ٣٢٠, ٣٥٤ | اتسز (الاقيسر) بن اوق الخوارزمي ٩٨, ١٠٨ |
| أريسيني ١٠٠-١٠٣ | ١١٣, ١٤٦ |
| اسامة بن المبارك (بن شبل العقبلي) ٢٢٦ | أثير الدولة أبو الفتح خواجا ١٧٥ |
| بنو اسامة ٣٥٨ | — — ابن الكوفي ٧٩ |
| أبن أبي الاساور بن منوچهر ٣١٦ | الأحدب هو طغان ارسلان |
| الاباتارية ٣٣٩ | أحمد (بن حنبل الفقيه) ٣١١ |
| أصحق القرمطي ١٥ | — بن عبد الرزاق أبو الفضل كريم الملك |
| أسد الدين الأمير هو شيركوح | الوزير ٢٤٠ |

البارسلان تاج الدولة بن رضوان ١٨٩-١١١	اسماعيل بن ابرهم الحسيني هو ابن ابي الجن
١٩٨،	- بن بوري هو شمس الملوك
- محمد بن داود السلجوقي ١١، ٩٩، ١٠٠،	- السار زين الدين شحنة بدمشق ٣٠٧،
١٠٦،	٣٠٨،
- بن محمود بن محمد السلجوقي ٢١٧، ٢٤٨،	- المعجمي الباطني الداعي ١٨٩، ٢٢٢، ٢٢٤،
٢٨٦، ٢٥٩،	- بن وقار ابو الفضل الطيب ٣٥٧
الي نجم الدين بن قمر تاش ٣٦١	- بن ابي يعلى بن القاسم الحسيني ١
التاس الامير ١٣٨	الاسماعيلية ١٢٨، ١٢٩، ١٨٩، ٢٤٢، ٣٠١، ٣٠٣،
التوتاش ٢٨٩، ٢٩٠،	٢٤٩،
الدكر التركي ١٠٩	الاصفهانى جمال الدين ابو جعفر محمد بن علي بن
- (ايالدكر) شمس الدين اتابك ٣٦١-٣٦٥	ابي منصور الوزير ٢٨٦، ٣٠٧، ٣٥٦،
الافتكين (هفتكين) ابو منصور ١١-٢١، ٤٦،	٣٦١،
الفتش الافرنجي ٢٩٧، ٣٠٠،	- ابو نصر بن عمر الكاتب ١٥٣
الكرايكس ملك الروم وابنه يوحنا ١٩٩	اصفهد (بن سارتيكين) ١٣٠
الامان ٢٩٧، ٢٩٨،	الاصفهد التركماني (صباووا) ١٥٨
الانبرت ابن ملك الافرنج ١١٨	الاصمي ٢٥٧
الامويون ١٦	الافرنج ١١٨، ١٢٤-٣٦٠
امير الجيوش هو بدر الجبالي	الافضل ابو القاسم شاهنشاه ابن امير الجيوش
امير ميدان نصرة الدين محمد بن زنكي ٣٣٨	بدر ٨٤٨، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٤١،
٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٨،	١٦٠، ١٧٢، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٨، ١٨٩،
امين الدين زين الحاج ابو القاسم ٣٥٥	٢٠٣،
ابن الانباري سديد الدولة (ابو عبد الله محمد بن	- ابنه (ابو نصر) احمد الاكل ٢٢٩،
عبد الكريم) ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٠،	- بن ولحي هو رضوان
٢٦٠،	ابن افلح احمد بن محمد ابو الفتح ٥٠، ٦١،
- ابو علي ٨٤	اقبال الشفيي ٣٧
اتصار بن يحيى زين الدولة ٩٩، ١٠٨، ١٠٩،	اقيس هو اتسر
اندكان (هي ارزنجان) ٣٠٣	ابن اقتس ابو علي الحسن اثير الملك ٢٤٢
أثر هو معين الدين	الاکراد ١٠٣، ١٠٩، ١١٤، ١٨٤،
انفراد (جارية) ٣٩	- الجلالة ٣٥٩
انوشكين ابو منصور الدزيري امير الجيوش ٧١	اكر اسد الدين الحاسب ٢٦١، ٢٦٤، ٢٧٧،
٨٣، ٧٦-	٢٩٥،
- هو عز الملك	الاكفاني هبة الله بن احمد بن محمد ابو محمد
انوشروان شرف الدين بن خالد القيني الوزير	٢٢٧، ١١١
٢٢٨، ٢٤٢	الاكمل هو ابن الافضل

انوشروان ربيب طغرل بك ٨٨	بدر بن حازم الكلي ٩٤، ٩٧، ١٠٩، ١١٠
اوس جاء الدين بن محمود وزير باخلاط ٢٧٦	- الدولة (سليمان) بن عبد الجبار بن ارتق ٢٠٩
٣٢٨،	- الدين اخو الخاتون باخلاط ٣٦١
اياجور (ايجور) كند افرنجي ٢٧٧، ٢٥٩	- بن ربيعة ٥١، ٦٦، ٦٩
آياز امير سلجوقي ١٤٧	- بن ابي طيب شرف الدولة ١٦١، ١٨٨
ايتكين السلياني غلام تتش ١١٧، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩،	- غلام فاتك ٧٣
ايجور هو اياجور	بدران بن صنجيل ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٤،
الايسر ٧٥	١٧٧، ١٨١، ١٨٥، ١٩٧،
ايتكدي (ايلالدي) سعد الدولة بن ارمهم بن	- الكردي ٢٤٥
ينال صاحب آمد ١٢٨، ١٦٧، ٢٧٥،	البليسي (اسماعيل بن فضائل بن سعيد) ٢٧٤
ايلبا (يلبا) التركي ٢٤١، ٢٥٣،	ابن بديع ١٨٩
ايلدكز هو الدكز	البربر ٢٩٢-٢٩٤
ايلغازي نجم الدين بن ارتق ١٢٧، ١٢٣، ١٣٥،	برجوان (ارجوان) الخادم ٤٤-٥٦، ٥٩،
١٥٧، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٦، ١٩١،	البرجي الطريق ١٤، ٢٤، ٤١، ٤٢،
١٩٩-٢٠٢، ٢٠٥-٢٠٧، ٢١٥،	- هولولوه الكبير
ايوب ضياء الدين وزير بارزن ٢٦٧	برسق بن برسق صاحب همدان ١٧٤
- نجم الدين بن شاذي ٢٨٧، ٢١٦،	البرسقي هو آق سنقر
* ب * باد الكردي ٢١	برق بن جندل التميمي ٢٢١، ٢٠٣،
بارحكس (كذا) ٤٩	بركيارق بن ملك شاه السلجوقي ١٢١، ١٢٣-
بارخ غلام ٢٥	١٢٩، ١٢٧، ١٤٠، ١٤٧،
بارديس الدمستق ٢٥، ٢٩،	برهان الدين ابو الحسن علي بن محمد البلخي ٢٠١
بارزطغان قطب الدين ٩٤	٢١٦، ٢٢٣،
باز به ٢٠١	بزان بن مامين ابو الفوارس مجاهد الدين ٢٨٢
الباطنية ١٠٦، ١٢١، ١٤٣، ١٤٩، ١٥١، ١٥٣،	٢١٦، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١١، ٢١٩، ٢٢١،
١٥٩، ١٦٣، ١٧٥، ١٨٩، ١٩١، ١٩٨،	٢٢٤، ٢٢٩، ٢٥٥، ٢٥٩،
٢٠٣، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٧، ٢٢٢،	- ابنه محمد سيف الدين ٢١٩
٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٧٤، ٢٩١،	بزواج (بزوات) شجاع الدولة ٢٤٨، ٢٥٣-
باكليجار جاء الدين العلوي ١٥٨	٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٦،
بايتكين اخو كمشتكين التاجي ١٦٦	الباسيري (الفايري) ابو الحرث ارسلان
البجناكي حسام الدولة ٧٩، ٩١،	٨٧-٩٠، ١٠٥، ١٠٧، ٢٨٣،
بختيار حصن الدولة السلار ١٣١، ١٣٢، ١٩٨،	البسطاي ابو مبداه ٣٠٦
بدر الجمالي امير الخيسوش ٨٤، ٩١-٩٨، ١٠٩،	باسيل ملك الروم ١٤، ٢٤، ٤١، ٤٣، ٥٤، ٥٥،
١١٠، ١٢٤-١٢٨،	بشارة الاخشيدي ٢٥، ٢٦، ٣٠، ٣٩، ٤٠، ٥١-٥٣،

يسند صاحب انطاكية ١٢٧، ١٢٨، ١٤٣، ١٤٦،	بشر بن سور الكاتب ٦٧
١٥٨، ١٦٤،	— بن كريم بن بشر (ابو بكر الحزري) ٢٤٨
* ت * تاج الدولة تنش بن الب ارسلان	ابن البطائحي ابو عبدالله محمد (بن ابي شجاع
السلجوقي ١١٢-١١٦، ١١٩، ١٢٢-١٣١	فاتك بن ابي الحسين مختار) المأمون ٢٠٤
٢٤٦، ١٦١، ٢٧٩،	٢٠٩، ٢١٢،
تاج الملك بوري بن طفتكين ١٣٩، ١٦١،	— اخوه المؤتمن حيدرة ٢١٢
١٦٦، ١٦٧، ١٨١، ١٨٢، ١٨٨، ٢١٨،	بندوين صاحب بيت المقدس ١٤١، ١٤٣، ١٤٥،
٢٣٤—	١٥١، ١٥٩، ١٦١-١٦٤، ١٦٧-١٦٩،
تادرس هو بارديس	١٧١-١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣-١٨٥،
ابن تاشفين (علي بن يوسف) ٢٩٢، ٢٩٣	١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٩،
تبر الامير ٢٠٩	— الرويس صاحب الرها ١٢٨، ١٧٠،
تنش هو تاج الدولة	١٨٤، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٣،
— بن دقاق ١٤٤، ١٤٥	البغش الارمني ٢٦٩، ٢٧٩،
تبر هو دزير	بكتاش هو ارتاش
ابو تغلب الفضل هو ابن حمدان	بكجور ٢٤، ٢٦-٢٧، ٢٤،
التفليسي الطبيب ٣٩	ابو بكر الصديق ٥٨
ابن تكش بن الب ارسلان السلجوقي (بكتاش)	البلاساغوني ابو عبدالله محمد بن موسى التركي ١٨٣
١٨٢، ١٨٩،	بلاق حسام الدين ٢٠٦
تتكين حسام الدولة صاحب بدليس وارزن ١٣٧	بلتاش ١٦٧
١٥٨، ١٧٦،	بلكين (بلكين) التركي ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩،
قرتاش حسام الدين بن ايلخاري بن ارتق ١٩٩	البلسر ٤١، ٤٣،
٢٠٨، ٢٤٣، ٢٦٢، ٢٧٤-٢٧٦، ٢٢٩،	بلك بن جرام بن ارتق نور الدولة ١٧٠، ٢٠٢،
تمصوت هو طزملت	٢٠٨-٢١٠، ٢٨٥،
تبراك بن ارسلان تاش ١٨٥	البلس هو ريند صاحب انطاكية
قيم بن اسمعيل المغربي الملقب بفعل ٥٧	بناء الحيوث زهر الدولة ١٤٤
الشمسي هم حمزة ومحمد ابني اسد ومحمد بن	البنادقة ٢٠٩
هبة الله	جاء الدولة بن بويه ٣١
ابن نورث ابو محمد المصودي الادريسي	جرام الباطني ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٠٣،
الحسيني ٢٩١، ٢٩٣	— شاه بن بوري ٢٤٨
* ج * جاولي سقاوه ١٥١، ١٥٦-١٦٣، ١٦٧،	— بن تنش ١٨٩
ابن جبلة القاضي ١١٦، ١١٧،	البلوان بن الدكر ٣٦٥
ابن الجراح حسان ٣	بوري بن طفتكين هو تاج الملك
— حميد بن محمود وخازم بن علي ٩٣، ٩٦،	بوژان عماد الدولة صاحب انطاكية ١٢٠-١٢٧،
٩٧،	بوژيه (بوژابه) ٢٩٤

ابن الجراح دغفل الطائي ٢	سعيد ابو علي (الاعصم) ١-٢، ١٦-٢١
— ابنه المقرج بن دغفل ١٩، ٢٢-٢٥	جناس الدولة الحسين بن ايتكين اتابك ١٣٣
— — — ٢٩-٣٢، ٤٦-٥١، ٦٤	و ١٣٤، ١٣٨-١٤٣
— — — ابنه حسان بن المقرج ٦٢	الجنويون ١٢٩، ١٤٤، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٨
— — — ٧٤، ٧٢-٧٤	ابن جهير عميد الدولة محمد بن محمد ١٣٩
— علي ٤٧	— كافي الدولة ابو البركات جهير ١٢٣
الجرجرائي ابو القاسم علي بن احمد الوزير ٧٣	— نظام الدين (ابو المظفر بن زعيم) ٢٧٣
٧٥، ٨٠، ٨٣، ٨٤	ابن الجوزي (المؤرخ) ٤
— ابن اخيه ابو البركات ٨٤	جوسلين صاحب تلّ باشر ١٥٧، ١٦٧، ١٧٥
— جرجي ١٠٣	١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٠٩
جرفاس الافرنجي ١٦١	— ابنه جوسلين ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٧٩، ٢٨٨
ابن الجسطار ٢٧	و ٢١٠
جمهر الامير ١٠٠	جوهر الصقلي ٩٠
جعفر الصقلي السيفي ٦٢	— القائد ١، ٢، ١٢، ١٥-٣٠
— القرمطي ١٥	ابن جوهر الحسين قائد القواد الوزير ٥٦، ٦٠
بنو جعفر بتقليس ٢٠٥	و ٦١، ٦٥
جفر بن يعقوب هو نصير الدين	جيش بن محمد بن صحامة ٩، ١٠، ٢٥، ٢٦
جكرمش (شمس الدولة) صاحب الموصل	و ٤٨، ٥٠-٥٤، ٥٧، ٩٥
١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٦	— ابنه محمد ٥٤
الجلالية (اكراد) ٢٥٩	* ح * الحارثون ٢٦
جلنار الوالي ٤١	حارق بن كشتكين العراقي الامير ٢٠٢
جمال الدين طلحة صاحب المخزن ٢٥٠، ٢٥١	حازم بن نبهان بن القرمطي ٩٧
— محمد بن بوري ٢٢٩-٢٧١	الحافظ لدين الله المييدي ١٢٩، ٢٠٣، ٢٢٩
— الوزير هو الاصفهاني	و ٢٤٢، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٠٢، ٢٠٨
ابن ابي الجن حمزة بن الحسن بن العباس ابو	— ابنه ابو علي الحسن وابو تراب حيدرة
يعلي فخر الدولة من بقي جعفر الصادق ٨٣	٢٤٢
— ابن عمه ابراهيم بن العباس بن الحسن ابو	— بنه ابراهيم وجبريل ويوسف ٢٢٩، ٢٣٠
الحسين مستخلص الدولة ٩١	الحاقدارية ٢١٤
— ابنه اسمعيل بن ابراهيم ابو الفضل فخر	الحاكم باقه البيدي ٤٤-٥٠، ٥٥-٧١، ٧٩
الملك ٩٦، ٩٧، ١٦٥	حامد بن ملهم (ابو الجيش) القائد ٦٢، ٦٦
— — حيدرة ابو طاهر ٩٤، ٩٦، ٩٧	حبشي شرف الدين الوالي ٢٧٤
— — القفي مختص ٩٧، ١٠٦	الحجرية ٢٢٠
— فخر الدولة ابو الحسين ٣١١	الحداد ابو علي ٢٩٥
الجنابي الحسن بن (اي منصور) احمد بن ابي	ابن ابي الحديد ابو الحسين (عبد الرحمن بن

- مبد الله (٢١٧) -
 - حفيده ابو الحسن الفضل ٢١٧
 ابن الحربي ابو بكر ٥٤
 حاتم الدولة هو تمكين
 حاتم الدين هو غرناش
 حسان بن سمار الكلي ١٦٧
 - بن المبرج هو ابن الحراح
 - المنجي والبليكي حاتم الدين ٢٤١
 ٢١٥, ٢٨٥
 حسن الحاجب ٢٦٣
 - بن منيع بن شبيب ١١٦
 الحسن بن جعفر (ابو الفتوح) العلوي الراشد
 بالله ٦٤
 - بن صالح الوزير ٧٢
 الحسين بن سعيد بن محمد بن سعيد ابو علي
 المطار ١٠٦
 - بن علي بن ابي طالب ٢٥٠, ٢٢٢
 - - - الخوارزمي هو ابو القاسم
 - بن محمد بن احمد بن طلاب ابو نصر
 الخطيب ١١٢
 - بن ناصر الدولة هو ابن حمدان
 ابن ابي حصين القاضي ٢٨
 الحكيم المتجمل الباطني ١٤٢, ١٤٩, ١٨٩
 الخليلي عبد الرحمن (بن عبد الله بن عبد الرحمن
 الجمدي) ٢٩٨
 بنو حماد ٩٣
 - بن صنهاجة بالمغرب ٢٩٢
 ابن حمدان سيف الدولة (علي بن الحسين) ٢٧
 - ابنه سعد الدولة ابو المعالي شريف ٢٤
 ٣١-٣٧, ٣٩-٤١, ٧٦
 - الفضل ابو تغلب بن ناصر الدولة الحسن
 بن مبد الله ٢١-٢٤
 - ابو الفضائل بن سعد الدولة ٢٩, ٤١-٤٣
 - ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة الحسن
- بن مبد الله ٥٠, ٥١
 - ابنه ناصر الدولة ابو محمد الحسن بن
 الحسين ٨٢-٨٧, ٩٠, ٩٢, ٩٥, ٩٨
 ١٠٩,
 - ابنه عدة الدولة ٩١
 - ابو الهيجاء بن سعد الدولة ٢٩
 - وجه الدولة ابو المطاع ذو القرنين ٦٩-٧١
 ابن حمدون (وزير لبني حماد بن صنهاجة) ٢٩٢
 حمزة بن اسد بن علي بن محمد ابو علي المؤرخ
 هو ابن القلانسي
 - بن الحسين (الحسن) ابو علي فخر الدولة
 ابن ابي الحسن من بني جعفر الصادق ٨٢
 - بن علي العيين زربي الشاعر ١١١
 - المغربي ٧
 - بن وهاش امير مكة ١٢٥
 حمدان ٢١
 ابن حترابة (جعفر بن الفضل بن الفرات)
 الوزير ٢٢
 ابو حنيفة (النعمان بن ثابت الامام) ٢١١, ٢٢٣
 ابن الخوراني هو نبا
 الخويلي ابو سعد السديد الوزير واخوه ابو
 منصور المعين ١٧٦
 حيدر الامير ٢٩٥
 حيدرة بن غضب الدولة المؤيد ابو الكرم ٨٥, ٩١
 - بن مستنصر الدولة هو ابن ابي الحسن
 - بن مقرو بن النعمان حصن الدولة الكتامي
 ٩٢, ٩٦, ٩٧
 - ابنه المعلى سنان الدولة ٩٥, ٩٨
 ٩٩, ١٠٨,
 - الوزير هو ابن الصوفي
 ابن حيدرة ابو الحسن عبد الواحد ٥١
 - - علي ٥٠
 ابن حيوس ابو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد
 الشاعر ٧٤, ١٠٨

- * خ * خاتون زوجة سكان القطبي ١٧٦
 - بنت طمكتين ١٢٣, ٢٠٨
 - زوجة طغربك ٨٨
 - اخت محمد تبر ١٧٣
 - داية ملك شاه ١١٩
 - زوجة - - ١٢٧
 - زمرّد بنت جاول زوجة بوري ٢٤٦
 - ٢٤٧, ٢٥٤, ٢٦٦-٢٦٩, ٢٨١
 - شرف النساء والدة بوري ٢٢٤
 - الشقيرة ١٠٢
 - صفوة الملك والدة دقاق ١٣١, ١٤٤
 - ١٤٥, ٢٠١
 - - - - - رضوان ١٩٠
 - صفية بنت قمرقاش ٢٧٥, ٢٧٦
 - فاطمة بنت محمد تبر ١٧٦
 - فرخندا بنت رضوان ٢٠٨
 - كمال بنت ايلغازي ٢٠٥
 - خاتون نورة بنت قمرقاش ٢٦٧
 - - - - - بنت ايلغازي ٢٧٥
 - خاصبك بلنكي (بلنكري) ٢٩٥
 - ابن خان التركي امير الفز ٩٢, ٩٣
 - الثاني الامير ١٢٥
 - خترخان هو خترخان
 - ختق (التركاني) ١١٦
 - ختكين ابو منصور الداعي الضيف ٥٧, ٥٨, ٦٥
 - ٦٧
 - ختلف ابيه السلطاني ٢١٨
 - ابن الخجندي صدر الدين ابو بكر محمد بن عبد
 - اللطيف ٢٩٥
 - الخركاوي (عبر) الفزاش ٢٦٨
 - الخزر ٤٣, ٢٠٣
 - ابن الخطاي ٣٠
 - خطر الندي الرومية ام القائم باسم الله ١٠٧
 - خطلف الحاجب ٢٦
- اخو التوتاش ٢٩٠
 - الخطيب البغدادي ابو بكر احمد بن علي بن ثابت
 - ٨٧, ٨٩, ١٠٥, ١٠٦
 - بنو خفاجة ١٨٥, ٢٧٥
 - الخفاجي فرخان شاه بن محمود السلجوقي ٢١٧
 - ٢٨٠
 - ابو محمد بن سعيد بن سنان الشاعر ٩١
 - ابن الخفائي ٢٥, ٢٨
 - الخلافي ٣٠
 - خلف بن ملاعب (الكلافي) ١١٥, ١١٦, ١٢٠
 - ١٢١, ١٢٣, ١٤٩
 - - ابنه مصباح ١٥٠
 - الخليل ابراهيم النبي واسحق ويعقوب ٢٠٢
 - ابن الخمار ١٦, ١٧
 - خمارتاش الخافقي ابو المظفر ٢٨٢
 - - الوالي ٢٥٢
 - خمرتاش السليمان ١٥٨, ١٦٤, ١٧٥, ١٧٦
 - ابن الخوجندي هو ابن الخجندي
 - ابن الخياط ابو عبد الله محمد الشاعر ٢٢٤
 - ابن خيران ابو علي ولي الدولة ٨٠, ٨٤
 - خيرخان (خترخان وقرخان) بن قراجا صمصام
 - الدين ١٨٣, ١٩١, ٢٠٩, ٢٢٨, ٢٥٢
 - * د * ابن الدامغاني ابو الحسن علي (بن
 - احمد) القاضي ٢٠٣
 - - (ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن
 - حسن بن عبد الوهاب بن حسنويه) القاضي ٨٩
 - الدانشمند (كشتكين) ١٢٨, ١٤٣
 - - اولاد ٢٣٦, ٢٧٥, ٢٣٣
 - داود ملك الابخاز ٣٠٥
 - - بن سكان بن ارتق ١٢٧, ٢٠٨, ٢٤٣
 - ٢٦٧, ٢٧٤
 - - بن سايمان بن قتلش ١٣٤
 - - بن محمود بن محمد السلجوقي ٢٢٠
 - ٢٢٨, ٢٥٦, ٢٥٩, ٢٦١, ٢٧٧

دافع عز الدولة بن ابي الليل الكلاي ٧٢-٧٥	بن ميكائيل بن ساجوق ٨٦
٧٩،	الداوية ٢٢٩
رباح ٢٩	ابن الداية مجد الدين ابو بكر محمد ٢٢٠، ٢٤٩
بنو ربيعة ١٨٣	٢٥٠، ٢٥٥
الرزبيكي والي ميفارقين ١٧٦، ٢٠٨	ديس بن صدقة بن مزيد ٢٠٢، ٢٠٥-٢١٠
ابن رزيك الملك الصالح طلائع ابو الفارات الوزير	٢٣٠، ٢٥١
٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٢، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١	الديسي عز الدين ابو بكر ٢٨٦
رزين الدولة ١١١	الدركولية ٢٤٢
رشيقي غلام ٣٥	دري غلام ارمني ٦١
ابن ابي الرضا ٩٦	المستنصري شهاب الدولة ٩٢
رضوان فخر الملك بن تنش ١٢٧، ١٣٠-١٣٥	دزير بن اونيم الديلمي الحاكمي ٧١، ٧٦
١٤٢، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٣	الذيري هو انوشكين
١٧٠-١٧٧، ١٨٢-١٨٩	دقاق شمس الملك ابو نصر بن تنش ١٣٠-
- اخويه ابو طالب تاج الدولة وجرام شاه	١٤٥، ١٥٦
١٨٩	الدمشقي ١٢
- بن ولشي الانضسل الوزير ٢٧٠، ٢٧٢	ديمطري هو ديمطري
٢٩٦	الدهيقين ٥٢
الرضي الشريف ٢٢٢	الدوقس عظيم الروم ٥٠-٥٢
رضي الدولة غلام ٧٩	دولات بن مسعود بن سايمان بن قتلش ٢٢٢
رضي الدين هو عبد المنعم	دولت شاه بن طغان ارسلان الاحدب ٢٦٧، ٢٦١
ابن الرعوى هو ابن البرعوني	الديلم ١١
رفق عدة الدولة المستنصري ٨٥	ديمطري ملك الابخاز ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٦١
رقتاش التركي ٢٧، ٩٧	* ذ * ذخيرة الدين ابو العباس محمد بن
رقي الصفاي ٢٩	القاسم باس الله ٨٦، ١٠٧
ركن الدولة ابو علي الحسن بن بويه ٢٨٢	ذكي الدين هو علي بن محمد
ابو يركوة الوليد الاموي ٦٤، ٦٥	الذهبي شمس الدين المؤرخ ١٩، ٢٥، ٢٧، ٢٢
روجير هو مرجال	٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦٤، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ١٠٨
الروذباري صالح بن علي ٤٢	١٠٩، ١١١، ١٢٩، ٢٧٠، ٢٩٦، ٢٩٨
- - ابنه على ثقة الثقات الوزير ٦١	٢٢٢، ٢٢٤
الروسية ٤٣	ذو الفضيلتين هو صارم الدولة
ابن الروقية هو ابن مرداس	- القرنين ٢٦١
ريان الخادم ١٠، ١١	دو الثون بن مسعود بن سليمان بن قتلش ٢٢٢
الريمانية ٢٤٢، ٣٠٨، ٣٢٠	* ر * الراشد بالله الخليفة العباسي ٢٥٠-١٥١
ريدان الصقلي ٥٥	٢٥٦، ٢٦١، ٢٦٦

ابن الششتيق ١٢, ١٣	سوار سيف الدولة محمود ٢٢٥, ٢٢٦, ٢٤٠
شهاب الدين محمود بن بوري ٢١٥, ٢٤٤, ٢٤٧	٢٤١, ٢٥٢, ٢٥٥, ٢٦٢, ٢٦٥, ٢٧٦
٢٤٨, ٢٥٢-٢٥٨, ٢٦١-٢٦٤, ٢٦٦	٢٨٨, ٢٨٥,
٢٧١, ٢٦٨,	سونج جاء الدين بن بوري ٢٢٨, ٢٣١, ٢٤٢
ابن قاضي شبة تقي الدين المؤرخ ١٩١, ٢٠٤	٢٥٣,
٢٩٦, ٢٩٥,	سيف الدولة هو ابن حمدان
الشهرزوري ابراهيم بن محمد بن عقيل بن زيد	سيف الدين غازي بن زنكي ٢٨٥, ٣٠٠, ٣٠١
ابو اسحق ١٣٨	٣٠٦,
- جاء الدين (ابو الحسن علي بن القباسم)	* ش * شاتكين شهم الدولة القائد ٦٩
القاضي ٢١٧, ٢٤٨, ٢٦٦	شاذي جد صلاح الدين يوسف ٣١٦
- تاج الدين ابو طاهر يحيى (بن عبد الله بن	- الخادم ١٠٣, ٢٢٣
القاسم) ٢٨٦	شاروخ صاحب حالي ١٣٧, ١٥٨, ١٧٦
- كمال الدين ابو الفضل محمد اخوة ٢٨٥	الشافعي ابو بكر محمد بن احمد (بن الحسين بن
٣٥٩	عمر) الشافعي ١٨٨
- نجم الدين (ابو علي الحسن) بن جاء الدين	الشافعي مؤتمل ٢٧٤
٢٦٦	شاه ارمن هو سكان القطبي
ابن ابي شويه ٩٧	شاهنشاه بن منوچهر ٣٦٤
بنو شيان ١١٤	شبل بن معروف الثقلي ٢٢, ٢٤
ابن ابي شبة محمد بن جعفر الحسيني العلوي امير	شيب بن محمود بن صالح هو ابن مرداس
مكة ١٣٥, ١٣٠	شعتهكين شهاب الدولة ٧٠
ابن شيخ ٥٠	شداد فخر الدين بن منوچهر صاحب آفة ٢١٦
- ابو الفتح ١٤, ١٥	٢٢٨,
الشيرازي ابو اسحق (ابراهيم بن علي بن يوسف	شرف الدولة هو مسلم بن قريش
الفيروزابادي) ١٨٨	- - بن ابي الطيب هو بدر
ابن الشيرجي محمد بن ابي بكر بن اسماعيل	شرف المالبي بن الافضل شاهنشاه ١٤٢, ١٤٨
الموصلي ٣٦٠	شكر الضدي ٤٥, ٤٦, ٤٨, ٥٥, ٥٦
شيركوه اسد الدين (بن شاذي) ٣١٦, ٣٢٧	ابو شكلي الترككاني ١١٠
٢٣١, ٢٣٦, ٢٣٩, ٢٤٩, ٢٥٢, ٢٥٣	شمس امراء الخواص ١٦٩, ٢٢٨, ٢٤٨
٣٥٦,	شمس الخلافة الوالي ١٧٢
شير كبير الامير وابنه عمر ١٥١	شمس الدولة محمد بن بوري ٢٣٥, ٢٥٤
* ص * ابن الصالي (هلال بن المحسن بن	شمس الملك اسماعيل ابو الفتح بن بوري ٢٢٢
ابراهيم) المؤرخ ١, ٢٥, ٧٢, ٧٤	٢٣٣, ٢٤١-٢٤٦, ٢٥٣
- ابنه غريس النعمة محمد المؤرخ ٩٤, ١١٣	- خواجه الوزير (شمس الملك عثمان
صادر امير آند ١٢٨	بن نظام الملك) ٣١٨

- صارم الدولة ذو الفضيلتين الامير ٧٩
 صالح بن حسن ٢٢٩
 ابن الصالح ابو القنوح الامام ٢٢٣
 ابن الصباح الحسن ١٢٨، ١٢٩
 صدقة بن منصور بن ديبس بن مزيد الاسدي
 ١٤٧، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠
 — بن يوسف الفلاحى الوزير ٧٣، ٨٤
 ابن صدقة ابو بكر القاضي ٢٢٨
 — الحسن بن علي ابو علي جلال الدين الوزير
 ٢١٣، ٢٢٤
 — ابن اخيه جلال الدين ابو الرضا (محمد
 بن احمد) الوزير ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١،
 ٢٧٧،
 — ابو الفز وزير لمسلم النقلي ١١٥-١١٧
 ابن صلاح الوالي ٢٥٨
 صلاح الدين (محمد بن ايوب) الباغسياني ٢١٧
 ٢٥٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣٠٥، ٢٤٧،
 — يوسف بن ايوب ٦٨
 ابن سليمة صيد الله بن منصور ابو محمد ١٣٩
 ابن الصامسة هو جيش بن الصامسة
 منجيل الافرنجي ١٤٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧
 ابن منجيل هو بدران
 ابن الصوفي الحسن بن الحسين ابو محمد امين
 الدولة الوزير ١٣٣، ١٤٠، ١٤٤
 — حيدرة بن علي بن الحسين ابو الفوارس
 زين الدولة الوزير ٣٠٧، ٢٢١،
 ٢٢٤،
 — سيف بن الحسن ابو المجالي ١٤٤
 — عز الدولة بن علي بن الحسين ٢٢١
 — المسيب بن علي بن الحسين ابو الفوارس
 مؤيد الدين الوزير ٢٦١، ٢٧٧، ٢٧٨
 ٣٠٧-٣١١، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٩، ٢٢١،
 ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩
 — المفسرج بن الحسن ابو الذواد محيي الدين
 الوزير ١٤٥، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١،
 ٢٥٧،
 — بن جندل التميمي ٢٢٢، ٢٤١، ٣٠٣
 ابن الضحاك ابو الحجر احمد الكردي ٥١
 ضياء الدين محمد الوزير ١٥٧، ١٥٨
 — بن محمد بن عبيد الله النقيب ٣٠١
 — ط — طارق الصقاي القائد ٨٤
 ابو طالب بن تثنى ١٨٩
 — شيخ الصوفية ٢٢٤
 ابو طاهر الصائغ المعجمي الباطني ١٤٩، ١٥٠،
 ١٨٩، ٢٢٣
 ابن طاووس ابو محمد (هبة الله بن احمد بن
 عبد الله بن علي) ٢٧٤، ٢٧٦
 الطائع الله الخليفة العباسي ١١
 طرخان بن محمد الشيباني ٢١٦
 ابن طرغت ابراهيم الوالي ٢٦٣، ٢٧٢
 طريف بن فزارة ٧٣
 طرملت (تسولت) بن بكار القائد الاسود ٥٨، ٦٣
 طنان ارسلان تميم الدولة الاحديب بن حسام
 الدولة تمكين ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٦٧
 طفتكين هو ظهير الدين اتابك
 ابن طنج الحسن بن عبيد الله
 الطراي ابو الجليل (الحسين بن علي بن محمد)
 الوزير ١٩٣، ٢٠٦
 — مفيدة محمد الوزير ١٩٣
 طنزل بن محمد السلجوقي ٢٠٥، ٢١٠، ٢٣٠
 ٢٢٨، ٢٤٣، ٢٨٢
 طنزلك محمد بن ميكائيل السلجوقي ٨٣، ٨٧-
 ٩١، ١٠٠، ١٥٣، ٢٨٣
 طلحة هو جمال الدين
 قند طلولا بن بدران بن منجيل الافرنجي ٢٤٠
 طنجاج ملك سمرقند وابنه احمد ١٢٠، ١٢١
 طنكري صاحب الرها وانطاكية ١٢٨، ١٤٣

عبد الملك بن محمد بن يوسف أبو منصور * ١٧١	١٧١-١٧٢, ٦٣, ١٥٧, ١٥٠, ١٤٨,
عبد النعم بن محمد أبو غالب الشيعي رضى الدين	١٧٤, ١٧٧, ١٨١, ١٨٣, ١٨٥,
٢٣٢, ٢٣٥	بنو طي ٢٦٠, ٢٦١
عبد المؤمن بن علي التتوتاني المني بالمرتب ٢٩٣	* ط * الطائر بالله الميمني ٨-٣٠, ٢٢, ٢٢٣,
٣٩٤,	٢٣٩, ٢٣٠, ٢٣١,
عبد الواحد بن محمد بن الخليلي أبو الفرج ١٢٥	- اخوية يوسف وجبريل ٢٢٩,
عبد الوهاب بن أحمد بن هارون أبو الحسين	ظالم بن موهوب الغنالي ٤٠, ٢٤, ١٥٠,
(الساقي ابن الجندى) ٨٩١	الظاهر لأغزاف دين الله الميمني ٧٤, ٧٣, ٧٥,
بن عبد الواحد بن خند بن عبي أبو	٨٠, ٨٣,
القاسم ٢٧٥	ظهير الدين أتابك طشكين ٣٠, ٢٣, ١٣٣,
بن عبدون أبو قلم التورير ٣٠٥	١٤٣, ١٤٤, ١٤٥, ١٤٦, ١٤٧,
منصور أنصاري ٥٨, ٣١, ٢٤, ٦٤	* ع * العادل هو ابن سلاط,
شان سعد الدين ٢٥٥	العاقد بالله الميمني ٣٦٠, ٣٦١,
بن عثمان ١٨٢	عباس الأمير (ملوك القرب جوهري صاحب
العصي علي بن أبي طالب أبو المحاسن الوزير	الري ٢٩٠, ٢٩٤,
٢٩٣	- الوزير بمصر (ابن أبي القروح بن يحيى بن
نخند الوزير ١٢٨	قيم أبو الفضل الصنهاجي) ٢٢, ٢٢٩,
ابن العداس (أبو الحسن بن هجر) ٦٠, ٦٠	٢٣٠, ٢٦١,
عدي بن محمد بن الحسن أبو شريف الترمطي	- ابن ناصر الدين (نصر) عقد الخلافة ٢٣
عز الدولة الأمير ٤٥٥	و ٢٣١,
مختار بن بويه ١٠١	عبد الله بن عبيد الله أبو محمد الحقي ٣٠
عز الدين مسعود نور الدين ٤٥٥	- ابن عم لنت الملك ٤٤
هو الملك أبو شكين الأفضلي التوافي ١٢٨, ١٢٨	- ابن المستنصر بالله ١٢٨,
١٨٢	جند الرحمن بن أحمد بن سلامة أبو محمد ابن
العزيز بالله الميمني ١١, ١٢, ١٣, ٢٢, ٢٣, ٢٤, ٢٥	الحرامي ٢٤٦
٢٨, ٤٥, ٤٩	- ابنه أبو سالم ٢٥٢
عزيز الدولة وعزيز الملك الحمداني هو قاتك	- (عبد الرحيم) بن إلياس بن أحمد بن العزيز
ابن عاصم حافظ المورخ ٥٤, ١١٣, ١١٣	بالله أبو القاسم ولي عهد المسلمين ٦٩, ٧٠,
٢٣٣, ٢٣٤	ابن عبد الظاهر المورخ ٤٥
عقد الدولة تحت أخضره بن بويه ٤٣, ٢٤, ٦٥	عبد القاهر بن علي بن أبي جرادة أبو البركات ٢٤٥,
٢٨٢	عبد المجيد أبو الميسون الأمير هو الخائف الميمني
عطاء الآدم (ابن حفاظ السلي) ١٢١, ٢٢١, ٢٢٦	٢٤٦
الطار هو بدر	عبد الملك بن ثابت وزير بني القرويين ٣٠٨
نابن عطاش (أحمد بن عبد الملك) ١٠١	- بن عبد الوهاب الخليلي القاسمي ١٠١

- ابن فساجس ابو الفرج محمد بن عباس الوزير ١
الفضل (بن عبد الله) ٦٦-٦٤
- بن ابي الفضل ٢٢, ٢٤, ٢٧
- بن نفيس الملك ٢٢٦
فضلون بن منوچهر صاحب آتة ٣١٦, ٣٦١
فطاس الباطني هو ابن عطاش
ابن فلاح جعفر الكتاني القائد ١
- ابنه سليمان ابو قيم ٢٣, ٢٧, ٤٦-٥٠
٥٣,
- علي ٤٧, ٤٨, ٥٧, ٨٥, ٦٦
فلوا ١٤٩, ١٥٠
الغندلاوي يوسف بن دوباس بن عيسى ابو الحجاج
الماكي ٢٩٨
فهد بن ابراهيم ابو العلاء النصراني الوزير ٥٠
٥٤, ٥٦, ٥٩, ٦٠
- اخوه ابو غالب ٥٩, ٦٠
فيتان ٩٧
فيروز شحنة دمشق ٢٠٨, ٢٥٤
- ابنه سيف الدولة يوسف ٢٢٤, ٢٣٤
٢٤٤, ٢٤٥, ٢٥٢, ٢٥٣
* ق * قارون ٧٧
ابو القاسم (الحسن بن علي الخوارزمي) وزير
بجلب ١٣٠
- ابنه محمد زين الدولة ١٣٣
قائد القواد هو ابن جوهر
القائم بامر الله الخليفة العباسي ٨٦-٩٠, ٩٨, ١٠٠
١٠٧, ٢٨٣
القيط ٢٣, ٥٠
قتلغ هو ختاغ
قرا ارسلان بن داود بن سكان بن ارتق فخر
الدين ٢٦٧, ٢٢٨, ٢٣٣
قراجا (قراجة) الساقى عز الدين ١٧٦
قراجه الوالي ١٢٣, ١٨٢
قراخان صاحب حصن ٢٦٦
قري بن طغان ارسلان الاحدب صاحب ارزن
٢٠٨, ٢٦٧, ٢٦١
القرشي هو محمد بن يحيى
قرلو الترك ٩٨
القرمطي هو الجنابي
بنو قرّة ٥٥, ٨٥
قرواش بن المقلد ابو المنيع معتمد الدولة العقيلي
٦٤
قريش (بن بدران بن المقلد ابو المعالي) العقيلي
٨٩
قرل ارسلان صاحب اسمرد ١٢٧, ١٥٨
قسّ (بن ساعدة الايادي) ٢٤٨
قسّام الحارثي ٢١-٢٨
قسطنطين ملك الروم ١٤
قسيم الدولة هو آق سنقر
القشيري احمد بن محمد ٤١, ٤٢
قطب الدين هو مودود بن زنكي
القطب النيسابوري (ابو المعالي مسعود بن محمد
قطب الدين) ٢٢٤
القطيان ٩٧
القنطري علي بن يوسف المؤرخ ١٩, ٢٧
ابن القلانسي ابو يولي حمزة بن اسد التميمي
المؤرخ ١٠٤, ٢٢٢, ٢٨٣
قلج ارسلان بن سليمان بن قتلش ١٢٨, ١٤٣
١٥٠, ١٥٦-١٥٨, ١٦٤
- بن مسعود بن سليمان بن قتلش ٢٢٢
٢٤٣,
قتلي والي ميانارقين ٢٠٨
القواسمي سعد الدولة (الطواشي) ١٤٠
قيس الامير ٣٠١
بنو قيس ٢٥, ٩٦, ١١٤
ابن القيسراني ابو عبد الله محمد (بن نصر بن
صغير الشاعر ٢٢٢
* ك * كافر ترك يعني الخطا ٢٧٥, ٢٧٧

الوزير ٨٨	كافور الاخشيدى ٥٥, ٢٢
كندقرى (كندهرى) الافرنجى ١٢٨, ١٩٩	بنو كامل ١٢٤
٢٠٢,	كُتامة ٤٤-٥٠, ١٧٢, ٣٠٢
كوهرابن ١٠٣	الكتيلة والى صور ١٢٣
ابن اخى الكويس ٣٠	ابن القدينة الوزير ٩٥
كباباني ٢٥٨	ابو الكرام الوزير ٢٧٧, ٢٧٨
* ل * اللان ١٥٨, ٢٠٥	كُربيل (كواسيل) الارمنى ١٨٣
لاوين الارمنى ٢٥٤	كربوقا (ابو سعيد قوام الدولة) صاحب
له التركى ٢٧٤	الموصل ١٢٦, ١٢٧, ١٣٤, ١٤٠
ابن ابى لقمة ٢٩٦	الكرج ١٦٨, ٢٠٤-٢٠٦, ٢٢٨, ٢٦١-٢٦٥
لواة ٢٠٩	ابن الكرخى ابو طاهر احمد شرف القضاة ٢٦٠
لؤلؤ بابا خادم لرضوان ١٨٩, ١٩١, ١٩٨	كركور ملك الينجاز ٢٦١
- الكبير ابو محمد الجراحى ٢٤, ٢٦-٤٣	كريم الملك الوزير هو المزدقاني
- منتخب الدولة القائد ٦٦, ٦٩	كسرى القرمطى ١٥
ابن ليون الارمنى ٢٥٨	الكُسمي ١٤٦
* م * ابن المارود ٨, ٩	ابن كشمود الاخشيدى ٧
الماشكى ابو محمد الحسين بن حسن سديد الدولة	الكفرتوتى ابو سعيد (جرام بن الحضر) ضياء
٨٥	الدين الوزير ٢٤٣, ٢٧٥
- ابنه ابو عبد الله محمد ٩٠	بنو كلاب ٢٧, ٢٨, ٣٠, ٣٤, ٣٥, ٤١, ٥١
مالك بن سالم بن مالك العقيلي ٢٠٣	٧٤, ٧٩, ٨٦, ٩٦, ٩٧, ١٠٠, ١١٣
- ابنه علي ٢٨٥, ٣١٦	١١٤, ١٨٥
- ابنه مالك بن علي ٣١٦	ابن كلّس ابو الفرج يعقوب بن يوسف الوزير
المأمون بالله الخليفة العباسي ٢٥٨	١٥, ٢١, ٢٢, ٢٨-٣٢, ٤٠
بارك بن رضوان ١٨٩	كليام (كايان وقلران) ابن خالة جوسابن ٢٠٨
- بن شبل بن مروف العقيلي ١١٢	٢٢٦,
- ابنه اسامة ٢٣٦	ابن كليلد ٧٥
بجاهد الدين هو بزان	كشتمكين امين الدولة ٢١٥, ٢٥٣, ٢٥٥, ٢٦١
بجد الدين هو ابن الداية	٢٨٩, ٢٧٠,
المجن الحلي ١٣٥	- البلبكي ١٩٠
بجير الدين ابق ابو سعيد بن محمد بن بوري	- فخر الدولة الساجي ١٤٥, ١٤٨, ١٦٦
٢٢٨-٣٠٦, ٢٨٤, ٢٧١	٢٢١,
محفوظ ابو البركات المكين بن ابي محمد الحسن	كند امطول ١٩٧
القاضي ٣١٢	كند ايجور ٢٣٣, ٢٧٧
ابن المحلبان (ابو القناثم) ٩٩, ١٠٤	الكندري عميد الملك (ابو نصر منصور بن محمد)

- محمد بن اسد بن علي بن محمد البقمي ٣٧٨
- حفري الحاجب ٣٥٥
- (بن المساق الشيسانى) الوالى ١٥٦: ١٥٧
- بن الى طالب الجرار ٧٠
- بن عبد الجبار المقللى ٣٩٣
- بن عبد الحميد ابو منصور الطرموسى ٣٢٦
- بن القاسم بن عمر السلخى ٣٤٨
- بن الوزير ابن القاسم (الحسن بن
علي الخوارزمى) زين الدولة
١٢٣
- بن مالك بن وجب ابو عبد الله الاندلسى
٣٩٣
- بن محمد بن صبيد الله الحنيسى
النتيب ٣٠١
- بن مسلم العتيللى ١٣٣
- ابن اسى مكارم الحلبي ٣٧٤
- (نير) بن ملكشاه السلجوقى ١٣٧ و ١٣٩
و ١٤٠ و ١٤٧ و ١٥١ و ١٥٦ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٣
١٦٥ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٣ و ١٧٦ و ١٨١ و ١٨٩
١٩٣ و ١٩٨
- ابن مؤيد الملك المؤرخ ٧٥
- بن تزار ١٣٨ و ١٣٩
- بن نصر بن منصور ابو سعيد العمروى القافى
٣١٠
- بن هبة الله بن خلف ابو الفتح التميمى
٣٦٦
- بن محى (بن علي بن عبد العزيز) اسو
المعالى وابنه ابو الحسن علي الفرشى
٣٧٧
- شاه بن محمود بن محمد السلجوقى ٣٤٣
محمود بن ايكلى ١٣٨ و ٣٧٥
- بن معد بن عبد الواحد الوزير ٣٤٨
- بن قراجه ٣١٠
- بن محمد السلجوقى ١٥١ و ١٩٩ و ٣٠٣ و ٣٠٦
٣١٠ و ٣١٥ و ٣١٧ و ٣٣٠ و ٣٣٣ و ٣٥٠ و ٣٥١
- ابو طاهر السخوى ٥٨ و ٦١
محمود محمد بن مسدود ابو شجاع
ثبات الدين السلطان ٣٤٧
- المسترشدى الحاجب ٣٩٣ و ٣٥٦
- بن ملك شاه السلجوقى ١٣٧
- المولى الحاجب ٣٥٣
بن محمود هو ابن مسعود ابو محمود
بن ابراهيم بن حمير الكتامى ٣ و ١٠
و ١٥ و ٣١ و ٣٤ و ٣٨
مختار العقلى ١٩
العرايطن ٣٩٣ و ٣٩٣
ابن مرداس صالح ابن الدولة اسن
الروقلبه ٥٧ و ١١٤
- اسن شمال معز الدولة ٧٥ و ٨٦ و
٩٠ و ٩١
- مطبه ابو دواب (اسد الدولة)
٩٠ - ٩٣ و ١٠٦
- نصر ابو كامل شل الدولة ٧٤ و ٧٥
- محمود بن نصر ٩٠ - ٩٣ و ٩٨ - ١٠١
و ١٠٦ و ١٠٨
- المقلد بن كامل ٧٤ و ٧٥
- نصر بن مسعود ٩٨ و ١٠٨ و ١٠٩
- سابق بن محمود ابو الفضائل ١٠٩
- وشاب وشيب ابني محمود ١١٣ و ١١٤
و ١١٦ و ١٣٤ و ١٣٧
مرشد بن علي بن عبد اللطيف اوالمجد
المعنى ٣٥٤
بن مروان ١٠٠
ابن مروان معز الدولة حمد الكردى ٦٤
- اسن نظام الدين منصور ١٣٣
- احمد بن نظام الدين ١٧٦
- اسن شمس الدولة عيسى ٣٦٣
مرة (مرى) بن ربيعة امير العرب
٣٣٥ و ٣٣١ و ٣٣٦
مريم ١٠١

- المزدقاني طاهر بن سعد ابو علي الورير ٢١٥
٢٢٠-٢٢٣
- ابنه سعد الدولة ابو الحسن علي ٢٢٦
- ابن عمه كرم الملك ابو الفضل احمد بن
عبد الرزاق الوزير ٢٢٩, ٢٣١
المسترشد بالله الخليفة العباسي ٢٠٠, ٢٠٦, ٢٠٨
٢١٥, ٢١٨, ٢١٩, ٢٢٠, ٢٢١, ٢٢٨
٢٤٨-٢٥٢, ٢٥٥
المستضيء بالله الخليفة العباسي ٢٢٨
المستظهر بالله الخليفة العباسي ١٢٦, ١٢٩, ١٧٣
٢٠٠, ٢٥١
- - - ابنه ابو عبد الله هو المقتفي
بالله
المستعلي بالله المييدي ١٢٨, ١٢٩, ١٣٣, ١٤١
المستنجد بالله الخليفة العباسي ٢٢٨
المستنصر بالله المييدي ٧٦, ٨٣-٩١, ٩٥, ١٠٩
١١٠, ١٢٤, ١٢٨, ١٦٧
المستولي ٢٠
مسمود بن آق سنقر البرستي ٢١٢, ٢١٦, ٢١٧
- الحاكمي ٥٦
- سيف الدولة (ابن سلال) الوالي ١٨٢
١٨٨, ١٨٩, ٢٠٧, ٢١١
- السيفي ٥٩, ٦٢, ٦٥
- بن محمد السلجوقي ٢٠٢, ٢٣٠, ٢٣٧
٢٤٨-٢٥١, ٢٥٦-٢٦٤, ٢٨٢, ٢٨٤
٢٩٠, ٢٩٥, ٣٠٢, ٣١٩
- الملك هو ابن قلع ارسلان بن قلمش
١١٢-١١٨
ابن مسمود هو قلع ارسلان ٢٤٣
مسلم بن قريش بن بدران ابن المقلد شرف
الدولة المقيلي ١١٢-١١٨
- ابيه سعد الدولة علي ومحمد واخوه
ابراهيم ١٢٢, ١٢٣
ابن المسلم ابو الحسن ٥٤
- سبار بن سنان الكلبي ٩٦, ٩٧, ١١٠
- ابنه حسان ١٦٧
- حفيده مكتوم ٢٣٠, ٢٣٢
المسيب هو ابن الصوفي حيدرة
ابن مصال ابو الفتح (سالم بن محمد اللقي)
الوزير ٢٠٨, ٢١١
المصادمة ٩٩, ١٠٨, ١١١, ٢٩١, ٢٩٣, ٢٩٤
مصبح بن خلف بن ملاعب ١٥٠
المصبي الحاتب ٣٤
المطوعي ٦٤
المطيع لله الخليفة الساسي ١, ١١, ٢٨٣
مظفر القائد ٦٦
ابو الهادي هو ابن حمدان سعد الدولة
معين الدين أنر ملوك طمتمكين ٢٤٨, ٢٥٢
٢٥٣, ٢٥٨, ٢٦٤, ٢٦٦, ٢٦٩, ٢٧٢
٢٧٣, ٢٧٨, ٢٨٧, ٢٩٤, ٢٩٨
معين الملك ابو نصر احمد بن الفضل الوزير
٢١٦
ابن المغربي ابو الحسن علي بن الحسين ٣٥, ٢٨
٢٩, ٤١, ٦١, ٦٣
- ابنه ابو القاسم الحسين الوزير ٦١-٦٤
- ابن داود ٧٠
- محمد ٦٢
ابن مغزو ٢٥٥
المورج بن الحسن هو ابن الصوفي
- بن دغفل هو ابن الجراح
المفضل بن سعد الشامر ٧٢
مفلح اللجاني ابو صالح القائد ٥٨, ٦٣
المقتدي بالله الخليفة العباسي ٨٦, ١٠٧, ١٠٩
١٢٠, ١٢٥, ٢٥١
المقتفي لامر الله الخليفة العباسي ١٧٦, ٢٥٦, ٢٥٧
٢٢٠, ٢٦١, ٢٧٣, ٢٠٢, ٢٠٣, ٢٢٨
٢٣٢, ٢٤٣
المقتدي محمد بن طاهر (ابن القيسراني المؤرخ) ١٠٥

مير الدولة الجيوشي ١٢٤	المقرئزي تقي الدين المؤرخ ٥٥, ٤٥
ابن منير ابو الحسين احمد الشاعر ٢٢٢	المقلد بن كامل بن مرداس ٧٥, ٧٤
نتج ٢٢	مكتوم بن حسان بن مسمار ٢٢٢, ٢٢٠
- بن سيف الدولة شبيب بن وتاب	مكن الدولة (الحسن بن علي بن ملهم) الامير
السبري ٩٠	٩١, ٨٦
- ابنه حسن ١١٦	ابن ملاعب هو خلف
- بن كامل ٩٢	ابن المحمي ابو العالي المحسن ١٩٩
مارش (بن ابي المعجلي المبارك بن المقلد العقيلي ٨٩١	ابن الملاعي محمد بن الحسن ابو عبد الله سعد
الموحدون ٢٩٣-٢٩١	الدولة ٢١٩
مردود (بن التوتكين) شرف الدين صاحب	الملك الصالح هو ابن رزيك
الموصل ١٥٩, ١٦٧, ١٦٩, ١٧٠, ١٧٤,	ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي ١٠٦, ١٠٢
١٧٧, ١٧٨, ١٨١, ١٨٤, ١٨٦, ١٨٧,	١١٢, ١١٥, ١١٧, ١٢٢-١٥١, ١٥٧,
- قطب الدين بن زنكي ٢٠٧, ٢٥٥, ٢٥٦,	- بن رضوان ١٨٩
٢٥٨,	- بن محمود بن محمد السلجوقي ٢٠٢
رسي صاحب حصن كيفا ١٢٧	ملكوي السبراني ٤١, ٤٢
- الملوي ٤٥, ٤٧	المتبعي هو حسان
- النبي واخوه هارون ٨١	منتخب الدولة هو الدزبري
مارصلي ابو عبد الله الوزير ٢٢	ابو المنجا ٢, ٤, ٢١
ابن الموصل ابو الفضل مشيد الدين ١٢٥	منجوتكين الوالي ٤٠
١٩٠, ٢٠٧,	منشا بن ابرهم بن الفرار اليهودي ٢٥, ٢٦, ٢٨,
مونس بن بدر الصقائي ٨٩	٢٣, ٤٠-
مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه ٢٨٢	منصور بن رغب الامير ٧٥
مؤيد الدين الرئيس هو ابن الصوفي السيب	- بن كامل ١١٤
- السيد هو ابن الانباري	- بن كراديس ٢٤
مؤيد الملك ابو بكر عبد الله بن نظام الملك ١٢٩	ابن منقذ ابو الحسن علي بن المقلد الكتاني ١٠٦
ميخائيل اخو ارمانوس الرومي ١٠١, ١٠٢, ١٠٥,	١١٢, ١١٦,
سيور الصقائي ٥١	ابنه (ابو مرهف نصر بن علي عز الدولة) ١٢٠
* ن * البابلي ابو بكر (محمد بن احمد بن	- ابنه ابو المساكر سلطان بن علي عز الدين
سهل) ١, ٤	١٦٥, ١٧٤, ١٧٧,
ناصر الطباخ غلام ابن كلس ٢١	- حفيده تاج الدولة بن ابي المساكر ٢٤٤
الهامري الملوي ٥٢	- اسامة بن ابي سلامة مرشد بن علي ٢٧٨
الناوكة تركان ٩٨, ١٠٠-١٠٢	- ابو عبد الله محمد بن مرشد ١١٤
نبا بن محمد بن محفوظ ابو اليان ابن الحوراني	منكويرس الامير ٢١١, ٢١٢
٢٢٢,	مير القائد ٣٠, ٤٠, ٦٦,

- ابن نباتة ابو بكر صدقة وتاج الدين وضياء الدين ٢٢٨
- علم الدين (ابو الحسن علي بن يحيى) وابنه ابو الفتح ٢٠٥
- نجم الدين الي بن قمر تاش ٢٢٨
- بن ارتق هو ايلمازي
- ابن النحوي هو محمود بن محمد
- تزار ابو منصور بن المستنصر بالله ١٢٨، ١٢٩، ٣٠٢
- بن محمد بن تزار ١٢٩
- تزال الوالي ٣٠، ٣١، ٣٤، ٤٠
- ابنه ابو عبدالله ٦٦، ٦٩
- نصر بن ابراهيم بن نصر المقدسي ٢٩٦
- بن محمود هو ابن مرداس
- نصر الله بن محمد بن عبد القوي ابو الفتح المصيصي ٢٩٥
- نصر الدولة (افتكين) والي الاسكندرية ١٢٨
- الجيوشي ١١٢
- نصرة الدين هو امير ميران
- نصرون القائد ٥٤
- نصير الدين جقر بن يعقوب ٢١٧، ٢٦٣، ٢٨٠، ٢٨١
- نظام الملك ابو علي الحسن بن اسحق الطوسي الوزير ١٠٠-١٠٣، ١١٥، ١٢١
- ابن النعمان ابو عبدالله محمد (بن علي) القاضي ٢٣،
- ابو محمد القاسم ٩١
- نفاق ٥
- بنوغير ١٣، ١١٤، ١١٦، ١٢٩
- غيرة ١٨
- الشميري هو منيع بن سيف الدولة
- ابن عطير ١١٦
- الثوبة ٦٤
- نوح صاحب قلعة حلب ١٢٧
- نور الدين محمود بن زنكي ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٣٠٠-٣٥٩
- نور الهدى هو الزيني نوشتكين ١٤٩، ١٥٠
- ابن نوفل ابو عبدالله المذهب الوزير ٣٥٢
- نبروز الارمني الزراد ١٢٦
- النيسابوري ابو علي (الحسين بن علي بن زيد) ١٥٢
- ابن نيسان ابو علي (الحسن بن احمد) مؤيد الدين وابناه ابو القاسم علي وابو نصر ٢٢٨، ٢٢٦، ٢٢٥
- * * * الهادي بن المهدي بن محمد ابو الحسن الموسوي الحسيني ٢٣٢
- هاروت ١١٢
- هارون بن المقتدي بالله ٢٥١
- هبة الله بن انوشتكين الدزيري ٧٩
- بن محمد بن بديع ابو نجم الاصفهاني الوزير ١٦١، ١٦٣
- (بن علي بن محمد) بن المطلب ابو المالقي مجد الدين الوزير ١٥٢
- ابن هبيرة يحيى بن محمد عون الدين الوزير ٣٠٢
- الهجري هو الجنابي هشام بن عبد الملك بن مروان ٦٤
- ابن ابي هشام ٤٠
- هفتكين هو الافتكين
- هلدي القرطبي ٢٢١
- ابن همام ابو سالم الحلبي ٢٣٦
- هنفري الافرنجي ٢٤١
- بنو هوير ١٨٣
- ابن هيثم الارمني ٢٥٨
- * * * وادع بن سليمان ابو مسلم القاضي ١٢٢
- وثاب بن مسافر ابو الفوارس القنوي ٢٢٩
- وحيد الهلالي ٥٠، ٥١، ٦٠، ٦١

يحيى بن الحسين بن سلامة النصراني ٦١	ورد بن زياد ٥
— بن زيد ابو الحسن الزيدي الحسيني ٩٢	ابن وقري ٥٨
ابن البرعوني (ابن الرعوي) الحلبي ١١٩	ابن وحشي هو رضوان
برنقش الخادم ٢٨٨, ٢٨٤	ابو الوليد ٢٤
يزدوخانس ٩٨	الونشريسي علي (الونشريسي عبدالله) ٢٩٤
يعقوب بن قزل ارسلان (السبع الاحمر) ٢٧٤	بنت وهب بن حسان ٧٩
يلبا هو ايلبا	* ي * يارقنقاش (ياروقنقاش) شمس
يلتكين هو بلتكين	الخواريص الخادم ١٩٩
يمن نصير الدولة ١٤١	ابن ياروخ يوسف القائد ٦٩
ينال صاحب امد ١٣١, ١٣٨	اليازوري الحسن (بن علي) بن عبد الرحمان ابو
— الطويل ٤٩	محمد الوزير ٨٤
ينال يوسف الحاجب ٢٧٤	ياغي سيان مؤيد الدولة ١٢٢, ١٢٣-١٣٥, ١٨٩
يوانيس الطيب ٣٩	الياغيباني هو صلاح الدين
يوسف الحاجب ٣١١	ياقوب ارسلان شمس الدين بن قرقي ٢٦٧
يوسف الخادم ٢٦٨	— الخادم ٥٠
— صاحب الرحبة ١٢٦	— بن عبدالله الحموي المؤرخ ٢٧, ٢٣٥
— بن يعقوب النبي ٨٠	يانس الصقلي ٥٥
اليوناس هو التونتاس	يانس الوزير ٢٢٩

فهرس

اسماء المدن والقرى

ابن احمد حصن (عظمة) ٢٥٨	* ١ *
الاحياء ٢, ٢٠	اذريجان ١٤٧, ٢٢٨, ٢٦٣, ٢٦٥
اخل كاعاك ٢٦٥	آكل حصن ٢٧٦
اخلط ٩٩-١٠٢, ١٦٤, ١٧٦, ٢٧٦, ٢٢٧	آلوت ١٢٨, ١٢٩, ١٥١, ١٦٣
٢٦٥, ٢٦٣	آمد ١١٧, ١٢٣, ١٣١, ١٣٧, ١٣٨, ١٥٧
اذرعات ٢	١٥٨, ٢٤٣, ٢٧٤, ٢٧٦
اذنة ٢٥٨	آنة ٢١٦, ٢٢٨, ٢٦١-٢٦٤
اران ٢٠٥, ٢١٦	الاثارب ١١٦, ١٧٠, ١٧٣, ٢٠٩, ٢٦٥, ٢٧٠

ارتاح ١٢٤, ١٤٨	انطاكية تكثر ذكرها
ارجيش ١٠٠, ١٠١	انطرطوس ١١٥, ١٤١, ١٨١, ٣١٨
الاردن نحر ١٦٨, ٧٤	الاهواز ٨٧, ٨٨
ارزن ٩٩, ١٢٧, ١٧٦, ٢٠٥, ٢٦٧	رأس اوثنان ٢٩١
ارزن الروم ٢٠٥	اوين ٣٦٥
ارس نحر ٢٦١	ايرزون ٢٧٤, ٢٧٧
ارسوف ١٢٩	* ب *
ازمنازه ١٢٥	باب توما بدمشق ٣٢٧
ارمينة ١٤٧, ١٦٩	- الجابية بدمشق ٩, ٢٢, ٢٦٩
اسباكرد ٣٦١	- جسر الخندق بدمشق ٢٣٩
اسعد ١٢٧, ١٥٨, ٢٧٤, ٣٣٨	- الحديد بدمشق ٥-٧, ٢٥, ٤٧, ٢٢٢, ٢٣٩
اسفونا ٩٨	- الحوش بيمافارقين ١٧٦
الاسكندرية ١١٠, ١٢٨, ٢٥٨	- خراسان بغداد ٨٩
- بصر ٢٧٦, ٣٠٢	- الذهب بقصر الزمرّد ٦٥
اشب قلعة ٢٧٧	- الرهومة - - ٥٩
اصفهان ٩٩, ١٢١, ٢٠٧, ٢٦١, ٢٦٨, ٢٩٤	- الساعات بدمشق ٢٣٣
اعزاز حصن ٤١, ٧٥, ١١٦, ٣١٠	- بدمشق شرقي ٢٦, ٢٠٧, ٢٢٧
الاعوج ٢٠٩, ٣١٤, ٣٢٠	- الشعب ١٧٦
اغاث ٢٩٣	- الصغير بدمشق ٥, ٨, ٩, ١٢٢, ١٩٢, ٢٧٨
اقاميسه ٤٣, ٤٣, ٥٠-٥٢, ١٢٠, ١٢١, ١٢٨	٢٩٨,
١٤٩, ١٥٠, ١٧٧, ١٩٠, ٢١٠, ٣٠٥	- الطاق بغداد ٨٨, ٨٩
٢٢٥, ٢٣٧, ٢٤٣	- الفراديس بدمشق ١٨٨, ٢٨٢, ٣٥٩
افريقية ٢٩٤	- كيسان - ١٠, ٢٢٧
افلس حصن ٢٢٠	- المعاربة - ٩
الأنشعوانة ٧٣, ٧٤, ٩٦, ١٨٤, ١٨٥	- الهوة بيمافارقين ٢٠٨
اقشهر ٣٦٥	البادية بدمشق ٥
اقصرا ١٥٨, ٢٣٣	البارة حصن ١٣٤, ٢٠٩, ٢١٠
الاسكراد حصن ١٦٥, ١٦٧, ١٨١	جبل بازوي ٢٢٨
الأكمة ١٦٣	الباشورة ١٩١
الأكواخ بدمشق ٤	بالس ٢٤, ١١٤
انب حصن ٣٠٥	بالو ٢٦٧
الانبار ٨٨, ٨٩	باناس نحر ٢٥٦
اندكان ٢٠٢	باناس ١٥, ٩٤, ٩٦, ١٠٨, ١٠٩, ١٦٣, ١٧٨
الاندلس ١١٨, ٢٩٤	١٨٢, ١٨٤, ٢١١, ٢١٥, ٢٢١-٢٢٥

بغراس ١٣٤	٢٧٣, ٢٧٢, ٢٦٨, ٢٦٣, ٢٢٧, ٢٢٦,
البشاع ١٦٥, ١٧١, ١٨٤, ١٩٧, ٢٦٣, ٢٧٠,	٢٢٩, ٢٢٧, ٢٢٠, ٢١٧, ٢٠٨,
٢٩٩, ٣١٣-٣١٧, ٣٥٢	باهود ١٢٧
البقيعة ٢٩	البنية ٢٨, ١٤٩, ١٨٣,
بكران قلعة ٢٦١	بجاية ٢٩٣
البلاط ٢٦٥	بحر الاسكندرية ٢٩١
البلانة ١٣٤	- القسطنطينية ١٣٤
بليس ٤٤, ٢٢٠	بحيرة اقامية ٥٢
بلغ ٢٧٥, ٢٢٥, ٢٤٧	- طبرية ١٨٥, ٢٢٣,
بلستين ١٥٨	بجارا ٧١
بيت الابار بدمشق ٢٢٧	بدليس ٩٩, ١٢٧, ٢٠٥, ٢٦٧, ٢٦٢,
- لجا - ٥٢-٥٤, ٦٦, ٢٠٣	براق ٢٢٥
- المقدس ٦٦, ٦٨, ٧٣, ٧٩, ٩٤, ٩٨,	البراني بلد ٢٣٥
١١١, ١٢٢-١٢٨, ١٦٨, ١٧١-١٧٤,	برج داود بالقدس ١١١
١٨٣, ١٨٦, ٢٠٢, ٢٩٧	- القم بجلب ٢٦٥
البيرة ١١٣, ٢٧٩-٢٨١	- الماء بالرها ٢٨٨
بيروت ١٤, ١٢٨, ١٤٠, ١٦٤, ١٦٧, ١٦٨,	بردي خرا ٦, ٢١٢, ٢١٨, ٢٢٤, ٢٥٢,
١٧١, ٢٣٦, ٢٤١, ٣١٥	برزوية ٢٧
بيروود ٢٤	برزية ١١٣
بيسان ١٨٦	برقة ٥٥
بيلقان ٢٦٢	بركة الخيزران ١٨
بيارستان عتيق بدمشق ٦	بزاعة ١١٣, ٢٠٣, ٢٦٥, ٢٧٦,
* ت *	بستان الوزير بدمشق ٢٣
تبريز ٢٧٧	البصرة ١٤
تبين حصن ١٥١	بصري دمشق ١٤٥, ١٤٨, ١٥٠-١٨٣, ٢١٥,
تدمر ٢١٤, ٢٤٤, ٢٤٥, ٢٥٢, ٢٥٣	٢٥٣, ٢٧١, ٢٨٩, ٢٩٠, ٣١١, ٣١٤,
تربة ابي حنيفة بغداد ٢٠٣	- ٢٤٦, ٢١٩
- ست الشام بدمشق ٢٢٣	البطاطين سوق بدمشق ٨, ٢٦,
التربة الفخرية - ١١١	بمرين حصن ٢٤٠, ٢٥٩, ٢٦٢, ٢٦٦,
نرياليت ٢٠٥, ٢٦٥	بعلبك ١٢, ٢٩, ٧١, ١٤٥, ١٤٨, ١٦٦, ١٦٧,
تفليس ٢٠٥, ٢٠٦, ٢٦١, ٢٦٢	١٧١, ٢٣٥, ٢٥٤, ٢٦٩-٢٧٨, ٢٧٢,
تكريت ٨٩	٢٨٢, ٢٨٧, ٢٨٨, ٢٠٧, ٢٠٩, ٣١١,
تل اعرن ٢٤	٢١٧, ٢٢١, ٢٢٦, ٢٢١, ٢٢٨,
- باشر ١٥٧, ١٧٤, ١٧٥, ٢٣٦, ٣١٠,	بغداد تكثر ذكرها

- ٢١٥, ٢١٢, ٢٧٤
تل يسمى ٢٧٤
— الحسن ١١٣
— حمدون ٢٥٨
— راهط ٢٥٤
— مراد ١٧٤
— ابن ممشر ١٧٧, ١٧٤
— المشوقة ١٥٩
تلفيتا ٢٧, ٢٦, ٢٤
تنيس ١٧١, ٢٢٨, ٢٢١
تياه ٢٤٣
التينة ٢٤
- * ث *
- الغور ٩٥, ٢٦٤
الثمانين حصن ١٨٤
- * ج *
- جامع الخليفة ببغداد ٨٩, ١٧٣
— الرصافة — ٨٨
— السلطان — ١٧٣
— العتيق بمصر ٢٣
— المصور بدمشق — ٢٠١
— المنصور ببغداد ٨٨
الجبال ١٥٨
الجباينة ١٧٤
جبل جيرا ١٤٨
— جيتون ٢٥٠
— جور ٢٧٤
— جوشن ٧٥
— الساق ١٨٩
— سنير ٢٦, ٢٤
— سير ٦٩
— الصور ١٧٦
— عاملة ١٧٨, ١٨٤, ٢٣٩
— بني عليم ١٨٩
- جبل موف ١٥١, ١٦٤, ١٧٤
— مضيف ٥٢
جبل طيء ٥١
جبل الشام ١٢٩, ٢٤٤
جبل ١٤, ١٢٠, ١٤٣, ١٤٤, ١٦٤, ٢٤٤
الجزائر ٦٨
جزيرة ابن عمر ١٢٦, ١٢٤, ١٤٧, ١٥٦, ١٦٧
٢٨٢, ٢٦٣, ٢٠٦,
— بني عُثَيْر ١٦٩
جسر باناس بدمشق ٦
— الحديد ٤١
— الحشب ٢٢٥, ٢٥٥, ٢٠٩, ٢١٥, ٢٥٢
— القيلي بدمشق ٢٨٢
— المصلى — ٨
جدير قلعة ١٦٩, ٢٠٢, ٢٠٧, ٢٨٥, ٢٨٨
٢٥٧, ٢١٦, ٢١٢,
الجلاب نحر ١١٦
جترى (كنجة) ١٦٨, ٢٠٥, ٢١٦, ٢٦١
٢٦٤, ٢٦٣,
المور ١٨٩
حوية ٢٩, ٤٠
جيحون نحر ١٠٦, ١٦٨
الجيزة ٦٥
- * ح *
- حارم حصن ٢٢٣, ٢٥٠, ٢٥٢
حارة برجوان بالقاهرة ٤٥
حازين ١٠٠
حان قلعة ١٥١
الحانوتة ١٢٦
حاني ١٢٧, ٢٦٧, ٢٧٤
الحائر بدمشق ٢٦
الحبيس حصن ١٧٨, ١٨٤
الحجاز ١٣٠
حجر الذهب بدمشق ٦, ٧, ٤٧

٢٤٥، ٢١١، ٢١٠،	حجيرة ٢١٢
الخراص حصن ١١٣	الحديثة ١٠٧، ٨٩
الخربة - ٢٥٨	حران ١٦٩، ١٥٠، ١٢٧، ١١٧، ١١٦، ١٠٠
خر تبعت ٢٠٨، ٢٦٧	١٧٠، ١٧٤، ٢٠٩، ٢٨٦، ٢٥٠، ٢٥٨،
خرانة البنود بالقاهرة ٨٤، ٩٣	المرجلة ٥
الخرز ٢٠٣	حرستا التين ٢٧٢
الخواتي حصن ١٦١	الحريم الطاهرة ببغداد ٨٩، ٢٦٠
خوي ٢٢٨	حزة ١٧٦، ٢٠٨
* د *	حلب تكثر ذكرها
دار اسحق ببغداد ٨٧	حلقين (حلقين) ٢١٣
- البطيخ بدمشق ٢٥٢	حلة بني مزيد ١٥٩، ١٦٠، ٢٣٠
- بني حذيفة ٦-	حمام ضحاك بدمشق ٧
- الحماي ٦-	- المصبي ٦-
- حجوم ٧١-	- قاسم ٦-
- الخلافة ببغداد ٨٧، ٨٨، ٩٠، ١٧٦	حماة تكثر ذكرها
٢٠٦،	حمص - -
- الروذاري بدمشق ١٠	بلد الخاضعة ١٧٦
- السلطان ببغداد ٢٢٧، ٢٥٠	الخورخر ١٧٦
- شمس الملوك بدمشق ١٨١	حوارين حصن ٣٠
- ابن طنج ٧، ٦-	الحوائت بدمشق ٧
- المعجبة بيمارقين ١٧٦	حوران ١٥٩، ١٥١، ١٤٥، ١٢٢، ٢٨، ٢١، ٥
- المقيتي بدمشق ٩٤	٢١٢، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٥٥-٢٥٧، ٢٧٢،
- عمرو بن مالك ٧، ٦-	٢٧٣، ٢٠٤-٢١٧، ٢٢٣، ٢٥٠،
- ابن مقاتل ٧-	حيزان ٢٧٣، ٢٧٤
دارا ١٢٣	حيفا ١٢٩
داريا ٢٠، ٦٣، ٢٧٠-٢٧٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٥١	* خ *
دالان ١٥٤	الخابورخر ١٥٦، ١٥٧
دانيث البقل ٢٠١	خالد حصن ٣١١
دآي مرك ٢٥٠	الخامس الصغير بدمشق ١٠
الدباغة بدمشق ٢٢٧	الخامسون ٢١٢
دجلة خراسان ٨٨، ١٠٦، ١٧٦	الخاتوة ١١٦
درب السماقي بدمشق ٦	الختل ٧١
- سوق القنم ٨-	خراسان ١٤٠، ١٣٩، ١٢٤، ١١٨، ١٠٣، ٩٨
- الفجابين ٦-	١٤٧، ١٦٨، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٦، ٢٨٣،

داوية ٢١٢	درب القصارين ٦-
الرجة ٦٦, ٨٧, ٩٠, ١٠٦, ١١٧, ١٢٢-١٢٧	- مرم ١٠٢
١٣٧, ١٤٢, ١٤٥, ١٤٩, ١٥٦, ١٦٠,	درشد ١٠١, ٢٠٥
١٩٩, ٢١٢, ٢١٧, ٢٣١, ٢٤٤	درز ٢١٦
- السماكين بدمشق ٧	درن جبل ٢٩١, ٢٩٢, ٢٩٤
الرتن ١٤٢	دروب الروم ٢٠٤, ٢٠٥, ٢٥٨, ٢٦٤
الرصيف بدمشق ٦	دسيلو ١٢٩
رفية ٢٧, ٤٤, ١١٦, ١٤٨, ١٦٥, ١٦٩, ١٧٥,	دقوقا ٢٥٩
١٨٤, ١٩٢, ٢١٦, ٢٤٠,	الدكة ١, ٧, ٩, ٦٦
الرقعة ١٦, ٣٠, ٣٤-٣٨, ١٦٩, ٢٦٦, ٢٨٥,	الذلمية ٢١٥
٢١٦,	دشق تكثر ذكرها
الرمل ١١٠	دمياط ١٧٢, ٢١٦
الرملة ١, ٤, ١٥-٢٥, ٢٢, ٤٠, ٤٦-٥١, ٥٨,	الدواية بدمشق ٢
١٧٨, ٢٣, ٦٦-	دوسر قلعة (جمبر) ١٠٠, ٢٨٤, ٢٨٥
الرمسا ١٠٠, ١٠٤, ١١٩, ١٢٤, ١٢٧, ١٢٨,	دوقية ١٠٥
١٤٣, ١٥٠, ١٦٤, ١٦٧-١٧٠, ١٧٦,	دومانيس ٢٦٥
١٨١, ٢٠٨, ٢٢٤, ٢٤١, ٢٧٩-٢٨٢,	دومة دمشق ٢١٢, ٢٢٧
٢٨٨,	دويرا ١١٦
الرمو ١٠٢	دوين ١٢٧, ١٢٨, ٢٠٥, ٢٦١, ٢٦٣, ٢٦٥
الروابي بيقارقين ١٧٦	دياربكر ٦٤, ١١٣, ١١٧, ١١٩, ١٢٣-١٢٤
الروج ١٣٤	١٢٧-١٢٩, ١٤٢, ١٥٨, ١٧٤, ٢٠٨,
بلد الروم ٦٨	٢٥٦, ٢٧٤, ٢٧٧, ٢٢٨, ٢٦٥,
الري ٨٦-٨٩, ١٠٣, ١٠٤, ١٢٨, ١٢١-١٢٢, ١٥٢,	ديار ريمة ٢١, ٢١٧, ٢٨٦, ٢٢٨
الريمانية بالقاهرة ٥٥	دير الزبيب ٢٥
الريف ٧١, ١٠٩, ١١١	* ذ *
* ز * الربداني ١٦٥, ٢١٤,	ذات الحوز ١٧٢, ٢٢٨
زرا ١٥١	ذو القرنين ٢٧٤
زردنا ٢٠٢, ٢٣٦	* ر *
الزهراني جندان ٢٠٢	الراس حصن ٢٣٥
زقاق الرمان بدمشق ٢٢	راس الخير ١٧٦
- عطاف - ٧١	- السلسلة ١٧٦
- المشاطين - ٦	- العين ١٤٣
زندروذر ٢٦١	- الماء ١٧٤, ٢١٤, ٢٢٨
زنكان (زنجان) ٢٩٥	الرافقة حصن ٢٨, ١٠٠

شيزر ٤٣، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤،
١٧٨، ١٧٧، ١٧٤، ١٦٧، ١٦٤، ١٥٠،
٢٦٤، ٢٥٥، ٢٢٩، ١٩١، ١٩٠، ١٨٣،
٢٥٦، ٢٤٩-٢٤٤، ٢٢٧، ٢٢٥، ٢٦٦،

* ص *

الصادرية بدمشق ٢٢٤
صافيا ١٨١
صحراء الاهليلج بالقاهرة ٥٥
صرخد حصن ١٦٧، ٢٢١، ٢٤٦، ٢٥٢، ٢٥٥،
٢٨٩، ٢٧٨، ٢٧٣، ٢٧٠، ٢٦١، ٢٥٧،
٢٢٤، ٢٢١، ٢١٩، ٢١١، ٢٩٦، ٢٩٠،
٢٢٩،
صفين ٢٠٢
- مشهد ٢٦٦
صقلية ٢٢٨، ٢٢١
صلدع ٢٦٥
الصنبرة جبر ١٨٥
الصنمان ١٧٤

صور ١٥، ٥٠، ٥٣، ٦٨، ٩٦-٩٨، ١٠٦، ١١١،
١٢٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٠، ١١٦، ١١٢،
٢٠٧، ١٨٨، ١٧١، ١٦٤، ١٥٩، ١٥١،
٢٢٢، ٢٠٢، ٧٩٧، ٢٧٣، ٢١١،

الصور قلعة ٢٤٣
صيدا ١٥، ٥٠، ٧٤، ٩٦، ٩٨، ١٢٠، ١٦٢،
٢١٥، ٢٤١، ١٧٩، ١٧٣، ١٧١، ١٦٨،
٢٥٢،
صيدنايا ٢٤١، ٢٤١
الصين ١٥٢، ٢٧٥، ٢٧٧

* ط *

طاحون الاشريين بدمشق ٥، ٧
طبرية ١، ١٦، ٢٠، ٢٢، ٢٥، ٢٩، ٤٠، ٤٧،
١٧٤، ١٦١، ١٥١، ١٤٩، ٩٦، ٩١، ٦٠،
٢٢٣، ٢٤٣، ٢١٣، ١٨٧، ١٨٥، ١٨٤،
٢٤١،

* س *

ساتي دما نحر ٨٧، ١٢٣، ٢٨٦، سنجتان ١٧٢
السهم ٣١٢
السواد بالشام ١٤٩، ١٥١، ١٦٤، ١٧٤، ١٧٨،
١٨٤،

السور ٣
السوس بالمغرب ٢٩١-٢٩٤
سوق البز بالرملة ٦١
- البقل بدمشق ٨
- الجفري - ٧
سوق الدواب - ٩
- ملي - ٢٢٨
- النعم - ١٢٢
السويدا حصن ١٠٠

السويدية ١٦٨
السويقتان بالقاهرة ٢٠٤
سيواس ١٥٨

* ش *

شارع دار الرقيق ببغداد ٨٨
الشاغور ٢٦، ٢١٣، ٢٠٧
الشام تكثر ذكرها
شاه ذرا ١٥٣-١٥٤

الشارة ١٥٨
شرخوب ٢١٢
الشرطة ٦٩
الشرف الشمالي بدمشق ٢٢٢
شرمدا ٢٠٠

الشعرا ٢٤٣، ٢٣٧

شقيق تيدون ٢٤١

الشماسية بدمشق ٤، ٦، ١٥، ١٦، ٥٢، ٥٧

شمسية ١٥٧

شهرزور ٨٩

شهرستان ٢٦١

شيزاز ١٧٦

طرابلس الشام ١، ١٤، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٤٠-٥١	علمال ١٤٩
٩٦، ٩٧، ١١٢، ١١٥، ١٢٦، ١٣٩،	عمان البلقاء ٩٤، ٩٧،
١٤٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٦، ١٦٠،	عين تباب ١١٣
١٦٥-١٧٧، ١٧٩، ١٨٨، ٢٢٤، ٢٤٠،	- الجسر ١٨٤، ٢١٤،
٢٥٨، ٢٦٢، ٣١٥	- زربة ٢٥٨
طرابلس الغرب ٥٥، ٥٨	- سلم ١١٩
طرسوس ١٢	- شمس ١، ٢، ٤٦،
طيطة ١١٨	- شواقة بدمشق ٢٨٩
طتري ١٢٧	- الكتبة ١٥٩
الطواحين نهر ١٧	صيون العاصري ٢١٢، ٢٢٧،
الطوقان حصن ١٦٥	* غ *
* ع *	الغزالية بدمشق ٢٧٠، ٢٩٦،
العاصي نهر ١٢٦، ١٧٧،	غزة ١٠٣
عانة ٢٨٠	غزة ٧٤، ١١٠، ١١١، ٢٠٨، ٢٣٠، ٢٥١،
مذراه ١١٢، ٢٤٧، ٢٧٢، ٣١٢،	الغوطيين ٦٩
العراق تكثر ذكرها	غوطية دمشق ٢٢-٢٤، ٥٤، ٩٥، ٢١٣، ٢٦٨،
عرقه ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧،	٢٧٢، ٢٧٣، ٢٠٨، ٣١٣، ٣١٥-
العريش ٧٢، ١١١، ٣٥٣،	* ف *
عريضة حصن ٣٠٠	الفاخورة بدمشق ٦
عزاز ١٠٢، ١١٣، ٢١٠،	فارس ١٧٦
عسال ٢٤١	فاسري ٢١٢، ٢٢٧،
عقلان ١٦، ٢٢، ٤٦، ٧٣، ٩٣، ٩٦، ٩٧،	الفحول ٢٠٨
١٢٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٩، ١٧٣، ١٨٣،	فذايا ٢١٣
٢١٢، ٢٩٦، ٢٠٨، ٢٠٩، ٣١٨، ٣٢٢،	الفرات نهر ٤١، ٦٦، ٨٧، ٨٩، ١٠٠، ١٠١،
٢٣٠، ٢٥١،	١١٣، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٤٦،
العقبة ٢١٣، ٢٤٧،	١٥٦، ١٥٧، ١٦٩-١٧٥، ١٨٤، ٢٠٣،
عقبة سحورا ٢١٣	٢٠٧، ٢٤٧، ٢٥٨، ٢٦٦،
- فيق ٧٤	الفراديس بدمشق ٦، ٢٧١،
العقبيية ٢٥٤، ٢٥٦،	قرس هو قرس
عكسا ١٥، ٢٩، ٦٨، ٨٤، ٩١، ٩٢، ٩٧، ٩٨،	الفسقار بدمشق ٧
١٠٩، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٨، ١٤٤، ١٥١،	فطليس ٢٧٤، ٢٧٧،
١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ٢٠٤، ٢٢٣،	فلسطين ٢٤، ٧٢، ٧٩، ٩٤، ٩٨، ١١٢، ١٦١،
٢٤٠، ٢٤٣، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣١٥،	الفنديق ٨٦، ٢٠٧،
ابن عكار حصن ١٦٥	الغوار ٢٢

قويق نصر بجلب ٢٦٥	* ق *
القيروان ٥٨, ٤٤	قارا ٢٣١, ٢٤
القيري رُحبا ٢٦	القاهرة ٢١, ٤٤, ٤٨, ٥٩, ٦٤, ٦٥, ٨٠, ١٠٩
قيسارية ٢٩, ٧٢, ٩٧, ١٣٩, ١٥٨	و ١١٠, ٢٠٤, ٢٣٠
قينة بدمشق ٥, ٦, ٢٢	قبر الخليل بالقدس ١٣٧
* ك *	قبرص (قبرص) جزيرة ٢٥٨
كاشغر ٧١	القبة حصن ١٩٩
كركر حصن ٢٠٩	قبة احمد بن حنبل ببغداد ١٠٤
الكركري حصن ٢٦١	- السلطان بيافارقين ٢٠٨
كفر حمار ١٢٦	- الورد بقلعة دمشق ٢٢٣, ٢٦٤
كفر طاب ١٠٦, ١٣٦, ٢٦٦, ٢٣٥, ٢٢٧	القحوانة هي الأقحوانة
٢٤٨, ٢٤٣,	قُدس ١٨٤
كنجة (جزي) ١٦٨, ٢١٦, ٢٦٢, ٢٦٤	قرزاحل ١١٨
كنيسة السيدة مانطايكة ١٢١	القرص ٢٦١
- مريوخا بدمشق ٦	قرقيبا ١١٦, ١١٧
- اليهود بدمشق ٢٦	القرينان بحمص ١٠٠, ١٤٦, ١٤٧
الكورة ٢٦٢	القسطنطينية ١٤, ٢٥, ٦٨, ٩١, ٩٥, ١٠١
الكوفة ١, ٢٨, ٦٤	- ١٠٦, ١٣٤, ١٥٦, ١٦٤, ٢٣٦, ٢٥٧
كوكبا ٣١٥	٢٥٨, ٢٩٧, ٣٥٤
حصن كيفا ١٢٧, ١٧٦, ٢٦٧, ٢٢٨	القصارين بدمشق ٥
* ل *	قصر التقيين بدمشق ١٥
لاذقية ١٤٣, ٢٥٥	- حجاج بدمشق ٧, ٢١٣
لنا (لبنى) ١٩	- الزمرد بالقاهرة ٥٦
البوة حصن ٢٣٥	- ابن السرح ١٨
اللجاة ١٧٤	- السلطان بدمشق ٩٦
لورى ٢٦٥	- عاتكة ٧
اللؤلؤة بدمشق ٥, ٦	التصير ٢٤٧
* م *	القطيعة ٣١٥
مأب ١٥٨	القلعة ٢١٢
ماردين ١٣٨, ١٧٠, ١٧٦, ٢٠٢, ٢٠٥, ٢٠٨	- الشريف علب ١١٨, ١٦٧
٢٢٩, ٢٧٦, ٢٧٤	قنشرين ٢٦, ٤٣, ٢٤٠, ٢٤١
ماكسين ١٥٨	القمامة بيعة بالقدس ٦٦-٦٨
ما وراء النهر ٢٧٥	الفتوات بدمشق ٥, ٦
مجة العطب بقصر الزمرد ٥٩	قونية ١٠٥, ١٠٨, ٢٣٣, ٢٣٦

مسجد سموية - ٦	المجدل حصن ٢٦٣
- الوزير - ٢٢٣	المحاملين بدمشق ٨
شهد زين العابدين ٣٠٧	محراب داود بالقدس ١٣٥
- علي بالكوفة ٢٨, ٦٤	مخازن التحار خان بيمداد ٢٤٣
مصر تكثر ذكرها	المدان ١٥١, ٢٧٢
المصلى بدمشق ٩, ٢٥٣, ٢٥٤, ٢٥٧, ٢٧١	مدرسة الامامية بدمشق ٢٧٠
٢٧٣	المدينة ١٨٧, ٢٥١, ٢٥٦
مباني حصن ١٦٥, ٢٧٤	مراغة ١٤٠, ٢٥٠, ٢٥٩
المصبصة ٢٥٨	مراكش ٢٩٣, ٢٩٤
المضيق جبل ٥٢	المرج بدمشق ٦, ٥٤, ٢١٣, ٢٥٤, ٢٦٨, ٢٧٢
المظلة بدمشق ٦, ٧	٢٧٣, ٢٠٨, ٢١٣-٢١٥
المدن ٢٧٤	مرج الاشعريين ٦٦
المعرة ٢٤, ١٠٦, ٢٦٦	- افيج ٥٢
معرة مصرين ١٣٥, ١٩٠	- باب الحديد بدمشق ٩٣, ١٦٠, ١٨٧
- النعمان ٢٨, ١٣٣, ١٣٥, ١٣٦, ١٧٦	- دابق ٣٤
١٩٠,	- الديباج ٢٦٣, ٢٦٤, ٢٥٤
ملولا ٢٤	- رَاهُط ٢٧٣
المقابر بدمشق ١٠	- سلبية ١٨٤
مقابر باب الصغير بدمشق ٢٢٢, ٢٢٣	- الصفر ١١٥, ١٢٢, ٢١٣
مقابر الراديس بدمشق ٣١٢	مرج عذراء ٤٠
- قریش ببغداد ٢٠٦	- يبروس بدمشق ٣٠٨
- الكهف بدمشق ٣١٩	مرعش ١٤٣
المقاومة ٢٤١	مرقية ١٨١
المقس بالقاهرة ٥٥	المرى بدمشق ٦
القلوب نحر ٤١, ٥١, ٥٢	المزة ٢٢, ٢٥, ٦٩, ٩١, ٩٢, ٢٩٨
مكر بابكان ٢٩٥	مسجد ابرهيم بدمشق ٦, ٢٥
مكة ٦٤, ١٠٧, ١٢٥, ١٣٠, ٢٥١, ٢٥٦	- الاقيى بالقدس ٦٧
الملاحة ٢٤١	- الامير بيمافارقين ٢٠٨
مالطية ١٠٥, ١٢٨, ١٥٠, ١٥٦-١٥٨	- الجامع بدمشق ٩٦, ٩٧
منازجرد ١٨-١٠٤, ٢٦٧, ٢٦١	- جديد - ٢٥٧, ٢١٣
منزل العاسر ٣٠٩	- الخضر - ٩
- المساكر بدمشق ٢٩٨	- زيدان بالقاهرة ٦٦
منج ٩٨, ١٠١, ١٠٤, ٢٨٥, ٢٨٦, ٢٥٥	- القاضي بدمشق ٦
المنجعة ضيعة بدمشق ٢٤٥	- القدم - ٩٣, ٢٧٧, ٢١٣

المنيطرة حصن ١٦٥	نيسابور (نشاوور) ٢٢٥
المهدية ١٢، ١٤، ١١٨، ٢١١	نيقية ١٣٥، ٢٥٨
الموصل يكثر ذكرها	النبل ٢٢٦
مياقارقين ٢١، ١٠٠، ١٢٢، ١٣٦-١٣٨، ١٥٧	* * *
١٥٨، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٥، ١٧٦، ٢٠٨	لحناج ١٧٦، ٢٦٢
٢٦٧، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٦١	الهرماس نهر ١٢٣
الميدان بدمشق ٧	هذان ٨٨، ٩٠، ٩٩، ١٠٢، ١٠٤، ١٢١، ١٢٧
— الاخضر بدمشق ١٨٧، ٢٠١، ٢٩٨	١٧٣، ٢١٠، ٢٠٢، ٢١٧، ٢٢٨، ٢٤٩
— المصلّى بدمشق ٢٥٣، ٢٥٤	٢٥٠، ٢٩٤، ٢٦٢-٢٦٥
ميساس ٢٩	هونين حصن ٢٤٠
* ن *	* و *
نابلس ١٨٦	وادي التيم ١٨٤، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٢
الناصرية ٢٤٣	٢٠٢،
التاعورة حصن ٢٤، ٢٨، ١٢٦، ٢٦٥	— بني حصين ١١٥
نخجوان ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٥	— — علم ٢٤
نصيبين ٨٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٥٦، ٢٦١، ٢٧٤	— القرى ٦٤
النظامية بغداد ٢٩٥	— المتول ١٨٦
نقب طازب ١٨٣	— موسى ١٥٨، ٢١٨
نقجوان هو نخجوان	— المياه ١٦٦
النفرة ٣٤	واسط ٨٧
نفرة الاحرن (كذا) ٢٤١	* ي *
نخاوند ١٤٧	يافا ٢، ١٥، ١٠٩، ١١١، ١٣٨، ١٤٠-١٤٢
نهر مملّى ببغداد ٨٩	١٤٩، ١٨٦، ٣١٥
النهر وان ٨٩، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٠٢	يزيد نهر ٢٢، ٢٥٦
نواز ٢٤٠	يعفور ٢٠٨
التيب ٢٥، ٢١٢	يمن ١١٤

563.—(Ib. 191^v). Saltuq, ruler of Erzerûm, dies, and is succeeded by his son, Muhammad.

570. — (Ib. 196^v. 197^v). Ana taken from Shâhinsbâh by the Georgians and added to their dominions ; they inflict a defeat on Ildigiz : an indecisive action follows near Awin.

571. — (Ib. 199^v). Successful raids on Georgian territory by Ildigiz and other Moslem rulers: rejoicings at Akhlât on its ruler's return.
pp. 364-5.



lems captured, many of whom are ransomed by the vizier of Mosul, Jamâl al-Dîn al Isfahâni (1).

557. — The Georgians surprise Dawain, (A. 188), and destroy the minaret of Georgian skulls erected by its ruler, Qurti; they also pillage Janza.

558. — A Moslem coalition formed under Ildigiz, Atabek of Adhardijân, completely defeats Giorgi, whose camp is pillaged; the extent of the booty and the uses to which it was put; rejoicings at Akhlât (2).
pp. 360.

Account of this victory from the *Zubdat al-Tawârikh*. B.M. Stowe, or. 7, fols 88-91.

The Georgians make claims on the revenue of Janza; Ildigiz replies by a threat to march on Tiflis, and by his advice the Saljuq of Irâq, Arslân Shâh b. Tughril, advances against them by way of Nakhjawân and Janza, whereupon the Georgians offer excuses; Shâh Arman of Akhlât arrives with a force; Ildigiz consults his officers on how to answer the Georgians; those from Irâq, suspecting him of wishing to come to terms, urge firmness on Arslân Shâh and Shah Arman supports them; Ildigiz protests his satisfaction at their attitude, and the Georgian envoy is dismissed; preparations for battle; disposition of the Moslem forces by Ildigiz, and of the Georgian; victory of the Moslems; the Georgian ruler escapes; large booty.
pp. 362-4,

[For the Georgian account of this campaign see Brosset « *Histoire de la Georgie* », Vol. I. Part I. pp. 387-95, and 'Additions', ib. pp. 253-6.].

559. — (From Fâriqi, fol. 187^v). Ana occupied by the Georgians, and, on their withdrawal, by Ildigiz; the Georgians defeated by Ibrâhîm, ruler of Surmâri; Ana granted by Ildigiz to Fadlûn's brother, Shâhinshâh.

[Of the Shaddâd family; for their pedigree, see Brosset ib. I. part I. p. 344.].

(1) His life, Ibn Khall. II, 95, Eng. III 295.

(2) Cf. Dulaurier, op. cit. 365 and 488, note.

ter detected ; he removes beyond the Euphrates ; Qutb al-Dîn approaches from Mosûl, but withdraws on Nûr al-Dîn's recovery ; his vizier Jamâl al-Dîn al-Isfahâni visits Damascus ; presents from Constantinople to Egypt. pp. 354-6.

Manuel threatens Antioch ; earthquakes ; death of an Aleppo physician ; pestilent wind ; Nûr al-Dîn makes terms with Manuel, and agrees to release his Christian captives (1) ; he entertains Qutb al-Dîn's troops, and an Arab raid on their property is frustrated ; Amîr Amîrân forced to surrender Harrân (A. 166-7, 'Adîm. « Blochet », 24). pp. 356-8.

555. — Death of the Amir Bûzân ; his high character ; lines on him ; the Qadi Dhaki al-Dîn (al-Qurashi) resigns and is succeeded by Kamâl al-Dîn al-Shahrazûri (2) with his son as his deputy, ('Adîm « Blochet » 25 sub. 557 A. H. pp. 359-60.

End of the History of Ibn al-Qalânisi

Note of subsequent Events from Fariqi, fols. 183-5.

Death of the Fatimide Fâ'iz and succession of 'Adid (3) the last of the line (A. 168) ; how it was the practice to suspend in the Mosque a girdle for each of these rulers, those of the deceased being uncovered and that of the actual ruler being veiled.

556. — The Priests at Ana revolt against their ruler Fadlân, and surrender the place to the Georgian ruler, Giorgi III, who takes possession ; a combined attack on him by the neighbouring Moslem rulers is defeated (A. 184) owing to the defection of Saltuq, ruler of Erzerûm, who was under a promise to Giorgi's predecessor, Demetrius, not to attack him or his issue (4) ; large number of Mos-

(1) Gregory the priest, whose tone is wholly unfavourable to Manuel, accounts for his moderation by a revolt against him in Constantinople. — See Dulaurier, op. cit. pp. 355-7 and 483.

(2) See his life, Ibn Khall. I. 597, Eng. II. 646, followed by that of his son, Muhi al-Dîn. His predecessor is there said to have been dismissed, but he had previously been mentioned as resigning ; see the life of his son, ib. I 595 l. ult. Eng. II 641.

(3) His life, Ibn Khall. I 338, Eng. II 72.

(4) Cf. Dulaurier, op. cit. 362-3 and 485, note.

The governor of Busra treacherously murdered : death of a Shaikh ; earthquakes ; end of a drought ; more earthquakes ; death of al-Yâghisiyâni, governor of Emesa ; a jurist from Balkh visits Damascus ; his eminence ; lines on him by the historian. pp. 347-8.

Nur al-Dîn when about to attack the Franks falls ill ; his dispositions ; he is conveyed to Aleppo and despatches Shirkûh to Damascus ; the Franks attack Shaizar but are dislodged by the Bâtîni ; Amîr Amîrân (brother of Nûr al-Dîn) claims to rule in Aleppo and conciliates the Shi'a sect ; the governor, Ibn al-Dâya, asserts Nur al-Dîn's authority, it was said, needlessly ; Nûr al-Dîn recovers, and his brother retires to Harrân ('Adîm, « Blochet » 22-4) ; a drought there ceases ; Shirkûh leaves Damascus to confer with Nûr al-Dîn on attacking the Franks, and is well received ; lines thereon by the historian. pp. 348-50.

553. — The Franks attack Hârim and make raids over the country ; Nûr al-Dîn restored to health prepares to attack them ; successes in Egypt against the Franks both by land and sea : Shirkûh makes a raid on Sidon and defeats the Franks ; a copious rain ; an earthquake ; Nûr al-Dîn in an engagement with the Franks averts a reverse by standing firm with his escort. pp. 350-2.

Nûr al-Dîn illadvisedly reestablishes certain abrogated dues to be farmed out for a substantial sum, but the attempt to enforce them on owners of property evokes such complaints that the project is dropped ; other obnoxious imports are removed ; arrival from Egypt of an envoy from Ibn Ruzzîk, together with a bearer of treasure and gifts ; an attempt by the Franks to surprise them is repelled : deaths of two officials ; the Byzantine Emperor (Manuel) having seized territory from the Armenian Leo (1) and then threatened Antioch, Nûr al-Dîn enjoins on his lieutenants vigilance ; a plentiful rain. pp. 353-4.

554. — An earthquake ; renewed illness of Nûr al-Dîn ; his resolve to name Qutb al-Dîn of Mosul (2) his successor in preference to his other brother, Amîr Amîran ; intrigues in favour of the lat-

(1) Or rather his son Thoros II, fifth of the Ruben line of barons, who after sharing his father's captivity in Constantinople, had reasserted his right to Cilicia. See Chron. Matthew of Edessa, and continuation by Gregory the priest, (Ed. Dulaurier, Paris, 1858, pp. 353-5 and p. 476 n.).

(2) His life. Ibn Khall. II 169, Eng. III 458.

551. — Defeat of the Franks by the Aleppo troops ; deaths of a Shaikh, and of a Sharif at Aleppo, and lines on the latter.

pp. 333-4.

[Note on the Shaikh from Sibṭ J. (d) p. 139.].

Succession of earthquake shocks, and their effect on the cities of Syria ; a year's truce concluded with the Franks ; an official disgraced : dearth in Egypt ; the Sultan Sinjar escapes from captivity (A. 138) ; arrest of the Saljuq prince, Sulaimân Shâh, at Mosul, (A. 137) ; the Franks, in violation of the truce, seize cattle near Bâniâs.

pp. 334-7.

552. — Renewed earthquakes (A. 144, At. 196, 'Adîm « Blochet » 21) ; complimentary letter from Sinjar to Nûr al-Dîn ; he is urged on all sides to attack the Franks ; he occupies Ba'albek, and sends an envoy to Egypt ; defeat of the Franks by Nûr al-Dîn's brother, Amîr Amîrân ; rejoicing at Damascus ; Shirkûh also defeats them.

pp. 337-9.

Nûr al-Dîn prepares to attack Bâniâs ; reinforcements from Shirkûh crush the Franks, and Bâniâs is taken by assault ; a Frank force succeeds in relieving the citadel and its garrison under Humphrey (de Toron). The Franks surprised and defeated by Nûr al-Dîn between Bâniâs and Tiberias ('Adîm « Blochet » 23), when their king is missing ; loss of only two Moslem lives ; the captives and spoil arrive at Damascus ; lines on the victory.

pp. 339-42.

Renewed earthquake, and fresh damage to Syria ; Qilij Arslân of Rûm approaching Antioch, a truce is attempted between the Franks and Nûr al-Dîn, but fails : Muqtafi compels the Sultan Muhammad Shah (1) to raise the siege of Baghdad (A. 140, At. 202) ; Nûr al-Dîn's precautions against Qilij Arslân at Aleppo ; earthquake shocks at Damascus. Hamâh and Shaizar (2), which is ruined (A. 142, At. 196-200, 'Adîm « Blochet » 22), and other places ; poetry thereon ; panic at Damascus ; death of Sultan Sinjar (3) (A. 146), and of an Aleppo official intimate with the historian ; his elegy on him ; renewed earthquakes (A. 144).

pp. 343-6.

(1) Mentioned Ibn Khall. II 144, l. 4. a. f. Eng. III 338, and more fully, ib. II 328, l. 13, Eng. IV 118.

(2) Vie d'Ousama, 276-7.

(3) His life, Ibn Khall. I 272, Eng. I, 600.

vizier; 'Atâ governor of Baalbek disgraced and executed; new appointments to office. pp. 324-6.

[Note on the death of 'Atâ, from Sibṭ J. (d) 135., id. Atabeks 190-1.].

549. Shîrkûh (1) arrives as envoy from Nûr al-Dîn, who follows in person; his troops effect an entrance into Damascus; he follows, and is well received by the people; pillage checked: Mujîr al-Dîn evacuates the castle and surrenders on terms; he is granted Emesa, and retires there (A. 130-1; At. 188-192, 'Adîm « Blochet », 19-20.). Nûr al-Dîn's reforms at Damascus; return of Buzân. and of Ibn al-Sûfi who works mischief; his death which is welcomed by the people. pp. 326-9.

[Note on the subsequent career of Mujîr al-Dîn, and on the many remarkable events of this year, from Fariqi, fol. 180^v.].

Death of Timurtâsh, ruler of Maridîn (A. 115. sub. 547 A. H.); murder of the Fatimide Zâfir, his infant son Fâ'iz succeeds; at the news Ibn Ruzzîk advances, the vizier 'Abbâs flies and is surprised and routed by the Franks near Ascalon (2) (A. 126-8); return of Ibn al-Dâya from the Pilgrimage; illness at Damascus; raid on Tinnîs by the Franks from Sicily (A. 125, sub. 548 A. H.); death of a Qadi at Aleppo, and of a physician. pp. 329-31.

(Note on the murder of Zâfir, and on Ibn Ruzzîk becoming vizier, from Fâriqi, fol. 179^v.]

550. — A truce between the Franks and Nûr al-Dîn; he occupies Ba'albak (A. 150 and 'Adîm « Blochet », 22-3 sub. 552 A. H.); Ibn Ruzzîk's proposal to buy off the Franks is overruled, and a naval attack is made on Tyre; differences between the Saljuqs of Rûm reconciled by Nûr al-Dîn; the Caliph Muqtafi's successful rule (3); Nûr al-Dîn encroaches on the territory of the Saljuqs of Rûm during hostilities between them and the Dânishmand family. pp. 331-3.

(1) His life, Ibn Khall. I 284, Eng I 626.

(2) A full account of these occurrences is given by 'Usama b. Munkidh, who was an actor therein, in his autobiography. — See Vie d'Onsama, pp. 241-58, and Hist. Crois. Or. IV. 79-81; cf. Ibn Khall. life of Zâfir I 97, Eng. I 222; of Ibn Ruzzîk ib. I, 298, Eng. I 657; and of al-Fa'iz ib. II 499 Eng. II 425.

(3) Dhahabi, speaking of the Caliph Mutî' (B. M. Or. 48, 11'), says that from his date the Abbasid Caliphate became so impotent that the Fatimide dynasty, then happily ended, was of greater weight, but that Abbasid dignity was restored by Muqtafi.

Mujir al-Din visits Nur al-Din at Aleppo; a Turkoman raid on the Franks at Baniâs in violation of the truce, is disapproved of at Damascus; a Frank attack on al-Buqâ' foiled by snowstorms.

pp. 317-8.

[Note on a death, from Sibṭ J. (d) 128.].

547. — Antartûs taken by Nur al-Din; the Franks defeated near Ascalon; floods; Mujir al-Din and his vizier Ibn al-Sûfi, attack Busra and its ruler, on the ground of his disobedience and misrule, and he submits; Sarkhad ceded to Mujir al-Din by its governor (Bûzân). Death of Sultan Mas'ûd (1) (A. 105). Illness at Damascus; a death.

pp. 318-9.

548. — Murder of the Egyptian vizier, Ibn Sallâr (2) (A. 122); Nur al-Din procures the cooperation of Damascus troops with his; he takes Aflas, but fails at Baniâs; Egyptian success at Ascalon, and the besieged take courage.

pp. 319-21.

Dissention between Ibn al-Sûfi and his brothers, ending in his removal to Sarkhad; Bûzân's distrust of Mujir al-Din, and jealousy of 'Atâ; Ascalon taken by the Franks (A. 124). Death of the poets Ibn Munîr and Ibn al-Qaisarâni; their mutual hostility (3); death of a Baghdad Imâm; lines on him: cessation of a drought; death of the jurist al-Balkhi.

pp. 321-3.

[Notes on the fall of Ascalon, and the removal of Husain's head to Egypt, from Fariqi, f. 178^v, and Sibṭ J. (d) 131, as corrected by B. M. add. 9574. fol. 311^r; and on al-Balkhi and Nur al-Din, from Sibṭ J. (d) 134.].

Bûzân attempting to return to Sarkhad is overtaken and kept under arrest in Damascus; floods; the vizier, Haidara (brother of Ibn al-Sûfi) executed for his crimes, and replaced by al-Tamîmi; disorder and pillage; Sultan Sinjar defeated by the Ghuzz: their excesses (A. 116-121); scarcity at Damascus which Nur al-Din seeks to aggravate, and so capture the city; honours for the new-

(1) His life, Ibn Khall. II, 172, Eng. III, 355.

(2) His life, ib. I 467, Eng. II 350.

(3) For Ibn Munîr see Ibn Khall. I, 61, Sl. Eng. I. 138, and Brock, Gesch. Arab. Lit. I. 256. According to Abu-l-Mahâsin, B. M. add 23882, 131^r, it was the Hajib Yûsuf who interceded for him with Bûri. In 'Atabeka, p. 186 appear some lines by him. For Ibn al-Qaisarâni, see Ibn Khall. II, 21, Eng. III. 155.

the firmness of Ibn Hubaira (1) from the *Zubdat al-Tawârikh*, fol. 66^v.].

544. — Unur represses attacks by the Franks in their retreat from Damascus ; he sends troops to Nur al-Dîn who defeats the franks at Anab (north of Apamea), and their « Prince » (Raymond) is killed (2). Nur al-Dîn presses on Antioch, and takes Apamea (A. 95. At. 177, 180. 'Adim, « Blochet » 13-14) ; Unur dies of dysentery ; his fellow Amirs govern Damascus (A. 96) ; death of Saif al-Dîn at Mosul (A. 91, At. 165). pp. 304-6.

A tax remitted at Damascus ; disaffection of Ibn al-Sûfi and disorder ; Ibn al-Sûfi prevails ; death of Hâfiz (3) of Egypt ; Zâfir succeeds, with Ibn Masâl as vizier (A. 93) ; Nur al-Dîn approaches Damascus and urges joint action against the Franks ; he receives a defiant reply, and rain foils his attack. pp. 307-9.

545 — Damascus agrees to grant Nur al-Dîn the right of the Prayer and of the Coin, and its ruler visits him ; Jocelyn taken prisoner by troops from Aleppo (A. 101, Sub 346) and Tall Bâshir attacked by Mas'ûd (b. Qilij Arslân of Rûm) ; places taken by Nûr al-Dîn (A. 101, At. 182. 'Adim, « Blochet » 15-16) ; Arab attack on pilgrims (4) (A. 97). Dissention at Damascus, and in Egypt between Ibn Masâl and Ibn Sallâr (A. 93). Turkomans and Franks attack the Haurân ; deaths. pp. 310-12.

546. — Damascus hard pressed by Nûr al-Dîn ; his proposals are rejected ; he approaches the town ; skirmishes and pillage ; the Franks approach also and join the Damascus troops ; Nûr al-Dîn retires. pp. 312-14.

An Egyptian fleet arrives off Jaffa and inflicts damage on the Franks ; Nûr al-Dîn again approaches ; Tall Bâshir surrenders to him ; his efforts to keep the Moslem peace ; the Oqailid ruler of Qal-'at Ja'bar killed ; mortality in Egypt ; a death and earthquake. pp. 315-7.

[Note on the origin of Saladin's family from Fâriqi, f. 181 (5).].

(1) His life, Ibn Khall. II 326, Sl. Eng. IV. 114.

(2) This does not accord with western historians.— Crois, or. IV 62-n.

(3) His life, Ibn Khall. I 389, Eng. II 179.

(4) On this attack cf. Ibn Khall, in the life of Ibn Darra, II 544, Eng. IV, 573.

(5) See also life of Najm al-Dîn Ayyûb, Ibn Khall. I, 105, Eng. I. 243.

are taken ; the fate of Altûntâsh; 'Abbâs, governor of Rayy, killed by Sultan Mas'ûd (A. 76). pp. 287-91.

Career of Ibn Tûmart and the rise of Abd al-Mû'min in North Africa ; his progress there (1) (A. X. 400-413). pp. 291-3.

[Note the story of his rise, from Fariqi, fol. 168.].

542. — Warfare between Sultan Mas'ûd and his Amirs (A. 78). Honours for Unur from Egypt ; Buzân governor of Sarkhad ; murder of the Egyptian vizier, Ibn al-Walakhshi (A. 32). Weather portents : invasion of Syria by the ruler of Germany (Conrad IV) with Alfonso (2). pp. 294-7

[Notes, pp. 295-6, on the Amir Bûzâba, from Zubdat al-Tawârikh, 65^v, and on his vizier, al-Khujandi, from B. M. or 3006, 290^r; and on al-Masîsi from B. M. or 6428. 108^v.].

543. — They besiege Damascus, which is strongly defended and assisted from without, and they retire (A. 85-6, At. 159-61, 'Adim, 'Blochet', 8) ; the allied Moslems capture al-'Uraïma and its ruler, the son of Alfonso (Bertram) (A. 87. At. 162).

pp. 297-300.

[Note (p. 298) on al-Findalâwi; from B. M. or 642, 109^v, and (p. 300) on the siege of Damascus from Sibṭ J. (d) p. 120 ; cf. Yâqût Mu'jam al-Buldân III 919.].

Embassy from Baghdad ; religious changes at Aleppo and Damascus ; disorder at Baghdad ; a revolt in Egypt, headed by a descendant of Nizâr (3) fails ; Nûr al-Dîn surprised and repulsed by Raymond of Antioch ; a drought (A. 90) : Isma'ili outrages ; attacks on them and reprisals ; death of the Qâdi al-Zainabi (A. 96, sub. 544).

pp. 301-3.

[Note, that demands on the Caliph Muqtafi were averted by

(1) Their lives are given by Ibn Khall. II 47, Eng. III 205, and I. 390, Eng. II 182. The Ibn Hamdun mentioned p. 292, l. 3, as aiding 'Abd al-Mûmin, was named Maimûn, and was vizier to the son and successor of Yahya, descendant of al-Nâsir b. Ghulnâs b. Hammâd, (Lane Poole's Mohammedan Dynasties, p. 40). Distrusting his master he supported 'Abd al-Mûmin — see Ibn Adhâri « Bayân al-Moghrib, Ed. Dozy I, 319, and A. XI. 103-4. sub. 547 A. H. For the victory of 'Abd al-Mûmin over Ibn Tashifin see Ibn Khall II 489. l. 4, Eng. IV 464-5.

(2) I. e. Bertram, son of Alfonso Jourdain, and grandson of Raymond of Toulouse ; see At. 162. n. 1 and 'Adim « Blochet » 9. n. 1.

(3) Ibn Zâfir, op. cit. fol 82^v, called him al-Hasan.

lem, and succession of his widow and infant son, Melisend and Baldwin (1). Ibn Sadaqa dismissed ('Adim. 685). p.277.

[Notes from Fariqi, fol 170].

539. — Ibn al-Sûfi quits Damascus for Sarkhad at jealousy of Usâma b. Munqidh. but returns on the latter being expelled (2); the Franks repulsed, and large captures made by the Aleppo troops ('Adim, 685). p. 278.

Capture of Edessa and other places by Zangi, Frank succour being averted (A. 64-6, At. 118-125, 'Adim 685-7); Jaqar, governor of Mosul, murdered (3) (A. 66-7. At. 126-8); completion of a Mosque at Damascus. pp. 279-82.

[Notes on Edessa and on Jaqar, from Fariqi, fol 170^v.].

540. — Zangi threatens Damascus, but desists on news of a sedition at Edessa, which he represses ('Adim 687); Saljuq discord; death of Khumârtâsh in Egypt; statement by the author as to the composition of his history and its completion, with a consideration of the origin of laqabs, and of the recent practice of multiplying them on individual rulers, with special reference to the Sultans Sanjar and Mas'ûd, to Zangi, and to the ruler of Damascus (Abaq). pp; 282-4.

541. — Zangi murdered at the siege of Ja'bar (A. 71-3, At. 130-1, Adim 688); his son's movements (A. 74, At. 153, 'Adim « Blochet » 4-5. n¹). Poetry on Zangi. pp. 284-7.

[Note; account of these events by Fariqi. fol. 172].

Unur (of Damascus) surprises Baalbak, forcing its surrender (by its Governor Najm al-Din Ayyûb b. Shâdhi), and makes terms with other cities: a rising in Edessa caused by the Franks is repressed by Sawwâr (A. 75. 'Adim « Blochet » 5-8); Nûr-al-Dîn (Zangi's son, and ruler of Aleppo) (4), makes an alliance with Unur who was threatening Sarkhad, where the Governor, Altûntâsh (5) hoped to hold the place, against Damascus, with the Franks' support: the forces unite and repel the Franks, and Sarkhad and Busra

(1) Vie d'Ousama, 204. n. 2.

(2) Ib. 196-7.

(3) His life, Ibn Khall. I 142, Eng. I.329.

(4) His life, Ibn Khall. II 115, Eng. III.338.

(5) In the text 'al-Yûniâs', but « Altûntâsh » in the Kitab al-Raudatain. Ed Cairo I 50, and Hist. Or. Crois. IV 52.

terms of its surrender (A. 45-6, At. 103-5 'Adim 681). Flight of the Egyptian vizier, Ibn al-Walakhshi (1) to Syria (A. 31).

pp. 267-70.

534. — Zangi proposes the cession to him of Damascus on terms ; death of its ruler, Muhammad ; his son, Abaq (2) appointed successor : Frankish aid is procured by the cession of Baniâs, and Zangi is forced to retire (A. 48-9, Adim 682) ; fate of the Egyptian vizier Ibn al-Walakhshi (A. 32) ; Zangi repulsed from Damascus (A. 49). The vizier al-Zainabi replaced by Nizâm-l-Din Ibn Jahir (A. 50. and 52).

pp. 270-3.

535. — The Franks repulsed at Ascalon ; Masyâth (3) surprised by the Qarmathians (A. 52) ; death of an Imâm and his successor.

pp. 273-4.

[Note on the Imâm, from Sibte J. (d) p. 107; and on an attempt by Zangi in this year to dispossess Timurtâsh of Mayyâfâriqîn, from Fâriqi, 170^r.];

536. — A raid on the Franks by the Turk Laja, (from Aleppo : 'Adim. 683-4) ; warfare between the Sultan Sinjar and the Khafâja tribe (A. 59-60) ; Sinjar's defeat by the Ghuzz (A. 53-7) ; death of Zangi's vizier, al-Kafratûthi (A. 60, 'Adim. 984) ; of the ruler of Amid (Aikaldi (4) ; and of the son of Dânishmand (Muhammad, A. 61).

pp. 274-5.

[Note, (p. 174), on the vizier at Amid, Ibn Nisân and his sons, from Fâriqi, ff. 169^v and 174a, and on his death, ib. 181^r(5)].

537. — Plague in Egypt (A. 61) ; Sawwâr checks the Franks of Antioch ; a Byzantine attack ; Zangi appoints Ibn Sadaqa vizier ('Adim 984).

pp. 276-7.

538. — Death of the ruler of the Ghuzz ; Zangi's successes in Diyârbakr (A. 62) ; murder of the Saljuq Dâ'ud ; Akiz, an Amir at Damascus, killed ; death of the Count of Anjou, (Fulk), of Jerusa-

(1) « Ibn al-Rihîni » in Ibn al-Athir, who says he was the first Egyptian vizier to bear the title of « Malik ».

(2) The name is so written in the autograph Ms. of Ibn Khall. B.M. add. 25735, f. 64^v.

(3) Yaqut IV. 556 « Masyâb » or « Masyâf ».

(4) On the name, see p. 26, n. 3.

(5) Recorded Ibn al-Athir XI 143, where مزيد should be مزيد, as also ib. Index, XIV575. ult.

Ibn al-Sûfi by permission quits Sarkhad and resumes his position at Damascus ; rejoicings at his return (A. 35) ; a revolt of an Armenian vizier (Abu-l-Muzaffar Bahrâm (1), against Hâfiz of Egypt fails (A. 31) : the Franks defeated at Tripoli by Bazwâj of Damascus (A. 32, « Nazâwish ») ; capture of the fortress of al-Hattâkh from Ibn Marwân (A. 43). pp. 261-3.

[Note on its possessor, from Fâriqi, 168^r].

532. — Captures by Zangi ('Adîm 674) ; earthquake (A. 43. Adîm 679). dissention between Raymond, and the representative of John Comnenos at Antioch ; arrest of Moslem traders there ('Adîm 675) ; Bazwâj treacherously killed by Mahmûd who entrusts power to Unur and to Akiz ; a Byzantine attack from Antioch on Shaizar fails, but Bizâ' is taken ; Zangi's movements (A. 37-39, At. 99, 'Adîm 675). pp. 263-6.

Death of the Qadi Bahâ al-Din al-Shahrazûri (2) (At., 102) ; Emesa ceded by Mahmûd to Zangi, who marries Mahmûd's mother (A. 36, 'Adîm 679) ; death of the Caliph Râshid (A. 40), and of the ruler of Badlis and Arzan (A. 43). pp. 266-7.

[Note on the succession of these rulers, from Fâriqi, ff. 169-174].

533. — Zangi meets his bride ('Adîm 679) ; Frankish raids, and earthquakes (A. 47, 'Adîm. 679-80) ; Mahmûd murdered, succeeded by his brother Muhammad from Baalbak ; his mother incites Zangi to avenge him ; he takes Baalbak and violates the

فجاءوا به مكتوفاً بين اربعة من الامراء ومع احدهم سيف مجذوب وبيد الآخر شقة بيضاء فرموا به بين يدي السرير وألقي السيف والثقة عليه فقال مسعود : يا امير المؤمنين هذا هو السبب الموجب لما جرى بيننا فاذا زال السبب زال الخلاف وهو الآن بين يديك فمهما تأمر تفعل به . وهو يبكى ويتضرع ويقول : العفو عند القدرة . فعفا عنه وقال : لا ترب عليكم اليوم بغفر الله لكم . وتقدم بحل يديه فلما اهل هلال ذي القعدة وصل رسول من سنجر يستحث مسعود على اعادة الخليفة الى بغداد ووصل معه عسكر فيو سبعة عشر باطناً فخرجه السلطان ومن معه لتلقيه فهدمت الباطنية على الخليفة فقتلوه ودفن بمراغة ووصل الخبر الى بغداد فخرجت النساء مفتحات الشهور ياطعن وبويع للراشد وفي سنة ٥٢٠ وصل الخبر بقتل دبليس وذلك انه عزم على الهرب ووحد له مائة قد كتبها الى زكي يقول له : لا تحي وأحفظ نفسك . فبعت اليه السلطان غلاماً وهو في خبسته صرره عن غمسه وهو بئسكت الارض فان راسه وكان بين قتل المسترشد وتاي تماينة وعشرون يوماً . وجاء مسعود الى بغداد فخرجه الراشد من بغداد ثم خلع وولي المتتفي

(1) Ibn al-Athîr says that he was pardoned on adopting an ascetic life : Ibn Zâfir. op. cit. 83^v, that he was poisoned.

(2) Id. Ibn Khall. l. 242. l. 2. Eng. I 541.

tiach (1) with succour, grants terms of surrender (A. 33. At. 105-109, sub. 534. 'Adim 672-3). pp. 258-9.

Movements of Râshid; embassy to Zangi from the Greeks ('Adim 692). Mas'ûd defeats his nephew Dâ'ud (A. 39). pp. 259-61.

[Note on the deposition and death of Râshid, from Fariqi, ff. 166-7. (2).

(1) Bohemond II of Antioch had died in 1130 A. D., and two years later the principality was granted to Raymond of Poitou who had lately arrived in Syria and had married Bohemond's infant daughter. Constance.

(3) The account of the differences between the Caliphs and Sultan contained in this and in the preceding note, and given to Ibn al-Azraq al-Fariqi by an actor in the events within a few years of their occurrence, is consistent both with other histories and with probability. The Sultan wanted a right of veto on the choice of Caliph, but procured instead personal sureties of high standing for his good conduct — security which, in the result, proved but a slender protection. It is interesting to contrast with the foregoing account that given by Ibn al-Jauzi — born, as was Ibn al-Azraq, in 510 A. H. — in the *Shuhûr al-Uqûd* (Amsterdam Willm. 174. Cat. de Jong. N° 122), which is described in its preface an abridgment of his larger history, the « *Muntazam* ». The historian's habitual inaccuracy, vouched for by Ibn al-Athîr (X. 451) and reinforced in this instance by his love of the marvellous; has resulted in the following fantastic narrative :

خرج المسترشد في سبعة آلاف لقتال مسعود وكان في ألف وخمسمائة وكان اصحاب الاطراف يكتبون المسترشد ويبذلون له الطاعة فتوكل في طريقه فاستسلم مسعود اخذهم وصار في نحو خمسة عشر ألف فلما وقم المضاف حرب عسكر المسترشد وأمر وأخذت صناديق الاموال وكانت اربعة آلاف الف دينار وكان الرجل على خمسة آلاف جمال واربعمائة نمل وكان معه عشرة الاف عمالة وبركان عشرة الاف قباء وجبة ودراعة وعشرة الاف قلنسوة مذهبة وثلاثة الاف ثوب رومي وممّزّو وتغصير ودبيتي . ونودي : من اقام بعد الوقعة من اصحاب الحليفة قتل . فهرب الناس فاخذتهم التركمان والاكراد من الجبال وزلزلت الارض مراراً كثيرة

وجاء كتاب سنجر الى مسعود يقول : ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب يدخل على امير المؤمنين ويقتل الارض بين يديه ويسأله العفر عن حربه فانه قد ظهرت عندنا من الآيات السموية والارضية ما لا طاقة لنا بها من الزلزلة والرياح العواصف قاله الله رسماً اليه ديباً فانه هو الذي احبب الى هذا واحمل الغاشية بين يديه انت وجميع الامراء كما جرت عادة ابائنا في خدمة هذا البيت . فلما وقف على المكتوب بعث النورثران ونظروا الخادم يستأذنان له فاذا قد دخل فقتل الارض ووقف معذراً يسأل العفر راميير المؤمنين مطرق ساعة ثم رفع راسه فقال : قد عني عن دلبك فاشكر الى ذلك وطب نفساً . وركب الخليفة الى سرادق ضرب له ومسعود بين يديه وعلى كتفه الناشية ريده في برحات اللجام (1) الى ان دخل فجلس على تحت ضرب له والسلطان قائم . ثم سأله ان يتنعم في ديبس فاجابه

(1) The text has بازكه , but see 'Tabari', Gloss. برك and Professor de Goeje instances also a passage in the 'Naqâ'id', Ed. Bevan. p. ٢٦١. 8.

أخاير في برذون ودم قتيبة في برحات قباي

« I am being taken to task for the theft of a mere hack, whilst the blood of Qutaiba is in the folds of my garment » i. e. on my head.

Zangi advances on Damascus, which resists stoutly ; concession of the right to the 'Prayer' there in the name of Alp Arslân, the Saljuq prince residing at Zangi's court ; Zangi recovers Hamâh (A. 12, 'Adîm 669-70). pp. 247-8.

Account of Mustarshid's campaign against Mas'ûd ; his defeat and murder by fanatics ; accession of Râshid (A. 14-17. At. 89-90). pp. 248-50.

[Note from Fâriqi, ff. 164^v-166^r narrating these events on the authority of an actor therein. Cf. At., 89-91].

530. — Dubais b. Sadaqa (1) put to death by Mas'ûd (A. 18) ; Emesa surrendered to Mahmûd in person, its governor receiving Tadmor in compensation ; Sawwâr's raids stopped by treaty ; honours to Gumushtikin ; the chamberlain Yûsuf b. Fîrâz murdered at Damascus by rivals, to whom Mahmûd submits (A. 24-5).

pp. 251-4.

Flight of Gumushtikin from Damascus to Sarkhad ; Sawwâr's successful raid on Laodicea (A. 25, 'Adîm 672) ; darkness at Damascus followed by rains (A. 35) ; Mas'ûd compels his nephew Da'ud and Zangi, who were supporting Râshid against him, to withdraw from Baghdad, whereupon Râshid follows to Mosul (A. 26, At. 92-5, 'Adîm 671-2) ; the Byzantine (John Comnenos) attacks the Franks at Antioch ; murder of Ibn al-Sûfî, a leading man at Damascus ; debased coinage issued there. pp. 255-8.

531. — Campaign of John Comnenos in Asia Minor (2), and his conquests, including 'Ain Zarba, which had been founded by Ma'mûn (A. 34, 'Adîm 673) ; an attack from Damascus on Tripoli ; Zangi attacks Emesa, whose governor, Unur (3), refuses to surrender ; Zangi defeats the Franks and drives the Count of Anjou (Fulk of Jerusalem) into Ba'rîn, but on the approach of Raymond of An-

(1) His life, Ibn Khall. I 222, Eng. I 505.

(2) Where he carried away prisoner Leo, son of Constantine of the Ruben line of barons in Cilicia. His son Thoros is mentioned on p. 354 *infra*.

(3) The name is thus vocalised in the 'Mushtabih' of Dhahabi, Berlin Ms. where 'Lions' is added in the Margin, — see Ed. de Jong 497, n. 3, sub « Mu'in », and see also 'Adîm, « Blochet » 8, n. 4. The name occurs in Ibn Khallikan's life of Tutush, but on the margin of the autograph Ms. B. M. add. 25735, fol. 64^v, where it has unfortunately been cut off in the binding.

[Note, another version of the capture of Dubais, from Sibṭ J. (d) p. 83].

526. — Death of Baldwin du Bourg (King of Jerusalem) at Acre ; Fulk, count of Anjou succeeds (1) ; Bûri dies, of his wound, elegies on him ; rule of Shams al-Mulûk Ismâ'il ; its promise ; he enforces the submission of his brother Muhammad at Baalbek, and takes various fortresses (A. 478-9). pp. 233-6.

527. — Dissentions among the Franks ; their reverses at the hands of Sawwâr, governor of Aleppo (2) and others (A. XI. 4, 'Adim 664-5) ; Arab chiefs repressed by Ismâ'il ; he takes Baniâs from the Franks (A. X. 481) ; investiture of the Sultan Mas'ûd by the hands of Mustârshid ; he defeats Tughril near Hamadhân (A. X. 282-3). pp. 236-8.

Ismâ'il surprised Zangi's garrison, and recovers Hâmâh (A. XI. 3, 'Adim 666) ; embassy to Damascus from Egypt ; Turkoman attack on Tripoli, and defeat of its ruler (Pons), who retreats to Fort Ba'rin, Mons Ferrandus (A. XI 3-4) ; death of a vizier at Damascus ; warfare between the Franks under Fulk of Jerusalem, and Sawwâr. pp. 239-41.

528. — Ismâ'il seizes a fortress between Beyrout and Sidon (A. 5) ; an attempt on his life is cruelly visited on innocent persons (A. 4) ; embassy to Damascus from Baglîdad where the vizier Anûshirwân is replaced by al-Zainabi (3) disturbances in Egypt (cf. A. 13). Ismâ'il makes raids on the Franks : Zangi defeats Dâ'ud b. Ortoq at Amid ; he appoints al-Kafratûthi vizier (A. 6-7, 'Adim 666-7) ; death of the Saljuq Tughril (A. 10). pp. 241-3.

[Note on the cession of Sûr to Timurtâsh. from Fâriqi, 167^v].

529. — Yusuf b. Firûz, a Damascus official, escapes to Tadmor in fear of Ismâ'il, whose rule becomes intolerable : Zangi's designs on Damascus thereby furthered ; Ismâ'il's mother is appealed to ; his death is decided on. and is brought about by her : his brother, Shihâb al-Dîn Mahmûd succeeds (A. 11-12, 'Adim 665-7). pp. 244-7.

(1) Vie d'Ousama 154. Baldwin's death is sometimes dated in 525), viz. 1130 A. D. Jocelyn died soon after him.

(2) Sawwâr had left the service of Tâj al-Mulûk Bûri for that of Zangi in 524 A. H. — 'Adim 659.

(3) Anushirwân had been appointed on place of al-Zainabi in 526 A. H. (A. X 480).

524. — Bûri appoints al-Mufarraġ b. al-Sûfi, vizier ; Zangi proposing common action against the Franks, Bûri sends his son Sawinj (1) with a force from Hamâh ; Zangi treacherously arrests him, and seizes Hamâh ; he then attacks Emesa, (arresting its governor, Khair Khân, who was party to his plans) but fails and retires with his prisoners (A. 463-4 (2) 'Adim 660-1) ; the Fatimide Amir murdered by fanatics (3) ; succeeded by Hâfiz, with al-Afdal's son, Ahmad al-Akmal, as vizier, who later is murdered (4) [A. 467-8 and 472]. pp. 227-9.

525. — Bûri's vizier proving incompetent, he substitutes a nephew of al-Mazdaqâni ; two Bâtini emissaries attack and wound Bûri ; death of Sultan Mahmûd (5) ; Mas'ûd succeeds (A. 671). pp. 229-30.

Dubais b. Sadaqa escaping from Mustarshid is captured by Bûri ; the Caliph demands his surrender, but Zangi secures him in exchange for his prisoners and for the ransom fixed for Sawinj ; the exchange effected at Dârâ ; the caliph's envoy, Ibn al-Anbârî, surprised on his return journey by Zangi. and his camp pillaged (A. 470-1. At., 83-4, and 'Adim 661-4). Bûri in anticipation of death, settles the succession on his son Ismâ'il. pp. 230-3.

(1) The word, of Persian origin, signifies « joy ». Vie d'Ousama 192. n. 4.

(2) Ibn al-Athîr, 'Atabeks', pp. 70 and 131, records merely the taking of Hamah, omitting the details which he may have judged inconsistent with his estimate of Zangi.

(3) His life, Ibn Khall. II. 168, Eng. III 455. A circumstantial account of his murder is given by Ibn Adhârî 'Bayân al-Mughrib', Ed. Dozy. I. 320, on the authority of the « Muqbisâ » of al-Warrâq — to the effect that certain persons having made a vow to kill him for his misdeeds, ten of them went to Egypt for the purpose. They ascertained that on his passage the shops and houses were closed to people and that the escort marched half in front of him and half in the rear, with horsemen equidistant between them and the caliph, on whom four slaves were in close attendance. Entering a bakehouse they pretended to be strangers and to require flour to be baked promptly. On the escort appearing the baker urged them to go, but they gagged him, and one of them approaching the Caliph as a suppliant, managed to stab his horse, which fell, whereupon the rest emerged and killed him. They were all killed themselves, but, says the historian, the world was thus rid of the Fatimide miscreant.

(4) In 526 A. H., Ibn Khall. I 389, Eng. II 180.

(5) His life, ib II 114, Eng, III. 337.

521 — Mu'in al-Mulk, vizier to the Sultan Sinjar murdered by fanatics (A, 456); Mas'ûd of Mosul on his way to attack Tughtakîn, dies suddenly outside Rahba, and his troops disperse, Sultan Mahmûd is reconciled to the Caliph and leaves Irâq for Hamadhân (1); he dismisses a vizier (Shams al-Mulk 'Uthmân b. Nizâm al-Mulk, A. 433 sub. 517 A. H.): raids by Baldwin; Khutlugh Aba expelled from Aleppo by Zangi and killed (A. 45-7).

pp. 216-8.

[Note, p. 217, on the appointment of Zangi (2) to succeed Mas'ûd at Mosul from Fariqi, 163^r. For what followed thereon see A. 453-6, and « Atabecs », Recueil. Hist. Crois. Or. II. p^t 2, pp. 63-5, where the « Baghdâd » of the text should be retained—see Abul-Fida, ed. Stambûl II. 250].

522. — Illness of Tughtakîn; he settles the succession and dies; regret for him; Bûri, his eldest son, succeeds (A. 459); unoccupied and desert sites near Damascus sold, with the Caliph's assent, to provide funds against the infidels: Bûri rules well, retaining the vizier and other officials.

pp. 218-20.

His resolve to suppress the Bâtini sect; they increase in number and are favoured by the vizier, al-Mazdaqâni: their chief, Bahrân, brings about the murder of a leading inhabitant, whose relations seek revenge; the Bâtini are surprised and Bahrân is killed; Isma'il succeeds him; popular clamour leads Bûri to have the vizier murdered, in 523 A. H., the sect is suppressed, and its leader executed; Isma'il surrenders their fortress of Banias to the Franks, and his party go over to them (A. 461-2). Death of Ibn Sadaqa the vizier at Baghdad, greatly regretted; he is succeeded by Ali b. Tirâd al-Zainabi (A. 459-60). Death, of Bûri's mother.

pp. 220-4.

[Note on the founding of Mazdaqâni's Mosque, from Sibî J. (d) p. 81].

523. — The Franks advance against Damascus; Bûri prepares to repel them; he defeats a detachment under Galeran at Burâq, the rest retreat, and their camp is pillaged; rejoicing at Damascus (A. 463).

pp. 224-7.

(1) This incident is told in similar language in the Saljuq history « Zubdat al-Tawârikh » B. M. Stowe. Or. 7. fol. 55^a.

(2) His life Ibn Khall. I 341, Eng. I 529.

ches Tyre and seizes the governor appointed by Tughtakîn (A. 437); Jocelyn and his nephew Galeran captured by Balak b. Ortoq (A. 418-9 sub 515, 'Adim, 633-4); death of Il Ghâzi, and succession of his two sons (A. 426, 'Adim. 634). pp. 206-8.

[Note, pp. 206-7, on the vizier al-Sumairami, and his victim al-Tughrâ'i. from the 'Dhail, of al-Sam'âni; on the vizier's death from a Saljuq history, quoted Sibṭ J. (c) fol. 299, and ib. (d) pp. 56 and 67; and p. 208, from Fariqi, 162^r on Il-Ghâzi and his sons].

517. — Warfare between Mustarshid and Dubais (A. 428); Badr al-Daula (Sulaimân) of Aleppo makes terms with the Franks (A. 430, 'Adim 631); Baldwin du Bourg captured by Balak (A. 433, 'Adim. 635); Tughtakin surprises Emesa (A. 435-6); Aleppo surrendered to Balak (A. 431, 'Adim. 636); an attack by the Lawâta tribe on Egypt from the west repulsed (A. 434-5); naval battle between the Egyptians and Venetians (A. 436); Al-Bâra taken, and al-Athârib recovered by Balak. pp. 208-9.

Jocelyn, with others, escapes from prison (A. 433, 'Adim 637); Mahmûd of Hamâh killed at Apamea (1) (A. 436); Saljuq strife; Moslem defeat at 'Azâz by the Franks. pp. 209-10.

518. — A Qadi murdered at Hamadhân by fanatics (A. 444, sub. 519); Tyre capitulates to the Franks on terms (2) (A. 437); they attack Aleppo, but retreat before al-Bursaqi of Mosul, who occupies the place (A. 439-40, 'Adim 649, and 719-22); drought in Syria (A. 440). pp. 210-12.

519. — Fall of the Egyptian vizier, al-Bata'ihi (A. 443); indecisive warfare between Tughtakîn and the Franks (A. 450-1, sub. 520). pp. 212-4.

520. — Aq Sunqur al-Bursuqi murdered at Mosul by fanatics (3); his son Mas'ûd succeeds (A. 446-7); Fadmor submits to Tughtakin; his failing health; the Bâtini sect gain head in Syria, and are favoured by the vizier al-Mazdaqâni (A. 445-6, in error « Marghiani »). Dissention between Mustarshid and the Sultan Mahmûd allayed by the Caliph's vizier, Ibn Sadaqa (458-50); the Franks take Rafaniyya (A. 451 'Adim 652). 214-6.

(1) Vie d'Ousama, 128-31.

(2) Ibn Zâfir says, op. cit, 77^v; — والوالي بها القاضي الامر ابن اللبان من قبل ظهير الدين اتاك بك طنتكين.

(3) His life, Ibn Khall. I. 98, Eng. I 227, and Ibn al-'Adim, Hist. Crois. Or. III, 716.

Mas'ûd at Hamadhân (A. 396); a truce between Il-Ghâzi and the Franks; Dubais forced to fly to Qal'at Ja'bar (A. 398, 'Adim. 626); a hurricane; Jocelyn makes a raid on the Turcomans at Siffin, and takes Buzâ'a (A. 414). pp. 202-3.

515. — Al-Afdal, the Egyptian vizier, murdered by order of Amîr (1); the planning of the deed; al-Batâ'îhi succeeds him (A. 416-7). pp. 203-4.

[Note on the rise of al-Batâ'îhi from B. M. Or. 3006-262^v].

The Georgians (under David the Restorer) defeat the combined Moslem forces under Il-Ghâzi and take Tiflis ('Adim. 628); a hurricane in Egypt (A. 421). pp. 205-6.

[Note from Fâriqi ff. 161-2 on this campaign, and how the historian visited the battle field in 548 A. H., together with his description of the handsome treatment accorded to Moslems by the Georgian sovereigns (2)].

516. — Dubais threatens Baghdad, but is attacked and defeated by Mustarshid (A. 428-30); the Sultan Mahmûd puts to death his vizier (al-Sumairami), (A. 424); death of the vizier Ibn al-Mausûl at Aleppo ('Adim. 631); floods at Qal'at Ja'bar (A. 427); Il-Ghâzi makes raids on the Franks; an Egyptian fleet re-

sought against Balak by Mankûjak, ruler of Arzanjân and Kamâkh, towns on the left bank of the upper Euphrates, — Yâqût IV. 304. Their defeat is mentioned in the chronicle of Michael of Antioch—see extract in *Recueil Hist. Crois. Doc. Armeniens* I. 333. In this text, as also in Ibn al-Athîr X, 414, اندكان should be read ارزنجان, as pointed out by Houtsma in « *La Dynastie des Beuu Mengüdek* » — *Rev. Orient. pour les Études ouralo-altaïques*, Budapest 1904, Vol. V. 277, — where he refers to the history of Munajjim Bâchi, Stambûl 1285, II 578. Of this work the Arabic original exists there in Ms., كتيخانہ عمومی Cod. N° 120/5018, and I have been furnished by M. Max Van Berchem with the following extract on this dynasty :

دار ملکہ ارزنجان وابتداء طور دہر ۶۶۷ ھ تقریباً والقراضہ فی سنۃ ۶۲۵ ھ ارلہر الامیر منکوجک الغازی وکان قد ملکہ السلطان اب ارسلان فی سنۃ ۶۶۷ ھ ارزنجان وکماخ وکوغونہ وغیرہا من بلاد ارمینیہ وکان شجاعاً شہماً عاتلاً حازماً ذا رأی معسب فی الحرب وکان یغزو کفار الکفر والابغاز والروم تارة مجتہماً الدانشمندیہ وتارة منفرداً مع عسکرہ الی ان مات فتولی بعده اولادہ واحد بعد واحد.

(1) Life of al-Afdal, Ibn Khall. I 277, Eng. I 612.

(2) This account is given by Brosset, (*Hist. Géorgie* I. add. 240) from the history of al-'Aini (Broekelm II. 52), who quotes it from Sibî ibn al-Jauzi, who, again, derived it from the history of Ibn al-Azraq al-Fâriqi.

liance with Aq Sunqur (al-Bursuqi of Mosul) ; rejoicings at Damascus ; Ahmadil of Marâgha murdered at Baghdâd by a fanatic (A. 361). Lu'lu' of Aleppo murdered ('Adim. 619). pp. 197-8.

511. — Death of the Shihna of Damascus ; and of the Saljuq Muhaminad (1) ; Mahmûd succeeds (A. 367) ; surrender to the Franks of the fort of al-Qubba at Aleppo ; attacks on the place by Aq-Sunqur and by Il-Ghâzi fail (A. 372, and 'Adim, 612-3) ; a Frankish raid on Hamâh ; deaths of the 'Dûqas' of Antioch (? Roger) ; of the Greek Emperor Alexius, who is succeeded by his son John Comnenos (A. 373) , and of Baldwin of Jerusalem (2) who is succeeded by the Count (of Edessa, his nephew Baldwin du Bourg) (A. 381). pp. 198-9.

512. — Tughtakin combines with Il-Ghâzi to repel the Franks' attacks (A. 382) ; death of the Caliph Mustazhir and succession of Mustarshid (A. 374). pp. 199-200.

513. — Il-Ghâzi surprises and crushes the Franks at Dâ-nith (3) near Aleppo, Roger of Antioch being killed (A. 389-90) ; Il-Ghâzi neglects to seize Antioch ('Adim 617-9) ; death of Tughtakin's wife, the mother of Duqâq, her character and ability ; meeting of the Sultans Mahmûd and Sinjar (A. 389) ; opening of the tombs of the Patriarchs Abraham, Isaac and Jacob (A. 394) (4). pp. 200-2.

514. — Il-Ghâzi remits taxes at Aleppo and at Mâridîn ; he destroys Zardanâ ('Adim. 625) ; Balak b. Ortoq defeats, at Sarmân (5), the Byzantine 'Afrâs (6) (A. 414) ; victory of Mahmûd over

(1) His life, Ibn Khall. II. 61. Eng. III. 232.

(2) The story of Baldwin's raid into Egypt and his death on the return is told by Ibn Khall. II. 168. l. 3. a. f., Eng. III. 456, and in similar terms by Ibn Zâfir, op cit. 79', who adds that his death took place at Hawar' before reaching al-'Arish, and that at Farâma he had slaughtered an impotent man with his daughter in his arms. In his text for حوته (Ibn Khall.) he substitutes مصارينه

(3) Rather at al-Balât. north of al-Athârib ; Dâ-nith was the scene of the indecisive action two months later : see Vie d'Ousama, p. 112 n. 2.

(4) In this one instance Ibn al-Athîr quotes the author by name as his authority ; Abû'l-Mahâsin and Sibî ibn al-Janî do likewise— Hist. Or. Crois. III. 499 and 562. On the visit to these tombs by 'Ali of Herat in 567 A. H. see G. le Strange « Palestine under the Moslems », pp. 316-18, and Yâqût, Mu'jam al-Buldân, II. 468.

(5) Cf. Crois. Or. I. 341. n. 2.

(6) Viz' Theodore Gavras, duke of Trebizond. His assistance had been

ned by Maudûd and together they defeat Baldwin near Lake Tiberias early in 507 A. H.; the Franks retire to the shelter of the hills; tardy succour comes from Aleppo (A. 346-7. 'Adim. 602); the Moslem forces disperse; Maudûd visits Damascus and inspects 'Uthmâns Qurân in the Mosque. pp. 184-7.

[Note on the transfer of this Qurân from Tiberias in 492 A. H., from Dhahabi (c)].

507. — Maudûd of Mosul murdered at the Mosque of Damascus by a Bâtini fanatic (A. 347-8): grief of Tughtakîn; character of Maudûd's rule. pp. 187-8.

Al-Afdal's courteous reply to Tughtakîn concerning Tyre, to which he sends supplies; its governor Mas'ûd makes a favourable truce with Baldwin. pp. 188-9.

Death of Ridwân of Aleppo: his son Alp Arslân succeeds with the slave Lu'lu' as his adviser: their cruelty: repression of the Bâtini sect (A. 349, 'Adim. 602-4); Alp Arslân seeks guidance from Tughtakîn, and they exchange visits: Tughtakîn, disgusted at his rule, leaves accompanied by Ridwân's mother ('Adim. 604-5); peace made with Baldwin; a Bâtini attempt on Shaizar foiled (1). pp. 189-90.

508. — Alp Arslân of Aleppo murdered by Lu'lu' (A. 356; 'Adim. 606). Il-Ghâzi surprised and captured near Emesa, but released (A. 352); Death of Baldwin (2). pp. 191-2.

[Note on the death of a Shaikh to Ibn 'Asâkir, from B. M. or. 3006, f. 256^r].

509. — Rafaniyya taken from the Franks by Tughtakîn (A. 358-9); his reputation having aroused jealousy at the Sultan's court, he proceeds to Baghdâd where he is well received (A. 360); he returns to Damascus with a grant of full powers; the patent, as drawn up by al-Tughrâ'i (3) set out. pp. 192-7.

[Note, p. 193, on al-Tughrâ'i and his grandson, from Sibî J. (c), 299^r].

510. — Bertram (4) of Tripoli defeated by Tughtakîn in al-

(1) On the date of his event, see Vie d'Ousama, 78. n. 2.

(2) Repeated *infra*, and correctly, sub 511. A. II.

(3) His life, Ibn Khall I. 200. Eng. I. 462.

(4) An error for his son Pons, who had succeeded him in 505 A. H.

rulers unite at Harrân, invade Syria, and besiege Tall Bâshir ; Sukmân falls ill, and Ahmadîl (of Marâgha) coveting his fief, is persuaded by Jocelyn to retire ; the rest proceed to Aleppo, where Ridwân refuses them admittance ; they are joined by Tughtakîn (cf. A. 341) ; Sukmân dies, and Tughtakîn, distrusting his allies, unites with Maudûd ; the Franks attack Shaizar and retire (1) (A. 340-2). pp. 173-7.

[Note, page 175-6, on Sukmân's conquest of Mayyâfâriqîn in 502 A. H., and on its subsequent history, until transfered in 512 to Il-Ghâzi b. Ortoq ; from Fâriqi, f. 158-61].

505. — The Franks attack Tyre ; no help coming from Egypt, Tughtakîn is appealed to ; he attacks the besiegers, and intercepts their supplies ; incidents of the siege ; the Franks retire ; disinterested conduct of Tughtakîn [A. 342-4]. Death of Bertram, son of Raymond and ruler of Tripoli ; his son (Pons) succeeds under the protection of Tancred of Antioch ; pestilence in Egypt ; the Sultan Muhammad in Baghdad ; Maudûd surprised and defeated by Jocelyn near Edessa [A. 345]. Death of Qarâjâ of Emesa ; his son Khair-Khân succeeds. pp. 178-82.

506. — Tyre, in fear of the Franks, offers to submit to Tughtakîn ; in his absence, his son Bûri takes possession, but Tughtakîn disclaims wishing to oust the Egyptians ; a caravan for Egypt surprised by Baldwin near Jerusalem (A. 349) ; Tukush, son of Alp Arslân, takes refuge with Tancred ; the latter dies whilst on the way to seize the territory of the deceased Armenian Prince Kogh Vasil (2) ; his nephew Roger succeeds him (A. 345-6). pp. 182-3.

Tughtakîn and Maudûd combine to repel Frankish raids on Damascus ; they fall under suspicion at the Sultan's court ; Tughtakîn rejects terms offered by Jocelyn of Tall Bâshir (3) ; he is joi-

(1) Vie d'Ousama, 89-92.

(2) The name signifies « Basil the Robber », and was intended to signify the suddenness of his warfare. He ruled 1082-1112 A. D. over a small principality north of Comagene, and had dealings with the Crusaders, ransoming Bohemond from Ibn al-Dânishmand (Gumushtakîn) of Sebaste in 1103 A. D. — See Chronicle of Matthew of Edessa, transl. Dulaurier, Paris, 1858, p. 443 n. — In that text — pages 280-2 — the attack by Tancred is made to take place some few months before the prince's death, and to have been terminated by a peace.

(3) Jocelyn had been deprived of the fief of Tall Bâshir by Baldwin of Edessa, and as stated in the text, had been granted Tiberias by Baldwin of Jerusalem.

[Note on the surrender to Sukmân, and his death, from Fariqi f. 158-9].

503. — Terms agreed on between Tughtakîn and Baldwin ; the Sultan delaying operations against the Franks, Tughtakîn starts for Baghdad with Ibn 'Ammâr, but turns back on a rumour of an intention to supersede him in Syria ; Ibn 'Ammâr goes on and is well received in Baghdad (1) ; Tughtakîn distrusting Gumush-tikîn of Baalbek, compels him to surrender the place, and to accept Sarkhad in its stead (2). pp. 165-7.

[Note on the building of Sarkhad, 422 A.H. from Sibṭ J. (c)].

Death of Ibrâhim Inâl of 'Amid, his son (Aikaldi) (3) succeeds (A. 336). Frankish attack on Syrian fortresses ; Beyrouth taken, succour from Egypt arriving too late ; Kanja, attacked by the Georgians, is relieved by the Sultan ; the Ghuzz repulsed from the Oxus by Sinjar. pp. 167-8.

A combined attack organised against the Franks ; the allies lay siege to Edessa ; the Franks also combine, cross the river and reinforce Edessa ; the Moslem attack fails and Tughtakîn and Ridwân retire ; the Franks attack Aleppo, and al-Athârib is taken by Tancred (A. 338, 'Adim 596-8) ; Sidon surrenders to Baldwin (4) [A. 336]. pp. 168-71.

504. — Egyptian merchandize captured by the Frankish fleet ; the governor of Askalon intrigues with Baldwin, and the vizier al-Afdal in order to prevent the surrender of the town conciliates him, but he is murdered by revolting troops (A. 337) ; a severe storm in Egypt (A. 340) ; a deputation from Aleppo to Baghdad on the subject of their sufferings at the hands of Franks, coincides with the arrival of the Sultan's daughter, wife of Muṣṭazhir, and of a Byzantine embassy to solicit joint action against the Franks (5) [A. 339, 'Adim 598-9]. pp. 171-4.

Baldwin violates the truce with Tughtakîn ; they agree on a partition of the revenue of the district ; joint operations against the Franks ordered by the Sultan ; Maudûd of Mosul and other

(1) Vie d'Ousama, 83.

(2) Ib. 178. n. 2.

(3) I am informed by M. Max Van Berchem that in the inscriptions on the Mosque at Amid this name appears, in most cases, as 'Il-Aldi'.

(4) Vie d'Ousama, 86-8.

(5) Ib. 89.

[Note on this event from the *Zubdat al-Tawârikh*, fols 45-6, and on the erection of the stronghold, from *Siht J. (c)*].

Circular letter of announcement from the vizier Hibbat Allah b. Muhammad b. al-Muttalib. pp. 152-5.

The Sultan, appealed to by Ibn 'Ammâr for aid against the Franks, sends a force under Jâwali, and orders his vassals to aid him; Jakarmish of Mosul resists, but is defeated and killed (A. 291-4); his party call in Qilij Arslân who advances to Nasibîn, but is defeated by Jâwali and drowned; Rahba and Mosul submit to Jâwali, (A. 295-8). The Ispahbad (Sabâwû, A. 318) visits Damascus. pp. 156-9.

[Note on Qilij Arslân's rule at Mayyâfâriqîn, from *Fariqi*, 158^v].

501. — The Franks attack Tyre and are bought off (A. 318); defeat and death of Sadaqa b. Mazyad: his character (A. 312-3); the Amîr Maudûd, by the Sultan's order, seizes Mosul and expels Jâwali (A. 319-20). pp. 159-60.

Ibn 'Ammâr, hard pressed in Tripoli, seeks aid from the Sultan and proceeds to Baghdad with Tughtakîn's son, Bûri; assistance is promised; in his absence Tripoli appeals to the Egyptian vizier, al Afdal, who sends a governor with supplies (A. 315-7). Tughtakîn attacks Tiberias and captures the Frank commander, Gervase; the Sultan remits taxes (A. 317); fire at Baghdad (A. 318); the Bâtini sect repressed at Alamût; Baldwin attacks Sidon and retires (A. 318). pp. 160-2.

502. — Tughtakîn attempting to secure 'Arqâ, is defeated and the place surrenders to the Franks (1) (A. 328); his vizier put to death; Bertram son of Raymond, arrives with a force; dissention between him and his cousin William of Cerdagne; Tancred and Baldwin arrive also, and Tripoli is taken (2); succour from Egypt comes too late; the Franks take Bâneas and Jubail (A. 333-4); Mayyâfâriqîn taken by Sukman of Akhlât; Bohemond of Antioch pays homage to the Byzantine Emperor (Alexius); truce between Baldwin and Tughtakîn; Ibn 'Ammâr joins Ibn Munqidh at Shai-zar (3) [A. 335]. pp. 162-4.

(1) Under William Jordan, of Cerdagne, Raymond's nephew and successor.

(2) On this date see *Vie d'Ousama*. 80 n. 5.

(3) *Ib.* 82.

590-1); the coast towns of Syria relieved by an Egyptian fleet (A. 250); advance of the Saljuq of Rûm. pp. 142-3.

497. — S^t Gilles (Raymond) aided by a Frankish fleet fails at Tripoli: but takes Jubail; Sukmân b. Ortoq and Jakarmish of Mosul advance against Edessa and defeat Bohemond and Tancred (1) (A. 256-7, 'Adîm 592); Acre surrenders to Baldwin, and its governor takes refuge in Damascus (A. 255). pp. 143-4.

Death of Duqâq; his son Tutush succeeds under the guardianship of Tughtakîn; his careful rule; he confirms the sons of Muhammad b. al-Sûfi in office at Damascus, and recalls Duqâq's brother, Artâsh, (2) from exile in Baalbak; Artâsh intrigues with Baldwin, and escapes from Damascus; death of Tutush. (A. 258); Ibn 'Ammâr of Tripoli surprises a fortress erected by Raymond and destroys it; Bohemond goes to seek aid from Europe (3) ('Adîm 593). pp. 144-6.

498. — Illness of Tughtakîn; he summons Sukmân b. Ortoq to succeed him, then regrets this (4), and is relieved by news of Suhmân's sudden death (A. 268); death of Raymond (of Toulouse, « S^t Gilles »); Saljuq attack on Mosul (A. 262); death of Barkiyârûq (A. 260); his brother Muhammad expels the Amir Ayyâz from Baghdad and kills him (A. 264-7). pp. 146-7.

Tughtakîn seizes Baalbak, and Rafniyya; Ridwân attempting to relieve Tripoli, is defeated by the Franks ('Adîm, 593); an indecisive battle between them and the Egyptians outside Ascalon (A. 271); Tughtakîn takes Busra (A. 281). pp. 148-9.

499. — Tughtakîn takes a Frankish stronghold (A. 275); Khalaf, ruler of Apamea, murdered by fanatics, and the town acquired by Tancred (A. 281-3, 'Adîm 594-5); an advance on Edessa by Kilij Arslân of Rûm checked by his illness; Tughtakîn's success at Busra. pp. 149-50.

500. — Warfare between Tughtakîn and the Franks near Tiberias; the Bâtini suppressed by the Saljuq Muhammed, and their stronghold, near Isfahân, taken (A. 299-302). p. 151.

(1) Vie d'Ousama, 73.

(2) Written « Baktâsh » in Ibn Al-Athîr X. 258, and « Baltâsh » in Abul-Fidâ, Ed. Stambûl, 1286, II. 228.

(3) He never returned and died six years later in 1111 a. d.

(4) The proverbial saying of « al-Kusa'i's repentance » is explained in Baihaqi's « al-Muhâsin wa'l-Masawi » Ed. Schwally, 1902. pp. 323-5.

(5) Vie d'Ousama, 74.

surprise and defeat al-Afdal near Ascalon (1) (A. 193-4).

pp. 136-7.

[Note, (p. 136), on the Franks' conquest from Fariqi. 157^r.]

493. — Bargiyâruq, after losing Isfahan to his brother Sinjar, retires to Baghdad (A. 198). Duqaq advances to Mayyâfâriqîn; Bohemond defeated and taken prisoner by (Gumushtakin) b. Dâ-nishmand (A. 204); lowering of prices in Irâq (A. 203).

pp. 137-8.

[Note on the political state of Mayyâfâriqîn and its neighbourhood after the death of Tutush, from Fariqi 157^v, and id. earlier version, 95^v].

494. — The Franks defeat Suqman b. Ortoq at Sarûj. Godfrey attacking Acre is killed by an arrow (2); Baldwin (of Edessa, his brother), succeeds him at Jerusalem; Haifa and Cæsarea taken by the Franks, Arsûf submits (A. 222); Barkyârûq defeats Sinjar and captures and kills his vizier Mu'ayyad al-Mulk (A. 205-6); fall of 'Amîd al-Daula b. Jâhîr (3), vizier to Mustarshid (A. 203); Jabala ceded to Duqâq, its ruler retiring to Baghdad, but owing to the misgovernment of Tughtakîn's son, Bûri, it submits to Ibn 'Ammâr of Tripoli (A. 211-2). An Egyptian force attacks the Franks, and whilst losing its general, is victorious (A. 249-50 Sub. 496); death of Karbûqâ of Mosul (A. 234. sub. 495).

pp. 138-40.

495. — Disorder in Khurâsân etc.; the Franks fail to take Beyrout (A. 238); but are victorious at Antartûs near Tripoli over troops from Damascus and Emesa (A. 236-7); death of the Fatimide Musta'li (4): his son Amîr succeeds (A. 224); Baldwin defeated by an Egyptian force near Ascalon and wounded (A. 238).

pp. 140-1.

496. — Rahba captured by Duqâq (A. 249); Janâh al-Daula of Emesa murdered by Bâtini fanatics; the city in alarm submits to Duqâq; the origin of the Bâtini movement in Aleppo, ('Adîm,

(1) Ibn Zâfir, op. cit. 75^r says:

فجمع جموعه واحتشد وسار الى الشام ولقي الفرنج بالموضع المعروف بالبصة فهزموه هزيمة فاضحة حتى لم يبق منه احد ورجع الى مصر وقد استحكركم يأسه من بقاء الساحل في ايدي المسلمين ولم يفرجهم بنفسه بعدها.

(2) He died, in fact, of the pestilence, after some week's illness.

(3) Dated in 492 by Ibn Khall. II, 90. l. 22, Eng. III 286.

(4) His life, Ibn Khall. I, Eng. I 159.

Tutush (1) defeated outside Rayy by Barkiyâruq and killed.
(A. 166-7). pp. 128-30.

[Note (p. 129) on the site of the battle near Rayy from the
"Zubdat al-Tawârîkh" — B. M., Stowe, or. 7. 43^v.].

488. — Ridwân and Duqâq, son of Tutush, retire to Aleppo,
whence Duqâq escapes and seizes Damascus, (A. 167-9); Turkish
raid on the ruler of Mecca, Ibn abi Shaiba (2). p. 130.

The Amîr Tughtakîn arrives in Damascus, his previous employ-
ment by Tutush; made prisoner at his defeat, he is now released
and entrusted with the government of Damascus (A. 169).

489. — An attack by Ridwân is repulsed; a death; Yâghi-
Siyân withdraws to Antioch. pp. 130-2.

[Note (p. 131) from Fariqi, 152^v on Tughtakîn's career in Diyâr-
bakr].

490. — Conjunction of planets (A. 177). Dissention at Aleppo;
Janâh al-Daula, Atabek to Ridwân, seizes Emesa; Ridwân ai-
ded by Yâghi Siyân of Antioch, attacks Damascus; he acknowl-
edges the Fatimide Caliph; the Egyptians take Tyre (A. 183-4).
p. 133.

First invasion by the Franks; their victories; Antioch threa-
tened; they avoid ceding Nicœa to the Byzantines, as promised (A.
185-7); a popular ringleader killed at Aleppo (A. 174). pp. 134-5.

491. — Treason in Antioch; its surrender; flight and death
of its ruler Yâghi Siyân (A. 187-8, 'Adîm 580-1), capture of Jeru-
salem by the Egyptians under al-Afdal (in 489. A. 193) (3); a
Moslem attempt to recapture Antioch fails (A. 189-90).
pp. 135-6.

492. — The Franks capture Ma'arrat al-Nu'man, Adîm 587,
(sub. 491 A. 190); and Jerusalem ('Adîm 588, A. 193-4); they

(1) His life, ib. I, 118, Eng. I, 273.

(2) By Ibn al-'Athîr, (X. 163) the leader of the attack to be is called
« Ibn Sâwatakîn » — the name given both in his text p. 169 and here, to the
commander of the troops at Damascus. And the name the ruler of Mecca should
be — not Qâsim but Muhammad Tâj al-Ma'âlî; — see the note to p. 125 ante.

(3) In 401 A. H. also by Ibn Zâfer, op. cit., 75^r, who adds :

ولم يكن من فيه طاقة بالفرنج ولو ترك في ايدي الارمنية كان اصلح للمسلمين ولما ملك الافرنج القدس
لدمر الفضل حيث لم ينفعه الندم لانه كان احب نزولهم الساحل ليكونوا مانعين من قعود الترك الى ديار
مصر.

482. — Malik Shâh takes Samarqand (A. 113); the Egyptians take Tyre and other towns (A. 116-7). Aq Sunqur suppresses brigandage (A. 119).

483. — Tutush takes Emesa from its ruler, who later acquires Apamea.

484. — Earthquakes in Syria (A. 135); Aq Sunqur takes Apamea; death of the Sultan's nominee at Samarqand. pp. 120-1.

485. — A conjunction of the planets; murder of Nizâm al-Mulk (1) (A. 137, At. 19) followed by the death of Malik Shâh, (A. 142, At. 22); Tutush takes Rahba; his clemency (A. 149). The Oqailid Ibrâhîm gets possession of Mosul (A. 150); Tutush takes Nasîbîn; outrages by his troops (A. 149): pp. 121-2.

486. — He defeats and kills Ibrâhîm, and takes Mosul; outrages occur there also; he takes Amid, Mayyâfâriqîn, and other towns, and aims at the Sultanate; Aq Sunqur and Bûzân support Barkiyârûq, and Tutush retires to Damascus; an Egyptian force takes Tyre (A. 150-2). pp. 123-4.

[Note on Tutush' rule in Mayyâfâriqîn from Fâriqi, 157^v].

The Damascus Pilgrims are illtreated by the ruler of Mecca (A. 153). p. 125.

[Note on the identity of this ruler from the 'Umdat al-Tâlib. Lith. p. 120, and the notice of his death in 487 A. H. from Dhahabi (c) 207^v, where the words *وہو انہر ہوا* should be repeated in the last line of the text].

487. — Death of the Caliph Muqtadi, Mustazhir succeeds; Tutush defeats and kills Aq Sunqur and Bûzân, takes Aleppo, and advances against Barkiyârûq (A. 155-8, At. 28-9). Earthquakes in Syria (A. 162); Tutush defeats Bargiyârûq; he is acknowledged as Sultan at Baghdad (A. 159). pp. 125-7.

Death of the Egyptian vizier Badr al-Jamâli, followed by that of Mustansir; (2) Musta'li succeeds. power being exercised by Badr's son, al-Afdal; he suppresses a revolt by Nizâr, son of Mustansir (A. 160-2). pp. 127-8.

[Note on Nizâr, and his acknowledgment by the Isma'ili sect, from Fâriqi f. 157^r, and id. early version, ff. 92-4].

(1) His life, Ibn Khall. I, 179 Eng. I, 413 and that of Malik Shâh, ib. II 161, Eng. III, 440.

(2) His life, Ibn Khall. II 135 Eng. III, 381, and on Nizâr ib. Eng. I. 160. n.

tacks from the history of Muhammad b. Hilâl al-Sâbi (1); and an anecdote by Ibn 'Asâkir on Ibn Munqidh and Ibn 'Ammâr of Tripoli, as told by his grandson Muhammad b. Murshid].

475. — Muslim attacks Damascus, but retires in haste to protect his own territory; Aleppo taken by the Sultan Malik Shâh (A. 78-82). pp. 114-5.

[Note (p. 115) from Sibṭ J. (c) 176^r on Muslim's intrigues at Antioch with Egypt, cf. A. 90].

476. — A revolt at Harrân suppressed by Muslim (A. 83-4). pp. 116-7.

[Note, account of the siege and capture of Harrân; from Sibṭ J. (c) 179^r].

477. — Antioch taken by Sulaimân b. Qutalmish (A. 89). Muslim defeated at Amid by a Turkish force, (A. 86); he attends the Sultan's Court (A. 88). p. 117.

478. — Muslim defeated and killed by Ibn Qutalmish, who fails to take Aleppo (A. 90-1). Defeat of the Christians in Spain (Battle of Zallâca (2), A. 99-102, sub. 479).

479. — The Sultan Malik Shâh abrogates unlawful taxes on traders; Mahdiyya taken by the Christians: Ibn Qutalmish defeated and killed by Tutush, who attacks Aleppo, but retires before Malik Shâh (A. 99-100, At. 16).

480. — Aq Sunqur (3) father of Zangî, named governor of Aleppo; his good rule (A. 98).

481. — Malik Shâh attacks Samarqand; death of Ak Sunqur's wife from an accident; he attacks Shaizar and then comes to terms with Ibn Munqidh (Nasr) (4) (A. 111). pp. 118-20.

(1) The text of this letter appears, in a condensed form, in « Abulfidos Annales », Ed. Reiske, III. 549-551, where it is quoted from Ibn abi-l-Damm (d. 642 A. H.), but the Stambûl text of Abu'l-Fida — ed. 1286. III. 33, omits it, and gives in its stead a quotation from the autobiography of Usâma which does not occur in Derenbourg's text (see p. 68. n. 5). The Bishop is there stated to have continued until his death to reside at Shaizar under Ibn Munqidh's rule.

(2) On this battle see Ibn Khall. in the life of Yûsuf b. Tâshifin, II 483-4, Eng. IV 452-6, and on site, C. F. Seybold in Rev. Hispanique, T. XV.

(3) His life from Ibn al-'Adim, Hist. Crois. Or. III 703; and Ibn Khall. I 98, Eng. I, 225.

(4) Vie d'Oûsâma, 28; dies 491 A. H., — ib. 30.

466. — A fortress taken by the Mirdasid : floods at Baghdad ; accession of the Sultan Malik Shâh (A. 62). p. 106.

467. — Death of the Caliph Qâ'im (A. 64) ; his illtreatment by al-Basâsirî ; the intercessory letter which he suspended in the Ka'ba ; Muqtadi succeeds ; death of the Mirdasid Mahmûd, and succession of his son Nasr : congratulatory line by Ibn Hayyûs (1). pp. 107-8.

468. — Za'in al-Daula succeeds Mu'alla as governor ; famine and disorder enable the Turk Atsiz to obtain possession of Damascus, which is thenceforth lost to the Fatimides (A. 67) ; the Mirdasid Nasr b. Mahmûd murdered by Turkish soldiers ; reforms by Atsiz at Damascus. pp. 108-9.

469. — Atsiz attacks Egypt, but is repulsed by Badr and retires to Damascus ; his unpopularity. pp. 109-12.

[Note on the defeat of Atsiz, his subsequent movements, and the desolation of Damascus, from Sibt J. (c). 166a] (2).

470. — The Saljuq Tutush invades Syria, assisted by the Oqailid Muslim ; he fails at Aleppo, and an Egyptian force fails at Damascus.

471. — Atsiz hard pressed by the Egyptian force, surrenders Damascus to Tutush, who later puts him to death ; Tutush rules well ; he attacks various towns (A. 72). p. 112.

472. — Aleppo surrendered to the Oqailid Muslim (A. 74) ; Syria prosperous ; disastrous Turkish raid on the Byzantines.

474. — The stronghold of Shaizar sold to Ibn Munqidh by its Bishop (3). p. 113.

[Note from Sibt J. (c) 172^v giving the text of Ibn Munqidh's letter announcing this event, and how he checked Muslim's at-

and the booty taken included a jewelled cup. Later the Sultan married Takin's sister. And in her outfit was found the cup, which the Sultan considered to be a reminder of his son's defeat, and he accordingly attacked Takin. Yusuf's fortress is here called « Birûn ».

(1) The line appears, with variants, in the poet's life, Ibn Khall. II 13. l. 17. Eng. III 139.

(2) Ibn al-Athîr's short account (X. 70-71) is described as based on Syrian authorities.

(3) Cf. Ibn Khall. I 464, Eng. II 342. The date of this event is discussed by Derenbourg in « Vie d'Ousama », 14 and 24, where a passage is quoted from Ibn al-'Adim, which confirms the date 474 A. H. (1081 A. D.).

the Sharif Haidara ibn Abi-l-Jann (1). Earthquake and floods (A. X 39); Mustansir overpowered by the troops (A. 55-60). pp. 93-5.

[Note on Ibn Abi-l-Jann quoted by Sibṭ J. (c) 123^v from the history of Ghars al-Ni'ma Muhammad b. Hilāl al-Sābi—d. 480. A. H.

461. — Mu'allā b. Haidara, governor; his harsh rule: expelled by the troops in 467; rioting in Damascus; burning of the mosque; famine in Egypt (A. 40-1). pp. 95-8.

[Note on the governor's doings at Damascus; on the murder of Ibn Abi-l-Jann; on the people's remorse at the burning of the mosque; and on the intrigues at Damascus, from Sibṭ J. (c). 119^r.]

462. — Badr fails to take Tyre; the Caliph Qāim acknowledged at Aleppo; Manbij taken by the Byzantine Diogenes (A. 40-2). pp. 97-8.

463. — Damascus threatened by Atsīz (2); Aleppo taken by the Sultan Alp-Arslan; his victory over the Byzantine Romanos, who is taken prisoner and ransomed (A. 43-6). pp. 98-9.

[Note giving (p. 99) an incident of the campaign from the History of Mayyāfāriqīn by Ibn al-Azraq al-Fāriqī. B. M. Or. 5803, 145^r, and (pp. 100-4), a full narrative of the Sultan's proceedings at Aleppo, of the battle, and of the subsequent fate of Romanos, from Sibṭ J. (c) 126^v et seq.]

464. — The ruler of Ja'bar murdered by treachery (3); Raqqa taken. The Byzantines repulsed by the Mirdasid of Aleppo; death of al-Khatib al-Baghdādī (A. 46. sub 463). pp. 100-5.

[Note on his escape from Damascus from Sibṭ J. (c) 130^r (4).]

465. — Flight of 'Alī Ibn Munqidh from Aleppo (5); death of the Mirdasid, 'Atiyya; the Sultan Alp Arslān assassinated by Bāṭinī fanatics (6) (A. 49).

(1) Cf. Quatremère « Mém. Eco sur l'Égypte » II. 363 and 392.

(2) i. e. « without a horse ». Cf. Bundāri. Ed. Houtsma 71. n. « d ».

(3) Cf. Yāqūt, Būldān II 84, and Ibn Khall II 142, Eng I 329.

(4) The story appears also in his life in Yāqūt's « Irshād al-Arib », ed. Margoliouth. I. 256 on the authority of Ibn al-Qaisarāni, d. 507 A. H. *infra*.

(5) Vie d'Ousāma. Ed. Derenbourg, 17.

(6) In Sibṭ J. (c), 144^v, this statement is quoted from Ibn al-Qalānisi, but as inaccurate and contrary to the received account which is there given, and which accords with that by Ibn al-Athīr and by Ibn Khallikān in the life of Alp Arslān, II 60, Eng. III 230. Details are added of the motive which led the Sultan to invade Bukhāra. The ruler of Samargand, Shams al-Mulūk Tarkīn b. Taghān, had defeated two of the Sultan's sons, Ilyās and Malīk Shāh,

Disorder and distress under his rule until Badr al-Jamâli is appointed vizier in 465 A. H. (A. X. 55-6). pp. 83-4.

440. — Târiq, governor. The vizier al-Jarjarâ'i dies in 432 ; his successor Sadaqa al-Fallâhi, executed in 441 ; succeeded by al-Yâzûri ; honours bestowed on him for repressing the Banû Qurra. (A. IX. 396, dismissed in 449 A. H. ib 437).

441. — Rifq, governor, succeeded by al-Mu'ayyad Haidara. pp. 84-5.



Commencement of the author's « Dhail »
or continuation (1).



448. — The Caliph Qâim marries the niece of the Sultan Tughril Beg ; birth of his grandson and successor Muqtadi (A. 424-5).

449. — The Fatimide Mustansir acknowledged in the prayer at Aleppo during four years.

450. — Ibn Hamdân again governor, until defeated in 452 at Funâdaq outside Aleppo. (A. X. 7, killed 465 A. H. ib. 54). p. 86.

The revolt of al-Basâsiri against the Caliph Qâim at Baghdad ; he acknowledges the Fatimide Mustansir in the prayer ; defeated by Tughril Beg and killed in 451 (2) — on the authority of the history of al-Khatib al-Baghdâdi (A. XI. 440-8), pp. 87-90.

452-4. — Successive governors ; the Mirdasid Mahmûd establishes his rule at Aleppo, and 'Atiyya holds Rahba (A. IX. 164 and X. 7). pp. 90-1.

455. — Badr, governor ; his incapacity and flight (A. X. 19) ; his successors ; his reappointment in 458 ; struggles between the Mirdasids at Aleppo and disorder in Egypt (A. IX. 165). pp. 91-3.

460. — Bâriztughân, governor ; Badr captures and murders

(1) It continued the history of Hilâl al-Sâbi, which extended to 448 A. H., see *Ibn Khallikân* in the Life of Saladin, Bulak II, 498, Sl. Eng. IV 484, and Hist. Or. Crois. III 402.

(2) His life, *Ibn Khall* I 76, Eng. I 172.

411 A. H. (A. 221); (1) legends about his return (cf. A. 351); he is succeeded by Zâhir, with al-Jarjarâ'i as vizier (A. 321-3).

pp. 79-80.

The vizier's diploma, dated in 418 A. H., set out in full.

pp. 80-3.

433. — Nâsir al-Daula b. Hamdân governor; he arrives accompanied by the Naqib Abu Ya'la Hamza (2).

Rise of Tughril Beg the Saljuk in 432 A. H. (A. 321).

Death of Zâhir in 427 A. H.; succeeded by Mustansir (A. 304)(3).

(1) A Hâkim's life, Ibn Khall. II. 165, Eng. III. 449. full account of his death is given by de Sacy, op. cit. I 406-421, in part on the authority of Hilâl al-Sâbi, ib 413.

(2) Life of Zâhir Ibn Khall I 463, Eng. II. 340 and of his son Mustansir, ib II 135, Eng. III 381, and Quatremere, « Mém. Sur l'Égypte », II. 296-451.

(3) It is probable that his father's name should be read al-Hasân and not al-Husain, for it is so given in his obituary notice in the Mir'ât-al-Zamân, B. M. or 4619, 230^v, and in the mention of him in the « 'Umdat-al-Tâlib », Lith. pp. 223-9 (as corrected by the Ms. B. M. add. 7355, 82^v). There, among the descendants of Abu-l-Jann, (whose name was 'Ali), are mentioned certain Qadis of Damascus, issue of al-'Abbâs b. 'Ali b. al-Hasan b. 'Ali (Abu-l-Jann); of these al-'Abbâs was Qadi at Damascus, as also his son al-Hasân, his other son 'Ali being Qadi at Ba'albek; and among their issue was the Naqib Majd al-Daula Abu-l-Hasan Ahmad. (son of the Naqib Abu Ya'la Hamza Fakhr al-Daula b. al-Hasan), for whom the shaikh al-'Umari composed his work « al-Majdi ». It is probable that the Sharif Ibrâhîm b. al-'Abbas b. al-Hasan, who died in 454 A. H. (p. 91) was Fakhr al-Daula's nephew.

The Shaikh al-'Umari, Abu-l-Hasan 'Ali, and his father, Abu-l-Ghanâ'im Muhammad b. 'Ali are also mentioned in the 'Umdat-al-Talib — lith. 304 Ms. 130a — both, as pedigree writers and as descended from 'Ali's son 'Umar al-Atraf, whence their Nisba. In the obituary notice, supra, Ibn 'Asâkir is quoted as reading in the work of the Sharif 'Abd-Allah b. al-Husain b. Muhammad al-Hasani, the pedigree writer, of the favours that writer had received from Fakhr al-Daula. There occurs also in Dhahabi's Târikh al-Islâm — B. M. Or. 48, 266^v, — a quotation from a « Nuzhat al-'Uyûn » of Abu-Ghanâ'im, a pedigree writer, on a gift to Bakjûr, who died in 381 A. H. (p. 38) of some of the prophet's hair, which was proved authentic by resisting the ordeal of fire. By Hâjî Khalifa, N° 13705, the author of this work is called Abd-Allah b. al-Husain al-Zaidi. It is probable that the Abu-l-Ghanâ'im of the 'Umdat-al-Tâlib and of the Târikh al-Islâm are identical. It is noticeable also that according to Ibn Zâfir, « the Sharif « al-'Umari » and his Shaikh », meaning, probably, 'Ali, and his father, Abu-l-Ghanâ'im, were the only authorities among pedigree writers for the Alide descent of the Fatimide Caliphs, — B. M. Or. 3685. 42b ult. and Wüstenfeld « Gesch. d. Fatim. Chalifen » p. 5.

ruler to Hâkim's general; is conducted prisoner to Cairo, and is executed (1) (A. 143-4). pp. 64-6.

399. — Hâmid and others appointed governors of Damascus in rapid succession. p. 66.

Destruction of the Church of the Resurrection at Jerusalem by Hâkim, and his motive. (A. 147) (2). pp. 67-8.

[Note, on the visit of Sibṭ Ibn al-Jauzi to Jerusalem, with his account of the miracle of the Holy Fire, and Saladin's project of suppressing it, from Sibṭ J. (a) 237^r].

401-410. — Rapid succession of governors, including a cousin of Hâkim (3) who is suddenly arrested; popular discontent. pp. 69-71.

[Note on this cousin's bad government, from Dhahabî (b). 75^r].

419. — Anûshtakîn al-Dizbîrî, governor; his career (A. 161-2 with "Berberî" for "Tizbîrî"). pp. 71-2.

[Note, on the murder of Fâtik at Aleppo, from Hilâl al-Sâbî quoted Sibṭ J. (b) 51^r].

420. — The vizier al-Jarjarâ'î sends Anûshtakîn to fight Sâlih b. Mirdâs and his Arab allies in Syria; he defeats them at al-Uqhuwâna and Sâlih is killed (4) (A. 162 and 260). pp. 73-4.

[Note, account of the campaign by Hilâl al-Sâbî, quoted Sibṭ J. (b) 83^v].

429. — Nasr b. Sâlih is killed. and Anûshtakîn occupies Aleppo (A. 162-3). p. 75.

[Note; an account by a historian Muhammad b. Mu'ayyad al-Mulk, quoted Sibṭ J. (b) 121^v].

The vizier distrusts Anûshtakîn; his threatening despatch and Anûshtakîn's humble reply. pp. 76-8.

Death of Anûshtakîn in 432 A. H.; his burial, and family (A. 343). pp. 78-9.

Hâkim's outrageous rule had caused his ministers to appeal to his sister, Sitt al-Mulk, who contrived to bring about his death in

(1) De Sacy, op. cit. I 316-28, Wûstenfeld, op. cit. from Ibn Zâfir.

(2) De Sacy, op. cit. I, 336-41.

(3) Ibid. 400, 421.

(4) His life, Ibn Khall. I 286, Eng I 631. The place is spelt 'al-Uqhuwâna' in the authograph, B. M. add. 25735, fol. 148^r.

[Note on the spelling « Zaidân » from Dhahabi (a) 215^v. sub. 390 A. H.].

390. — Tamîn, successor to Jaysh, dies, and Ibn Falâh again governs, until replaced in 392 by Khutkîn, who is dismissed as incompetent. p. 57.

392. — Tizmalt, a Berber, appointed governor, and recalled in 374.

[Note on his treatment of a heretic (1) from Dhahabi (a) 22^r] p. 58.

393. — Hâkim is persuaded by a promise of money from Ibn al-Nahwi, and another, to dismiss and kill his vizier Fahd, a Christian, and to send Ibn al-Nahwi to govern Syria. His misgovernment there is reported to Hâkim's sister, by whose advice he is executed ; a succession of viziers are killed by Hâkim. (2) pp. 59-61.

394. — Mufih, governor, and others, in succession. Hâkim's minister, Ibn 'Abdûn, foils the attacks of the Maghribi family against him, and some of them are executed, but Abu-l-Qâsim escapes and takes refuge with Ibn al-Jarrâh, and appealing to him in verse, obtains protection. pp. 62-3.

The character and career of Abu-l-Qâsim al-Maghribi (3). p. 64.

[Note on his attempt to substitute for Hâkim the Aïide ruler of Mecca, from Dhahabi (b) 2^v (4)].

397. — The rebel Abu Rakwa is surrendered by the Nubian

the revolt of Abu Rakwa, a descendant of Hishâm, the Omayyad of Cordova, comes a legendary story that the Hâjib Ibn Abi Amir al-Mansûr having usurped Hishâm's place, both as sovereign and as husband, (see « Bayân al-Mughrib », Ed. Dozy II. 300), placed Hishâm's son under the charge of certain Slavonian slaves, one of whom named Dâhik had belonged to Barjawân ; that this son ascertained from him that Barjawân was killed by Hâkim on suspicion of aspiring to the position of Kâfir al-Ikhshidi ; that he thereupon sought his aid to deal similarly with Ibn Abi Amir : and how they succeeded in killing him with his paramour, and in reinstating Hishâm, who, together with his son, were later killed by the Sinhâja adherents of Ibn Abi Amir. But the latter had died in 392 A. H. — See Makkari I. 259 — and it may be that the story is based on the murder of his son 'Abd al-Rahmân in 399 A. H. — ib. 278.

(1) Id, quoted from Abu-l-Fidâ, de Sacy, op. cit, I 302. n².

(2) Ib 306-7. n.

(3) See his life, Ibn Khall. I 195, Eng I 450 ; de Sacy, op. cit. I, 350-3.

(4) Cf. Wüstenfeld 'Geach. d. Fatim. Chalifen, VI, from Ibn Zâfir.

381. — Munir, superseded by Manjûtakîn, revolts, but is defeated and taken ; Manjûtakîn encouraged by the death of Abû-l-Ma'âlî the Hamdânîd, and advised by Ibn al-Maghribî, attacks Aleppo, and defeats a Byzantine force coming to Lu'lu's aid from Antioch ; Lu'lu' destroys the crops and bribes Ibn al-Maghribî to induce Manjûtakîn to retreat. pp. 40-2.

382. — Manjûtakîn reinforced from Egypt, lays siege to Aleppo. The Byzantine Basil hastens to its relief, and Manjûtakîn, warned by Lu'lu', raises the siege : Basil approaches Aleppo and captures various cities ; 'Azîz, whilst preparing to attack him, dies in 386 A. H. (A. 63). (1) pp. 42-4

386. — Hâkim succeeds, aged 10 years, with Barjawân (2) as guardian ; Ibn 'Ammâr and the soldiery seize power ; Manjûtakîn declaring against them, is defeated by Ibn Falâh, and carried prisoner to Egypt ; a revolt at Damascus is suppressed (A. 83). pp. 44-8.

Barjawân foils a conspiracy by Ibn 'Ammâr, and drives him into exile, but afterwards conciliates him (A. 84). pp. 48-9.

387. — A revolt drives Ibn Falâh from Damascus ; a rising at Tyre, headed by a sailor, and supported by the Byzantines, is suppressed by a force under Jaysh, who then attacks the Byzantine army near Apamea ; he is repulsed, but the Byzantine leader is killed by a Kurd and the army routed (A. 84. 85). pp. 49-52.

388 — Bishâra, governor ; succeeded by Jaysh ; he invites the ringleaders of disorder to a banquet and has them murdered ; and sends many leading citizens prisoners to Egypt ; his miserable death in 390 A. H. (A. 85-6). pp. 53-4.

[Note on Jaysh by Ibn Asâkir, from Dhahabî (a) 216^v sub 390 A. H.].

Barjawân makes a truce with the Emperor Basil. Hâkim resents his control and precautions, and, with the assistance of a slave Zaidân, has him murdered (in 389 A.H.) (3) ; his letters explaining his reasons (A. 86). pp. 55-6.

(1) His life. Ibn Khall II 199, Eng. III 525.

(2) Cf. Ibn Khall I 110, Eng. I 253, and de Sacy, op. cit. I. 284-93 for an account of the events of Barjawân's rule ; ib. 298-300 for the previous attempts on Aleppo.

(3) Cf. de Sacy, Chrest. Ar. 1826 T. I., 131. n. There is a curious reference to his murder in Sibî J. (a) 230^v (sub. 397 A. H.) where after the account of

371. — Fatimide troops under Baltakîn defeat Ibn al-Jarrâh who takes refuge in Antioch ; Byzantine inroad ; Qassâm, unable to hold Damascus, surrenders to Baltakîn, is sent to Egypt, and set free. (A 5-6). pp. 25-7.

[Note on Qassâm, Dhahabi (a) 148^v quoted from al-Qifti.]

372.— Bakjûr, Governor ; his previous career at Aleppo and Emesa (A. VIII. 502) ; succeeds Baltakîn on his recall to Egypt ; attempts to seize Aleppo for 'Aziz, but is foiled by a Byzantine force under Bardas (1) who pillage Emesa ; intrigues of Ibn Killis against him ; he retaliates by killing the vizier's agent, with others, on suspicion of plotting his own death — in 377 A. H. (A. IX. 12-13). pp. 27-30.

378.— Munir is sent from Egypt to depose him ; on the defeat of his Arab allies he submits and retires to Raqqa ; Ibn Killis tries to propitiate him (A. 40) ; he next makes advances to Bâdh, the Kurd, and to the Buwaihid of Baghdad, and seeks a reconciliation with the Hamdânid of Aleppo, but is foiled by Ibn Killis (A. 59).

pp. 30-31.

The career of Ibn Killis ; appointed Vizier in 365 A. H., he dies in 380 A. H., honoured and regretted by 'Aziz (2) ; his successor, a Copt, prefers Jews and Christians to Moslems, but a reaction follows (3) (A. 81). pp. 32-3.

[Note on Ibn Killis from Dhahabi (a) 166^r.]

381. — Bakjûr attacks Sa'd al-Daula of Aleppo ; he is not duly supported, his Arab troops are gained over, and his vizier, Ibn al-Maghribi, flies ; his scheme to single out Sa'd al-Daula in the battle is frustrated by the devotion of the slave Lu'lu', and he is defeated, betrayed and executed (A 60-1). pp. 34-8.

Sa'd al-Daula violates the terms promised to Bakjûr's children, and defies protests from Egypt ; his remorse and death (4), Lu'lu' guardian to his successor (A. 62). pp. 38-9.

(1) For this name see « Chronique de Matthieu d'Edesse » by E. Dulaurier, Paris, 1858, p. 387., n. XXI.

(2) His dying advice to 'Aziz, as given here and also in the 'Muntazam' of Ibn al-Jauzi—Berlin 9436, 130^r, sub 380 A. H. and in his life by Ibn Khallikân II 442 l. ult. Eng IV p. 365, is to live at peace with the Byzantines, — not merely with the Hamdânids, as in the Kâmil, A. IX 54.

(3) Cf. de Sacy, op. cit. I 303.

(4) This explains the passage in Ibn Khall. I 463. l. 23, Eng. II 389.

Death of Mu'izz and accession of his son, 'Azîz ; anecdote of Mu'izz (A. 488-9).

Alaftakîn diverts the Qarmathians and attacks the coast towns, defeating the Maghrib force under the Oqailid Zâlim. On his refusing fealty to 'Azîz, Jawhar is sent to attack him, but, supported by the people of Damascus, he calls in the Qarmathian (A. 483-4). pp. 14-16.

Jawhar, hard pressed, appeals to Alaftakîn, and, in spite of the Qarmathian's protest, is allowed to retire on easy terms (1). By his advice 'Azîz takes the field in person against Alaftakîn. The armies meet ; 'Azîz admires Alaftakîn and offers him generous terms, but he says the offer comes too late. pp. 16-18.

'Azîz is victorious ; Alaftakîn is taken prisoner, magnanimously treated, and taken into high favour, whilst the Qarmathian receives a stipend and retires ; Alaftakîn's death (2) brought about by the jealousy of the vizier, Ibn Killis (A. 485-7). pp. 19-21.

[Note from Dhahabî, (a) fol. 13^v that a similar account is given by the historian al-Qiftî.]

368.—Qassâm, a subordinate of Alaftakîn, governs Damascus ; the Hamdanid Abu Taghlib tries to supplant Qassâm, who seeks aid from Egypt ; Abu Taghlib, awaiting Ibn al-Jarrâh from Ramla, is deserted by a part of his force, defeated by the Egyptians, and killed ; Qassâm establishes his rule (A. 512-5). pp. 21-3.

369. — Ibn Falâh with an Egyptian force fails to oust Qassâm ; he and Ibn al-Jarrâh obtain recognition from Egypt ; Bakjûr, Hamdanid Governor of Emesa, relieves the distress at Damascus. (A.IX. 12. sub 372). Death of 'Adud al-Daula, the Buwaihid (A. 13. sub 372). pp. 23-4.

[Note, Sibî J. (a) 84^v, on correspondance between 'Adud al-Daula and 'Azîz quoted from the history of Hilâl al-Sabî (3)].

(1) Ibn Zâfir, loc. cit. describes the term thus :

وكان الصلح على ان يخرج جوهر واصحابه غداة لاشي. يستأن عوراتهم بعد ان يُملق لهم في قوس الباب سيف هتكتين ورمح القرمطي وخروج جوهر.

(2) In 370 a. h. : 'Ibn Zâfir loc. cit., in 372 a. h., Ibn Khall I. 528. 1-8, Eng. II 484.

(3) Cf. on this Ibn Zâfir, op. cit. 51^v-52^v, and Wüstenfeld, Gesch. d. Fatim. Chalifen, V.

SUMMARY of CONTENTS.

358. — A revolt in Damascus, following on the conquest of Egypt by the Fatimide Mu'izz and the expulsion of the Ikshid dynasty (1), is suppressed by Jauhar. The Qarmathian ruler thereby loses his subsidy, and, with aid from Baghdad, defeats the Fatimide Governor Ja'far b. Falâh (2), and seizes Damascus, but, on invading Egypt, is defeated by Jauhar (3) (A VIII. 452-3) pp. 1-2.
[From the History of Hilâl al-Sâbi quoted Sibt J. (a) 14^r]

History of Ibn al-Qalânisi

363. — Repulse of the Qarmathians, suppression of their party at Damascus ; Zâlim, governor ; excesses by the troops, incendiarism and riots ; extent of damage. Jaish, Governor — then, Rayyân (A. 469-72). pp. 3-10.

[Note (p. 4) on al-Nâbulusi from the « Muntazam » of Ibn al-Jauzi sub. 365 A. H. — Berlin 9436. 111^r, and cf. Yâqût, « Mu'jam al-Buldân » IV 724-5.]

364. — Alaftakîn (4) expelled with Turkish troops from Baghdad, enters Damascus by invitation and represses the Arabs ; he is distrusted by Mu'izz and attacked by Jauhar.

Death of Mu'izz (5) in 395 (A. 483-4) pp. 11-12.

Byzantine invasion of Syria under John Zimisces ; Alaftakîn negotiates with him in person ; his success ; whilst attacking Tripoli Zimisces is poisoned, and dies in Constantinople. (A. 517, sub. 369) pp. 13-14.

(1) On which see Ibn Khall. ed. Bulaq. II. 56, de Slane Eng. III. 221-2.

(2) In 360 A. H. ; his life Ibn Khall. I. 141, Eng. I. 327, and de Sacy, Religion des Druzes. I. 219-22.

(3) His life, Ibn Khall. I. 147, Eng. I. 340.

(4) Called « Iftakîn » by Ibn Khall. in the mention of his overtures to Adud al-Daula, — I. 527-8, Eng. II. 483, and « Haftakîn » by Ibn Zâfir in the « Dual al-Munqati'a ». B. M. or. 3685, fol 50^v and by Dhahabi in the Tarikh al-Islâm. Cf. de Sacy, op. cit. I. 300. n. 2, quoting Abu-l-Mahâsin.

(5) His life. Ibn Khall. II. 133, Eng. III. 377.

In the summary of the contents, indications will be found in brackets of printed works where the same events are related. These are, the *Kâmil* of Ibn al-Athîr, ed. Tornberg, (quoted as A. VIII-XI.) and, from 490. A. H. and onwards, the «*Histoire des Atabecs de Mosul*» by the same author, edited, with a French translation, by de Slane in the *Recueil Hist. Crois. Or.* Vol. II. part 2, (quoted as At.) ; the extracts from the «*Zubdat al-Halab fî Târîkh Halab*» by Kamâl al-Dîn Ibn al-‘Adîm, covering 490-541 A. H., edited with a French translation by M. C. Barbier de Meynard in the *Recueil*, ib. Vol. III. pp. 577-690, (quoted as ‘Adîm); and the French translation, with notes, of the remainder of this history down to 640 A. H. by E. Blochet, extracted from the «*Revue de l’Orient Latin*» Vols. III. IV. V and VI., under the title «*Kamâl al-Dîn, Histoire d’Alep.*» Paris, 1900. And references in the notes shew where lives of persons mentioned occur in the *Wafayât al-A‘yân* of Ibn Khallikân, text, ed. Bulaq, 2 Vols. 1299 A. H., and English translation by de Slane, 4 Vols.

The quantity of poetry in the volume is not large ; most of it, and especially the lines from the pen of the vizier al-Maghribi on pp. 62-3, have had the advantage of revision by Professor D. S. Margoliouth of the University of Oxford, for which, as well as for much other help in connection with this edition, I beg him to accept my hearty thanks. And to the good nature of M^r. A. G. Ellis of the Oriental Printed Books and Ms. Department, British Museum, I am indebted for large drafts on his knowledge, permitted so readily to those in need, and from so ample a store.

H. F. AMEDROZ

48 York Terrace, London. N. W.

December 1997.

It will be seen that numerous extracts from other authors, who are still in Ms., appear as notes to the text: they are intended to supplement the narrative by matter not present there nor in other printed histories, and are taken either directly from the authors in question, or through quotations from them elsewhere. And whilst in the notes the extracts appear under their author's name, in the summary of the contents will be found the reference to the Ms. and folio whence they have been copied. Of these Extracts the larger number are from the History of Mayyâfâriqîn and Amid by Ahmad b. Yûsuf b. 'Ali b. al-Azraq al-Fâriqi, of whose work two recensions exist in the Library of the British Museum, one, a fragment only, written in 560 A. H., when the author was 50 years old — B. M. Or. 6310 — the other, fuller and nearly complete, written in 572 A. H., — B. M. Or. 5803 (1). The Zubdat al-Tawârikh, — B. M. Stowe Or. 7 (Cat. Supp. 550) from which a few extracts have been taken, is a unique Saljuq history extending to 590 A. H., although not written before 623 A. H., as to which see Houtsma, *Recueil Textes Salj.* I p. X. and II. p. XXXVI. The Mir'ât al-Zamân of the Sibî ibn al-Jauzi has been largely drawn on, especially for quotations from the lost histories of Hilâl al-Sâbi and of his son Ghars al-Ni'ma Muhammed, whose combined works cover 360 — 479 A. H. The years included in the history, of Ibn al-Qalânisi are covered by four Mss. of the Mir'ât al-Zamân, viz. Paris. Ar. 5866 (referred to as Sibî J. a) for 358 — 400 A. H.; Munich, 378^c (Sibî J. b,) for 402 — 442 A. H.; Paris Ar. 1506 (Sibî J. c) for 440 — 517 A. H., (2) the latter years of which are in part printed in the *Recueil Hist. Crois.* Or. III.; and the above mentioned Ms. Yale, 136 (Sibî J. d) for 495 — 654 A. H., the close of the work. Last the Târikh al-Islâm by the Hâfiz Shams al-Dîn al-Dhahabi for the years 351 — 500 A. H., is quoted from the Mss. B. M. Or. 48 (Dhahabi a), Or. 49, (Dhahabi b) and Or. 50 (Dhahabi c), each of which covers a period of fifty years.

(1) Some account of these Mss. and of the historian will be found in the *Journal of the Royal Asiatic Society*, 1902, at p. 785.

(2) For the loan of the Paris Ms. Ar. 1506 I have to thank the Administrateur Général; the use of the Munich Ms. at the Library of the India Office I am indebted to Dr O. Leidinger; and the courteous liberality of Professor J. R. Jewett enabled me to use proof sheets of the facsimile of Yale 136 whilst preparing this text.

توفي في ربيع الاول . قلت : روى عنه ابن مصري ومكرم بن ابي الصقر وجماعة
وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحدث ولايته وتوفي في عشر التسعين

His death in 555 A. H. is noticed too by Abu-l-Mahâsin in
« al-Nujûm al-Zâhira », B. M. add. 23882, fol. 140^v, where he says
of him :

يُعرف بابن القلانسي كان فاضلاً اديباً مترسلاً جمع تاريخ دمشق وسنّاه الذيل
وذكر في اوله طرفاً من اخبار المصريين وبعض حوادث السنين وقد نقلنا عنه نبذة في
هذا الكتاب وكانت وفاته بدمشق في يوم الجمعة سابع شهر ربيع الاول ودُفن يوم
السبت بقاسيون . فمن شعره في الصبر على الشدة :

إِيَّاكَ تَقْتَضِي عِنْدَ كُلِّ شَدِيدَةٍ فَشَدَائِدُ الْأَيَّامِ سَوْفَ تَهُونُ
وَأَنْتَ أَوَّلَ كُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ أَبَدًا فَمَا هُوَ كَأَنَّ سَيَكُونُ

The office of Ra'is (1) at Damascus was a high one, as appears
from the career of Ibn al-Sûfi in the text, and the continued im-
portance there of the Qalânisi family is shown by Dhahabi naming
them among those who removed at the Tatars' approach in 700
A. H. — B. M. Or. 1540, 131^v.

The author brings down his history to within a year of his
death, but he had previously, on arriving at the year 540 A. H.,
made a pause to declare that, in spite of hindrances during the
previous five years, he had settled his narrative thus far, with
blanks in that part of the narrative for the insertion of further
facts when ascertained. And he then proceeds to reflect on the
multiplication of « laqabs », and how their increase had been
wholly in excess of the power and importance of their bearers, —
reflections which will be found to correspond in spirit with those
uttered before him by al-Bîrûni in 'al-Athâr al-Bâqiyya ; (transl.
Sachau pp. 129-131, and by Hilâl al-Sâbi in his « Kitâb al-Wuza-
rà » (pp. 148-152), and which represent, perhaps, a late protest
against a firmly rooted evil (2).

(1) In Derenbourg's « Vie d'Ousama » pp. 196 and 267, this title is trans-
lated by « Chef de la Municipalité ».

(2) Dhahabi in the « Târikh al-Islâm » — B. M. Or. 49, fol. 10^v — Says of
Jalâl al-Daule, in 415 A. H.

ظلم علي شرف الملك ابي سعد ابن ماکولا وزيره ولقبه علم الدين سعد الدولة امير الملة شرف الملك وهو
اول من لقب باللقاب الكثيرة ولعله اول من لقب باسم مضاف الى الدين.

Again on pp. 64-6 is a notice of the defeat and death of Abu-Rakwa. Ibn Khallikān referring to his career in the life of Hākīm — de Sl. Eng. III. 453, (the passage does not appear in the Būlāq text II. 167) — says that a full account of his proceedings was given by Ibn al-Sābi. The notice in this text purports to be an abridged one; only the final scene, after Abu Rakwa's surrender to Hākīm's General, is dwelt on; whereas in the 'Kāmil of Ibn al-Athīr (IX, 143-4) whilst the earlier part of his career is given in greater detail, the conclusion appears to be an abridgment of Ibn al-Qalānisi. The two accounts combined may therefore form a tolerably complete reproduction of Hilāl's narrative. No authority is quoted by name in Ibn al-Qalānisi's history excepting al-Khatīb al-Baghdādī, for the revolt of al-Basāsiri at Baghdad in 450 A. H. — text pp. 87 and 89.

Of Ibn al-Qalānisi himself the following notice is given by Dhahabī in the Tārīkh al-Islām — Bodl. Laud. 304, fol. 203^r, sub. 555 A. H., the year of his death.

حمزة بن اسد بن علي بن محمد ابو يعلي التيسبي الدمشقي العميد بن القلانسي
الكاتب حدث عن سهل بن بشر وحامد بن يوسف التيسبي قال الحافظ ابن عساكر :
سمع منه بعض اصحابنا ولم اسمع منه (قال) وكان اديباً كاتباً تولّى رئاسة دمشق
مرتين . وكان يكتب له في سماعه : ابو العلاء المسلم بن القلانسي . فذكر انه هو وانه
كذلك كان يُستقى وقد صنف تاريخاً للحوادث من بعد سنة اربعين واربعائة الى حين
وفاته . وقرأت من شعره :

يا نفسي لا تجزعي من شدة عرضت وايقتني من اله الخلق بالفرج
كم شدة عظمت ثم انجلت ومضت من بعد تأثيرها في المال والمهج

found in Ibn Khall. II. 163, l. 17, Eng. III. 444; again on fol. 201^r, sub. 405 A. H., the story how a woman evaded Hākīm's order on the sex to remain indoors, (see de Sacy, « Religion des Druzes », Introd. p. 371), by pretending to the Qādi Malik b. Sa'id al-Fāriqi that she was hurrying to the side of a dying brother; and, after a statement on fol. 207^v that Hilāl together with al-Musabbihi and al-Qudā'i were the chief authorities for Hākīm's scandalous doings, on fols. 207^v — 209^r, Hilāl is quoted for one account of Hākīm's death, and another by al-Qudā'i follows, both of which are given by de Sacy. op. cit. introd. 406-13, quoted from the history of Abu-l-Mahāsin. The possibility that undiscovered portions of Hilāl's history may yet exist is the justification of this note.

Quotations from Ibn al-Qalânisi's history are equally to be found in historical works, which, as yet, exist only in Mss., e. g. in Yâqût's « *Irshâd al-Arîb ila Ma'rifat al-Adîb* » for the life of 'Usâma b. Munqidh, — Ms. Bodl. Or. 753, fol. 154 r. (1). and in various Mss. of Dhahabi's '*Târikh al-Islâm*', — such as B. M. Or. 49 and Or. 50, Munich Ar. 378^c and Bodl. Laud. B. 130 (Cat. Uri, 649); Safadi, too, in his introduction to the *Wâfi bil-Wafayât* — Ms. Vienna 1163. I. 18^v — includes the work in his general list of authorities.

One quotation from Ibn al-Qalânisi's history is interesting, being for matter prior in date to 448 A. H., — the commencement of the « Dhail ». It occurs in the *Târikh al-Islâm* — B. M. Or. 49, 9^r and relates to the career of Hâkim's cousin and heir as governor at Damascus — see the text p. 70. That Dhahabi should not have had recourse to some earlier authority is noticeable. A work purporting, as this does, to be a continuation of another history, may be presumed to rely in a measure on that history for previous events, and were it possible to establish that Ibn al-Qalânisi copied Hilâl, something of the lost portion of his history would be saved. That Hilâl treated the annals of Syria and of Egypt is shewn by the quotation by Sibî ibn al-Jauzi on page 1 of this text. Other Mss. of the *Mir'ât al-Zamân* likewise contain quotations from Hilâl, for instance the Ms. B. M. Or. 4619, which covers the years 282-460 A. H., and represents a recension of the work different and less full than the text of the same period contained in Paris Ar. 5866, Munich Ar. 378^c (Cat. Supp. 952), and Paris Ar. 1506. One of these quotations, that at folio 185^v, is an account of the death of Ibn Killis in 380 A. H. : this will be found to correspond verbally with the account given by Ibn al-Qalânisi — text, pp. 32-3 : it may therefore be regarded as taken from Hilâl (2'

(1) The earlier part of this Ms. has been edited by Professor D. S. Margoliouth for the « E. J. W. Gibb Memorial » Series — London 1907— and further parts are in preparation by the Professor.

(2) Other quotations from Hilâl in the Ms B. M. Or. 4619 are : on fol. 183^v. sub. 377 A. H. an illustration of the extended sway of the Hamdanid, Saif al-Daula, that his orders ran in Nisâbûr, and that he had once charged a soldier's stipend, one half on Mosul, and one half on 'Omân — a story which the Sibî caps by that of Nizâm al-Mulk having given from Transoxiana an order on Constantinople (Sic), which is perhaps an imperfect version of the story to be

This coincidence of date puts Ibn Khallikân's statement beyond doubt, although a not unnatural confusion, caused by the title given to the work — « Dhail al-Târikh al-Dimashqi » — has at times led to its having been regarded as a continuation of the wide renowned history of Ibn 'Asâkir — the Târikh Dimashqi. But he was Ibn al-Qalânisi's junior by many years, and in fact, notices him in his history, as will be found stated by Dhahabi, *infra* (1).

For the full period of a century covered by the « Dhail », during most of which, according to Dhahabi's statement, the author was living, the work is a source of Moslem history, amply drawn on by later historians. As such it seemed worthy of publication in spite of the fact that its contents are, to a large extent, already accessible in printed books. Ibn al-Athîr, in the « Kâmil », used the work throughout, although once only does he quote the author by his name; Hamza (2); again, in the extracts from the Mir'ât al-Zamân of the Sibî ibn al-Jauzi, printed in the Recueil Hist. Crois. Or. III. (from the Mss. Paris Ar. 1506, and Leyden, old Cat. N° 757, revised Cat. F° 835), his name is of constant occurrence; it occurs also in the extracts from other historians given in this Volume of the Recueil; and in another Ms. of the 'Mir'ât al-Zamân' — Yale 136 — reproduced in facsimile at the University of Chicago Press, 1907, under the editorship of Professor J. R. Jewett, the references to Ibn al-Qalânisi's history by name for the latter part of its contents are frequent and continuous. That part is copied also to a large extent verbatim in the Kitâb al-Raudatain of Abu Shâma — Ed. Cairo, 1287 A. H., 2 Vols, in part edited, with French translation, by M. C. Barbier de Meynard in Hist. Crois. Or. Vol. IV.

tement in another Ms. of the Mir'ât al-Zamân, — Munich. Ar. 378 c. fol. 135^v. sub. 484 A. H., — that the copy of Hilâl's history to which he had access in the Waqf of at Malik al-Ashraf at Damascus extended only to that year.

(1) Abu Shâma in the « Kitâb al-Raudatain » Ed. Cairo. 1287. l. 4 (Hist. Crois. Or. IV. 13) mentions among previous historians, first, Ibn 'Asâkir whom he calls Abu-l-Qâsim al-Dimashqi, and his fine biography of Nûr al-Dîn for whom his work was composed, and next Ibn al-Qalânisi's « Dhail al-Târikh al-Dimashqi », and this Röhrich understands to mean « Anhangé zur Geschichte des eben genannten ». — See « Arab. Quellenbeiträge zur Gesch. d. Kreuzzüge », Berlin, 1879. p. XII. And the notice of Ibn al-Qalânisi's history in Hâjî Khalîfa, N° 2218 (Vol. II. 130-1) seems to imply this view also.

(2) For the opening in 513 A. H. of the tombs of the Patriarchs, Abraham, Isaac and Jacob; — Vol. X, p. 394 — see p. 202 of this text.

PREFACE -

The history of Ibn al-Qalânisi, which is declared by its author to be a continuation, — « Dhail » — to a previous history, covers a period of nearly two centuries, and terminates in the year of the author's death, 555 A. H. It is concerned, primarily, with Damascus and Syria, with occasional reference to events in Baghdad, and in Egypt, with which during the earlier moiety of the history Syria was politically united. The edition is prepared from the ancient and apparently unique Ms. at Oxford, — Bodl. Hunt. 125, (Cat. Uri. 718), which is dated in 629 A. H. and contains 188 folios of 32 lines a side. The point at which the narrative, as preserved in this Ms., begins, is 363 A. H., but the opening folios — to the number of 11 as would appear from the quirez, viz. one eighteenth part of the whole — are wanting. The year 448 A. H. is indicated by the author as the date when his « Dhail » opens.

By the good offices of Mr E. W. Nicholson, Bodley's Librarian, the Ms. was placed at my disposal for a lengthy period at the British Museum : the extent of the obligation thus placed upon me I desire gratefully to acknowledge. The happy conjunction at the « Bodleian » of a power to lend Mss., and of a generous exercise of that power, is a piece of good fortune for which students can but express, — in this case reiterate, — gratitude, cherishing the well founded expectation that such conjunction may be perpetual there. whilst indulging the hope that it may eventually exist elsewhere in this land.

The history of Ibn al-Qalânisi is described by Ibn Khallikân, when quoting it in his life of Saladin in the *Wafayât al-A'yân* (1), as a continuation of the history of Hilâl al-Sâbi which terminated in 448 A. H. (2) the point at which the « Dhail » commences.

(1) It is quoted Ed. Bûlâq. II, 498 l. 19. de Slane, Eng. IV, 484, and Recueil Hist. Crois. Or. III. 402, where the year 532 A. H. should be 533 — see p. 269 of this text.

(2) Sibî ibn al-Jauzi hesitates between 447 and 448, saying that the latter was that fixed by Hilâl's son, Ghars al Ni'ma Muhammed, who continued his history : — Paris, Ar. 1506. 11^v. His uncertainty is explained by his sta-

HISTORY OF DAMASCUS

363-555 a. h.

BY

Ibn al-Qalânisi

from the Bodleian Ms.

Hunt. 125.

being a continuation of the history

OF

Hilâl al-Sâbi

Edited

With Extracts from other histories

and

Summary of Contents

BY

H. F. AMEDROZ

LEYDEN — LATE E. J. BRILL.

